تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة آية الله

أبي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الرابع والثلاثون

*هوية الكتاب

الكتاب:	تفسير البصائر
المجلّد:	الرابع والثلاثون
المؤلّف:	الأستاذ المحقّق البارع سماحة آية الله يعسوب الدّين رستگار الجويباري
الناشر:	المؤلّف
زينغراف:	الكرماني
المطبعة:	فروردين
الكمّيّة:	٢٢٠٠ نسخة
سنة الطبع:	١٧ ربيع الاوّل ١٤١٥ هجرى قمرى
عدد الصّفحات:	١٢٠٠ صفحة الوزيرى
السّعر:	١٢٠٠ توماناً
الطبعة:	الاولى
تنذيف الحروف:	كمپيوترمؤسسة المعارف الاسلامية، ايران، قم، شارع ارم سوق القدس



قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا.

الانعام: ١٠٤

كتاب علمي، فنّي، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، واسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا
مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ
ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا
أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ
وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا
يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ

ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾

قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ

بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾

فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا

لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ

لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾

فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ

﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ

﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ

ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ
ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا
ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ
تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ
عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ

ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ

يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ

ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطٗا
لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزٗا
فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم
مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ
مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ

ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال بإسناده عن الحسين بن أبي العلآء عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من قرأ سورة «الصّافّات» في كلّ يوم جمعة لم يزل محفوظاً من كلّ آفة، مدفوعاً عنه كلّ بليّة في الحياة الدّنيا، مرزوقاً في الدّنيا بأوسع ما يكون من الرّزق، ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوءٍ من شيطان رجيم ولا جبّار عنيد، وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً، وأماته شهيداً، وأدخله الجنّة مع الشهدآء في درجة من الجنّة».

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع، والسّيّد البحراني في البرهان، والحويزي في نور الثّقلين، والشّيخ الحرّالعاملي في وسآئل الشّيعة، والمجلسي في البحار وغيرهم...

إلّا أنّ في المجمع «في حياته الدّنيا» بدل «في الحياة الدّنيا» وفي البرهان «في حياة الدّنيا» و«أو في ليلته» و«في أعلى درجة من الجنّة» باضافة «في» و«أعلى» وفي نور الثّقلين «في أوسع» بدل «بأوسع» وفي البحار «أو في ليلته أماته الله شهيداً وبعثه شهيداً».

أقول: وقد جرّبت قرآئتها بعد صلوٰة صبح يوم الجمعة بمدّة طويلة حتّى اليوم بتوفيق من الله جلّ وعلا، فوجدت خواصّها وآثارها كما ورد جدّاًبحمد الله تعالى، فمن قرأها مؤمناً مخلصاً لله متدبّراً فيما جآء فيها من عشرة قصص يجدها كذلك إن شآء الله تعالى:

١ ـ قصّة نوح عليه السّلام ونجاته ومَن تبعه. ٢ـ قصّة إبراهيم شيعة نوح عليهما السّلام ونجاته من نمرود وقومه المشركين. ٣ـ قصّة رؤيا إبراهيم وابنه اسمعيل عليهما السّلام وذبحه وفدآئه. ٤ـ قصّة إسحق ونبوّته. ٥ـ قصّة موسى وهارون والمنّة عليهما. ٦ـ قصّة إلياس ورسالته. ٧ـ قصّة آل ياسين وسلامه. ٨ـ قصّة لوط ونجاة أهله المؤمنين. ٩ـ قصّة يونس ونجاته بالتّسبيح في بطن الحوت، ونجاة قومه بالإيمان. ١٠ـ قصّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ونجاته من قومه المشركين. قال الله تعالى: «وننزّل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين» الاسرآء: ٨٢) هذه في الحياة الدّنيا وأما في الدّار الآخرة فقال: «إلّا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم ـ وعندهم قاصرات الطرف عين كأنّهنّ بيض مكنون» الصّافّات: ٤٠ـ٤٩)

وقال: «ومن يطع الله والرّسول فاولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهدآء والصّالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً» النّسآء: ٦٩ـ٧٠)

وفي البحار: وفي رواية يقرء ـ سورة الصّافّات ـ للشّرف والجاه في الدّنيا والآخرة.

وفي المجمع: قال أُبيّ بن كعب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ومس قرأ سورة «الصافات» أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ جنّيّ وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشّياطين، وبرئ من الشّرك ، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين.

وفي الكافي: باسناده عن سليمان الجعفري قال: رأيت أبا الحسن عليه السّلام يقول لإبنه القاسم: قم فاقرأ عند رأس أخيك «والصّافّات صفّاً» حتّى تستتمها، فقرأه فلمّا بلغ «أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا» قضي الفتى، فلمّا سجى، وخرجوا أقبل عليه يعقوب بن جعفر فقال له: كنّا نعهد الميّت إذا نزل به الموت يقرأ عنده «يس والقرآن الحكيم» فصرت تأمرنا بالصّافّات؟ فقال: يا بنيّ لم تقرأ عبد (عند خ) مكروب من موت قطّ إلّا عجّل الله راحته.

قوله عليه السّلام: «سجى» من سجيت الميّت تسجية: إذا مددت عليه ثوباً.

وفي الدّرّ المنثور: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: مَن قرأ يس والصّافّات يوم الجمعة ثمّ سئل الله أعطاه سؤله.

وفي البرهان: ومن خواصّ القرآن روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: من قرأ هذه السّورة أعطاه الله عشر حسنات بعدد كلّ جنّيّ وشيطان، ومن كتبها في إنآء زجاج وجعلها في صندوق رأى الجن يهرعون إليه، ويأتون أفواجاً، ولا يضرّون أحداً من النّاس بشيءٍ. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: من كتبها وجعلها في إنآء زجاج ضيق الرأس وعلّقها في صندوق رأي الجن يهرعون إليه، ويأتون أفواجاً أفواجاً ولا يضرّونه. وقال الصّادق عليه السّلام: من كتبها في إنآءٍ زجاج ضيق الرأس، وجعلها في منزله رأى الجن في منزله يذهبون، ويأتون أفواجاً ولا يضرّون أحد أحداً بشيءٍ، ويستحمّ بمآئها الوهان والرجفان ليسكن ما به إن شآء الله تعالى.

وفي الخصال: فيما عَلَّم أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه من الأربعمأة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه: «مَن خاف منكم العقرب فليقرأ هذه الآيات: «سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين إنّه من عبادنا المؤمنين»».

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواصّ سورة «الصّافات» ما وردت، كيف لا وقد قال الله عزّوجلّ: «إنّا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كلّ شيطان مارد لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كلّ جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» الصّافّات: ٦ ـ ١٠)

وفي البلد الأمين: في كتاب الفرج بعد الشّدة لابن أبي الدّنيا عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «من قرأ أوّل البقرة إلى المفلحون»: ١ ـ ٥) و«إلهكم إله واحد» الآية: ٢٣٦) وآية الكرسيّ إلى خالدون «وإن ربّكم الله» في الأعراف إلى المحسنين»: ٥٤ ـ ٥٦) وأوّل الصّافّات إلى لازب»: ١ ـ ١١) و«يا معشر الجن والإنس» في الرّحمن إلى «تنتصران» ٣٣ ـ ٣٥) وآخر سورة الحشر و«قل اوحي» إلى قوله «شططاً»: الجنّ: ١ ـ ٤) كفى الله تعالى عنه شرّ كل مارد وسلطان عات».

وقال: وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنصتوا

فلمّا قُضِيَ ولّوا إلى قومهم منذرين ـ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض...» الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١) فتدبّر جيداً واغتنم جدّاً.

وفي الكافي: بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أبوجعفر عليه السّلام: «من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل اذا أراد أن يقوم من مجلسه: سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

أقول: رواه الصدوق في الفقيه والطبرسي في المجمع، والحميري في قرب الأسناد، والشّيخ الحرّ العاملي في وسائل الشّيعة، والحويزي في نور الثّقلين، والمجلسي في البحار وغيرهم... باختلاف يسير:

ففي الفقيه: عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: «من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر قوله: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين» فانّ له من كلّ مسلم حسنة».

وفي المجمع: وروى الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السّلام وقد روى أيضاً مرفوعاً إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

وفي قرب الأسناد: عن بكر بن محمّد الازديّ عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «مَن أراد أن يكتال له بالمكيال الأوفى فليقل في دبر كلّ صلاة (فريضة خ): «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

وفي دعوات الرّاوندي: عن عليّ بن الحسين عليه السّلام: «كلمات ما قلتهنّ فخفت شيطاناً ولا سلطاناً ولا سبعاً ضارياً ولا لُصّاً طارقاً بليل: آية الكرسيّ، وآية السخرة وآية في الأعراف: «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض» وعشر آيات من أوّل الصّافّات وثلاث آيات من الرحمن قوله: «يا معشر الجنّ والإنس...»

وآخر الحشر و«سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

﴿الغرض﴾

غرض السّورة لفت نظر السّامعين إلى وحدانيّة الله تعالى وربوبيّته، إلى علمه وعظمته، وإلى قدرته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود، على سبيل الإحتجاج والتّدليل والتّوكيد بقسم ربّانيّ بأنّ إله النّاس واحد وحسب، وهو ربّ السّموات والأرض، وما بينهما وربّ مشارقهما ومغاربهما: «إنّ إلهكم لواحد ربّ السّموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق» ٤ ـ ٥)

مع حكاية بعض مواقف مشركي العرب الضّالّة، وأقوالهم الكاسدة، وعقآئدهم الباطلة في التّوحيد والوحي والرسالة، وفي البعث والحساب والجزآء، وبيان فصول من المناظرات والمشاهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والكفّار العرب: «فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب ـ إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون ويقولون أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» ١١ ـ ٣٦) «فاستفتهم ألربّك البنات ولهم البنون ـ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون»: ١٤٩ ـ ١٨٠)

وبيان فصول من المناظرات والمشاهد بين إبراهيم عليه السّلام وقومه: «إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ـ قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون»: ٨٥ ـ ٩٦) وما بين إلياس عليه السّلام وقومه: «إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين الله ربّكم وربّ آبآئكم الأوّلين»: ١٢٥ ـ ١٢٦)

وبيان سلسلة قصص بعض الأنبيآء وأقوامهم ومصآئرهم بين مواقف الكفار العرب

ومصآئرهم، مع إنذار المشركين المستكبرين الطاغين ووعيدهم بالجحيم وعذابها، ووعد الموحّدين المخلصين بالجنّة ونعيمها، وبيان مايؤل إليه حال كلّ من الفريقين.

«النّزول»

سورة «الصّافّات» مكّيّة نزلت بعد سورة «الأنعام» وقبل سورة «لقمان» وهي السّورة السادسة والخمسون نزولاً، والسابعة والثلاثون مصحفاً، وتشتمل على (١٨٢) آية سبقت عليها (٢٧٢٢) آية نزولاً و(٣٧٨٨) آية مصحفاً على التّحقيق، ومشتملة على (٨٠٠) كلمة وقيل: (٨٢٠) كلمة، وقيل: (٨٦٠) كلمة، وقيل: (٨٦٢) كلمة وعلى (٣٨٢٣) حرفاً وقيل: (٣٨٢٦) حرفاً على ما في بعض التفاسير. وهي خامسة سور القرآن الكريم في عدد الآيات...

وقد سميّت السورة بـ «الصافّات» لافتتاحها مقسماً بها: «والصّافّات صفّاً».

وقال بعض المتفسّرين: سميّت بها لإشتمالها على آيات تصف الملائكة بما ينفي إلهيتهم الّتي يزعمها المشركون من الجهات العديدة.

أقول: وهذا ليس بشيء لأنّ «الصّافّات» من الصّفّ لا من الوصف.

في تفسير فتح القدير: عن إبن عبّاس أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لمّا سئله ملوك حضر موت عند قدومهم عليه أن يقرأ عليهم شيئاً ممّا أنزل الله قرأ «والصّافّات صفّاً» حتّى بلغ «ربّ المشارق».

وفي الدّرّ المنثور: عن إبن عبّاس قال: قدم أهل حضر موت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بنو وليعة حمزة ومحرش ومشرح وأبصعة وأُختهم العمردة وفيهم الأشعث بن قيس وهو أصغرهم، فقالوا: أبيت اللعن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: لست ملكاً أنا محمّد بن عبدالله قالوا: تسمّيك باسمك؟ قال: لكن الله سمّاني، وأنا

أبوالقاسم، قالوا: يا أبا القاسم إنّا قدخبأنا لك خبيأ فما هوإذ كانوا خبؤ الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم جرادة في حمية سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: سبحان الله إنّما يفعل هذا بالكاهن، وإن الكاهن والكهانة والتكهّن في النّار، فقالوا: يا رسول الله كيف نعلم أنّك رسول الله؟

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كفّاً من حصى، فقال: هذا يشهد أنّي رسول الله فسبّح الحصى في يده قالوا: نشهد أنّك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله بعثني بالحقّ وأنزل عَلَيَّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أثقل في الميزان من الجبل العظيم، وفي الليلة الظلمآء مثل نور الشّهاب، قالوا: فاسمعنا منه، فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «والصّافّات صفاً» حتّى بلغ «ربّ المشارق» ثمّ سكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وسكن روعه، فما يتحرّك منه شيء، ودموعه تجرى على لحيته، فقالوا: إنّا نراك تبكى، أفمن مخافة من أرسلك تبكى؟ قال: إن خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حدّ السيف إن زغت عنه هلكت، ثمّ تلا «ولئن شئنا لنذهبنّ بالّذي أوحينا إليك» إلى آخر الآية. الاسراء: ٨٦)

وفي الجامع لأحكام القرآن: قال مقاتل في قوله تعالى: «إنّ إلهكم لواحد»: وذلك أنّ الكفّار بمكّة قالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، وكيف يسع هذا الخلق فرد إله! فأقسم الله بهؤلاء تشريفاً ونزلت الآية.

وفيه: في قوله تعالى: «فاستفتهم أهم أشد خَلْقاً أم من خلقنا...» الآية نزلت في أبي الأشد بن كَلَدَة، سمّى بأبي الأشد لشدّة بطشه وقوته.

وفيه: لمّا نزلت آية الخمر قام عمر قآئماً بين يدى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ثمّ رفع رأسه إلى السّمآء ثمّ قال: يا ربّ بياناً أشفى من هذا في الحمر، فنزلت: «فهل أنتم منتهون» قال: فنادى عمر: إنتهينا يا ربّنا إنتهينا يا ربّنا»

أقول: وفيه دلالة بل صراحة على أنّ عمر بن الخطّاب كان يشرب الخمر عندئذٍ.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنزل الله تعالى في كتابه فذكر

قوماً استكبروا فقال: «إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون» الصافّات: ٣٥) وقال تعالى: «إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التّقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها» الفتح: ٢٦) وهي «لا إله لا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم» استكبر عنها المشركون يوم الحديبيّة يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على قضيّة المدّة.

وفي الدّرّ المنثور: عن قتادة قال: «لما ذكرالله شجرة الزقوم افتتن بها الظّلمة، فقال أبوجهل: يزعم صاحبكم هذا أنّ في النّار شجرة والنّار تأكل الشجرة، وإنّا والله ما نعلم الزقوم إلّا التّمر والزبد، فتزقّموا فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النّار شجرة: «إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم» الصافّات: ٦٤)

وفي الجامع لأحكام القرآن: «فلمّا نزلت هذه الآية: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم» قالت كفّار قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من إفريقية فسئلوه فقال: هو عندنا الزُبْد والتمر. فقال إبن الزبعرى: أكثر الله في بيوتنا الزقوم. فقال أبوجهل لجاريته: زقّمينا، فأتته بزبد وتمر. ثمّ قال لأصحابه: تزقّموا، هذا الّذي يخوّفنا به محمّد يزعم أن النّار تنبت الشّجر، والنّار تحرق الشّجر.

وفي المجمع: فقد روى أنّ قريشاً سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشجرة فقال إبن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر التمر والزبد. **وفي رواية** بلغة اليمن فقال أبوجهل لجاريته: يا جارية زقّمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه: تزقّموا بهذا الّذي يخوّفكم به محمّد فيزعم أنّ النّار تنبت الشجرة، والنّار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه: «إنّا جعلناها فتنة للظالمين» الصافّات: ٦٣)

وفي الدّرّ المنثور: عن ابن عبّاس قال: مرّ أبوجهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وهو جالس فلمّا نفد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى» فسمع أبوجهل فقال: مَن توعد يا محمّد؟ قال: إيّاك فقال: بم توعدني؟ فقال: أو عدك بالعزيز الكريم فقال أبوجهل: أليس أنا العزيز الكريم؟ فأنزل الله «ان شجرة الزّقوم طعام الأثيم ـ إلى قوله ـ ذق إنّك أنت العزيز الكريم» فلمّا بلغ

أبا جهل ما نـزل فيه جمع أصحابه، فأخرج إلـيهم زبداً وتمراً فقال: تزقّموا من هذا فو الله ما يتوعدكم محمّد إلّا بهذا فأنزل الله: «إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم - إلى قوله - ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم» الصّافّات: ٦٤ - ٦٧)

وفيه: عن إبن عبّاس فـي قوله تعالى: «وجعلوا بينه وبين الـجنّة نسباً ولقد علمت الـجنّة إنّهم لمـحضـرون» الصّافّات: ١٥٨) قال: أُنزلت هـذه الآيـة في ثلاثة أحيآء من قريش: سليم وخزاعـة وجـهينة وجعلـوا بـينه وبين الجنّـة نسباً قال: قالوا: صاهـر إلى كرام الجنّ. الآية.

وفي تفسير الـقمّي: بإسنـاده عن يحيي بـن مسلم عن أبي عـبدالله عليه السّلام قال: سمعته يقول: «ومـا منّا إلّا له مقام معلـوم» نزلت في الأئمة والأوصيـآء من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: بإسـناده عن شـهاب بن عبـد ربّه قال: سـمعت الصّادق عليه السّـلام يقول: يا شـهاب نحن شجرة الـنّبوّة ومعدن الرسالـة ومختلف الملآئكـة، ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودآئع (ودّ خ) الله وحجّـته، كنّا أنواراً صـفوفاً حول العـرش، نسبّح فيسبّـح أهل السّمآء بتسبيحنـا إلى أن هبطنا إلى الأرض، فسبّـحنا فسبّح أهل الأرض بتسـبيحنا، وانا لنحن الصّافّون وإنّـا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عزّوجلّ وذمّته، ومن حقر (حفر) ذمتنا فقد حقر (حفرخ) ذمّة الله عزّوجلّ وعهده».

قوله عليه السّلام «حفرخ» أي من نقض ذمتنا فقد نقض ذمة الله وعهده.

وانّ كون الآيتين بعد ذكـر الملآئكة لا ينا في نزولها في الأئمة والأوصيآء عـليهم صـلوات الله، فان مثل ذلك كـثير في القرآن الكـريـم، مع أنّه لكونهـم مـن المقدّسين الروحانييّن، واختـلاطهم بالملائكـة في عالـم الظلال لا يبعـد اطلاق الملائكة عليهم مجازاً.

وفي أسبـاب النزول للسيوطي: عـن يزيد بن أبي مـالك قال: كان النّـاس يصلّون متبددين، فأنزل الله: «وإنّا لنحن الصّافون» الآية: ١٦٥) فأمرهم أن يصفّوا.

وفـي الجامع لأحكام الـقرآن: قال مقاتل: هذه الـثلاث الآيات: «وما منّا إلّا له

مقام معلوم وإنّا لنحن الصّافّون وإنا لنحن المسبّحون» الصّافّات: ١٦٤ - ١٦٦) نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عند سدرة المنتهى، فتأخّر جبرئيل، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «أهنا تفارقني»؟ فقال ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني. وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملآئكة: «وما منّا إلّا له مقام معلوم» الآيات.

وفيه: وقال قتادة: كان يصلّي الرّجال والنّسآء جميعاً حتّى نزلت هذه الآية: «وما منّا إلّا له مقام معلوم» قال: فتقدّم الرّجال وتأخّر النّسآء.

وفي المجمع: في قوله تعالى: «وأبصرهم فسوف يبصرون» وفي هذا إخبار بالغيب لأنه وعدنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر والظفر فوافق المخبر الخبر، وكأنّهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله: «أفبعذ ابنا يستعجلون».

وفي الدّرّ المنثور: عن إبن عبّاس قال: قالوا: يا محمّد أرنا العذاب الّذي تخوّفنا به عجله لنا فنزلت: «أفبعذ ابنا يستعجلون»

﴿القرآءة﴾

قرأ أبوعمرو وافقه حمزة بادغام تآء «والصّافّات» في صاد «صفّاً» وتآء «فالزاجرات» في زآء «زجراً» وتآء «فالتاليات» في ذال «ذكراً» لقرب مخارج التّآء من هذه الحروف الثلاثة ولو كانا من كلمتين، وقرأ الباقون بالاظهار في الجميع بكسر التآء من غير إدغام لأنّ قبل التآء حرفاً ساكناً وهو الألف لأنّ مخارجها متغايرة. ولعلّ وجوه الإظهار ثلاثة:

الأوّل: أن التّآء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزآء ولا من مخرج الذّال، ولا من أخواتهنّ وإن اخت التّآء، الطّآء والدّال، وأخت الزّآء الصّاد والسّين، وأخت الذّال الظّاء والثّآء.

الثاني: أنّ التّآء في كلمة وما بعدها في كلمة اخرى.

الثالث: أنّك إذا أدغمت، جمعت بين ساكنين من كلمتين، وإنّما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة نحو دابّة وشابّة.

قرأ حمزة وعاصم «بزينة» بالتّنوين و«الكواكب» بالجرّ على أنّ «الكواكب» بدل من «بزينة» وهو بدل الشّيء من غيره وهو بعينه لأنّ الزينة هي الكواكب، وهو بدل المعرفة من النكرة وقد يعكس الأمر بأن تجيئ النكرة بدلاً من المعرفة كقوله تعالى: «لنسفعاً بالنّاصية ناصية» العلق: ١٥ - ١٦) أو بدل من «بزينة» على الموضع. وقرأ الباقون بغير تنوينٍ وبجرّ «الكواكب» لإضافة «زينة» إلى «الكواكب» من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله تعالى: «بسؤال نعجتك» ص: ٢٤) والمعنى:

زيّنـا السّمآء الدّنيا بتـزيين الكواكب. وقرأ شـاذّاً بتنوين «بزينـة» ونصب الكواكب على أنّ «زينة» عملت في «الكواكب» والمعنى: زيّنّا الكواكب فيها كقوله تعالى: «أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذامقربة» البلد: ١٤ ـ ١٥) أو باضمار أعني كأنّه جلّ وعلا قال: إنّا زيّنّاها بزينة أعني الكواكب.

قرأ عاصم وحمزة وحفص والكسآئي «لا يسّمّعون» بفتح السّين والميم وتشديد هما من التّسميع، أصله: يتسمعون، فادغمت التّآء في السين لقربها منها. وعلى هذه القراءة ينتفي منهم السّماع وإن كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيح ويؤيّده قوله تعالى: «إنّهم عن السّمع لمعزولون» الشعرآء: ٢١٢) وقرأ الباقون باسكان السّين وفتح الميم وتخفيفهما، وعلى هذه القراءة ينتفي منهم وقوع الإستماع أو السّماع.

قرأ حمزة «بل عجبتُ» بالتّكلم وحده. وانّ نسبة التعجّب إلى الله سبحانه كنسبة المكر والإستهزآء إليه تعالى. والمعنى: ان إنكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الإبتدآء والإنشآء عجيب. فالمعنى: بل عظم فعلهم عندي أو بل جازيتهم على التعجّب أو بل نكرت. وقرأ الباقون: «بل عجبتَ» بالخطاب للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والمعنى: بل عجبتَ يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم عن تكذيب المشركين برسالتك، وهم يتخذون الأصنام آلهة لهم يعبدونها، ومن إنكارهم البعث وهم يسخرون به أو عجبتَ من نزول الوحي إليك وهم يسخرون به.

قرأ إبن عامر: «إذا متنا» على الخبر، «أ إنّا لمبعوثون» على الإستفهام، وقرأ نافع بالعكس: إستفهام الأوّل، وإخبار الثاني، وقرأ الباقون بالإستفهام فيهما على اصولهم في الهمزتين من التّحقيق والتّليين والفصل، وقرأ نافع وحفص: «مِتنا» بكسر الميم والباقون بضمّها، وقرأ ابن عامر: «أوْ آبآؤنا» باسكان الوا و والباقون بفتحها.

قرأ نافع: «المخلَصين» بفتح اللام أي الّذين أخلصهم الله تعالى لطاعته ودينه وولايته، وقرأ الباقون بكسر اللام أي الّذين أخلصوا لله تعالى العبادة.

قرأ حمزة: «ينزفون» بضمّ اليآء وكسر الزآء من باب الإفعال على إسناد الفعل إليهم، وقرأ الباقون بضمّ اليآء وفتح الزآء ـ مبنيّاً للمفعول ـ من نزف الرّجل فهو منزوف

ونزيف إذا ذهب عقله بالسّكر.

قرأ حمزة: «أإنّك لمن المصّدّقين» ٥٢) بتشديد الصّاد، والباقون بتخفيفها، وقرأ ابن عبّاس: «هل أنتم مُطْلِعُون» ٥٤) بإسكان الطآء خفيفة و«فأطلع» بألف القطع مخفّفة من باب الإفعال على معنى: «هل أنتم مقبلون فأقبل» والباقون بالتشديد من باب الإفتعال على القلب والإدغام. وقرأ نافع: «لترديني» ٥٦) بيآء التّكلم بعد نون الوقاية وصلاً، وبغير اليآء وقفاً، وقرأ الباقون بحذفها مطلقاً.

قرأ حمزة وعاصم: «يزفون» ٩٤) بضمّ اليآء وكسر الزآء من باب الإفعال. والمعنى: يزفون غيرهم أي يحملونهم على التزفيف، فالمفعول محذوف، وقرأ الباقون بفتح اليآء ثلاثياً. وقرأ حفص: «يا بنيّ» بفتح اليآء والباقون بكسرها. وقرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو وابن كثير: «إنـي أرى في المنام أنّـي أذبحك» ١٠٢) بفتح اليآئين للتكلّم، وقرأ الباقون باسكانهما، فيصير من باب المنفصل.

قرأ حمزة: «ماذا ترى» بضمّ التآء وكسر الرآء من باب الإفعال أي ماذا تشير - من المشورة - أصله: ترئي، فنقلت كسرة الهمزة إلى الراء، ثمّ حذفت الهمزة لسكونها وسكون اليآء، وقرأ الباقون بفتح التّآء والرآء ثلاثياً من الرؤية.

قرأ أبوجعفر ونافع: «ستجدني» ١٠٢) بفتح يآء التكلّم، وقرأ الباقون باسكانها، وقُرِأ شاذّاً بحذفها لدلالة كسرة النون عليها. وقرأ الإمامان المعصومان: عليّ بن أبيطالب وجعفر بن محمّد صلوات الله وسلامه عليهما: «فلمّا سلّما» بغير ألف ولام مشدّدة من باب التفعيل من التّسليم أي سلّما أنفسهما وأراهما كالتسليم باليد لما أُمرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من إجماع إبراهيم الذبح وإسمعيل الصبر، وأما على القراءة المشهورة وهي «أسلما» فمعناه فوّضا وأطاعا.

قرأ حمزة وعاصم وحفص: «الله ربّكم وربّ آبآئكم» ١٢٦) بفتح الأسمآء الثلاثة بدلاً من قوله تعالى: «أحسن الخالقين» وقرأ الباقون برفعها على الإبتدآء والخبر. وقرأ ابن عامر ونافع: «آل ياسين» بفتح الهمزة وكسر اللام وألف بينهما منفصلا مثل «آل محمّد» و«آل عمران» على إضافة «آل» إلى «ياسين بأن «آل»

آل محمّد لأنّ «يس» إسم من أسمآء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم كما أوردناه في تفسير سورة «يس» وفي فصل «آل» من «يس» في المصحف دلالة على أنّ «آل» هو الّذي تصغيره أُهيل وقرأ أبوعمرو: «إلياسين» بكسر الهمزة وإسكان اللام متصلاً، وقرأ الحسن: «على الياسين» بوصل الألف كأنّها ياسين دخلت عليها الألف واللام الّتي للتعريف، وقُرأ شاذاً «ألياسين» موصولة.

وفي تفسير الطبرّي: قال: «وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «سلام على آل ياسين» بقطع آل من ياسين».

أقول: القراءة الاولى هي المروية عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته...

وفي المجمع: قرأ جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام «ويزيدون» بالواو والوجه فيه ظاهر.

«يزيدون» في موضع رفع بأنه خبر مبتداء محذوف أي وهم يزيدون.

قرأ أبوجعفر ونافع: «أصطفى البنات» بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل، وبقيت ألف الإستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل «أطّلع الغيب» مريم: ٧٨) وقرأ الباقون: «إصطفى» بكسر الهمزة وصلاً على وجه الخبر بغير إستفهام وقرأ الباقون بكسرها وصلاً و وقفاً.

﴿الوقف والوصل﴾

«صفاً لا» لعطف التّالي، و«زجراً لا» كالسّابق، و«ذكراً لا» لجواب القسم، «لواحد ط» لاحتمال أن يكون «ربّ السّموات» خبر ثان لحرف التّأكيد: «إن» أو خبر لمبتدإ محذوف أي هو فالجملة مستأنفة و«المشارق ط» لاستيناف التّالي، و«الكواكب لا» لعطف التّالي على السّابق، و«مارد ج» لاحتمال ما بعده الوصف والإستئناف، و«جانب ج» لاحتمال «دحوراً» أن يكون مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً لأجله أو مصدر في موضع الحال، و«دحوراً قف» فيستحبّ الوقف من غير حرج في الوصل، و«واصب لا» لاستثناء التّالي، و«ثاقب ج» لاحتمال فآء التّالي الإستئناف والتفريع، و«خلقنا ط» لاستئناف التّالي، و«لازب ص» لاضراب التّالي: «بل» و«يسخرون ص» للعطف، و«لا يذكرون ص» كالسّابق، و«يستسخرون ص» كالمتقدّم، و«مبين ج» لمكان الإستفهام وأن يكون التّالي مقولة القول.

«لمبعوثون لا» للعطف، و«داخرون ج» لاحتمال أن تكون الفآء للتعليل والإستئناف، و«يكذّبون ع» علامة إنتهآء الركوع وهو الحصّة اليومية لمن أراد حفظ القرآن الكريم في عامين و«يعبدون لا» لأنّ «من دون» متعلق بحال من العآئد المقدّر أي «يعبدونه من دون الله» و«الجحيم لا» لعطف التّالي، و«مسئولون لا» لأنّ المسئول عنه: قوله تعالى: «مالكم ...» و«مؤمنين ج» لاحتمال أن تكون الواو التّالية عاطفة واستئنافية، و«من سلطان ج» للعدول مع اتفاق الجملتين.

«قول ربّنا ق» أي قال بعض العلمآء بالوقف، و«لا يستكبرون لا» لمكان

العطف التّالي، و«مجنون ط» للاضراب الإبطالي، و«الأليم ج» لتمام الآية واحتمال عطف التّالي، و«تعملون لا» لمكان الإستثنآء، و«معلوم لا» لأنّ «فواكه» إمّا بدل من «رزق معلوم» أو خبر لمحذوف، والجملة نعت و«فواكه ج» لاحتمال الواو التّالية الحال والإستئناف، و«مكرمون لا» لأنّ «في جنات» متعلّق بـ «مكرمون» و«النعيم لا» لأنّ «على سرر» متعلّق بـ «مكرمون» و«من معين لا» لأنّ «بيضآء» نعت ثان لـ «بكأس» و«للشاربين ج» لأنّ ما بعده يصلح وصفاً وإستئنافاً، و«عين لا» لأنّ «كأنّهنّ ...» في موضع رفع، نعت ثان لـ «قاصرات الطرف» و«مكنون ج» لاحتمال فآء التّالي التّفريع والإستئناف.

«قرين لا» لأنّ التّالي نعت له، و«لتردين لا» لعطف التّالي، و«بميّتين لا» لمكان الإستثنآء و«في أصل الجحيم لا» لأنّ ما بعده نعت لـ «شجرة» و«البطون لا» لأنّ «ثمّ» لترتيب الإخبار، ومدخولها معطوفة على «فإنّهم لآكلون» و«لإلى الجحيم ج» لاحتمال التّالي الإستئناف والتعليل، و«ضالّين لا» للعطف مع إتّصال المعنى، و«الأوّلين لا» لعطف التّالي، و«المنذرين لا» لمكان الإستثنآء، و«المخلصين ع» وقدسبق آنفاً، و«المجيبون ز» علامة الوقف المجوّز، و«العظيم ز» كالسّابق، و«الباقين ز» و«في الآخرين ز».

«لإبراهيم م» علامة وقف لازم لأنّ التّقدير: واذكر. ويجوز أن يتعلّق الظرف: «إذ» بما في الشّيعة من معنى المتابعة فلا وقف، و«تعبدون ج» للإبتدآء بالإستفهام مع اتّحاد المقول، و«تريدون ط» لإستفهام التّالي، و«في النّجوم لا» للفآء واتّحاد المعنى، و«تأكلون ج» لإستفهام التّالي مع اتّحاد المعنى، و«ما تنحتون لا» لأنّ الواو للحال، و«ماذا ترى ط» لتمام الكلام وجواب التّالي، و«ماتؤمرز» للسين مع اتّصال المقول، و«للجبين ج» لإحتمال أنّ الواو مقحمة و«ناديناه» جواب «لمّا» وأن الجواب محذوف أي قبلنا منه وناديناه «يا إبراهيم لا» لأنّ التّالي جواب النّدآء، و«الرؤيا ج» لإحتمال أنّ ما بعده داخل في حكم النّدآء أو مستأنف.

«في الآخرين لا» بنآء على أنّ «سلام ...» تفسير لـ «تركنا» و«على إبراهيم

ط» لتمام الكلام وإستئناف التّالي، و«على اسحق ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«مبين ع» وقدسبق آنفاً، و«هارون ج» لتمام الآية والعطف، والعظيم ج» كالسّابق، و«الغالبين ج» و«المستبين ج» و«المستقيم ج» كالمتقدّم، و«في الآخرين لا» كما سبق ذكره آنفاً، و«لمن المرسلين ط» لتمام الكلام، وأن يكون «إذ» مفعول فيه لفعل محذوف أي اذكر، و«الخالقين لا» بنآءً على قراءة «الله» بالنّصب، و«لمحضرون لا» لمكان الإستثنآء، و«في الآخرين لا» كما سبق، و«لمن المرسلين ط» كالمتقدّم، و«أجمعين لا» لإستثنآء التّالي، و«مصبحين لا» لمكان العطف التّالي، و«باللّيل ط» لتمام الكلام واستفهام التّالي، فالوقف عليه تامّ.

«أفلا تعقلون ع» لما سبق، و«لمن المرسلين ط» كالسّابق، و«المشحون لا» للفآء العاطفة التّالية، و«المدحضين ج» لحق المحذوف مع الفآء، و«المسبّحين لا» لأنّ التّالي جواب لـ «لولا» و«سقيم ج»لتمام الكلام وعطف التّالي، و«يقطين» كالسّابق، و«يزيدون ج» كالمتقدّم، و«إلى حين ط» لتمام الكلام وإستئناف التّالي، و«البنون لا» لمكان «أم» عاطفة معادلة للهمزة، و«ليقولون لا» لمقول التّالي، و«ولد الله لا» تعجيلا لتكذيبهم، و«على البنين ط» لتمام الكلام وإستفهام التّالي.

«مالكم قف» كما سبق آنفاً، و«أفلا تذكّرون ج» لأنّ «أم» التّالي تصلح إستئنافاً، و«مبين لا» لتعجيل أمر التّعجيز، و«نسباً ط» لتمام الكلام وإستئناف التّالي، و«لمحضرون لا» لتعلّق الإستثنآء و«سبحان الله...» معترض، و«يصفون لا» لمكان الإستثنآء التّالي، و«تعبدون لا» لأنّ التّالي خبر لحرف التأكيد، و«بفاتنين لا» لمكان الإستثنآء، و«معلوم لا» لعطف التّالي، و«الصافون ج» للعطف مع الإتّفاق، و«المسبّحون ج» كالسّابق.

«ليقولون لا» لمقول التّالي، و«الأوّلين لا» لجواب التّالي، و«فكفروا به ج» لأن فآء «فسوف» تحتمل التّفريع، والجزآء لشرط مقدر أي إن جآء وقت حسابهم

فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، و«المرسلين ج» لأنّ ما بعده يصلح إبتداءً مقولاً للكلمة، و«المنصورون ص» لعطف الجملتين المتفقتين، و«حين لا» للعطف ولشدّة إتّصال المعنى، و«حين لا» كالسّابق، و«يصفون ج» لعطف جملتين مختلفتين، و«المرسلين ج» للإبتدآء بالحمد الّذي به يبتدأ الكلام، وإليه ينتهي مع اتّفاق الجملتين، و«العالمين ع» كما سبق ذكره في هذه السّورة مراراً فراجع.

﴿اللغة﴾

٢٢ - لازب - ١٣٥٩

لَزَبَ الشّي ء يَلْزُبُ لَزْباً ولُـزُباً - من باب نصر -: دخل بعضه بعضاً، ولَزَبَ الطين ولَزُبَ - من باب كَرُمَ -: لَصِقَ وصَلُبَ، واشتدّ وتماسكت أجزآؤه فهو لازب.

قال الله عزّوجلّ: «إنّا خلقناهم من طين لازب» الصّافّات: ١١) أي ممتزج شديد، متماسك الأجزآء، يلزم بعضها بعضاً. يقال: طين لازب أي لازق باليد لاشتداده، واللازب واللاصق بمعنى. واللازب: الثابت الشّديد الثبوت، ويعبّر باللازب عن الواجب الثابت، فيقال: صار الشي ء ضربة لازب. يقال: هذا الأمر ضربة لازب أي لازم شديد. اللازب: اللازم ما جاوره واللاصق به، اللازب: ملتصق بعضه ببعض وأنشدوا لمولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام:

تعلّم فانّ الله زادك بسطة ... وأخلاقَ خيرٍ كلّها لازب

وفي حديث الإمام عليّ عليه السّلام: «ولا طها بالبلّة حتّى لزبت» أي لصقت ولزِمَتْ.

في التّبيان: قال: ومعنى «لازب» لازم فابدلت الميم بآء لأنّها من مخرجها. يقولون: طين لازب وطين لازم. قال النّابغة:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ... ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب

وقال الآخر:

فما ورق الدّنيا بباق لأهله ولا شدّة البلوى بضربة لازم

واللَّزَبَة: السَّنَة الجَدْبة الشّديدة. وجمعها: اللَزَبات. واللَزْبَة ـ بسكون الزآء ـ: الشدة والقحط. والجمع: اللَزْبات ـ بالسكون ـ لأنّه صفة. يقال: أصابتهم لَزْبة يعنى شدّة السّنة وهي القحط. واللَزْبة والأزْمة والأزْبة كلّها بمعنى واحد. وفي حديث أبي الأحوص: «في عام أزْبةٍ أو لَزْبةٍ» أي شدّة. جمعها لَزِبٌ أيضاً. واللُزُوب: القحط.

اللَزَب: الضيّق، وعيش لَزِبٌ: ضيّق. ومآء لَزِبٌ: قليل. والجمع لِزابٌ.

واللَزْب: الطريق الضيّق. المِلْزاب: البخيل الشديد وهو الشديد البخل. ولزبته العرب لَزْباً: لَسَعَتْه.

٤٤ ـ غول ـ ١١١٣

من الحسّيّ: غاله يغوله غَوْلاً واغتاله إغتيالاً ـ أجوف واويّ من باب قال ـ: إذا ذهب به وأخذه وأهلكه من حيث لا يحسّ به ولم يدر. ومنه سميّت السّعْلاة غُولاً جمعه: أغوال وغيلان. وكلّ ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غُول من جن وشيطان وسبع.

ومن المعنوى ما ورد من المادّة نفي الغَوْل عن خمر الجنّة نفياً لإ ثم الخمر: «وإثمهما أكبر من نفعهما» البقرة: ٢١٩) ورجسها المذكور في خمر الدّنيا: «رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه» المآئدة: ٩٠) وذلك قوله تعالى: «لا فيها غول» الصافّات: ٤٧) أي ليس فيها غآئلة الصداع لأنّه جلّ وعلا قال: «لا يصدّعون عنها» الواقعة: ١٩) الغَوْل: الصداع والسكر.

غالت الخمر فلاناً: إذا شربها فذهبت بعقله أو بصحّة بدنه. الغول: كلّ شيءٍ زال به العقل.

غاله الموت: أهلكه. الغول: الداهية وأتى غولاً غآئلة: أمراً منكراً داهياً. يقال: غالنا: حَبَسَنا. وكلّ ما يهلك الإنسان فهو غول. الغضب غول الحلم أي أنّه يهلكه ويغتاله ويذهب به. ويقال: أيّة غول أغول من الغضب.

ولا يخفى أنه ليس في الآية الكريمة نفياً لعين الغول ووجوده، وإنّما فيه إبطال زعم العرب في تلوّنه بالصّور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: «لا غول» أنّها لا تستطيع أن تُضِلّ أحداً، ويشهد له الحديث: «لا غول ولكن السعالى» السعالى: سحرة الجنّ أي ولكن في الجنّ سحرة لهم تلبيس وتخييل.

الغول: أن تغتال عقول النّاس فتذهب بها. الغول: وجع البطن. الغُول ـ بالضمّ ـ واحد الغيلان وهي جنس من الجنّ والشياطين وهم سحرتهم. وفي الحديث: «إذا تغوّلت بكم الغول فأذّنوا» ومنه: «إذا تغوّلت الغيلان فبادروا بالأذان» أي ادفعوا شرّها بذكر الله تعالى. وهذا يدلّ على أنّه لم يُرِد بنفيها عدمها. ومنه حديث أبي أيّوب: «كان لي تمر في سَهْوة فكانت الغول تجيئ فتأخذ»

الغول: الحيّة وجمعها: الأغوال. الغول: إسم عام في الأذى. تقول: غاله كذا وكذا: إذا ضرّه في خفآء. ومنه الغيلة في العقل، والغيلة في الرضاع، وغاله الشيء: أهلكه وأفسده. يقال: قُتِلَ فلان غيلة أي خفية ومثله قوله: «أخاف أن تغتال فتقتل» وفي الحديث: «ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب واشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسآئل وحملت إليه الأموال إلّا اغتيل» هو من الإغتيال وأن يخدعه فيذهب به إلى مكان قد استخفي له فيه مَن يقتله، فاذا صار إليه قتله.

وقد ورد لِلغَوْل معان كثيرة: المشقّة والخيانة والخبثة الضالّة والسرقة والشرّ والفساد والدآء والعيب الباطن الّذي لم يطلع البآئع المشتري عليه. الغول: ما انهبط من الأرض. الغول: جماعة الطلع لا يشاركه شيء. الغَوْلان ـ بالفتح ـ: ضرب من الحمض كالأشنان. الغُول: ساحرة الجنّ. الغُول: الذكر من الجنّ. والانثى: هي السعلاة.

الغَوْل: التراب الكثير. يقال: «مفازة ذات غَوْل» أي بُعدٍ ومشقّة. تقول: هوّن الله عليك غَوْل هذا الطريق» أي مشقّته. كانت العرب تزعم أنّ الغول في الفلاة تترأى للنّاس، فتتغوّل تغوّلاً: تتلوّن تلوّناً في صورشتّى وتغوّلهم أي تُضِلُّهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وأبطله. المغاولة: المبادرة في السير من

الغَوْل وهو البُعد. ومنه حديث الإفك: «بعد مانزلوا مغاولين» أي مبعدين في السير.

ومنه حديث قيس بن عاصم: «كنت أُغاولهم في الجاهليّة» أي أُبادرهم بالغارة والشرّ من غاله: إذا أهلكه. وكنت أُغاول حاجة: أُبادر إليها.

وفي حديث عُهْدَة المماليك: «لا دآء ولا غآئلة» الغآئلة فيه: أن يكون مسروقاً، فاذا ظهر و استحقه مالكه غال مال مشتريه الّذي أدّاه في ثمنه أي أتلفه وأهلكه.

الغآئلة: كلّ ما يحملك على الكراهة ويدعوك إليها. والغآئلة: صفة لخصلة مهلكة.

جمعها: الغوآئل. ومنه حديث ابن ذي يَزَن: «ويبغون له الغوآئل» أي المهالك. الغوآئل: الدواهي. الغوآئل: خروق في الحوض. الغوآئل: الحقد و منه الحديث: «مقاربة النّاس في أخلاقهم أمن من غوآئلهم» وفي الحديث: «لا تبذلوا مودتكم لمن بغاكم الغوآئل» أي المهالك.

أرض غآئلة: هالكة أي تغول سالكيها ببُعدها. والغُول: بُعد المفازة لأنّه يغتال مَن يمرّبه. وأرض غيلة: بعيدة الغول. غَوْل الأرض أن يسير فيها فلاتنقطع.

وغالني الشيء يغولني: غلبني. ومنه حديث المآء المستنقع حول البئر: «فانّه لاينقب الأرض ولا يغوله حتّى يبلغ البئر». وغآئلة الحوض: ما انخرق منه وانثقب فذهب بالمآء. يقال: غالته غول: إذا وقع في مهلكة. الغآئلة: المغيبة، الغآئلة: المسروقة. يقال: أخاف غائلته: عاقبة شرّه وفساده ومنه: «قضى أميرالمؤمنين عليه السّلام في رجل أغار جارية فهلكت من عنده ولم يبغها غآئلة» أي فساد «فقضى أن لا يغرمها المغار» ومنه: «البيض يذهب بقرم اللحم وليس له غائلة اللحم» الغائلة: الفاحشة والزانية والفاسدة.

الغآئلة: الحقد الباطن إسم كالوابلة. يقال: فلان قليل الغآئلة. والغآئلة: الشّرّ كالمغالة. عيشٌ غُولٌ: ناعم. الأغول: من العيش: الناعم.

الغَيْل: اللبن الّذي ترضعه المرأة ولدها وهي تُجامَعُ أو وهي حامل. وإسم ذلك اللبن الغيل أيضاً فهي مغيلة والولد مغال. وأغال فلان ولده: إذا غشى امّه وهي

ترضعه، وكذلك إذا حملت امّه وهي مرضعته. وفي الخبر: «لقد هممت أن أنهي عن الغيلة» وهي أن يجامع الرّجل إمرأته وهي ترضع ولدها. والغيل: الغلام السمين العظيم والانثى غيلة. الغيل: موضع الأسد. الغيلة: المرأة السمينة العظيمة. الغيل: الشقشقة.

الغيل: الخديعة والإختيال. وقتله غيلة: خدعه فذهب به إلى موضع فقتله من حيث لا يعلم، وفتك به إذا فتله من حيث تراه وهو غار غافل غير مستعدّ. الغيلة: الأخذ على غرّة.

الغَيْل بالفتح ـ: العَلَم في الثوب. الغيل: الواسع من الثياب. يقال: ثوب غيل جمعه: أغيال وغيال. وثوب غيّل ـ كسيّد ـ: واسع وأرض غيّلة كذلك. وامرأة غيّلة: طويلة. الغَيْل: الساعد الرّيان الممتلئ. والغيل: المآء الجاري على وجه الأرض. وفي الحديث: «ما سقى بالغيل ففيه العشر وما سقى بالدلو ففيه نصف العشر». والغيل: ماجرى من المياه في الأنهار والسواقي. والغيل ـ بالكسر ـ: الشجر الكثير الملتف الّذي ليس بشوك يستتر فيه. إبل أو بقر أو غنم غُيُل ـ بضمتين ـ: كثيرة. وأغليت الغنم: نتجت في السّنة مرّتين.

تغيلوا: كثر أموالهم أو كثرت أنفسهم. والغيّال ـ كشدّاد ـ: الأسد الّذي في الغيل.

واغتال الغلام: سمن وغلظ فهو مغتال. غال فلاناً كذا وكذا: إذا وصل إليه منه شرّ من حيث لا يعلم فيستعدّ. واغتاله: إذا فعل به ذلك. وفي الحديث: «وأعوذ بك أن أغتال من تحتي» أي أدهي من حيث لا أشعر يريد به الخسف. الغيرل: المنفرد من كل شيء، جمعه: غُيُل بضمتين.

الغيل: الخط تخطّه على الشّيء. الغيل: مآء كان يجري في أصل جبل أبي قبيس يغسل عليه القصّارون. والغيل: كلّ واد ونحوه فيه عيون تسيل. الغيل: مكان من الغيضة فيه مآء معين. الغيل: الّذي تراه قريباً وهو بعيد.

المِغوَل: ما يهلك به الشيء. وفي حديث ام سُلَيْم: «رآها رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلّم وبيدها مِغوَل، فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: ما هذا؟ قالت: مِغولٌ أبعج به بُطون الكفّار» المِغْوَل: شبه سيف قصير، يشتمل به الرّجل تحت ثيابه، فيغطّيه أو حديدة دقيقة له حدٌّ ماضٍ وَقَفاً. وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق يشدّه الفاتك على وسطه ليغتال به النّاس. ومنه حديث خوّات: «انتزعتُ مِغْوَلاً فوجأتُ به كبده» وحديث الفيل: «حين أوتي به مكّة ضربوه بالمِغْوَل على رأسه».

مِغْوَل: إسم رجل. وتغوّل الأمر: تناكر وتشابه. التغوّل: التلوّن: يقال: تغوّلت المرأة: إذا تلوّنت وتخليت. وفلاة تغوّل: ليست بيّنة الطّرق فتضلّ أهلها وأهلكتهم. وتغوّلها: إشتباهها وتلوّنها. وتغوّلتهم الغيلان: أضلّتهم عن المحجّة. يقولون للنّار الّتي توقد وتطفأ: وهكذا كانت نار الغيلان.

والغيلانة: طآئفة من القدريّة نسبوا إلى غيلان بن أبي غيلان المقتول في القَدَر. وامّ غيلان: شجر معروف، منه كثير في طريق مكّة.

٢٩ ـ نزف ـ ١٥٠٤

نزف مآء البئر ينزفها نزْفاً ـ من باب ضرب ـ: نزحها كلّها شيئاً فشيئاً حتّى لم يبق فيها مآء ونَزَفَ البئرُ: نُزِحَتْ لازمٌ متعدٍّ ونزف البئر ينزفها نزفاً وأنزفها بمعنى واحد كلاهما: نزعها. ونُزِفَ شاربُ الخمر: سَكِرَ فذهب عقله، كأنّ الخمر أنفدتْ عَقْلَه وتمييزه فلم تبق منه شيئا. ونزف الرجل: ذهب عقله بسكر الخمر.

قال الله تعالى: «لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون» الصّافّات:٤٧) أي لايسكرون حتّى ذهبت عقولهم إذ لا يجدون عنها سكراً.

سكرانُ نزيفٌ: نُزِف فهمه شيئاً فشيئاً بسكر الخمر. نزفت الشّارب الخمر وأنزف: إذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف. النزيف: الّذي سال دمه حتّى يفرط، فيضعف.

والنُزْف: الضعف الحادث عن ذلك. النزيف: المحموم والسكران ومَن عطش حتّى يبست عروقه وجفّ لسانه، وبئر نزيف ونزوف: قليلة المآء منزوفة.

النزف: الجرح الّذي نزف عنه دم الإنسان، ونزفه الدم. ونزف فلان دَمَه:

استخرجه بحجامة أو فَصْدٍ. ونزف الدّمُ فلاناً: خرج منه دم كثير حتّى يضعف فهو نزيف.

ونزف عِبْرتَه: أفناها، ونزف الرّجل في الخصومة: إنقطعت حجّته. وأنزفت البئر: نَفِدَ مآؤها ومن هذا أنزف شارب الخمر: ذهب عقله وتمييزه شيئاً فشيئاً حتّى ينفد ما عنده منهما كما ينفد مآء البئر. وأنزف الرّجل: فنى خمره وذهب مآء بئره وانقطع مآء عينه ولم يبق له شيء استنزف الدّمْعَ: إستخرجه كلّه. أنزف القوم: نفد مآء بئرهم وأنزف شارب الخمر: نفدت خمرته.

قال الله عزّوجلّ: «لا يصدّعون فيها ولا هم ينزفون» الواقعة: ١٩)

وفي الحديث: «زَمْزَمُ لا تُنزَف ولا تُذَمّ» أي لا يفنى مآؤها على كثرة الإستقآء نزاف إسم فعل للأمر - مثل دَراك - يقال: نَزافِ مآءالبئر: إستخرجه كلّه. ونزفت المرأة تنزيفاً: إذا رأت دماً على حملها، وذلك ممّا يزيد الولد صغراً وضعفاً وحملها طولاً.

النُزْف - بالضّمّ -: إستخراج مآء البئر كلّه. النُزْفة - كغُرفة -: القليل من المآء، جمعها: نُزَف كغُرَف. النَزُوف: البئر الّتي نُزِفَتْ باليد. ومنه قول بعضهم: «إن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلآء» لا تفنيه. وأنزف الرّجل: إنقطع كلامه.

المِنْزاف - كمِفضال -: المعز يكون لهالبن فينقطع. المُنْزَف - بالفتح -: الّذي نزف دمه.

المِنْزَفة: ما يُنزف به المآء. وقيل: هي دُلَيّة تُشَدُّ في رأس عود طويل ويُنصب عود ويعرّض ذلك العود الّذي في طرفه الدلو على العود المنصوب عليه ويستقى به المآء.

المنزوف: مَن عطش حتّى يبست عروقه وجفّ لسانه، ومَن سال دمه حتّى يفرط، فيضعف. وفي المَثَل: «فلان أجبن من المنزوف ضَرِطاً» هي دابّة - بين الكلب والذئب - بالبادية إذا صيح بها لم تزل تضرط حتّىٰ تموت. فصار ذلك مثلاً لرجل فزع فضرط حتّى مات. وذلك إنّ رجلاً كان يدّعى الشّجاعة، وكان إذا نُبّه

لشرب الصبوح يقول: هلاّ نبهتني لخيل قدأغارت؟ فقيل له يوماً على جهة الإختبار: هذه نواصي الخيل، فلمّا رأى الخيل تصيح فما زال يقول: الخيل الخيل ويضرط حتّىٰ مات.

٥٣ ـ شوب ـ ٨٢١

شاب الشّي ء يشوبه شوباً وشياباً ـ أجوف واويّ من باب قال ـ: خلطه كشوب المآء باللبن فهو شآئب. الشوب ـ بالفتح ـ مصدر: الخلط والمزج، والقطعة من العجين وما شبته من مآء أو لبن والعسل.

قال الله تعالى: «ثـمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم» الصّافات:٦٧) أي خلطاً ومزاجاً من حميم.

الشِياب مصدر وإسم ما يُمزَج. يقال: «ماله شوب ولا روب» أي لا عسل له ولا لبن. وقيل: أي لامرق له ولا لبن. قيل: أي لا غشّ ولا تخليط في شرآء ولا بيع. والروب من اللبن: الرآئب لخلطه بالمآء. وقيل: معنى لاشوب ولا روب: أنّك بريْ من هذه السلعة. وسمّي العسل شوباً إمّا لكونه مِزجاً للأشربة، وإمّا لما يُختلط به من الشمع.

وفي المثل: «هو يشوب ويروب» يُضرَبُ لمن يخلط في القول والعمل. يقال للمخلّط في كلامه: هو يشوب ويروب. المشوب: المخلوط والممزوج والمخالط. وفي وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «غير مشوب حسبه» أي غير مخلوط ولا مدنس. الشّآئبة جمعها: شوآئب وهي الأقذار والأدناس والعيوب والأهوال...

الشوبة: المرّة والخديعة. شاب عن الشي ء: دافع ونَضَحَ عنه فلم يبالغ. شوّب عنه تشويباً: شاب عنه. إنشاب واشتاب الشي ء إنشياباً واشتياباً: اختلط.

واستعمل بعض النحاة الشَوْب في الحركات، فقال: أمّا الفتحة المشوبة بالكسرة، فالفتحة الّتي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أنّ الإمالة إنّما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو اليآء لضرب من تجانس الصوت، فكما أنّ الحركة ليست بفتحة محضة، كذلك الألف الّتي بعدها ليست ألفاً

محضة، وهذا هو القياس لأنّ الألف تابعة للفتحة، فكما أنّ الفتحة مشوبة، فكذلك الألف اللاحقة لها.

ليلة الشيبآء: آخر ليلة من الشهر. باتت المرأة بليلة شيبآء وبليلة الشيبآء: إذا غُلِبَتْ على نفسها أي غلبها زوجها فافتضّها وأزال بكارتها ليلة هِدآئها من إهداء الماشطة العروس لزوجها ليلة الزفاف، فاذا دخل بها ولم يفترعها قيل: باتت بليلة حرة. الشيبآء: المرأة الباكرة ليلة إفتضاضها لا تنسي بعلها الّتي افترعها أبداً ولا تنسي قاتل بكرها أبداً. قيل إن اليآء في شيبآء معاقبة، وإنّما هومن الواولأنّ مآء الرّجل خالط مآء المرأة.

المُشاوَب: غلاف القارورة ـ على مُفاعَل ـ لأنّه مشوب بحمرة وصفرة وخضرة وجمعه: مَشاوِب لأنّه فيه ألواناً مختلفة.

شيبان: قبيلة من العرب على أنّ ياؤه بدل من الواو لقولهم: الشوانبة.

شابة ـ مخففة البآء ـ: جبل بنجد. وقيل بالحجاز في ديار غطفان بين السليلة والربذة. وقيل: بحذآء الشعيبة. وألف شابة منقلبة عن الواو.

٦٢ ـ الشيعة ـ ٨٣٠

وقد اتفق اللّغويّون على أنّ في هذه المادّة: معنى الحزم والقوّة والشجاعة والقربة والمتابعة والمطاوعة والرفاقة والمشاركة والإذاعة والكثرة والمماثلة والعلاقة والصداقة والدعوة.

شاع الخبر في النّاس يشيع شَيْعاً وشُيُوعاً ومَشاعاً وشَيْعوعة وشَيَعاناً ـ يائيّ من باب باع يبيع ـ: قوى وكثر وذاع وفشا وانتشر. وشاع القوم: قووا وكثروا وانتشروا. وشاع فلاناً شِياعاً: تبعه. ومنه قول العرب في الوداع: «شاعكم السلام» أي تبعكم و«شاعكم الله بالسلام» أي أتبعكم إيّاه. والمعنى: مال عليكم السّلام. وفيه ضرب من العلاقة.

وشيعة الرّجل: أوليآئه وأتباعه وأنصاره ومن كان على منهجه ورأيه مع حزم وقوّة وشجاعة وقربة...

قال الله عزّوجلّ: «وإنّ من شيعته لإبراهيم إذ جآء ربّه بقلب سليم» الصافّات: ٨٣ ـ ٨٤) أي كان إبراهيم عليه السّلام على منهاج نوح عليه السّلام وسنّته في التّوحيد والعدل واتباع الحقّ أو على منها ج محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وسنّته كذلك على ما ورد مع حزم وقوّة... وصداقة فالشيعة حقيقة لمولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام مَن إجتمعت فيه تلك المعاني... وإلّا كانت شيعيّته مجازيّة لفظية.

الشّيعة: الفرقة على حدّة وتقع على الواحد والإثنين والجمع والمذكّر والمؤنث وقدغلب هذا الإسم على كلّ من يتولّى مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب وأحد عشر إماماً من أولاده المعصومين أفضل صلوات الله وأكمل تحياته عليهم أجمعين حتّى صارت إسماً لهم خاصّاً. والشّيعة هم المعروفون بالإماميّة الاثنى عشرية الجعفرية الحقّة. الشّيعى: من تولّى الإمام على عليه السّلام وكان من الشيعة.

شاع بالشيء شَيْعاً: أذاعه وأظهره. حديث شائع وشاع ـ على حذف العين ـ: ذآئع فاشٍ. هذا خبر شائع: إذا شاع في النّاس، واتصل بكلّ أحد فاستوى علم النّاس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض. يقال: شاع فلان الإنآء: ملأه ومنه: «شاع رأسه الشيب»: إستطار. المَشيع: الإنآء المملؤ من قولك: شِعْتُه أشيعه شَيْعاً: إذا ملأته.

سهم مُشاع: مشترك غير مقسوم، ومنه مشاع القرى والمدن لما اشترك فيه عامّة أهاليها من الأرض والغابات ونحوها على وجه شرعى وطريق مشروع ومجوّز في الدّين الإسلامى.

الشَيْع ـ مصدر ـ: المقدار وولد الأسد. يقال: «هذا شَيْع هذا» أي شوعه أو مثله. هو شَيْع نسآء: يشيعهنّ ويخالطهن. الشّاعة: الزوجة لمشايعتها الزوج.

يقال: «هل لك من شاعة» أي زوجة. الشّاعة: الأخبار المنتشرة.

الشَّيِّع: المشارك. يقال هذا شيّع لهذا أى مشارك له في أمر مشاع بينهما.

جمعه: شُيَعآء ـ كالفقهآء ـ يقال: هم شُيَعآء أي كلّ واحد منهم شَيّعٌ لصاحبه. وهي شيّعة الدّار شيّعة بينهما أي مشاعة. **أشاع الخبر** وبه إشاعة: أذاعه وأظهره. أشاعكم الله السّلام وبا لسلام: اتبعكم إياه يعنى جعله صاحباً وتابعاً لكم.

شَيَّعَ فلاناً: خرج معه ليودّعه ويبلّغه منزله. وشَيَّعَ فلاناً: شجّعه وجرّأه وقوّاه.

وشَيَّعَ ـ أمرٌ ـ هذا بهذا أي قوّه به. وشَيَّعَ شهر رمضان: صام بعده ستّة أيّام.

المُشايع: اللاّحق: يقال: صار فلان مشايعاً لهم أي لاحقاً بهم. المُشَيَّع ـ إسم مفعول ـ الشجاع كأنّه قدشيّع قلبه بما يركب كلّ هول أو بقوّة قلبه كما أشار تعالى إلى ذلك في قوله تعالى: «إذ جآء ربه بقلب سليم» الصّافّات: ٨٤) وذلك أن مَن جآء ربّه بقلب سليم فهو قويّ حازم شجاع صادق... لا يخاف من دون الله قطّ: «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم» المآئدة: ٥٤) «الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمران: ١٧٣) «ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ١١٢)

المشايع للشيء: اللاّحق له كالمشيّع. ومنه الحديث: «من سافر قصر الصّلاة إلاّ أن يكون مشيّعاً لسلطان جآئر لاحقاً به وتابعاً له» وشيّع الجنازة: لحقها وتبعها: وشَيَّعْتُ الضيفَ: خرجت معه عند رجليه إكراماً له وهو التّوديع.

شايع فلاناً: والاه وتابعه على أمر وهو من الشيعة كما أن والاه من الولآء. وشايعتُ على الأمر مشايعة: تابعته متابعة.

وشايع بالإبل: صاح بها ودعاها. وشايع بهم الدّليل فابصروا الهدى: نادى بهم وعند الرّحيل: شيّعه.

تشايع القوم: صاروا شِيَعاً. تشايع القوم على الأمر: توافقوا عليه وتمالوا.

في المفردات: الشّياع: الإنتشار والتقوية. يقال: شاع الخبر أي كَثُرَ وقَوِيَ. وشاع القوم: انتشروا وكثروا. والشيعة: مَن يتقوّى بهم الإنسان وينتشرون عنه ومنه قيل للشجاع: مَشيعٌ. يقال: شيعة وشِيَعٌ وأشياعٌ. قال: «وإن من شيعته لإبراهيم»

وفي النّهاية: أصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة ومنه حديث

صفوان: «إنّي لأرى موضع الشّهادة لوتشا يعني نفسي» أي تتا بعني.

وفي لسان العرب: الشيعة: القوم الّذين يجتمعون على الأمر وكلّ قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضٍ فهم شِيَعٌ. والشيعة: أتباع الرّجل وأنصاره وجمعها: شِيَعٌ وأشياع جمع الجمع. ويقال: شايعه كما يقال: والاه من الولّي. وأصل الشيعة: الفرقة من النّاس ويقع على الواحد والإثنين والجمع والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد ومعنىً واحد، وقدغلب هذا الإسم على مَن يتوالى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتّى صار لهم إسماً خاصاً، فاذا قيل: فلان من الشيعة عُرِفَ أنّه منهم. وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم. وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.

قال الأزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ويوالونهم. والأشياع أيضاً: الأمثال وفي التّنزيل: «كما فعل بأشياعهم من قبل» أي بأمثالهم من الأمم الماضية، ومَن كان مذهبه مذهبهم. يقال: هذا شَيعُ هذا أي مثله. والمشيّع: الشجاع ومنهم مَن خصّ فقال: من الرّجال. المشيّع: الشجاع لأنّ قلبه لا يخذ له، فكأنه يشيّعه أو كأنّه يشيّع بغيره وشَيَّعَتْه نَفْسُهُ على ذلك وشايعته كلاهما: تَبِعَته وشَجَّعَتْه قال أبو إسحق: معنى شيّعتُ فلاناً في اللغة: إتبعتُ وشيّعه على رأيه وشايعه كلاهما: تابعه وقوّاه. ويقال:شاعك الخير أي لا فارقك. قال لبيد:

فشاعهم حَمْدٌ وزانَتْ قُبُورَهم أسِرَّةُ ريحان بقاع مُنوّرِ

ويقال: فلان يشيّعه على ذلك أي يقوّيه. وشيّعه وشايعه كلاهما: خرج معه عند رحيله ليودّعه ويبلّغه منزله. وقيل: هو أن يخرج معه يريد صحبته وايناسه إلى موضع مّا. وشيّع شهر رمضان بستّة أيّام من شوّال أي أتبعه بها. وقيل: حافظ على سيرته فيها على المثل. الشّاعة: الإهابة بالإبل، وأشاع بالإبل وشايع بها وشايعها مشايعة وأهاب بمعنى واحد: صاح بها ودعاها إذا استأخر بعضها. وقيل: شايَعْتُ بها: إذا دعوتَ لها لتجتمع وتنساق.

وفي الحديث: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ مريم إبنة عمران سئلت ربّها أن يطعمها لحماً لادم فيه فأطعمها الجراد، فقالت: اللهم أعشه بغير رضاع وتابع

بينه بغير شياع» الشِياع ـ بالكسر ـ: الدّعآء بالإبل لتنساق وتجتمع. المعني: يتابع بينه في الطيران حتّى يتتابع من غير أن يشايَع كما يشايع الراعي بإبله لتجتمع ولا تتفرّق عليه. وفي الدعآء: «حيّاكم الله وشاعكم السّلام وأشاعكم السّلام» أي عَمكُمْ وجعله صاحباً لكم وتابعاً. وشَيْعُ الله: إسم كتيم الله

وفي القاموس وشرحه تاج العروس: أصل الشيعة: الفرقة من النّاس على حدّة، وكلّ مَن عاوَنَ إنساناً، وتحزّب له فهو له شيعة قال الكميت:

ومالي إلّا آل أحمد شيعة ومالي إلّا مشعب الحقّ مشعب

وقيل: عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم. قال الحافظ: وهم امّة لايحصون مبتدعة. والشِياع: الدعاة وهي جمع داع ووقع في التكملة: الشياع: الدّعآء. وقال أبوسعيد: يقال: هم شُيَعآء فيها كفقهآء أي كلّ واحد منهم شيع لصاحبه. وشايع فلاناً: إذا تابعه على أمر أو رأي وقوّاه. وأصل المشايعة: المتابعة والمطاوعة، والمشايع: اللاحق نقله الجوهري قال لبيد:

نبكي على أثر الشباب الّذي مضى إلّا انّ اخوان الشباب الرعارع
أتجزع ممّا أحدث الدهر بالفتى وأيّ كريم لم تصبه القوارع
وما المال والأهلون إلّا وديعة ولابدّ يوماً أن تردّ الودائع
فيمضون أرسالاً ونخلف بعدهم كما ضمّ اخرى التاليات المشايع

تشيّع الرّجل: صار شيعياً، وتشايع القوم صاروا شِيَعاً، والشِياع ـ بالكسر ـ: المتابعة كالتشيّع، وشيعه على رأيه: تابعه وقوّاه، وشايعته: تبعته وشجّعته. ويقال: هذا شيع هذا للّذي ولد بعده ولم يولد بينهما.

وفي المنجد: شاعه شياعاً: تبعه ورافقه، ومنه: «شاعكم السّلام وشاعكم الله بالسلام» أي رافقكم السّلام واتبعكم اللهُ السّلامَ. شيّعه: خرج معه ليودّعه أو يبلّغه منزله. وشيّع الشّيء: أرسله وتبعه. وشايعه: تابعه وأولاه على أمر. وشايع بهم الدّليل: نادى بهم. وشايع بالإبل: صاح بها ودعاها. أشاع بالإبل: دعاها إذا استأخر بعضها. ويقال: «أشاعكم اللهُ السّلامَ وبالسّلام» أي جعله تابعاً لكم. تشايعوا على الأمر:

توافقوا عليه.

تشايعوا في دار: تشاركوا. المُشاع: المشترك غير المقسوم ومنه «مشاع القرى» لما اشترك فيه عامّة أهاليها من الأرض والغابات. شيّع الرّجل: شجّعه وقوّاه.
يقال: «نزلوا موضع كذا أو شَيْعَهُ» أي قُربه. ويقال: «آتيك غداً أو شَيْعَه» أي بعده.

٥٩ ـ سقيم ـ ٧١٨

سَقِمَ فلان يَسْقَمُ سَقْماً وسُقْماً وسَقَماً وسَقاماً وسَقَامَةً ـ من باب عَلِمَ ـ: طال مرضه. وسَقُمَ يَسْقُمُ ـ من باب كَرُمَ ـ: مَرِضَ في البدن فهو سقيم. جمعه: سِقام وسُقَمآء نحو كريم وكِرام وكُرَمآء.

قال الله تعالى: «فقال إنّي سقيم» الصّافّات: ٨٩) هذا قول إبراهيم الخليل عليه السّلام وهو من معاريض الكلام، وإنّما نوى به: أنّ مَن كان آخره الموت فهو سقيم.
وفي حديث الإمامين: الباقر والصّادق عليهما صلوات الله أنّهما قالا: «والله ما كان سقيماً وما كذب» أو كان إشارة الى ماضٍ أو إلى مستقبلٍ أو إلى قليل من المرض يشعر به في الحال إذ كان الإنسان لا ينفكّ من خلل يعتريه وإن كان لا يحسّ به.
وقال تعالى في يونس عليه السّلام: «فنبذناه بالعرآء وهو سقيم» الصّافّات: ١٤٥) أي مريض هزيل.

السَّقِم والسَقيم: المريض. كلام سقيم وفهم سقيم: خلاف صحيح. مكان سقيم: فيه خوف يقال: هو سقيم الصدر على أخيه أي حاقد عليه. والسَقَم والسُقْم ـ كالحَزَن والحُزْن ـ: المرض المختص بالبدن والمَرَض قد يكون في البدن، وقد يكون في النّفس كقوله تعالى: «في قلوبهم مرض» البقرة: ١٠)
وفي الدعآء: «أعوذ بك من السَقَم» أي المرض.

سَقَمُ الجفون: فتورها وبطؤها في الحركة. سَقِمَ الرّجل أهله: ترادفت عليه الأسقام. المسقام ـ يستوي فيه المذكّر والمؤنّث ـ: الكثير السَقَم. أرض مَسْقَمَة: تكثر فيها الأسقام. السَقام: المرض جمعه أسقام.

سقّمه: جعله سقيماً. أسقمه: سقّمه وسَقامٌ: وادٍ بالحجاز.

السّوقم وسقمان: شجر يشبه الخِلاف وليس به. والسقمونيا ـ يونانية أو سريانية ـ: نبات يستخرج من تجاويفه رطوبة دبقة، وتجفف وتدعى باسم نباتها أيضاً مضادتها للمعدة والأحشآء أكثر من جميع المسهلات. وتصلح بالأشيآء العطرة كالفلفل والزنجبيل والانيسون ستّ شعيرات منها إلى عشرين شعيرة يسهل المرة الصفرآء واللزوجات الرديئة من أقاصي البدن. واستعمال جزء منه بجزء من تربذ في حليب على الريق لا يترك في البطن دودة عجيب في ذلك مجرّب.

١٦ ـ زف ـ ٦٣٣

زفّ الرّجل يزفّ زفّاً وزفيفاً وزفوفاً ـ من باب ضرب نحو فرّ ـ: أسرع في المشي وزفّ الإبل وأزفّها: سائقها. وزفّ العروس إلى زوجها زفافاً ـ من باب قتل نحو مدّ ـ أهداها. وأزفّ العروس إلى زوجها: أهداها، وزَفّةُ العروس: الطواف بها إظهاراً للسرور. الزِفاف ـ إسم ـ: الإهداء.

أصل الزفيف في هبوب الريح وسرعة النعام الّتي تخلط الطيران بالمشي. زفّت الريح: هبّت هبوباً في مضآء ولين غير شديد، ولكنّه مع ذلك ماضٍ ودآئم. وزفّ الطائر: بسط جناحيه ورمى بنفسه. وزفّ البرق: لمع. زفيف النعامة: أوّل عدوها وآخر مشيها.

قال الله تعالى: «فاقبلوا إليه يَزِفونَ» الصّافّات: ٩٤) أي يسرعون. يزفون أي يحملون أصحابهم على الزفيف من زفّ القوم في مشيهم: أسرعوا.

في النهاية: ومنه الحديث: «يُزَفّ عليّ بيني وبين إبراهيم عليه السّلام إلى الجنّة» إن كُسِرَت الزاي فمعناه يُسرعُ من زَفّ في مشيه وأزفّ: إذا أسرع، وإن فُتِحَتْ فهو من زففت العروس أزفّها: إذا اهديتها إلى زوجها. ومنه الحديث: «إذا وُلِدَت الجارية بعث الله إليها ملكاً يَزِفُّ البركة زفّاً» إنتهى كلامه.

وفي حديث تزويج فاطمة عليها السّلام: «انّه صنع طعاماً وقال لبلال: ادخل

النّاس على زُفَّةٍ زُفَّةٍ» أي طآئفة بعد طآئفة، وزمرة بعد زمرة، وفوجاً بعد فوج. سميّت به لزفيفها في مشيها وإقبالها بسرعة.

زفّ العروس: إستعارة لما يقتضي السرعة لا لأجل مشية العروس ولكن للذهاب بها على خفّة من السرور. المِزَفّة: المِحَفّة أو المركبة الّتي تُزَفّ فيها العروس.

الزّفّ: الصغير من الريش وخصّ بعضهم به ريش النعام. الزَّفَف: كون زغب الطآئر ملتفّاً بعضه على بعض. الأزفّ: ما كان فيه زفف. هيق أزفّ: بيّن الزفف: له ريش صغير ملتف. وظليم أزفّ: كثير الزِّفّ.

الزُفّة - بالضمّ -: الزُمرة والفوج سميّت بذلك لزفيفها. و- بالفتح -: المرّة من زفّ. يقال: جئته زَفّةً أو زفّتين» أي مرّة أو مرّتين. والأزفّ: السريع. الزفيف والزفّان والزفّاف: السريع الخفيف. الزفيف: السريع والطيران. وقيل: الزفيف هو سرعة المشي مع تقارب خطووسكون. وقيل: هو مشي متقارب الخطو في عجلة وسرعة. ومنه يقال للطآئش: زفّ راله. والرال: فرخ النعام وهو مَثَلٌ في السرعة. الزفيف: البريق.

إستزفّه السيل: سحبه وذهب به، واستزفّه السير: إستخفّه إزدفّ العروس: زفّها. وزفّ الحِمْلَ: احتمله.

١٥ - تلّ - ١٨٦

تلّه يتلّه تلاًّ فهو متلول وتليل - من بابي نصر وضرب نحو مدّ وفرّ -: صرعه وألقاه على عنقه وخدّه. يقال: تلّ الرّجلُ فلاناً -: صرعه على شقّه. وتلّه: وضعه بقوّة. وتلّ هو يتلّ - من باب نصر -: تصرّع وتلّ - من باب ضرب -: سقط. وتلّ جبينه تلاًّ - من باب ضرب: رشح بالعَرَق وكذلك الحوض. التّلّ - مصدر -: الصرع، والتلّ - إسم -: المكان المرتفع. يقال: تلّه للجبين كما يقال: كبّه لوجهه أي ألقاه فوقع جبينه في الأرض.

قال الله عزّوجلّ: «فلمّا أسلما وتلّه للجبين» الصّافّات:١٠٣) أي أسقطه على التلّ

كقولك: تربه: أسقطه على التراب. وقيل: أي اسقطه على تليله أي عُنُقه. وقيل: أي صرعه وألقاه. والتليل: العنق. وقوم تلّى ـ جمع تليل ـ: صرعى.

تلّ الشّيء إليه: دفعه إليه أو ألقاه. وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «نُصِرتُ بالرُعب وأوتيتُ جوامع الكلم وبينا أنا نآئم أوتيتُ بمفاتيح خزآئن الأرض فتُلَّتْ في يدى» أي أُلقيت. وقد أراد صلى الله عليه وآله وسلّم ما فتحه الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلّم ولامّته صلى الله عليه وآله وسلّم وبعد قيام المهدي عليه السّلام من خزآئن ملوك الأرض. التلّ: الدفع. ومنه الحديث: «القاتل يتلّ برمته إلى أوليآء المقتول» أي يدفع برمته إليهم. وتلّ الشيء في يده: وضعه فيها سلماً. وتلّ الحَبْلَ في البئر: أرخاه فيها. أتلّ المآئع: أقطره. تلّ إليه: تضرّع. أتلّ الدابّة ـ ضدّ ـ إرتبطها اقتادها. وقيل: التلّ: الصّبّ فاستعير للإلقآء. يقال: تلّ يتل ـ من باب نصر ـ: صبّ. وتلّ ـ من باب ضرب ـ: سقط. وتلّه: صرعه.

التَلّة والتِلّة: الصَرْعة. ويقال: رماه بتلّة سوء أي بأمر قبيح. التليل والمتلول: المصروع، والتليل: العنق ومنه: «وله تليل كجزع السحوق» أي عنق. جمعه: أتلّة وتُلُل وتلائل. التلّة: الصّبّة والضجعة والصرعة. يقال: «له تلّة حسنة» أي ضِجعَة التّلّ من التراب معروف وهو الرابية، جمعه: تِلال مثل سَهْم وسِهام. التالّ: ما يقطع من الامهات أو يقطع من الأرض فيغرس.

المِتَلّ: ما يُصرَع به. وفي حديث أبي الدردآء: «وتركوك لمتلّك» أي لمصرعك.

وفي الحديث: «أتقنوا عليك البنيان وتركوك لمتلّك» يقال: رمح مِتلّ: قويّ منتصب غليظ، ومِتَلّ: شديد من النّاس والإبل. ورجل مِتَلّ: منتصب في الصلاة. التَلول: الّذي لا ينقاد إلّا بطيئاً. التلّ جمعه: تلال وتُلول. تلّة من الأرض: قطعة أرفع قليلاً مما حولها. التِلّة: الحالة والتِلّة: الكَسَل. التِلّ: الوسادة جمعه: أتلال.

التّلال والتّلالة: الضّلال والضّلالة. ضالّ تالّ: اتباع. يقال: هو الضلال بن التلال: اتباع. جآئنا بالضلالة والتلالة: اتباع. ويقال: ذهب يُتالّ أي يطلب لفرسه

فحلاً.

وفي حديث: «فجآء بناقة كومآء فتلّها» أي أناخها وأبركها. وتُلَيْل ـ كزبير ـ: جبل بين مكّة والبحرين.

٧ ـ الجبين ـ ٢٢٣

جبن يجبن جُبْناً وجُبُناً وجَبٰانةً فهو جبين ـ من بابي نصر وكرم ـ: هاب وضعف قلبه لا شجاعة له فهو جَبٰان، جمعه: جُبَنآء. جبّان وجبّانة للمُونّث جمعهما: جبانات. الجبين: الجَبٰان للمؤنّث والمذكّر. يقال: «رجل جبين وامرأة جبين».

الجبين: أحد جانبي الجبهة ما بين شعر الرأس إلى الحاجب، فللوجه جبينان، والجبهة بينهما، وقدسمّي الجبين جبيناً لأنّ ضربته تخيف الموت وتسرع به.

قال الله تعالى: «فلما أسلما وتلّه للجبين» الصّافّات:١٠٣) أي صرعه لجنبه حتّى وقع جبينه على الأرض.

ومنه حديث مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب أفضل صلوات الله وأكمل تحياته عليه: «لا تجزي صلاة لا يصيب الأنف فيها ما يصيب الجبينين» جمع الجبين: أجْبُن وجُبُن وأجْبِنَة. الجَبّان والجَبّانة ـ جمعهما ـ جبابين: ما استوى من الأرض في إرتفاع لا شجر فيه. والجبّانة: الصّحرآء، وقد سميّت بها المقابر لأنّها تكون في الصّحرآء تشبيه للشّيء بموضعه. ومنه الحديث: «إنّما الصّلاة يوم العيد على مَن خرج إلى الجبّانة» والجبّان ـ بدون الهآء ـ: الصّحرآء أيضاً كالجبّانة. ومنه حديث المباهلة: «وابرز أنت وهو إلى الجبّان». والجبّان: مَن يحفظ الغلّة في الصحرآء.

الجبّانة: المصلّى العام في الصحرآء. وفي الحديث: «فلمّا كنّا بظهر الجبّان» أي الصحرآء. والجبابين: كرام المنابت وهي مستوية في إرتفاع. والجبّان: ما استوى من الأرض في إرتفاع ويكون كريم المنبت.

الجبين: الجبان للمذكّر والمؤنّث. والجبّان والجبّانة ـ مبالغة ـ: جبان. الجبّان: بيّاع الجُبُن أو صاحبه. ويقال: فلان جبان أي كريم وسخي على طريق الكناية.

جبّن الرجلَ: حمله على الجبانة ونسبه إلى الجُبْن ورماه به. وجَبَّـنَ اللبن: صيّره جبناً. وتجبّن اللبن: صار جُبُناً أو جمد كالجُبُن. الجُبُن والجُبْن والجُبُنّ: ما جمد من اللبن. والقطعة منه جبنة، وتجبّن الرّجل: غلظ. واجتبن اللبن: اتّخذه جبناً. وأجبن واجتبن الرّجلَ: نسبه إلى الجبانة وجده جباناً أو حسبه جباناً ومنه: «قاتلناكم فيما أجبنّاكم» الجُبْن - بالضم فالسكون -: صفة الجبان. ومصدر الجبان. وأجبنته: وجدته جباناً وحكمت بجبنه.

وفي الدعآء: «نعوذ بالله من الجُبْن لأنّه يمنع الإغلاظ على العصاة» والجُبْن: ضعف القلب عمّا يحقّ أن يقوى عليه. ورجل جبان وامرأة جبان سوآء. الجُبْن والجبان: ضدّ الشجاعة والشجاع. الجبان من الرّجال: الّذي يهاب التقدّم على كلّ شي ء، ليلاً كان أو نهاراً.

المجبنة: الجُبْن. يقال: «الولد مَجْبَنَة مَبْخَلَة» أي يحملك على الجبن والبخل ويدعوك إليهما. وذلك إنّ الأب يحبّ البقآء والمال لأجل ولده، والولد يُجَبِّنُه ويُبخّله. ومنه الحديث: «انكم لتُجبِّنُون وتُبَخّلون» قيل: معناه: أنّ النّاس ينسبونكم إلى الجُبْن والبُخل والجهل لجهلهم عن حقيقة الأمر أو عداوةً لكم.

المجبنة: المكان الّذي يُصْنَعُ أو يكثر فيه الجبن وما يدعو إلى الخوف.

٤ - أبق - ٤

أبق العبد يأبق أَبْقاً وأَبَقاً وإباقاً - من أبواب نصر وضرب وعلم ومنع -: هرب من سيّده ومالكه من غير خوف ولا كدّ عمل فهو آبق. جمعه: أُبّق وأُبّاق. والإباق إسم منه. الآبق: العبد الهارب.

قال الله تعالى: «إذ أبق إلى الفلك المشحون» الصّافّات: ١٤٠) إذ غضب يونس عليه السّلام من قومه، ففرّ منهم قبل أن يأذن الله تعالى له، وركب السفينة، فسمّي فراره هذا إباقاً على سبيل المجاز.

وفي الحديث: «إن بني تغلب أبقوا من الجزية» يعنى هربوا. ومنه: «في رقابهم الرباق من شأنهم الإباق» الأَبَق: القِنَّب أو قشره والكتان. تَأَبَّقَ فلان استتر ثمّ

ذهب. وتأبّق الشيء: أنكره. وتأبّقت الناقة: حبست لبنها. وتأبّق فلان: تأثّم. والتأبّق: الإستخفآء والتواري.

٩١ - سهم - ٧٥٠

سَهُمَ يَسْهُمُ فهو سهيم - من باب كرم -: تغيّر لونه وبدنه من هزال ويبس، وسَهُمَ وجهه: عَبَسَ وسَهُمَ لونه: تغيّر حاله لعارض. السُهام: تغيّر اللون مع هزال والسَهام: دآء يصيب الإبل. رجل مُسْهَمُ الجسم: ذاهبه في الحبّ.

سَهَمَه يسهمه سَهْماً وسُهاماً وسُهُومةً وسهوماً - من بابي نصر ومنع -: غلبه في المساهمة. وسَهُمَ: ضَمُرَ. ساهمه: قارعه. ساهم يُساهم وسِهاماً ومساهمةً - من باب المفاعلة -: اقترع وأصله أن يكون بالسّهام.

قال الله تعالى: «فساهم فكان من المدحضين» الصّافّات: ١٤١) أي قارع أهل السفينة فقُرِعَ. ومنه الحديث: «ساهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قريشاً في بنآء البيت» وفي الحديث: «أوّل مَن سُوهِمَ عليه مريم بنت عمران ثمّ يونس عليه السّلام ثمّ عبدالمطلب، وقد كان عنده تسعة بنين فنذر في العاشرة أن يذبحه فلمّا ولد عبدالله لم يكن يقدر أن يذبحه - ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في صلبه - فساهم عليه في الإبل».

المساهمة: المقارعة: يقال: أسهم القوم: إذا اقترعوا. فالمعنى: فقارع. المساهمة: إلقآء السهام على جهة القرعة. ساهمه في الأمر: اشترك فيه. ساهمته: غلبته في المساهمة. أسهم بين القوم: أقرع وضرب القرعة. وأسهم له في كذا: جعل له سهماً فيه. وجمع السهم: سِهام. ومنه: «كان له سهم من الغنيمة شهد أو غاب». السُهَمة والسُهمان: الحظّ والنّصيب. يقال: أصابه في القسمة سَهْمان: نصيبان. تساهم القوم: تقارعوا. وتساهم القوم الشيء: تقاسموه. إستهمّ القوم: تقارعوا واقترعوا. الساهمة - من النوق -: الضامرة. جمعها: سَواهِم. والمُسَهَّم والمسهوم من الإبل: المصاب بالسُهام. سُهِمَ الرّجل - مجهولاً -: أصابه السهام وسُهِمَ فلان: حُمِلَ على كريهة في الحرب. إبل سَواهم: غيّرها السفر.

السّهـام ـ كسحابَ: مخاط الشيطان، وحرّ السموم، وهيج الصيف، وسودآء يصيب الإبل. والسُهام ـ كغراب ـ: الضمور والتغيّر ودآء يصيب الإبل أيضاً. وبعير مسهوم: مصاب بالسُهام. السَهم: واحد سهام النبل. وقيل: السهم: نفس النصل. وفي الحديث: «ثمّ ينصرفون إلى منازلهم وهم يرون موضع سهامهم» وسهم الرامى: كوكب. والسهم: مقدار ستة أذرع في معاملات النّاس ومساحاتهم.

يقال: «ضرب المسّاح بسهمه في الأرض» والوصيّة بالسهم تحمل على ثُمن ما ترك وقيل: على سُدس. سَهْمُ قَوْسِ دآئرة: هو قطعة المستقيم الواصلة بين منتصفي القوس و وترها. سهم المخروط الدآئري عند العرب: قطعة المستقيم الواصلة بين رأس المخروط ومركز دآئرته.

السُهْمَة: القرابة. يقال: «قديُقطَعُ ذوالسُهْمَة» أي ذوالقرابة. السَهيم: المقاسم لغيره بالسهم. والمُسْهَم: الفرس الهجين يُعطى دون سهم العتيق من الغنيمة.

المُسَهَمة من الثياب: المخطّطة فيها وَشْيٌ كالسهام. السُهُم ـ بضمتين ـ: غزل عين الشمس والحرارة الغالبة والعقلآء الحكمآء العمّال. السَهُوم: العقاب الطآئر المُسَهَم: البُرد المخطّط. إبل مُسَهَمَة ـ كمعظّمة ـ: أصابها السُهام. السَهْم: حجرٌ يُوضعُ فوق باب بيت يُبنىٰ ليصاد فيه الأسد، فاذا دخله وقع الحجر فسدّ الباب عليه. وسَهْم: قبيلة من قريش.

في المفردات: السَّهم: مايُرمى به وما يُضرَبُ به من القِداح ونحوه. قال: «فساهم فكان من المدحضين» واستهموا: اقترعوا وبُرْدٌ مُسَهَّمٌ: عليه صورة سَهْم وسَهَمَ وجهه: تغيّر. والسَهام: دآء يتغيّر منه الوجه.

وفي النهاية: السَهْم في الأصل واحد السَهام الّتي يُضرَبُ بها في الميسر، وهي القِداح ثمّ سمّي به ما يفوزبه الفالج سَهْمه، ثمّ كثرحتّى سمّى كلّ نصيب سَهْماً. ويُجْمَعُ السهم على أسْهُم وسِهام وسُهْمان. ومنه الحديث: «ما أدري ما السّهمان» وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أنّه كان يصلّى في بُرد مُسَهّم أخضر» أي مخطّط فيه وشيٌ كالسّهام.

وفي اللسان: السَهْم: القِدْح الّذي يقارع به. وقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لرجلين إحتكما إليه في مواريث قددرست: «إذهبا فتوخّيا ثمّ استهما ثمّ ليأخذ كلّ واحد منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة، ثمّ ليحلل كلّ واحد منكما صاحبه فيما أخذ وهو لا يستيقن أنّه حقّه» والسُهام والسَهام: الضُمْر وتغيّر اللون وذُبول الشفتين. والسُهُوم: العبوس، عُبُوس الوجه من الهمّ. والسَهام: لُعاب الشيطان. وسهم البيت: جآئزه. وسَهامٌ: موضع.

١٥ - يقطين - ١٧٢٧

قَطَنَ بالمكان وفيه يقطن قَطْناً وقَطَناً وقُطُوناً - من باب نصر -: أقام به وفيه ولزمه، وتوطّنه فهو قاطن. والجمع: قُطّان وقطين وقُطُن. القُطْن معروف وقَطَنَ فلاناً: خدمه وقَطِنَ ظَهْرُه قَطَناً - من باب علم -: إنْحَنىٰ. وفي الحديث: «نحن قطين الله» أي سكّان حرمه. على تقدير: نحن قطين بيت الله وحرمه.

اليقطين: كلّ نابت ينبسط على وجه الأرض، ولا يقوم على ساق كالقثآء والبطّيخ والحنظل، وغلب إستعمال اليقطين في الدُّبّآء وهو القرع المستدير كالبطّيخ، الواحدة: يقطينة وهي القرعة الرطبة. وبالقرع فُسِّرَ اليقطين في قوله تعالى: «وأنبتنا عليه شجرة من يقطين» الصافّات: ١٤٦).

ويقطين أبوعليّ بن يقطين بن موسى كان وزيراً يتولّي ديوان الكتابة في الحكومة العباسيّة الباغية رئيساً معتمداً في عهد أبي العباس السفّاح: أوّل الخلفآء العباسيين، ثمّ لأخيه المنصور الدوانيقي المستكبر، وقد كان عليّ بن يقطين مع ذلك ثقة شيعيّاً من خواص أصحاب الإمام السابع موسى بن جعفر عليهما صلوات الله، وتوفّى سنة ١٨٢ هـ ق.

قطنه بالمكان: جعله يَقطُنُ وقَطَنَ تقطيناً: بدت زمعاته. القِطان - بالكسر -: شجار الهودج، جمعه: قُطُن. القَطانة - كسحابة -: القِدْر. القُطْن والقُطُن: نبات يقوم على ساق، ثمّ يتفرّع ويحمل كنافج تتفتّح عن شيءٍ أبيض في خلالها يغزل وتُنْسَجُ منه الثياب. القطعة منه: قُطْنة وهو إسم جنس، وربّما جُمِعَ على أقطان. والقَطَن - محرّكة

ـ: مصدر والقَطَن: ما بين الوركين إلى عجب الذنب، وما انحدر من ظهر الإنسان واستوى وأصل ذنب الطآئر. جمعه: أقطان.

القطين: جمع قاطن كالقُطّان. وقديجيئ القطين بمعنى قاطِن للمبالغة. يقال: «هم قطين الدار» والإمآء والحَشَم الأحرار والمماليك والخدم والأتباع وأهل الدار للواحد والجمع يقال: «هؤلآء قطين فلان» أي خدمه وحاشيته. قيل: جمع القطين: قُطُن.القُطّان: المقيمون. والقطين: جماعة القطّان إسم للجمع وكذلك القاطنة. والقطين: المقيمون في موضع لا يكادون يبرحونه. القُطّان: السكّان في الدار ومجاور ومكّة قطّانها. وحَمام مكّة يقال لها: قواطن مكّة. والقطين. تبّاع المَلِك ومماليكه.

«قَطْنَ عبدالله دِرهَمٌ» أي حسبه لغة في قطّ. القِطْنَة والقَطِنَة مثل الرمّانة تكون على الكرش. القَطِنَة أيضاً: اللحمة بين الورَكَيْن. القُطنِيّة والقِطنِيّة: الثياب المنسوجة من القُطن وحبوب الأرض أو ماسوى الحنطة والشّعيرو الزبيب والتمر.

القيطون: المخدع بلغة أهل مصر. الأقطن: المنحني الظهر. ويقال: ظهر أقطن. المقطنة ـ كمرزعة ـ: الأرض الّتي تزرع فيها الأقطان.

في المفردات: والقُطْن وقَطَنُ الحيوان معروفان.

وفي القاموس: قال الأطبّاء: «والضماد بورقه ـ اليقطين ـ المطبوخ في المآء نافع لوجع المفاصل الحارّة والباردة وحبّه مليّن مسخن باهيّ نافع للسعال»

٩٤ ـ الساحة ـ ٧٥٣

الساحة ـ واويّ ـ: الناحية والفنآء، السّاحة: الفضآء بين دور الحي لا بنآء فيه ولا سقف. السّاحة: المكان الواسع ومنه ساحة الدّار: باحتها. يقال: «عمر الله بك ساحتك».

قال الله تعالى: «فاذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين» الصّافّات:١٧٧) أي نزل العذاب بهم، فكنّى بالسّاحة عن القوم.

وفي الحديث: «إنّ الحاج ينزلون معهم» أي مع أهل مكّة في ساحة هي الفضآء، وأصلها الفضاء بين المنازل. يقال: ساحة الحيّ للرحبة الّتي يبنون أخبيتهم

حولها.

وفي الدعآء: «اللهم انّي حللت بساحتك» وهو على التّشبيه والإستعارة. وفي الحديث: «تباعدوا عن ساحة الظالمين» أي لا تتقرّبوا إليهم بوجه من الوجوه مهما أمكن.

جمع السّاحة: ساح وسُوح وساحات. تقول: «احمرّت اللوح واغبرّت السُوح» إذا وقع الجدب. وتصغير السّاحة: سُوَيْحَة.

﴿النحو﴾

١ ـ (والصّافّات صفّاً)

الوا وللقسم، و«الصّافّات» جمع صافّة وهي جمع صافّ يقال: جماعة صافّة، فالصّافّات جمع الجمع. وقيل: «الصّافّات» جمع صافة مؤنّث صافّ إسم فاعل من صفّ، و«الصّافّات» مجرور بحرف القسم، متعلق بمحذوف أي: «اقسم...» وقيل: على تقدير المضاف أي اقسم بربّ الصّافّات، و«صفاً» مفعول مطلق ـ مصدر مؤكّد ـ عامله: «الصّافّات» وقيل: «صفّاً» مفعول به لأنّ الصّفّ قد يقع على المصفوف والجملة إبتدائيّة لا محلّ لها.

٢ ـ (فالزاجرات زجراً)

الفآء للعطف، و«الزاجرات» جمع الزاجرة، عطف على «الصّافّات» و«زجراً» مثل «صفّاً».

٣ ـ (فالتاليات ذكراً)

الفاء تدل على ترتيب الصّفات الثلاث في التفاضل، فتفيد الفصل للصف أوّلاً ثمّ للزجر ثانياً ثمّ للتلاوة ثالثاً. وقيل: العكس وهو بعيد. و«التاليات» جمع التالية، و«ذكراً» مفعول مطلق، نائب عن المصدر فهو مرادفه، أو مصدر من معنى التاليات، أو مفعول به إذا كان المراد بالذكر هو القرآن الكريم.

٤ ـ (إنّ إلهكم لواحد)

«إنّ» حرف توكيد، و«إلهكم» إسمها، و«لواحد» خبرها، واللام للتأكيد، أو

للقسم عوض من المزحلقة، والجملة جواب للقسم لا محلّ لها.

٥ ـ (ربّ السّموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق)

في رفع «ربّ السّموات» أربعة أوجه: ١ ـ بدل من «لواحد» أي لرب السموات.
٢ ـ خبرثان لـ «إنّ» ٣ ـ خبر لمحذوف أي هو ربّ السموات أو مالك السموات ومربيها. والجملة مستأنفة. ٤ ـ عطف بيان من «لواحد» أي انّه من ربّ السموات ومربّيها ومبلّغها إلى كمالات أهلها. «والأرض» عطف على «السموات» و«ما» موصولة في موضع جرّ، عطف على «السموات» و«بينهما» ظرف مكان، منصوب، متعلّق بمحذوف، وهو صلة الموصول، وضمير التّثنية راجع إلى «السموات والأرض» «ورب» عطف على «ربّ السموات» اضيف إلى «المشارق» جمع للمشرق من صيغ منتهى الجموع.

٦ ـ (إنّا زيّنّا السمآء الدّنيا بزينة الكواكب)

«إنّ» حرف توكيد، و«نا» في موضع نصب، إسمها، و«زيّنّا» فعل ماض للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب التّفعيل، في موضع رفع، خبر لـ «إن» و«السّمآء» مفعول به، و«الدّنيا» نعت للسمآء، و«بزينة» متعلّق بـ «زينا» والجملة مستأنفة لا محلّ لها. الزينة مصدر كالنسبة أو إسم لما يُزان به الشّيء كالليقة إسم لما يلاق به الدّواة، فعلى الأوّل فهي مضافة إلى الفاعل فالتقدير: بان زانتها الكواكب أو إلى المفعول أي بان زان الله تعالى الكواكب وحسّنها لأنّها زينت السمآء بنورها وحسّنها في ذواتها. وعلى الثّاني ففيها وجهان: أحدهما ـ أن تقع بياناً للزينة لأنّ الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به. وثانيهما ـ أن يراد ما زينت به الكواكب.

وفي «بزينة الكواكب» قرائتان: احدهما ـ قرائة إضافة «بزينة» إلى «الكواكب» لوجوه: ١ ـ أن يكون من إضافة النوع إلى الجنس كقولك: باب حديد. فالزينة كواكب لأنّها هي. ٢ ـ أن تكون الزينة مصدراً اضيف إلى الفاعل بأن زانتها الكواكب.

٣ ـ اضيف إلى المفعول أي زيّنّا السمآء بتريينا الكواكب. ٤ ـ حذف التّنوين

لإلتقآء الساكنين و«الكواكب» بدل من «بزينة» كقراءة من نوّنها. ٥ ـ حذف التنوين إستخفافاً. ثانيهما ـ قراءة تنوين «بزينة» ونصب «الكواكب» لوجوه: ١ ـ إعمال المصدر منوّناً في المفعول أي زيّنا الكواكب. ٢ ـ بتقدير أعني الكواكب ٣ ـ قرأبتنوين الأوّل وجرّ الثاني على البدل. ٤ ـ قُرِئَ برفع الثّاني بالمصدر أي بأن زينتها الكواكب أو بأن زينت الكواكب ٥ ـ على تقدير: هي الكواكب ٦ ـ نصب «الكواكب» على البدل من موضع «بزينة» وهو النصب ٧ ـ بدل من «السمآء» على اللفظ.

٧ ـ (وحفظاً من كلّ شيطان مارد)

في نصب «حفظاً» وجوه: ١ ـ عطف على «بزينة على المعنى كأنّه قيل: إنّا خلقنا الكواكب زينة للسمآء وحفظاً. ٢ ـ مفعول مطلق باضمار فعله أي حفظناها حفظاً. ٣ ـ منصوب بفعل مؤخّر معلّل به كأنّه قيل: وحفظاً من كلّ شيطان مارد زيناها بالكواكب. ٤ ـ أن يكون مفعولاً لأجله أي وحفظاً من كلّ شيطان زيناها بالكواكب. و«من كلّ» متعلّق بفعل محذوف، اضيف إلى «شيطان» و«مارد» إسم فاعل، نعت لـ «شيطان» والجملة في موضع رفع، عطف على «زيّنّا».

٨ ـ (لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويُقذَفون من كل جانب)

«لا» نافية والفعل بتشديد الميم والسين فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب على معنى «كلّ» من باب التفعّل، أصله: يتسمّعون، فادغمت التآء في السين. وقيل: أصله: لئلا يسمعوا فلمّا حذفت اللام والناصب، عاد الفعل إلى الرفع. وقدقُرِئَ الفعل بتخفيف السين.

وفي موضع الفعل وجوه: أحدها ـ جَرٌّ نعت لـ «شيطان» ٢ ـ نَصْبٌ على الحال من «شيطان» وكلاهما باطل إذ يوصف الشيطان على الوجهين بكونه غير مستمع أو غير سامع. ثالثها ـ كلام مستأنف لبيان حال الشياطين وهو حكاية حال المسترقة للسمع، وانهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الله تعالى بواسطة الملائكة حيث إنّ الملائكة يسكنون الملأ الأعلى.

«إلى الملأ» متعلّق بـ «يسمعون» على تقدير: إلى قول الملأ أو إلى كلام الملأ، و«الأعلى» صفة لـ «الملأ» وقدعدّي الفعل بـ «إلى» وهو متعدّ بنفسه لا يفتقر إلى حرف جرّ لوجوه: أحدها ـ لتضمّنه معنى الإصغآء أي لا يصغون ثانيها ـ أن يكون المفعول محذوفاً وتقديره: لا يسمعون القول مآئلين إلى الملأ الأعلى. ثالثها ـ أنّ الفعل المتعدّي صار ههنا قاصراً كقوله تعالى: «وأصلح لي في ذريتي» الأحقاف: ١٥).

«ويقذفون» الواو للعطف والفعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول ثلاثياً أو من باب الإفعال، عطف على «يسمعون» و«من كلّ جانب» متعلّق بـ «يقذفون» ويحتمل أن تكون الواو للحال.

٩ ـ (دحوراً ولهم عذاب واصب)

في نصب «دحوراً» وجوه: أحدها ـ علّة للقذف أي ويقذفون للدحور على حذف اللاّم ثانيها ـ أنّه حال بمعنى مدحورين. وقيل: مصدر نصب حالاً أي دحوراً مطرودين كقوله تعالى: «مذموماً مدحوراً» الإسرآء: ١٨) وقيل: «دحور» جمع داحر مثل قاعد وقعود فيكون حالاً. ثالثها ـ مصدر مؤكّد لأنّهما من وادٍ واحد. وقيل: مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو مرادفه. رابعها ـ أنّه مصدر على الفتح كالقبول. خامسها ـ صفة لمصدر محذوف أي قذفاً دحوراً. سادسها ـ نصب مصدراً على تقدير: يدحرون دحوراً ـ كالركوع والسجود والحضور ـ يدل على المحذوف «يقذفون» سابعها ـ مفعول لأجله أي لأجل الدحور.

والواو للعطف، و«لهم» متعلّق بخبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«واصب» إسم فاعل، نعت لـ «عذاب» والجملة عطف على «لا يسمعون» لا محل لها، ومن المحتمل أن تكون الواو للحال، والجملة في موضع نصب على الحال.

١٠ـ (إلاّ مَن خَطِفَ الخطفة فأتبعه شِهابٌ ثاقبٌ)

«إلاّ» حرف إستثنآء و«مَن» موصولة بدل منه، و«خطف» فعل ماضٍ، صلة الموصول وفي «الخطفة» وجوه: أحدها ـ مفعول مطلق منصوب. ثانيها ـ مصدر

والألف واللام فِيه للجنس أو المعهود منهم. ثالثها ـ مصدر أي المرّة. والمعنى: لا يسمع إلّا الشيطان الّذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة فانّهم لا يستمعون الملائكة إلّا مخالسته ثمّ يتبعون بالشهب.

وفي موضع الإستثنآء وجوه: أحدها ـ في موضع رفع، إستثنآء من الجنس من واو «يسمعون» ثانيها ـ في موضع رفع بدلاً من الواو أي لا يسمع إلّا الشيطان الّذي اختلس الكلمة مسارقة. ثالثها ـ في موضع نصب على الإستثناء والعامل فيه ما يتعلّق به اللام في «لهم عذاب» والمستثنى منه «هم» من «لهم» رابعها ـ أن يكون استثنآء منقطعاً فيكون «من خطف» مبتداء وخبره: «فأتبعه شهاب ثاقب» خامسها ـ إستثنآء من قوله: «ويقذفون من كلّ جانب» سادسها ـ انّ الإستثنآء راجع إلى غير الوحي لقوله تعالى: «انّهم عن السمع لمعزولون» الشعرآء: ٢١٢) فيسترق الواحد منهم شيئاً ممّا يتفاوض فيه الملائكة ممّا سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهل الأرض، وهذا لخفّة أجسام الشياطين، فيرجمون حينئذ بالشهب.

الفآء للعطف، و«أتبعه» فعل ماضٍ من باب الإفعال، والضمير في موضع نصب، مفعول به، و«شهاب» فاعل الفعل، و«ثاقب» نعت لـ «شهاب» والجملة عطف على «خطف».

١١ ـ (فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم مَن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)

الفاء استئنا فية للتعقيب، والفعل للأمر من إستفتآء المفتي ـ باب الإستفعال ـ وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والهمزة للإستفهام، و«هم» مبتداء و«أشدّ» خبره، والجملة مستأنفة بيانية لا محل لها، و«خلقاً» مصدر، منصوب على التمييز، «أم» حرف عطف، و«مَن» موصولة في موضع رفع، عطف على الضمير: «هم» و«خلقنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير، صلة الموصول، على حذف العائد أي خلقناه والجملة لا محلّ لها، وقيل: «مَن» مبتداء وخبره أشد المحذوف يدل عليه «أشد» المذكور و«خلقنا» نعت للمحذوف. و«إنّا» حرف توكيد وإسمها، و«خلقناهم» في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد، والجملة

المؤكدة تعليلية لا محلّ لها، و«من طين» متعلّق بـ «خلقناهم» و«لازب» إسم فاعل، نعت من «طين».

١٢ ـ (بل عجبت ويسخرون)

«بل» للإضراب الإنتقالي: إنتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله صلى الله عليه وآله وسلّم وحالهم، و«عجبت» فعل ماضٍ، خطاب للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والواو للحال على حذف المبتداء أي وهم «يسخرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، في موضع رفع، خبر للمحذوف، والجملة الإسمية في موضع نصب، حال من هم في «خلقناهم» والمعنى: بل عجبت يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ممّا نزل عليك من القرآن أو من تكذيبهم وإنكارهم البعث والرسالة واتّخاذهم الأصنام آلهة لهم يعبدونها، وهم يسخرون به. وقيل:ثمّ الكلام عند قوله تعالى: «بل عجبت» ثمّ إستأنف وقال: «ويسخرون» فالواو للإستئناف. وقيل: عاطفة، و«يسخرون» عطف على «عجبت».

١٣ ـ (وإذا ذكّروا لا يذكرون)

الواو للعطف، و«إذا» ظرف للإستقبال» يتضمّن معنى الشرط، اضيف إلى «ذكّروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب ـ مبنيّاً للمفعول ـ من باب التفعيل، والجملة في موضع جرّ، لإضافة «إذا» إلى فعل الشرط، و«لا» نافية، و«يذكرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب ثلاثياً، والجملة جواب الشرط لا محلّ لها، وجملة الشرط والجزآء عطف على «يسخرون».

١٤ ـ (وإذا رأوا آية يستسخرون)

الواو عاطفة، و«إذا» كالسابق غير جازم، و«رأوا» فعل ماضٍ، و«آية» مفعول به، و«يستسخرون» من باب الإستفعال، جواب الشرط.

١٥ ـ (وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين)

الواو عاطفة و«قالوا» فعل ماض ـ أجوف واويّ ـ لجمع المذكّر الغآئب. والجملة عطف على جواب الشرط لا محلّ لها. و«إن» نافية ولم تعمل لمكان الإستثنآء

التالـي، و«هذا» مـبتداء و«إلاّ» حـرف إستـثناء للحصـر، و«سحر» خبره و«مـبين» نعت لـ «سحر» والجملة في موضع نصب، مقول القول.

١٦ ـ (أ إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنّا لمبعوثون)

الهمزة للإستفـهام الإنكاري، و«إذا» كالسابق، و«مـتنا» فعل ماضٍ للـتّكلّم مع الغير، في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليه، والواو عاطفة، و«كنّا» فعل ماض للتكلّم مع الغير من أفـعال الناقصة مـع إسمه، و«تراباً» خبره، والواو للعطف، و«عظاماً» عطف علـى «تراباً» والـجمـلة في مـوضع جرّ، عطف علـى جمـلة «متـنا» والـهمزة الـثانية كـالاولـى و«إنّا» حرف توكيـد مـع إسمها، و«لمبـعـوثون» اللام المزحلـقـة للتوكيد، ومـدخولها إسم مفـعـول، خبر لحرف التـوكيد: «إنّ». والجملة الـمؤكّدة لا محلّ لها، وهي تفسير للجـواب المقدر أي: أ إذا متنا ... نـبعث. فالجملـة المذكورة تفسير لهذا المـقدر، فـلايصح أن تكـون جواب الشـرط حتّـى لا يتعـلّق الظـرف بخبر «إنّ» إذ لا يعمل ما بعد «إنّ» فيما قبلها.

١٧ ـ (اَوَ ءاٰباؤنا الأوّلون)

الهمزة كالسابقـة، دخلت على واو العطف، و«آبآؤنـا» جمع الأب المضاف إلى ضمير التّـكلم مع الغير، مبتداء، و«الأوّلون» عطف بيان للآبآء، والخبر محذوف أي مبعوثون والجمـلة لا محلّ لها عطف عـلى جملة: «إنّا لمـبعوثون» أو على الضمير في «لمبعوثون» والفاصل همزة الإستفهام.

١٨ ـ (قل نعم وأنتم داخرون)

«قل» **فعل أمر، خطـاب للنّبيّ الـكريم** صلى الله عليه وآله وسلّم والجملة لا محلّ لها، و«نعـم» حرف إعلام إذا وقـع بعـد الإستفـهام، جـواب على أسـئلتهم، والـواوحالية، و«أنتم» مبتـداء و«داخرون» خبره، والجـملة في موضع نصب، حال من نآئب فاعل فعل محذوف تقديـره: نعم تُبعَثُون وحـالكونكم داخرين. أو في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول المقدرّة أي نعم تُبعَثون وأنتم داخرون.

١٩ ـ (فإنّما هي زجرة واحدة فإذاهم ينظرون)

الفاء تعليلية، و«إنّما» كافة ومكفوفة، و«هي» مبتداء راجع إلى مفهوم البعثة أو السّاعة أو صرخة الآخرة الظاهرة من السياق، و«زجرة» مصدر للمرّة، خبر المبتداء و«واحدة» تأكيد لها، والجملة مستأنفة تعليلية لنهى مقدّر أي لا تستصعبوا ذلك فانّما هي ... أو تعليل لقوله تعالى: «وأنتم داخرون» والفاء للعطف، و«إذا» فجائية و«هم» مبتداء، و«ينظرون» في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة لا محلّ لها، معطوفة على جملة: هي زجرة».

٢٠ ـ (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدّين)

الواو للعطف، و«قالوا» فعل ماضٍ، والجملة لا محلّ لها، معطوفة على جملة: «هي زجرة» و«يا» حرف ندآء للتنبيه، و«ويلنا» ويل مصدر، منصوب لا فعل له من لفظه أو منصوب باضافته إلى ضمير التكلّم مع الغير، وإنّ المنادى المضاف منصوب نحو: يا غلام زيد. وقيل: «ويلنا» مفعول مطلق لفعل محذوفٍ لا يستعمل، والجملة في موضع نصب، مقول القول أو معترضة. و«هذا» مبتداء و«يوم الدّين» خبره، والجملة في موضع نصب، مقول لقول المقدر أي قالت الملائكة: هذا يوم الدّين أو مقول لقولهم بعد الاعتراض: يا ويلنا.

٢١ ـ (هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون)

«هذا» مبتداء، ويوم الفصل» خبره، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، نعت لـ «يوم الفصل» و«كنتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من أفعال الناقصة، وضمير «به» عآئد الصلة والجار والمجرور متعلّق بـ «تكذبون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب التفعيل، في موضع نصب، خبر لـ «كنتم» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

٢٢ ـ (احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون)

«احشروا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، خطاب من الله تعالى للملائكة، فالجملة في موضع نصب، مقولة لقول مقدر أي يقول الله تعالى للملائكة: اُحشروا... «الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«ظلموا» صلة الموصول لا محلّ لها،

«وأزواجهم» الواو للعطف، و«أزواجهم» جمع زوجة وزوج، أضيف إلى ضمير «هم» عطف على «الّذين» مفعول به. وقيل: الوا وبمعنى مع، و«أزواجهم» مفعول معه. «وما كانوا» الواو للعطف و«ما» موصولة، و«كانوا» صلتها لا محلّ لها، و«يعبدون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» على حذف العائد أي يعبدونه.

٢٣ ـ (من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

«من دون الله» متعلّق بحال من العائد المقدّر أي يعبدونه من دون الله، والفاء للعطف أو رابطة لجواب شرط مقدّر، والفعل فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «فاهدوهم» في موضع نصب، معطوفة على جملة «أُحشروا» أو في موضع جزم، جواب للشرط المقدر أي: إن تمّ حسابهم فاهدوهم... وجملة الشرط والجواب إعتراضية بين المتعاطفين، و«إلى صراط» متعلّق بـ «اهدوهم».

٢٤ ـ (وقفوهم إنهم مسئولون)

الواو عاطفة و«قفوهم» الفعل فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، في موضع نصب، معطوفة على جملة « اهدوهم» أو على «احشروا» وضمير «هم» في موضع نصب، مفعول به، و«مسئولون» خبر لحرف التّوكيد والجملة مستأنفة تعليلية لا محلّ لها.

٢٥ ـ (ما لكم لا تناصرون)

«ما» إستفهامية في موضع رفع على الإبتدآء و«لكم» متعلّق بمحذوف وهو الخبر، والجملة في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي يقال لهم... توبيخاً ولا نافية و«تناصرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، على حذف إحدى التائين تخفيفاً، فأصله: «تتناصرون» والجملة في موضع نصب على الحال من الضّمير المجرور في «لكم» كقولك : مالك قآئماً؟. وقيل: على تقدير: في أن لا تناصرون.

٢٦ ـ (بل هم اليوم مستسلمون)

«بل» للإضراب الإنتقالي، و«هم» مبتداء و«اليوم» ظرف متعلق بـ

«مستسلمون» إسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإستفعال، وهو خبر المبتداء، والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٢٧ ـ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

الواو للإستئناف، و«أقبل» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و«بعضهم» فاعل الفعل، و«على بعض» متعلّق بـ «أقبل» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«يتساءلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب التفاعل، في موضع نصب، حال من فاعل «أقبل».

٢٨ ـ (قالوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين)

«قالوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، بدل من «يتسآءلون» و«إنكم» حرف توكيد مع إسمها، و«كنتم» فعل ناقصٍ مع إسمه، و«تأتوننا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب و«نا» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع نصب، خبر لـ «كنتم» وجملة: «كنتم...» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، و«عن اليمين» متعلّق بحال من الفاعل في «تأتوننا» مقسمين.

٢٩ ـ (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين)

«قالوا» رد المتبوعين على تابعيهم مستأنفة لا محلّ لها، و«بل» للإضراب الإنتقالي، و«لم تكونوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من أفعال الناقصة، مجزوم بحرف الجحد: «لم» وعلامة الجزم حذف نون الرفع، و«مؤمنين» خبره والجملة مستأنفة لا محلّ لها، ومقول القول مقدّر أي ما أضللناكم بل لم تكونوا مؤمنين.

٣٠ ـ (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين)

في الواو وما بعدها وجوه: أحدها ـ انّ الواو عاطفة وجملة ما بعدها لا محلّ لها فإنها معطوفة على جملة «لم تكونوا» ثانيها ـ عاطفة وجملة ما بعدها في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول المقدرة ثالثها ـ أنّ الواو حالية و«ما» نافية، و«لنا»

متعلّق بخبر «كان» و«عليكم» متعلّق بحال من «سلطان» والجملة في موضع نصب، حال لذيه مقدّراً، و«بل» للإضراب الإبطالي، و«قوماً» خبر لـ «كنتم» و«طاغين» نعت لـ «قوماً» والجملة مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها.

٣١ ـ (فحقّ علينا قول ربّنا إنّا لذآئقون)

الفآء عاطفة فيها معنى السّبب، و«حقّ» فعل ماضٍ، و«علينا» متعلّق بـ «حقّ» و«قول» فاعل الفعل، أضيف إلى «ربّنا» والجملة لا محلّ لها، معطوفة على الإستئنافية الأخيرة، «إنّا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، واللام في «لذآئقون» للتّوكيد، ومدخولها خبر لحرف مشبّه بالفعل، والجملة في موضع نصب، مقول القول.

٣٢ ـ (فأغويناكم إنّا كنّا غاوين)

الفاء عاطفة تفريعية على ثبوت كلمة العذاب لمن اختار طريقه وأدامه، و«أغوينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، و«كم» ضمير خطاب للجمع المذكّر، في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على المستأنفة السّابقة فلا محلّ لها، و«إنّا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه و«كنّا» فعل ماضٍ من أفعال الناقصة، وإسمه ضمير التكلّم مع الغير، و«غاوين» إسم فاعل، خبره، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة تعليلية لا محلّ لها.

٣٣ ـ (فانّهم يومئذ في العذاب مشتركون)

الفآء للإستئناف و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل و«هم» في موضع نصب، إسمها، و«يومئذ» ظرف منصوب، و«في العذاب» متعلّقان بـ «مشتركون» إ فاعل من باب الإفتعال خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

٣٤ ـ (إنّا كذلك نفعل بالمجرمين)

«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله: «نفعل» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً، في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و«بالمجرمين» متعلّق بـ «نفعل» والجملة المؤكّدة إعتراضيّة أو تعليلية لا محلّ لها.

٣٥ ـ (إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون)

«إنّهم» حرف توكيد مع إسمها، و«كانوا» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة تعليلية لما سبق لا محلّ لها، و«إذا» ظرف زمان للإستقبال، أُضيف إلى ما بعده معنى، و«قيل» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول، و«لهم» متعلّق بـ «قيل» و«لا» حرف نفي للجنس على سبيل التنصيص وتسمّى حينئذ تبرئة، و«إله» إسمها، و«إلّا» أداة إستثنآء، ولفظ الجلالة: «الله» بدل من الضمير المستكن في الخبر المقدّر.

وقيل لفظ الجلالة: «الله» خبرها. والجملة في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي قولوا: «لا إله إلّا الله» وجملة القول المقدرة في موضع رفع، نآئب الفاعل لـ «قيل» والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها.

و«يستكبرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال وفي موضعه وجهان: أحدهما ـ نصب، خبر لـ «كانوا» هذا إذا كان الظرف: «إذا» مجرّداً من الشرط، وما بين الفعل وخبره إعتراض... وأمّا إذا ضمّن «إذا» معنى الشرط فـ «يستكبرون» جوابه لا محلّ لها، والشرط وفعله وجوابه خبر لـ «كانوا» ثانيهما ـ رفع، خبر لـ «إنّ» و«كانوا» ملغاة عن العمل. ولا يجوز أن يكون «إذا» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» لأنّ «إذا» ظرف زمان، والواو في «كانوا» يراد به الجثث وظروف الزمان لا يجوز أن تقع أخباراً عن الجثث.

٣٦ ـ (ويقولون أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

الواو عاطفة، و«يقولون» فعل مضارع لجمع المذكر الغآئب، عطف على «يستكبرون»، و«أئنّا» الهمزة للإستفهام الإنكارى، و«إنّا» كالسابق، وهذا من باب إجتماع الهمزتين أولهما مفتوحة، وثانيهما مكسورة وقدجآء في أربعة وعشرين موضعاً في التنزيل و«لتاركوا» اللام المزحلقة للتوكيد، ومدخولها، إسم فاعل اضيف إلى «آلهتنا» جمع الإله، المضافة إلى ضمير التكلم مع الغير: «نا» و«لشاعر» متعلّق بـ «تاركوا» و«مجنون» صفة لـ «شاعر» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

٣٧ ـ (بل جآء بالحقّ وصدّق المرسلين)

«بل» للإضراب الإبطالي، و«جآء» فعل ماضٍ، فاعله: ضمير مستترفيه راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم و«بالحقّ» متعلق بحال من فاعل «جآء» والجملة مستأنفة لا محلّ لها ولكنّها في حيّز قول مقدّر: أي قال الله تعالى: «ليس محمّد رسولنا صلى الله عليه وآله وسلّم بشاعر بل جآء كم بالحق» والواو للعطف، و«صدّق فعل ماضٍ من باب التّفعيل، عطف على «جآء» و«المرسلين» مفعول به.

٣٨ ـ (إنكم لذائقوا العذاب الأليم)

«إنّكم» حرف مشبّه بالفعل وإسمها، و«لذائقوا» اللام المزحلقة للتوكيد، ومدخولها إسم فاعل لجمع المذكّر، اضيف إلى «العذاب» وعلامة الإضافة حذف نون الرفع، وتقدر حذف النون إستخفافاً للاضافة أي لذآئقون العذاب. فالنيّة به ثبات النون لأنّه بمعنى الإستقبال. و«الأليم» نعت لـ «العذاب» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، وهي في حيّز القول المقدّر السّابق.

٣٩ ـ (وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون)

الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«تجزون» فعل مضارع لجمع المذكر الحاضر، مبنيّ للمفعول وجملة «تجزون» مستأنفة معطوفة لا محلّ لها.

و«إلّا» حرف حصر و«ما» حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل: «ما كنتم...» في موضع نصب، مفعول به، عامله: «تجزون» أو في موضع جرّ بحرف جرّ محذوف وهو الباء متعلّق بـ «تجزون» وجملة: «كنتم...» صلة الموصول الحرفي: «ما» لا محلّ لها، أو أن «ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، والعآئد محذوف، وجملة «تعملون» في موضع نصب، خبر لـ «كنتم».

٤٠ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

«إلّا» أداة حصر وفي الإستثنآء وجهان: أحدهما ـ الإنقطاع، فالمخلصون ليسوا داخلين فيما تقدّم. فالعباد منصوب على الإستثنآء المنقطع من ضمير: «لذائقوا العذاب» أو من ضمير: «تجزون» أو من ضمير: «تعلمون» فالمعنى: إنّكم أيّها

المجرمون أنتم ذآئقون العذاب الأليم، ولكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب. ثانيهما ـ الإتّصال: بنآءً على شمول ضمير «تجزون» لجميع المكلفين، فيكون إستثناء المخلصين عنهم باعتبار المماثلة في أصل الجزآء، وإلّا كان ثواب المخلصين مضاعفاً، وإن كان الإنقطاع أيضاً في وجه بهذا الإعتبار.

٤١ ـ (اولئك لهم رزق معلوم)

«اولئك» مبتداء و«لهم» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«رزق» مبتداء مؤخّر والجملة في موضع رفع، خبر لـ «اولئك» والجملة مستأنفة لا محل لها. و«معلوم» نعت لـ «رزق».

٤٢ ـ (فواكه وهم مُكرمون)

في «فواكه» جمع فاكهة من صيغ منتهى الجموع وجوه: أحدها ـ بدل من «رزق» أي هم ذو وفواكه. ثانيها ـ بيان لـ «رزق» ثالثها ـ خبر لمبتداء محذوف تقديره: هو فواكه والجملة نعت لـ «رزق» وفي الواو وجهان: أحدهما ـ حالية و«هم» مبتداء و«مكرمون» إسم مفعول من باب الإفعال خبره والجملة في موضع نصب على الحال من ضمير: «لهم» ثانيهما ـ عاطفة فـ «هم مكرمون» في موضع رفع، معطوفة على جملة «لهم رزق».

٤٣ ـ (في جنّات النعيم)

في «جنات» وجوه: أحدها ـ ظرف، متعلّق بـ «مكرمون» ثانيها ـ حال من المستكن في «مكرمون» ثالثها ـ خبرثان لـ «أولئك» وإضافة «جنات» إلى «النعيم» بيانية أي في جنات ليس فيها إلّا النعيم كخاتم فضّة.

٤٤ ـ (على سرر متقابلين)

في «على سرر» جمع سرير وجوه: أحدها ـ حال من ضمير «مكرمون» ثانيها ـ خبرثانٍ أو ثالث لـ «اولئك» ثالثها ـ متعلّق بـ «مكرمون» رابعها ـ متعلّق بـ «متقابلين» وفي «متقابلين» جمع متقابل ـ إسم فاعل ـ من باب التفاعل وجوه أيضاً: أحدها ـ حال من المستكن في الخبر. ثانيها ـ حال من ضمير «مكرمون»

ثالثها ـ حال من الضمير في الجار.

٤٥ ـ (يطاف عليهم بكأس من معين)

«يطاف» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«عليهم» متعلّق بـ «يطاف» نائب الفاعل له وفي الجملة وجوه: أحدها ـ مستأنفة بيانية، جواباً للسّؤال نشأ من حكاية تكامن مجالس أنسهم، فلا محلّ لها. ثانيها ـ في موضع نصب، حال من الضمير في «متقابلين» ثالثها ـ حال من أحد الجارين: «في جنات النعيم على سرر» رابعها ـ في موضع رفع، نعت لـ «مكرمون» خامسها ـ في موضع رفع، خبر آخر لـ «أولئك» سادسها ـ في موضع رفع، عطف على جملة: «لهم رزق» و«بكأس» إسم للإنآء يشرب به وهو مؤنّث مجازيّ متعلّق بـ «يطاف» و«من معين» متعلّق بمضمر وهو نعت لـ «كأس» أي كآئنة من شراب معين أو من نهر معين أو بكاس فيه شراب من معين. وفي «معين» وجهان: أحدهما ـ فعيل من العين وهو المآء الشّديد الجرى من أمعن في الأمر إذا اشتدّ دخوله فيه. ثانيهما ـ أن يكون وزنه «مفعولاً» كالمبيع من عين المآء لأنّه يجرى ظاهراً للعين.

٤٦ ـ (بيضآء لذّة للشاربين)

«بيضآء» نعت ثانٍ لـ «كأس» أو «لخمر» و«بيضآء» مجرور، وعلامة الجرّ هي الفتحة ممنوع من الصرف كالحمراء لأنّ الألف الممدودة قامت مقام السببين: التأنيث ولزومه، و«لذّة» نعت ثالث لـ «كأس» وقيل: على تقدير: ذات لذة، فحذف المضاف. و«للشاربين» إسم فاعل لجمع شارب، متعلّق بـ «لذّة» مؤنّث لَذّ زنة فَعْل بفتح فسكون، صفة مشبّهة من الماضي لذّ ـ من باب فتح ـ أو هو مصدر الفعل السابق، جعل إسماً أي بيضآء لذيذة أو مصدر وصف بها للمبالغة كأنّها نفس اللذّة. وإذا كان المصدر يحافظ على التذكير غالباً لفذّة إسم بمعنى نقيض الألم، وجمعها: لذّات.

٤٧ ـ (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)

«لا» حرف لنفي الجنس، و«فيها» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«غول»

مصدر سماعيّ، وقد يكون إسماً بمعنى الصداع أو السّكر أو المشقة... وزنه فعل ـ بفتح فسكون ـ مبتداء مؤخر، ولا يجوز أن يبنى «غول» مع «لا» للفصل بينهما بـ «فيها» والجملة في موضع جرّ، نعت آخر لـ «كأس» «ولا هم عنها ينزفون» الواو للعطف، و«لا» زآئدة لتأكيد النفى والزيادة ههنا واجبة، و«هم» مبتداء، و«عنها» ـ عن للسببيّة ـ متعلق بـ «ينزفون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر المبتداء: «هم»، وجملة: «ولا هم عنها ينزفون» في موضع جرّ، معطوفة على جملة: «لا فيها غول».

٤٨ ـ (وعندهم قاصرات الطرف عين)

الواو عاطفة و«عندهم» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، لمبتداء محذوف وهو «حور» أو «فتيات» و«قاصرات» نعت لموصوف محذوف أي «حور أو فتيات قاصرات» جمع قاصرة مؤنّث قاصر، إسم فاعل، اضيفت إلى «الطرف» و«عين» جمع عينآء، مؤنّث الأعين، صفة مشبّهة، نعت لـ «حور ـ أو فتيات» والجملة معطوفة على جملة: «يطاف عليهم».

٤٩ ـ (كأنّهنّ بيض مكنون)

«كأنّ» حرف مشبه بالفعل، و«هنّ» ضمير جمع تأنيث في موضع نصب، إسمها، و«بيض» إسم جنس تعطيه الإناث من الحيوانات وغيرها، الواحدةبيضة خبرها، و(مكنون) إسم مفعول، نعت لـ «بيض» وقد ذكر «مكنون» نعتاً لـ «بيض» جمعاً لأنه ردّ النّعت إلى اللفظ والجملة نعت ثان لـ «حور ـ أو ـ فتيات».

٥٠ ـ (فأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون)

الفاء للعطف على «يطاف عليهم» لأنّ «أقبل» مضارع في المعنى. وقيل: للإستئناف وقيل: للسببيّة، و«أقبل» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و«بعضهم» فاعل الفعل، و«على بعض» متعلّق بـ «أقبل» وقيل: متعلّق بـ «يتساءلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب التّفاعل.

٥١ ـ (قال قائل منهم إنّي كان لي قرين)

«قال» فعل ماضٍ، و«قآئل» فاعل الفعل، و«منهم» متعلّق بنعت محذوف لـ «قائل» والجملة مستأنفة بيانية لا محل لها، و«إنّي» حرف مشبهة بالفعل مع اسمها و«كان» فعل ماضٍ من أفعال الناقصة، و«قرين» إسمه، و«لي» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «كان» وجملة: «كان...» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

٥٢ ـ (يقول أ إنّك لمن المصدّقين)

«يقول» فعل مضارع، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «قرين» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «قرين» والهمزة إستفهاميّة إنكاريّة، و«إنّك» حرف مشبّه بالفعل، وضمير الخطاب في موضع نصب، إسمها، و«لَمِن» اللام المزحلقة للتّوكيد، متعلّق بـ «المصدّقين» إسم فاعل لجمع المصدّق من باب التّفعيل، ومفعوله محذوف أي البعث، و«المصدقين» خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة في موضع نصب، مقول القول.

٥٣ ـ (ء إذامتنا وكنّاتراباً وعظاماً أإنالمدينون)

إن الكلام في اعرابها هو الكلام في إعراب نظيرها، فانظر الآية (١٦) من هذه السّورة و«مدينون» إسم مفعول من دان يدين.

٥٤ ـ (قال هل أنتم مطّلعون)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله: ضمير مستكن فيه، راجع إلى «القآئل» المتقدّم، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«هل» حرف إستفهام، و«أنتم» ضمير مرفوع منفصل لجمع المذكّر المخاطب، مبتداء و«مطّلعون» جمع مطّلع، إسم فاعل من باب الافتعال، وفي اللفظ إبدال، أصله: مطتلع أخذاً من اطتلع، جآئت التآء بعد الطآء، فقلبت طآءً، وادغمت مع الطآء الاولى، والجملة في موضع نصب، مقول القول.

٥٥ ـ (فاطّلع فرآه في سوآء الجحيم)

الفآء عاطفة وفي «أطلع» وجهان: أحدها ـ فعل مضارع للتكلّم وحده معناه فأطّلعَ آنا و يكون منصوباً على أنّه جواب الإستفهام بالفآء. ثانيهما ـ فعل ماضٍ ويكون إطّلع

وأطلع واحداً، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «القآئل» والجملة معطوفة على «قال» فلا محلّ لها، و«فرآه» الفآء عاطفة، والفعل ماضٍ، فاعله: هو «القائل» وضمير المفرد الغآئب المتصل في موضع نصب، مفعول به، و«في سوآء الجحيم» متعلّق بمحذوف والمعنى: رآى القائل المؤمن قرينه الكافر مستقراً في وسط الجحيم. والجملة لا محلّ لها، معطوفة على جملة «اطلع».

٥٦ ـ (قال تالله إن كدتَ لتُردين)

«قال» كالسابق، والتآء للقسم، ولفظ الجلالة: «الله» مجرور بها، متعلّق بفعل محذوف أي أقسم، و«إن» مخففة من الثقيلة لازمة الإهمال، فإنّها تُنسَخُ عن العمل إذا وقع الماضي بعدها، وإسمها ضمير الشأن، و«كدتَ» فعل ماض للمفرد المذكّر المخاطب من أفعال المقاربة، و«لتردين» اللاّم زائدة فارقة بين «إن» المخففة من الثقيلة وبين «إن» النافية، والفعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب من باب الإفعال، والنون للوقاية في موضع نصب، مفعول به، على حذف يآء التكلّم وحده تخفيفاً، وجملة «لتردين» في موضع نصب، خبر لـ «كدت» وجملة «كدت لتردين» جواب القسم لا محلّ لها، وجملة القسم وجوابه في موضع نصب، مقول القول.

٥٧ ـ (ولولا نعمة ربّي لكنتُ من المحضرين)

الواو عاطفة، و«لولا» حرف شرط غير جازم، فاذا دخلت على جملتين: إسميّة ففعليّة كانت لربط إمتناع الثانيّة بوجود الأولى كالمقام، و«نعمة» اضيفت إلى الربّ المضاف إلى يآء التكلّم وحده مبتداء وخبره محذوف أي ولولا نعمة ربّي شملتنى أو تداركتني أو إستنقذتني، و«لكنت» اللام واقعة في جواب «لولا» و«لكنت» جواب «لولا» و«من المحضرين» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «كنت» وجملة: «لكنت من المحضرين» جواب الشّرط لا محلّ لها، وجملة: «لولا نعمة ربّي ...» معطوفة على جواب القسم لا محلّ لها.

٥٨ ـ (أفما نحن بميّتين)

الهمزة إستفهاميّة قدّمت على الفآء العاطفة تنبيهاً على أصالتها في التصدير. وقيل: عطف على الجملة المقدّرة بعد الإستفهام، فتقديره: أنحن مخلدّون فما نحن بميّتين. و«ما» نافية عاملة عمل ليس، و«نحن» إسمها، وبميتين» مجرور لفظاً بالبآء، منصوب محلاً خبر «ما» وجملة: «فما نحن...» في موضع نصب، معطوفة على مقول القول، لقول مقدّر أي قال أهل الجنّة: أنحن مخلّدون فيها فما نحن بميّتين.

٥٩ ـ (إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين)

«إلّا» أداة حصر، و«موتتنا» الموتة مصدر مرّة اضيفت إلى ضمير التّكلّم مع الغير، مفعول مطلق، منصوب بقوله: «ميتين» إنتصاب المصدر بالفعل الواقع قبله، فهي مصدر من إسم الفاعل. وقيل: تقديره: فما نموت إلّا موتتنا الاولى كما تقول: ما ضربت إلّا ضربة واحدة. وقيل: «إلّا» أداة استثنآء، و«موتتنا» منصوب بالإستثنآء المنقطع، وقيل:متصل فانّه داخل في عموم المستفهم عنه وهو الموت أي أفما نموت إلّا هذه الموتة الاولى الّتي بعثنا منها. و«الاولى» صفة لـ «موتتنا» والواو عاطفة و«ما» نافية، و«نحن» إسمها، و«بمعذّبين» جمع معذّب إسم مفعول من باب التفعيل خبرها، والجملة: «ما نحن...» في موضع نصب، معطوفة على جملة: «ما نحن بميّتين».

٦٠ ـ (إنّ هذا لهو الفوز العظيم)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هذا» إسم إشارة للقريب، مبنيّ، في موضع نصب، إسم «إنّ» وفي اللام وجهان: أحدهما ـ للإبتداء و«هو» مبتداء و«الفوز» خبره والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» ثانيهما ـ اللام المزحلقة للتوكيد، و«هو» ضمير فصل يسمّيه الكوفيون بالعماد وقع بين إسم «إنّ» وخبره وهو «الفوز» و«العظيم نعت لـ «الفوز» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

٦١ ـ (لمثل هذا فليعمل العاملون)

«لمثل» أُضيف إلى «هذا متعلّق بـ «يعمل» والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، واللام للأمر، والفعل مجزوم باللام، وحرّك الفعل: «يعمل» بالكسر لإلتقآء السّاكنين،

و«العاملون» فاعل الفعل، وجملة: «ليعمل العاملون» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي مَن أراد الفوز في الآخرة فليعمل له مثل ذلك في الدّنيا.

٦٢ ـ (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقّوم)

الهمزة إستفهاميّة، و«ذلك» إسم إشارة بعيدة في موضع رفع، مبتداء، و«خير» خبره، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، وفي «نزلاً» وجوه: أحدها ـ منصوب على التمييز ثانيها ـ على الحال من ضمير «العاملون» ثالثها ـ على المصدر فانتصابه بالمعنى: أي تنزلون نزلاً و«أم» حرف عطف، معادل لهمزة الإستفهام، و«شجرة» مضافة إلى «الزقوم» معطوف على «ذلك» و«الزقوم» قيل: إسم لثمر شجرة خبيثة مرّة كريهة الطعم نهايتها.

٦٣ ـ (إنّا جعلناها فتنة للظالمين)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«نا» ضمير متّصل للتّكلّم مع الغير تعظيماً في موضع نصب، إسمها، و«جعلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً أيضاً في موضع رفع، خبر «إنّ» وضمير التّأنيث: «ها» في موضع نصب، مفعول أوّل، راجع إلى «شجرة الزقوم» و«فتنة» مفعول ثان و«للظالمين» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «فتنة» وقيل: متعلّق بـ «فتنة» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

٦٤ ـ (إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم)

ضمير التّأنيث في موضع نصب، إسم لـ «إنّ» راجع إلى «شجرة الزقوم» و«شجرة» خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع رفع، نعت لـ «شجرة الزقوم» أو مستأنفة بيانية لا محلّ لها، و«تخرج» فعل مضارع للمفرد المؤنّث الغآئب مجازاً، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «شجرة» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «شجرة» أو خبر ثانٍ لـ «إنّ» وفي «في أصل الجحيم» وجوه: أحدها ـ متعلق بمحذوف وهو وصف لـ «شجرة» ثانيها ـ خبر بعد خبر لـ «إنّ» ثالثها ـ في موضع نصب، على الحال من الضمير: «تخرج» رابعها ـ متعلق بـ «تخرج» لتضمّنه معنى تنبت. وقيل: أصل: إسم لأسفل الشيء. وقيل: إسم لما يقابل الفرع. وقيل: مصدر.

٦٥ ـ (طلعها كأنّه رؤس الشّياطين)

«طلعها» مبتداء، والضمير: «ها» راجع إلى «شجرة» و«كأن» حرف مشبّه بالفعل، والضمير في موضع نصب، إسم لـ «كأنّ» و«رؤوس» جمع رأس، اضيفت إلى «الشّياطين» جمع الشّيطان، خبر لـ «كأنّ» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «طلعها» والجملة في موضع رفع، نعت آخر لـ «شجرة» أو في موضع نصب، حال من الضّمير في «تخرج».

٦٦ ـ (فإنّهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)

الفآء إستئنافية تفريعيّة و«إنّهم» حرف مشبّه بالفعل مع إسمها، و«لآكلون» اللام المزحلقة للتّوكيد، و«آكلون» إسم فاعل، جمع آكل، خبر لـ «إنّ» و«منها» متعلّق بـ «آكلون» والجملة مستأنفة بيانية لا محلّ لها، والفاء عاطفة، و«مالئون» إسم فاعل، جمع مالئ، و«منها» متعلّق بـ «مالئون» و«البطون» جمع البطن، مفعول به لـ «مالئون» والجملة معطوفة على «آكلون».

٦٧ ـ (ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم)

«ثمّ» عاطفة للتراخي في الزمان أو في الرتبة أو هما معاً، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«لهم» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«عليها» متعلّق بحال «من حميم» أو نعت تقدّم على المنعوت أي إنّ لهم لشوباً من حميم مصبوب على ما ياكلون من شجرة الزقوم و«لشوباً» اللاّم للتّوكيد، و«شوباً» بمعنى مشوب أو مصدر سماعيّ على بابه إسم لـ «إنّ» و«من حميم» متعلّق بنعت لـ «شوباً» والجملة المؤكّدة معطوفة على جملة «إنّهم لآكلون» لا محلّ لها.

٦٨ ـ (ثمّ إنّ مرجعهم لإلى الجحيم)

«ثمّ» عاطفة للتّراخي في الإخبار أو في الزمان أو في الرّتبة وقيل: بمعنى الواو، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«مرجعهم» إسم لـ «إنّ» و«لإلى الجحيم» اللام المزحلقة للتوكيد، والجار والمجرور متعلق بمحذوف وهو الخبر لـ «إنّ» والجملة معطوفة على جملة: «إنّ لهم ...» لا محلّ لها.

٦٩ ـ (إنّهم ألفوا آبآء هم ضالّين)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هم» في موضع نصب، إسمها، و«ألفوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من أفعال القلوب من باب الإفعال، يتعدّى إلى المفعولين لأنّه يفيد في الخبر يقيناً، أصله: أَلفيُوا ـ نحو أكرموا ـ فحذفت الضمة لثقلها على اليآء، ثمّ انقلبت الياء الساكنة ألفاً لفتح ما قبلها، ثمّ حذفت الألف المنقلبة لإلتقآء الساكنين بينها وبين واو الجمع لدلالة الفتحة على الألف المحذوفة، و«آبآء» جمع قلّةٍ لأب، أضيف إلى ضمير «هم» مفعول أوّل، و«ضالّين» مفعول ثانٍ، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة مستانفة تعليلية لا محلّ لها.

٧٠ ـ (فهم على آثارهم يُهرعون)

الفاء عاطفة، و«هم» ضمير منفصل لجمع المذكّر الغآئب في موضع رفع على الإبتدآء، و«على آثارهم» جمع قلّةٍ لأثر، متعلّق بمحذوف وهو الخبر، والجملة معطوفة على جملة «إنّهم الفوا» فلا محلّ لها، و«يُهرعون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، والجملة في موضع رفع، خبر ثانٍ للمبتداء: «هم» أو في موضع نصب، حال من ضمير الإستقرار المقدّر، ومن المحتمل أن يكون «على آثارهم» متعلّق بـ «يهرعون» وهو خبر المبتداء.

٧١ ـ (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين)

الواو إستئنافية، واللاّم للقسم المقدر لأنّها هي الّتي تدخل في جواب القسم كقولك: والله لقد كان كذا. و«قد» حرف تأكيد وتحقيق إذا دخل على الماضي، و«ضلّ» فعل ماضٍ، و«قبلهم» ظرف منصوب، متعلّق بـ «ضلّ» أو متعلّق بمحذوف، وهو حالٌ من «أكثر» فاعل الفعل، أضيف إلى «الأوّلين» جمع الأوّل، وجملة: «ضلّ...» جواب للقسم المقدّر، وجملة القسم المقدرة مستأنفة لا محلّ لها.

٧٢ ـ (ولقد أرسلنا فيهم منذرين)

إنّ الكلام في «ولقد» كالسابق، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، و«فيهم» متعلّق بـ «أرسلنا» لتضمّنه معنى بعثنا، و«منذرين» جمع منذر، إسم فاعل من باب الإفعال، فإنهم رسل الله تعالى، وجملة القسم المقدّرة معطوفة على جملة القسم المقدّرة الاولى فلا محلّ لها.

٧٣ ـ (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«انظر» فعل أمر، خطاب للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والجملة جواب للشّرط المقدر أي إن أردنا عقاب المنذرين فانظر... و«كيف» إسم إستفهام، في موضع نصب

خبر مقدّم لـ (كان) لأنّ الإستفهام له صدر الكلام، ولا يعمل «انظر» في «كيف» ولكن يعمل في موضع الجملة كلّها، و«عاقبة» مضافة إلى «المنذرين» جمع مُنذر: إسم مفعول لأنّ المراد بهم الامم، إسم لـ (كان» وجملة «كان...» في موضع نصب، مفعول لـ «انظر» عُلِّقَ بالإستفهام. وفي كان وجه آخر بأن يكون تامّة بمعنى وقع، و«عاقبة» مرفوع على الفاعل، فلاتفتقر إلى خبر، و«كيف» على هذا في موضع نصب، على الحال وتقديره: انظر على أيّ حال وقع أمر عاقبة الأُمم الماضية.

٧٤ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

«إلّا» أداة إستثنآء، و«عباد» جمع عبد، اضيف إلى لفظ الجلالة: «الله» منصوب على الإستثنآء المنقطع من «المنذَرين» أو من «ولقد ضل قبلهم أكثر الأوّلين» و«المخلصين» جمع المُخلَص: إسم مفعول، عطف بيان لـ «عباد الله» أو نعت لهم.

٧٥ ـ (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون)

«ولقد» كالسّابق آنفاً، و«نادى» فعل ماضٍ من باب المفاعلة، و«نا» ضمير متّصل، للتّكلّم مع الغير تعظيماً، في موضع نصب، مفعول به، و«نوح» فاعل الفعل، و«فلنعم» الفآء عاطفة للتّعقيب، واللام جواب قسم مقدّر أو للابتدآء، و«نعم» فعل

ماض جامد للإنشآء من أفعال المدح، والمخصوص بالمدح أو الفاعل محذوف، وهو «نحن» و«المجيبون» جمع المجيب: إسم فاعل من باب الإفعال، فاعل «نعم» أو المخصوص بالمدح، فالفاعل: «نحن» محذوف، والجمع لتصوير العظمة والتقدير: فلنعم المجيبون نحن له وجملة «نعم المجيبون» معطوفة على جواب القسم المقدّر، أو جواب قسم مقدّر آخر، وجملة: «نادانا نوح...» جواب للقسم المقدّر لا محلّ لها.

٧٦ـ (ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)

الواو عاطفة، و«نجّينا» فعل ماض للتكلّم مع الغير تعظيماً، من باب التفعيل، والضمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جملة جواب القسم المقدّر أو على قوله تعالى: «ولقد نادانا نوح» و«أهله» عطف على الضمير: «ه» و«من الكرب» متعلّق بـ «نجّيناه» و«العظيم» نعت لـ «الكرب».

٧٧ـ (وجعلنا ذرّيته هم الباقين)

الواو عاطفة، و«جعلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«ذرّيته» مفعول أوّل، وضمير المتّصل المضاف إليه راجع إلى «نوح» و«هم» ضمير فصل، و«الباقين» مفعول ثانٍ لـ «جعلنا» والجملة معطوفة على «نجّيناه» لا محلّ لها.

٧٨ـ (وتركنا عليه في الآخرين)

الواو عاطفة، و«تركنا» مثل «جعلنا» و«عليه» متعلّق بمحذوف، هو مفعول به أي تركنا ثنآءً جميلاً على نوح عليه السّلام، و«في الآخرين» متعلّق بـ «تركنا» والجملة معطوفة على «نجّيناه» لا محلّ لها.

٧٩ـ (سلام على نوح في العالمين)

«سلام» مبتداء وجاز الابتداء بالنكرة لأنه في معنى الدعآء كقوله تعالى: «ويل للمطففين» و«على نوح» متعلّق بمحذوف، وهو الخبر، و«في العالمين» متعلّق بالإستقرار الّذي هو الخبر. وفي موضع الجملة: «سلام...» وجوه: أحدها ـ في موضع نصب بـ «تركنا» ثانيها ـ في موضع رفع، تفسير للمفعول المحذوف أي تركنا على نوح عليه السّلام ثنآءً حسناً هو سلام. ثالثها ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر

أي قلنا: سلام. وقيل: إنّ معنى «تركنا»: قلنا. رابعها ـ إعتراضية دعائية لا محلّ لها.

٨٠ ـ (إنّا كذلك نجزي المحسنين)

«إنّا» حرف مشبّه بالفعل وإسمها، «وكذلك» متعلّق بمحذوف، وهو مفعول مطلق، عامله: «نجزي» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«المحسنين» جمع المحسن، إسم فاعل من باب الإفعال. والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» واالجملة المؤكّدة تعليلية لما سبق لا محلّ لها. ومن المحتمل أن تكون الكاف في «كذلك» في موضع نصب، نعت لمصدر محذوف تقديره: نجزي جزآءً مثل ذلك.

٨١ ـ (إنّه من عبادنا المؤمنين)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، وضمير المتّصل المفرد الغائب في موضع نصب، إسمها، و«من عبادنا» متعلّق بمحذوف، خبرها، و«المؤمنين» جمع المؤمن، إسم فاعل من باب الإفعال، عطف بيان أو نعت لـ «عبادنا» والجملة المؤكدة مستأنفة تعليلية لا محلّ لها.

٨٢ ـ (ثمّ أغرقنا الآخرين)

«ثمّ» حرف عطف للتّراخي الكلامي وقيل: للزماني. وقيل: إنّ «ثمّ» ههنا ليس للتراخي أصلاً بل هو لتعديد النعم كقوله تعالى: «أو مسكيناً ذامتربة ثمّ كان من الّذين آمنوا» البلد: ١٦ ـ ١٧) فالمعنى: ثمّ أخبركم أني قدأغرقت الآخرين، وهم الّذين تأخّروا عن الإيمان. و«أغرقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«الآخرين» جمع الآخر مفعول به، والجملة معطوفة على جملة: «نجّيناه-أو-جعلنا ـ أو ـ تركنا» لا محلّ لها.

٨٣ ـ (وإنّ من شيعته لإبراهيم)

الواو إستئنافية، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«من شيعته» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«لإبراهيم» اللاّم للتّوكيد، و«إبراهيم» منصوب بالفتح لأنه غير منصرف لكون سببي منع الصّرف فيه: العجمة والعلميّة، إسم لـ «إنّ» والجملة المؤكدة

مستأنفة لا محلّ لها.

٨٤ ـ (إذجآء ربّه بقلب سليم)

«إذ» ظرف للزمن الماضي وفي عامله وجوه: أحدها ـ أن يكون متعلّقاً بمحذوف دلّ عليه لفظ: «شيعته» أي شايعه وتابعه إذ جاء ربّه. ثانيها ـ أن يكون ظرفاً، العامل فيه هو العامل في «من شيعته» والظروف يغتفر فيها مالا يغتفر في غيرها. ثالثها ـ متعلّق بـ «اذكر» المقدّر. و«جآء» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبراهيم» و«ربّه» مفعول به، وجملة «جآء ربّه ...» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها، و«بقلب» متعلّق بمحذوف وهو حال من الفاعل، و«سليم» نعت لـ «قلب».

٨٥ ـ (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون)

في «إذ» وجوه: أحدها ـ أن يكون بدلاً من «إذ» الاولى. ثانيها ـ أن يكون ظرفاً لـ «سليم» ثالثها ـ أن يكون ظرفاً لـ «جآء» و«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبراهيم» و«لأبيه» متعلّق بـ «قال» و«قومه» عطف على «لأبيه» والجملة: «قال ...» في موضع جرّ، لاضافة «إذ» إليها. وفي «ماذا» وجهان: أحدهما ـ أن تكون «ما» إستفهاميّة بمعنى أيّ شيء، و«ذا» بمعنى الّذي و«تعبدون» صلة الموصول على حذف العائد أي تعبدونه. فتكون «ما» في موضع رفع على الإبتدآء وتكون «ذا» وصلتها في موضع رفع على الخبر أى أيّ شيء تعبدون كقوله تعالى: «ما تعبدون» الشّعرآء: ٧٠)

و«تعبدون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب في موضع نصب، مقول القول. ويجوز أن تكون «ما» إستفهاميّة، مبتداء، و«ذا» إسم موصول خبره والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«تعبدون» صلة الموصول على حذف العآئد.

٨٦ ـ (أ إفكاً آلهةً دون الله تريدون)

الإستفهام إنكاريّ توبيخيّ، فيقتضي وقوع ما بعدها لأن فاعله ملوم، و«إفكاً آلهة» وجوه: أحدها ـ أن يكون «إفكاً» مفعولاً به، مقدّماً منصوباً أي أتريدون إفكاً، و«آلهةً» جمع إله، بدلاً من «إفكاً» على أن الآلهة في أنفسها إفك كما أنّ عبادتها

إفك. فكلاهما منصوبان بـ «تريدون» ثانيها ـ أن يكون «إفكاً» مفعولاً لأجله، عامله: «تريدون» و«آلهة» مفعولاً به ثالثها ـ أن يكون «إفكاً» حالاً معنىً أي أتريدون آلهة من دون الله آفكين؟! وفي «من دون الله» وجهان: أحدهما ـ ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «آلهة» ثانيهما ـ أن يكون متعلّقاً بـ «تريدون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال في موضع نصب، بدل من جملة: «تعبدون».

٨٧ ـ (فما ظنّكم بربّ العالمين)

الفآء عاطفة، و«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«ظنّكم» خبره، و«بربّ» مضاف إلى «العالمين» متعلّق بـ «ظنّكم» وهو المصدر، والجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة «تعبدون».

٨٨ ـ (فنظر نظرة في النّجوم)

الفاء عاطفة، و«نظر» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبراهيم» و«نظرة» مصدر مرّة، مفعول مطلق، منصوب بـ «نظر» و«في النّجوم» متعلّق بـ «نظر» والجملة معطوفة على مستأنفة مقدّرة أي قال قوم إبراهيم: اخرج معنا فنظر... ولم يقل: «إلى النجوم» مع أنّ النظر إنّما يتعدّى بـ «إلى» كقوله تعالى: «ولكن انظر إلى الجبل» الأعراف: ١٤٣) لأنّ «في» هنا بمعنى «إلى» كقوله تعالى: «فردّوا أيديهم في أفواههم» إبراهيم: ٩) أو أنّ النظر هنا بمعنى الفكر وهو يتعدّى بـ «في» كقوله تعالى: «أو لم ينظروا في ملكوت السّموات والأرض» الأعراف: ١٨٥)

٨٩ ـ (فقال إنّي سقيم)

الفاء عاطفة، و«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبراهيم» و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، ويآء التكلّم وحده في موضع نصب، إسم لـ «إنّ» و«سقيم» صفة مشبّهة، خبرها، والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، و«قال...» عطف على «نظر» لا محلّ لها.

٩٠ ـ (فتولّوا عنه مدبرين)

الفاء عاطفة، و«تولّوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب التفعّل، مبنيّ على الضّمّ المقدّرعلى الألف المنقلبة عن اليآء المحذوفة لإلتقآء السّاكنين، و«عنه» متعلّق بـ «تولّوا» وضمير «عنه» راجع إلى «إبراهيم» وضمير «تولّوا» راجع إلى «قومه» و«مُدْبرين» جمع مُدْبر: إسم فاعل من باب الإفعال، حال مؤكّدة للفعل منصوبة وعلامة النّصب هي اليآء، أو حال مقيدة بناء على أن المراد بـ «سقيم» مطعون أو أنّهم توهموا مرضاً له عدوى كمرض الطّاعون. والجملة معطوفة على «قال...» لا محلّ لها.

٩١ ـ (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون)

الفآء للعطف، و«راغ» فعل ماضٍ، و«إلى آلهتهم» متعلّق بـ «راغ» والجملة معطوفة على جملة «تولّوا» والفآء عاطفة، و«ألا» أداة عرض، و«تأكلون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، في موضع نصب، مقول القول، وجملة «فقال...» معطوفة على جملة: «فراغ...» لا محلّ لها.

٩٢ ـ (ما لكم لا تنطقون)

«ما» إسم استفهام في موضع رفع، مبتداء و«لكم» متعلّق بمحذوف وهو الخبر، والجملة مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها، و«لا تنطقون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب منفيّ بحرف النفي: «لا» والجملة في موضع نصب، حال من ضمير الخطاب في «لكم».

٩٣ ـ (فراغ عليهم ضرباً باليمين)

الفآء عاطفة، و«راغ» معلوم من السّابق، و«عليهم» متعلّق بـ «راغ» وجملة «راغ...» معطوفة على جملة «قال...» لا محلّ لها وفي «ضرباً» وجوه: أحدها ـ مصدر من «فراغ» لأن معناه ضرب، فهو مصدر من غير لفظه. ثانيها ـ أن يكون في موضع الحال أي ضارباً. ثالثها ـ مصدر فعل محذوف من لفظه أي يضربهم ضرباً. رابعها ـ مفعول مطلق لفعل محذوف وجملة الفعل المقدّر حال من فاعل «راغ» وفي «باليمين» وجهان: أحدهما ـ متعلّق بمحذوف وهو يضربهم. ثانيهما ـ متعلّق

بـ «ضـربـاً» إذا كان «ضربـاً» نائـبـاً عن فعله، وإلاّ فيـتعلّق الجار بالـفعل المقدّر. وقد تكون البآء للـملابسـة إذا كان اليميـن بمـعنى القوة، فـالجـار متعلّق بـحال مـن فاعل «راغ».

٩٤ ـ (فأقبلوا إليه يزفّون)

الفآء عاطفة، و«أقـبلوا» فعل مـاضٍ لجمع المـذكّر الغائب، والجملة معطوفة على مقدّر أي فكسـرهـا فبلّغ قـومـه من رآه فأقبـلـوا، وفي «إليه» وجهـان: أحدها ـ متعـلّق بـ «أقبلوا» ثانـيهما ـ متـعلّق بـ «يزفون» فـعل مضارع لجمـع المذكّر الغـائب من باب المضاعف، في موضع نصب، حال من فاعل «أقبلوا»

٩٥ ـ (قال أتعبدون ما تنحتون)

الـهمـزة إستـفهـاميّة إنـكاريّـة توبـيخيّـة تقـتضي وقـوع ما بعـدها لأنّ فـاعلـه ملوم، و«تعبـدون» فـعـل مضارع لجـمـع الـمذكّر المـخـاطب، وفي «ما» وجـوه: أحـدها ـ مصدريّة أي منحوتكـم. ثانيها ـ موصولة في موضع نصب، مفعول به، والعائد محذوف أي الّذي تنحتونه. ثالثها ـ نكرة مـوصوفة رابعها ـ إستفهاميّة علـى التّحقير لمعبوداتهم. جملـة «قال» مستأنـفة لا محـلّ لها، وجمـلة «ما تـعبدون» في مـوضع نصب، مـقول القول، وجملة «تنحتون» صلة الموصول لا محلّ لها على الوجه الثّاني.

٩٦ ـ (والله خلقكم وما تعملون)

الواو تحتمل الحال والعطف، ولفظ الجلالة: «الله» مبتداء و«خلق» فعل ماض، في موضـع رفع، خـبر المـبتـداء و«كم» في موضع نصـب، مفعول به، وجـملة: «الله خلقكـم» في موضـع نصب، حال من فـاعل «تعـبدون» مؤكّدة للإنكار والـتّوبيخ أي أتعبدون ما تنحـتون مخلوقين.، أو مـعطوفة على جملة مقول القول. «وما» الواو عاطفة وفي «ما» وجوه كالسّـابقة، فعلى الوجه الثّاني في موضع نصب، معطوف على ضمير الخطاب في «خلقكم» والعائد محذوف، و«تعلمون» صلة الموصول.

٩٧ ـ (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم)

«قالوا» فعل مـاضٍ لجمع المـذكّر الغائب، مستأنفة بيانية لا محلّ لها، و«ابنوا»

فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«له» متعلّق بـ «ابنوا» والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«بنياناً» مصدر بنى يبني والمراد به المبني فمفعول به، والفآء عاطفة، و«القوا» فعل أمر، والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «القوه» في موضع نصب، معطوفة على مقول القول، و«في الجحيم» متعلّق بـ «القوه» أي في جحيم ذلك البنيان، فالألف واللاّم للعهد الذكري.

٩٨ ـ (فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين)

الفاء عاطفة، و«أرادوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، معطوفة على «قالوا» مستأنفة لا محلّ لها، و«به» متعلّق بمحذوف وهو حال من «كيداً» مفعول به، والفاء عاطفة، و«جعلنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، معطوفة على «أرادوا» و«هم» في موضع نصب، مفعول أوّل، و«الأسفلين» مفعول ثان.

٩٩ ـ (وقال إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين)

الواو عاطفة، و«قال» معطوفة على مستأنفة مقدّرة لا محلّ لها أي خرج من النّار سالماً وقال ... و«ذاهب» إسم فاعل، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة في موضع نصب، مقول القول، و«إلى ربّي» متعلّق بـ «ذاهب» والسين حرف إستقبال، و«يهدين» فعل مضارع، والنّون للوقاية، على حذف يآء التّكلّم، مفعول به، لدلالة الكسرة عليها، وجملة «سيهدين» إعتراضية أو مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

١٠٠ ـ (ربّ هب لى من الصّالحين)

«ربّ» منادى مضاف، منصوب، وعلامة النّصب: الفتحة المقدّرة على ما قبل اليآء المحذوفة للتّخفيف، واليآء المحذوفة مضاف إليه، و«هب» فعل أمر من وهب يهب و«لى» متعلّق بـ «هب» على حذف المفعول، و«من الصّالحين» متعلّق بمحذوفٍ وهو نعت لمفعول مقدّر أي هب لي ولداً صالحاً من الصّالحين، وجملة «هب ...» جواب النّداء لا محلّ لها.

١٠١ ـ (فبشّرناه بغلام حليم)

الفآء عاطفة، و«بشرنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير من باب التّفعيل، وضمير المفرد المتّصل الغائب: «ه» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «إبراهيم» و«بغلام» متعلّق بـ «بشرناه» و«حليم» صفة لـ «غلام» وجملة «بشرناه» معطوفة على جملة القول المقدّر لا محلّ لها.

١٠٢ـ (فلمّا بلغ معه السعى قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شآء ألله من الصّابرين)

الفآء عاطفة فصيحة تدلّ على محذوف، و«لمّا» ظرف بمعنى «حين» أو «إذ» متضمّن لمعنى الشّرط، متعلّق بالجواب، فتقتضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند وجود اولاهما، ويقال فيها: حرف وجود لوجود أو حرف وجوب لوجوب، تضاف إلى جملة، و«بلغ» فعل ماضٍ، فاعله: ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبراهيم» و«بلغ» في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليه، والجملة معطوفة على مقدّرة أي فوهبنا له الغلام، فلمّا نشأ وبلغ معه المبلغ الّذي يسعى مع أبيه في أُمور دنياه، معيناً له على أعماله... و«معه» ظرف منصوب متعلّق بحال من فاعل «بلغ» أو بيان كأنّه قال أوّلاً: فلمّا بلغ السّعي فقيل: مع مَن؟ فاجيب: مع أبيه، ولا يجوز أن يتعلّق بـ «بلغ» لأن بلوغ السّعي ليس متزامناً بين الأب والإبن، ولأنّهما لم يبلغا معاً حدّ السّعى ولا يجوز أن يتعلّق «معه» بـ «السّعى» لأنّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه، ولكن جاز في الظرف مالا يجوز في غيره.

وجملة «قال» جواب شرط «لمّا» غير جازم، لا محلّ لها، و«يا» حرف ندآء، و«بنيّ» منادى مضاعف منصوب، وعلامة النّصب هي الفتحة المقدرة، والياء الثّانية هي مضاف إليه، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«إنّي» حرف مشبّه بالفعل مع إسمها، و«أرى» فعل مضارع للتّكلّم وحده، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و«في المنام» متعلّق بـ «أرى» و«أذبح» فعل مضارع للتكلّم وحده وضمير الخطاب: «ك» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «أنّ» والمصدر المؤوّل: «أني أذبحك» في موضع نصب، مفعول به، عاملة: «أرى».

«فانظر» الفآء عاطفة لربط المسبّب بالسّبب، و«انظر» فعل أمر، عطف على إستئناف مقدّر في حيّز القول أي: تنبّه فانظر... فلا محلّ لها وفي «ماذا» وجهان: أحدهما ـ أن يكون «ماذا» إسماً واحداً في موضع نصب، مفعول به لـ «ترى» أي أيّ شيء ترى.

ثانيهما ـ أن يكون «ما» إستفهاميّة في موضع رفع، مبتداء، و«ذا» بمعنى الّذي في موضع رفع، خبر المبتداء، ووقع «ترى» على الهاء العائدة على الّذي، وبحذف الهاء من الصلة تخفيفاً، ولا يجوز أن يعمل «ترى» في «ذا» بمعنى الّذي لأنّ الصّلة لا تعمل في الموصول. فالمعنى: ما الّذي تذهب إليه فيما القيت إليك هل تستسلم له وتتلقّاه بالقبول أو تأتي غير ذلك. و«ترى» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب من الرّأي بأن إبراهيم عليه السّلام أُمِرَ أن يدير رأيه فيما أُمر به وهو يتعدى إلى واحد، لا من رؤية العين أو بمعنى العلم يتعدى إلى المفعولين، وجملة «ترى...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النظر المعلّق بالإستفهام.

«قال» جواب إسمعيل عليه السّلام لأبيه إبراهيم عليه السّلام والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«يا» حرف ندآء، و«أبت» منادى مضاف، منصوب، والتآء عوض عن يآء الإضافة المحذوفة، و«إفعل» فعل أمر، جواب الندآء وجملة النداء وجوابه في موضع نصب، مقول القول، و«ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به لـ «إفعل» و«تؤمر» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول، على حذف العائد أي ما تؤمر به. فلا محلّ للصّلة.

«ستجدني» السّين للإستقبال، والفعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، والنّون للوقاية، والياء للتّكلّم وحده في موضع نصب، مفعول به أوّل، والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«من الصابرين» متعلّق بمحذوف، وهو مفعول به ثانٍ، و«إنّ» حرف شرط، و«شآء» فعل ماضٍ مبنيّ، في موضع جزم، فعل الشّرط، اعتراضيّة لا محلّ لها، وجواب الشّرط محذوف يدلّ عليه ما قبله.

١٠٣ ـ (فلمّا أسلما وتلّه للجبين)

الفآء عاطفة، و«لمّا» كالسّابق، و«أسلما» فعل ماضٍ لتثنيّة المذكّر الغائب من باب الإفعال، وضمير التثنية راجع إلى إبراهيم وإسمعيل عليهما صلوات الله، وجملة «أسلما» في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليها و«وتلّه» الواو عاطفة، و«تلّ» فعل ماض من باب المضاعف، وضمير المتّصل المفرد الغائب في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة «أسلما» و«للجبين» متعلّق بـ «تلّه» لتضمّنه معنى دفعه واللام في «للجبين» بمعنى «على» للإستعلاء الحقيقي. وفي جواب «لمّا» وجوه: أحدها ـ محذوف، تقديره: فلمّا أسلما وتله للجبين فديناه بكبش. وقيل: تقديره فلمّا أسلما رُحمٰا أو سُعِدا. وقيل: تقديره: فلمّا أسلما وتلّه للجبين وناديناه فازا وظفرا بما أرادا.

وقيل: تقديره: نادته الملائكة أو ظهر فضلهما وقيل: استبشرا أو إغتبطا وشكرا الله تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء. وقيل: أي ظهر صبرهما أو أجز لنا لهما الأجر. وقيل: كان ما كان ممّا لا يحيط به الوصف من إستبشارهما وحمدهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلآء العظيم.

ثانيها ـ أن يكون جواب «لمّا» «تلّه» على زيادة الواو. ثالثها ـ أن يكون جواب «لمّا» «ناديناه» على زيادة الواو. رابعها ـ جواب «لمّا» محذوف يدلّ عليه قوله تعالى: «إنا كذلك نجزي المحسنين» وعلى هذا فيكون قوله تعالى: «فلمّا أسلما ـ إلى ـ قد صدّقت الرؤيا» واقعاً في حيّز «لمّا». خامسها ـ أن يكون جواب «لمّا» «وناديناه» من غير زيادة الواو إذ قد تدخل الواو في جواب «لمّا» من دون أن تكون الواو زائدة.

١٠٤ ـ (وناديناه أن يا إبراهيم)

الواو عاطفة، و«نادينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب المفاعلة، وضمير المتّصل الغآئب: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جواب «لمّا» المقدّروقيل: في موضع جرّ، معطوفة على موضع «أسلما» و«أن» في موضع نصب، بوقوع النّدآء عليه وتقديره: وناديناه بأن يا إبراهيم. وقيل: في موضع

جرّ. و«أن» حرف تفسير. وقيل مخففة من الثقيلة أصله: أنّك يا إبراهيم. فاسم «أن» ضمير الشأن، و«إبراهيم» منادى مفرد، علم مبنيّ على الضم في موضع نصب، وجملة «أن يا إبراهيم» تفسيرية لا محلّ لها.

١٠٥ ـ (قد صدّقت الرّؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين)

«قد» حرف تحقيق، و«صدّقت» فعل ماضٍ للمفرد المذكّر المخاطب من باب التّفعيل، و«الرّؤيا» مفعول به، والجملة جواب النّدآء لا محلّ لها، و«إنّا» حرف مشبّه بالفعل مع إسمها، و«كذلك» متعلّق بمحذوف، وهو مفعول مطلق، عامله: «نجزى» فعل مضارع للتكلّم مع الغير، و«المحسنين» جمع المحسن، إسم فاعل من باب الإفعال، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» والجملة المؤكّدة مستأنفة في حيّز النّدآء أو مستأنفة منقطعة لا محلّ لها.

١٠٦ ـ (إنّ هذا لهو البلآء المبين)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هذا» في موضع نصب، إسم لـ «إنّ» و«لهو» اللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«هو» ضمير منفصل، مبتداء، و«البلاء» خبره والجملة في موضع رفع خبر لـ «إنّ» أو «هو» ضمير فصل، و«البلاء» خبر لـ «إنّ» و«المبين» نعت لـ «البلاء» والجملة المؤكّدة مستأنفة في حيّز النّداء لا محلّ لها.

١٠٧ ـ (وفديناه بذبح عظيم)

الواو عاطفة و«فدينا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير، وضمير المتّصل الغائب: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و«بذبح» إسم لما يذبح كالرّعى إسم ما يرعى متعلّق بـ «فدينا» و«عظيم» نعت لـ «ذبح» وجملة «فديناه...» معطوفة على جملة جواب الشّرط مذكورة أو مقدّرة.

١٠٨ ـ (وتركنا عليه في الآخرين)

والكلام فيها هو الكلام في مثلها: ٧٨) من هذه السّورة فراجع.

١٠٩ ـ (سلام على إبراهيم)

وقد سبق نظيرها في آية: ٧٩).

١١٠ ـ (كذلك نجزي المحسنين)

وقد سبق نظيرها في آية ٨٠).

١١١ ـ (إنّه من عبادنا المؤمنين)

انظر إعراب آية:٨١).

١١٢ ـ (وبشّرناه بإسحق نبيّاً من الصّالحين)

الواو عاطفة، و«بشرنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير من باب التّفعيل تعظيماً، وضمير المتّصل المفرد الغائب: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و«بإسحق» غير منصرف، متعلّق بـ «بشرناه» و«نبيّاً» حال مقدّرة منصوبة أي يوجد مقدّراً نبوّته، و«من الصّالحين» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «نبيّاً» أو حال من الضمير في «نبيّاً» أو حال من «إسحق» أو حال من «بشرناه» وذوالحال إسحق، وجملة بشرناه...» معطوفة على جملة «فديناه».

١١٣ ـ (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

الواو عاطفة، و«باركنا» فعل ماضٍ من باب المفاعلة للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«عليه» متعلّق بـ «باركنا» وكذلك «على اسحق» والواو مستأنفة، و«من ذرّيتهما» متعلّق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«محسن» مبتداء مؤخّر، و«ظالم» معطوف على «محسن» و«لنفسه» متعلّق بـ «ظالم» ويجوز أن تكون اللام زائدة للتقوية، و«نفسه» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، مفعول به لإسم الفاعل: «ظالم» و«مبين» نعت لـ «ظالم» وجملة: «باركنا...» معطوفة على جملة: «بشرناه...» وجملة «ومن ذرّيتهما...» مستأنفة لا محلّ لها.

١١٤ ـ (ولقد مننّا على موسى وهارون)

الواو عاطفة، واللام للقسم المقدر، و«قد» حرف توكيد وتحقيق، و«مننّا» فعل ماضٍ ـ ثلاثياً ـ للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«على موسى» متعلّق بـ «مننّا» و«هارون» عطف على «موسى» وجملة: «مننّا...» جواب القسم المقدّر لا محلّ لها، والقسم المقدر معطوف على «ولقد نادانا نوح...»: ٧٥) وقيل: الواو إستئنافية.

١١٥ - (ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم)

الواو عاطفة، و«نجّينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب التّفعيل، و«هما» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «موسى وهارون» و«قومهما» معطوف على ضمير المفعول: «هما» و«من الكرب» متعلّق بـ «نجيّنا» و«العظيم» نعت لـ «الكرب» وجملة «نجيّناهما...» معطوفة على جملة: «مننّا» لا محلّ لها.

١١٦ - (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين)

الواو عاطفة، و«نصرنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «موسى وهارون وقومهما» والجملة معطوفة على جملة «مننّا» لا محلّ لها. والفاء عاطفة، و«كانوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، و«هم» ضمير فصل، و«الغالبين» جمع غالب، إسم فاعل، منصوب، خبر لـ «كانوا» والجملة معطوفة على «نصرناهم».

١١٧ - (وآتيناهما الكتاب المستبين)

الواو عاطفة، و«آتينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، و«هما» في موضع نصب، مفعول أوّل، و«الكتاب» مفعول ثان، و«المستبين» إسم فاعل من باب الإستفعال، نعت لـ «الكتاب» والجملة معطوفة على جملة جواب القسم المقدر.

١١٨ - (وهديناهما الصّراط المستقيم)

الواو عاطفة، و«هدينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير - ناقص يائيّ - و«هما» مفعول أوّل، و«الصراط» مفعول ثانٍ. وقيل: منصوب بنزع الخافض، و«المستقيم» نعت لـ «المستقيم» وجملة «هديناهما» معطوفة على جملة جواب القسم المقدّر لا محلّ لها.

١١٩-١٢٢ - (وتركنا عليهما - من عبادنا المؤمنين)

إعراب الآيات الأربع ظاهر من إعراب نظآئرها: (١٠٨-١١١) من هذه السّورة المباركة.

١٢٣ ـ (وإن إلياس لمن المرسلين)

الواو عاطفة، وقيل: مستأنفة، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«إلياس» غير منصرف للعلمية والعجمة، واللاّم المزحلقة في «لمن» للتوكيد، و«من المرسلين» متعلّق بخبر «إنّ» والجملة المؤكّدة معطوفة على القصّة السّابقة، ومستأنفة لا محلّ لها على قول.

١٢٤ ـ (إذ قال لقومه ألا تتقون)

«إذ» ظرف للزمن الماضي، وعامله وجوه: أحدها ـ مفعول به، لفعل محذوف تقديره: اذكر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك. ثانيها ـ باضمار أعني. ثالثها ـ متعلّق بـ «المرسلين» و«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إلياس» و«لقومه» متعلّق بـ «قال» والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها، و«ألا» أداة عرض لا عمل لها، و«تتقون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب في موضع نصب، مقول القول، على حذف المفعول به، أي تتقون الله أو عذاب الله ونقمته.

١٢٥ ـ (أتدعون بَعْلاً وتذرون أحسن الخالقين)

الهمزة للإستفهام الإنكاري، و«تدعون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، و«بعلاً» مفعول به، والجملة في موضع نصب، بدل من جملة «تتقون» والواو عاطفة، و«تذرون» في موضع نصب، معطوفة على جملة «تدعون» و«أحسن الخالقين» مفعول به.

١٢٦ ـ (الله ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين)

«الله» بدل من «أحسن الخالقين» أو عطف بيان له، و«ربّكم» نعت لـ «الله» أو بدل منه. ويحتمل أن يكون نعتاً لـ «أحسن الخالقين» أو بدلاً منه، و«ربّ» معطوف على «ربّكم» أو على معنى: أعني. وأُضيف «ربّ» إلى آبآء أُضيفت إلى «كم» و«الأوّلين» نعت لـ «آباء كم».

١٢٧ ـ (فكذّبوه فانّهم لمحضرون)

الواو عاطفة، و«كذّبوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب التّفعيل، وضمير المتّصل الغآئب: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة«قال» والفاء الثانيّة لرابطة جواب الشّرط المقدّر، واللام المزحلقة للتوكيد، و«محضرون» جمع مُحضَر إسم مفعول من باب الإفعال، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع جزم، جواب للشرط المقدّر أي إن جآء حسابهم فإنّهم...

١٢٨ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

إعرابها ظاهر من آية: ٤٠) من هذه السّورة فراجع.

١٣٢ ـ ١٢٩ـ(وتركنا عليه ـ من عبادنا المؤمنين)

إعراب الآيات الأربع ظاهر من إعراب نظائرها: (١٠٨ ـ ١١١) من هذه السّورة المباركة.

١٣٣ ـ (وإنّ لوطاً لمن المرسلين)

الواو عاطفة، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«لوطاً» منصرف مع علميته وعجميته لسكون الأوسط، إسم لـ «إنّ» واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«من المرسلين» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة معطوفة على جملة «وإنّ إلياس لمن المرسلبن» وقيل: الواو إستفهاميّة.

١٣٤ـ(إذ نجّيناه وأهله أجمعين)

في «إذ» وجوه ثلاثة سبق ذكرها في آية: ١٢٤) فراجع و«نجّينا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، وضمير الوصل: «ه» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «لوط» و«أهله» معطوف على ضمير الوصل من عطف الظّاهر على الضّمير، و«أجمعين» توكيد معنوي لضمير لوط وأهله.

١٣٥ ـ (إلّا عجوزاً في الغابرين)

«إلّا» أداة إستثناء و«عجوزاً» منصوب بالإستثنآء، و«في الغابرين» متعلّق بمحذوف، وهو نعت لـ «عجوزاً.

١٣٦ ـ (ثمّ دمّرنا الآخرين)

«ثمّ» حرف عطف، و«دمّرنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير من باب التّفعيل، في موضع جرّ، معطوفة على جملة «نجّيناه» و«الآخرين» جمع الآخر، مفعول به.

١٣٧ ـ (وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين)

الواو عاطفة، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«كم» في موضع نصب، إسم لـ «إن» واللام المزحلقة للتّوكيد، و«تمرّون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب في موضع رفع، خبر لـ «إن» و«عليهم» متعلّق بـ «تمرّون» و«على» ههنا للإستعلاء المجازي وذلك أنّ الإستعلآء إذا كان مفضياً إلى نفس المجرور فهو حقيقي، وإن كان مفضياً إلى ما يقرب منه فهو مجازيّ. و«مصبحين» جمع مصبح، إسم فاعل، حال منصوبة من فاعل «تمرّون» أو من «كم» والجملة المؤكّدة معطوفة على جملة: «إنّ لوطاً لمن المرسلين» لا محلّ لها.

١٣٨ ـ (وباللّيل أفلا تعقلون)

الواو عاطفة، و«باللّيل» متعلّق بمحذوف، معطوف على «مصبحين» تقديره: لتمرّون عليهم مصبحين وممسين أي صباحاً ومسآءً. والهمزة إستفهاميّة توبيخيّة، والفآء عاطفة، و«لا» نافية، و«تعقلون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، والجملة معطوفة على جملة مقدرة لا محل لها أي أتغفلون عن ذلك فلا تعقلون؟!

١٣٩ ـ (وإنّ يونس لمن المرسلين)

«يونس» غير منصرف للعلميّة والعجمة، والباقي ظاهر من آية: ١٣٣)

١٤٠ ـ (إذ أبق إلى الفلك المشحون)

في «إذ» وجوه، فراجع إلى آية ١٢٤) و«أبق» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «يونس» و«إلى الفلك» متعلّق بـ «أبق» و«المشحون» نعت لـ «الفلك» وجملة «أبق» في موضع جرّ لاضافة «إذ» اليها.

١٤١ ـ (فساهم فكان من المدحضين)

الفاء عاطفة، و«ساهم» فعل ماضٍ من باب المفاعلة، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «يونس» والجملة في موضع جرّ، معطوفة على «أبق» والفاء عاطفة

و«كان» فعل ماض من أفعال الناقصة، إسمه ضمير مستتر فيه، راجع إلى «يونس» و«من المدحضين» جمع المُدحَض إسم مفعول، متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «كان» والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة «ساهم».

١٤٢ ـ (فالتقمه الحوت وهو مليم)

الفاء عاطفة، و«التقم» فعل ماضٍ من باب الإفعال، وضمير الوصل: «ه» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «يونس» و«الحوت» فاعل الفعل، والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة: «كان من المدحضين» والواو حالية، و«هو» راجع إلى «يونس» مبتداء و«مليم» إسم فاعل من ألام أي دخل في اللوم كأحرم إذا دخل في الحرم أو بمعنى معيب، والجملة حال لضمير «فالتقمه».

١٤٣ ـ (فلولا أنّه كان من المسبّحين)

الفاء عاطفة أو مستأنفة، و«لولا» حرف شرط غير جازم، وقد سبق ذكرها في آية:٥٧) فراجع و«أنّ» حرف مشبّه بالفعل، وقد فتحت همزتها لأنّها وما بعدها بعد إنسباكهما إلى المصدر مبتداء والضّمير الغائب: «ه» راجع إلى «يونس» في موضع نصب، إسم لـ «أنّ» و«كان» فعل ماضٍ من أفعال الناقصة، إسمه ضمير مستتر فيه، راجع إلى «يونس» و«من المسبّحين» جمع المسبّح إسم فاعل، في موضع رفع، متعلّق بمحذوف، وهو خبر لـ «كان» وجملة «كان ...» في موضع رفع، خبر لـ «أن» والمصدر المؤوّل: «أنه ...» في موضع رفع على الإبتدآء، خبره محذوف، وهو موجود، وجملة: «لولا تسبيحه موجود» معطوفة على جملة مستأنفة أو مستأنفة لا محلّ لها.

١٤٤ ـ (للبث في بطنه إلى يوم يُبْعثون)

اللاّم واقعة في جواب «لولا» و«لبث» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «يونس» و«في بطنه» ظرف متعلّق بـ «لبث» أو متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «لبث» وضمير «بطنه» راجع إلى «الحوت» وجملة «لبث ...» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و«إلى يوم» متعلّق بـ «لبث» و«يبعثون» فعل مضارع لجمع

المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول، في موضع جرّ، لاضافة «يوم» إليه، أو نعت لمصدر محذوف أي لبثاً إلى يوم يبعثون. وضمير الجمع في «يبعثون» راجع إلى الخلآئق...

١٤٥ - (فنبذناه بالعرآء وهو سقيم)

الفاء إستئنافية، و«نبذنا» فعل ماض للتّكلّم مع الغير، وضمير الوصل الغائب، في موضع نصب، مفعول به، و«بالعرآء» متعلّق بـ «نبذناه» والباء للظرفيّة، وجملة «نبذناه...» مستأنفة في معرض قصّة يونس لا محلّ لها، و الواو حالية، و«هو» مبتداء، و«سقيم» خبره، والجملة في موضع نصب، حال من ضمير الغائب في: «نبذناه».

١٤٦ - (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

الواو عاطفة، و«أنبتنا» فعل ماض لِلتّكلّم مع الغير تعظيماً من الافعال و(عليه) متعلّق بـ«انبتنا» و«شجرة» مفعول به، و«من يقطين» متعلّق بمحذوف، نعت لـ «شجرة» وجملة «أنبتنا...» معطوفة على جملة «نبذناه» لا محلّ لها.

١٤٧ - (وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون)

الواو عاطفة، و«أرسلناه» نحو «أنبتناه» و«إلى مأة ألف» متعلّق بـ«أرسلنا» وجملة «أرسلناه» معطوفة على جملة «نبذناه» أوعلى جملة «أنبتنا عليه» وفي «أو» وجوه: أحدها - أن تكون للتخيير والمعنى: انّهم إذا رآهم الرائي منكم تخيّر في أن يعدّهم مأة ألف أو يزيدون. ثانيها - أن تكون للشك والإبهام على المخاطبين يعنى: أن الرائي إذا رآهم شك في عدّتهم لكثرتهم، فالشّك يرجع إلى الرائي لا إلى الله سبحانه. ثالثها - أن تكون في مورد الترقي فتفيد، فليست للعطف بل هو حرف استئناف لمجرد الإضراب بمعنى «بل» رابعها - أن تكون بمعنى الواو لمطلق الجمع فالمعنى: إلى مأة ألف وزيادة عليهم. والوجهان الأوّلان مذهب البصريين، والوجهان الآخران مذهب الكوفيين. خامسها - للإضراب مطلقاً. سادسها - أن تكون للإباحة. و«يزيدون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف أي وهم يزيدون على ذلك. وقيل:

مستأنفة لا محلّ لها.

١٤٨ ـ (فآمنوا فمتعناهم إلى حين)

الفاء عاطفة، و«آمنوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، وجملة «آمنوا» معطوفة على جملة «أرسلناه» والفاء الثانية عاطفة، و«متّعنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب التّفعيل، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«إلى حين» متعلّق بـ «متعناهم» والجملة معطوفة على «آمنوا» لا محل لها أيضاً.

١٤٩ ـ (فاستفتهم ألربّك البنات ولهم البنون)

الفاء مستأنفة بيانيّة، و«استفت» فعل أمر للمفرد المخاطب من باب الإستفعال وضمير الجمع الغآئب في موضع نصب، مفعول به، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والهمزة للإستفهام الإنكاري، الإبطالي وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع وأن مدّعيه كاذب و«لربّك» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«البنات» مبتداء مؤخّر، والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«لهم البنون» عطف على «لربّك البنات» فلا محلّ لها.

١٥٠ ـ (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون)

«أم» عاطفة معادلة للهمزة أو هي منقطعة بمعنى «بل» فالهمزة وما بعدها مستأنفة و«خلقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، و«الملائكة» مفعول به، و«إناثاً» جمع أُنثى، حال منصوب من «الملائكة» وجملة «خلقنا» معطوفة على المستأنفة البيانيّة لا محلّ لها، والواو حالية، و«هم» مبتداء و«شاهدون» جمع شاهد، إسم فاعل، خبر المبتداء، والجملة في موضع نصب، حال من فاعل «خلقنا» أي بل أخلقناهم اناثاً وحال انهم حاضرون حينئذٍ. وقيل: عطف على «خلقنا» أي بل أهم شاهدون.

١٥١ ـ (ألا إنّهم من إفكهم ليقولون)

«ألا» حرف واحد للتّنبيه ولذلك تقع «إنّ» مكسورة بعدها على الإبتدآء، ولولا اللام الّتي في خبرها لجاز فتحها على أن تجعل «ألا» بمعنى «حقاً» و«انّهم»

حرف مشبّه بالفعل مع إسمها، و«من إفكهم» متعلّق بـ «يقولون» و«من» للسببية، واللام المزحلقة للتّوكيد، و«يقولون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة مستأنفة لا محلّ لها.

١٥٢ ـ (ولد الله وإنّهم لكاذبون)

«ولد» فعل ماضٍ، و«الله» فاعل الفعل، والجملة في موضع نصب، مقول القول، والواو حاليةٍ و«إنّهم لكاذبون» في موضع نصب، حال.

١٥٣ ـ (أصطفى البنات على البنين)

«أصطفى» بألف القطع، لأنها إستفهاميّة إنكاريّة توبيخيّة، دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل، تخفيفاً واستغنآءً بهمزة الإستفهام كقوله تعالى: «سوآء عليهم أستغفرت لهم» المنافقون:٦) فبقيت ألف الإستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل «أطلع الغيب» مريم:٧٨) والفاعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله و«البنات» جمع البنت، مفعول به، و«على البنين» جمع الإبن، متعلّق بـ «اصطفى» والجملة مستأنفة لا محلّ لها. ويجوز أن يكون «اصطفى البنات» بدلاً من قوله: «ولدالله» لأن ولادة البنات واتخاذهن، اصطفا ؤهنّ، فيصير «اصطفى» بدلاً من المثال الماضي كما كان قوله: «يضاعف له العذاب» الأنبياء:٦٩) بدلاً من قوله: «يلق أثاماً» الأنبيآء:٦٨) ويجوز أن يكون «أصطفى البنات» تفسيراً لكذبهم في قوله تعالى: «وانّهم لكاذبون» كما أن قوله تعالى: «لهم مغفرة» المائدة:٩) تفسير للوعد: «وعدالله الّذين آمنوا...» المائدة:٩) ويجوز أن يكون «اصطفى البنات» بالقول على أنه اريد حرف العطف فلم يذكر، واستغنى بما في الجملة الثانيّة من الإتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله تعالى: «ليقولون ثلاثة رابعهم كلبهم» الكهف:٢٢) ونحو ذلك و«اصطفى» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، أصله: إصتفى، فقلبت التآء طآءً لتعدل الحروف في الإطباق والإستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، والصاد بالإستعلاء والإطباق.

١٥٤ ـ (ما لكم كيف تحكمون)

«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«لكم» متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«كيف» إسم إستفهام، بعد استفهام، في موضع نصب، حال، عامله: «تحكمون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، وجملة «تحكمون» بدل من جملة «ما لكم» لا محلّ لها.

١٥٥ ـ (أفلا تذكّرون)

الهمزة للإستفهام التّوبيخي، والفآء عاطفة، و«لا» نافية، و«تذكّرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب التّفعّل على حذف إحدى التائين، أصله: تتذكّرون، والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدرة لا محلّ لها، تقديره: أغفلتم عن غفلتكم وجهلتم عن جهلكم فلا تتذكّرون؟!

١٥٦ ـ (أم لكم سلطان مبين)

«أم» منقطعة بمعنى بل والهمزة، و«لكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«سلطان» مبتداء مؤخّر، و«مبين» إسم فاعل من باب الإفعال، نعت لـ «سلطان» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

١٥٧ ـ (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر و«اتوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«بكتابكم» متعلّق بـ «ائتوا» وجملة «ائتوا» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن كنتم صادقين فأتوا... أو تقديره: إن كان لكم حجة على مدّعاكم فأتوا... و«كنتم» فعل ماضٍ ناقص لجمع المذكّر المخاطب، في موضع جزم، فعل الشّرط، و«صادقين» خبره والجملة تفسير للشّرط المقدر لا محلّ لها. فجواب الشّرط محذوف تقديره: فأتوا بكتابكم.

١٥٨ ـ (وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون)

الواو عاطفة أو مستأنفة، و«جعلوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، وضمير الجمع راجع إلى مشركى مكة، والجملة معطوفة على مستأنفة سابقة، أو الجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«بينه» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ

لـ «جعلوا» و«بين» اضيف إلى «الجنّة» معطوف على «بينه» و«نسباً» مفعول به أوّل، والواو عاطفة واللام لام القسم لقسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«علمت» فعل ماضٍ، و«الجنّة» جمع الجن فاعل الفعل، وجملة «علمت الجنّة» جواب القسم، معطوفة على جملة القسم المقدرة، معطوفة على جملة «جعلوا» و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هم» في موضع نصب، إسم لـ «إنّ» راجع إلى «الجنّة» وقيل: راجع إلى المشركين، وقد كُسِرَت همزة «إنّ» مع وقوعها بعد العلم، لمجيئ اللام المزحلقة في خبر «إنّ» و«محضرون» جمع محضر، إسم مفعول، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعولى «علمت» المعلّق بـ «إنّ».

١٥٩ ـ (سبحان الله عمّا يصفون)

«سجان» مصدر، مفعول مطلق لفعل محذوف، أُضيف إلى لفظ الجلالة: «الله» أي نسبّح سجان الله. والجملة اعتراضيّة دعائيّة لا محلّ لها، وفي «عما» وجهان: أحدهما ـ أن يكون «ما» حرفاً مصدرياً، المصدر المؤوّل: «ما يصفون» في موضع جرّ، متعلّق بالفعل المحذوف، فجملة «يصفون» صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها. ثانيهما ـ أن يكون «ما» إسم موصول، في موضع جرّ بـ «عن» والعائد محذوف أي يصفونه.

١٦٠ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

في الإستثنآء وجوه: أحدها ـ أن يكون الإستثنآء منقطعاً من ضمير «محضرون» أي انّهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون، فما بينهما إعتراض دال على التنزيه. ويجوز أن يكون الإستثنآء متصلا من ضمير «محضرون» لمعنى آخر. ثانيها ـ أن يكون الإستثنآء منقطعاً من ضمير «يصفون» أي يصفه هؤلاء بذلك، ولكن أهل الإخلاص مبرؤن من وصفه بما لا ينبغي. ثالثها ـ أن يكون الإستثنآء متصلاً من ضمير «يصفون» على أن ضمير «يصفون» راجع إلى النّاس كلّهم، فالوصف مطلق يشمل لكلّ ما يصفه به واصف. والمعنى: هو جل وعلا منزّه عن كل ما يصفه الواصفون إلّا عباد الله المخلصين رابعها ـ أن يكون مستثنًى من ضمير «جعلوا»

فاستثنى الله تعالى عباده المخلصين من جملة الكفّار القائلين فيه مالا يليق به. فالا ستثنآء منقطع لأن المخلصين ينزّهون الله تعالى عمّا يصفه هؤلاء المشركون.

و«عباد» جمع عبد، اضيف إلى لفظ الجلالة: «الله» منصوب بالإستثنآء، و«المخلصين» جمع المخلص، إسم مفعول من باب الإفعال، نعت أو عطف بيان لـ «عباد الله».

١٦١ ـ (فانكم وما تعبدون)

الفآء مستأنفة تفريعيّة، و«إن» حرف مشبّه بالفعل، و«كم» ضمير الخطاب لجمع المذكّر في موضع نصب، إسم لـ «إن» والواو عاطفة، و«ما» إسم موصول في موضع نصب، معطوف على ضمير الخطاب: «كم» و«تعبدون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، صلة الموصول لا محلّ لها، على حذف الصلة أي تعبدونه. وقيل: «ما» مصدرية، وجملة «فإنكم وما تعبدون» كلام تامّ مستقل من قبيل قولهم: أنت وشأنك. والمعنى: فإنكم وما تعبدون متقارنان. وقيل: الواو بمعنى «مع» كقولك: جآء فلان وفلان، وجآء فلان مع فلان.

١٦٢ ـ (ما أنتم عليه بفاتنين)

«ما» نافية مشبّهة بـ «ليس» و«أنتم» ضمير منفصل لجمع المذكّر المخاطب، إسم لـ «ما» و«عليه» متعلّق بـ «فاتنين» جمع فاتن، إسم فاعل، خبر لـ «ما» فالبآء زائدة جيئت للتأكيد، و«فاتنين» مجرور لفظاً، منصوب محلاً. وفي ضمير «عليه» وجهان: أحدهما ـ راجع إلى «ما تعبدون» والمعنىٰ: إنكم وما تعبدونه لستم بفاتنين على عبادته أحداً أو لستم على معبودكم بمضلّين أو مفتنين أحداً. ثانيها ـ راجع إلى «الله» والمعنىٰ: ما أنتم على الله وعلى دينه بمضلّين أحداً. وجملة «ما أنتم...» في موضع رفع، خبر لـ «إن».

١٦٣ ـ (إلّا مَن هو صال الجحيم)

«إلّا» أداة إستثنآء، و«مَن» إسم موصول، في موضع نصب، على الإستثنآء من المفعول المقدّر، أو نكرة موصوفة، ويجوز أن يكون الإستثنآء مفرّغاً، و«من» مفعول به

لإسم الفاعل: «فاتنين» و«هو» مبتداء و«صال» إسم فاعل، على حذف اللام على الرغم من كونه مضافاً إلى «الجحيم» خبر لـ «هو» وعلامة الرفع الضمّة المقدرة على اليآء المحذوفة للتّخفيف مراعاة لقراءة الوصل، وجملة «هو صال الجحيم» صلة الموصول لا محلّ لها.

١٦٤ ـ (وما منّا إلّا له مقام معلوم)

في الواو وجوه: أحدها ـ حالية بتقدير القول. والمعنى: انّهم يقولون وما منّا أحد إلّا له مقام معلوم. ثانيها ـ عاطفة. والجملة معطوفة على القول المقدّر. ثالثها ـ مستأنفة. وجملة «ما منا أحد...» مستأنفة لا محلّ لها. و«ما» نافية مهملة لمكان «إلّا» بعدها و«منّا» متعلّق بفعل مضمر يدل عليه قوله: «له مقام معلوم» والمحذوف خبر مقدّم للمبتداء المؤخر وهو «أحد» ولا يجوز أن يتعلّق «منّا» بما بعد «إلّا» وضمير «منّا» راجع إلى الملائكة. وقيل: راجع إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين.

«إلّا» أداة حصر، وفي «له» وجوه: أحدها ـ متعلّق بمحذوف، نعت لموصوف محذوف أي: ما منّا أحد إلّا ثابت له مقام معلوم. فالظرف: «له» نعت لـ «أحد» المضمر. ولا بد من تقديره ليعود الهاء إليه. ثانيها ـ متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم و«مقام» مبتداء مؤخر، والجملة صلة لموصول محذوف أي: إلّا مَن له مقام معلوم: فحذف الموصول وأبقى الصلة. ثالثها ـ متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مقام» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع نصب، حال من المبتداء المقدّر: «أحد» وقيل: تقديره: وما منّا ملك إلّا له مقام معلوم. على أن الملائكة تبرّأت ممّن يعبدها وتعجّبت من ذلك. و«معلوم» نعت لـ «مقام».

١٦٥ ـ (وإنّا لنحن الصّافّون)

الواو عاطفة، و«إنا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، واللاّم المزحلقة للتّوكيد أو الإبتداء دون القسم كما توهمّ بعض النّحاة، و«نحن» ضمير فصل وعماد أو الابتداء دون التوكيد لدخول اللاّم فيها، و«الصافون» جمع صافّ، إسم فاعل، خبر لـ «إنّ» أو خبر لـ «نحن» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» وجملة «انا لنحن...»

معطوفة على جملة «ما منّا ...» لا محلّ لها. ولا يخفى على الاديب الأريب: أنّه ممّا يفصل بين الفصل والصفة والبدل والتّوكيد: أنّ الفصل يدخل عليه اللاّم دون الصّفة والبدل والتّوكيد.

١٦٦ ـ (وإنا لنحن المسبّحون)

الجملة المؤكدة معطوفة على ما قبلها، و«المسبّحون» جمع المسبّح، إسم فاعل من باب التّفعيل، والباقي ظاهر ممّا قبله.

١٦٧ ـ (وإن كانوا ليقولون)

الواو مستأنفة، وفي «إن» وجهان: أحدهما ـ مخففة من الثّقيلة تقديره: وإنّهم أي هؤلاء الكفّار. و«كانوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من أفعال النّاقصه وإسمه، واللاّم فارقة، دخلت فرقاً بين «إن» المخففة من الثّقيلة، وبين «إن» النّافية، و«يقولون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» والجملة المؤكدة مستأنفة لا محلّ لها. ثانيهما ـ «إن» بمعنى «ما» واللاّم بمعنى «إلاّ» تقديره: وما كانوا إلاّ يقولون.

١٦٨ ـ (لو أنّ عند نا ذكراً من الأوّلين)

«لو» حرف شرط غيرجازم، و«أنّ» حرف مشبّه با لفعل،فتحت ألفها لوقوعها بعد «لو» و«أنّ» بعد «لو» مرفوع على إضمار فعل، و«عند» ظرف لغو، منصوب، أُضيف إلى «نا» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم أي ثبت، و«ذكراً» إسم لـ «أنّ» و«من الأوّلين» جمع الأوّل، متعلق بمحذوف، نعت لـ «ذكراً بحذف المضاف أي من كتب الأوّلين. والجملة: «ثبت ذكر...» في موضع نصب، مقول القول، والمصدر المؤوّل: «أن عندنا ...» في موضع رفع، فاعل لفعل محذوف، تقديره: ثبت أي ثبت وجود الذكر.

١٦٩ ـ (لكنّا عباد الله المخلصين)

اللاّم واقعة في جواب «لو» و«كنّا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من أفعال النّاقصة، وإسمه، و«عباد الله» خبر لـ «كنّا» و«المخلصين» نعت أو عطف بيان

لـ «عباد الله» والجملة: «كنّا عباد الله...» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

١٧٠ - (فكفروا به فسوف يعلمون)

الفاء عاطفة فصيحة، و«كفروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، و«به» متعلّق بـ «كفروا» والجملة معطوفة على مستأنفة مقدرة لا محلّ لها أي فجآء هم الذكر فكفروا به. والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«سوف» حرف إستقبال، و«يعلمون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، وجملة «سوف يعلمون» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن جآء وقت حسابهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.

١٧١ - (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

الواو مستأنفة، واللاّم لام قسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«سبقت» فعل ماضٍ، و«كلمتنا» فاعل الفعل، و«لعبادنا» متعلّق بمحذوف، حال من «كلمتنا» أي مقولة لعبادنا، و«المرسلين» بيان أو نعت لـ «عبادنا» وجملة: «سبقت كلمتنا...» جواب القسم المقدر لا محلّ لها.

١٧٢ - (إنّهم لهم المنصورون)

في «لهم» وجهان: أحدهما - اللاّم للتوكيد، و«هم» ضمير فصل، وقع بين المبتداء والخبر. ثانيهما - اللاّم للابتداء، و«هم» مبتداء، و«المنصورون» جمع المنصور، إسم مفعول، خبره والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لا محلّ لها أو تفسير لـ «كلمتنا».

١٧٣ - (وإنّ جندنا لهم الغالبون)

الواو عاطفة والجملة معطوفة على البيانيّة والباقى ظاهر.

١٧٤ - (فتولّ عنهم حتّى حين)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«تولّ» فعل أمر للمفرد المذكّر المخاطب من باب التّفعيل على حذف اللاّم، و«عنهم» وحتّى حين» متعلّقان بـ «تولّ» وجملة «تولّ...» في موضع جزم، جواب للشّرط المقدّر أي: إن كان النصر لجندنا فتولّ

عنهم ...»

١٧٥ ـ (وأبصرهم فسوف يُبصرون)

الواو عاطفة، و«أبصر» فعل أمر، خطاب للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «تولّ» والفآء رابطة، و«سوف» حرف إستقبال للوعيد، و«يبصرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، وجملة «سوف يبصرون» في موضع جزم، جواب للشرط المقدر أي إن تفعل فسوف يبصرونه على حذف المفعول.

١٧٦ ـ (أفبعذابنا يستعجلون)

الهمزة للإستفهام التّهديدي، والفآء إستئنافيّة، و«بعذابنا» متعلّق بـ «يستعجلون» بتضمينه معنى يستهزؤن، فالجملة مستأنفة لا محلّ لها، ومن المتحمل أن يكون «بعذابنا» متعلّقاً بمحذوف تقديره: يستهزؤن، وجملة «يستعجلون» في موضع نصب، حال من فاعل «يستهزؤن».

١٧٧ ـ (فإذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين)

الفاء عاطفة و«إذا» ظرف للإستقبال، يتضمّن معنى الشّرط، اضيف إلى «نزل» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «عذابنا» و«بساحتهم» متعلّق بـ«نزل» والفعل في موضع جرّ لاضافة «إذا» إليه، والفاء رابطة لجواب الشّرط، و«سآء» فعل ماضٍ لإنشآء الذّمّ، و«صباح» مرفوع، فاعل الفعل، اضيف إلى «المنذرين» جمع المنذر، إسم مفعول، واللاّم للجنس، والمخصوص محذوف أي بئس صباح المنذرين صباحهم.

١٧٩-١٧٨ـ (وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون)

إعراب الآيتين ظاهر ممّا سبق آنفاً من إعراب نظاهرهما: ١٧٤-١٧٥) من هذه السّورة.

١٨٠ ـ (سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون)

«سبحان ربّك» مثل «سبحان الله»: ١٥٩) و«ربّ العزّة» بدل من «ربّك»

وجملة «نسبّح سبحان ربّك ...» مستأنفة لا محلّ لها، وقد سبق إعراب «عمّا يصفون» في آية ١٥٩) فراجع وقيل: «عمّا يصفون» متعلّق بـ «عزة» أي إمتنع عمّا يصفونه به.

١٨١ ـ (وسلام على المرسلين)

الواو عاطفة، و«سلام» مرفوع، مبتداء بدئ بالنّكرة لأنّ اللّفظ: «سلام» دالّ على عموم فهو مدح أو دعآء، و«على المرسلين» جمع المُرسَل، إسم مفعول، متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء، وجملة «سلام ...» معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها.

١٨٢ ـ (والحمد لله ربّ العالمين)

الواو عاطفة، و«الحمد» مبتداء، واللام للإستغراق أو للجنس، و«لله» مجرور بلام الملك والإختصاص التّي تسمّى بلام التّحقيق، متعلّق بمحذوف أي واجب وثابت، و«ربّ» مجرور على الوصفيّة، وقيل: البدلية، أُضيف إلى «العالمين» جمع العالَم، إضافة معنوية، فاكتسب التعريف من المضاف إليه. و«العالمين» من ملحقات جمع المذكّر السالم، مجرور بالإضافة، وعلامة الجر هي اليآء. والجملة: «الحمد لله ...» معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها.

﴿البيان﴾

١ ـ (والصّافّات صفاً)

قسم ربّاني بالشّرفآء والفضلآء والكرمآء من طوآئف الملائكة ذوي الدّرجات العالية على سبيل التّوكيد بأن إله النّاس وربّهم وربّ العالمين كلّهم واحد وحسب. هذه ثانية سورة في القرآن الكريم مصحفاً، صدّرت بالقسم، أوّلها سورة «يس» بعد كلمة يس، وثمانية عشر نزولاً، صدّرت بالقسم على التّرتيب التّالي: القلم، الليل، الفجر، الضحى، العصر، العاديات، النجم، الشمس، البروج، التين، القيامة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، ص، يس والصافّات. وان هؤلآء الملائكة هم الّذين يصفون أنفسهم ـ حسب درجاتها ـ صفوفاً ممهّدة منقادة لأو امر الله جل وعلا ويقولون هم: «وما منّا إلّا له مقام معلوم وإنّا لنحن الصافون» الصافّات: ١٦٤ ـ ١٦٥) وذلك ان طائفة من الملائكة يقفون صفوفاً في السموات لأدآء العبادات كالمصلّين من عباد الله المخلصين عند أدآء الصلاة بالجماعة، وطآئفة منهم يصفّون أجنحتهم في الهوآء والفضآء ويقفون منتظرين لوصول أو امر الله جلّ وعلا إليهم، وغيرهم من طوائف الملائكة الصّافّين الكثيرين الوافرين الخارجين عن إحصآئنا وضبطنا لا يعلم عدد هم إلّا الله جلّ وعلا: «وما يعلم جنود ربّك إلّا هو» المدثر: ٣١)

قوله تعالى: «صفّاً» مصدر مؤكّد لما قبله أي صفّاً بديعاً، وذلك أن الصّفّ أن يجعل الشّيء على خط مستقيم كالنّاس والأشجار... كما تقول: «صففتُ القوم فاصطفّوا إذا أقمتهم على خط مستوٍ لأدآء الصلاة أو لأجل الحرب...» فالمعنى:

إنّ الملائكة على اختلاف طوائفهم ودرجاتهم و وظائفهم ... كلّهم اصطفّوا في مقام العبودية والطاعة والإمتثال لكلّ أمر يأمرهم الله تعالى من وظائفهم السماوية والأرضية وما بينهما.

٢ ـ (فالزاجرات زجراً)

تقدير صفة أُخرى للملائكة وهي الزجر إطلاقاً، سواء كانوا هم يزجرون السحاب بأن يحرّكوها من موضع إلى موضع آخر، أم يزجرون المؤمنين عن المعاصي بأن كانت لهم تأثيرات في قلوب سليمة على طريق الإلهامات، أو يسوقون المخلصين إلى العبادات والطاعات وصالح الأعمال، أو يزجرون الشّياطين عن إلقآء الوساوس في قلوب عباد الله الصالحين في عباداتهم وصالح أعمالهم، وعن التعرض لهم بالشّرك والايذاء والجُرم والخطآء أو يزجرون الشّياطين عن إستماع الغيوب السماوية واستراقة السمع إلى الملأ الأعلى، أو يدفعون الشّياطين عن المداخلة في الوحى السّماوي النّازل إلى أنبياء الله تعالى أو خصوص محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

وقوله تعالى: «زجراً» مصدر مؤكّد لما قبله أي زجراً بليغاً، والزجر هو الصرف والردع عن الشيء لخوف الذم والعقاب، والدفع عنه بتسليط وصياح، الزجرة: الصيحة من قولك: زجر الراعى الإبل والغنم إذا صاح عليهما، فرجعت لصوته.

قال الشّاعر:

زجر أبي عروة السّباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها.

٣ ـ (فالتّاليات ذكراً)

بيان صفة ثالثة للملائكة بأنّهم حملة الوحى يتلونه على نبيه الخاتم محمّد المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلّم و يبلّغون أوامره ونواهيه كما كانوا يجيئون بالكتب من عِند الله تعالى إلى أنبيائه ورسله عليهم صلوات الله يتلونها عليهم لينذروا بها أقوامهم...

وللفآء مع الصفات الثلاث أحوال ثلاثة: أحدها ـ أن تدلّ على ترتيب معانيها في الوجود كقوله تعالى: «فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...» آل عمران:

١٠٣) ثانيها ـ أن تدلّ على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك: «خذ الأكمل فالأفضل واعمل الأحسن فالأجمل» ثالثها ـ أن تدلّ على ترتيب موصوفاتها في ذلك نحو: «رحم الله المحلّقين فالمقصّرين» ومن المحتمل أن تكون الفآء لترتب الصفات في الفضل، فالفضل للصّفّ ثمّ للزجر ثمّ للتلاوة أو بالعكس، ولكلٍ وجهٌ وأن تكون لترتيب معانيها في الوجود، مثاله: المصلّون يقفون أوّلاً صفوفاً ثمّ يزجرون الوساوس عنهم بالإستعاذة ثمّ يشتغلون بالقراءة وذلك إذا كانت الصفات الثلاث لموصوف واحد، فالعطف لاختلاف الصفات بأن كلّ وصف لا حق أرقىٰ من سابقه، وأمّا لو كانت الصفات لموصوفين ثلاثة لكانت الفآء لترتيب الموصوفين في الفضل، فالعطف لاختلاف الذوات لا الصفات، فكلّ موصوف لا حق أفضل من سابقه، فطوائف الصافّات ذوات فضل، وطوائف الزاجرات أفضل، وطوائف التّاليات أبهر فضلاً أو العكس.

إن تسئل: إن الله تعالى قال: «والصافات صفّاً والزاجرات زجراً» بالمصدرين، ولم يقل: «فالتاليات تلواً» بالمصدر؟

تجيب عنه: أنّ التّالي قديكون بمعنى التابع، ولم يقصد ذلك، بل المراد التلاوة، فجآء «ذكراً» مصدر من معنى «التاليات» لذلك. فـ«ذكراً» مصدر مؤكّد أيضاً لما قبله فإن التّلاوة من باب الذكر أي ذكراً عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم السّلام وغيرها من التّسبيح والتقديس والتّحميد والتّمجيد.

وأن في ايثار ضمير التأنيث للملآئكة تارة والتذكير تارة أُخرى أن في التأنيث إما باعتبار لفظ الملآئكة، وإما باعتبار الجماعة، وفي التذكير إشعاراً على كونهم عقولاً محضة ووجه القسم الربّاني بهؤلآء على سبيل التوكيد أنه ينبئ عن تعظيمهم بما فيه من الدلالة على توحيد الله تعالى وربوبيّته، على علمه وحكمته، على تدبيره وقدرته على عظمته وجلاله، وعلى صفاته العلى، فله عزّوجلّ أن يقسم بما شآء من خلقه، وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به.

وفيه بيان مظهر الربوبيّة في الأرض والسّمآء، وفي نظام الكون ونواميس الوجود

كله.

٤ ـ (إن إلهكم لواحد)

جواب للقسم مجملاً وهو يقرّر حقيقة يشهد بها كلّ موجود من نواميس الوجود، وهي أن إله الموجودات كلها إله واحد، وهو الّذي أوجدها وقام بسلطانه عليها. وإن الخطاب وإن كان لمشركي مكة ولكنه شامل لعامة النّاس في كلّ ظرف. والفائدة في القسم تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه من تحقيق للحقّ الّذي هو التوحيد على ما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي، وتمهيداً لما يعقبه من البرهان النّاطق به أعنى:

٥ ـ (ربّ السّموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق)

الإله الواحد الّذي لا شريك له في الوجود والإيجاد، ولا في التدبير والعبادة هو ربّ السّموات... فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود صانع، وسعة علمه وكمال قدرته وتدبيره، وأعدل شواهد وحدانيّته كما قال جل وعلا: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون» الأنبيآء: ٢٢)

ولا يبعد أن يكون في سوق الأوصاف إشعار بعلّة كون الإله واحداً كما أنّ خصوصيّة القسم مشعر بعلّة كونه ربّ السّموات والأرض وما بينهما، كأنّه قيل: إنّ إلهكم لواحد لأنّ الملاك في الوهية الإله وهي كونه معبوداً بالحقّ أن يكون ربّاً يدبّر الأمر على ما تعترفون وهو الله جلّ وعلا ربّ السّموات والأرض وما بينهما الّذي يدبّر أمرها ويتصرّف في جميعها. وكيف لا؟ والله عزّوجلّ يُوحي إلى نبيّه، فيتصرّف في السّمآء وسكّانها بارسال ملائكة يصطفّون بينها وبين الأرض، وهناك مجال الشياطين، فيزجرونهم وهو تصرّف منه فيما بين السّمآء والأرض، وفي الشياطين، ثمّ يتلون الذكّر على نبيّه، وفيه تكميل للنّاس وتربية لهم سوآء صدّقوا أم كذّبوا، ففي الوحي تصرّف منه في السّموات والأرض وما بينهما فهو على وحدانيّته ربّ الجميع المدبّر لأمرها والإله الواحد.

قوله تعالى: «ربّ المشارق» إعادة الربّ في المشارق لغاية ظهور آثار الربوبيّة فيها، وتجدّدها كلّ يوم. وأما تخصيص المشارق بالذكر فلأن الشروق قبل الغروب، والنّور قبل الظلمة، ولأن المشارق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة، ولشرفها ودلالتها على المغارب، وللتلازم بينهما، فالمغارب متعدّد تعدّد المشارق، فلم يذكرها إكتفآءً بتعدد المشارق كقوله تعالى: «سرابيل تقيكم الحرّ» النحل: ٨١) ولأن المشارق هي مطلع النور، ومن المشرق تطلع الشمس الّتي هي مصدر النّور والدفْ والحياة، ولمناسبة المشارق لطلوع الوحي بملائكته من السّمآء وقد قال الله جلّ وعلا: «ولقد رآه بالافق المبين» التكوير: ٢٣) وقال: «وهو بالافق الأعلى» النّجم: ٧)

إن تسئل: ما هي هذه المشارق؟

تجيب عنه: هي مشارق الشّمس ومغاربها بعدد أيّام السّنة الشّمسيّة وهي ثلاثمأة وخمس وستون مشرقاً وكذلك المغارب، فإنّ الشّمس في كلّ يوم تشرق من مشرق منها، وتغرب في مغرب، ولا تشرق ولا تغرب في واحد، يومين.

إن تسئل: لماذا قال الله تعالى هنا: «وربّ المشارق» وفي سورة الرّحمن: «ربّ المشرقين وربّ المغربين»: ١٧) وفي سورة المزمل: «ربّ المشرق والمغرب»: ٩)؟

تجيب عنه: إن الله عزّوجلّ أراد من المشرقين مشرق الشمس والقمر ومن المغربين مغربيهما إذ قال: «الشّمس والقمر بحسبان» الرحمٰن: ٥) أو أراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشّمس في الأيّام الطوال، وأقصر يوم في الأيام القصار، وأراد من المشرق والمغرب جهتيهما لإلفات الأنظار إلى اتساع آفاق الأرض...

٦ ـ (إنا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب)

تذكير من الله جلّ وعلا عباده بأنعمه عليهم، ومنها أنه تعالى جعل الكواكب في سمآء دنياهم جمالاً بأشكالها وأنوارها، إضافة إلى الإهتدآء بها في ظلمات البر والبحر، مع مالهم من المنفعة بالتفكير فيها، والإستدلال بها على صانعها، وقد خصّها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة، وهي هذه السمآء الّتي تظل علينا منها الشمس والقمر والنجوم... وهناك سموات أُخرى فوق هذه السّمآء الدّنيا لم يبلغها علم البشر،

ولن تصل إليها أدوات الرصد الّتي نرصد بها ما في السّمآء الدّنيا من كواكب ونجوم... وأن هذه السمآء الدّنيا، وما فيها من نجوم يصل ضوءها إلى الأرض في أكثر من مليون سنة ضوئية، هذه السّمآء وما فيها من نجوم وكواكب، ليست إلّا سطراً في كتاب الوجود الّذي لا نهاية له... فتخصيص سمآء الدّنيا بالزّينة مع كون سائر السّموات مزينة بزينتها لرؤيتنا سماء الدّنيا وأنسابها دون غيرها... فما أعظم قدرة الخالق؟! وما أروع ما أبدع وصور...! وما أضأل شأن هذا الإنسان! وما أصغر قدره إلى هذا الوجود العظيم الّذي لا يعدو أن يكون هذا الإنسان فيه هباءةً سابحةً في الهوآء، لا تراها عين، ولا تمسك بها يد... لقد طارت الإنسانية طرباً واهتزت زهواً وغروراً لو وصلت بمراكبها إلى القمر، وأن مشت بأقدامها فوقه!!

وما القمر هذا؟ وما مكانه في هذا الوجود؟ إنّه ليس إلّا ذرّة من رمل في السّمآء الدّنيا! فكيف بالقمر هذا في مواجهة الكون ونواميس الوجود كلّه، وإنّ الإنسان لم يقطع من صفحة السّمآء الدّنيا في رحلته هذه إلى القمر - لو كانت صادقة - إلّا كما تقطع النّملة رحلة العمر، من جذر شجرة إلى ورقة من أوراقها! إنّه إنتصار للنّملة لا شك، ولكنّه نصر محسوب بحسابها، ومقدور بقدرها...

٧ - (وحفظاً من كلّ شيطان مارد)

تقرير لمنفعة أُخرى للكواكب السّماوية، وتذكير للإنسان بشمول قدرة الله جلّ وعلا وعظمته وسننه الكونية، ونعمه على البشر والمخلوقات الاخرى، وتصرّفه في الكون تصرّفاً مطلقاً وكونه تعالى هو الخالق المدبّر الواحد الّذي لا شريك له في خلقه.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنّ السمآء ليست مَعْرجاً لأهل الأرض، وإن كانت مَراداً لأبصارهم ومسبحاً لعقولهم... وأنّ الشّياطين - وهم من سكّان الأرض - إن أرادوا العروج إلى السّمآء بما لهم من طبيعة قادرة على الإنطلاق إلى آفاق عالية بعيدة - هولآء الشّياطين لا يستطيعون أن يعرجوا إلى السّمآء.

٨ - (لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويُقذفون من كلّ جانب)

مستأنف سيق لبيان حال المسترقين، بعد بيان حفظ السّمآء عنهم مع التّنبيه على كيفية الحفظ، وما يعتريهم في أثنآء ذلك من العذاب، ففيه كناية عن كون هؤلاء الشّياطين المردة ـ وقد حفظت السّمآء من أن يقتربوا منها أو يطوفوا بها ـ ممنوعين عن الإطلاع على أخبار الغيب المستورة عن هذا العالم الأرضيّ كالحوادث المستقبلة والأسرار المكنونة، فهم محبوسون في هذه الأرض غآئبة أبصارهم عن الملأ الأعلى، لا يفهمون رموز هذه الحياة وعجآئبها، ولا ترقى نفوسهم إلى التطلع إلى تلك العوالم العليا، والتأمل في إدراك أسرارها، والبحث في سرّ عظمتها، فهم لا يستطيعون أن يصغوا إلى الملأ الأعلى وما يجرى فيه، فاذا حاولوا ذلك قذفوا من كلّ جانب بالشهب ورُمُوا من كل مكان بالرّجوم...

وقيل: «لا يسّمّعون...» صفة لكلّ شيطان مارد وقيل: حال منه. وهما غير وجيهين إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع، وحينئذ فلا يلزم عود الضمير إلى «كل» ولا إلى ما اضيف إليه، وإنّما هو عائد إلى الجمع المستفاد من الكلام. وقيل: جواب عن سؤال مقدر. ولكنّ التّحقيق هو الأوّل لحفظ المعنى وعدم التّقدير.

٩ ـ (دحوراً ولهم عذاب واصب)

الدّحور: أشد الصّغار والذّلّة، وهنا مبالغة في طرد الشّياطين عن التّلّقى عن الأرواح العاليّة وفي دفعهم بعنف عمّا قصدوا من إستراق السّمع، فهم مدفوعون مردودون عن ذلك، فإنّهم يرمون من كلّ جانب دفعاً لهم على أشدّ الوجوه فيرجعون مقهورين لم يطّلعوا على شيء ولم يحصلوا بشيء بالإضافة إلى مالهم مع ذلك أيضاً من عذاب دآئم.

١٠ ـ (إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)

إخبار من الله تعالى بأنّ كلّ مَن استلب من الشّياطين السّماع إستلاباً، واختلس كلام الملائكة أو الأخبار السماوية مسارقة بسرعة، تبعه شهاب ثاقب، قضي عليه، فأحرقه، ولم يستطع أخذ شيء منها، وعصم الله جلّ وعلا وحيه وكتابه والغيوب السّماوية من الشياطين، فهم لا يسمعون إلى الملأ الأعلى إلّا خطفاً من بعضهم،

ممّن يُلقى بنفسه منهم في سبيل ذلك إلى حدّ التهلكة، فيرُمى بشهاب راصد لكلّ مَن حام حول هذا الحمى ... الخطف: الإختلاس وأخذ الشيء بسرعة، والمراد اختلاس كلام الملائكة والأخبار السماوية مسارقة بسرعة كما يدلّ عليه تعريف «الخطفة» باللام. والثاقب: الشّديد النفاذ وفي الآية الكريمة ردّ على المشركين، معتقدهم الفاسد، في أنّ الشّياطين يعلمون الغيب وانّهم يتلقّون ذلك باتصالهم بالملأ الأعلى، وإستماعهم إلى مايدور بين الملائكة هناك ممّا يتصل بالعالم الأرضي.

ولا يبعد أن تكون تلك الآيات العشرة الكاملة لمشهد من مشاهد المناظرة بين محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ والمشركين ممّا جرى فيه جدل حول وحدة الله جلّ وعلا وصفاته، وفي عقيب التوحيد وأثنآء المناظرة جرى في حقيقة البعث بعد الموت، وهي مقدّمة قويّة نافذة تحتوي لفت نظر السامعين إلى عظمة الخالق وقدرته، والتدليل على وحدته وربوبيّته، وعلى علمه وحكمته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود.

١١ ـ (فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مَن خلقناهم من طين لازب)

الاستفتآء نوع من السؤال أي إستخبر كفّار مكّة تقريراً من جهة، وتبكيتاً من جهة أُخرى لانّهم يقرّون أن هذه المخلوقات أشدّ منهم خلقاً، فاذاً كيف ينكرون البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم ممّا أنكروا فأين هم بالنسبة لتلك العوالم العظيمة الّتي خلقناها بأيد وإنّا لموسعون؟ أهم ينقضون أنفسهم بأنفسهم؟

والهمزة وإن خرجت إلى معنى التّقرير والتّوبيخ والتبكيت هنا ولكنها في الأصل لمعنى الإستفهام أي فاستخبرهم، وفي هذا الإستفهام التقريرى للأشدية بينهم وبين غيرهم من المخلوقات العظيمة من السموات والأرض، من الملائكة والكواكب، من الجن والشّياطين، ومن الجبال والبحار...

وقوله تعالى: «فاستفتهم» بدلاً من «فاسئلهم» أو «فاستخبرهم» إشارة إلى أنّ الأمر الّذي يُسئلون عنه ليس إمتحاناً لهم، وإنّما هو مجرّد طلب الرّأي فيه، وكأنّه أمر ليس لهم شأن فيه، وفي هذا دعوة لهم إلى أن يقولوا الحقّ فيما يستفتون فيه، وألاّ

يميلوا مع هواهم إذ لا مصلحة لهم ـ في ظاهر الأمر ـ أن يقولوا غير الحقّ في أمر ليس لهم شأن فيه.

وفيه تقرير لمشهد من مشاهد المناظرة في البعث والجزآء الاخرويين بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ ومشركي مكّة أو حكاية مواقفهم وأقوالهم والرّدّ عليهم، والسّؤال الّذي أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بتوجيهه إليهم فيه قوّة وإلزام، فالسّموات والأرض وما بينهما من الملآئكة والشّياطين... كلّ هذه قد خلقها الله تعالى كلّها في تصرّفه المطلق، والّذي خلق كلّ هذا الخلق العظيم قادر من باب أولى عليهم وهم أضعف من أيّ منهم، ومن دون ريب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ قدنفذ أمر ربه، فقذف الكفّار مواجهة بالرّدّ العنيف من غير مبالاة بهم، وهم الأكثر عدداً والأشدّ قوّة، حيث تتجلّى بذلك قوته المعنويّة وموقف الإستعلاء الّذي يشعر به بالنّسبة لهم.

وفيه إثبات المعاد وردّ إستحالته، وذلك إن استحالة ذلك إمالعدم قابليّة المادة وما دونهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضمّ الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان للإنضمام بعد، وقد علموا أنّ الإنسان الأوّل إنّما تولّد منه، وإمّا لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصّة آدم عليه السّلام وشاهدوا تولّد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة، فلزمهم أن يجوّزوا إعادتهم كذلك، وإمالعدم قدرة الفاعل، ومَن قدر على خلق هذا الكون وما فيه ممّا يراه الإنسان وما لايراه قدر على مالا يعتدّ به بالإضافة إلينا، سيّما ومن ذلك بدؤهم أوّلاً وقدرته ذاتيّة لا تتغيّر.

وقوله تعالى: «أمّن خلقنا» من السّموات والأرض وما بينهما من الملائكة حفظة الوحي ورماة الشّهب، ومن الكواكب والنجوم، ومن الإنس والجنّ والشّياطين، ومن المخلوقات العظيمة والجبال والبحار... والتّعبير بلفظ اولى العقل: «مَن» للتغليب أو غير العاقل بمنزلة العقلاء وفي اقتصار الفاعل من غير ذكر متعلّق الخلق إكتفاء ببيان ما تقدّمه، فكأنه تعالى قال: أم من خلقنا من غرائب المصنوعات وعجائبها...

وقوله تعالى: «إنا خلقناهم...» هذا هو الفارق بينهم وبين ما سواهم من السمآء

والأرض وما فيهما وبينهما، وهذا إخبار من الله عزّوجلّ أنه خلقهم من طين لازب، وذلك إن الله خلق آدم من طين، وأن هؤلاء نسله وذرّيته، فكأنهم خلقوا من طين.

وفيه ردّ وتوبيخ وتبكيت على إنكار منكرى البعث والحساب والجزآء بأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة، ولم يصعب عليه إختراعها كان خلق البشر بعد موته عليه أهون، أنّ الّذي خلق آدم وحوآء من طين لازب هو الّذي يقدر على خلق الموتى بعد موتهم، وإحيائهم بعد موتهم، فمن أين يستنكرون أن يحيوا بعد الموت كما قالوا: «أ إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً...»

١٢ - (بل عجبت ويسخرون)

خطاب من الله جلّ وعلا لرسوله صلى الله عليه وآله وسلمّ بأنّك تعجب أن تستفتي قوماً لا يؤمنون بالله تعالى ولا يستمعون لرسوله صلى الله عليه وآله وسلمّ فكيف تستفتيهم؟ وكيف تتلقى كلمة الحقّ منهم؟ وهم لم يقولوا الحقّ بعد! ويحقّ لك أن تكثر التعجّب منهم إذ بلغ من عنادهم ولجاجهم، ومن مكابرتهم وجحودهم، ومن تصاممهم وإصرارهم على إنكارهم التّوحيد والبعث، وأن يسخروا من مقالك ومن إهتمامك باقناعهم في وجوب تسليمهم بالتّوحيد والنظر في دلائله وآياته الدالّة على وحدانيّة الله وربوبيّته، وعلى البعث والجزآء والإعتقاد بهما، ويحقّ لك أن تعجب من استهزائهم بدعائك إيّاهم إلى الله عزّوجلّ.

وليس عجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ إنكاراً - وحاشاه - لأمر ربّه تعالى، وإنّما هي مشاعر تقع في نفسه صلى الله عليه وآله وسلمّ من هذا الموقف الّذي يلقى فيه المشركين مستفتياً... إنّه أمر عجيب ولكنّه أمر الله جلّ وعلا فلا بد من الإئتمار به، فقال كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ من هذا الموقف عجب، وكان من المشركين سخرية!! فهؤلآء الضالّون قد دُعَوا إلى أن يجلسوا مجلس الفُتيا، وهم ليسوا أهلاً لها، حتّى لقد عجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمّ من أن يُدعى المشركون إلى هذا المقام، ولكنّ هؤلاء الضّالّين لم يقبلوا هذه الكرامة، فلم يقولوا الحقّ، وأبوا إلّا أن يكونوا في ملعب الصبيان يصخبون، ويسخرون!!

١٣ ـ (وإذا ذكروا لا يذكرون)

بيان لدأب المشركين وديدنهم بأنّهم قست قلوبهم وضلّوا وبلغت ضلالتهم إذا وُعِظوا لا تنفعهم العظة، فلايتذكرون ولا يقبلون النّصح من أحد لأنه قدران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فماذا تفيد العبر أو تجدى الذكرى مع قوم هذه حالهم؟

١٤ ـ (وإذا رأوا آية يستسخرون)

تقرير لصفة أُخرى من صفات المشركين بأن صاردأبهم سخرية الحقّ بحيث كانوا يرون الحقّ نفسه سخرية، فيستهزؤن بها، ويبالغون في سخريته، فإذا رأوا آية من آيات الله الكونية أو سمعوا آية من آياته القرآنية يبالغون ويشتدّون في سخريتها ويستكثرون منها، ويجتمعون جماعات على مجالسها، فلاتفيد معهم البراهين الضروريّة ولا المقدّمات الوعظية، ولا المعجزات الدالة على التّوحيد والرسالة، وعلى البعث والحساب والجزآء فلا شيء لديهم إلّا الإسترسال مع الغرور والإصرار على الجهل والغفلة، وعلى السفه والضلالة، ولا جدوى من وعظهم وإرشادهم، ولا من ايراد البيّنات والدلائل...

وفي الآية الكريمة مبالغة في ذمّهم، وغاية جهلهم وشديد غفلتهم عن النظر في دلائل الحقّ والهدى وفيها إشارة إلى تلك الآيات الّتي عرضتها الآيات السّابقة مثل قوله عزّوجلّ: «ربّ السّموات والأرض ـ ولهم عذاب واصب إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» ٥ـ١٠) فهذه كلّها آيات كونيّة يرى فيها ذوو الأبصار دلائل ناطقة بقدرة الله تعالى وبسطة سلطانه، ولكن المشركين كانوا يتخذون منها مادّة الهزء والسّخرية.

١٥ ـ (وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين)

بيان لعجزهم عن مقابلة الآيات الكونيّة والقرآنيّة والمعجزات بشيء وتشبّثهم عندئذ بكلّ حشيش، فلا كلام لهم حينئذ إلّا أن قالوا: هذه الآيات... سحر وتخييل وتمويه وخداع عوضاً عن ايمانهم بها، وفي إشارتهم إلى الآيات بلفظة «هذا» إشعار منهم أنّهم لايفقهون منها إلّا أنها شيء ما من غير زيادة، وهو من أقوى الإهانة

والإستسخار!

١٦ ـ (أ إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنا لمبعوثون)

حكاية مقالتهم السّخيفة وإستشكالاتهم الواهية ومبالغتهم في السّخرية، ولا سيّما في هذه الحال لتكرار الإستفهام الإنكاري في الآية الواحدة بأنّهم يتقوّلون: كيف تعود الحياة مرّة أُخرى إلى الأموات؟ إذ كيف ترجع تلك الأجسام الّتي صارت تراباً أو تلك الّتي ما تزال عظاماً؟ كيف ترجع إليها الحياة مرّة أُخرى؟ كيف هذا والإنسان إذا فسد عضو من أعضائه وهو حيّ لا يمكن إصلاحه...؟ فكيف بهذه الأعضآء... وهي الإنسان كله وقد صارت تراباً وعظاماً! أيقوم منها هذا الإنسان إلى الحياة مرّة أُخرى! وقد خصّصوا بعض ما ينكرون ممّا يدعيه من الحشرو البعث بأنالو تقبّلنا منك بعض ما تقول وإن كان فيه ما يَدهَش العقول... ولكن لا نتقبل منك تلك المقالة، وهي إحيآء الأجسام الّتي صارت تراباً، وإحيآء العظام النخرة، فلا ينبغي لنا نوجّه النظر إلى مثل تلك الآرآء الّتي لا يقبلها العقل ولا يصل إلى مثلها الفكر!

فإنكارهم البعث مبنيّ على الإستبعاد، فمن المستبعد في وهمهم أن يموت الإنسان فيتلاشى بدنه ويعود تراباً وعظاماً ثمّ يعود إلى صورته الاولى!

١٧ ـ (أو آباؤنا الأوّلون)

تقرير لزيادة استبعادهم وعظيم تعجبهم، بأنّهم كانوا يستبعدون بعث أنفسهم وهم المتأخّرون، فكيف بعث آبائهم وهم أقدم منهم في الموت وصيرورتهم تراباً وعظاماً، فيكون بعثهم أبعدو أشدّ غرابة: فكأنّهم قالوا: لو فرضنا بعث الّذين ماتوا منّا ومن إخواننا أو أبنائنا أو آبائنا الأقربين لما صحّ فرض بعث آبائنا الأوّلين الّذين ماتوا منذمئات السنين أيبعث آباؤنا الأوّلون أيضاً؟ وهذا ممّا لا يصحّ فرضه ولا يعقل! كيف يبعث من عفت القرون آثاره وأصبح أشلاّء وهبآء؟ وهذا أغرب وأبعد من بعثنا لأنّ آبائنا أقدم منّا، فإذا كان بعثنا غريباً بعيداً فكان بعثهم أشد غرابةً وأكثر إستبعاداً.

وذلك أن في تكرار الإستفهام الإنكاري دلالة على أن استبعاد بعث آبائهم الأوّلين عندهم أقوى من استبعاد بعث أنفسهم، فكان الإنكار مبنياً على الإستبعاد، إذ لو كان مبنياً على انعدا مهم بالموت فتستحيل إعادتهم لكان الحكم فيهم وفي آبائهم على نهج واحد من غير حاجة إلى تكرار الإستفهام الإنكاري بالنسبة إلى آبائهم فتأمل جيّداً.

١٨ - (قل نعم وأنتم داخرون)

جواب عن شبهتهم تلك الواهية، وأسئلتهم المكذّبة المنكرة وعن إستبعادهم الخاطئ أنّه تحدٍّ لهذا الإنكار وإهدار له، ولهذا كان الجواب «نعم» وكأنّه جواب عن سؤال يريد به صاحبه أن يعرف الحقيقة، وينشد المعرفة...

قوله تعالى: «وأنتم داخرون» غاية تحقير ونهاية تذليل لهم أي أنتم صاغرون أذلّاء، مهانون مقهورون أمام القدرة البالغة، لا تملكون من أمركم شيئاً، وهذا في الحقيقة احتجاج بعموم القدرة ونفوذ إرادة الله جلّ وعلا من غير تأخير ولا مهلة، فإنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ولذاعقّبه بقوله تعالى: «فإنّما هي ...»

وفي الآيات الثّمان: (١١-١٨) بيان مشهد من مشاهد المناظرة في القدرة الكاملة لله جلّ علا مقدّمة لإثبات البعث والحساب والجزآء، وموقف من مواقف الكفّار وأقوالهم والرّدّ عليهم.

١٩ - (فإنّما هي زجرة واحدة فإذاهم ينظرون)

تقرير لكيفية البعث فجأة وعلى غير إنتظارتوقع له، وسهولة ذلك أمام قدرة الله جلّ وعلا، فلا تستصعبوا البعث فانّما يكون بصيحة واحدة بالنّفخ في الصّور، فاذاً النّاس قيام من مراقدهم أحيآء ينظرون إلى ما كانوا يوعدون به من قيام السّاعة.

الفآء لإفادة التعليل، والجملة تعليل لقوله عزّوجلّ: «وأنتم داخرون» وفيه تهديد، وقد سمّيت الصيحة المفزعة أو البعث زجرة وهي صوت البعث الّذي يفزع له أهل الكفر والطغيان، وأهل الشرك والعصيان لأن مقصودها الزجر أي يزجر بها كزجر الإبل والغنم والخيل بالصياح عليها عند السوق، فانّها تزجر الموتى عن الرقود في

القبور وتحثهم على القيام منها يوم القيامة للحضور، وفي التّعبير عن الزجرة إشعار بإهانتهم وتحقيرهم وإستذلالهم.

وقوله تعالى: «ينظرون» كناية عن يقظتهم وتنبّههم لما حولهم حين يدعون من قبورهم.

٢٠ ـ (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدّين)

مستأنف بياني أي قالت الرؤسآء أو القرنآء للأتباع من منكرى البعث والجزآء، معترفين على نفوسهم بالكفر والطغيان، ومقرّين بالحقّ، ونادمين على ما ذهب عنهم من الفرصة حين قاموا من مرقدهم، وأخذتهم تلك المفاجأة غير المنتظرة، فهم لا يجدون إلّا الإعتراف بالشرك والعصيان، وصرخات الويل تقطع سكون هذا الصمت الرهيب الّذي اشتمل عليهم: يا هلاكنا ويا ضياعنا!! فهم عندئذ مدهوشون، مبهوتون متفكّرون ثمّ يتنبّهون بكونه يوم البعث، يوم الحساب ويوم الجزآء وهم يحذرون منه بما كفروا وكذّبوا ولذا قالوا: يوم الدّين ولم يقولوا: يوم البعث. وفي ايثار الماضي: «قالوا» دلالة على التّحقق والتّقرّر لا محالة.

قوله تعالى: هذا يوم الدّين» تعليل لدعآئهم بالويل على أنفسهم بطريق الإستئناف البياني، هذا هو الخبر الّذي يطلع عليهم، وهم ينادون بالويل، و هو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة على وجه التنبيه على عظم الحال، ينادون ولا يدرون أين هم؟ ولا ماذا يراد بهم؟ إنه يوم الدّين، يوم الحساب ويوم الجزآء.

٢١ ـ (هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون)

هذا كلام الله جلّ وعلا أو كلام الملائكة إخباراً من الله تعالى عن حال منكرى البعث والجزاء جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع: هذا يوم القضآء بينكم وبين المؤمنين الّذي كنتم في الحياة الدّنيا مصرّين على إنكاره وتكذيبه. وفي خطاب منكرى البعث من دون ذكر المخاطِب تخويف وتحقير وإذلال وإهانة لهم بانّهم بلغوا من الإنحطاط ما لا يليقون يومئذ أن يخاطبهم الله جلّ وعلا والملآئكة...

٢٢ ـ (احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون)

تقرير لما يأمر الله تعالى يوم القيامة ملائكته المتولّين لسوق الكفّار إلى النار فانه جلّ وعلا يقول للملائكة: احشروا صنوف الظالمين، ومَن كان على شاكلتهم في الظلم والطغيان أو قرناؤهم من الشياطين، والطواغيت الّذين كانوا هم يعبدونها من دون الله زيادة في تحيّرهم وتحسيرهم وتخجيلهم. والتعبير بالماضي: «ظلموا» يفيد فائدة الوصف وإستمراره إلى يوم الحشر، فليس المراد بالّذين ظلموا مَن ظلم ظلماً ما ولو مرّة واحدة، بل تعريف لهم بحاصل ما اكتسبوا في حياتهم الدّنيا كما لو قيل: ماذا فعل فلان في حياته؟ فتقول: ظلم، فالفعل يفيد فائدة الوصف مع أن في المقام من تعليق الحكم على الوصف للإشعار بعلّيّة الوصف في الحكم مالا يخفي على الأديب الأريب.

٢٣ ـ (من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم وزيادة تأنيب، وزيادة في النكاية بهم، والازدراء بشأنهم إذ كانوا في الدّنيا يزدرون المؤمنين ويتقمحونهم، ولعلّ تسميّة ذلك بالهداية سخريّة واستهزآء بهم كما كانوا هم يستسخرون ويستهزؤن بيوم البعث والجزاء بأنّهم لمّا أبوا أن يقبلوا الهدى إلى الحقّ والخير في الدّنيا فهم سيقبلون الهدى في الآخرة ولكن إلى عذاب الجحيم حيث يسوقهم الملائكة سوقاً إلى هذا المورد الوبيل.

وفي المجمع: إنّما عبّر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلاً من الهداية إلى الجنّة كقوله تعالى: «فبشّرهم بعذاب أليم» آل عمران: ٢١) من حيث أنّ هذه البشارة وقعت لهم بدلاً من البشارة بالنّعيم.

٢٤ ـ (وقفوهم إنّهم مسئولون)

أمر ربّاني للملائكة بتوقف منكري البعث والجزآء مواقف الأشهاد، وكشف الأسرار على طريق الجحيم قبل أن تفتح لهم أبوابها ويُلقوا فيها، إذ لابدّ أن يحاسبوا قبل ذلك، وأن يسئلوا عمّا أجرموا وهو حساب عسير لا يقلّ هولاً عن عذاب الجحيم.

وقوله تعالى: «إنّهم مسئولون» تعليل للأمر بتوقيفهم، فهم مسئولون على وجه التّقرير لهم والتّبكيت والتّوبيخ بهم. وإنّ الآية الكريمة قوية نافذة من شأنها إثارة

الخوف والرهبة في السامع وحمله على التّراجع وهو ممّا إستهدفته.

٢٥ ـ (مالكم لا تناصرون)

هذا مسئول عنه توبيخاً لهم بالعجز عن التّناصر و تعنيفاً وإذ لا لألهم وإستهزاءً وتقريعاً وتهكّماً بهم، فهم يسئلون سئوال السّخرية والتّحدي عن سبب عدم تناصرهم كما كانوا يفعلون في الحياة الدّنيا، فلا يكون جوابهم إلاّ الإستكانة والإستسلام.

٢٦ ـ (بل هم اليوم مستسلمون)

تقرير لعجزهم على التّناصر والتّدافع عن أنفسهم، فلا يجد الظالمون المستكبرون جواباً عن السّئوال إلّا أنّهم جميعاً ـ العابدين والمعبودين ومَن على شاكلتهم ـ كلّهم مستسلمون، صاغرون أذلآء لا يملكون لهم شيئاً، فهم منقادون لعجزهم على التناصر، فليسوا منقادين في موضع القدرة، ولذلك لهم إستسلام عندئذ لا التّسليم كما زعمه بعض المعاصرين، فهم يومئذ مستكبرون في باطنهم كما كانوا مستكبرين ظاهراً و باطناً في الدّنيا، وإن كان السّئوال عن عدم تناصرهم ـ مآلاً ـ سئوالاً عن سبب الإستكبار الّذي كانوا عليه في الدّنيا.

٢٧ ـ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

إخبار من الله تعالى إن كلّ واحد من الظّالمين والتّابعين والمتبوعين يقبل على صاحبه الّذي أغواه، فيقول له على وجه التّأنيب والتّعنيف: لِمَ غرّرتني ؟! و يقول ذلك له: لِمَ قبلتَ منّي ؟! تساؤل توبيخ ومجادلة ومخاصمة وملاومة ومعاتبة بعضهم بعضاً، وكلّ واحدٍ صاحبه. وفي إيثار الماضي: «أقبل» دلالة على تحقّق الوقوع لا محالة.

٢٨ ـ (قالوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين)

مستأنف بيانيّ وقع جواباً عن سئوال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنّه قيل: كيف تساولوا؟ فقيل: قالوا الأتباع للرؤسآء أو الكلّ للقرنآء: إنّكم كنتم تزينون لنا الحجود والغواية، وتصدّوننا عن الهدى. وفي قولهم: «إنّكم كنتم ...» إشارة إلى أنّ قادتهم هؤلاء كانوا يأتونهم من جهة اليمين أي من جهة الهدى، فيحولون بينهم وبين سلوك

هذا الطريق، ويدفعون بهم إلى طرق الضلال. ويحتمل أن يكون الا تيان عن اليمين كناية عن جهة النصح والارشاد، حيث كانت جهة اليمين جهة اليُمن، والإستبشار ولكنّه نصح إلى ضلال وإرشاد إلى هلاك.

وفي «اليمين» وجوه أُخَر: أحدها ـ أنّ اليمين الجارحة إستعارة لجهة الخير إذ الجارحة أشرف العضوين وأيمنها، وكانوا يتمنّون بها حتّى في السّانح، ويصافحون ويما سخون ويناولون ويزاولون بها أكثر الامور، ويباشرون لها أفاضل الأشيآء وجعلت لكاتب الحسنات ولأخذ المؤمن كتابه بها والشمال بخلاف ذلك. ثانيها ـ إستعارة للقوّة والشدّة فانّها يقع بها البطش، فالمعنى: إنّكم تعروننا بقوتكم وتحملوننا على طريق الضلال. ثالثها ـ كناية عن جهة الشّهوات، فانّ جهة اليمين هي الجهة الثقيلة من الإنسان، وفيها كبده وجهة شماله فيها قلبه، ومكره وهي أخف والمنهزم يرجع على شقّة الأيسر إذ هو أخفّ شقّيه.

رابعها ـ كناية عن جهة التّمويه والإغوآء فكأنّهم شبهوا أقوال المغوين بالسّوانح الّتي هي عندهم محمودة كأنّ التّمويه في إغوآئهم أظهر مايحمدونه. خامسها ـ إستعارة عن الحلف فإنّهم يحلفون لهم ويأتونهم إيتان المقسمين على حسن ما يتبعونهم فيه.

٢٩ ـ (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين)

تقرير لردّ المتبوعين الرؤساء على تابعيهم الجهلاء بأن الأمر ليس كما قلتم، وفيه دفع لهذا الإتهام الّذي إتهموهم فيه، وردّ عليهم بثلاث أجوبة: أحدها ـ تبرئة المتبوعين أنفسهم من إغواء التّابعين وإضلالهم، وأن كفركم وطغيانكم وضلالكم مستند إلى سؤ إختياركم: «بل لم تكونوا مؤمنين» أي لم نجدكم مؤمنين حتّى صرفناكم عن الإيمان، فنحن لم نحملكم على الكفر، فلم نكن نحن السّبب الموجب لكفركم وتجريدكم من الإيمان. ثانيها:

٣٠ ـ (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين)

لو سلّمنا أنّه كان لكم إيمان أو كنتم تريدونه، وأردنا إغوآئكم، وزيّنّا لكم الكفر والطّغيان ولكن ما كان لنا عليكم من سلطان حتّى نسلب منكم الإيمان، ونجرّدكم

منه أو نسلب منكم إختيار الإيمان، فنقهركم على الكفر والطغيان، إذ لا سلطان لأحد على القلوب والضمآئر، حيث هي مستقر الإيمان ومستودعه ثالثها: بل كنتم أنتم منحرفين عن طريق الحقّ والهدى بسوء إختياركم، وكنتم أهل بغي وعناد ولجاج، مع أن سلطان الرؤسآء المتبوعين إنّما هو بالسفهآء التابعين فهم الّذين يعطونهم القدرة والسلطة والقوّة فيتسلّطون بها عليهم أنفسهم. قال: «مؤمنين» ولم يقل: «مسلمين» تنبيهاً إلى أن سبب النجاة هو الإيمان لامجرد الإسلام.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «بل كنتم قوماً طاغين» إضراب عن قولهم: «لم تكونوا مؤمنين» كأنه قيل: ولم يكن سبب هلاككم مجرّد الخلوّ من الإيمان بل كنتم قوماً ضالّين طغاة غير مصدّقين في قرار نفوسكم، ولم يكن لنا عليكم سلطان قاهر لو استجبتم، ولم نكدنقف موقف الصدّ والغواية حتّى تابعتمونا، فتعاضدنا جميعاً على ترك سبيل الحقّ والهدى واتّخاذ سبيل الباطل والضلال.

٣١ ـ (فحقّ علينا قول ربّنا لذائقون)

تعليل لما سبق ونتيجته، على طريق الإلتفات من الخطاب إلى التّكلّم. والأصل: انّكم لذائقون عذابي، ثمّ عدل إلى التّكلّم لأنّهم تكلّموا بذلك عن أنفسهم. فهذه من الجمل المحكية الّتي وقعت بعد القول ما قديخفى. ومن المحتمل أن تكون الجملة من كلام المضلّين. أي ولقد وجب علينا المضلّين حكم الله تعالى ووعيده بالسخط والعذاب، فنحن وأنتم ـ التابعون الجهلة والمتبوعون الطاغية ـ جميعاً ذائقون مرارة أعمالنا، وفساد عقيدتنا وعذاب ضلالنا...

٣٢ ـ (فأغويناكم إنّا كنّا غاوين)

تعليل لما وجب عليهم العذاب، على سبيل التّقرير لإعتراف الرّؤسآء المتبوعين بغواية أنفسهم وضلالتهم، وبإغواء التّابعين وإضلالهم فالمعنى: نحن الغاوون ـ حسب مقتضى غوايتنا ـ قددعوناكم إلى الغواية والبغي والضّلالة بلا إكراه ولا إجبار لتكونوا أنتم أمثالنا لأنّ الطّيور على أشكالها تقع، والنّاس ومولعون بتكثير سوادهم، ومن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الأُمم كلّها يعلمون الامم لغاتهم

وعلومهم وتاريخهم ليكونوا على شاكلتهم وينتفعوا بهم، فاستجبتم لنا، فنحن وأنتم في الغواية سوآء فلا لوم لكم علينا، ولا لوم لنا عليكم.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «إنّا كناغاوين» تعليل للإغوآء بأنّ من دأب الغاوي إغوآء الغير، فللغير أن يجتنب عنه لئلاّ يغوى بإغوآئه. فاعترفوا بأمرين: أحدهما ـ أنّهم كانوا سبباً لاغواء أتباعهم... ثانيهما ـ انّهم كانوا من الغاوين.

٣٣ ـ (فإنّهم يومئذ في العذاب مشتركون)

مستأنف بيانيّ، تفريعاً على ما سبق، وتقريراً لإشتراك المتبوعين والتابعين في العذاب لإشتراكهم في الغواية، وإن كان للمتبوعين عذاب زائد للإغوآء ولكن الزيادة لا تنافي الاشتراك في أصل العذاب بالغواية، فكلٍ من التابع والمتبوع سعيه وجزاؤه من العذاب، ولن يغني الإعتذار والتنصل والتلاوم أحدهم شيئاً، وإن تلك المحاورات والمخاصمات والملاحاة الّتي تدور بين أهل البغي والضّلالة لا تغني عنهم شيئاً، فهم جميعاً مشتركون في العذاب كلّ بحسبه.

ولا يخفي على المتدبر الخبير أنّ الآيات: (٢٧-٣٣) قوية التّصوير، وفيها إثارة الخوف والإرعوآء في قلوب المجرمين الكفّار والظّالمين الفجّار التّابعين والمتبوعين، وفيها تنبيه التّابعين الّذين كانوا هم الأكثر في كلّ ظرف إلى أنّ الزّعمآء الّذين يتبعونهم لن ينفعوهم في الآخرة شيئاً.

٣٤ ـ (إنّا كذلك نفعل بالمجرمين)

تقرير لما سوف يحلّ بالمجرمين، وتأكيد لتحقيق العذاب على مَن أجرم وكفر بالله وضلّ عن سواء السّبيل: التّابع والمتبوع، وهذا عدل من الله جلّ وعلا على مقتضى سننه. وفي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف على الحكم مالا يخفى.

٣٥ ـ (إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون)

تعليل عذابهم وبيان نوع جرمهم الّذي إستحقوا به العذاب، وهو إستمرارهم على الإستكبار، تصاممهم على الشرك وتكذيب الحق. والمعنى: إنّا نعذّب المجرمين

لأنّهم كانوا يستكبرون وذلك أنّهم إذا دُعُوا إلى كلمة التوحيد: لا إله إلّا الله أبوا أن يستجيبوا واستكبروا أن يتلّقوا كلمة الحقّ. فهذا جرمهم ولم يقل: إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلّا الله. تنبيهاً إلى أنهم كانوا يستكبرون عن قول كلمة التوحيد والاعتراف بها، وعن استماعها. وفي الآية وتاليها صورة لما كان يقفه المشركون من دعوة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ومن شخصه أيضاً.

٣٦ ـ (ويقولون أ إنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

بيان للسّبب الّذي إمتنعوا من إستجابة دعوة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وتقدير لإنكارهم الرسالة بعد استكبارهم عن التّوحيد: أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم شاعر مجنون فلا نترك آلهتنا لأجله!

٣٧ ـ (بل جآء بالحقّ وصدّق المرسلين)

ردّ وتكذيب على المشركين، ولمقالتهم الواهية، وإضراب عن إتّهامهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّه شاعر مجنون، ببيان أن ماجآء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من التوحيد وهو الحقّ الّذي قام به البرهان، وأجمع عليه كافّة الرسل عليهم صلوات الله فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة؟ فليس هو بشاعر ولا مجنون ولا ماجاء به باطل، إنّما جآء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بالحقّ من ربّهم وصدّق المرسلين الّذين ارسلوا من قبله صلى الله عليه وآله وسلّم إذ دعا إلى توحيد الله جلّ وعلا كما كان ذلك دعوة كلّ رسول من رسل الله جلّ وعلا. وفي الآية الكريمة تثبيت لرسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وتأييد كتابه وتصديق الرسل الأوّلين، ودلالة على أنّ التّوحيد دين كلّ الأنبياء والمرسلين.

وفي وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنه مصدّق للمرسلين: «وصدّق المرسلين» إشارة إلى أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الشاهد الأمين الّذي يشهد لهم على الزمن، بصدق ماجاؤا به، فهو المجدّد لدعوتهم، المصحّح لما دخل عليها من شبهات وضلالات من أهلها، وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلّم كان مصدّقاً للرسل، كان كتابه القرآن الكريم الّذي تلقّاه وحياً من ربّه، مصدقاً للتوراة والإنجيل، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلّم هو خاتم الرسل، وكتابه جامعة الكتب فهو بهذا مصدّق لإخوانه الرسل من قبله، وكتابه مصدّق لما نزل عليهم من كتب.

ويلحظ في الحوار الّذي يجرى بين الكفّار والأقوال الّتي تقال لهم أنّها على أساس الفطرة الإنسانيّة، وأساليب خطابها ومشاهدها، وهذا طبيعي لأنه هو الأشدّ تأثيراً في الوعظ والإنذار والترغيب والترهيب وهو ممّا استهدفته الآيات: (٣٤-٣٩)

٣٨-(إنّكم لذائقوا العذاب الأليم)

تهديد أكيد للمشركين المستكبرين، و وعيد شديد لمكذّبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بالعذاب الأليم على طريق الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب لإظهار نهاية الغضب والمبالغة عليهم في العذاب كما أنّ في عدم ذكر المخاطِب فزعاً في قلوب المخاطبين أي ومن أجل الشرك والإستكبار وتكذيب الرسول و رمي الحقّ بالباطل سيقال لكم يوم القيامة أيّها المشركون: إنّكم ستلقون في نار جهنّم وتذوقون عذابها الأليم.

٣٩-(وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون)

مستأنف بيانيّ لسبب ذوق العذاب الأليم يوم القيامة كأنّه يقال: لماذا يذوقون العذاب الأليم؟ قيل: هذا هو الجزآء على أساس العدل، وهو نتيجة ما قدّموا من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة والأقول السّيئة من الشّرك والطّغيان، والكفر والعصيان، فليس في الجزآء عدوان ولا ظلم عليهم وإن كان أليماً بالغ الغاية في الايلام.

٤٠-(إلّا عباد الله المخلصين)

استثنآء منقطع من ضمير «ذائقوا» وما بينهما إعتراض جيئ به مسارعة إلى تحقيق الحقّ ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلّا من ناحيتهم لا من ناحية غيرهم أصلاً فالمعنى: إنّكم أيها المشركون لذائقوا العذاب الأليم بسبب شرككم واستكباركم وتكذيبكم ولكن عباد الله الموحّدين المخلصين ليسوا كذلك. و يجوز أن يكون الإستثنآء من ضمير «تجزون» أي ما يجزى النّاس إلّا بما كان لهم من عمل إلّا عباد الله المخلصين فانّهم يجزون أضعاف ما عملوا فيقبل الله منهم حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم فضلاً منه وإحساناً لقوله تعالى: «فاولئك لهم جزآء الضعف بما عملوا» سبأ: ٣٧) أمّا أصحاب النّار فيجزون بما

عملوا كيلاً بكيلٍ ولا يخفى على المتدبّر الخبير أن في الآية الكريمة - إلى قوله تعالى - لمثل هذا فليعمل العاملون» : ٤٠-٦١) وصف لما يكون من أمر الموحّدين المؤمنين يوم القيامة مقابل وصف ما يكون من أمر المشركين الكافرين في (٢٩) آية من قوله تعالى : «فاستفتهم - إلى - وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون» : ١١-٣٩) وفي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفي على الأديب الأريب وقد بدأت الآيات في المقام بحرف الإستثنآء ليعنى أن عباد الله المخلصين مستثنون من ذلك المصير الّذي حكى أنه سيكون بالنّسبة للمشركين. وأنّ اسلوب الآيات قويّ كسابقتها، ومن شأنها ترغيب السّامعين وحملهم على الإستجابة وإثارة الطمأنينة والغبطة في قلوب المؤمنين، وأنّ الوصف هنا كالوصف هناك مستمد من فطرة الإنسان ومألوفات النّاس وصور الحياة الدّنيا لأنّه أقوى على التّأثير.

٤١ -(اولئك لهم رزق معلوم)

مستأنف بيانيّ مبنيّ لما أفاده الإستثنآء إجمالاً بياناً تفصيلياً لما أعدّه الله تعالى لعباده المخلصين من أنواع النّعم ... إشارة إليهم ايذاناً بأنّهم ممتازون - كما أن رزقهم ممتاز من رزق غيرهم - بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادة الله جلّ وعلا ممن عداهم إمتيازاً بالغاً، منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة، ومعنى البُعد: «اولئك» مع قرب العهد بالمشار إليه: «عباد الله المخلصين» إشعار بعلوّ طبقتهم و بُعد منزلتهم في الفضل فلهم الرزق الوافر الممتاز الّذي لا يقدر قدره بنآء على أن الرزق المعلوم كناية عن إمتيازه.

٤٢ -(فواكه وهم مكرون)

تقرير للرزق المعلوم أي ومن ذلك الرزق فواكه، ولعلّ تخصيصها بالذكر أن أرزاق أهل الجنّة كلّها فواكه تؤكل للتلذذ دون الإقتيات لأنّهم مستغنون عن القوت.

وقوله تعالى: «وهم مكرون» يدلّ على إمتياز هذا الرزق أعنى الفاكهة ممّا عند غيرهم، وإمتيازهم من غيرهم، فهم يشعرون بالرعاية والعناية الخاصّة بهم ما ليس لغيرهم بأنّهم ينالون هذا الرزق الممتاز وهم في موضع الإحتفآء والتكريم والتبجيل الخاص الّذي يخصّهم قبال إختصاصهم بالله جلّ وعلا وكونه لهم لا يشاركهم فيه شيء.

٤٣ -(في جنّات النّعيم)

بيان لوصف مسكنهم الّذي يأتيهم فيه هذا الرزق الممتاز الخاص، وهذه الكرامة الخاصة بهم، بأنّهم يتنعّمون بأنواع النّعم في بساتين كلّها نعيم.

٤٤ـ(على سرر متقابلين)

تقرير لحال من أحوالهم وهيئة جلوسهم وهم في هذا المنزل الكريم على سرر يواجه فيها بعضهم بعضاً، و يأنس بعضهم إلى بعض، و يستمتع بعضهم بالنّظر إلى وجوه بعض، فيتلاطفون حيث يجلسون متقابلين على الأسرة.

٤٥ـ(يطاف عليهم بكأس من معين)

إشارة إلى خدّامهم و وصف شرابهم، وفي عدم ذكر المطيف تنبيه إلى غاية حسنه و بهجة جماله، وهو الممتاز من سآئر المطيف، كما أنّ ذكر الظّرف: «بكأس» من دون ذكر المظروف إشارة إلى أنّه ممتاز من غيره، فيحمل الغلمان الممتازون إلى عباد الله المخلصين الممتازين كؤوساً ممتازة فيها ألوان الشّراب الممتازة الّتي لا تنقطع ولا تفرغ. وقد سميّت الخمر نفسها كأساً تسميّة الشّيء بإسم محله.

٤٦ـ(بيضآء لذّة للشّاربين)

وصف لشراب عباد الله المخلصين في الجنة الّتي كلّها نعيم، فهي بيضآء صافية، ببياضها وصفائها تلذّ النّاظر إليها، وتملأ عينه بهجة وحبوراً، ولم يذكر الشّراب لأنّها شراب ممتازة لأصحابها الممتازين، وفي وصفها بلذّة ـ مصدر ـ مبالغة في لذّتها لأصحابها كأنّها نفس اللذّة.

٤٧ـ(لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)

جمع بين صفة الخمر الّتي يشربونها، وصفة شاربيها، فهي من شأنها أن تمسّك شاربها عليها، لطيبها وحسنها ولذّتها، وهم بما أودع الله تعالى فيهم من قوىً يتقبلون هذا النعيم، فلا يزهدون فيه أبداً، ولذلك خصّ هذا الوصف: «ولا هم عنها ينزفون» بالذكر لأنه أعظم المفاسد في شرب الخمر، وفي الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيئ والبول، فنزّه الله تعالى خمر الجنّة عن تلك الخصال. وفيه تعريض بخمور الدّنيا. وقدّم المسند: «فيها» على المسند إليه: «غول» لقصر المسند إليه على المسند أي ليس في خمر الجنّة غول بخلاف

خمور الدّنيا، فعدم الغول مقصور على إلا تصاف بفي خمور الجنّة أو على الحصول فيها، لا يتجاوزه إلى إلا تصاف بفي خمور الدّنيا أو الحصول فيها.

٤٨ـ (وعندهم قاصرات الطّرف عين)

بيان لمحاسن زوجاتهم و وصف منكوحاتهم من الحور الّتي يرزقونها أو فتيات عفيفات جميلات، حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غير أزواجهنّ لغاية حسنهم عند هنّ، فهنّ واسعات العيون في جمال، وغاضات الأنظار. والتعبير كناية عن نهاية العفاف والطهر في **تلخيص البيان** للسّيد الشّريف الرضي رضوان الله تعالى عليه في الآية الكريمة قال: «وهذه إستعارة والمراد بقاصرات الطرف ههنا اللواتي جعلن نظرهنّ مقصوراً على أزواجهنّ أي حبسن النّظر إليهم، فلا يتعدينهم إلى غيرهم، وجيئ بذكر الطرف على طريق المجاز، وإلّا فحقيقة المعنى أنهنّ حبسن الأنفس على الأزواج عفّة وديناً وطلقاً (طهراً خ) وصوناً، وإنّما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر الطرف لأنّ طماح الأعين في الأكثر يكون سبباً لتتبع النّفوس وتطرب القلوب وعلى هذا قول الشاعر:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

والطرف ههنا واحد في تأويل الجمع (الجميع خ) ونظيره قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» أي أسماعهم أو مواضع اسماعهم أو مواضع إستماعهم» انتهي كلامه ورفع مقامه.

٤٩ ـ (كأنّهنّ بيض مكنون)

زيادة بيان في وصف جمال أزواج عباد الله المخلصين، وصفاء ألوانهن بما شبههن به بأنّهن بيضاوات كأنهنّ البيض المكنون المصون عن الابتذال المستور المحفوظ من الغبار والريح تحت أجنحة الطير، فهو باق على بياضه ونقائه، شُبّهنَ ببيض النعام المصون المستور بريشه لا يصل إليه غبار ونحوه في الصفآء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، وهذا من أحسن ألوان النسآء بأن تكون المرأة بيضآء مشوبة بصفرة، فكنّ في غاية الحسن والجمال، وبها تشبه العرب النّسآء، وتسميّهنّ ببيضات الخدور. والبيض قد يطلق مجازاً على حباب اللّؤلؤ الكبيرة.

٥٠ ـ (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

بيان لرباط عباد الله المخلصين بعضهم ببعض في الجنّة، بعد أن نزلوا منازل التكريم فيها، واطلاعهم عن أحوالهم، ومقاولاتهم ومحادثاتهم في المعارف والفضائل، وماجرى لهم وعليهم في الحياة الدّنيا، فانه ألذّ اللذّات، وما بقيت من اللذّات إلّا أحاديث الكرام على المدام، أو وما بقيت من اللذات إلّا محادثة الرجال ذوي العقول فليسوا منفردين غير خبراء عن أحوال أمثالهم... فكما أقبل أصحاب النّار بعضهم على بعض يتسآءلون: ٢٧) كذلك **أقبل أصحاب الجنّة** بعضهم على بعض يتساءلون... ولكن شتّان بين تساؤل وتساؤل، وحديث وحديث! إنّه هناك كان إختصاماً وإتهاماً وكان تراميأ بالشناعات واللعنات، وأما هنا حديث الأحبّآء الأصفيآء يتساقون به كئوس المودّة والإخآء، فيتحدّثون فيها عمّا كانوا يعانون في الدّنيا، ويخبر كلّ صاحبه بما أنعمه الله تعالى عليه في الجنّة.

٥١ ـ (قال قآئل منهم إنّي كان لي قرين)

تقرير لبعض ما يتحدّث به أهل الجنّة بعضهم إلى بعض حيث يقبل بعضهم على بعض يتجاذبون الحديث، فيذكر أحدهم قريناً ظاهراً كان له في الدّنيا يختصّ به من النّاس. وفي تنكير «قرين» دلالة على أنّه كان متظاهراً على الرفاقة، ولكن المخلص يتنكّر ولا يتخذه له رفيقاً.

٥٢ ـ (يقول أ إنّك لمن المصدّقين)

تقرير لمقالة القرين السّوء على طريق التّهجين والإنكار يسئله سئوال السّاخر المستكبر عمّا إذا كان يصدّق ما يدعوه النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم إليه، فيصغى أهل المجلس إلى هذا الحديث، وما كان من شأن هذا الصاحب مع صاحبهم هذا، وممّا يحدّث به صاحبهم هذا أن يشككه في أمر البعث:

٥٣ ـ (أ إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنّا لمدينون)

على طريق الإستبعاد والإستنكار، حيث إنّ التّشكيك في أمر البعث أبلغ في النفي من أن يقول: لا نبعث ولا نجازى. فكان القرين السّوء يشككه في أمر البعث، وأن يكشف له

عن إستحالته بما يضرب له من أمثال في هذه العظام البالية، وهذا التراب الّذي صارت إليه العظام، وأن لبسها الحياة بعد هذا، أمرلا يصدقه عقل ولا يقبله عاقل! إنه كان يراود صاحبه على أن يترك هذا المعتقد الّذي يعتقده في البعث والحساب والجزآء، و يقول له ما كان يتردد على ألسنة أهل الشّرك :

حياة ثمّ موت ثمّ بعث؟ حديث خُرافةٍ يا أمّ عمرو!

فهذا الإستفهام الّذي كان يُلقى به هذا المشرك إلى صاحبه هذا، هوإستفهام المنكر السّاخر، على سبيل التّشكيك الّذي هوأبلغ في نفي البعث مرّة.

٥٤ ـ(قال هل أنتم مطّلعون)

بيان لما يقول هذا القائل لجلسائه من أهل الجنّة على وجه عرض قرينه عليهم مخاطباً لهم: «هل أنتم مطلعون» إلى أهل النّارلأُريكم ذلك القرين السّوء كان لي في الدّنيا، حتّى تروه والحال الّتي هوفيها، فتعلموا أين منزلتكم من منزلته؟ لتحمدوا الله جلّ وعلا على أن عصمكم الله تعالى من مثل حاله، و وفقكم إلى العمل بما أرشده إليه أنبيآءه فيزيدكم سروراً؟

٥٥ ـ(فاطلع فرءاه في سوآء الجحيم)

إشارة إلى عدم إجابة الجلسآء له لعلل . . . فيقولون: لا لأنّا لا نحبّ أن نرى سواد وجه قرينك في نارجهنّم، فإذاً اطلع ذلك القآئل وألقى بنظرة من بعض كوى الجنّة إلى حيث النّاروأهلها، فرآى قرينه السّوء في وسط النّار يأخذ مكاناً متمكّنا منها، وقد كان ذلك القرين السّوء داعية من دعاة السّوء ورأساً من رؤوس الكفريتلظى بحرّها وشدة لهيبها.

٥٦ ـ(قال تالله إن كدت لتردين)

تقرير لمقالة المؤمن بعد أن أشرف على قرينه السّوء ورؤيته في وسط النار، فيخاطبه مؤنباً مبكتاً وموبجاً له على أنّه كان يشككه في أمر البعث والحساب والجزاء تشكيكاً يوجب الكفر المؤدّي إلى الهلاك والنّار: تالله إنّك لقد كدت تهلكني بتشكيكك في أمر البعث ودعائك إيّاي إلى إنكاره لوأطعتك! فلا يجد صاحبه ما يقوله لصاحبه إلاّ أن يتبرّأ منه في الآخرة كما تبرّأمنه في الدّنيا.

٥٧ـ(ولولا نعمة ربّي لكنت من المحضرين)

بيان لشكر المؤمن المخلص لله تعالى على ما وفّقه لنعمة الإسلام وأرشده إلى الحقّ وهداه إلى صراط مستقيم، وعصمه عن الباطل والضلالة، مع زيادة توبيخ لقرينه السوء: لولا نعمة ربّي عليّ بالإيمان والهداية، ولولم تتداركني رحمة الله جلّ وعلا وإحسانه، فاتبعتك وأخذت طريقك الضلال لكنت من المحضرين معك في النّار فأُقاسي ما تقاسي.

٥٨ـ(أفما نحن بميّتين)

الإستفهام إستفهام تقرير وتلذّذ وتحدّث بنعم الله تعالى على عباد الله المخلصين من تأبيد الحياة وخلود الجنّة، وعدم التعذيب. والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه نظم الكلام أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميّتين ولا معذّبين. هذا رجوع إلى محاورة جلساء المؤمن المخلص بعد إتمام الكلام مع قرينه، إبتهاجاً بما أتاح الله تعالى لهم من الفضل العظيم والنّعيم المقيم وتقرير لتساؤل المخلصين النّاجين تساؤل الفرح عما إذا كانوا حقاً لن يموتوا بعد الآن ولن يتعذّبوا، فانّهم إنتهوا من الموت وسكراته، ومن الحساب وآفاته، وهم في أمن وأمان من الخوف والفزع والعذاب أبداً.

٥٩ـ(إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين)

الإستثناء داخل في عموم المستفهم عنه وهو الموت أي فلا نموت إلّا هذه الموتة الاولى الّتي بعثنا منها، وفي نفي العذاب عنهم إيماء إلى استمرار النعم، وعدم خوف زوالها فإنّ خوف الزّوال نوع من العذاب. ففي الآية الكريمة بيان أمرين: أحدهما ـ ما يجد أصحاب الجنّة من نعيم عظيم، لم يقع في تصوّراتهم ولم يَطُف بخيالهم... فهم يتمنّون الخلود فيه، وقد وعدهم الله تعالى الخلود فيها. ثانيهما ـ مايراه أصحاب الجنّة من عذاب يلقاه أصحاب النّار، وقد أمّنهم الله عزّوجلّ منه.

٦٠ـ(إنّ هذا لهو الفوز العظيم)

تقرير لكلام عباد الله المخلصين فيما بينهم إذ يهتفون مغتبطين مسرورين: ألا إنّ هذا لهو الفوز العظيم. ولا يبعد أن يكون هذا جواباً يجيب به هذا المتحدّث إلى أصحابه على ما كان يسئلهم هو عنه في قوله: «أفما نحن بميّتين...» إنّه تجاهل العارف لما يعرف ليزداد

يقيناً بما عرف واستيقاناً منه، ولهذا فهويسئل وهويجيب: «إنّ هذا لهو الفوز العظيم» فأيّ فوز أعظم من الظفر برضا الله جلّ وعلا والخلود في جناته، وفيه إعظام لموهبة الخلود وإرتفاع العذاب وشكر النّعمة.

٦١ـ(لمثل هذا فليعمل العاملون)

تعقيب على الحديث الّذي كان بين أصحاب جنّات النعيم من عباد الله المخلصين، وما يكشف منه من هذا المقام الكريم، وهذا المنزل الطيب الّذي ينزله المؤمنون بالله جلّ وعلا و برسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وكتابه و باليوم الآخر. ولا يبعد أن يكون تمام حكاية كلام المؤمن المخلص القائل، ترغيباً إلى ما فيه إغتباط، و بياناً لحسن عاقبة المؤمنين وثواب أعمالهم، وهتافاً بالسامعين أنّ لمثل هذا المصير الكريم فليعمل من أراد العمل.

٦٢ـ(أذلك خيرنزلاً أم شجرة الزّقّوم)

خطاب من الله جلّ وعلا للمشركين المستكبرين، ولأهل الكفر والضّلال، على طريق السّئوال التبكيتي والتقريعي عما إذا كان النّعيم الّذي أعدّه الله تعالى لعباده المخلصين من خيرنزلاً ـ ممّا يعدّ للضيف وغيره من الطعام والشراب ـ أم شجرة الزقوم الّتي أعدّها الله عزّوجلّ لعذاب الظالمين. وأنّ المشار إليه هوهذا النعيم الّذي ينعم فيه أصحاب الجنّة... أي أيّ خير: أهذا المنزل الكريم، والنّعيم العظيم الّذي يلقاه أهل الجنّة...؟ أم شجرة الزقوم هذه الّتي هي طعام أهل الشرك والضلال...؟ مع أنّ فيه دلالة على أنّ ما ذكر من النّعيم لأهل الجنّة بمنزلة ما يقام للنازل، ولهم ماوراء ذلك مايقصرعنه الأفهام وكذلك الزقوم لأهل النّار.

وإنّ الآية الكريمة وما يليها جآئت معقّبة على وصف مصير المخلصين للتنبيه إلى الفرق العظيم بين مصيرهم ومصير الظالمين، وللمقايسة بين ما هيّأه الله جلّ وعلا نزلاً لأهل الجنّة ممّا وصفه من الرزق الكريم وماورآءه، و بين ما أعدّه نزلاً لأهل النّارمن شجرة الزقوم وماورآئها. ولفظة «خير» هنا بمعنى الوصف دون التّفضيل إذلا خيرية في الزقوم أصلاً كقوله تعالى: «ما عند الله خيرمن اللهو» الجمعة: ١١)

وفيها إثارة الرعب والهلع في الكفّار، وضرب من التهكّم والسّخرية بهم.

٦٣ـ(إنّا جعلناها فتنة للظالمين)

إشارة إلى ما أحدثه ذكر وجود شجرة الزّقوم في النّار من إستنكار واستغراب لدى الكفّار المجرمين، و الفجار الآثمين، والفسّاق الظالمين بأن جعل الله تعالى ذكر شجرة الزقوم والحديث عنها في القرآن الكريم إختباراً لأهل الظلم والعناد والكفر واللجاج، ولو كانت ـ لو عقلوا ـ مزدجراً لهم وطلباً للنّجاة منها... ولكنّهم اتّخذوها مادّة للتفكّه والسّخرية، وقال قائلهم: انظروا إلى ما يحدّث به محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إنه يعدنا شجرة تنبت في النّار وتطلع وسط اللهب! أرأيتم شجراً تقوم اصوله وفروعه في النّار، فيكون منهاريّه ونماؤه ويطلع في أحشائها زهره وثمره؟ وهم هكذا يظلّون في هذا اللغو من القول، غافلين عن قدرة الله جلّ وعلا...

٦٤ ـ (إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم)

وصف لشجرة الزّقوم، إنّها شجرة منبتها في قعر جهنّم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها تكذيباً للطاعنين فيها، أنّه كيف يكون في النّار شجرة والنّار تحرق الشّجرة؟! وفي تنكير «شجرة» بعد ذكرها، وقد كان من مقتضى البلاغة أن تعرّفها باللام الذكرى تنبيه على أنّها ليست كشجرة الدّنيا، وإنّما هي شجرة خاصّة نارية، فلاعجب في نبات شجرة في قاع الجحيم وبقآئها فيها، وحياة الإنسان وبقآئها خالداً فيها أعجب، والله جلّ وعلا يفعل مايشآء ويحكم ما يريد.

٦٥ ـ (طلعها كأنّه رؤوس الشّياطين)

وصف لشجرةٍ، منبتها في قاع الجحيم، و«طلعها» حملها، مستعار من طلع التّمر أي أوّل ما يبدو منه، فاستعير لما طلع من شجرة الزّقوم من حملها إما إستعارة لفظية، وذلك أن يكون وجه الإستعارة مجرد الطلوع أي الظهور، وإمّا إستعارة معنوية وذلك إذا كان يشبه الطلع شكلاً ولوناً. كأنّه رؤوس الشّياطين في تناهي القبح والهول، فرؤوس الشّياطين مبالغة من القبح والشناعة، فهذا تمثيل وتخييل، وذلك ان الشيطان مثل في القبح ونفرة الطباع عنه كما أنّ الملك مثل في الحسن وميل النفس إليه، وإذا كان الشّيطان كله مستقبحاً فرأسه كذلك، وتشبيه الثمرة برأسه أولى للإستدارة وللتّوسط في الجحيم.

وفي تشبيه طلع شجرة الزّقوم الجهنّمي برؤوس الشّياطين دلالة على أنّ العرب كانوا يتخيّلون الشّياطين بأشكال قبيحة مفزعة، فجآء التّشبيه متسقاً مع ما في أذهانهم زيادة في التأثير والتخويف... أمّا شجرة الزقوم الدّنيوية فهي شجرة معروفة في بلاد الحجاز بكثرة شوكها، وشدّة مرارة ثمرها، وإثارته عطشاً شديداً في آكله، وأما الّتي تنبت في قاع الجحيم فلها ثمر كأنه رؤوس الشياطين في القبح والبشاعة، حيث يأكله أصحابها ويملاؤن به بطونهم، ثمّ يشربون عليه مآءً شديد الحرارة، فتزداد حرقتهم وعطشهم وعذابهم.

وفي تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين لم ترقط ستّة وجوه:

أحدها ـ أنّ قبح صورة الشّياطين متصوّر في النفوس، ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جداً: كأنّه شيطان ويقولون: كأنه رأس شيطان، وانقلب عَلَيَّ كأنه شيطان. فشبّه جلّ وعلا طلع هذه الشجرة بما إستقرّت بشاعته في قلوب النّاس وهذا تشبيه با لمخيّل كتشبيه الفائق في الحسن والجمال بالملك كقوله تعالى: «إن هذا إلّا ملك كريم» يوسف: ٣١)

ثانيها ـ انه شبّه برأس حيّة يسمّيها العرب شيطاناً. فالشيطان جنس من الحيات الّتي لها رؤوس قباح وأعراف وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسماً، فشبّه تعالى طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات...

ثالثها ـ انه شبه بنبت معروف برؤوس الشياطين، وهو شجر منتن مرّ منكر الصّورة يسمّى ثمره رؤوس الشياطين...

رابعها ـ أنّ الله تعالى نبّه أنه يشوّه خلق الشياطين في النّار حتّى لورآهم رآءٍ من العباد لاستوحش منهم غاية الإستيحاش، فلذلك يشبه برؤوسهم...

خامسها ـ رؤوس الشّياطين حجارة سود تكون حول مكة.

سادسها ـ إن رؤوس الشّياطين ثمرة يقال لها: الأَشْتَن، وإيّاه عنى النّابغة بقوله:

تحيد عن أشتنٍ سُودٍ أسافله … مثل الإمآء اللواتي تحمل الحُزما

وهذه الشجرة تشبه بني آدم.

٦٦ - (فإنّهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)

تفريع، وتعليل لكون الجحيم نزلاً للظالمين أو تعليل لجعل الشجرة فتنة لهم، وتقرير لطعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنّة، وينبئ على وجود هذه الشجرة في أصل الجحيم أن يأكل منها هؤلاء المشركون الظالمون، حتّى لكأنّ هذه الشجرة ما غُرِست وما نبتتْ في قاع الجحيم إلّا ليكون منها طعامهم، فلابد أن يأكل الكفّار المجرمون، والفجّار المستكبرون منها مع قبحها إمّا لشدّة جوعهم، فتحملهم على تناول ذلك الشيء الكريه وإمّا لأنّ الزبانية يقسرونهم على أكلها ليكون باباً من العذاب، فاذاشبعوا غلبهم العطش أو أخذتهم الغصّة، فيسقون من حميم، وهو الماء الشديد الحرارة. فليس إمتلاء بطونهم منها عن شهوة أو رغبة، وإنّما هو عن قهر وقسر إمعاناً في عذابهم، والتنكيل بهم.

وفي قوله تعالى: «فمالئون منها البطون» إشارة إلى تسلّط جوع شديد، وغلبته عليهم بحيث يحرصون به على الأكل كيفما كان.

٦٧ - (ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم)

وصف وتقرير لشراب أصحاب الجحيم زيادة على طعامهم من شجرة الزقوم بأنّ لهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال إستقاؤهم شراباً من غسّاق أو صديد مشوباً بمآء حميم بالغ في حرارته. يقطع أمعاءهم... على أنّ لفظة «ثمّ» للتّراخي الزّماني، فكأنّهم لا يسقون إلّا بعدمدة مديدة تكميلاً للتعذيب، وإن مع كلّ طعام شراباً، وإذا كان طعام الظالمين الباغين، والمجرمين المستكبرين هو من ثمرتلك الشجرة الجهنّميّة فإنّ شرابهم كذلك هو ممّا ينبع من عيون هذا الجحيم، فكان منبع شرابهم كمبنت طعامهم من أصل الجحيم.

٦٨ - (ثمّ إنّ مرجعهم لإلى الجحيم)

تقرير لمصير أصحاب الجحيم ومأواهم بعد وصف طعامهم وشرابهم، وإنّ لفظة «ثمّ» تفيد أنّهم يخرجون من مأواهم الجحيم للطّعام والشّراب، ثمّ يرجعون إليها

بخلاف أصحاب الجنة الّذين طعامهم وشرابهم في مساكنهم جنّات النعيم، فأصحاب الجحيم يخرجون منها، فيأكلون من شجرة الزقوم طلعها في أصل الجحيم، ثمّ يسقون من مآء حميم منبعه من الجحيم، ثمّ يرجع بهم إلى محالهم ومأواهم من الجحيم المسعّرة المتأجّجة المتوهّجة، فالحميم خارج الجحيم، وفي إخراجهم من الجحيم، ثمّ إطعامهم وإشرابهم من طعام الجحيم وشرابها في خارجها، ثمّ إرجاعهم إليها تعذيب شديد بالغ غايته.

٦٩ ـ (إنّهم ألفوا آبآءهم ضالّين)

بيان لسبب تعذيبهم بهذا العذاب الشّديد بأنّهم إقتدوا آبآءهم الضالّين بلا دليل ولا برهان يستمسكون به، فسارعوا في السّير على طريقهم بدون تروٍّ فاتبعوهم على جهالة وعمىً.

٧٠ ـ (فهم على آثارهم يُهرعون)

تقرير لكيفية تقاليدهم العميآء عن آبآءهم الضالّين بأنّهم كانوا يبادرون إليها ويسرعون فيها من غير توقف على بحث ولا نظر فيها، كأنّهم لا إرادة ولا اختيار ولا عقول لهم يرجعون إليها، حتّى لا يجوّزون لأنفسهم أن يتفكّروا أو يشكّوا فيها!

٧١ ـ (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين)

مستأنف بياني مؤكّد بالقسم الربّاني، سيق لتسلية النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم إجمالاً على شرك قومه صلى الله عليه وآله وسلّم ومواساة له صلى الله عليه وآله وسلّم في الضالّين منهم، أنّهم ليسوا أوّل الضالّين ولا آخرهم، فلقدضلّ قبلهم أكثر النّاس، وقليل منهم المؤمنين، ولا نذار مشركي مكة، ومن انسلك مسالكهم الضالة، بتنظيرهم للأمم الهالكين من الأمم الماضية، إذ ضلّ أكثر العرب بالتقاليد العمياء من آبآئهم الضّالّين، وترك النّظر فيها كما ضلّ أكثر الامم الماضية كذلك قبلهم... وفي الآية الكريمة دلالة على أنّ أهل الحق والهدى وأهل الإيمان والتقوى... في كلّ زمان كانوا أقل من أهل الباطل والضّلالة والكفر والغواية...

٧٢ ـ (ولقد أرسلنا فيهم منذرين)

بيان مؤكّد بالقسم الرّبّاني لرحمته جلّ وعلا بعباده، وتعليل لتعذيبهم بأنه تعالى لا يؤاخذ عباده إلّا بعد إنذارهم وكفرهم، مع الإشارة إلى بعض تنظير مشركي مكة وأذنابهم للأُمم الضالّين الهالكين من الأمم السابقة بأن أُرسِلَ إليهم منذرون من الأنبيآء والمرسلين، فأنذروهم بعواقب الكفر والضّلالة، فلم يستجيبوا لهم فكفروا بهم كما أُرسلَ إليهم محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم منذراً فانذرهم بعواقب الشرك والغواية فكفروا به صلى الله عليه وآله وسلّم فَلم يستجيبوا لدعوة الحقّ والهدى الّتي وجهت إليهم. **وقوله تعالى:** «ولقد ضلّ» و«لقد أرسلنا» على تقدير القسم وتكريره لابراز كمال الإعتنآء بتحقيق مضمون كلّ من الجملتين. فتأمل جيّداً واغتنم جداً.

٧٣ ـ (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

تقريع ووعيد وإنذار وتهديد للكفّار والمجرمين. والفّجار والمستكبرين، وجمع بينهم وبين من أهلكهم الله تعالى من المكذّبين برسل الله جلّ وعلا على مورد الهلاك والدمار، ومن الشدة والفظاعة والخزى والهوان والعذاب والنّار، وسوق لهم جميعاً إلى عذاب الجحيم، وإن الخطاب وإن كان ظاهره للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ولكنه موجّه إلى كلّ مَن شاهد آثار الامم السابقة الهالكين، وسمع أخبارهم قبل نزول القرآن الكريم وبعده إلى يوم القيامة.

٧٤ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

استثنآء من هؤلاء المنذرين الهالكين وهم الأكثرون الّذين كانت عواقبهم وخيمة، فان المخلصين هم الناجون، وعواقبهم سعيدة، وهم قلّة قليلة مستثناة من هذا الطوفان الكبير.

وفي الآيات الأربع: (٧١ ـ ٧٤) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وتقريع وإنذار للكافرين، وتنويه بالمؤمنين، وانها مقدّمة لسلسلة عشرة قصّة من قصص الأنبيآء والمرسلين الّتي تأتي بعدها جرياً على النّظم القرآني تبين فيها هلاك المكذّبين ونجاة المخلصين.

٧٥ ـ (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون)

شروع في تفصيل القصص بعد إجمالها ببيان أحوال عشرة رسول من رسل الله جلّ وعلا وحسن عاقبتهم، متضمّن لبيان سوء عاقبة أكثر المنذرين من اممهم حسبما اشير إليه بقوله تعالى: «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» كقوم نوح ولوط وآل فرعون وقوم إلياس... ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصوا العقيدة والعمل كما اشير إليه الإستثناء وقوم يونس عليه السّلام...

اللاّمان: «لقد» و«فلنعم» للقسم يدلّ على كمال العناية بنداء نوح عليه السّلام وإجابته تعالى وقد مدح الله عزّوجلّ نفسه في إجابته، فإنّ التقدير: «فلنعم المجيبون نحن له في ندائه ودعائه» على حذف المخصوص، وفي جمع «المجيبون» إفادة تعظيم وتصوير كبرياء وفيه وفي فاء التّعقيب دليل على أنّ نداء العظيم الكبير حقيق بأن يكون مقروناً بالإجابة. ووجه تقديم قصّة نوح عليه السّلام على سائر القصص لتقدّمه على سائر الأنبياء ولكونه شيخ المرسلين، وكونه أباً ثانياً. وفي القصص تسلية للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم.

٧٦ ـ (ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)

تقرير لإجابة دعاء نوح عليه السّلام وتنجيته وأهله من الشدة الّتي كانوا يلقونها من قومهم الكافرين، وإنّ الماضي بصيغة الجمع: «نجينا» لتصوير العظمة والكبرياء للفاعل، ولتحقيق الفعل لا محالة، وفي «أهله» هم خاصّته دلالة على أنّ الأهلية تكون بالولاية لا بالولادة إذلم يكن ولده: «يام» أهلاً له لعدم ولايته. وأهله هم أهل دينه ممن آمن معه وكانوا ثمانين نفراً.

٧٧ ـ (وجعلنا ذريته هم الباقين)

في الآية الكريمة ايذان بأن تنجية مَن آمن مع نوح عليه السّلام كانت ببركة ايمانهم وولايتهم، فكان المؤمنون هم أهله الّذين نَجَوْا من هذا الطوفان الكبير، فقد كان منهم ذرّيته عليه السّلام الّتي بقي بها نسله جيلاً بعد جيل. وفيها دلالة على أنّ النّاس كلّهم بعد نوح عليه السّلام من ولد نوح المؤمنين، وعلى أن كلّ من سواه عليه السّلام وسوى ذرّيته فقد هلكوا وفنوا، وعلى أنّنا من ذرّية نوح عليه السّلام الباقين الذين آمنوا

معه وحُمِلوا في السفينة، ونجوا من الغرق، ولنافي ذلك إلفات إلى أنّنا من ذرّية قوم مؤمنين نجّاهم الله تعالى بايمانهم وولايتهم وشيعتهم لنوح عليه السّلام من الغرق الّذي حلّ باخوانهم الكافرين المتمرّدين...

وإذن فخروج أولاد هؤلاء المؤمنين من الإيمان الّذي كان عليه آباؤهم الأوّلون، وكفرهم الّذي كان عليه إخوان آبآئهم هؤلاء هو تضييع لهذا الميراث الكريم الّذي تركه لهم آبآؤهم، ثمّ هو عدوان على الله جلّ وعلا، وتعرّض لنقمته كما انتقم من عمومتهم، فأغرقهم، واجتثّ اصولهم...

وقيل: في تخصيص ذرّية نوح عليه السّلام بالذكر مع كون غيرهم معهم لأنّه أبلغ في الإمتنان، وفيه تهييج وحثّ لنا على الإقتدآء بهم الايمان وصالح الأعمال، وتنبيه على المنّة والإنعام علينا في تنجية آبائنا من الغرق بحملهم مع نوح في السّفينة. فليس النّاس كلهم من ذرّية نوح عليه السّلام وإن كانوا كلّهم من نسل المؤمنين، فمنهم من ذرّية نوح عليه السّلام المؤمنين، والآخرون من نسل الّذين آمنوا معه من غير نسله، فكلّهم مؤمنون

أقول: وهذا خلاف ظاهر الآية الكريمة، وخلاف ماورد: أنّ نوحاً عليه السّلام هو أبوثان للنّاس كلهم، وأنّ النّاس كلهم من أبنائه الثلاثة: يافت وسام وحام، وإن كانت معهم مؤمنات من غير نسله عليه السّلام فتزوّج الأبنآء بهنّ. وأنّ الذكور المؤمنين من غير نسله عليه السّلام ماتوا بعد ما نجوا من الغرق، من دون ازدياد نسل منهم... وإن كان لهم ذرية من الاناث... لقوله تعالى: «ذرّية من حملنا مع نوح» الاسراء: ٣) والله جلّ وعلا هو أعلم.

٧٨ - (وتركنا عليه في الآخرين)

بيان لما أعطاه الله تعالى نوحاً عليه السّلام إزآء دعوته أي وتركنا عليه في الأمم المتأخرين دعوته وشريعته وملّته وهي دين التّوحيد والفطرة أو ذكره الجميل أو هذه الكلمة وهي:

٧٩ - (سلام على نوح في العالمين)

بأن هذه التحية والصلاة والسّلام ثبّتناها في العالمين، فيسلم عليه الثقلان والملائكة إلى يوم القيامة.

وفي تنكير «سلام» تفخيم، والمراد بالعالمين ـ جمع العالَم ـ جميعها لكونه جمعاً محلّى باللام يفيدالعموم، فيشمل عوالم الملائكة والجنّ والإنس... فلكلٍ عالَمٌ على استمراره من الامم والجماعات والأنواع والأجناس إلى يوم القيامة.

٨٠ ـ (إنّا كذلك نجزي المحسنين)

تعليل مؤكّد ـ على سبيل العظمة والكبريآء ـ لما امتنّ على نوح عليه السّلام من التكرمة السنية من إجابة دعآئه أحسن إجابة، وتنجيته وأهله من الكرب العظيم، وإبقآء ذرّيته، وتبقية ذكره الجميل، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه، وإن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان و«ذلك» إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السنية الّتي وقعت جزآء له عليه السّلام وما فيه من معنى البُعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلوّ رتبته، وبُعد منزلته في الفضل والشرف.

وتشبيه جزآئه بجزآء عموم المحسنين من حيث أصل الجزآء الحسن لا في خصوصيّاته، فلا يوجب ذلك اشتراك الجميع فيما اختصّ به عليه السّلام مع أنّ في الآية الكريمة وعدو بشارة بالنّجاة والذكر الحسن لكلّ من آمن وعمل صالحاً كايمان سلمان وعمل أبي ذر رضوان الله تعالى عليهما لا كلّ من ادّعي الإيمان والعمل الصّالح!

٨١ ـ (إنّه من عبادنا المؤمنين)

بيان مؤكّد ـ على طريق التّفخيم والتّعظيم للمتكلّم ـ لسبب إحسانه الّذي استحقّ به تلك الكرامات الفائقة، وتعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديّته، وكمال ايمانه، فالايمان هو علّة الإحسان المقبول عند الله جلّ وعلا إظهاراً لجلالة قدره وأصالة أمره، وفيه دلالة على فضل الإيمان وجلالة محله وشرفه، وبدونه لا يكون الإحسان إحساناً، كاحسان الكفّار والمجرمين، والفجّار والمنافقين...

وفي الآية الكريمة إيمآء إلى أنّ أعظم الدّرجات وأشرف المقام وأتقن الأسباب

وأوحدها لنيل تلك الكرامات هو الإيمان بالله جلّ وعلا حقّاً، والإنقياد لطاعته بحقيقة معنى الكلمة.

وفيها حثّ النّاس وتهييجهم وترغيب لنا في تحصيل الإيمان والثّبات عليه، والإزدياد منه، مع الإشارة إلى جلالة قدر الإحسان النّاشي من الإيمان الّذي نال به نوح النّبيّ عليه السّلام بتلك الكرامات ونحن من نسله عليه السّلام المؤمنين.

٨٢ - (ثمّ أغرقنا الآخرين)

إخبار من الله عزّوجلّ بإغراق الباقين الكافرين من قوم نوح عليه السّلام بعد تنجية نوح وأهله المؤمنين، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم ما لا يخفي على القاريْ الخبير المتدبّر. وقد قدّم نجاة نوح عليه السّلام ومَن آمن معه على إهلاك الكافرين إظهاراً للعناية به عليه السّلام وبالمؤمنين، فإنّ المطلوب أوّلاً وبالذّات هو النجاة، وأنّ الإهلاك هو العرض وثانياً. وليست لفظة «ثمّ» ههنا للتّراخي الزّماني بل هي لتعديد النّعم والتّراخي الكلامي كقوله تعالى: «أو مسكيناً ذامتربة ثمّ كان من الّذين آمنوا» البلد: ١٦ - ١٧) ولا يخفى أنّ هذه الآيات (٧٥-٨٢) حلقة من سلسلة قصصية جآءت عقب ذكر مواقف الكفّار ومصآئر المجرمين جرياً على الاسلوب القرآني، تنويهاً بنوح عليه السّلام والمؤمنين، وإشارة إلى تنجيتهم من الشدة الّتي كانوا يلقونها من قومهم، وجعل ذريته هي الباقية، وإهلاك أهل الباطل والجناية.

وإنّ مقصد العبرة والتّذكير فيها واضح حيث إنطوى فيها إنذار لمشركي مكّة وأذنابهم، وتنويه وتطمين وبشرى للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمخلصين الّذين اتبعوه صلى الله عليه وآله وسلّم.

٨٣ - (وإن من شيعته لإبراهيم)

إنّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (٨٣ - إلى - ٩٨) حلقة ثانية من السلسلة تحتوى قصّة إبراهيم: شيعة نوح صلوات الله وسلامه عليهما مع قومه المشركين وأصنامهم ونظرته عليه السّلام في النجوم، ونبذة عبادتها والأوثان الّتي كانوا يعبدونها، وتنديد

بهم، واتجاهه إلى الله جلّ وعلا ومحاجة قومه له وإفحامه إيّاهم بالحجج الّتي ألهمها الله تعالى له.

٨٤ ـ (إذ جآء ربّه بقلب سليم)

تقرير لكون إبراهيم خليل الرحمٰن عليه السّلام من شيعة شيخ الأنبياء نوح عليه السّلام وعلى نهجه وطريقته. وذلك ان حقيقة الشيعة أن يقبل على ربّه بقلب قدسلم من آفات الشّرك والنّفاق، من آفات الكفر والعناد، من آفات البغي واللجاج، ومن آفات الظلم والفساد... ولم تعلق بفطرته شائبة مايشين، بل ظلّ على الفطرة الّتي فطره الله تعالى عليها لم يدخل عليها شي ء من غبار الشرك الّذي كان يسودّ وجه الأرض.

فكما أن نوحاً عليه السّلام كان على فطرة التّوحيد، وتوحيد الفطرة كان شيعته إبراهيم عليه السّلام كذلك، وبذلك يظهر أنّ شيعة مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته هم على فطرة التّوحيد، وتوحيد الفطرة من غير شائبة الشّرك والنّفاق كما كان مولاهم الإمام على عليه السّلام كذلك. ولا يخفى أنّ حقيقة المجيئ بالشيْ: نقله من مكانه، والمراد هنا جآء ربه سليم القلب يحب الصديق ويبغض عدوّه، وفي جآء استعارة تصريحية تبعية حيث شبه اخلاصه قلبه لله تعالى بمجيئه له بتحفة، والجامع: الفوز بما يستجلب الرضا. وان مجيئ إبراهيم عليه السّلام ربّه كناية عن تصديقه له وايمانه به على مقتضى الفطرة، ويؤيد ذلك أنّ المراد بسلامة القلب عُروُّهُ عن كلّ ما يضرّ التّصديق والإيمان بالله جلّ وعلا من الشرك الجلّى والخفى، ومساوي الأخلاق وآثار المعاصي، والبغي والعدوان، والظلم والعصيان... وعن كلّ ما يختلّ به صفآء توجهه إلى الله جلّ وعلا:

٨٥ ـ (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون)

تفصيل لما سبق، وبيان لأهم علائم فطرة التوحيد، وآثار القلب السليم إذ قال لأبيه وقومه: على طريق الإستفهام ـ تجاهلاً ـ لأخذ الاعتراف منهم على ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام... ليحاجّ عليهم ما إعترفوا به، فلمّا إعترفوا قال لهم:

٨٦ ـ (أ إفكاً آلهة دون الله تريدون)

إنكار وتقريع وتوبيخ لهم وتهجين لفعالهم حسب ما إعترفوا به من الشّرك وعبادة الآلهة المزعومة أي أتطلبون من دون الله آلهة من واردات الإفك والإفترآء والزّور بدلاً من ربّ العالمين، دون أن تركنوا في ذلك إلى دليل من نصّ ولا عقل؟ أليس ذلك سفهاً وجهلاً عن جهل، وغفلة عن غفلة؟؟؟ وقد قدّم الإفك والآلهة لتعلّق العناية بذلك.

٨٧ - (فما ظنّكم بربّ العالمين)

طلب جواب لما سئلهم عنه أي لو كانت تلك الأصنام آلهتكم تريدونها وتعبدونها فما معتقدكم في ربّ العالمين؟ وما تصوّركم له؟ وما حسابه عندكم؟ أهو واحد من تلك الآلهة المزعومة؟ أم هو على هيئة ملك أ أمير أو سيّد من ساداتكم؟؟؟

وفي كلمة «ربّ» وإضافتها إلى «العالمين» إنبآء إلى التربية المطلقة للعالمين ليست هي إلّا لله جلّ وعلا وربوبيه للعالمين تظهر بتربيته الكون ونواميس الوجود كلّه على إختلاف الأنواع... فهو تعالى ربّ الكون وما فيه، وبيده تربيتهم كلّ بحسبه، فكيف تعبدون آلهة غيره؟ وكيف ترضون لعقولكم أن تقبل تلك الأحجار والأخشاب المنحوتة آلهة، تتعامل معها، وتتخاضع بين يديها، وتجعلها شركآء لله جلّ وعلا في الملك والتدبير والتربية؟

فما أجابوا له عليه السّلام إذ ما كان لهم جواب عمّا سئلهم عنه، فإذاً أخذ إبراهيم عليه السّلام طريقاً آخر لإثبات التّوحيد ونبذة الأنداد:

٨٨ - (فنظر نظرة في النّجوم)

إيهام لقومه، وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام لـمّا سَأَلَ قومه عن ربّ العالمين، فلم يجيبوه أخذ يوهم قومه أنّه يعتمد على النّجوم ليعتمدوه، وأنّه يبحث عن ربّ العالمين كقوله: «فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربّي» الانعام: ٧٦) أي نظر في النجوم ليعرف أحوالها وأنها قديمة أو محدثة، وقد كان موقناً أنها محدثة. فهذه مجاملة مع قومه من غير مداهنة ودجل إذ كانت النظرة في النجوم والتنبوء بها رائجة على عهده عليه السّلام فأراد مما شاتهم في ذلك استجلاباً بنظرهم، في حين أنّ النّظر

في النجوم والتّدبر في آيات الله جلّ وعلا مرغوب إليه في الشّريعة.

ففيه إشارة إلى تبيّنه من الضلال في عبادة النجوم... وقال بعض المحققين: هذا من قبيل المعاريض في الكلام وهو أن يقول الرّجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يريده، وذلك ان إبراهيم عليه السّلام نظر في النجوم نظر الموحد في صنعه جلّ وعلا يستدل به عليه تعالى وعلى وحدانيّته وربوبيته، وهم يحسبون أنّه ينظر إليها نظر المنجّم فيها ليستدل بها على الحوادث... وفي تنكير «نظرة» ما لا يخفى على القاري الخبير المتدبر.

٨٩ ـ (فقال إنّي سقيم)

إشارة إلى تأثر إبراهيم عليه السّلام نفسيّاً من جموح قومه عن الإستسلام لقيادة الله جلّ وعلا ورفضهم الدّعوة إليه، وبهذا التعبير الموهم خلص بنفسه من مصاحبة قومه، فتركوه وحده وذهبوا للإجتماع بعيدهم خارج البلد، ومن ثمّ وجد إبراهيم عليه السّلام فرصته لكسر الأصنام... فكان عليه السّلام سقيم القلب والرأي لاصرار قومه على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر، وكان يعجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حتّى يعبدوها.

٩٠ ـ (فتولّوا عنه مدبّرين)

إخبار عن قومه أنّهم لمّا سمعوا قوله عليه السّلام: «إنّي سقيم» أعرضوا عنه وتركوا قربه، فذهبوا إلى معيدهم ولكن لا على التّعقيب الفورى ـ كما ذهب إليه النحاة من إفاده الفاءات التّرتيب والتّعقيب الفورى ـ فليس التّولى هنا بعد نظرة إبراهيم عليه السّلام نظرته في النّجوم بل كان توليهم عنه هونهاية المطاف في دعوته لهم، ومحاجتهم له... فقد إنتهى الأمر بينه وبين قومه إلى اليأس منهم أن يؤمنوا بالله جلّ وعلا، وإلى اليأس منه عليه السّلام أن يعبد ما يعبدونه...

٩١ ـ (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون)

تقرير لفعال إبراهيم عليه السّلام بآلهة قومه بعد إعراضهم عنه، وذهابهم إلى معيدهم، فمال إبراهيم عليه السّلام عندئذٍ وانعطف إلى تلك الآلهة بحدّة، غضباً على

عابديها، فذهب إليها خفية حتّى لا يرى، فدخل عليها بيتها المعدّ لها من غير أن يراه أحد، فرآى بين يدى الآلهة المنحوتة كثيراً من صنوف المأكولات الّتي كان المشركون يضعونها بين يديها وخاصّة أيّام أعيادهم... ليتقرّبوا بها إليها، ويتبرّكوا بها لديها، وكثيراً من ألوان الهدايا الّتي كانوا يتقرّبون بها منها، فقال إبراهيم عليه السّلام - خطاب مَن يعقل على سبيل الفرض - ساخراً لتلك الأصنام وعابديها، وهازئاً بهم وبها: «ألا تأكلون» تلك المأكولات...

وهذا تكليم منه عليه السّلام لتلك الآلهة وهي جماد لا تعقل، وهو يعلم أنّها جماد لا تأكل، ولكنّ الوجد وشدّة الغيظ حمله على أن يمثّل موقفها موقف العقلآء، ثمّ يؤاخذها مؤاخذة العقلاء كما يفعل بالمجرمين، فنظر إليها وهي ذوات أبدان كهيئة من يتغذّى ويأكل، وعندها المأكولات والهدايا... فامتلأ غيظاً وجاش وجداً فقال: «ألا تأكلون» تلك المأكولات... تهجيناً لعابديها وتنبيهاً على أنّ مَن لا يتكلّم ولا يقدر على الجواب كيف تصحّ عبادتها، فأجراها مجرى مَن يفهم الكلام، ويحسن ذكر الجواب، إستظهاراً في الحجة وإيضاحاً للبرهان لكلّ من سمعه ذلك ويبلّغه، فلم يسمع منها جواباً فقال:

٩٢ - (مالكم لا تنطقون)

خطاب مَن يعقل على سبيل الفرض مستهزءاً بها وبعابديها، والتهكّم بهم وإحتقار شأنهم وزيادة تهجين عابديها كأنّهم حاضرون لديها أي مالكم لا تجيبون لي؟ وأيّ شي ء منعكم الاجابة عن سؤلى؟

٩٣ - (فراغ عليهم ضرباً باليمين)

فمال إبراهيم عليه السّلام مستخفياً على الأصنام لتدميرها وتحطيمها. وقد عدّى الفعل: «راغ» أوّلاً بـ «إلى» وثانياً بـ «على» لأن الميل الأوّل كان على سبيل الرفق إستهزاءً والثاني على طريق العنف والقهر وهذا كما يقال في المحبوب: مال إليه. وفي المكروه: مال عليه. وقد خصّ الضرب باليمين لأنّ اليد اليمنى أقوى على الأعمال، والضرب بها أشدّ أو كناية عن القوّة مجازاً أو عن الحلف أي بسبب الحلف

وهو قوله: «تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين» الأنبيآء: ٥٧)

وفي التعبير بقوله تعالى: «فراغ عليهم ضرباً» بدلاً من: «فأقبل عليهم ضرباً» إشارة إلى أنّه عليه السّلام كان يفعل ما يفعل في حَذَرٍ، وفي غير جَلَبَةٍ، حتّى لا يحدث صوتاً يكشف للقوم عما يجرى هنا! فالروغ والروغان: ضرب من العمل في ذكآء وحذر. وقوله تعالى: «باليمين» إشارة إلى الإرادة القوية التّي كان يعمل بها في تحطيم تلك الأصنام، إذ كانت اليد اليمنى هي القوّة العاملة في تنفيذ هذه الإرادة.

٩٤ ـ (فأقبلوا إليه يزفّون)

تقرير لمحاكمة إبراهيم عليه السّلام على ايجاز بليغ وحكاية عن حال عابدى الأصنام بعد أن اطلعوا على ما فُعِلَ بآلهتهم، فجاؤا إليه مسرعين إهتماماً بالحادثة التّي يظنّون أنّه الّذي أحدثها، وفي الكلام ايجاز وحذف من خبر رجوعهم إلى المدينة،، ووقوفهم على ما فعل إبراهيم عليه السّلام بآلهتهم، ومن تحقيقهم الأمر وظنّهم به عليه السّلام فلمّا رأى القوم ما حلّ بآلهتهم، ووقع ما وقع من إضطراب و بلبلة، وانتهى الأمر بينهم إلى أن إبراهيم عليه السّلام هو الّذي فعل هذه الفعلة بآلهتهم، أقبلوا إليه مسرعين في خِفَّةٍ وطيشٍ ليمسكوا به، وليحاسبوه الحساب العسير على هذا الجزم العظيم لديهم!.

والزّفيف: هو الصوت الّذي تحدثه النّعامة بجناحيها حين تنطلق مسرعة من وجه خطر يتهددها، فتزفّ بجناحيها... وفي وصف القوم بهذا تشبيه لهم بالنّعامة في جُبنها الّذي يطير معه صوابها، حين ترى أو تتوهم أنها ترى خطراً، فتنطلق إلى حيث ترمي بها أرجلها، لا إلى حيث يدعو عقلها، إذ كانت ولا عقل لها ولا حيلة عندها، حتّى إذا دهمها الخطر، دفنت رأسها في الرمل، وكأنّها بذلك قد دخلت مأمنها! وهكذا القوم في تصريف امورهم... إنّهم نعام طآئش لا عقل لهم ولا تدبير عندهم.

إن تسئل: إن قوله تعالى: «فأقبلوا إليه يزفون» يدل على أنّهم كانوا يعرفون كاسر أصنامهم، وقوله تعالى حكاية عنهم: «مَن فعل هذا بآلهتنا» «الأنبيآء: ٥٩) يدل على

أنّهم ما كانوا يعرفون الكاسر فبينهما تناقض؟

تجيب عنه: أنّ هؤلاء غير اولئك، فالذين عرفوه ذهبوا إليه مسرعين والّذين لم يعرفوه بعد استخبروا عنه، مع أنّ قوله: «فاقبلوا إليه» لا دلالة على أنّهم عرفوا أنّ الكاسر هو إبراهيم عليه السّلام فلعلهم أقبلوا إليه لأجل السّؤال عن الكاسر ولمّا علموا أنّه كاسرها عاتبوه على فعله، فأخذ إبراهيم عليه السّلام ببيان فساد طريقتهم بقوله: أتعبدون ما تنحتون)؟!

٩٥ ـ (قال أتعبدون ما تنحتون)

جواب لهم على وجه الحجاج عليهم، وبيان لفساد طريقتهم، وذلك إنّ النّاحت لم يحدث في تلك الأصنام إلّا صورة معينة فيكون معناه: إنّ الشّيء الّذي لم يكن معبوداً لى صار بسبب تصرّفي فيه معبوداً لي، وفساد هذا معلوم بالبداهة. فقال لهم منكراً موبخاً وتبكيتاً بفعلهم: «أتعبدون ما تنحتون» من الحجارة والأخشاب وغيرها أصناماً بأيديكم وتحرسونها من الإعتدآء لعجزها أن تدافع عن نفسها، فكيف تكون تلك آلهة؟! وقد كان لقآء القوم لإبراهيم عليه السّلام لقآء عاصفاً مزمجراً كثرت فيه الرميات بالوعيد والتهديد، وقد ضرب القرآن الكريم هنا صفحاً عن كل ما حدث إذ كان لهذه القصّة حديث في غير موضع منه، كلّ لغرض خاص، وقد اكتفى القرآن الكريم هنا بالإمساك بكلمة الفصل في هذه القضية: «أتعبدون ما تنحتونه» فهذه هي القضية، وهذا هو السئوال الّذي يحسم الأمر فيها.

٩٦ ـ (والله خلقكم وما تعملون)

حكاية من أقوال إبراهيم عليه السّلام لقومه في صدد محاججتهم والتقريع والتنديد بهم، وذلك أنّهم كانوا ينحتون أصناماً من الأحجار والأخشاب وما إليهما بأيديهم، ثمّ يتخذونها آلهة لهم، فيعبدونها، فقال لهم إبراهيم عليه السّلام: إن الله جلّ وعلا خلقكم وخلق ما تنحتون من الأحجار والأخشاب على سبيل الإفحام والإلزام. فالمعنى: كيف تعبدون ما تنحتون بأيديكم؟ أو ليس هذا الّذي تنحتونه هو من مخلوقات الله تعالى؟ إن تلك الأصنام الّتي تنحتونها بأيديكم آلهة لكم تعبدونها هي

من مادّة خلقها الله جلّ وعلا أن تنحتونها، فكيف تعبدون ما تنحتونها؟ أيعبد الناحت ما نحته؟ أيعبد البنّاء ما بناه؟؟؟ هذا مقلوب!

٩٧ - (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم)

تقرير لمنطق القوم المشركين بعد أن غلبهم إبراهيم عليه السّلام بالحجة القاطعة الّتي لم يستطيعوا دفعها، فشاوروا بينهم في أمره، فانتهى رأيهم إلى الإيذآء واستعمال القوة الإستبدادية بأن يبنوا له عليه السّلام بنياناً فيحرقوه بالنّار إزاء منطق البرهان، جزآء له عليه السّلام على ما يدعوهم إلى الحقّ والهدى، إلى الخير والفلاح، وإلى السّعادة والكمال... فإنّهم ليسوا من أبناء الدّليل، فما كان لهم منطق إلّا منطق السّوط والعذاب... وهذا هو دأب الطواغيب والحكّام الجابرة وحواشيهم الباغية، وأذنابهم المبتورة في كلّ ظرف من الظروف...

٩٨ - (فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين)

إشارة إلى سخافة القوم المشركين وسفاهتهم، وإلى موقفهم العاجز أمام حجة العقل والبرهان، بأنهم لا يملكون إلّا أنّ يتحوّلوا إلى حيوان، ينطح بقرونه وينهش بمخالبه وأنيابه... فلمّا قهرهم إبراهيم عليه السّلام بالحجة أرادوا به كيداً لئلا يظهر للعامة عجزهم، غافلين عن أنّ إبراهيم عليه السّلام في حماية الله تعالى وكفائته، فينجيه عليه السّلام ويجعله برهاناً منيراً على علوّ شأنه إلى يوم القيامة، ويجعلهم الأذلّين، المنحطّين المغلوبين المقهورين بإبطال كيدهم، وإخراج إبراهيم نبيه عليه السلام من النّار سالماً وجعلها له برداً وسلاماً.

٩٩ - (وقال إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين)

هذا تمام قصّة إبراهيم عليه السّلام مع قومه المشركين بذكر عزمه على المهاجرة من بينهم إلى موضع أمره ربه بالذهاب إليه سيرشده إلى ما فيه صلاح دينه، ويَعْصِمُهُ ويوفّقه إلى مايحبه ويرضاه وهو بيت المقدس. وهذا كالإنجاز لما وعدهم به مخاطباً لهم: «واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربّي عسى ألّا أكون بدعآء ربّي شقياً» مريم:٤٨) وهو عليه السّلام أوّل مَن هاجر ومعه لوط وسارة، وإنّما قال:

«سيهديني» ترغيباً لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخاً وتحقيراً لقومه.

١٠٠ ـ (ربّ هب لي من الصّالحين)

هذه الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (١٠٠ ـ إلى ـ ١١١) حلقه ثالثة من السلسلة تتضمّن قصّة إستيهاب إبراهيم عليه السّلام من الله جل وعلا ولداً صالحاً، وإجابته تعالى له عليه السّلام وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا وجد نفسه وحده، بعيداً عن الأهل والوطن، وقد خلا قلبه من الإشتغال بأمر قومه، إلتفت إلى نفسه، ووجد أن لا ولد له يؤنسه في وحدته، ويشدّ ظهره في غربته، فسئل ربه أن يرزقه ولداً صالحاً تقرّبه عينه حين يراه مؤمناً بربه، لا تختلف بينه وبينه السُبُل... فوهبه ما وهبه.

وتتضمّن قصّة رؤياه في ذبح إبنه إسمعيل عليه السّلام وإقدامه تنفيذ ذلك على إعتبار أنّه أمر ربّاني وفدائه بذبيحة ربّانيّة، وقد جائت القصّة لضرب المثل بعباد الله الصالحين الّذين منهم إبراهيم عليه السّلام حيث أقدم على تنفيذ ما أُمِرَ به مهما كان فيه تضحية بالغة، وانقياده في تجاهه، وإن وافقه إبنه الصبيّ الصابر الحليم الشجاع على ذلك وانقياد صبيّه بل حثّ أبيه وترغيبه على ما أُمِرَ به وبذلك صار سيّداً، وإنتهت السّيادة إليه، واستحقّ هو وأبوه إبراهيم عليهما أفضل صلوات الله ثنآئه جلّ وعلا وتنويهه وتكريمه، وكانا مظهر رعايته وتجلياته، واسوة حسنة للمؤمنين إلى يوم القيامة.

١٠١ ـ (فبشّرناه بغلام حليم)

إخبار من الله عزّوجلّ بإستجابة دعاء خليله إبراهيم عليه السّلام على سبيل التّفخيم والتّعظيم. وفي الآية الكريمة ثلاث بشارات: أحدها ـ أنّ الولد ذكر كما استوهبه إبراهيم عليه السّلام: «من الصالحين» ثانيها ـ أنّه يبلغ أو ان الحلم. ثالثها ـ أنّه يكون حليماً. وأيّ حلم أعظم من استمساكه وهو مراهق حين عرض أبوه عليه الذبح، بل حثّ أباه ورغّبه على ما أُمِرَبه فقال: «يا أبت افعل ماتُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصّابرين» فماظنك به بعد بلوغه، وحقّاً إنّ إسمعيل عليه السّلام قام مقام أبيه في الشرف والفضيلة، فوصفه الله بالحلم كما وصف به أباه إبراهيم في قوله تعالى:

«إنّ إبراهيم لأوّاه حليم» التوبة: ١١٤) وقوله جلّ وعلا: «إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب» هود: ٧٥) وما وصف الله عزّوجلّ نبياً بالحلم في القرآن الكريم لعزّة وجوده غير إبراهيم وإبنه إسمعيل عليها أفضل صلوات الله، فهذا الغلام هوعلى صورة أبيه إبراهيم في كمال عقله وسلامة قلبه. بأبه اقتدى عديّ في الكرم - ومَن يشابه أبه فما ظلم. نعم! إن قوم شعيب عليه السّلام قدوصفوه بالحلم في قولهم: «قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نشآء إنّك لأنت الحليم الرّشيد» هود: ٧٨)

١٠٢ - فلمّا بلغ معه السّعي قال يا بنيّ إنّي أرٰى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شآء الله من الصابرين)

حكاية حديث ذبح إبراهيم عليه السّلام إبنه إسمعيل عليه السّلام والفآء فصيحة تدلّ على محذوف أي فلمّا وُلِدَ له ونشأ وبلغ السنّ الّذي كان قادراً على أن يعمل مع أبيه، وأن يسعى له في بعض حوائجه... قال له: «يا بني...» وفي اختصاص الأب: «معه» إخراج الكلام مخرج الأ غلب أوّلاً، وان الأب أرفق النّاس بابنه وأعطفهم عليه ثانياً، وغيره ربّما عنف به في الإستسعآء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ثالثاً.

قوله عليه السّلام: «إنـي أرى في المنام أنّي أذبحك» في إيثار المضارع: «أرٰى - و - أذبح» دلالة على تكرار الرؤيا وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام قد كان يرى في منامه ثلاث ليال أن يذبح ولده إسمعيل عليه السّلام فلمّا رآى الليلة الاولى أصبح روّي في ذلك من الصباح إلى الرواح - من دون ريبه في صدق منامه - كيف يبيّنه ويعرّفه لإبنه، فمن ثمّة سمي يومه هذا يوم التروية، ثمّ رآى مثل ذلك في الليلة الثانية، فعرّف نومه وبيّنه لإبنه، فسمّي هذا اليوم يوم عرفة إذ قال له في اليوم الثاني: «فانظر ماذا ترى» في ايثار المضارع دلالة على أنه مختار في ائتماره وهوفي مهلة من التفكر، فله أن ينظر في هذا الأمر مرّة بعد أُخرى، ثمّ رآى الليلة الثالثة مثل ذلك، فأجاب إسمعيل عليه السّلام لأبيه في اليوم الثالث: «يا أبت افعل ما تؤمر» فهمّ بنحره، فسمّى هذا اليوم يوم النحر.

إن تسئل: لماذا كان ذلك في المنام دون اليقظة؟

تجيب عنه: إنّما كان في المنام لتقوية الدلالة على أنه نبيّ صادق مصدق لأن الحال إما يقظة وإمّا نوم، فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان أقوى للدلالة من انفراد أحدهما وعلى أن رؤيا الأنبيآء وحى كالوحى في اليقظة.

وفي قوله عليه السّلام: «فانظر ما ذاترى» دلالة على أنّ إبراهيم عليه السّلام كان يعلم بأنّه مأمور بذبح ولده إسمعيل ولذلك مثل له في مثال نتيجة الأمر وطلب منه الرّأي فيه وهو يختبره بماذا يجيبه؟

وقوله عليه السّلام: «يا أبت افعل ماتؤمر» إظهار بطيبة خاطر، ورضاء نفس على إنقياده وإسلامه النّفس لله جلّ وعلا في صورة الأمر: «إفعل» هذا هو جواب المؤمن بالله تعالى حقّاً وصدقاً، إيماناً لا يرى معه لنفسه حقاً إلى جانب ما لله تعالى فيه، من حقه، إنّه كلّه ملك لله تعالى، وللمالك أن يتصرّف كما يشآء فيما ملك، وأنّ المؤمن حقاً يحبّ نفسه ويريده لله عزّوجلّ، ولا يحبّ الله تعالى ولا يريده لنفسه، فلابد من فدآء نفسه في الله تعالى، ولا يفدى الله سبحانه في رضاء نفسه العياذ بالله جلّ وعلا.

ولم يقل: «إذ بحنى» تنبيهاً إلى أنّ أباه مأمور بأمر ليس له إلّا ائتماره وطاعته أي إمض على أمر الله تعالى بصبر وشجاعة حتّى ولو كان أمراً بالذبح بلا تحريف وتأويل ولا إعتذار ولا تعليل. ولم يقل إسمعيل لأبيه عليهما السّلام: «إفعل ما ترى» لأنّه يعلم بأنّ رؤيا الأنبيآء وحى. وفي ايثار المضارع: «إفعل ما تؤمر» وجوه: **احدها** ـ ايذان بغرابة ذلك مثلها في كلام إبراهيم عليه السّلام على وجه، وفيه إشارة إلى أنّ ماقاله لم يكن إلّا عن حلم غير مشوب بجهل بحال المأمور به. **ثانيها** ـ للدلالة على أنّ الأمر متعلّق به متوجّه إليه مستمرّاً إلى حين الإمتثال به. **ثالثها** ـ لتكرار الرؤيا ثلاث ليال على ما حكى. **رابعها** ـ جيئ بها لأنّه لم يكن بعد أمر، وإنّما كانت رؤيا الذبح، فأخبره بها فعلم لعلمه بمقام أبيه، وإنّه ممّن لا يجد الشيطان سبيلاً بالقآء الخيالات الباطلة إليه في المنام إنّه سيكون ذلك، ولا يكون إلّا بأمر إلهى فقال له: «إفعل ما تؤمر» **بَعْدُ** من الذبح الّذي رأيته في منامك.

ولا يخفي على البياني الأريب من اللّطافة: بأنه لمّا كان خطاب الأب إبراهيم عليه السّلام لإبنه اسمعيل: «يا بنيّ» على سبيل الترحم، قال الإبن في خطابه لابيه: «يا أبت» على سبيل التوقير والتعظيم، ومع ذلك أتى بجواب حكيم فوض الأمر حيث استشاره فأجاب بانه ليس بمجاز، وإنّما الواجب إمضآء الأمر فقال: «ستجدني إن شآء الله من الصابرين» على قضآء الله جلّ وعلا ذبحاً كان أو غير ذبح. ومن اللطآئف: أن إبراهيم عليه السّلام قال لابنه إسمعيل في وقت ما قصّ عليه ما رأى: «ماذا ترى» أي ماذا تشيربه، ليستخرج بهذه اللفظة منه ذكر التفويض والصبر والتسليم والإنقياد لأمر الله لا لمواراته لدفع أمر الله تعالى: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شآء الله من الصابرين» والتّفويض هو الصبر، والتّسليم هو الصبر، والإنقياد هو ملاك الصبر، فجمع له الذّبيح جميع ما ابتغاه بهذه اللّفظة اليسيرة فتأملّ جيّداً.

وقوله عليه السّلام: «ستجدني إن شآء الله من الصّابرين» تأكيد لا متثاله لأمر الله جلّ وعلا، وتطييب منه لنفس أبيه أنّه لا يجزع منه، ولا يأتي بما يهيّج وجد الوالد عن ولده المزمّل بدمائه، وقد زاد في كلامه صفآء على صفآء إذ قيّد وعده بالصبر بقوله: «إن شآء الله» فأشار إلى أن اتصافه بهذه الصفة الكريمة أعني الصبر ليس له من نفسه، ولا أنّ زمامه بيده، وإنّما هو من مواهب الله جلّ وعلا وعطاياه وفضله ومننه إن يشأ تلبّس به، وله أن لا يشأ فينزعه منه.

١٠٣ ـ (فلمّا أسلما وتلّه للجبين)

تقرير لإنقياد هما لأمر الله جلّ وعلا بتمام وجودهما، وبيان لطريق إقدامهما لتنفيذ أمره أي فطرحه في مكان مرتفع من الأرض وجعل جبينه نحو القبلة تهيّئواً لذبحه والجبين إسم للقسم المعروف من طرفي الجبهة، والمراد هنا هو الجبين اليسار. وقيل: جواب «لمّا» محذوف إيمآءً إلى شدّة المصيبة ومرارة الواقعة.

١٠٤ ـ (وناديناه أن يا إبراهيم)

بيان لندآء الله جلّ وعلا وخطابه لإبراهيم عليه السّلام على سبيل الكبريآء والعظمة

للمنادى، وفي إظهار إسم المنادىٰ بعد إضماره تفخيم وتكريم له. ولا يخفى على القارئ المتدبّر الخبير: أنّ الفرق بين النداء والدعاء: أنّ النداء هو رفع الصوت بما له معنى، تقول لصاحبك: ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا أي أبعدله وأنّ الدعآء يكون برفع الصوت وخفضه فيقال: دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي ولا يقال: ناديته في نفسي. وأمّا الفرق بين الصياح والندآء: فإنّ الصياح هو رفع الصوت بما لا معنى له، وبما يقال للندآء: صياح، وأمّا الصياح فلا يقال له: ندآء إلّا إذا كان له معنىً. فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً.

١٠٥ ـ (قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين)

بيان لتحقق المأمور به من تسليم الولد للذبح وبيان لجزآء العمل الصعب العسير بأنّك يا إبراهيم إمتثلت الأمر الّذي أمرناك في منامك، فإنّ الأمر كان فيه امتحانياً يكفي في امتثاله تهيّؤ المأمور لـلفعل، وإشرافه عليه فحسب. **إن تسئل**: كيف قال تعالى: «قدصدّقت الرؤيا» وإنّما كان يصدّقها لو وقع منه الذبح ولم يقع؟

تجيب عنه: تصديقه الرؤيا لأنه قدبذل وسعه، وفعل ما يفعله الذّابح من بطحه وإمرار السكين عليه، ولكن الله تعالى جآء بما يمتنع من تأثير الشفرة تحت حلق إسمعيل مع قصد إبراهيم للذّبح.

وقوله تعالى: «إنا كذلك نجزى المحسنين» في الإشارة دلالة على أنّ قصّة الذبح كانت محنة شاقة وإبتلاء شديداً وفي الجملة المؤكّدة مع نوني العظمة والكبريآء ـ إنّا ـ نجزى ـ تفخيم وتعظيم لله جلّ وعلا، وفي الإشارة البعيدة مع قرب عهدها ـ مضافاً إلى التّعليل لشدة الأمر وعظمتها ـ إشارة إلى عظمة الجزآء، وفي إضافة الجزآء إلى «المحسنين» تسجيل لكون إبراهيم واسمعيل عليهما صلوات الله من المحسنين، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم مالا يخفي على القارئ الخبير المتدبّر فتدبّر جيداً.

١٠٦ ـ (إنّ هذا لهو البلآء المبين)

تقرير لحقيقة هذا الأمر العظيم، وعظيم صبرهما على إمتثال أمر عظيم ربّهما،

تعقيب على هذا الحدث العظيم، وعلى هذا الإمتحان العسير الّذي إمتحن الله جلّ وعلا به عبدين من عباده المحسنين، امتحاناً لا يعد له امتحان، وإختباراً يتميّز فيه المخلص عن المدّعي، وفي هذا التعقيب تنويه من الله جلّ وعلا بهذين الرسولين الكريمين وبوثاقة ايمانهما وصلابتهما في طاعة الله تعالى، وأنّهما كانا أهلاً لهذا الإمتحان العظمى إذ تبيّنت خلاله شخصيتهما الفذة الكبيرة بوضوح.

١٠٧ ـ (وفديناه بذبح عظيم)

بيان لأول جزاء المحسنين: إبراهيم واسمعيل عليهما صلوات الله إزآء إحسانهما وانقيادهما لأمر الله تعالى وتنفيذ أمره وإن بلغ ما بلغ، أمّا احسان إبراهيم عليه السّلام فهو إفدآء إبنه، وأما إحسان إسمعيل عليه السّلام فهو إفدآء نفسه في سبيل الله تعالى، فما أعظم الإحسان من هذا: أحدهما إفدآء إبنه والآخر إفدآء نفسه في رضآء ربّهما، ومن ثمّ يُعلَم سبب وصف: «ذبح» بـ «عظيم» ويُعلَم سبب كون إسمعيل عليه السّلام مبدأ السيادة.

إن تسئل: لماذا سُمِّي إسمعيل عليه السّلام ذبيحاً ولم يُذبَح؟

تجيب عنه: لأنه لمّا أضجعه أبوه إبراهيم عليه السّلام ليذبحه، وقال له إسمعيل عليه السّلام: «يا أبت افعل ما تؤمر» صار بمنزلة الذبيح وإن لم يذبح، واعطى ثواب الذبيح في سبيل الله تعالى، فسمّى ذبيحاً تكريماً له إنّما الأعمال بالنيات... الذبح: الذبيحة، كناية عن الحيوان الّذي يذبح. الذِبح ـ الكسر ـ: المهيّا للذَبح ـ بالفتح ـ إسم لمايذبح بمعنى المذبوح.

١٠٨ ـ (وتركنا عليه في الآخرين)

بيان لجزآء آخر ربّاني، إزاء إحسانهما أن جعل لهما ذكراً باقياً بعدهما إلى يوم الدّين، وجعل في ذريتهما النبوّة والكتاب والحكمة... ولعل إفراد الضمير: «عليه» لتنزيلهما منزلة واحدة لإشتراكهما في أصل الإفدآء أو راجع إلى إبراهيم عليه السّلام وحده تكريماً له لأنه أبوإسمعيل عليهما أفضل صلوات الله وأكمل تحياته...

١٠٩ ـ (سلام على إبراهيم)

بيـان لجزآء ثـالث ربّاني لإبراهـيم عليه السّلام إزآء إحسانه، وفي تنـكير «سلام» تعظيم لابراهيم عليه السّلام وقدسبق نظـيرها في قصّة نوح عليـه السّلام (الآية: ٧٩) إلّا أنه لم يقل ههنا: «في العالمين» إكتفآء بما علم في قصّة نوح عليه السّلام فتأمل جيّداً.

١١٠ ـ (كذلك نجزي المحسنين)

قدسبق بيـان نظيـرها في قصّـة نوح عليه السّلام: (الآية: ٨٠) إلّا أنّـه لم يقـل ههنا: «إنّا» إذ تقدّم ذكر التأكيد في هذه القصّة، فلم يحتج إلى إعادته على أنّه قدبقي من القصّة شيء فناسب الإختصار في الإعتراض.

١١١ ـ (إنّه من عبادنا المؤمنين)

تـعليل لهذا الإحسـان الـعظيم الّذي أفاضه الله جـلّ وعلا على خليله إبراهيم عليه السّلام وأن الإيمان بالله تـعالى هو الّذي سلك به هذا المسـلك ورفعه إلى هذا المقام وأن من أراد أن يكون من عباد الله المحسنين، فليكن أوّلاً من عباد الله المؤمنين، فانه لا إحسان إلّا على أساس متين من الإيمان.

وقد قـال تعالـى: «إنّه مـن عبادنـا المؤمنيـن» مع أنّه أفضل المـؤمنين ترغـيباً في الإيـمـان بأن مدح مثلـه فـي جـلالته بأنه مـن الـمـؤمنين كمـا يـقال: هو من الكرمآء الأتقيآء الأسخيآء... وكذلك قوله عزّوجلّ: «وإنّه في الآخرة لمن الصالحين» البقرة: ١٣٠) وإذا مدح بأنّه يصلح وحده فلأنّه لا يقوم غيره مقامه ويستغنى به عنه.

قدمرّ بيانـها في (الآية: ٨١) من هذه السّورة فراجع. وهذا جزآء رابع لهما حيث إن الوصف والتوصيف من الله تعالى لعباده من أعظم الجزآء.

١١٢ ـ (وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين)

هذه الآية الكريمة وتاليها حلقة رابعة من السلسلة تحتوى بشارة باسحق عليه السّلام بـعد البشرى السابقـة بـاسمعيل في قـولـه تعالى: «فبشّرنـاه بغلام حليـم»: ١٠١) وهذا جزآء خامس فوجود إسـحق جزآء لاحسانهـما. وفي الآية الكـريمة دلالة واضحـة بل هي صريحة على أن الـذبيح الّذي سبق ذكره وهـو إسمعيل عليه السّلام غير اسحق عليه السّلام كما أن قصّة إجـمالية إسحق عليه السّلام هـذه غير قصّة إسمعيل عليه السّلام مبق

ذكرها وهو واضح لاخفآء. وفي الآية بيان جزآء رابع ربّاني إزاء إحسان إبراهيم عليه السّلام من إقدامه عليه السّلام على ذبح ولده الوحيد إسمعيل عليه السّلام آنذاك ، فبشّره الله تعالى بولد آخر إلى جانب هذا الولد الّذي أراد ذبحه، وتقديمه قرباناً لله عزّوجلّ، فوجودإسحق عليه السّلام جزآء لإحسان إبراهيم وإسمعيل عليهم السّلام فتأمل جيداً فلاتغفل وفي ذكر الصلاح بعد النّبوّة: «نبياً من الصالحين» تعظيم لشأنه وإيمآء بأنّه الغاية لها لتضمّنها معنى الكمال والتّكميل بالفعل على الإطلاق.

١١٣ ـ (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

تقرير لجزآء سادس وسابع ربّانيين إزآء إحسان إبراهيم واسمعيل عليهما صلوات الله، فلولا إحسانهما لما وُجِدَ إسحق عليه السّلام ولا يكرم هو خاصّة ولا ذرّيته عامة بهذه الكرامة وضمير التّثنية في «ذرّيتهما» راجع إلى إسمعيل وإسحق عليهما السّلام وفيه وعدو بشارة بكثرة نسلهما وعدم إنقطاع نسلهما

وفي قوله تعالى: «ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين» تقرير لواقع الأمر بالنسبة إلى ذرّية إسمعيل وذرّية إسحق عليهما السّلام إذ صاروا على طائفتين: فمنهم المحسن الصالح الّذي يستحقّ تكريم الله تعالى ورحمته، ومنهم المنحرف الآثم الّذي يستحقّ عذاب الله تعالى وسخطه فهم كسآئر النّاس، منهم المحسن النّاجي، ومنهم المنحرف المهلك بانحرافه وإثمه. وفيه ردّ على دعوى بني إسرائيل بأنّهم شعب الله المختار.

وفي ذلك تنبيه إلى أن النسب والولادة لا أثر له في الهدى والضلالة، وأنّ السّعادة بالولاية لا بالولادة، وأنّ الظّلم في الأعقاب لا يعود إلى الأُصول بنقيصة ولا عيب عليهم في شيء منه كما قال الله جلّ وعلا: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» فاطر: ١٨) وإنّ البر قد يلد منه الفاجر وبالعكس، ولاعار على الأب، وإنّ الشّرف بالحسب كسلمان الفارسي ولا بالنّسب كأبي لهب.

١١٤ ـ (ولقد مننّا على موسى وهارون)

هذه الآية الكريمة وما يليها من الآيات (١١٤ ـ إلى ـ ١٢٢) حلقة خامسة من

السلسلة فيها إشارة تنويهية إلى موسى وهارون عليهما السّلام بالأسلوب القسمي الّذي إقتضته حكمة التنزيل والسّياق، وتقرير لما بارك الله جلّ وعلا ذرّية إسحق عليه السّلام وما منّ عليهما وهما من ذرّيته من التّنجية والنّصرة والغلبة والنّبوّة والهداية والثّنآء الجميل والسّلام.

وإنّ المنّ ـ في الأصل ـ: تذكير المُحسِن للمُحسَن إليه بالإحسان في شيء من الإستعلآء الّذي يجرح العواطف ويؤذي الشعور... قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمَن والأذى» البقرة: ٢٦٤)

وأمّا منّ الله جلّ وعلا على عباده فهو تذكيرهم بنعمه وإحسانه إليهم ليس فيه شيء مما يكون بين الناس، بل هو الشرف الّذي لا ينال، والعزّة الّتي لا تطاول، أن يكون الإنسان بموضع الإحسان من ربّه... إنّه إحسان من مالك الإحسان، وفضل من ربّ الفضل، وجود منه صاحب الجود، فمن أصابه شيء من عطآء ربّه وإحسانه، فهو تاج شرف يزين به جبينه وثوب فخار وعزّة يمشي به في النّاس... فمن يستحي أن يمدّيده إلى الله عزّوجل سائلاً متضرّعاً؟ ومن يجد في صدره حرجاً ـ من أمير أو أسير، من كبير أو صغير ـ أن يسئل ربّ الأرباب وسيّد الملوك والأُمرآء... فالمنّ إنّما يستقبح إذا كان بين الأنداد أو المتقاربين منزلة، وأمّا إذا كان المنّ من عظيم لصغير فهو تنويه به، وهو مدح له وثنآء عليه.

فقوله جلّ وعلا: «ولقد مننّا على موسى وهارون» على سبيل القسم هو تنويه مؤكد بشأنهما ورفع لقدرهما عند الله تعالى، وأنّهما أهل لفضله وإحسانه...

١١٥ ـ (ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم)

تذكير بعناية الله تعالى لهم، وتفصيل لما منّ عليهم من تنجيتهما وقومهما بني إسرائيل الّذين كانوا في محنة قاسية تحت يدفرعون وأذنا به من قتل الأبنآء وإستحيآء النّسآء، ومعاملتهم معاملة العبيد والأرقآء...

١١٦ ـ (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين)

تذكير لهم بنصرتهم على القبط، وغلبتهم على فرعون الطّاغي وجنوده الباغين بعد

أن كانوا مغلوبين... وفي إظهار المراتب الثّلاث من التّنجية والنّصر والغلبة دلالة على أنّ كلّ مرتبة من المراتب المذكورة نعمة جليلة على حيالها، وإن كان بعضها متضمّناً بعض الآخر حيث أنّ التّنجية مقارنة من النصر، كما أنّ النّصر من الله جلّ وعلا يلازم الغلبة على التّرتيب لأن التّنجية عبارة عن التّخليص من المكروه، وذلك لا يحصل إلّا بالنصر كما أنّ الغلبة لا تحصل إلّا بالنّصر، وليس معنى ذلك أن يذكر النصر قبل التّنجية لتوقفها عليه كما توهّم بعضهم، ذلك أنّ النّصر إنّما يكون فيها إذا كان للمنصور قوةً ما، لكنّها لا تكفى لدفع الشّرّ فتتمّ بالنّصر وكان لبني إسرائيل عند الخروج من مصر بعض القوّة، فناسب إطلاق النّصر على إعانتهم على ذلك بخلاف أصل تخليصهم من يدفرعون الطاغي، فانّهم كانوا اسرآء مستعبدين لا قوّة لهم، فلا يناسب هذا الإعتبار إلّا ذكر التّنجية دون النّصر.

١١٧ - (وآتيناهما الكتاب المستبين)

بيان لنبوّتهما، وقد نُسِبَ الكتاب - وهو التّوراة - إلى موسى وهارون مع أن الكتاب كتاب موسى عليه السّلام لأن هارون عليه السّلام كان يبشّر في قومه بهذا الكتاب، وإن لم يكن تلقّاه من ربّه، فهو شريك في الرسالة وفي الكتاب بهذا الإعتبار.

١١٨ - (وهديناهما الصّراط المستقيم)

بيان لما اشترك في أُصوله جميع الرّسل عليهم صلوات الله وهو الطّريق الموصل إلى الحقّ والهدى وهذا هو معنى الهداية بتمام معناها: «أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده - قل إنني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» الأنعام: ٩٠ و١٦١) وقد تقدّم بيان نظير آيتي (١١٩ - ١٢٠) في آيتي (٧٨ - ٧٩) من هذه السورة

١٢١ - (إنّا كذلك نجزي المحسنين)

قدسبق بيان نظيرها في قصّة نوح عليه السّلام: «الآية: ٨٠) فراجع.

١٢٢ - (إنّهما من عبادنا المؤمنين)

قدتقدّم بيان نظيرها في «الآية: ٨١) من هذه السّورة.

١٢٣ ـ (وإنّ إلياس لمن المرسلين)

إنّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (١٢٣ ـ إلى ـ ١٣٢) حلقة سادسة من السّلسلة، تذكير فيها لقصّة إلياس النّبيّ عليه السّلام مع قومه المشركين الّذين كانوا يعبدون البعل من دون الله، ويحكى فيها تأنيب إلياس عليه السّلام لقومه وإنذاره لهم، وتكذيبهم له، وعقاب الله تعالى لهم، والثّنآء الجميل عليه عليه السّلام بسبب إخلاصه وإيمانه وإحسانه.

إنّ إلياس هومن ذرّيّة إسحق من سبط هارون اخي موسى عليه السّلام وهوالمذكور في التوراة باسم: «ايليا بن متى ...» وهو من أنبيآء بني إسرائيل الّذين سبقوا زكريا ويحيى عليهما السّلام. وقد كانت اليهود العنود لجفآء طبعهم، وبلادة حسّهم، وكَلَب أنا نيّتهم ينظرون إلى الله جلّ وعلا نظراً قاصراً محدوداً، فيرونه إله إسرائيل، لا إله العالمين، ومن ثَمَّ جعلوه قائد جيوشهم، وسمّوه «ربّ الجنود» ثمّ تمادوا في هذا التصوّر الخاطئ لجلال الله وعظمته، فتصوّروه رجلاً شديد البأس، مثل فرعون الّذي كانوا يرون فيه أقصى ما يمكن أن يتصوّروا من قوّة، حتّى لقد امتلأت التوراة بالحديث عن الله جلّ وعلا بأنّه «رجل حرب» وحتّى انهم ليتحدثون إليه على لسان أنبيآئهم كحديثهم مع واحد منهم... وقد كانت دعوة إلياس عليه السّلام اليهود الجحود إلى أن يصحّحوا هذا الفهم القاصر، وأن يقيموا وجوههم إلى الله جلّ وعلا على أنه ربّ العالمين.

١٢٤ ـ (إذ قال لقومه ألا تتّقون)

تقرير لدعوة إلياس النّبي عليه السّلام قومه إلى التّوحيد والطاعة لله تعالى وحده على طريق التّوبيخ واللوم وتخويفه قومهم إجمالاً بعذاب الله جلّ وعلا ونقمته في عبادة غيره.

١٢٥ ـ (أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

إنكار على قومه المشركين، وتوبيخ آخر لهم على عبادتهم بعلاً وعلى تركهم عبادة أحسن الخالقين. وفي تنكير «بعلاً» تحقير له ولعابديه. خطاب منه عليه السّلام لقومه

العاكفين على عبادة صنم كانوا يسمّونه «بعلاً».

إن تسئل: وما يظهر من قول إلياس لقومه: «وتذرون أحسن الخالقين» أنه جعل صفة الخالقية مشتركة بين الله جلّ وعلا وبين مَن سواه وقدأثبت الله تعالى الخلق لذاته ونفاه عمن سواه، في قوله: «أفمن يخلق كمن لا يخلق» النحل: ١٧) فبين الكلامين تناقض وتدافع ظاهراً؟

تجيب عنه: إن للخلق معانٍ: أحدها ـ بمعنى الإيجاد والإحداث بالإستقلال كقوله تعالى: «أفمن يخلق كمن لايخلق» فالله جلّ وعلا وحده هو الموجد بالإستقلال ليس له فيه شريك قطّ. فقوله تعالى ينفي إستقلال غيره في الإحداث والإيجاد، وأمّا ايجاد شرط الشيء لتتفاعل القوى الطبيعية مع بعضها تماسكاً وتجاذباً وفق سنّة الله الّتي جرت في الخلق فهذا شيء لا ينفيه قوله تعالى، وإطلاق الخلق على هذا النمط من الإحداث والصنع ليس شيئاً ينكر كما قال تعالى خطاباً لعيسى عليه السّلام: «وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير» المآئدة: ١١٠) أي تصنع. فاسند الخلق إلى عيسى عليه السّلام ذاته. فمعنى «أحسن الخالقين»: أحسن الصانعين حيث إستقلاله واستغنائه في الصنع والإحداث وافتقار غيره من الصناع إلى فعل القوى الّتي أودعها الله تعالى في جبلّة الأشيآء... ثانيها ـ بمعنى التّقدير تقول: خلقت النّعل إذا قدّرته. فخلق الناس أي تقدير النّاس ولعل هذا هو المراد من قول إلياس عليه السّلام فمعنى كونه أحسن الخالقين أنّه أحسن المقدّرين. ثالثها ـ بمعنى القطع تقول: خلقت هذاعلى ذاك أي قطعته على مقداره. رابعها ـ أنّ أفعل التّفضيل إذا اضيف ليس للمفاضلة بين الإ ثنين، بل لبيان وصف الذّات فالمعنى: الله وحده هو الخالق لا غيره.

١٢٦ ـ (الله ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين)

بيان لكون الله تعالى أحسن الخالقين، وإنّ الخلق والإيجاد كما يتعلّق بذوات الأشيآء يتعلّق بالنظام الجاري فيها الّذي يسمّى تدبيراً فكما أنّ الخلق إليه تعالى فالتدبير أيضاً إليه، فهو المدبّر كما أنّه الخالق، مع الإشارة إلى أنّ ربوبيّته جلّ وعلا لا يختصّ بقوم دون قوم كالأصنام الّتي يتّخذ كلّ قوم بعضاً منها دون بعض فيكون

صنم رباً لقوم دون آخرين، بل هو جلّ وعلا ربّ لهم ولآبائهم الأوّلين لا يختصّ ببعض دون بعض لعموم خلقه وتدبيره. وفي التّعرض بذكر الرّبوبيّة لآبائهم تأكيد لإنكار تركهم عبادته تعالى، وإشعار ببطلان آراء آبآئهم أيضاً.

١٢٧ ـ (فكذّبوه فإنّهم لمحضرون)

تقرير لكفر قوم إلياس وإستمرار ضلالتهم إذ لم يأخذوا بنصحه، ولم يقبلوا ما دعاهم إليه من تصحيح معتقدهم في الله جلّ وعلا، وبيان لعقابهم على فساد عقائدهم وسوء أقوالهم وأفعالهم، فهم يُحشرون إلى الله تعالى فيجازون عليها.

١٢٨ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

إستثناء منقطع من جمع المحضرين تنبيهاً إلى أنّه كان في قومه جمع المخلصين الّذين أخلصوا دينهم لله تعالى ولم يلبسوا إيمانهم بالأباطيل والضلالات...

١٢٩-١٣٢ـ (وتركنا عليه في الآخرين ـ إنّه من عبادنا المؤمنين)

قدسبق بيان نظائرها في قصّة نوح عليه السّلام: (الآيات: ٧٩-٨٢) من هذه السّورة فراجع

١٣٣ـ (وإنّ لوطاً لمن المرسلين)

إنّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (١٣٣-١٣٨) حلقة ثامنة ـ لو جعلنا قصّة آل ياسين وسلامه واحدة ـ من السلسلة تحكى قصّة لوط النّبيّ عليه السّلام ورسالته وتنجيته مع أهله المؤمنين، وهلاك زوجته الطاغية مع الهالكين الطاغين إجمالاً، وقد وردت قصّة لوط عليه السّلام على طريقي الإجمال والتّفصيل في أربعة عشر سورة من السّور القرآنيّة، ففي سبعة منها إجمالاً، وسبعة أُخرى تفصيلاً، وفي قصّة هذه السّورة: «الصافّات» شيء جديد متّصل بأهل الحجاز حيث تذكّرهم بأنّهم يمرّون على مساكن قوم لوط الّتي دمّرها الله جلّ وعلا صباحاً ومسآءً، وتنددبهم لأنّهم لا يعقلون ولا يعتبرون بما يرون، وتلك المساكن على شواطئ بحرالميّت في غور اريحا في فلسطين وكانت قوافل الحجازيين التجارية تمرّبها حينما تأتي من الحجاز إلى مصر أو ترجع من مصر إلى الحجاز، وكانوا يرون آثار التدمير الّتي ماتزال موجودة إلى

اليوم، وكانوا يعرفون قصّة قوم لوط، وتدمير الله تعالى لمساكنهم... وبذلك إستحكم فيهم الإفحام والتّنديد.

وهذا ما إنطوى في الحلقة من عبرة وعظة بالإضافة إلى مافي ذكر نجاة لوط وأهله من عذاب الله تعالى بسبب إيمانهم وإستثنآء إمرأته من النّجاة بسبب إنحرافها من عبرة وعظة.

١٣٤ ـ (إذ نجّيناه وأهله أجمعين)

بيان إجماليّ لتنجية لوط وأهله المؤمنين، مع الإشعار بأنّ الأهلية كانت سبب نجاتهم.

١٣٥ ـ (إلّا عجوزاً في الغابرين)

إستثنآء من جملة أهله المؤمنين إذ ما كانت مؤمنة به فسلبت عنه الأهليّة، فكانت من الضالّين الّذين لم يستجيبوا لدعوته، فأهلكها الله جلّ وعلا فيمن أهلك من قوم لوط، وقد ضربها الله تعالى مثلاً لنبتة السوء تنبت في الأرض الطيّبة. وفي التعبير بـ «عجوزاً» وتنكيرها عن إمرأة لوط غاية تحقير وإهانة كانت هي مستحقة لها بكفرها وطغيانها.

١٣٦ ـ (ثمّ دمّرنا الآخرين)

بيان لكيفيّة هلاك قوم لوط مع عجوزته الهالكين بعد أن نجى لوطاً عليه السّلام وأهله المؤمنين والتدمير: الإهلاك على وجه التنكيل، دمّر عليهم إذا غيّر حالهم إلى حال التشويه.

١٣٧ ـ (وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين)

تنبيه وإنذار وتوبيخ من الله تعالى على طريق الخطاب لمشركي مكة، وإرشادهم إلى النظر والإعتبار بما حلّ بقوم لوط المكذّبين الهالكين، وتعنيف لهم على ترك إعتبارهم وإيقاظهم بمواضع هؤلاء الهالكين مع كثرة مرورهم على ديارهم الخربة صباحاً ومسآءً لأمر عارض كحرّ أو غيره، ومن كثر مرورهم بمواضع العبرة فلم يعتبر كان ألوم ممن قلّ ذلك منه.

والمعنى: إنتبهوا أيّها المشركون وإعتبروا بما تمرّون صباحاً ومساءً على ديار قوم لوط الخربة، وعلى أطلال هؤلاء القوم الهالكين القائمة في مكانها، وترونها في سفركم التجاري من طريق الحجاز إلى الشام، ويراها كلّ من يمرّبها في أيّ وقت... أنّها في معرض النظر دائماً، ترون ما حلّ بهم من غضب الله تعالى ونقمته، وترون آثار ديارهم الّتي عفت وأضحت خراباً لا أنيس لها ولا جليس فيها فاتعظوا واعتبروا...

وفي قيد المرور بالصّباح وباللّيل، دلالة على أنّ آثار ديار القوم الهالكين كانت قائمة في مكانها، يراها كلّ مَن يمرّبها في أيّ وقت... وكانت في معرض النظر دائماً ولكن كان مشركو مكّة يمرون عليها صباحاً ومساءً لأمر عارض كحرّ أو غيره...

١٣٨ ـ (وباللّيل أفلا تعقلون)

تهديد لمشركي مكّة أن يفعل الله جلّ وعلا بهم ما فعل بإخوانهم المشركين المكذّبين من قوم لوط إذ خالفوا رسولهم وكذّبوه، وتهدّدوه بالأذى، فلو كان لمشركي مكّة عقول لكان لهم في مصارع الهالكين عبرة ومزدجراً! فالمعنى: أفليس لكم عقل تتفكّرون به فيما حلّ بقوم لوط لتجتنبوا عمّا كانوا عليه من الشّرك والضّلال، من الكفر والفساد، ومن البغي والعناد...؟ أفلا تشاهدون تلك الأثار الموحشة لتعتبروا بها؟ أفلا تخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟ فإن ما حلّ بهم من البلاء إنّما كان لمخالفتهم رسول الله وتكذيبهم وكفرهم وبغيهم وطغيانهم... كما تفعلون...

١٣٩ ـ (وإنّ يونس لمن المرسلين)

إنّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (١٣٩ ـ ١٤٨) حلقة تاسعة ـ بإعتبار ـ من السلسلة تذكر فيها قصّة يونس عليه السّلام ورسالته، وإباقه إلى الفلك وهجرته من دياره معرضاً عن قومه الكافرين، وفراره عنهم بدون إذن الله جلّ وعلا، ومغادرته لقومه مغاضباً بسبب تكذيبهم له، وتذكر فيها مجازاة الله تعالى لرسوله يونس عليه السّلام بما كان من قذفه في البحر والتقام الحوت له عليه السّلام لتنبيهه وزجره وتنبيه الآخرين من

الدعاة لئلاّ يفرّوا عن مسئولياتهم الإرشادية الصعبة، وتذكر فيها نجاته عليه السّلام بسبب صلته الوثيقة بالله تعالى بالتسبيح، ونجاة قومه بسبب ايمانهم بالله تعالى.

١٤٠ ـ (إذ أبق إلى الفلك المشحون)

الإباق: هرب العبد من سيّده ومولاه بدون إذنه، وقدسمّي يونس عليه السّلام آبقاً كما يأبق العبد من سيّده، وسيّد يونس عليه السّلام هو الله تعالى فلمّا كان هربه من قومه بغير إذن الله جلّ وعلا حَسُنَ إطلاقه عليه، والمراد بإباقه إلى الفلك خروجه عليه السّلام من بين قومه معرضاً عنهم، وهوعليه السّلام وإن لم يعص في خروجه ذلك ربّه ولا كان هناك نهي عن ربّه عن الخروج ولكن خروجه إذ ذاك كان ممثّلا لإباق العبد من خدمة سيّده ومولاه فأخذه الله تعالى بذلك، وإن كان غضبه عليه السّلام لأجل ربّه أنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله فغاضب قومه بمفارقته كي يخوّفهم حلول العقاب عليهم عندها، إذ أو عدقومه بالعذاب، فخرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى بالهجرة، وغاية ما في الباب أنّ تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدآئها إلى أن يأذن الله تعالى له في المهاجرة، ففي هذا تعريض بيونس عليه السّلام وأنّه لم يصبر الصبر المطلوب من الأنبيآء عليهم صلوات الله.

١٤١ ـ (فساهم فكان من المدحضين)

إشارة إلى مقدمة ما آخذه الله تعالى بمفارقته قومه وخروجه من بينهم بدون إذن ربّه

١٤٢ ـ (فالتقمه الحوت وهو مليم)

بيان لما آخذه الله تعالى به لفعله بدون إذن الله تعالى. وفي تعريف «الحوت» إشارة إلى أنّه حوت مرصود لهذه الغاية، وأنّه مسوق بقدرة الله جلّ وعلا إلى تلك المهمة وهي إبتلاع يونس عليه السّلام لفراره من قومه مغاضباً عليهم بغير إذن ربّه.

إن تسئل: كيف وصف الله تعالى نبيّه: يونس عليه السّلام بكونه مليماً كما وصف فرعون بذلك في قوله سبحانه: «فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ وهو مليم» الذاريات: ٤٠)؟

تجيب عنه: أنّ اللّوم الّذي وقع على يونس عليه السّلام هو لوم عتاب إذ ترك الاولى من غير معصية فإنّه خرج من بين قومه بدون إذن ربّه، وقد وقع منه تركاً للمندوب من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، وقد كان عليه عليه السّلام أن يصبر على أذى قومه كما صبر عليه الأنبيآء والمرسلون أجمعون وأمّا اللّوم الّذي وقع على فرعون فانّما هو لوم عقاب فتأمل جيّداً فلا تغفل.

١٤٣ ـ (فلولا أنّه كان من المسبّحين)

تقرير لسبب نجاة يونس عليه السّلام من بطن الحوت على طريق تعليق الحكم بالوصف مشعراً بعلّيّة الوصف للحكم، ولازم ذلك أن يكون يونس عليه السّلام إنّما إبتلى بما إبتلى به لينزهه جلّ وعلا فينجو بذلك من الغمّ الّذي ساقه إليه فعله إلى ساحة العافية. وفي عدّه عليه السّلام من المسبّحين ـ الّذي تكرّر منهم التّسبيح وتمكّن منهم حتّى صار وصفاً لهم ـ دلالة على دوام تلبّسه زماناً بالتسبيح، فمن دام الذكر في السّرّآء أخذ بيده وينجيه في الضّرّآء وفيه من الحثّ على تكثير الذكر وتعظيم شأنه ما لا يخفى على أهله فاغتنم ولا تغفل!

ولعمرى! إنّي جرّبت بالتّسبيح مأة مرّة والإستغفار سبعين مرّة والصّلوات على محمّد وآله مأة مرّة في كلّ يوم قبل الفجر وقبل المغرب بمدّة طويلة، فوجدت آثارها في جميع شئون حياتي ما لا أستطيع بوصفه وبيانه في المقام هذا؟

١٤٤ ـ (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)

في الآيات الكريمة دلالة على أنّ يونس عليه السّلام لو لم يسبّح لما خرج من بطن الحوت فكان قبره في بطنه إلى أن يموت الحوت، فإذا مات الحوت كان البحر قبرها معاً أو كان الحوت حياً وفي بطنه يونس عليه السّلام حياً أو ميتاً، إذ قرن الله تعالى الأسباب بالمسبّبات، وجعل المسبّبات رهناً بأسبابها... وذلك أنّ الله تعالى جعل نجاة يونس عليه السّلام قَدَراً من قَدَره، وجعل نفاذ هذا القَدَر متعلّقاً بوقوع التسبيح منه عليه السّلام فلمّا سبّح يونس عليه السّلام قضى على نجاته من بطن الحوت، فلولا تسبيحه

لبقي فيه وما نجى إذ كان سبب نجاته منحصراً في التّسبيح.

وفيها دلالة أيضاً على أنّ الدّعآء يردّ البلاء والقضآء بعد إبرامه ولكن بشرطين: الأوّل أن يكون الدّاعي من الأنبيآء والمرسلين أو الأتقياء والمؤمنين. الثاني أن تغلق دونه أبواب الحركة والعمل وتنقطع أسبابه بتمامها كما إنقطعت وأغلقت دون يونس عليه السّلام الّذي استغاث وهو غارق في ظلمة البحر واللّيل وبطن الحوت ولا مغيث على الإطلاق إلّا الله جلّ وعلا.

١٤٥ ـ (فنبذناه بالعراء وهو سقيم)

بيان لإستجابة الله تعالى لدعآء يونس عليه السّلام وكيفيّة نجاته عليه السّلام من بطن الحوت بسبب تسبيحه عليه السّلام بأن ألقيناه من بطن الحوت على شاطئ البحر من النّبت والشّجر و الظّلّ، ضعيفاً سقيماً كالفرخ بلا ريش. وفي قوله تعالى: «فنبذناه بالعرآء» دلالة على أن يونس عليه السّلام كان بعد من تأديب ربّه إذ نبذه بالعرآء ولوشآء الله جلّ وعلا لكساه سندساً وحريراً ولكنّه تعالى أخرجه من بطن الحوت عارياً على اليابسة الخالية من الشّجر والظلّ والفرش كما خرج هو من بين قومه هارباً بدون إذن ربّه.

١٤٦ ـ (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

بيان لمنّه ولطفه ورعايته وتكريمه جلّ وعلا ليونس عليه السّلام حتى لا يتعرّض لحرّ الشّمس ولا لزمهرير البرد، مع التّأديب له عليه السّلام من الله تعالى إذ أظله بشجرة من تلك الأشجار الّتي تنبسط أوراقها على سطح الأرض، فيضطرّ المستظلّ بها إلى أن يضع خدّه على الأرض الخالية من الفرش، هذا تأديب سماويّ لعبد من عباد الله المكرمين، وهو أدب فيه معاناة ذاتية، تعمل لها أجهزة الإنسان كلها، من جسميّة وعقلية وروحية... ولوشآء الله جلّ وعلا لما أدخل عبده يونس عليه السّلام في هذه التجربة، ولكنه تعالى قضت إرادته سبحانه أن يقوم كلّ كائن بما أودع فيه من قوىً... ففي ذلك تحقيق لذاته وإثبات لوجوده... وللإنسان من بين الكائنات كلّها، النصيب الأوفى في هذا المجال، فذلك من مقتضى الأمانة الّتي حملها

الإنسان، وقدأبت السّموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها!.

١٤٧ ـ (وأرسلناه إلى مأة ألف أويزيدون)

بيان لرسالة جديدة ليونس عليه السّلام وإرساله عليه السّلام بعد تلك التّجربة المُرَّة، وبعد أن لَبّس يونس عليه السّلام عزماً جديداً ومشاعرة جديدة، وكأنّه بهذا يبدأ الرسالة من جديد!

وقوله تعالى: «إلى مأة ألف أو يزيدون» هذا تحديد حقّ يضبط به أعداد تلك الجماعة فهي ليست مأة ألف بل إنّها تزيد على مأة ألف، أما هذه الزيادة فلا يمكن ضبطها إلّا للحظة لا تتجاوز غمضة عين، إذ كانت مواليد هذه الجماعة مستمرّة ونموّها مستمراً في كلّ لحظة، وإنّ أيّ قول يُضبَط به عددها ضبطاً كاملاً، لا يمكن أن يقع موقع الصدق الّذي يمثل الواقع، حيث انّه ما يكاد المُحصي الّذي يُحصي هذه الأعداد... ما يكاد ينطق بما أحصى، حتّى تكون الحياة قدألقت إلى هذه الأعداد باعداد جديدة... فإذا قال: إنّها مأة ألف ومأتان وعشرون مثلاً، تغيّر هذا العدد بمجرد تلفظه به، فزاد واحداً أو إثنين أو عشرة أو أكثر...

والّذي يلفت النظر أيضاً من هذا التعبير القرآني، هو لفظ «يزيدون» فهذا اللفظ لا يتغيّر أبداً، وحكمه ملازم لهذه الجماعات مادامت على الحياة، فهي في زيادة، وليست في نقص، إذا أنّ هذا هو شأن الكائنات الحيّة... إنّها في زيادة... حيث أنّ مواليدها أكثر من أمواتها...

١٤٨ ـ (فآمنوا فمتّعناهم إلى حين)

بيان لنتيجة إرسال يونس عليه السّلام إلى قومه ثانياً وإستئناف دعوته إيّاهم إلى الله بأنّهم آمنوا عندئذٍ بلا مكثٍ بعد ما آمنوا وتابُوا حين رأوا العذاب، فإنّ العطف بالفآء دليل على سرعة إستجابة القوم لرسولهم، وهذا ما يكشف عن أنّهم كانوا على إستعداد للإيمان وإن توقفوا شيئاً ما، عند دعوته عليه السّلام لهم أوّل الأمر، ولو أنّه صبر قليلاً على خلافهم له واستقام لآمنوا... لأنّهم كانوا مستعدين لتلقي الحقّ والهدى، ولم تجمد عقولهم على الكفر والضلال... وفي ذلك تنبيه إلى أنّه ليس للرسول أنّ

تقوم له الحجة على قومه إلّا بعد أن يبلّغ رسالته إليهم كاملة، وأن يحتمل في سبيلها كلّ جَهْدٍ، وأن يبذل لها كلّ قدرة ممكنة لديه، وإلّا كان في موضع من اللوم والعتاب، كما أنّ المُرسَل إليهم يكونون تحت طائلة اللوم والعقاب لو أنّهم دُعُوا وأبوا أن يستجيبوا...

وهكذا يُسَوّي حساب النّاس عند الله تعالى كلّ يأخذ حقه كاملاً، يستوي في هذا الحساب، الرسل، ومَن أُرسلوا إليهم، إنّهم جميعاً عباد الله تعالى، وإنّه لا محاباة ولا مجاملة...

وفي ذلك دلالة على أنّ الرّسول ليس بمسئول عن إستجابة النّاس لدعوته، ولا من شرط الرسالة، الإستجابة، إذ ما على الرسول إلا إبلاغ رسالته مادام حيّاً سوآء آمن النّاس أم كفروا، وفي قصص الأنبيآء والمرسلين كافّة، وفي قصّة يونس عليه السّلام خاصّة درس قيم لدعاة النّاس ومصلحيهم... فلا بدلهم من الصبر والإستقامة والصلابة في إرشاد النّاس وهدايتهم سوآء آمنوا واهتدوا أم لا.

وقد كان يونس عليه السّلام بإبلاغ رسالته وإن لم يكن قومه مستعدّين للإيمان كأكثر مشركي مكّة كأبي لهب وأبي جهل وأضرابهما...

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ أوجه الوجوه في ذكر قصص الأنبيآء والمرسلين وتكريرها هو تشويق الدعاة وترغيب المصلحين الّذين هم علة مبقية لدين الحقّ إلى مثل ما كانوا عليه من فطرة التّوحيد وتوحيد الكلمة، من مكارم الأخلاق ومحاسن الافعال والعقائد الحقة، ومن الصبر والإستقامة والصلابة في الرسالة وهداية النّاس، وتحمل صعوباتها، ومن صرف الخلق عما كان عليه الكفار والمجرمون، والفجّار والمستبكرون من فساد العقائد ورذائل الأخلاق، ومساوي الخصال، ومقابح الأفعال... فتدبر جيّداً واغتنم جدّاً

١٤٩ ـ (فاستفتهم ألرّبك البنات ولهم البنون)

إنّ الآية الكريمة وما يليها من الآيات: (١٤٩-١٨٢) حلقة عاشرة ـ بإعتبار ـ من السلسلة، وعود إلى بدءٍ في قوله تعالى: «فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً ـ إلّا عباد الله

المخلصين): ١١-٧٤) أنّها دعوة مجددة لمشركي العرب إلى التّوحيد والهدى مع قيام الأدلة وتظاهرها على وحدانيّة الله جلّ وعلا، على طريق الإستفتآء مرة بعد أُخرى وتبكيتهم وتوبيخهم على الشّرك وإنكار الرّسالة والبعث، وإبطال عقائدهم الفاسدة، وتبعاتها عليهم...

وفيها إلتفات خطابي لمشركي العرب الّذين كانوا موضوع الحديث قبل سلسلة القصص... حيث استؤنف فيها موقف المناظرة والجدل الّذي حكته آيات السّورة الاولى، والتحم السّياق بين أوّلها وآخرها، وبذلك تكون الآيات الّتي جائت بين الآيات الاولى من السّورة وهذه والّتي إحتوت بيان مصائر الكفّار والمخلصين، وقصص ثمانية رسل عليهم صلوات الله وأقوامهم قدجآئت من قبيل الإستطراد والإستشهاد والتذكير...

وفي الآية الكريمة هذه تنديد وتقريع وتوبيخ وإنكار لهم على طريق الإستفتآء عن وجه القسمة الجآئرة الّتي عملوها وهي جعل البنات لله تعال وجعل البنين لأنفسهم بقولهم: الملآئكة بنات الله سبحانه! وفي هذا اللقآء بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وبين مشركي مكّة يدعوهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم إلى أن يستحضروا عقولهم، وإلى أن يُفتُوه فيما يستفتيهم فيه... إنّهم هنا في مقام الفُتيا، ذلك المقام الّذي لا يقوم فيه إلّا أصحاب العقل والعلم، وأهل الرأي والفهم... فهل هم أهلٌ لهذا؟ وهل هم مستعدّون لأن يفتوا فيما يُستَفْتَوْن فيه؟ وإن الّذي يستفتون فيه ليس إلا بديهة من بدهيّات العقل عند العقلآء، فهل يخطئون وجه الصواب في هذه البدهيات؟

«ألربّك البنات ولهم البنون»؟ هذه هي القضية الّتي يطلب منهم الرّأي فيها. إذ كان هناك في المخلوقات بنات وبنون... ثمّ كانت هناك قسمة بينهم وبين الله سبحانه، فأيٌّ تكون له البنات وأيٌّ يكون له البنون؟ ومن غير مرآء أنّ البنات عندهم أنزل درجة من البنين... فهل يقضي العقل عندهم أن يكون لله سبحانه البنات ويكون لهم البنون؟ أهذه قسمة عادلة؟ أيكون للإله الخالق دون مالهم؟ إنّ ذلك جورٌ

فـي الحكـم والقضآء، وخُرقٌ فـي الرّأي، وضلال في الفُتْيـا ... ولهذا نقض الله جلّ وعز عليهـم رأيهم الفاسـد هذا، وردّ قسمتهـم تلك الجائرة إذ قال: ألكم الذّكر وله الانثى تلك إذاً قسمـة ضيزى» النجم: ٢١-٢٢) أيصح بحكمـكم أن يكون لله سبحانـه البنات ولكم البنون؟

١٥٠ ـ (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون)

إستفتاء تبكيتى عمّا إذا كانوا حاضرين إذ خلق الله جلّ وعلا الملائكة، فرأوا أنّه تعالى خلقهم إناثاً كما يزعمون، وتقريع لهم على إستهانتهم بالملائكة بجعلهم إناثاً، وإنكار عليهم بـأنّهم لم يشهدوا خلـق الملآئكة ولم يشاركوا فـيه حتّى يكونوا لـهم قول في هذا الأمر، وتـرقٍّ فـي التّوبيـخ لـهم على مـقـالتهم الكـاذبة فإنّ ذلك لا يعلـم إلّا بالمشاهدة، ولا يمكـن معرفة مثل ذلك إلّا بها أو النّقل، ولا سبيل إلى معرفته بالعقل حتّى يقوم الدّليـل والبرهان على صحتـه، والنّقل الصّحيـح الّـذي يؤيّد ما يدّعون لا يوجد، فلم تبق إلّا المشاهدة، وهذه مفقودة فمقالتهم بانوثة الملآئكة مردودة.

فقوله تعالى: «أم خـلقنا الملائكة إناثاً» إضراب وإنتقال من التّبكيت بالإستفتآء السّابق إلى التّـبكيت بـهـذا أي بل أخلقنـا الملآئكة الّذيـن هم من أشرف الخـلائق وأبعـدهـم من صـفـات الأجسـام ورذائل الطبـائع إناثـاً، والانـوثة مـن أخسّ صـفات الحيوان؟!

وقوله تعالى: «وهم شـاهدون» إستهزاء بهم وتـجهيل لهم كقوله تعالى: «أشهدوا خلقهم» الزخرف: ١٩) فإنّ إمتثـال هذه الأُمور لا تعلـم إلّا بالمشاهدة إذ لا سـبيل إلى معرفتها بطريـق العقل، وإنتفاء النّقل ممّا لا ريب فيه، فلا بدّ وأن يكون القائل با نوثتهم شاهداً عند خلقهم.

١٥١ ـ (ألا إنّهم من إفكهم ليقولون)

إستئـناف مـن جهتـه جلّ وعـلا غير داخـل تحـت الأمر بالإستفـتآء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفـاسد، وردّ لقولهم البـاطل في الولادة ببيان أنّ مـبنى مذهبهم ومـنشأ عقيدتهم الزائـفة ليس إلّا الإفك الصريح والإفـتـرآء القبيح من غير أن يكون لهم دليل

أو شبهة قطعاً، والإفك هو أشدّ أنواع الكذب وأسوأها...

١٥٢ ـ (ولد الله وإنّهم لكاذبون)

بيان لمقالتهم الآفكة، وتلبّسهم بالكذب على طريق التّوكيدات الأربع: حرف التّوكيد والجملة الإسميّة، واللام والوصف.

١٥٣ ـ (أصطفىٰ البنات على البنين)

إثبات لإفكهم ونقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان إستلزامه لأمر بيّن الإستحالة هو إصطفاؤه سبحانه البنات على البنين، وتسفيه في صيغة الأسئلة الإنكارية لزعمهم أنّ الأولاد الّذين إتخذهم واصطفاهم بنات وليسوا ببنين... كأنّه قال: ويحكم! إختار البنات وترك البنين... ونقض لدعواهم الباطلة من أساسها مبيناً أنّ العقل لا يتقبلها قط، إذ كيف يختار سبحانه البنات على البنين، ومن إختار الأدون على الأعلى مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً، والله سبحانه لا يليق بصفات النقص في اصطفآء البنات على البنين مع استحالة إتّخاذ الولد عليه لما في ذلك من معنى التّشبيه لأنّه إنّما يتخذ الولد من يجوز أن يكون مثل ذلك ولداً له، ولذلك لا يجوز أن يتّخذ الشاب شيخاً ولداً ولا أن يتخذ الإنسان بعض البهآئهم ولداً لما لم يكن ذلك ممكناً، فاذا استحال الولد عليه سبحانه فما هو مشبه به أولى بأن يستحيل عليه.

١٥٤ ـ (مالكم كيف تحكمون)

توبيخ لهم على ما يرضون لله سبحانه ولا يرضون لأنفسهم، هذا حكم حتّى لا يستقيم مع منطقهم الزّور وهذا خروجهم في زعمهم وحكمهم عن نطاق المنطق والعقل، وتهجين لهم بوضعهم الشّئ في غير موضعه لأنّهم وضعوه موضع الحكمة، وليس الأمر كذلك فإنّهم على فاحش الخطأ الّذي لا يدعو إليه إلّا الجهل والسّفه. وفي الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب دلالة على إشتداد السخط الموجب لتوبيخهم شفاهاً. ولا يبعد أن تكون الجملتان الإستفهاميتان مستقلتين حيث إستفهمهم أوّلاً عمّا إستقرلهم وثبت إستفهام إنكار، ثمّ إستفهام تعجّب من هذا الحكم الّذي حكموا به ثانياً.

١٥٥ ـ (أفلا تذكّرون)

توبيخ لهم على غفلتهم عن غفلتهم، وجهلهم عن جهلهم، وسفههم عن سفههم. أي ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلان معتقدكم فإنّه مركوز في عقل كلّ ذكي وغبيّ، فلو تذكّرتم لا نكشف لكم خلاف معتقدكم، فقد تنزّهت ساحته جلّ وعلا عن أن يتجزّى فيلد أو يحتاج فيتخذ ولداً.

١٥٦ ـ (أم لكم سلطان مبين)

إضراب عن توبيخ إلى توبيخ، وإنتقال من تقريع إلى تقريع، وتبكيتهم بماذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلاً أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السّمآء بأنّ الملآئكة بناته سبحانه؟! فهذا تحدٍّ لهم باظهار ما عندهم من بيّنة أو كتاب على صحة زعمهم على طريق الإستفهام الإنكاري، والمعنى: فإذا لم تكن لكم عقول تعقل، وتقيم لكم على هذا الّذي تقولونه فهل معكم بهذا كتاب من عند الله تعالى ينطق بأنّ الملآئكة بناته سبحانه ضرورة أنّ الحكم بذلك لا بد له من سند حسّيّ أو عقلي، وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقليّ فقال تعالى:

١٥٧ ـ (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)

تحدٍّ بعد تحدٍّ، وفي إضافة الكتاب إليهم: «بكتابكم» بعناية فرضه دالاً على دعواهم الكذبة... وفي الآيات التّسع: (١٤٩-١٥٧) من الانباء عن السّخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والإستبعاد الشديد لأباطيلهم، وتسفيه أحلامهم، وتركيك عقولهم وأفهامهم مع إستهزآءٍ بهم وتعجيب من جهلهم مالا يخفي على المتأمل الخبير.

وفي الآيات الكريمة تزييف لمعتقدهم الباطل بقسمة عقلية، وذلك أنّ سند الدّعوى إمّا أن يكون حسّاً وإما خبراً أو نظراً أمّا الحسّ فمفقود لأنّهم ما شاهدوا كيفيّة تخليق الله جلّ وعلا الملائكة وهو المراد من قوله تعالى: «أم خلقنا الملآئكة إناثاً وهم شاهدون» وأمّا الخبر فكذلك لأنّ الخبر إنّما يفيد العلم إذا علم أنّه صدق قطعاً

وهؤلاء كذّابون أفّاكون... وقد أشار إليه بقوله سبحانه: «ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولدالله وانّهم لكاذبون» وأمّا النظر فمفقود أيضاً لوجهين: أحدهما ـ أنّ دليل العقل يقتضي فساده لأنّه تعالى أكمل الموجودات و الأكمل لا يليق به إصطفآء الأخس لنفسه حتّى عند هؤلاء المشركين المستكبرين، وذلك قوله عزّوجلّ: «أصطفىٰ البنات على البنين مالكم كيف تحكمون» على طريق الإستفهام الإنكاري. ثانيهما ـ عدم الدّليل على صحّة معتقدهم وهوقوله تعالى: «أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين» فلم يأتوا بهما ولا بأحدهما.

وقد كرّر الإنكار على اصطفآء البنات على البنين من بين لوازم قولهم لشدّة شناعته وفضاحته...

١٥٨ ـ (وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون)

في الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة إيذان بإنقطاعهم عن الجواب بالمشافهة، وسقوطهم عن درجة الخطاب، وإنّ إقتضآء حالهم هذه أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم ومقالاتهم الفاسدة الاخرى ومفترياتهم على الله جلّ وعلا.

وفي الآية الكريمة إشارة تبكيتية إلى عقيدة من عقائد المشركين الباطلة، وهي زعمهم بوجود نسب بين الله سبحانه وبين العالم الخفي، غير المنظور لهم وهو عالم الملآئكة، بزعمهم أنّ الملآئكة بناته سبحانه فإنّ الولادة تقتضي الجنسيّة والمناسبة، وردّ تكذيبيّ عليهم في صورة كون الملائكة يعلمون أنّ قائلي هذا الزّعم الفاسد محضرون يوم القيامة للنّار فيعذّبون بها، وفيها توبيخ لهم على أنّ من كانت صفته الإجتنان عن العيون، والإستتار عن الأبصار كيف يصلح أن يكون مناسباً لمن لا يكون عليه صفات الأجرام... نعم! بين الله جلّ وعلا وبين الملآئكة نسبة الالوهية، نسبة الربوبيّة ونسبة العبودية لا نسب الولادة. وحقّاً: إن المشركين المستكبرين كذبوا على أنفسهم وعلى بعضهم، كذبوا على الجنّ والملآئكة، كذبوا على الكون ومَن فيه وما فيه، وكذبوا على خالق الكون ونواميس الوجود لتلبسهم على الكذب: «وإنّهم لكاذبون» ١٥٢)

في تفسير الكشّاف: قال الزّمخشري: «إن قلت: لِمَ سُمِّيَ الملائكة جنّة؟ قلت: قالوا: الجنس واحد ولكن مَن خبث من الجنّ ومَرَدَ وكان شرّاً كلّه فهو شيطان، ومن طَهُرَ منهم ونسك وكان خيراً كلّه فهو ملك، فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم» إنّتهى كلامه أقول: فعلى هذا تكون الملآئكة من جنس الشّياطين، وإنّ الإفتراق بين الملآئكه والشّياطين في الصفات من الخير والشر، والطهارة والخباثة وهذا ليس بشيء، بل مردود بالآيات الكريمة والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته أوردناها في تفسير سورة «فاطر» فراجع. وأما التعبير عن الملائكة بالجنّة في المقام فباعتبار إجتنانهم عن العيون واستتارهم عن الأبصار، فلا تكون من جنس الجنّ الّذي خلق من نار ومن الجنّ الشّياطين...

١٥٩ ـ (سبحان الله عمّا يصفون)

تنزيه لذاته ـجلّ وعلا عن قول المشركين وصفتهم من الولد والنّسب والصاحبة، وعن الوصف الّذي يسوون فيه الخالق والمخلوق، وعن كلّ مالا يليق بساحة قدسه من النقائص...

١٦٠ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

ترديد لآية صارت بمثابة لازمة في هذه السّورة حيث تكرّرت عقب فصولها مراراً، وفيها تنزيه وإستثناء لعباد الله المخلصين من أن يكونوا كالكفار والمشركين، وأن يصيروا إلى مصائرهم لأنّهم ممحّضون للخير، ومفطورون على الطاعة لايقع منهم ما لا يرضاه الخالق جلّ وعزّ. وهذه شهادة من الله تعالى أو من الملآئكة ببراءة المخلصين من العباد من أن يصفوه سبحانه بذلك، متضمّنة لتبرّئهم منه بحكم إندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده. فتأمّل جيّداً.

١٦١ ـ (فإنكم وما تعبدون)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، تنديداً وإستخفافاً وتحقيراً للمشركين الّذين إتّخذوا آلهة متنوّعة لأنفسهم يعبدونها، وإستخفافاً بآلهتهم من الأصنام ومن آلهة الضّلال من شياطين الجنّ والإنس... وفيها تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجز الآلهة عن إغوآء المخلصين وإضلالهم... وفي الإلتفات أيضاً إظهار

لكمال الإعتنآء بتحقيق مضمون الكلام، وفيه إيذان بتبرّء المخلصين أو الملائكة عن تلك الآلهة وعن عبادتهم كقوله تعالى: «قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ» سبأ: ٤١)

١٦٢ - (ما أنتم عليه بفاتنين)

خطاب للمشركين المستكبرين ولمعبوديهم من آلهة الضلال على سبيل التغليب. والمعنى: إنّكم أيّها المشركون ومعبوداتكم لستم بفاتنين على الله جلّ وعلا باغوآء عباده المخلصين وإضلالهم، فلايتسهّل لكم أن تفتنوا إلّا مَن هو ضالّ، وخبثت سريرته مثلكم...

١٦٣ - (إلّا من هو صال الجحيم)

إستثنآء مفرّغ أي لستم بمضلّين أحداً على الله جلّ وعلا إلّا مَن اختار الكفر والطّغيان، فإستحق بسوء إختياره أن يصلى النّار، وأما المخلصون فأنتم بمعزل من إفسادهم وإضلالهم، فهم برآء من أن يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه جلّ وعلا بما وصفتموه به.

وفي الآيات الثّلاث: (١٦١-١٦٣) ايمآء إلى ما كان من جهدزعمآء المشركين ومستكبريهم بسبيل المناضلة والمجادلة عن عقائدهم ومحاولتهم إقناع النّاس بفضلها وصحّتها حيث ينطوي في ذلك صورة من صور السّيرة النّبوية وإعتداد المشركين بأنفسهم وعقآئدهم...

١٦٤ - (وما منّا إلّا له مقام معلوم)

تقرير لجليّة أمر الملآئكة وتعيين لحيّزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة الفجرة فيما قالوا وجعلوا بين الملآئكة وبين الله سبحانه نسبة الولادة والقرابة، وتنزيه الله جلّ وعلا عن ذلك وتبرئة المخلصين عن فتنتهم، وإظهار لمقصود شأن الملآئكة وقمائتهم، وإنكارعبادة مَن عبدهم، كلّ ذلك على طريق لسان حال الملآئكة تتردد أصدؤه من الملأ الأعلى ليملأ أسماع العالمين، مؤمنهم وكافرهم جميعاً، وإنّ كلّ ملك منهم عارف حدّه وحدّ مقامه لا يتجاوزه وله مكانه الّذي أقامه الله تعالى فيه، وله منزلته بين إخوانه، وأنّهم ليسوا على درجة واحدة، بل هم - مع

إشتراكهم في معنى العبودية لله تعالى وحده كلهم عبيد أذلآء بين يديه تعالى - في منازل الكرامة والإحسان درجات عند الله عزّوجلّ كما أن النّاس درجات، فلا يستوي المؤمنون والكافرون، ولا يستوي مؤمن ومؤمن، ولا كافر وكافر... فلكل مكانه، ولكلّ درجته، وليس لأحد منهم أن ينتقل من حال إلى حال، أو يتحوّل من مكان إلى مكان... بل لكلٍّ مقام معلوم حيث أقامه الله عزّوجلّ.

١٦٥ - (وإنّا لنحن الصّافون)

تقرير من لسان حال الملآئكة بأنّهم - وهم في هذه المنزلة العالية عند ربّهم - قآئمون دائماً صفوفاً لأدآء الطّاعة ومنازل الخدمة، فيعبدون الله جلّ وعلا، ويأتمرون بما أمرهم الله تعالى ولا يعصون، وهم أعزآء عند الله تعالى لكونهم عبيداً أذلآء لديه جلّ وعلا وفي تأكيدات الخمْس: حرف التأكيد واللام والإسمية وضمير الفصل والوصف دلالة على تلبّسهم بالقيام دائماً لائتمار أوامر الله جلّ وعلا ومنازل الخدمة...

١٦٦ - (وإنّا لنحن المسبّحون)

بيانها ظاهر من قبلها

١٦٧ - (وإن كانوا ليقولون)

تقرير مقالة من مقالات مشركي العرب قبل البعثة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّهم إذا عُيّروا بالجهل والضّلال، والشّرك والفساد يقولون هذه المقالة:

١٦٨ - (لو أنّ عندنا ذكراً من الأوّلين)

بيان لتمنّيهم بأنّهم كانوا يتمنّون - إذا عُيّروا - أن يكون لهم كتاب من كتب الأُمم الماضية النازلة من السّمآء، تلقّاه آباؤهم من قبلهم، ويتلقّونه هم عن آبائهم... وهذا في الحقيقة هفوة منهم، فإنّ مذهب الوثنية يحيل النّبوّة والرسالة ونزول الكتاب السماوي على بشر مثلهم: «قالوا أبعث الله بشراً رسولاً» الاسراء: ٩٤)

١٦٩ - (لكنّا عباد الله المخلصين)

إشارة إلى إعتذارهم الكذب في شركهم وطغيانهم... بأنّهم كانوا يتمنّون - كذباً - أن لو بُعِثَ إليهم نبيّ ببيان الشرائع، ولو جآئهم ما جآء الامم السابقة من ذكر الله

تعالى وكتبه لا تبعوه وآمنوا وكانوا عباداً مخلصين لله وحده، يريدون بمقالتهم الكاذبة هذه أنّهم معذورون لو أشركوا وكفروا لعدم قيام الحجّة عليهم من قبل الله جلّ وعلا.

١٧٠ ـ (فكفروا به فسوف يعلمون)

ردّ تنديديّ على المشركين لتناقضهم بين الفعل والقول، بأنّهم كانوا يتمنّون مجيئ النّبيّ ونزول الوحي السّماوى إليهم فلمّا جآئهم كفروا به ونقضوا عهدهم وقولهم فكانوا في تمنّيهم كاذبين اذ كانت حالهم بعد مجئ الوحي غير ما كانوا يتمنّونه، وهذا تعجيب منهم إذ جآءهم نبيّ هو أشرف الأنبيآء وسيّد المرسلين، وأنزل عليهم كتاب هو أكمل الكتاب السماوي الّذي فيه تبيان كلّ شيء حتّى وما كان تمنّيهم على هذا الحدّ فكفروا به وما وفوا بما عهدوا.

وقوله تعالى: «فسوف يعلمون» وعيد أكيد، وتهديد شديد وإنذار لهم على موقفهم السّوء... إنهم جهلوا أو تجاهلوا ما يجر عليهم موقفهم هذا الّذي يقفونه من الّذكر الّذي جآءهم، وسوف يجيئ اليوم الّذي يعلمون فيه ما جهلوا أو تجاهلوا ويرون عاقبة أمرهم مما يحل بهم من مغبة كفرهم وتكذيبهم ولن يكون لهم عندئذٍ إلّا الحسرة والندم والعذاب.

١٧١ ـ (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

تقرير ربّاني مستأنف سيق لتقرير الوعيد على طريق القسم، وبيان حاسم لعاقبة أمر المرسلين بسبق كلمة الله تعالى على نصرتهم بالحجّة الكافية والبينات الواضحة على الكافرين المكذّبين تنبيهاً إلى أنّ هذا الصراع الدائرين مشركي مكّة و بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سينتهي آخر الأمر بنصر الله جلّ وعلا لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين معه على هؤلآء المشركين: فوقع كما وعده الله تعالى. وتصديره بالقسم لغاية الإعتنآء بتحقيق مضمونه أي و بالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهوقوله تعالى:

١٧٢ ـ (إنّهم لهم المنصورون)

تقرير ربّانى لتحقق كلمة الله جلّ وعلا الّتي سبقت للمرسلين أنّهم منصورون في الحجّة لكونهم على الحقّ، والحقّ غالب غير مغلوب، ومنصورون على أعدآئهم باظهارهم عليهم تارة وبالإنتقام منهم تارة أُخرى في الحياة الدّنيا، وفي الدّار الآخرة.

وفي تأكيدات الخمس: حرف التأكيد، والإسمّية، ولام التأكيد، وضمير الفصل، وإيثار الوصف الدّال على تلبّس المرسلين بالنّصرة، وفي تقديم كلمة الله تعالى للمرسلين بأنّهم سينصرون لا محالة لطائف للملائكة والسّامعين لها ما لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

١٧٣ ـ (وإنّ جندنا لهم الغالبون)

إنّ الآية الكريمة هذه كالسّابقة في تأكيدات الخمس... وفي توكيد الإنذار الربّاني إثارة الخوف في قلوب الكفّار والمشركين والفجار والمستكبرين، وتطمين للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين وتثبيتهم، فإنّ من شأن الإنذار بعث القوّة والثقة والثبات والصلابة والشعور بالإستعلاء والنصر النهائي في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين حقّاً من دون ريب. وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنّ المؤمنين هم جند الله جلّ وعلا ما داموا مؤمنين وأنّ الله تعالى لن يتخلّى عن جنده الّذين يقاتلون في سبيله ويدافعون عن دينه وما نزل من الحقّ، وذلك أنّ الجند هنا هو المجتمع المؤتمر بأمر الله جلّ وعلا المجاهد في سبيله وهم المؤمنون خاصّة أو المرسلون ومن تبعهم من المؤمنين، وفي الكلام على التقدير الثاني تعميم بعد التخصيص، وكيف كان فالمؤمنون منصورون كمتبوعيهم من المرسلين، وإن الحكم وهو النصر والغلبة حكم إجتماعيّ منوط على العنوان لا غير أي إنّ المرسلين وهم عباد الله تعالى أرسلهم، والمؤمنون وهم جند لله عزوجلّ يعملون بأمره ويجاهدون في سبيله ما داموا على هذا النعت منصورون غالبون، وأمّا إذا لم يبق من الإيمان إلّا إسمه ومن الإنتساب إلّا حديثه، فلا ينبغي أن يُرجى نصر ولا غلبة.

وفي إضافة «جند» إلى ضمير التّكلم مع الغير: «نا» تعظيماً تشريف لهم وتنويه بالمؤمنين إذا قاموا بنصرة دينه.

١٧٤ ـ (فتولّ عنهم حتّى حين)

تفريع على حديث النّصر والغلبة، ففيه وعدلرسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم بالنصر والغلبة وإيعاد للمشركين ولقريش خاصّة، وإنّ الأمر بالإعراض عنهم

أوّلاً: «فتولّ عنهـم» ثمّ جعله مغيّاً بقوله جلّ وعلا: «حتى حين» تلويح إلى أن الأمر غير بعيد، وكان كـذلك فهاجر النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بـعد قليل فأباد الله تعالى صناديد قريش في غزوة بدر وغيرها...

أمر مـن الله جلّ وعـزّ لرسـول الله صلى الله عـليـه وآله وسلّـم بالإعـراض عن مشـركي العرب المستكبـرين، وعدم مبالا ته صلى الله عليه وآله وسلّم بـهم وإستمهالهم إلى الأمد المحدود الـمعيّـن في علم الله تعالى، فسوف يرون تحقيق وعده و وعـيده، وفي الآية الكريمة تسلية للنّبيّ الكـريم صلى الله عليه وآله وسلّم إثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعادغب تأكيد مع مافي إطـلاق الفعلين عن المفعول إيذان بأنّ ما يبصره صلى الله عليه وآله وسلّم حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان...

١٧٥ - (وأبصرهم فسوف يبصرون)

في الأمر بالإبصار في الحال إيذان بقرب الحين كأنّه بين يديه يبصره في الوقت، ويرى المشركون المستـكبرون تحقيق مـاينذرون قدّامهم، وعيـدلهم بما ينتظـرهم من مصير مشئوم، يرونه بأعينهم فيـما يصابون به في أنفسهم، يوم يلتقي الجمعان يوم بدر، وفـي الأمر تنفيس عن رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلّـم وتسلية له كأن الـحا لة الموعودة قدّام عينـيه قرباً وتحقيقاً. و«سوف» هـنا للوعيد لا للتّسو يف والتّبعيـد الّذي هوحقيقتها، وقرب ما حلّ بهم مستلـزم لقرب ما يكون له صلى الله عليه وآله وسلّم فهو قرينة علـى عدم إرادة التبعيـد منه وإنّ الأمر بالابصـار والإخبار بابصارهـم عاجلاً وعطف الكـلام على الأمر بالتولّي معجّلاً يفيد بحسب السياق أنّ المعنى: أنظرهم وأبصر ما هم عليه من الشرك والطغيان قـبال إنذارك ووعـيدك فسـوف يبصرون و بال كفـرهم وعـنادهم... وفي حذف المـفعـول في «يبصـرون» إشارة إلـى أنّ هذا الّذي سيبصـرونه هو ممّا سـيطلع عليهم من عالم الغيب، من حيث لا يقدّرون ولا يتوقّعون.

١٧٦ - (أفبعذابنا يستعجلون)

تساؤل ينطوى على التّبكيت والوعيد عما إذا كان مشركو العرب يستعجلون عذاب الله جلّ وعلا إستهزآءً إذ كانـوا يقولون مستهزئين: متى نزول العذاب؟ قال الله تعالى

تهديداً وتوبيخاً لهم ولإستعجالهم: «أفبعذابنا يستعجلون» قبل أو انه؟ فلا تستعجلوه فانّه واقع بكم لا محالة وهذا وعيدلهم على شركهم وعلى إستخفا فهم بوعيد الله جلّ وعلا وتكذيبهم له، ولذلك كانوا يتحدّون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يأتيهم بهذا العذاب كما يشير إليه قوله جلّ وعلا: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢) ففي الآية الكريمة إيذان بأنّ هذا العذاب ممّا لا ينبغي أن يستعجل لأنّه يعقّب يوماً بئيساً وصباحاً مشؤماً.

١٧٧ ـ (فإذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين)

تقرير بأنّ هذا العذاب الّذي كانوا يستخفون به ويطلبون ـ متحدّين ـ تعجيله لهم حينمايقع عليهم، فإنّ صباح وقوعه يكون عليهم شيئاً مشؤوماً، فيالَسوء حالهم وما يلقون منه بما يحيط بهم من العذاب، شبّهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة، فسآء صباح المنذرين صباحهم. قيل: الصباح مستعار من صباح الجيش المبيّت لوقت نزول العذاب، ولمّا كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصّباح سمّوا الغارة صباحاً، وإن وقعت في وقت آخر، ونزول العذاب بساحتهم كناية عن نزوله بهم على نحو الشّمول والإحاطة، وفي اسناد السوء إلى صباحهم دون إلى أنفسهم ايذان إلى أنه صباح مشئوم يطلع عليهم بالمساءات كلّها لأنّه كله صباح سوء بالإضافة إليهم، ولا يبعد أن يكون توقيت العذاب بالصباح إيذاناً آخر إلى أن العذاب الّذي سينزل عليهم هو صباح يوم من أيّام السوء عليهم، وهذا ما كان من صباح يوم بدر أو فتح مكّة...

١٧٨ ـ ١٧٩ ـ (وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون)

تكرار الأمر للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يعرض عنهم ويمهلهم إلى الأمد المحدود، ويؤكّد لهم رؤية ما يوعدون به بأنّه لا مفرّ لهم منه ولا محيد، وفيه تسلية له صلى الله عليه وآله وسلّم وتطمين للمؤمنين، وفي الإطلاق: «أبصر» بعد التقييد: «أبصرهم» إشعار بأنّه صلى الله عليه وآله وسلّم يبصر وأنّهم يبصرون مالا يحيط به الذّكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة... على أنّ حذف المفعول من الثّاني يشعر

بالعموم... ومن غير بعيد أن يكون متعلّق الأمر الأوّل واقعاً في الدّنيا والثاني في الآخرة. فهذه دعوة اخرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعد أن يرى بعينيه في هذه الدّنيا هزيمة المشركين أن يتولىّ عنهم يوم الدّين.

١٨٠ ـ (سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون)

تنزيه لله عزّوجلّ عمّا يصفه به مشركو العرب، وينسبونه إلى مالا يليق به مع وصف نفسه بصفات الكمال، لاضافة «سبحان» إلى «ربّك» أي ألربّ الّذي تعبده وتدعوهم إليه جلّ وعلا، وفيه إدراج جملة صفاته السّلبية والثّبوتية مع الإشعار بالتّوحيد، وفي إضافة «ربّ» إلى ضمير الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أولاً تشريف له صلى الله عليه وآله وسلّم وفي إضافة «ربّ» ثانياً إلى «العزّة» إفادة لاختصاصه جلّ وعلا بالعزّة، فالله تعالى وحده منيع الجانب على الإطلاق، فلا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، فهؤلاء المشركون ومن إليهم في كلّ ظرف أعداء الحقّ، المهدّدون بالعقاب، ليسوا له بمعجزين.

١٨١ ـ (وسلام على المرسلين)

تحية ربانيّة لرسل الله تعالى أجمعين تشريفاً لهم بعد تزيهه جلّ وعلا عمّا ذكر، وتنويه بشأنهم، وإيذان بأنّ لهم صوناً من أن يصيبهم من قبل الله سبحانه ما يسؤوهم وما يكرهون، فهم سالمون عن المكاره كلها، وفآئزون بالمآرب جميعها، تسليم للمرسلين كلّهم بالتّسليم بعد تخصيص خمسة منهم بالذكر، ولا يبعد أنّ الله تعالى لم يقل في قصص أربعه منهم: «سلام عليهم» إكتفآء بقوله تعالى في قصّة خاتم الأنبيآء وسيّد المرسلين: «وسلام على المرسلين» كما لا يبعد أن يكون توسيط التسليم: «سلام على المرسلين» بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة بحمده جلّ وعلا مع الإشعار بأنّ توفيقه تعالى للتّسليم عليهم من جملة نعمه عزّوجلّ الموجب للحمد.

١٨٢ ـ (والحمد لله ربّ العالمين)

إشارة إلى وصفه جلّ وعلا بصفاته الكريمة الثّبوتية بعد التّنبيه على إتّصافه

عزّوجلّ لجميع صفاته السلبية، وايذان باستتباعها للأفعال الجميلة الّتي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدّينية والدّنيوية، وإسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعمآء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى، وإشعاربأنّ ما وعده صلى الله عليه وآله وسلّم من النّصرة والغلبة قد تحققت.

تقرير في الختم بحمد الله ربّ العالمين الجديرهو وحده بذلك.

وقدختمت سورة «الصافّات» بالآيات الثلاث فيها التنزيه لله تعالى عن كلّ ما لا يليق بساحة قدسه، والتّسليم على جميع رسله، والحمد لله عل ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النّعم وحسن العاقبة، وعلى هلاك الأعدآء ونصر الأنبيآء عليهم صلوات الله، وفيها بشرى لكل مصلح من أتباع المرسلين فانّهم يهنؤن بالسلامة والإكرام من الله عزّوجلّ ويمنحون نعماً عظيمة في الدّنيا بالنصر، وفي الآخرة برضوان الله جلّ وعلا والتقرّب منه وفي الآيات الثلاث تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يسبّحونه، وكيف يسلّمون على رسله الّذين هم وسائط بينهم وبين الله عزّوجلّ في فيضان الكمالات الدّينية والدّنيوية عليهم، تعمر بها القلوب وتلهج بها الألسنة ولا يغفلوا عن ذلك كلّه وصلّى الله على محمّد وأهل بيته المعصومين.

﴿الإعجاز﴾

ولقد سبق منّا مراراً أنّ لكلّ سورة من السور القرآنيّة وجوهاً من الإعجاز لا نستطيع بذكر جميعها في هذا التّفسير لأنّا على جناح الإختصار في كلّ موضوع من المواضيع... حيث إنّ بيان الوجوه كلّها في حاجة إلى كتابة اكثر من عشر مجلدات... فنشير في المقام إلى بعض الوجوه على طريق الإختصار:

أحدها ـ قوله عزّوجلّ: «وربّ المشارق» الصّافات:٧) وذلك أنّ لكلّ نجم مشرقاً، و لكلّ كوكب مشرقاً فهى مشارق كثيرة في كلّ جانب من جوانب السّموات الفسيحة، وللتّعبير دلالة أُخرى دقيقة في التّعبير عن الواقع في هذه الأرض الّتي نعيش عليها كذلك، فالأرض في دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقاعها المختلفة كما تتوالى المغارب... فكلّما جآء قطاع منها أمام الشمس كان هناك مشرق على هذا القطاع وكان هناك مغرب على القطاع المقابل له في الكرة الأرضية

حتّى إذا تحرّكت الأرض كان هناك مشرق آخر على القطاع التّالي، و مغرب آخر على القطاع المقابل له، وهكذا وهي حقيقة ما كان يعرفها الإنسان في زمن نزول القرآن الكريم، ولكنّ الله عزّوجلّ أخبر النّاس بها في ذلك الزمان.

إن تُسئل: لماذا جمع الله تعالى المشرق هنا و حذف مقابله: «المغارب» وثنّاه في سورة الرحمٰن ربّ المشرقين وربّ المغربين» :١٧) وجمعه في سورة المعارج: «فلا اقسم بربّ المشارق والمغارب» :٤٠) وأفرد في سورة المزّمل: «ربّ المشرق و المغرب لا إله إلّا هو» :٩) مع ذكر المقابلة في الثّلاثة؟

تجيبُ عنه: إنّ القرآن الكريم نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه... منها الإجمال والتّفصيل، والذّكر والحذف، والجمع والتّثنيه، والإفراد والإضمار والإظهار... بإعتبارات مختلفة... فأفرد وأجمل في المزّمّل لأنّه تعالى أراد مشرق الصّيف والشّتآء ومغربهما أو أراد جهة المشرق وجهة المغرب، وجمع وفصل في المعارج، فإنّه عزّوجلّ أراد جميع مشارق السنة ومغاربها الّتي تزيد على سبعمأة أو أراد تعدّد المطالع والمغارب في كلّ يوم بل كلّ دقيقة فيه، والثّانية وفيه من الأسرار الّتي أخبر بها القرآن الكريم لا سبيل إلى العلم بها في بدء الإسلام إلّا من ناحية الوحي السّماوي.

وقدثنّى وفصّل في سورة الرّحمٰن فإنّه جلّ وعلا أراد مشرق الصيف والشتآء ومغربيهما، وبذلك تحصّل الفصول الأربعة وتقلّب الهواء وتنوّعه... وقد جمع وحذف هنا، إذ أراد جميع مشارق السّنة، واقتصر عليه لدلالته على المحذوف، وخصّ ماهنا بالجمع موافقة للمجموع أوّل السّورة، وبا لحذف مناسبة للزينة بقوله تعالى: «إنا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب» لأنّ الزينة إنّما تكون غالباً بالضيآء والنور وهما ينشئآن من المشرق والمغرب، ومافي الرحمٰن بالتّثنية موافقة للتّثنية في قوله تعالى: «يسجدان» «فبأيّ آلآء ربّكما تكذّبان» وبذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته جلّ وعلا ونعمه ثَمَّ، وأمّا مافي المعارج بالجمع فلموافقة للجمع قبله وبعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التّأكيد في القسم وجوابه، وما في المزّمّل بالإفراد موافقه لما قبله من إفراد ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وما بعده من إفراد ذكر الله تعالى، وبذكر المقابلين موافقة للحصر في قوله عزّوجلّ: «لا إله إلّا هو» ولبسط أوامر الله جلّ وعلا لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم فتأمل جيّداً واغتنم جدّاً.

ثانيها ـ قوله جلّ وعلا: «وحفظاً من كلّ شيطان مارد ـ فأتبعه شهاب ثاقب»: ٧ـ١٠) وفي الآيات الكريمة من وجوه الإعجاز مالا يخفي على مَن كان أهلاً لدركه، ومنها على طريق الإختصار أُمور: **الأوّل:** الإخبار بأنّ شياطين الجّن والإنس لا يستطيعون على الصّعود إلى السمآء الدّنيا فضلاً عمّا ورآئها على أنّ المراد بالسمآء

الدّنيا ليست هذا الفضآء حيث إنّ فضآء البيت غير سقفه: «وجعلنا السّمآء سقفاً محفوظاً» الأنبيآء: ٣٢) **الثّاني:** الإخبار بوجود الشهاب الثّاقب في الفضآء لا يمكن ـ عادياً ـ العبور عنها إلى ماورآئها... **الثّالث:** الإخبار بمجيئ مَن يريدون سير الفضآء بأسباب سريعة بنآءً على إنقطاع الاستثنآء: «إلّا من خطف الخطفة» **الرّابع:** الإخبار بعدم إمكان سيرهم خارجاً عن محيط الشّهاب الثّاقب.

وأمّا التّقوّل بخروج البعض من جانب الممالك الباغية المستكبرة فمن أسباب إستعمارهم للنّاس وإستثمارهم وإستعبادهم عامّة وللمسلمين خاصّة:

وأمّا معراج النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وعبوره عن السّموات السبع، وعن العرش والكرسي والسّرادقات إلى الحجب... فضلاً عن السّمآء الدّنيا فمن المعجزات الّتي لا تبتني على الأسباب العادية ولا ينال بها العلوم المكتسبة وإن بلغت ما بلغت، وإلّا فما كان بين المعراج وبين سفر الفضآء فرق، ونحن لن نثبت معراج رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم بإمكان السّير الفضائي كما زعم بعض متبرّقي الأفكار المتجدّدين الأحداث منّا، لاستلزام كون المعراج من الامور العادية!

ثالثها ـ قوله عزّوجلّ: «فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مَن خلقنا»: ١١) بدلاً من «فاسئلهم» ففيه إشارة إلى أنّ الأمر الّذي يُسئلون عنه ليس إمتحاناً لهم، وإنّما هو مجرّد طلب الرأى فيه، وكأنّه أمر لا شأن لهم به، وفي هذا دعوة لهم إلى أن يقولوا الحقّ فيا يستفتون فيه، وألّا يميلوا مع هواهم، إذ لا مصلحة لهم ـ في ظاهر الأمر ـ أن يقولوا غير الحقّ، في أمر لا شأن لهم فيه...!

وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، في الإمساك بمقود المشركين الضالين، المستكبرين المعاندين بهذا الاسلوب الحكيم المتقن الّذي يستأنس نفارتلك النّفوس الوحشية...!

رابعها ـ قوله تعالى: «كأنهنّ بيض مكنون»: ٤٩) وصفا لأزواج عباد الله المخلصين في جنات النعيم، وأنهنّ بيضاوات كأنهنّ البيض المكنون أي المحفوظ من الشمس والغبار... تحت أجنحة الطير... فهو باق على بياضه ونقائه... وفي

تشبيه لون بشرة المرأة بالبيض المكنون إعجاز من وجوه الإعجاز القرآن الكريم في دقّة الوصف وصدقه... فالبيض المكنون تحت أجنحة الطير، يضمّ في كيانه حياةً يغتذي منها قشر البيض نفسه كما تغتذي بَشَرة الجلد في جسد الكائن الحيّ... ثمّ إنّ هذا البيض يحمل في كيانه الحياة في مطلع نموّها واكتمالها... فهي إذن ليست حياة مولية، وإنّما هي حياة مقبلة كتلك الحياة الّتي في كيان هؤلاء الفتيات من حور الجنّة... فالقشرة الّتي تحتوى البيضة تشير إلى ما في كيانها من حيويّة متدفقة... تماماً كتلك البشرة الّتي تحتوي جسد الشباب المتدفّق حياةً وقوّةً!.

خامسها ـ قوله عزّوجلّ: «وفديناه بذبح عظيم»: ١٠٧) وذلك إنّ الذبيح فدآءً لإسمعيل عليه السّلام كان معجزة لابراهيم عليه السّلام إذ أرسله الله جلّ وعلا من السمآء، ولم يولد من شاة ولا من نعجة كما أنّ برودةالنّار له: «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» الأنبيآء: ٦٩) كانت معجزة له عليه السّلام.

سادسها ـ قوله تعالى: «وأنبتنا عليه شجرة من يقطين»: ١٤٦) وذلك أنّ كون يونس النّبيّ عليه السّلام في بطن الحوت من المعجزات الّتي تخرج من الامور العادية، حيث إنّه لم يأكل في الأيّام الّتي كان في بطن الحوت قطعاً أولاً ولم يكن أن يستفاد من الهوآء لكونه في بطن الحوت الّذي كان في البحر ثانياً، وعدم هضم الحوت إياه عليه السّلام في بطنه حيث ان الحوت يهضم كلّ ما يأكله كسآئر الحيوان ثالثاً، وإخراجه من بطنه في الشاطئ رابعاً، ونبت اليقطين له خامساً.

نعم: وقد خرج يونس النّبيّ عليه السّلام من بطن الحوت إلى الشاطئ وهو سقيم، واختار الله جلّ وعلا له نبات اليقطين دون سواه، ولقد تبيّن أخيراً أن مآء هذا النّبات يخفف الظماء بشكل ملحوظ كما يحوى هذا النّبات مواد تفيد في ترميم الجلد وتقوية البدن، وقد كان يونس عليه السّلام بحاجة ماسّة إلى ذلك، كما ورد في التّفاسير أن ورق هذا النبات عريض يظلله من الشمس، ويمنع عنه الذباب الّذي يقال: إنه لا يقرب هذه الشجرة، وربّما تكون هناك عبر اخرى خافية علينا والله جلّ وعلا أعلم بمراده وحسن اختياره.

سابعها ـ قوله جلّ و علا: «فتول عنهم حتّى حين ـ وأبصر فسوف يبصرون»: ١٧٤ ـ ١٧٨) وقد صارت الآيات الكريمة مصداقاً لمعجزة ربانّية بما تحقق من وعد الله جلّ وعلا بالنّصر الّذي تمّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين على زعمآء مشركي العرب، وبصيرورة كلمة الله تعالى هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى.

في التّبيان: قال الشيخ الطوسى قدّس سرّه في قوله تعالى: «وأبصرهم فسوف يبصرون»: «وفي الآية دلالة على المعجز لأنّه تعالى وعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بالنصر، فكان الأمر على ما قال» انتهى كلامه ورفع مقامه.

وفي المجمع: قال الطّبرسي رضوان الله تعالى عليه في الآية الكريمة: «وفي هذا إخبار بالغيب لأنه وعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر» انتهى كلامه ورفع مقامه.

وغير ذلك من وجوه الإعجاز الكثيرة لهذه السّورة لا يقتضي مقام الإختصار بذكرها فتدبّر ولا تغفل!

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أحد عشر أمراً:

أحدها ـ أن نشير في المقام إلى صِيَغ ثلاث عشرة لغةً ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة:

١ ـ جآئت كلمة (لازب) بلفظها في القرآن الكريم مرّة واحدة وهي في سورة الصافات: ١١)

٢ ـ جآئت كلمة (غول) بلفظها في القرآن الكريم مرّة واحدة وهي في سورة الصافات: ٤٧)

٣ـ جآئت كلمة (نزف) على صيغة المضارع في القرآن الكريم مرتين: ١ـ سورة الصافّات: ٤٧) ٢ـ سورة الوقعة: ١٩)

٤ ـ جآئت كلمة (شوب) بلفظها في قرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات: ٦٧)

٥ ـ جآئت كلمة (الشيعة) على صِيَغها في القرآن الكريم إثنتى عشرة مرة: ١ـ الصافات: ٨٣) ٢ـ٤ـ القصص: ٤و١٥) ٥ـ٦ـ الأنعام: ٦٥و١٥٩) ٧ـ النور: ١٩) ٨ـ مريم: ٦٩) ٩ـ الحجر: ١٠) ١٠ـ الروم: ٣٢) ١١ـ القمر: ٥١) ١٢ـ سبأ: ٥٤).

٦ ـ جآئت كلمة (سقيم) بلفظها في القرآن الكريم مرّتين: الصافات: ٨٩و١٤٥)

٧ ـ جآئت كلمة (زفّ) على صيغة المضارع في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات: ٩٤)

٨ ـ جآئت كلمة (تلّ) على صيغة الماضي مرة واحدة وهي في سورة الصافات:١٠٣)

٩ ـ جآئت كلمة (جبين) بلفظها في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات:١٠٣)

١٠ ـ جآئت كلمة (أبَقَ) بلفظها في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات:١٤٠)

١١ ـ جآئت كلمة (سهم) على صيغة الماضي في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات: ١٤١)

١٢ ـ جآئت كلمة (يقطين) بلفظها في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات: ١٧٧)

١٣ ـ جآئت كلمة (ساحث) بلفظها صيغة الماضي في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة الصافات: ١٧٧)

ثانيها ـ تكررت الآية: «أئذامتنا وكنا تراباً وعظاماً»: ١٦و٥٣) في هذه السورة ولكن ختمت الاولى بقوله تعالى: «أئنا لمبعوثون» والثانيّة بقوله جلّ وعلا: «أئنا لمدينون» وذلك لأنّ الأولى حكاية كلام الكافرين الّذين ينكرون البعث، والثانية حكاية قول الكافرين الّذين ينكرون الجزآء بعد التصديق بالبعث، وهو قول أحد الفريقين لصاحبه أي توبيخ من الأولين للآخرين وفي ذلك تنبيه إلى أن المنكرين على طائفتين: طائفة ينكرون البعث بالتّمام الّذي يستلزم لإنكار الجزآء، وطائفة ينكرون الجزآء فقط.

ثالثها ـ قد تكرّرت الآية: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» ٢٧) الاولى بالواو، والثانية: ٥٠) بالفآء وكذلك في سورة «القلم: ٣٠) وذلك أنّ الواو في الاولى لعطف جملة على جملة فحسب، والفآء في الثانية لعطف جملة على جملة بينهما مناسبة

والتئام لأنّه جلّ وعلا حكى أحوال أهل الجنّة ومذاكراتهم فيها ما كان يجرى في الحياة الدّنيا بينهم وبين أصدقآئهم وهو قوله عزّوجلّ: «وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهنّ بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون»: ٤٨-٥٠) أي يتذاكرون وكذلك في سورة «القلم» وهو من كلام أصحاب الجنّة بصنعآء لمار أوها كالصريح وندموا على ماكان منهم، وجعلوا يقولون: «سبحان ربّنا إنّا كنّا ظالمين»: ٢٩) بعد أن ذكرهم التسبيح أو سطهم، ثمّ قال: «فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون»: ٣٠) أي على تركهم الإستثنآء وتخافتهم: «ألايد خلنّها اليوم عليكم مسكين»: ٢٤)

رابعها ـ قوله تعالى: «إنّا كذلك نفعل بالمجرمين» الصافات: ٣٤) وقوله جلّ وعلا: «كذلك نفعل بالمجرمين» المرسلات: ١٨) وذلك أنّ في هذه السورة حيل بين الضّمير: «نا» في قوله تعالى: «فأغوينا كم إنّا كنّا غاوين»: ٣٢) وبين «كذلك» بقوله: «فإنّهم يومئذ في العذاب مشتركون»: ٣٣) فأعاد، فلولا الفصل لا تصل الكلام ولم يكرّر «إنّا» وأمّا في المرسلات فمتصل بالأوّل وهو قوله: «ثمّ نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين» : ١٧-١٨) فلم يحتج إلى إعادة الضّمير.

خامسها ـ قال الله عزّوجل: «وإذا قيل لهم لا إله إلّا الله» الصافات: ٣٥) وقال: «فاعلم أنّه لا إله إلّا الله» محمد صلى الله عليه وآله وسلّم: ١٩) بزيادة «أنّه» وليس لهما في القرآن الكريم ثالث. وذلك إن ما في سورة الصافات وقع بعد القول، فحكى المقول، وما في سورة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقع بعد العلم فزيد قبله «أنه» ليصير مفعول العلم، ثمّ يتصل به ما بعده.

سادسها ـ قال الله جلّ وعلا: «وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين»: ٧٨-٧٩) وقال بعده عليه السّلام: «سلام على ابراهيم»: ١٠٩) ثمّ قال: «سلام على موسى وهارون»: ١٢٠) وكذلك: «سلام على إلياسين»: ١٣٠) فيمن جعله لغة في إلياس، ولم يقل في قصّة إسمعيل وإسحق لأنّهما داخلان في سلام إبراهيم أبيهما عليهم صلوات الله، ولم يقل في قصّة لوط ولا يونس ولا إلياس:

«سلام» لأنّه تعالى لمّا قال: «وإنّ إلياس لمن المرسلين»: ١٢٣) «وإنّ لوطاً لمن المرسلين»: ١٣٣) و«إنّ يونس لمن المرسلين»: ١٣٩) فقد قال: سلام على كلّ واحد منهم لقوله تعالى في آخر السّورة: «وسلام على المرسلين»: ١٨١) فأدخل سلامهم في سلام خاتمهم محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

سابعها ـ قال الله عزّوجلّ: «إنا كذلك نجزى المحسنين» في ثلاث آيات: ٨٠و١٢١و١٣١) وقال في قصّة إبراهيم عليه السّلام: «كذلك» ولم يقل: «إنا» وذلك أنّه تقدّم في قصّته عليه السّلام: «إنّا كذلك نجزى المحسنين: ١٠٥) ثمّ قال: «كذلك نجزى المحسنين: ١١٠) تنبيهاً إلى أنّ أحدهما لأبراهيم والآخر لإسمعيل عليهما السّلام مع وحدة سياق القصة وأن قصّته مع إسحق باقٍ بعد، وقال في سائرها بعد الفراغ، ولم يقل في قصتي لوط ويونس عليهما السّلام «إنّا كذلك نجزى المحسنين إنّه من عبادنا المؤمنين» لأنّه لمّا اقتصر من التّسليم على ما سبق ذكره اكتفى بذلك.

ثامنها ـ تكررت الجملة: «فراغ إلى آلهتهم ـ فراغ عليهم ضرباً باليمين» الصافات: ٩١-٩٣) مع التّعبيرين بكلمتي: «إلى» و «على» وذلك أنّ الميل الأوّل كان على سبيل الرفق إستهزآءً والثّاني على طريق العنف والقهر، وهذا كما يقال في المحبوب: مال إليه وفي المكروه: مال عليه. أو المعنى: ذهب إبراهيم عليه السّلام خفية وحيلةً إلى آلهتهم، فلمّا دخل بيت الأصنام مال مستعلياً عليهم حال كونه يضرب بهم ضرباً باليمين أو حال كونه ضارباً باليمين بأن يضرب أحد يديه بالاخرى متعجّباً من عبادة قومه لتلك الآلهة المنحوقة...

تاسعها ـ قال الله عزّوجلّ: «فقال ألا تأكلون» الصافات: ٩١) بالفاء و «قال ألا تأكلون» الذاريات: ٢٧) بغير فآء وذلك انّ ما في هذه السّورة اتصلت جملة بخمس جمل كلها مبدوّة بالفآء على التّوالى وهي: «فما ظنكم بربّ العالمين ـ فقال ألا تاكلون»: ٨٧-٩١) والخطاب للأوثان تقريعاً لمن زعم أنّها تأكل وتشرب. وفي الذاريات متصل بمضمر تقديره: فقربه إليهم فلم يأكلوا، فلما رآهم لا يأكلون قال: ألا تأكلون. والخطاب للملآئكة، فجآء في كلّ موضع بما يلائمه.

عاشرها ـ قال الله عزّوجلّ: «فبشّرناه بغلام حليم» : ١٠١) بالفآء، وقال : «وبشّرناه بإسحق»: ١١٢) بالواو، وذلك انّ الفآء لوصل ما بعدها بما قبلها، فلمّا إستوهب إبراهيم عليه السّلام من الله تعالى ولداً من زوجته هاجر بشّره الله عزّوجلّ بما استوهبه من هاجر: «ربّ هب لي من الصالحين فبشّرناه بغلام حليم» وأما إسحق عليه السّلام فقد كان ولد سارة الّتي كانت عجوزاً لا تلد: «قالت يا ويلتاء ألدُ وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً» هود: ٧٢) فلم يستوهب إبراهيم عليه السّلام من الله تعالى ولداً من سارة ولذلك جيئ بالواو، فكان إسمعيل مطلوب أبيه إبراهيم عليهما السّلام من أوّل الأمر، ولم يكن إسحق مطلوب أبيه إبراهيم عليهما السّلام من أوّل الأمر فوهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السّلام لدفع ضغن سارة عن هاجر.

الحاديعشر: قال الله: «فتولّ عنهم حتّى حين وأبصرهم فسوف يبصرون ـ وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون» الصافات: ١٧٤-١٧٩) تكررّت الجملة مع حذف الضمير: «هم» في الثانية، وحرف الفآء في صدر أوّلهما، والواو في ثانيهما تأكيداً للوعد بالعذاب...

أما الحذف فلدلالة الأوّل عليه، فتركه إختصاراً أو قصداً إلى التعميم أي تعميم بعد تخصيص أو إطلاق بعد تقييد، وإشعار بأنّه جلّ وعلا يبصرو إنّهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة... أو اريد من الاولى أحوالهم في الدّنيا ومن الثانية الآخرة والتّقدير: أبصر ما ينالهم فسوف يبصرون ذلك. وقيل: حذف الضمير من الثاني لأنه لما نزل: «وأبصرهم» قالوا: متى هذا الوعد الّذي توعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: «أفبعذا بنا يستعجلون» ثمّ كرر تأكيداً. وقيل: أبصرهم حالهم بقلبك فسوف يبصرون معاينة. وقيل: بعدما ضيعوا من أمرنا فسوف يبصرون مايحل بهم. وقيل: الضمير مضمر تقديره: ترى اليوم خيرهم إلى تول، وترى بعد اليوم ما تحتقر ماشاهدتهم فيه من عذاب الدّنيا. فتأمل جيداً قال الله عزّوجلّ: «كتاب أنزلناه مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أُولوا الألباب» ص: ٢٩) وإنّ كلمات الله عزّوجلّ أولى بالتأمّل من كلمات المخلوق فلا تغفل.

﴿التّناسب﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السورة نفساها:

أمّا الاولى: فإن سورة «الصافات» نزلت بعد سورة «الأنعام» فالتّناسب بينهما هو التّناسب بين التّفصيل والإجمال، فإن سورة «الصافات» إجمال لبعض ما فُصِّلَ في سورة «الأنعام» في فصول متعدّدة ومشاهد متنوّعة عمّا كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ومشركي العرب من مناظرات وحجاج ومجادلات... وتحدياتهم من نزول الكتاب والملآئكة عليهم، ومفترياتهم في النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وسئوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن المشركين ما كانوا يدعونه سرّاً متذللين إليه، وحكاية تعجيزهم، وتنديدات وانذارات قاصمة للمشركين، وخاصّة زعمآئهم على مواقف المكابرة وشدّة العناد الّتي يقفونها والأدوار الخبيثة الّتي يقومون بها، وإثارة الخوف فيهم وحملهم على الإرعوآء وإبطال عقائدهم وتذكيرهم بما كان من أمر الامُم السّابقة، وتبعات تكذيبهم الرّسل والكتب السّماوية من الهلاك والدّمار، والعذاب والنّار.

وفصول وصور عن عقائد مشركي مكّة ونذورهم وتقاليدهم في الملآئكة وما جآء فيها من قصص الأنبيآء على طريقى التّفصيل والإجمال، وعنادهم وإعراضهم ومكابرتهم

و تجاهلهم، وإعراض النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم عنهم، وتقريرات عديدة من عظمة الله جلّ وعلا وقدرته وشمول علمه وحكمه، وبديع نواميس كونه وإعلان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عقيدته الخالصة بالله عزّوجلّ من غير مبالات منهم وما كان يُلهَم بالنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم من همّ وغمّ من جرّائها ... وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وتطمين للمؤمنين، وتحذيرهم من مجارات المشركين ومطاوعتهم، ووسوسة شياطين الجنّ والإنس إلى أوليآئهم، وكون النّاس على طائفتين: المخلصون الأبرار من أصحاب جنات النّعيم، الكافرون الفجار من أصحاب الجحيم.

وأمّا الثانية: فالتناسب بين هذه السورة وما قبلها: «يس» مصحفاً فبامور:

أحدها ـ لمّا جآء في أواخر سورة «يس» قوله عزّوجلّ: «أو ليس الّذي خلق السّموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم»: ٨١) جآء في أوائل سورة «الصافات» قوله تعالى في التّوحيد ووصف إبداع الله جلّ وعلا في السّموات وخلق الإنسان وأنّ الله عزّوجلّ خلق ما هو أعظم منه شأناً: «إنّ إلهكم لواحد ـ فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا»: ٤ـ ١١) فأوائل هذه السّورة مرتبط بأواخر ما قبلها إرتباطاً وثيقاً، فكيف يجهل الإنسان فينكر البعث ويغفل عن غفلته؟!

ثانيها ـ لمّا ختمت سورة «يس» بقوله سبحانه: «فسجان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون»: ٨٣) بدئت سورة «الصافات» بهذا القسم الّذي أقسم به الله جلّ وعلا على تلك الحقيقة وهي وحدانيّة الالوهيّة الّتي هي من مقتضى ملكيّة الله تعالى لكلّ شيء... فاذا كان الله عزّوجلّ هو المالك لكلّ شيء، كان من مقتضى هذا أن ينفرد بالالوهيّة، ألّا يشاركه في هذا الوجود أحد، وإلّا كانت ملكيّته له غير تامة... وأما ملكيّته جلّ وعلا فملكيّة مطلقة لهذا الوجود، فهو عزّوجلّ صاحب الأمر فيه، وإليه وحده يكون ولآء كلّ موجود.

ثالثها ـ لمّا اختتمت سورة «يس» بذكر المعاد وكمال قدرته على إحيآء الموتي وأنّه تعالى هو منشئهم، وإذا تعلّقت إرادته تعالى بشيء كان بلا تخلّف ولا فصل، بدئت

هذه السّورة بذكر التّوحيد على طريق القسم بـالأشيآء الثّلاثة تـعظيماً وتشريفاً لها، وأن ذلك لايتم وجوداً وعدماً إلاّ بوحدانيّة الله تعالى.

رابعها ـ لمّا إختتمت سورة «يس» بذكر البعث إجمالاً افتتحت هذه السّورة بذكره تفصيلاً. وذلك أنّ الله جلّ وعلا ذكر في السّورة السّابقة قدرته عزّوجلّ على المعاد وإحيآء الموتى، وعلّل ذلك بأنّه منشئهم وأنّه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، ذكر في هذه السورة ما هو كالدليل على ذلك و هو وحدانيّته تعالى، إذ لايتمّ ما تعلّقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلّا إذا كان المريد واحداً كما أشار إليه بقوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢).

خامسها ـ إنّ فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة الّتي أُشير إليها في سورة «يس» إجمالاً في قوله عزّوجلّ: «ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لا يرجعون»: ٣١).

سادسها ـ إنّ فيها تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة ممّا أُشير إليه في سورة «يس» إجمالاً وغيرها من التّناسب بين السورتين مصحفاً فتدبّراً جيّداً واغتنم جداً فإن التّناسب ـ إطلاقاً ـ من أهم طرق فهم القرآن الكريم و درك مفاهيمة ومبانية وأسراره... فلاتغفل.

وأمّا الثّالثة: فلمّا إبتدأت سورة «الصافات» على طريق القسم با لملآئكة الّذين اتّصفوا بالكمال في النّفس، وصفّوا بأمر الله جلّ وعلا لإمتثال أوامره لتكميل النّاس ونظام الكون ونواميس الوجود، جعلت تناسق الصفوف وانتظام الأحوال دليلاً قاطعاً وبرهاناً واضحاً على وحدة المبدأ ـ جواباً للقسم ـ: «إنّ إلهكم لواحد»: ١-٤) فأقسم الله جلّ وعلا بهذه الطوائف من الملآئكة على وحدانيّته، لأن الاسطورة الّتي كانت شائعة في جاهليّة العرب من نسبة الملآئكة إلى الله سبحانه: «فاستفتهم ألربّك البنات ـ سبحان الله عمّا يصفون» الصافات: ١٤٩-١٥٩) وإتّخاذهم آلهة بما أنّهم بزعمهم بنات الله سبحانه!

ثمّ عرّف الله جلّ وعلا نفسه بصفة تناسب الوحدانيّة وتدلّ عليها بوضوح بقوله:

«ربّ السّموات والأرض...»: ٥) ثمّ ذكر ما كانوا يزعمون أنّ بين الله سبحانه وبين الجنّة نسباً، وبعضهم كانوا يعبدون الشّياطين على هذا الآساس الباطل، وأنّ الشّياطين يعرفون الغيب لا تصالهم بالملأ الأعلى ردّاً عليهم بقوله تعالى: «إنازينا السماء الدّنيا...» ٦) ثمّ ذكر انّه لأمرين: **أحدهما:** تحصيل الزينة. **ثانيهما** ـ الحفظ من الشيطان المارد: «وحفظاً من كلّ شيطان مارد»: ٧) ثمّ بيّن علّة الحفظ بقوله: «لا يسّمّعون...» ٨) مع تهديدهم بأمرين: **أحدهما** ـ «ويقذفون...» **ثانيهما** ـ «ولهم عذاب واصب»: ٩) ثمّ بيّن أنّهم لو أظهروا الحيلة في الصعود فهم لا يأمنون من شهاب ثاقب بقوله تعالى: «إلّا من خطف»: ١٠) فلم نقتصر جلّ وعلا في اثبات وحدانيّته على الحلف بل أخذ بذكر الدليل الباهر على وحدانيّته. وبذلك تحفظ وحدة نظام الكون ونواميس الوجود الّتي تدل على وحدة مبدإ الوجود، فكأنّ الله جلّ وعلا يقول: أُقسم بتلك العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب، من سمآء وأرض، من رسول و عالم صالح، ومن مجاهد مخلص في سبيل الله تعالى بحيث تلاءمت وتضامّت واتصلت، وكانت متناسقات الوضع، منظمات وهي زاجرات كزجر الملك لكواكب، وزجر الرسل للامم، وزجر العالم للجاهل، وزجر المجاهد للعدوّ... ولا جرم أن الملك والرّسل والعالم والمجاهد... تالون للذكر ويتبعون ما أمرهم الله جلّ وعلا به، وإنّ تلك العوالم كلّها ينسب بعضها إلى بعض، وهي أسباب ومسببات... فكأنّها عالم واحد.

بحيث ترى وحدة منظمة، فالعالم علويه يفيض على سفليه، وسفليه قابل من علويه، فترى الشمس والقمر والنّجوم والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض، وترى الشهاب الثاقب حرّاساً يمنع الأعداء عن النفوذ في الملأ الأعلى ليختلّوا وحدة النظام، ولا ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت، وإنّما ترى إتّحاداً وإئتلافاً نظم وحدتها وجمع مفرقها، وترى متّصلات منتظمات... فالوحدة في نظام التّكوين ظاهرة كما أن الألفة بين نظام التّشريع مشهودة لأن المرسلين كلّهم يدعون النّاس أجمعين في كلّ ظرف إلى جهة واحدة: «إنّ إلهكم لواحد» وإلى العبادة لله تعالى وحده: «وما

أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنَّهُ لا إله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ۲٥)

ومن البديهي أنّ ذلك الوحدة في نظام التّكوين والتّشريع ووحدة العالم كلّها تدلّ على وحدة الخالق وعظمته جلّ وعلا، وعلى نهاية علمه وحكمته، وعلى غاية تدبيره وقدرته... إن الله تعالى لمّا أثبت وحدانيّته بالدلائل الواضحة أراد أن يثبت ما يدل على المعاد من البعث والحساب والجزآء، والكلام فيه على طريقين: **أحدهما**ـ أنّ من كان قادراً على الاصعب عندهم فهو قادر على الأسهل قطعاً. **ثانيهما**ـ أنّ مَن كان قادراً في الايجاد فهو قادر على الإعادة لا محالة. أمّا الطريق الأوّل فقد أشار إليه بقوله تعالى: «فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم مَن خلقنا»: ۱۱) من الملآئكة والسّموات والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والشهب الثاقب والشياطين... فكأنّه تعالى قال: إنّا خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق، فاستخبرهم أهم أشد خلقاً أم هذه الخلائق...؟ ومن هان عليه هذه كان خلق الإنسان بل إعادته عليه أهون. وأمّا الطريق الثّاني فقد أشار إليه بقوله تعالى: «إنّا خلقناهم من طين لازب»

وذلك أنّ هذا الجسم لو لم يكن قابلاً للحياة لم يقبلها من أوّل الأمر، وإذا قبلها أوّلاً فلا يبقى ريب في قبولها ثانياً، وقادريّة الله جلّ وعلا باقية على حالها، فالإعادة أمر ممكن، وقد أخبر الصادق عن وقوعها، فيجب وقوعها، وفي هذا الطريق الثّاني تقوية للطريق الأوّل، فإن خلقهم من الطين شهادة عليهم بالضعف والرخاوة.

فأمر رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم أن يسئلهم عن خلقتهم مقدّمة لاثبات المعاد: «فاستفتهم...» ۱۱) ثمّ بيّن أنّهم مع قيام تلك الدلائل الواضحة على إعادتهم بعد موتهم، مصرّون على الإنكار، وهذا عجيب جداً يوجب تعجبك من جهلهم عن جهلهم، من غفلتهم عن غفلتهم، ومن سفههم ولجاجهم... «بل عجبت» يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ولك حقّ أن تعجب من تكذيبهم وإنكارهم البعث مع تلك الحجج القاطعة على وقوعه! ثمّ ذكر بأنّهم على طرق انحراف وانحطاط: **الأوّل**: «ويسخرون» بأنّهم على ذلك. **والثّاني: أنّه تعالى أوضح الأمر على سبيل التّعميم بقوله تعالى «لا يذكرون» لقسوة قلوبهم وغفلتهم فلا تنفعهم العظة**

الثالث: أنّه تعالى بالغ في ذمهم وشديد غفلتهم عن النظر في دلائل الحقّ بقوله تعالى: «يستسخرون» أي يطلب واحد منهم من صاحبه أن يقدم على سخرية الحقّ والهدى والرابع: ذكر مقالتهم في سخريتهم بقوله تعالى: «وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين»: ١٥) إنّ كون هذا سحراً أمر بيّن لا خفآء لأحد فيه.

ثمّ ذكر السبب الّذي يحملهم على ذلك وهو الكفر بالمعاد بقوله تعالى: «أإذا متنا...»١٦) مع بيان ازدياهم في استبعادهم وعظيم تعجّبهم بقوله تعالى: «أو آباؤنا الأوّلون»: ١٧) أي أيبعث آباؤنا الأوّلون أيضاً، وهذا أغرب عندهم لأن آباءهم أقدم منهم، فبعثهم أشد غرابة وأكثر استبعاداً. ثمّ أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم أن يجيبهم بعد ذكر شبهتهم بوقوع المعاد، هم وآباؤهم بقوله تعالى: «قل نعم وأنتم داخرون»١٨) فتبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون تراباً وعظاماً وأنتم صاغرون أذلآء أمام القدرة البالغة الإلهيّة، ثمّ ذكر سهولة ذلك أمام قدرة الله تعالى بقوله: «فإنّما هي زجرة واحدة»: ١٩) فلا تستصعبوا البعث، فإنّما يكون بعثكم بصيحة واحدة بالنّفخ في الصّور: «فإذا هم» من مراقدهم أحيآء «ينظرون» إلى ما كانوا يوعدون به من قيام السّاعة.

ثمّ ذكر مقالتهم وندامتهم وملامتهم على أنفسهم في ذلك اليوم: «وقالوا يا ويلنا...»: ٢٠) وعظيم أحوالهم وتوبيخهم على وجه التّنبيه هذا «يوم الفصل...»: ٢١) وأحول مَن تبعهم في الإنكار ورؤسائهم: «احشروا الذين...»: ٢٢) ثمّ بيّن وخامة نتيجة تلك الامور بذهابهم إلى النّار: «فاهدوهم...»: ٢٣) إنّ الله تعالى لمّا أمر الملآئكة بوقوف المجرمين للسئوال: «وقفوهم...»: ٢٤) زادهم تقريعاً وتعنيفاً في السئوال وعدم النّاصر: «مالكم لا تناصرون»: ٢٥) ثمّ بيّن أنّهم لا ينازعون في الوقوف ولا في غيره بل ينقادون: «بل هم اليوم مستسلمون»: ٢٦) وإنما نزاعهم بينهم إذا دخلوا في النّار أو حين الدخول أو قبله، والملامة بينهم والمقاولة فيهم من التابع والمتبوع والرئيس والمرؤس والضال والمضلّ: «وأقبل بعضهم على بعض ـ تأتوننا عن اليمين»: ٢٧-٢٨).

لمّا اعترض المرؤسون همج الرعآء، وخاصموا رؤسائهم الببغآء أجابهم الرؤسآء بجوابين:

أحدهما ـ بمنع اِضلالهم بأنّهم كانوا ضالين في أنفسهم: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين»: ٢٩)

ثانيهما ـ بأنّهم ما أجبروهم على الكفر والطغيان إذ لم يكن لهم عليهم تسلط، وإنّما جنحواهم إليه لأنّهم كانوا قوماً مختارين الكفر والعصيان: «وما كان لنا عليكم...»: ٣٠) ثمّ بيّنوا واعترفوا أنّ ضلال كلا الفريقين وغوايتهم يقتضي وقوع كلا الفريقين في العذاب لا محيص عنه: «فحق علينا قول ربّنا...»: ٣١) ثمّ بيّنوا أنّ غاية ما فعلنا بكم أنّا دعوناكم إلى الغيّ لأنا كنّا عليه، فأحببنا أن تكونوا مثلنا كما أنّ ذلك دأب كلّ من يتصف بوصف يحبّ أنّ يتصف بذلك غيره فالسّارق للسّارق، والزاني للزاني والكافر للكافر والمؤمن للمؤمن: «فأغويناكم إنّا كنّا غاوين»: ٣٢).

إنّ الله تعالى لمّا ذكر أسوأ أحوال الكافرين الضالّين والمضلّين يوم القيامة أشار إلى أنّ هذا العذاب على مقتضى العدل الإلهي سيحل بهم جميعاً: الرؤسآء المضلّين، والأتباع الضالّين بقوله تعالى: «فإنّهم يومئذ ـ نفعل بالمجرمين»: ٣٣-٣٤) معلّلاً اشتراك تعذيبهم باشتراكهم في الجرم والغواية، ثمّ فصّل جرمهم بقوله تعالى: «إنّهم كانوا...»: ٣٥) ثمّ أشار تعالى إلى ما كانوا يتشبّثون ويعتذرون به في امتناعهم من استجابة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وينكرون التّوحيد والرسالة بقوله: «ويقولون أئنا...»: ٣٦) ثمّ ردّهم و أبطل مقالتهم بقوله تعالى: «بل جآء بالحقّ...»: ٣٧) فأثبت التّوحيد والرسالة معاً كما أنكروهما معاً، ثمّ بيّن مآل أمرهم إلى العذاب: «إنكم لذائقوا...»: ٣٨) معلّلاً بأن الجزآء حسب ما يقتضيه العمل إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً: «وما تجزون...»: ٣٩) إنّ الله تعالى لمّا بيّن أحوال منكرى المعاد وإنكاراتهم وتساؤلهم ومآل أمرهم إلى النّار وتجرعهم غصص العذاب أردف ذلك ببيان أحوال المخلصين، وحسن عاقبتهم وما يلاقونه من الجزآء والنعيم والرضوان على طريق إستثنائهم من هؤلآء المجرمين بقوله: «إلاّ عباد الله

المخلصين»: ٤٠) تنبيهاً إلى أن حسن العاقبة لمن وحّد الله تعالى وعبده وحده وأخلص له العمل والنّية، فالإيمان حقاً هو ملاك حسن العاقبة، ثمّ ذكر نتيجة الإخلاص ونيلهم بغاية الفضل إجمالاً بقوله تعالى: «اولئك لهم رزق معلوم»: ٤١) ثمّ فسّر الرزق مبتداء ببيان مآكلهم بأنّه يحصل بالإكرام والتّعظيم بقوله: «وهم مكرمون»: ٤٢) جمعاً بين لذائذ جسميّة من الأكل والشّرب والزواج ولذائذ معنويّة، حيث إنّ الأكل والشّرب والزواج الخالية عن الإكرام والتّعظيم تليق بساحة البهائم والحيوان لا الإنسان، وإنّ الضيافة ليست ضيافة خالية عن الإكرام.

ثمّ بيّن مكان الضّيافة ومحلّ الإكرام الّذي يأتيهم فيه الرزق بقوله: «في جنات النعيم»: ٤٣) بأنّ ذلك لا تنقطع عنهم أبداً ثمّ ذكر أحوالهم إذ ذاك وسرورهم وكمال بهجتهم وفرحهم وهيئة جلوسهم: «على سرر متقابلين»: ٤٤) ثمّ ذكر صفة مشاربهم وما يشربونه من الحور العين بقوله تعالى: «يطاف عليهم ـ ينزفون»: ٤٥-٤٧) فكما يتمتعون بطيب المأكل يتمتعون بجيد الشّراب تتميماً للنعمة كما هو حال العظماء في الدّنيا، فيؤتى لهم بصنوف الخمور على سبيل السعة والكثرة كأنّها تؤخذ من نهرجار فلا تقتير ولا بخل بل كلّما طلبوا وجدوا مع بيان لذّتها ونفي كدرتها، ثمّ بيّن أزواجهم ومحاسنهن بقوله تعالى: «وعندهم قاصرات الطرف عين»: ٤٨) ثمّ وصف جمالهنّ بما شبههنّ به بقوله تعالى: «كأنهنّ بيض مكنون»: ٤٩).

ثمّ ذكر كمال صفآئهم عن استخبارهم من رفقآئهم المناسبين لهم في الجنّة وعدم غفلتهم عن أحوالهم، وذلك من تمام نعيم الجنّة، ثمّ بيّن تقاولهم في أحوال الكفار والمجرمين ومآل أمرهم بقوله تعالى: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ إنّ هذا لهو الفوز العظيم»: ٥٠-٦٠) ثمّ ذكر انّ كلّ ذلك لعمل صالح مع الإيمان والاخلاص يوجب تلك النعم والفوز العظيم فرغّب فيه بقوله تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون»: ٦١) ثمّ فصّل وفرّق بين عمل الكافرين المجرمين، وبين عمل المؤمنين المخلصين ومآلهما بقوله تعالى: «أذلك خير نزلاً ...»: ٦٢) لا في المآكل ولا في المشارب ولا في المساكن ...

إنّ الله عزّوجلّ لمّا فصّل بين ماينال به المخلصون من مساكن الجنّة ومآكلها ومشاربها وأزواجها وسرورها... وما يعذّب به المجرمون في الجحيم من مآكلها ومشاربها ومساكنها وغمومها وغصصها... أخذ بذكر مآكل الظالمين «إنّا جعلناها فتنة للظالمين»: ٦٣) ثمّ وصفها بوصفين:

أحدهما -: «إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم»: ٦٤) بياناً لمادتها وذاتها. **ثانيهما -** «طلعها كأنّه رؤوس الشياطين»: ٦٥) بياناً لصفتها وهيئتها، ثمّ بيّن أن مآكل هؤلاء الظالمين المجرمين من هذه الشجرة الّتي هي مادتها وصفتها: «فإنّهم لآكلون...»: ٦٦) ثمّ ذكر شرابهم ووصفه بما هو أبشع وأشنع: «ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم»: ٦٧) ثمّ بيّن مساكنهم ومأواهم: «ثمّ إنّ مرجعهم لإلى الجحيم»: ٦٨) ثمّ بيّن علل تعذيبهم بتلك المآكل والمشارب والمساكن بقوله تعالى: «إنّهم ألفوا آبآءهم ضالين فهم على آثارهم يُهرعون»: ٦٩-٧٠) وهي التّقاليد العميآء... فشتّان بين المآلين: مآل أمر المؤمنين المخلصين إلى الجنّة ونعماتها، ومآل أمر الظالمين والمجرمين إلى الجحيم ونقماتها...

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أن المشركين المستكبرين، والظالمين المجرمين يتبعون آبآءهم الضالين، ويقلّدون رؤساءهم بلا برهان، ولذلك لا يؤمنون... أردفه ما يوجب تسلية النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم على كفرهم وتكذيبهم بأن كثيراً من الامم قبلهم قد أُرسِلَ إليهم الرّسل فكذّبوابهم، وكانت عاقبتهم الهلاك والدماروالعذاب والنّار، ونجىّ الله تعالى المؤمنين المخلصين ونصرهم، فليكن لك فيهم اسوة حسنة ولا تبخع نفسك عليهم حسرات وما عليك إلّا البلاغ بقوله تعالى: «ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين - إلّا عباد الله المخلصين»: ٧١-٧٤) إجمالاً، وقد جآءت الآيات الأربع مقدمة لسلسلة قصص الأنبيآء الّتي تأتي بعدها في (٧٤) من آية (٧٥-١٤٨) جرياً على النظم القرآني فتدبّر جيداً ولا تغفل. فحال المشركين مع النّبيّ الكريم شبيهة بحال من تقدّم من الامم مع أنبيآئهم ففيه تحذير المشركين عن سلوك مثل طريقهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم. فأخذ بذكر تفصيل بعض ما أجمله، فاستشهد بقصص تسع

أنبيآ من نوح وإبراهيم وإسمعيل واسحق وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس عليهم صلوات الله وقدّم قصّة نوح عليه السّلام لكونه أباً ثانياً بقوله تعالى: «ولقدنادانا نوح فلنعم المجيبون»: ٧٥) ولمّا مدح استجابته دعآء نوح عليه السّلام ذكر حسن إجابته له في وجوه أربعة بقوله تعالى: «ونجّيناه ـ سلام على نوح في العالمين»: ٧٦-٧٩) إثنان منها: النجاة وبقاء الذريّة ظاهريّة، واثنان آخران: الثناء الجميل ودوام السلام معنويّة، ثمّ ذكر سبب استحقاقه لتلك النعم بقوله جلّ وعلا: «إنّا كذلك نجزى المحسنين»: ٨٠) ثمّ أشار إلى ملاك الإحسان وهو الإيمان بقوله: «إنّه كان من عبادنا المؤمنين»: ٨١) تنبيهاً إلى أنّ الإحسان بدون الإيمان ليس بإحسان، ثمّ بيّن غضبه تعالى على أعدآئه عليه السّلام بقوله: «ثمّ أغرقنا الآخرين»: ٨٢).

إنّ الله تعالى لمّا عرّف نوحاً عليه السّلام بكماله وفضله بيّن أنّه ممن شايع وتابعه إبراهيم عليه السّلام بقوله عزّوجلّ: «وإن من شيعته لابراهيم»: ٨٣) ثمّ فصّل كيفيّة المتابعة وحقيقة المشايعة بقوله تعالى: « إذ جآء ربّه بقلب سليم»: ٨٤) كما جآء نوح عليه السّلام ربّه بذلك، ثمّ بيّن ماوقع بين إبراهيم عليه السّلام وقومه من صلابته في الدّين والمناظرة، وما فعل بآلهتهم، وكيدهم به عليه السّلام ونصره تعالى نبيّه إبراهيم عليه السّلام وإبطال سعى أعدائه... بقوله تعالى: «إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ـ فجعلناهم الأسفلين»: ٨٥-٩٨)

ثمّ ذكر بقيّة قصّة إبراهيم وفيها قصّة إسمعيل وصبره وصلابته في امتثال أمر الله تعالى ثمّ بيّن قصّة إسحق وهما نبيّان من الأنبيآء عليهم السّلام ولكن ذريتهما تحزّبوا على حزبين: المحسنين جزاهم الله جلّ وعلا جزآء حسناً، والظالمين عذّبهم لظلمهم وجنايتهم، وقد جآئت القصص الثلاثة في خمس عشر آية: «وقال إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين ـ ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين»: ٩٩-١١٣)

وقد جآئت خمس قصص أخر من القصص: موسى وهارون وإلياس ولوط ويونس عليهم السّلام في (٣٥) آية من الآيات: (١١٤-١٤٨) وقدذكرت القصص التّسع كلّها عقب ذكر مواقف مشركي العرب وفجّارهم، ومصآئر مجرميهم وبغاتهم إنذاراً لهم

وتسليةً وبشرى للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وتنويه وتطمين للمؤمنين المخلصين الذّين يتبعونه في كل ظرف.

أُعيد الكلام إلى مشركي العرب الذين كانوا موضع الحديث قبل سلسلة القصص حيث استؤنف فيها موقف المناظرة والجدل الّذي حكته الآيات الاولى من السّورة، والتحم السياق بين أوّلها وآخرها، وبذلك تكون الآيات الّتي جآئت بين الآيات الاولى من السورة وهذه والّتي احتوت بيان مصير المشركين الكفّار والمخلصين الأبرار وقصص تسعة أنبيآء وأقوامهم... قد جآئت من قبيل الإستطراد والإستشهاد والتّذكير وإنّ الآيات الآخرة: (٣٢) آية من الآيات: (١٤٩-١٨٢) فمنها مايشير إلى أنّ المشركين كانوا يرون أنّهم على حقّ في عقيدتهم الفاسدة هذه، وكانوا يجادلون عنها بقوة ولجاج وعناد... فتحدتهم الآيات الأُخر بقوة مماثلة وشدّدت عليهم بالتسفيه والسخرية والتّكذيب والرّدّ... واستحكمتهم الحجّة والتّنديد إستحكاماً شديداً لتناقضهم بين القول والفعل وأثارت الخوف في قلوبهم، وتسلية للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وتطمين المؤمنين المخلصين وتثبيتهم.

ولا يبعد أن تكون مناسبة هذه الآيات الآخرة للآيات الاولى، والآيات الّتي عرضت قصّة يونس عليه السّلام مع قومه ـ أنّها دعوة مجدّدة إلى هؤلآء المشركين ومقابلة ـ ربّما تكون أخيرة ـ بين هؤلآء المشركين وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إليهم إنّها أشبه بذلك اللقاء الجديد الّذي كان بين يونس وقومه... وقد آمن قوم يونس عليه السّلام فهل يؤمن هؤلآء المشركون، بعد هذا اللقاء الجديد بينهم وبين النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم؟

إنّ الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم في صدر هذه السورة بتبكيت قريش وتوبيخهم على إنكارهم للبعث على طريق الإستفتآء عنهم: «فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا»: ١١) مع قيام الأدلة وتظاهرها على وجود البعث، ثمّ ساق الكثير منها مما لا يمكن ردّه ولا إنكاره ثمّ أعقبه بذكر ما سيلقونه من العذاب، واستثنى منهم عباد الله المخلصين، وبين مايلقونه من النّعيم، ثمّ عطف على هذا أنّه قد ضلّ

قبلهم أكثر الأوّلين، وأنّه أرسل إليهم منذِرين، ثمّ أورد تسع قصص من قصص الأنبيآء عليهم السّلام تفصيلاً متضمّناً وصفهم بالفضل والعبوديّة لله جلّ وعلا، وقد أمره صلى الله عليه وآله وسلّم في آخرها بالتنديد عليهم ثانياً بطريق الإستفتآء عن وجه القسمة الجائرة الّتي عملوها، وهي جعل البنات لله سبحانه، وجعل البنين لأنفسهم بقولهم: الملآئكة بنات الله، ثمّ بالتّقريع ثالثاً على استهانتهم بالملآئكة بجعلهم إناثاً، ثمّ أبطل كلاً من هذين بالحجّة الّتي لا يجد العاقل محيصاً عن التّصديق بها والإذعان لها، ثمّ حكى اعتراف الملآئكة بالعبودية تنبيهاً إلى فساد قول من زعم أنّهم أولاد الله سبحانه، مع تهديد هم بالعذاب، ووعدنبيه صلى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر والتأييد، ثمّ ختم جلّ وعلا السّورة بخاتمة شريفة جامعة لتنزيهه جلّ وعلا عما لا يليق به مع وصف نفسه بصفات الكمال ومدحه للرسل الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

في التفسير المبين: قال مغنية رحمة الله تعالى عليه في قوله تعالى: ((لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى)) :٨) : ((هذه الآية من المتشابهات عندنا، وإن تك من الواضحات عند غيرنا)) إنتهى كلامه.

أقول: ولم أجد غيره أحداً من مفسّري الشّيعة أن يقول مقالته، فلعلّ مراده: ((عندنا)).هو نفسه.

كلام في معنى النسخ لغة وشرعاً:

وقد جآء النسخ ـ لغة ـ في القرآن الكريم وفي كلام العرب لمعنيين: **أحدهما** ـ بمعنى الإبطال والإزالة قال الله جلّ وعلا: ((فينسخ الله ما يلقى الشيطان)) الحج: ٥٢) أي يزيله ويبطله. وتقول العرب: نسخت الشمس الظّلّ أي أزالته. **ثانيهما** ـ بمعنى النقل والتحويل قال الله عزّوجلّ: ((هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون)) الجاثية: ٢٩) يعني به نقله إلى الصحيفة. وتقول العرب: نسخت الكتاب واستنسخته أي نقلت ما فيه إلى الآخر.

وقد إختلفت كلمات الادبآء والبيانيين في حقيقة أحد المعنيين، ومجاز الآخر، أو على نحو الإشتراك لفظياً ومعنوياً، والصواب عندنا على التّحقيق هو الاخير فتأمّل جيداً ولا تعجل. وأمّا النسخ ـ شرعاً ـ فهو الإعلام برفع الحكم الثابت بالدليل الشرعيّ، بدليل آخر شرعيّ متراخٍ عنه على وجه لولاه لكان الحكم الأوّل ثابتاً.

قال الله تعالى: ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)) البقرة: ١٠٦) على أنّ المراد من نسخ الآية أو نسيانها ليس إزالتها وإبطالها أو نقلها وتحويلها من كتاب إلى آخر، بل المراد هو الأخف والأسهل في الأحكام لقوله عزّوجلّ: ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) البقرة: ١٨٥) وقوله تعالى: ((الآن خفف الله عنكم)) الأنفال: ٦٦).

ولا يخفى أنّ بين النسخ ـ لغة وشرعاً ـ تشابهاً وذلك أنّ النّص إذا دلّ على أن مثل الحكم الثابت بالنّص المتقدّم زائل على وجه لولاه لكان ثابتاً صار بمنزلة المزيل لذلك الحكم لأنه لولاه لكان ثابتاً، فاجرى إستعمال لفظ النسخ فيه مجرى الشمس المزيلة للظل.

ولا ريب في جواز النسخ ووقوعه قال الله عزّوجلّ: «فلمّا بلغ معه السعى قال يا بنيّ إني أرى في المنام أنيّ أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شآء الله من الصابرين ـ وفديناه بذبح عظيم» الصافات: ١٠٢ـ١٠٧).

وذلك انّ ظاهر الآيات الكريمة بل صريحها هو الأمر بنفس الذبح لا بمقدّماته كما توهّم، وحيث إنّ إبراهيم عليه السّلام صار عازماً صادقاً بصدد الإمتثال بما أُمِرَ به، وقد أخذ بمقدّمات الذبح، و بذل وسعه، وفعل ما يفعله الذابح من بطحه وإمرار السكين عليه، حصل التّصديق للرؤيا إذ وجد الله تعالى إبراهيم وإبنه اسمعيل عليهما السّلام منقادين لأمره ـ ولو بطريق الرؤيا فضلاً عن اليقظة ـ وإن بلغ ما بلغ من فدآء نفسه أو ولده العزيز، فجآء الله عزّوجلّ بما يمنع من تأثير الشفرة تحت حلق اسمعيل مع عزم إبراهيم عليه السّلام جدّاً لذبح ولده عليهما صلوات الله، وقد كان ذلك امتحاناً لهما لقومه تعالى: «إن هذا لهو البلاء المبين»: ١٠٦) أي الامتحان الصعب والإختبار الشديد الذي يتميّز فيه المخلص عن المدّعي، والمكروه الّذي لا أصعب على النفس منه فلمّا حَسُنَ امتحانهما فداه الله تعالى بذبح عظيم، فصار إبراهيم عليه السّلام بعزمه القاطع في امتثال أمر الله خليل الرحمن، وصار اسمعيل عيه السّلام بصبره محورا للسّيادة إذ تنتهى سيادة سيّد الأنبيآء والمرسلين محمّد المصطفىٰ وأهل بيته الطاهرين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته إليه عليه السّلام وإنّ الأمر الإمتحاني لاينافي الحكم الجدّ، فقد ينسخ باتيان مقدّماته مع العزم القاطع باتيان المأموربه كالمقام، وقد لاينسخ كشهادة سيّد الشهداء سبط المصطفى بضعة فاطمة الزّهرآء الإمام الحسين بن على المرتضىٰ عليهم أفضل صلوات الله.

نعم: إنّ الخليل حقاً ـ وخاصّة خليل الرحمنٰ ـ منَ كان يفدى نفسه وكلّ ما يتعلّق به لخليله، وهذه الخلّة وهذه السيادة لاينال بهما أحد إلاّ بأشد الإختبار وأصعب الإبتلاء فقد أمر الله جلّ وعلا إبراهيم عليه السّلام في رؤياه بذبح ولده اسمعيل عليه السّلام ليعلم النّاس أنه خليله حقاً ولم ينل بهذه الخلّة مجّاناً، ولا بالأمر مزاحاً، إذ أقدم

إبراهيم عليه السّلام بامتثال ما أُمِرَبه جداً ولو كان الأمر من الله تعالى في رؤياه ـ فضلا عن يقظته ـ فلما امتحن الله تعالى قلبه للخلّة ووجده صادقاً فيها أفدى له بذبح عظيم ليكون إبراهيم عليه السّلام اسوة للناس في الخلّة، ويكون إسمعيل عليه السّلام محوراً في السيادة، كما أنّ الإمام الحسين بن على عليهما صلوات الله يكون اسوة في الشهادة في سبيل الله تعالى، ولعمرى لا يفهم هذا المعنى إلاّ مَن كان يفدى نفسه وما يتعلّق به حقّاً في نصرة دين الله جلّ وعلا، ولا يفدي دينه في بقاء نفسه ومتعلّقاته... أياماً... وهذا هو المستفاد ـ مضافاً إلى الآيات الكريمة ـ من الروايات الواردة عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين منها:

في عيون الأخبار: باسناده عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرّضا عليه السّلام يقول: لمّا أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السّلام أن يذبح مكان إبنه اسمعيل الكبش الّذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السّلام أن يكون قد ذبح إبنه إسمعيل عليه السّلام بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الّذي يذبح أعزّ ولده (عليه خ) بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصآئب، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقى إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقى إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فأوحى الله عزّوجل إليه: يا إبراهيم أفهو أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده قال: فذبح ولِده ظلماً على أعدآئه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتى؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدآئه أوجع لقلبى، قال: يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنّها من امة محمّد ستقتل الحسين إبنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك سخطى، فجزع إبراهيم عليه السّلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكى، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم قد قبلت جزعك على إبنك إسمعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله وأو جبت لك رفع درجات أهل الثواب على المصآئب فذلك قول الله عزّوجلّ: «وفديناه

بذبح عظيم»

وفي الخصال: مثله إلّا أنّ فيه بعد: «من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فأوحى الله تعالى إليه أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي...» وبعد: «فذبح ولده ظلماً على أيدي...» وبعد: «بل ذبح ولده ظلماً على أيدي...» وبدل «فيستوجبون» «ويستوجبون» وبدل «قد قبلت» «قد فديت» وبدل «رفع» «أرفع».

وفي البحار: مثله.

وقد إختلفت كلمات الحكمآء والمفسّرين، والأدبآء والمتكلّمين، والفقهآء والاصوليين من القدمآء والمتأخرين في تعريف النسخ شرعاً إختلافاً كثيراً لا أجد لذكرها فائدة فمن أرادها فعليه بالمطوّلات المتكرّرة، وكذلك في أنّ النّسخ هل هو رفع أو دفع للحكم الشّرعي أو بيان لإنتهاء أمده دون رفعه، وفي إشتراط النسخ بحضور وقت الفعل المنسوخ وعدمه، وفي شرائطه...

فنشير إلى بعض تلك الكلمات وأهم شرائطه الواردة عنهم على طريق الإختصار:

فمنهم: من قال: لا يبعد أن يقع تشريع الحكم على وجه الدوام أوّلاً مع اختصاص المصلحة المرجحة لذلك ببعض الوقت، ثمّ رفع ذلك الحكم عند انتهاء ما تقتضيه المصلحة المفروضة فهو رفع للمدلول لا رفع للدلالة ليكون تصرّفاً في اللفظ الدّال على الحكم، وقرينة على كون المراد به خلاف ظاهره على ما هو الحال في المخصّص والقرآئن الدالّة على التّجوز في اللفظ وتشريع الحكم على وجه الدوام مع اختصاص المصلحة ببعض الوقت مما لا مانع منه إذا كان هناك مصلحة قاضية بتشريعه كذلك ثمّ نسخه بعد ذلك، وهذا مبنيّ على القول بكون الطلب المراد من الأمر هو إنشآء إقتضآء الفعل سوآء وافق الإرادة القلبية من الأمر لوقوع الفعل أو لا نظراً إلى اختيار مغايرة الطلب للإرادة بالمعنى المذكور، فاذاً يصحّ إنشآء طلب الفعل واقتضآئه من المكلف، وإن لم يكن له مصلحة فيه إذا كان هناك مصلحة في الإقتضآء المذكور ولا فرق بينه وبين ما فيه مصلحة للمكلف بالنّسبة إلى حصول

التّكليف في الإقتضآء فغاية الأمر إنّه يرفع ذلك التّكليف وينسخه عند زوال المصلحة.

وهذا بخلاف ما إذا قيل بكون الطلب عين إرادة الفعل على الوجه المفروض أو بعدم حصول حقيقة الطلب من دونه، فلا يتصوّر إذن حصول حقيقة الطلب على وجه الدوام مع عدم إرادته وقوع الفعل في الزمان اللاحق وعلمه بنسخ ذلك الفعل، فليس ذلك الطلب المتعلّق بالفعل بالنسبة إلى ذلك الزمان إلّا صورياً خارجاً عن حقيقة الطلب على القول المذكور، فلا يتحقّق هناك تكليف بحسب الواقع بالنسبة إلى ما قيل، وورود الناسخ دون ما بعده، وإذا برزالجميع أوّلاً بصورة واحدة فيكون النسخ إذن كاشفاً عن ذلك مبيناً لحقيقة الحال، فمع البنآء على الوجه المذكور كما هو ظاهر المعروف عن الأصحاب لا يمكن أن يكون النسخ رافعاً للحكم إلّا بالنظر إلى الظاهر من دون أن يكون هناك رفع الحكم الثابت بحسب الواقع لولا حصول الرفع المفروض، فهو رفع في الحقيقة قرينة معينة للمقصود قاضية بالخروج عن ظاهر اللفظ بخلاف البنآء على الوجه الأوّل الّذي اخترناه فإنّه يجوز أن يكون رفعاً إذا حصل التكليف على الوجه الّذي قرّرناه، وأن يكون بياناً لما هو الرافع رفعاً بالنسبة إلى ما أفاده الظاهر قبل ظهور الناسخ إذا وقع التّكليف في الوجه الثّاني، فعلى المختار يجوز وقوع التّكليف في كلّ من الوجهين المذكورين، ويتفرّع على كلّ حكمه من حصول النسخ بالبيان أو الرفع، ويكون إذن تعيين كلّ من الوجهين بملاحظة الدّليل الدال على ذلك نصّاً وظاهراً هذا كله بالنسبة إلى أوامر الشرع .كما هو محلّ الكلام وأما بالنظر إلى غيرها فراجع إلى مطوّلات اصول الفقه المتكررة المتورّمة الّتي لا تبتني على كتاب مبين ولا على سنّة صحيحة.

ومنهم: من قال: «إنّ الله تعالى لم يأمر إبراهيم عليه السّلام بالذبح الّذي هو فرى الأوداج بل بمقدّماته كالإضجاع له وتناول المُدية وماجرى مجرى ذلك، والعرب تسمّي الشيء باسم مقدّماته والدليل على هذا قوله تعالى! «وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا» فأما جزع إبراهيم فلأنه أشفق من أن يأمره بعد مقدّمات الذبح بالذبح نفسه لأن العادة بذلك جارية، وأمّا الفدآء فلا يمتنع أن يكون عمّا ظنّ أنّه سيؤمر به

من الذبح ولا يمتنع أيضاً يكون عن مقدّمات الذبح زائدة على ما فعله لم يكن قد أُمِرَبها، فإن الفدية لا يجب أن تكون من جنس المفدى لأنّ حلق الرأس قد يُفدى بدم ما يذبح. وقد قيل أيضاً: إنّه عليه السّلام فرّى أو داج ابنه لكنّه كلّما فرّى جزءاً عاد في الحال ملتحماً، فقد فعل ما أُمِرَبه من الذبح وإن لم تبطل الحياة».

وفي الكفاية: قال: «فاعلم أنّ النسخ وإنّ كان رفع الحكم الثّابت إثباتاً إلاّ أنّه في الحقيقة دفع الحكم ثبوتاً وإنّما اقتضت الحكمة إظهار دوام الحكم وإستمراره أو أصل إنشآئه واقراره مع أنّه بحسب الواقع ليس له قرار أو ليس له دوام واستمرار وذلك لأنّ النّبيّ الصّادق صلى الله عليه وآله وسلّم للشرع ربّما يلهم أو يوحي الله إليه أن يظهر الحكم أو إستمراره مع اطلاعه على حقيقة الحال، وانّه ينسخ في الإستقبال أو مع عدم اطلاعه على ذلك لعدم إحاطته بتمام ماجرى في علمه تبارك وتعالى، ومن هذا القبيل لعلّه يكون امرَ إبراهيم بذبح إسمعيل، وحيث عرفت أنّ النسخ بحسب الحقيقة يكون دفعاً، وإن كان بحسب الظاهر رفعاً فلا بأس به مطلقاً ولو كان قبل حضور وقت العمل لعدم لزوم البدآء المحال في حقه تبارك وتعالى . . .»

وفي المحاضرات: قال: «إنّ حقيقة النّسخ بحسب مقام الثّبوت والواقع إنتهآء الحكم بانتهآء أمده بمعنى أن سعة الجعل من الأوّل ليست بأزيد من ذلك، ومن هنا كان النسخ في الحقيقة تخصيصاً بحسب لأزمان في مقابل التخصيص بحسب الأفراد فلا يكون في الواقع رفع بل فيه دفع، وإنتهآء الحكم بانتهآء تمضيه، نعم بحسب مقام الإثبات وظاهر الدّليل يكون رفعاً».

ومنهم: من قال: إنّ نسخ الشّيء قبل فعله وبعد مضيّ وقته جآئز لأن الله عزّوجلّ يحسن أن يأمر بالفعل مَن يعصيه كما يحسن أن يأمر مَن يطيعه، وإذا كان لو أمر مَن أطاع لجاز النسخ بلا خلاف، فكذلك أمْرُ مَن يعصي لأنّ بالطاعة أو المعصية لا يتغيّر حسن النسخ التابع لتعريف المصالح في المستقبل، وأمّا نسخ الشيء قبل وقت فعله ففيه خلاف.

وغير ذلك من الكلمات والآرآء...

أمّا شرايط النّسخ: فقد أوردوا ما لا يقتضي مقام الإختصار بذكر جميعها فنشير إلى عشرة منها وهي أهمّها عندهم مع إختلافهم فيها:

الأوّل: أن يكون النّسخ رفعاً لحكم شرعيّ، فإذا كان المرتفع حكماً عقلياً لا يكون منسوخاً ولا يكون هناك نسخ.

الثاني: أن يكون النّاسخ والمنسوخ شرعيين، فإذا كان الرّافع للحكم الشّرعي أمراً عقليّاً كما في رفع الأحكام التّكليفية الشرعيّة بعدم التّمكن منها، وبالعجز منها بموت أو جنون أو نحوهما فلا يكون ناسخاً ولا يكون هناك نسخ أيضاً، فيجب أن يكون النّاسخ والمنسوخ شرعيين ولا يكونا عقليين ولا أحدهما.

الثّالث: أن يكون المراد بالناسخ غير المراد بالمنسوخ نفسه للزوم البدآء على تقدير كون المراد بالنّاسخ هو المنسوخ.

الرّابع: أن يكون الناسخ متراخياً ومنفصلاً عن المنسوخ، فيخرج بهذا القيد الإستثنآء والشّرط والصفة والغاية وغيرها من المخصّصات المتصلة...

الخامس: أن يكون المنسوخ غير موقت بوقت معيّن معلوم، فلو وقّت بوقت لم يكن ذلك نسخاً.

السادس: أن يكون المنسوخ مستمرّاً لولا الناسخ، فلو كان منقطعاً أو مقيّداً بمرّة واحدة أو مطلقاً لم يكن إرتفاعه نسخاً.

السّابع: أن يكون المنسوخ ممّا يصحّ تغيّره بإعتبار عروض الأحكام الشرعية، فلا يتحقّق النسخ فيما يجب إستمراره إمّا لكونه لطفاً مطلقاً كمعرفة الله جلّ وعلا أو لكونه على صفة هو عليها لازمة له كوجوب الإنصاف، فإنّه معلّل بصفة الإنصاف، وقبح الكذب والجهل فانّهما معلّلان بعدم مطابقتهما لمتعلقهما وهي صفة لازمة لها.

الثّامن: أن يكون الناسخ مساوياً للمنسوخ في المعلومية والمظنونية، فلا ينسخ المتواتر بالآحاد...

التاسع: أن يكون النسخ لمصلحة، وتكون مصلحة الناسخ أرجح من مصلحة المنسوخ.

العاشر: أن يكون للمنسوخ بدل، وإلاّ فما كان هناك نسخ.

وغيرها من الشرائط المختلفة فيها عندهم.

ولا يخفي على مَن كان إعتنائه وتدبّره في كلام الخالق وفي كلام أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله أكثر من إعتنائه وتدبّره في كلام المخلوق غير المعصوم أن تلك المقالات والآرآء المختلفة لابد وأن تعطف على القرآن الكريم والروايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت النبّوة صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد ورد مستفيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه، وبيت لا تُهدَمُ أركانه وعِزٌّ لا تُهزَم أعوانه».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي».

وفيه: قال الإمام على عليه السّلام: «وعِندنا أهل البيت أبواب الحِكم وضيآء الأمر ألاوإن شرائع الدّين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لَحِقَ وغَنِمَ ومن وقف عنها ضلّ وندم».

فعلى طبقات العلماء أجمعين أن يعطفوا الآراء على الثّقلين، ولا يعطفوهما عليها قال الله جلّ وعلا: «أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السّموات وما في الأرض والله بكلّ شيء عليم» الحجرات: ١٦).

قال بعضهم: إن الآيات الأربع: «فتولّ عنهم حتّى حين وأبصرهم فسوف يبصرون ـ وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون» الصّافات: ١٧٤-١٧٥-١٧٨-١٧٩) كلّها منسوخة بآية السيف.

أقول: فمن تدبّر فيها يجد كلّها بصدد التهديد والوعيد لمشركي العرب ومَن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، وتؤيد ذلك آيتان بينها: «أفبعذا بنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين» الصافات: ١٧٦-١٧٧) فلا نسخ هنا فتأمل جيّداً.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

١ ـ (والصافات صفاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس وإبن مسعود وإبن زيد وسعيد بن جبير ومجاهد ومسروق وقتادة والسدى وعكرمة والحسن: الصافات: هنّ الملآئكة الّتي تصفّ أنفسها صفوفاً في السّمآء يسبّحون لله جلّ وعلا كصفوف المؤمنين المصلّين للصّلاة في الأرض. الصفّ ترتيب الجمع على نسق كالصفّ في الصّلاة. ٢ـعن الجبائي: هم الملآئكة تصفّ أجنحتها في الهوآء إذا أرادت النزّول إلى الأرض واقفة في إنتظار أوامر الله تعالى. فأقسم الله جلّ وعلا بالملآئكة الصافّين في مقام العبودية على مراتب بإعتبارها تفيض عليهم الأنوار الرّبوبيّة منتظرين لأمر الله تعالى. وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي مواليهم وملوكهم صفوفاً للخدمة. ٣ـعن أبي مسلم: انّهم جماعة من المؤمنين القآئمين في الصلاة أي الصفوف الحاصلة عند أدآء الفرائض بالجماعة. ٤ـقيل: هم المجاهدون في سبيل الله مصطفّين في ميدان القتال. وقيل: الصافات: قوى الغزاة والجيوش والمجاهدين في سبيل الله الّتي تصفّ الصفوف في القتال لقوله تعالى: «إنّ الله يحب الّذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص» الصف: ٤).

٥ ـ قيل: إنّ الله تعالى أقسم بطوائف الملآئكة الّذين يتمّون صفوفهم في مقام العبوديّةوالإمتثال على مراتبهم ودرجاتهم وفرقهم وجماعاتهم... يصفّون في كلّ حال من السمآء والأرض أجنحتهم في ولاء وخشوع دائم وفي عبادة متّصلة لله ربّ

العالمين. ٦ـقيل: أقسم تعالى بنفوس الملآئكة الصافات أقدامهنّ في الصلاة كقوله تعالى حكاية عنهم: «وإنّا لنحن الصافون» الصافات: ١٦٥) عن الحسن أيضاً: هم الملآئكة يصفّون في صلا تهم عند ربّهم. ٧ـقيل: هم الملآئكة الّذين هم مقدمون على ما اُمِروا به على إختلاف مشاغلهم وأصنافهم وأقسامهم... ٨ـقيل: انّ المراد من «الصّافات» جماعات الطير لقوله تعالى: «والطير صافات» النور: ٤١) تسبّح في جوّ السمآء أو في الأرض صافة أجنحتها أي باسطة لها من غير حركة. قال أبو عبيدة: كلّ شيء من السمآء والأرض لم يضمّ قطريه فهو صاف ومنه: «والطير صافات» إذا نشرت أجنحتها.

٩ ـ قيل: إنّ المراد بالصّافات نفوس العلمآء العاملين الصافين أقدامهم في التّهجد وسآئر الصلوات وصفوف الجماعات... والّذين يقومون منهم لدعوة النّاس إلى الحقّ وسبيل الرشاد... ١٠ـقيل: هم الملآئكة الّذين يقفون صفوفاً إما في السموات لأدآء العبادات كقوله تعالى حكاية عنهم: «وإنّا لنحن الصافون» وإما في الهواء فيصفّون أجنحتهم في الهواء يقفون منتظرين وصول أمر الله تعالى إليهم. ١١ ـ قيل: ارُيد بالصافات الملآئكة على أنّ لكلّ واحد منهم مرتبة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات العلية، وتلك الدرجة باقية غير متغيّرة وذلك يشبه الصفوف. ١٢ـقيل: الصافات: الايات القرآنيّة فإنّها أنواع: بعضها في دلائل التّوحيد وفي صفات الله جلّ وعلا من العلم والحكمة ومن التّدبير والقدرة، ومن الجلال والعظمة... وبعضها في دلائل النّبوّة والرسالة والولاية والإمامة... وبعضها في دلائل المعاد والحساب والجزآء، وبعضها في بيان التكاليف والأحكام... وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة والكمالات النفسانيّة... وهذه الآيات الكريمة مرتبة ترتيباً لا يتغيّرو لا يتبدّل، فهذه الآيات تشبه أشخاصاً واقفين في صفوف معيّنة.

١٣ ـ قيل: إنّ الله عزّوجلّ أقسم بكلّ الصّفوف والجماعات الّتي تصطفّ أفرادها مطيعين لله جلّ وعلا من الملآئكة والإنس والجنّ والطّير والحيوان والنّبات والجماد من السّموات والأرض وما بينهما لقوله تعالى: «ألم تر أن الله يسجد له من في

السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ وكثير من النّاس» الحج:١٨) ١٤-قيل: الصافات هم الملآئكة والأنبيآء ومن وصف الله تعالى وعبده وقال جلّ وعلا في الملآئكة: «يوم يقوم الروح والملآئكة صفّاً» النبأ:٣٨) وقال: «وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً» الفجر:٢٢) المراد من الصف إنقيادهم وطاعتهم وامتثالهم لأمر الله تعالى في كلّ آن، فالمراد من الصافات أنفسها أي النّاظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة...

١٥- قيل: هم الملآئكة الّذين يصفّون في طريق الوحي صفاً، فينزلون الوحى إلى الرّسول مطلقاً أو خصوص محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يستفاد من قوله عزّوجلّ: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم وأحاط بما لديهم» الجن:٢٨) ولا ينافي ذلك إسناد التّنزول بالقرآن إلى جبرئيل وحده في قوله تعالى: «من كان عدوّاً لجبريل فإنّه نزّل على قلبك» البقرة:٩٧) وقوله عزّوجلّ: «نزل به الروح الأمين على قلبك» الشعراء:١٩٤) لأنّ الملآئكة المذكورين أعوان جبرئيل فنزولهم به نزوله به وقد قال تعالى: «في صحف مكرمة مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة» عبس:١٣-١٦) وقال حكاية عنهم: «وما نتنزل إلّا بأمرربّك» مريم:٦٤) وقال: «وإنّا لنحن الصافون» وهذا كنسبة التوفّى إلى الرّسل من الملآئكة في قوله تعالى: «حتّى إذا جآء أحدكم الموت توفّته رسلنا» الأنعام:٦١) وإلى ملك الموت وهو رئيسهم في قوله تعالى: «قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكلّ بكم» السجدة:١١).

١٦ - قيل: إنّ قوله تعالى: «والصافات صفاً» يشير إلى صفوف الأرواح حيث خلقت قبل الأجساد على أربعة صفوف: **الاولى:** أرواح الأنبيآء والمرسلين. **الثانية:** أرواح الأوليآء والأوصيآء. **الثالثة:** أرواح الصلحاء والمؤمنين. **الرابعة:** أرواح الكفار والمنافقين. ١٧-قيل: إنّ الله تعالى أقسم بطوائف الملآئكة الفاعلات للصفوف على أن المراد ايقاع نفس الفعل من دون نظر إلى المفعول، فكون الملآئكة صافين إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها أي وقوفهم في مواقف العبوديّة والطاعة.

١٨ ـ قيل: إنّ الخلق على قسمين: أحدهما ـ جسماني ـ ثانيهما ـ روحاني **أمّا الأوّل:** فهو مرتب على طبقات.ودرجات لا يتغيّر البتّة وذلك أن الأرض وسط العالم وهي محفوفة بكرة المآء، والمآء محفوف بالهوآء، والهوآء بالنّار ثمّ هذه الأربعة بكرات الأفلاك إلى آخر العالم الجسماني فهذه الأجسام كأنّها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى. **وأمّا الثّاني:** فهو الجواهر الروحانيّة الملكيّة فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صفتين: أحدهما ـ التأثير في عالم الأجسام بالتحريك والتصريف وإليه أشار بقوله تعالى: «فالزاجرات زجراً» على أن المراد من هذا الزجر هو السوق والتحريك ثانيهما ـ الإدراك والمعرفة والإستغراق في معرفة الله جلّ وعلا والثنآء عليه، وإليه أشار تعالى بقوله: «فالتاليات ذكراً» ولما كان الجسم أدنى منزلة من الأرواح المشتغلة بالتصرف في الجسمانيات وهي أدون منزلة من الأرواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله جلّ وعلا كما قال: «ومن عنده لا يستكبرون من عبادته» الأنبيآء: ١٩) لاجرم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الأجسام ثمّ ذكر الأرواح المدبّرة لأجسام هذا العالم ثمّ ذكر اعلىٰ الدرجات وهي الأرواح المقدّسة المتوجّهة بكليتها إلى معرفة جلال الله والإستغراق في الثنآء عليه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر... فتأمّل جيّداً. قال الله عزّوجلّ: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر اولوا الألباب» ص: ٢٩) وفي القسم بغير الله تعالى: «والصافات صفاً...» أقوال: ١ـقيل: يجوز الحلف بغير الله تعالى كما أقسم تعالى بغيره هنا وفي سور اخرى. ٢ـقيل: لا يجوز لغير الله تعالى أن يقسم بغيره والمراد هنا تعظيم هذه الآشياء وتشريفها. ٣ـقيل: إن المراد هنا ربّ الأشيآء على حذف المضاف أي اقسم بربّ الملآئكة الصافات صفاً... ٤ـقيل: إن الله تعالى أقسم بغيره على عادة العرب الّذين يحلفون بغير الله تعالى. فهذه اقسام من الله جلّ وعلا بالأشيآء الّتي ذكرها، فيجوز لله تعالى أن يقسم بهذه الأشيآء لأنّها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها.

وفي التبيان: قال الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه: «وقد بيّنّا أنّ له تعالى أن يقسم بما

شآء من خلقه، وليس لخلقه أن يحلفوا إلّا بالله».

أقول: ولنا تحقيق عميق وبحث دقيق حول القسم اطلاقاً، والقسم بغير الله تعالى خاصة بمواضع من هذا التّفسير منها في تفسير سورة «والعصر» فراجع وانتظر.

٢ ـ (فالزاجرات زجراً)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس والسدى والجبائي: هم الملآئكة الّذين وُكِلُوا بالسّحاب ويَسوقونها من موضع إلى موضع أراده الله تعالى. ٢ـ عن قتادة والربيع بن أنس: هي الآيات القرآنيّة الّتي زجرها الله تعالى بها عمّا زجر بها عنه في القرآن الكريم فهي زواجر القرآن تزجر الإنسان عن الأ فعال المنكرة وعن القبائح والمعاصي... وقيل: هي الآيات الّتي يتلوها المصلّون في صلاة الجهر. ٣ـ قيل: هم الملآئكة الّذين لهم تأثيرات في قلوب الإنسان على سبيل الخواطر و الإلهامات، فيزجرون النّاس ويردعونهم عن المعاصي بالإلهام زجراً ويلومونهم بعد إرتكابهم المعاصي، ويلهمونهم الخير والهدى. من زجرت البعير أزجره زجراً إذا حثثته ليمضي، وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر أي نهيته فانتهى. وأن الزجر للبعير كالحث وللإنسان كالنهي. أصل الزجر: الصرف والدفع عن الشيء بتسلّط وصياح، ثمّ استعمل في السوق والحثّ على الشّيء بوعد، وفي المنع والنهي عن الشيء لخوف الذم والعقاب، وقد يكون الصرف عن الشّيء بالذم فقط على معنى أنّه مَن فعله استحقّ الذّمّ.

٤ ـ قيل: هم الملآئكة الّذين يزجرون الشياطين عن التعرّض لبني آدم بالشّرّ والايذآء، ويحفظون المؤمنين من الوساوس والخطرات الخاطئة. ٥ـ قيل: الزاجرات كلّ ما يزجر الإنسان من معاصي الله تعالى، ومن الزاجرات: المواعظ والنصآئح... ٦ـ قيل: الزاجرات الّتي تزجر الخيل والركاب للجهاد. وقيل: الزاجرات: رفع الصوت بزجر الخيل وجمع الجيش. ٧ـ قيل: الزاجرات هي الإستعاذة عند قراءة القرآن، يزجر بها الشياطين عن إلقآء الوساوس في قلوب العباد المؤمنين في أثنآء الصلاة، فكانّهم بسبب قرآءة الإستعاذة يزجرون الشياطين عن إلقآء الوساوس في قلوبهم أثنآء

الصلاة. ٨-قيل: الزاجرات: العلمآء العاملون الّذين يشتغلون بالزجر من الشبهات والشهوات والأهوآء وعن الإنهماك في متاع الدّنيا.

٩ - قيل: الزاجرات: السوق والتحريك لإدراك الحقائق والمعارف، والإستغراق في معرفة الله تعالى. ١٠-قيل: هي الأجرام العلويّة والسفلية بالتدبير المأمور به فيها. ١١-قيل: أي الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها زجره من الأجرام العلويّة والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور، ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن إستراق السمع إلى الملأ الأعلى. ١٢-قيل: الزاجرات الّذين يزجرون العوام عن الضلال ويدفعون شبهاتهم... فيحثّونهم إلى الخيرات، ويردعونهم عن الشرور، ويحرّضونهم على الإمتثال بالأوامر، ويمنعونهم من النواهي...

١٣ - قيل: الزاجرات: هم الّذين يزجرون مَن يستحقّ الزجر من العصاة في أثنآء قبض أرواحهم أو عند الحشر أو عند السوق إلى جهنّم أو في أيّ حالة وأيّ موضع. ١٤-عن أبي مسلم: هم المؤمنون الّذين يرفعون أصواتهم بالقرآن عند قرائته، فيزجرون بها النّاس عن ارتكاب المنهيات وعن ترك الأوامر، وقيل: هي زواجر القرآن وهي آياته الناهية عن القبائح...

١٥ - عن مجاهد والسّدى: هم الملائكة الّذين يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً يوصل الله تعالى مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغوآء الشياطين إلى قلوبهم ليصحّ التكليف.

١٦ - قيل: الزاجرات جماعات من الملآئكة يسلطهم الله جلّ وعلا على الكفار والمشركين، على الفجار والمجرمين، وعلى الفسّاق والمنافقين في الدّنيا والآخرة، وهم يحملون نذر الهلاك بهم، فيرجمونهم بالمهلكات...

١٧ - قيل: هم الملآئكة المامورون بتأمين طرق نزول الوحي، ودفع الشياطين عن المداخلة فيه. ١٨-قيل: هم الملآئكة الحرّاس الّذين يمنعون الشياطين عن إستراق السّمع إلى الملائكة الأعلى كما يستفاد من سياق حديث رمي الشياطين

بالشهب. ١٩-قيل: الزاجرات زجراً إشارة إلى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الأرواح القدسية البشريّة وإخراجها من القوّة إلى الفعل، وقد ثبت أن هذه الأرواح النطقية البشريّة بالنسبة إلى أرواح الملآئكة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس، وأن هذه الأرواح البشريّة إنّما تنتقل من القوّة إلى الفعل في المعارف الإلهيّة والكمالات الروحانيّة والفضائل النفسانيّة بتأثيرات جواهر الملآئكة. فالاية الكريمة تشير إلى كيفيّة تأثيرات الجواهر الملكيّة في إزالة ما لا ينبغي عن جواهر الأرواح البشريّة. ٢٠-قيل: هم الملآئكة الّذين يزجرون الكواكب المسخّرات وهنّ جاريات مدبّرين شئون العالم، رادعين النّاس عن الشّر بالإلهام، والشياطين عن الوسوسة لهم.

أقول: والثامن عشر هو الأنسب بظاهر السياق وفي معناه السّابع عشر من غير تناف بينهما وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيّداً.

٣ - (فالتاليات ذكراً)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - عن إبن عبّاس وإبن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي وأبي صالح والحسن: هم الملآئكة الّذين يتلون الوحي السّماوي على الأنبيآء ويبلّغونه إلى المرسلين. والذّكر هو الّذي ينزل على الموحىٰ إليه من القرآن الكريم وغيره من الكتب السّماوية النازلة على رسل الله أو على خصوص محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فهم امنآء على وحيه وألسنة إلى رسله لينذروا به أقوامهم... ٢-قيل: هم العلماء العاملون الّذين يتلون آيات الله تعالى على الناس ويهدونهم بها إلى الحقّ والهدى، فيشتغلون بالدعوة إلى دين الله جلّ وعلا ويرغبون النّاس في العمل بشرائع الله عزّوجل. ٣-عن قتادة: هو مايتلى في القرآن من أخبار الامم الماضية... ٤-عن قتادة أيضاً: التاليات: كلّ مَن ذكر الله تعالى وكتبه. ٥-عن أبي مسلم: هم جماعة قرّآء القرآن يتلونه في الصلاة خاصّة أو مطلقاً.

٦ - قيل: إن قوله تعالى: «فالتاليات ذكراً إشارة إلى كيفيّة تأثيرات الملآئكة في إفاضة الجلايا القدسيّة والأنوار الإلهية على الأرواح الإنسانيّة. ٧-قيل: هم

المجاهدون في سبيل الله تعالى فهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القرآن وذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل، فيتلون الذكر ولا تشغلها عنه الشواغل... ٨-قيل: إنّها الملآئكة تتلوا كتاب الله الّذي كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث، فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر. ٩-قيل: التاليات ذكراً: جبرئيل وحده فذكر بلفظ الجمع لأنّه رئيس الملآئكة في الوحي فلا يخلو من جنود وأتباع...

١٠ - عن القشيرى: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى: «إنّ هذا القرآن يقصّ على بنى إسرائيل» النمل:٧٦) ويجوز أن يقال لآيات القرآن: تاليات لأن بعض الحروف يتبع بعضاً.

١١ - قيل: إنّ المراد بالتّاليات: الأنبيآء الّذين يتلون الذّكر على أُممهم... ١٢-قيل: التّاليات الّذين يتلون كتاب الله ويدرسون شرآئعه وأحكامه ومعارفه وحِكَمه... ١٣-قيل: في الآية الكريمة إشارة إلى الأشرف من الجهة الّتي بإعتبارها تقوى الملآئكة على التأثير في عالم الأجسام... ١٤-قيل: هي الآيات الدالّة على وجوب الإقدام على أعمال الخير والبرّ. ١٥-قيل: التاليات ذكراً: كلّ مَن يسبّح ويذكر ويحمد ويهلل كما قال تعالى: «يسبّح لله مافي السموات وما في الأرض» التغابن: ١) ١٦-قيل: التاليات: هي آيات الله التكوينية والتدوينيّة وجلا يا قدسه على أنبيآئه وأوليآئه وهم يسبّحون الليل والنّهار ولا يفترون.

أقول: والأول هو المؤيّد بماورد في نهج البلاغة عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته في كلّ آن من آنآء الليل والنّهار إلى يوم لقآئه.

وفي الصفات الثلاث: «الصافات - الزاجرات - التاليات» أقوال: ١-قيل: إن الصافات الثلاث لموصوف واحد بأن طائفة من الملآئكة لهم تلك الصفات، فالصفات متعددة والموصوف واحد ، فالعطف لإختلاف الصفات لا الذوات، ولكن كلّ وصف لا حق أرقى من سابقه، فالصفّ للطاعة وإمتثال أوامر الله تعالى كمال، والمنع من الجهالة والمعاصي تكميل بالمنع من أنواع الشّرّ واستراق السمع، والتّعليم

بالوحي وإبلاغه إلى الرسل إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد الساميّة من الأرواح العالية، فأقسم الله جلّ وعلا بطائفة من الملآئكة الّذين اتّصفوا بالكمال في النفس، وبحراسة الملأ الأعلى من شرّ الشّياطين، وبنواميس الشريعة وتكميل النّاس ونظام المجتمع الإنساني، ولا ريب أن تناسق الصفوف وانتظام التكوين وتشريع دليل قاطع على وحدة المبدأ.

۲ ـ قيل: اريد بالصفات الثلاث: ثلاث طوائف من الملآئكة، فالصفات الثلاث المتغايرة لموصوفات ثلاث مختلفة في الشغل والعمل، فطائفة من الملآئكة صافات لأخذ الوحي من الله جلّ وعلا ولا متثال أوامر الله جلّ وعلا، وطائفة منهم زاجرات يزجرون الشياطين عن استراق من الملأ الأعلى وطائفة منهم تاليات يتلون الوحي على المرسلين ويبلّغونه إليهم بعد ما أخذوه من الملآئكة الصافات، فالفآء على هذا القول لترتب الموصوفات في الفضل لا الصفات...

۳ ـ قيل: إن المراد من الصفات الثلاث، تغاير الصفات والموصوفات معاً بأن المراد من الصافات الملآئكة أو العالم الجسماني المنضود كرة فوق كرة من الأرض إلى الفلك الأعظم، والمراد من الزاجرات الطير أو الأرواح المدبّرة للأجسام بالتّحريك والتصريف، والمراد من التاليات العلمآء أو الأرواح المستغرقة في بحار معرفة الله تعالى والثنآء عليه.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بالسياق، وخاصّة قوله تعالى حكاية عن الملآئكة في هذه السورة: «وما منا إلّا له مقام معلوم...»: ١٦٤-١٦٦) وبما أوردناه عن نهج البلاغة فتدبّر جيّداً.

٥ ـ (ربّ السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق)

في «المشارق» أقوال: ١ ـ قيل: أي مشارق الشمس باختلاف الفصول الأربعة من الربيع والصيف والخريف والشتآء ومغاربها، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، فإنّ من المعلوم أنّ للمشارق مغارب، وأن الشمس تنزل كلّ منزل في السنة مرتين مرّة في الصيف صاعدة، ومرّة في الشتآء منحدرة، فكلّ يوم لها مشرق ومغرب

لا تنزلهما في السنة إلّا مرّتين. ٢-عن إبن عبّاس وقتادة والسدى: أي مشارق الشمس في كلّ يوم ومغاربها، وذلك إن مطالع الشمس هي (٣٦٥) مشرقاً ومغرباً فإنّ لها في كلّ يوم من أيّام السنة الشمسيّة مشرقاً ومغرباً، إذ تطلع في كلّ يوم من مشرق وتغيب في مغرب، تطلع كلّ يوم من مطلع غير الّذي طلعت منه الأمس، على مدار السنة، وكذلك الشأن في مغربها.

٣ ـ قيل: أي مشارق الشمس ومغاربها في كلّ آن من الآنات... فإنّها تطلع في كلّ آن من أُفق وتغرب في كلّ آن في أُفق على إختلاف الآفاق... فالشمس في تمام الأزمان في حال طلوع وغروب. ٤-قيل: أي مشارق مطلق النجوم والكواكب...

٥ ـ قيل: أي مطلق المشارق من الشمس والقمر والنجوم والكواكب من السيّارات والثوابت... ٦-قيل: أي مشارق القمر خاصّة. ٧-قيل: أي مشارق الأرض ومغاربها أي جهة الشرق والغرب فيها، ويكون المراد بذلك هو لفت الأنظار إلى اتساع آفاق الأرض، وأنّه كلّما اتجه الإنسان في هذين الإ تجاهين ـ الشرق والغرب ـ وجد مشارق ومغارب، وقد أصبح الشرق اليوم ـ في التقسيم السّياسي والجغرافي للعالم ـ شرقاً أدنى، وشرقاً أوسط، وشرقاً أقصى ... وإلى هذا المعنى ـ وهو إتساع آفاق الأرض ـ يشير قوله تعالى: «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها الّتي باركنا فيها» الأعراف: ١٣٧)

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

٦ ـ (إنّا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب)

في قوله تعالى: «بزينة الكواكب» أقوال: ١ ـ قيل: الكواكب هي مطلق النجوم من الثوابت والسّيارات والشمس والقمر... والمعنى: إنّا زينا الكواكب في السّمآء الدّنيا. ٢-قيل: الكواكب غير النجوم في اصطلاح علمآء الفلك، فإنّ الكواكب متحركة تدور حول النجوم، على حين أنّ النجوم ثابتة تدور حول نفسها... وكلّ نجم له مجموعة كواكب تدور حوله كالشمس والكواكب السيّارة الّتي تدور حولها، ومنها

الأرض والقمر والمشترى وزحل والمريّخ وعطارد والزهرة. والمعنى: إنّا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة أعنى الكواكب...

٣ ـ عن قتادة: الكواكب هي النجوم كالبدرو السمآء بها زينة إذ خلقت النجوم ثلا ثاً: رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى بها، وزينة لسمآء الدّنيا. وقال النابغة:

بأنّك شمس والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبق منهنّ كوكب

٤ ـ قيل: إنّ المعنى: زينة السّمآء الدّنيا الكواكب أو هي الكواكب. ٥ـقيل: أي زيّنّا السمآء الدّنيا بتزيين الكواكب أي بحسن الكواكب. ٦ـقيل: ليس المراد بالكواكب الحافظة أنفس الكواكب المركوزة في الأفلاك وإلّا لوقع نقصان ظاهر في أعدادها، بل المراد مايضاهيها من الشهب الحادثة عند كرة النّار من الأبخرة المرتفعة.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين وهو المؤيّد بما ورد عن نهج البلاغة.

٧ ـ (وحفظاً من كلّ شيطان مارد)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي وحفظاً من كلّ خارج عن الطاعة إلى الطغيان، وحفظاً من كلّ متمرّدعاتٍ خبيث خال من الخير، سوآء أكان من شياطين الإنس أم من شياطين الجنّ. ٢ـقيل: أي وحفظنا السمآء الدّنيا من دنوّ كلّ شيطان للإستماع وذلك إنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع، ويستمعون إلى كلام الملآئكة، يقولون ذلك إلى ضعفآء الجنّ، وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة، ويوهمونهم انّهم يعرفون الغيب، فمنعهم الله تعالى عن ذلك. ٣ـقيل: إنّه محمول على المعنى: والتّقدير: إنا خلقنا الكواكب زينة للسمآء الدّنيا وحفظاً من الشياطين. ٤ـقيل: كأنّه قيل: وحفظاً للسمآء الدّنيا من كلّ شيطان زيّنّا السمآء الدّنيا بالكواكب. ٥ـقيل: أي وحفظناها حفظاً. وذلك إنّ الشياطين كانوا يصعدون إلى قرب السمآء، فربّما سمعوا كلام الملآئكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب، فأخبروا صنعاء هم، فجعل الله تعالى الكواكب في زمن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بحيث تحرقهم وتحفظ أهل السمآء من إصغآئهم.

٦ ـ قيل: أي حفظناها بالشهب من كلّ شيطان مارد عاتٍ خارج عن الطاعة

والمراد بالشيطان الشرير من الجنّ. ٧-قيل: أي وجعلنا الكواكب في الوقت نفسه حافظة للسمآء الدّنيا من كلّ شيطان باغ. ٨-قيل: أي وحفظنا السمآء الدّنيا أن يتطاول لدرك جمالها، وفهم محاسن نظامها، الجهّال والشياطين المتمرّدون من الجنّ والإنس، لأنّهم غافلون عن آياتنا، معرضون عن التفكّر في عظمتها، فالعيون مفتحة، ولكن لا تبصر الجمال ولا تفكّر فيه حتّى تعبّر بما فيه.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٨ ـ (لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كلّ جانب)

في «الملإ الأعلى» أقوال: ١ ـ عن السدى: الملأ: جماعة من الملآئكة السّاكنين في السّموات العلى، المطلعين على أسرار اللوح المحفوظ، المجتمعين على رأى. ٢-عن ابن عبّاس: الملأ الأعلى: أشراف الملآئكة الّذين يحفظون السمآء الدّنيا من الشياطين ويمنعونهم عن الإستماع، فيرمونهم بالشهب. ٣-عن إبن عبّاس أيضاً: الملأ الأعلى هم الكتبة من الملآئكة فالشياطين لا يسمّعون ولا يتسمّعون. وعن الكلبى: أي لكيلا يتسمّعوا إلى الكتبة من الملآئكة في السمآء. ٤-قيل: الملأ الأعلى: أهل السمآء فما فوقها، وسمّى الكلّ منهم أعلى بالإضافة إلى ملإ الأرض. قال مجاهد وقتادة: كانت الشياطين يتسمّعون ولكن لا يسمعون لانهم كانوا يمنعون بالكواكب. وعن قتادة: جماعة الملآئكة الّتي هم أعلى ممن دونهم. ٥-قيل: أي لا يسمعون إلى كلام الملإ الأعلى أي لكيلا يتسمّعوا. ٦-قيل: أي لا يسمعون إلى كلام الملآئكة والكتبة.

٧ ـ قيل: أي إن كثيراً من اولئك الجهّال والشياطين محبوسون في هذه الأرض، غآئبة أبصارهم عن الملا الأعلى، لا يفهمون رموز هذه الحياة وعجآئبها، ولا ترقى نفوسهم إلى التطلع إلى تلك العوالم العلياء والتأمل في إدراك أسرارها والبحث في سرّ عظمتها، وقد قذفتهم شهواتهم وطردتهم من كلّ جانب، فهم تائهون في سكراتهم، تتخطفهم الأهواء والمطامع والعداوات والإحن فلا يبصرون ذلك الجمال الّذي يشرق للحكمآء ويبهر أنظار العلماء، ويتجلّى للنفوس الصافية ويسحرها بعظمته، وهم ما زالوا يد أبون على معرفة هذا السّرّ حتّى ذاقوا حلاوته، فخرّوا ركعاً

سجداً مذهولين من ذلك الجمال والجلال.

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر الإطلاق، ومن الملإ الأعلى، الملآئكة على طبقاتهم...

٩ ـ (دحوراً ولهم عذاب واصب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي يرجعون مدحورين مطرودين مقهورين، لم يحصلوا على شيء ولهم عذاب خالص تام ومنه قوله تعالى: «وله الدّين واصباً» النحل: ٥٢) أي تاماً خالصاً. ٢ـقيل: أي يدفعون دفعاً بعنف وطرداً شديداً. وإنّما جاز أن يريدوا استراق السمع مع علمهم بأنّهم لا يصلون، وانّهم يحرقون بالشهب، لأنّهم تارة يسلمون إذا لم يكن من الملآئكة هناك شيء لا يجوز أن يقفوا عليه وتارة يهلكون كراكب البحر في وقت يطمع في السلامة. ٣ـعن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة وإبن زيد وعكرمة: أي إن لهم مع ذلك القذف الشديد والطرد العنيف أيضاً عذاباً دائماً ثابتاً شديداً يوم القيامة وهو عذاب الآخرة، فهم مرجومون بالشهب في الدّنيا، ولهم في الآخرة نوع من العذاب غير منقطع. ٤ـقيل: أي لهم في الآخرة عذاب واجب لازم. ٥ـعن السّدي وأبي صالح والكلبي: أي عذاب موجع أي الّذي يصل وجعه إلى القلب، مأخوذ من الوصب وهو المرض. ٦ـقيل: أي لاولئك الجهّال والشياطين عذاب دائم لتقصيرهم عن البحث في سرّ عظمة هذا الكون، والوصول بذلك إلى عظمة خالقه وبديع قدرته.

أقول: ولكلّ وجه والمعاني متقارب.

١٠ ـ (إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي لا يسمع إلى الملإ الأعلى إلّا الشيطان الّذي سمع الكلمة وإختلس من أخبار الملإ الأعلى إختلاسة، فمتى فعل أحدهم ذلك أتبعه ولحقه شهاب مضيئ متوقد حين يُرمىٰ به، مضيئ في الغاية كأنّه يثقب الجوّ بضوئه يرجم به الشّياطين إذا صعدوا لا ستراق السمع، فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم. ٢ـ قيل: الشهاب شعلة مضيئة من النّار غاية الإضآئة تنفصل من النجوم كما ينفصل السهم من القوس، فكون النجوم رجوماً من جهة كونها سبباً لرمى الشهب لا

أن نفس النجوم تصير شهباً لوضوح أنّ النّجوم لا تنقص بالشّهب. ٣-قيل: إنّ الشهب توجد بتصاعد الأجزآء الأرضية مع الأبخرة فليست من النّجوم...

٤- قيل: إنّها أجزآء نارية تدور حول الأرض بفاصلة بعيدة تحرق كلّ شي ء إذا وصلت إليها، فليست من النجوم ولا من الأجزآء الأرضية كما في قوله تعالى: «وأنا لمسنا السمآء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً» الجن:٨) وإنّ جوّ الأرض مملؤ من تلك الشهب ومن ذوات الأذناب لا نراها إلّا قليلاً منها وهذه الشهب الّتي تحترق أرضنا، وتجرى حولها ليلاً ونهاراً وهي الّتي تحرق الشياطين وتمنعها من الصعود إلى السمآء ٥-قيل: الشهاب كوكب يثقب الجوّ بضوئه. ٦-قيل: إن الشهب قطعات صغيرة تنفصل من نفس الكواكب السماوية. ٧-عن قتادة وإبن زيد والحسن: أي من نار مضيئ متوقد وثقوبه ضوئه.

٨- عن الحسن أيضاً والسدى ومجاهد والضحاك: أي شهاب مضيئ يحرقه حين يرمى به فاذا قذفوا احترقوا. ٩-عن إبن عبّاس: أي إنّ الشياطين لا يقتلون بشهاب ولا يموتون به ولكنّها تحرقهم من غير قتل وتخدج من غير موت، فتصيبهم آفة فلا يعودون، فهم يحسّون بذلك فلا يرجعون، ولهذا لا يمنع غيرهم من ذلك. وقال: إذا رمى الشهاب لم يخط مَن رُمِىَ به، فسمّى الشهاب ثاقباً لأنه لا يخطئ هدفه ولا غرضه.

١٠- عن إبن زيد وزيدبن أسلم: الثاقب: المستوقد. ١١-قيل: أي شهاب ماضٍ يخبل مسترق السمع. قال قتادة: الشهب كالعمود من نار وثاقب مضيئ كأنه يثقب بضوئه ومنه قولهم: حسب ثاقب أي مضي شريف. قال أبو الأسود:

أذاع به في النّاس حتّى كأنّه ... بعلياء نار أوقدت بثقوب

أي بحيث يضيئ ويعلو.

١٢- قيل: ثاقب أي ساطع قضى على مَن يسترق السمع. ١٣-قيل: يصيبهم مرّة ويسلمون مرّة فصاروا في ذلك كراكبى السفينة للتجارة. ١٤- عن سعيدبن جبير أي إلّا مَن استرق السمع مِن أصوات الملآئكة فأتبعه شهاب أي كواكب منيرة.

١٥ ـ قيل: أي يثقب الشيطان حتّى يخرج من الجانب الآخر. ١٦ـقيل: الكواكب الراجمة هي الّتي يراها النّاس تنقضّ. ١٧ـقيل: الشهاب ليس كواكب جارية في السمآء لأن تلك لاترى حركتها، وهذه الراجمة ترى حركتها لأنّها قريبة منّا. ١٨ـقيل: الشهاب الثاقب: كواكب النّار تتبعهم حتّى تسقطهم في البحر. ١٩ـقيل: ليست الشهب الّتي يرجم الناس بها من الكواكب الثوابت يدلّ على ذلك رؤية حركاتها، والثابتة تجرى ولا ترى حركاتها لبعدها عنّا.

٢٠ ـ قيل: أي إلّا مَن لا حت له بارقة من ذلك الجمال، وعنّت اه سانحة منه، فتخطفت بصيرته كالشهاب الثاقب، فحنّ إلى مثلها، وصبت نفسه إلى اختها، وهام بذلك الملكوت العظيم باحثاً عن سرّ عظمته ومعرفة كنه جماله وهم مَن اصطفاهم الله من عباده وآتاهم الحكمة من لدنه، وأيّدهم بروح من عنده، وهم أنبياؤه وأولياؤه الّذين أنعم عليهم من الصّدّيقين والشهدآء والصالحين.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالرواية الآتية وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١١ ـ (فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مَنْ خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب)

في قوله تعالى: «أهم اشد خلقاً» **أقوال:** ١ـقيل: أي أهم أقوى خلقة وأمتن بنية. ٢ـقيل: أي أهم أصعب خلقاً وأشق ايجاداً. ٣ـقيل: أي أحكم صنعاً. والشدّة قوّة الفتل وهي بخلاف القدرة والقوّة، وكلّ شدة قوّة، وليس كلّ قوّة شدة، وأشدّ خلقاً ماكان فيه قوة يمنع بها فتله إلى المراد به.

أقول: والثاني هوالأنسب بظاهر السياق فتأمل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «أم مَن خلقنا» **أقوال:** ١ـ قيل: أي أم من خلقنا من الامم الماضية والقرون الخالية، فإنّه تعالى قد أهلك الامم الماضية الّذين هم أشد خلقاً منهم لكفرهم، ولهم مثل ذلك إن أقاموا على الكفر. كقوله تعالى: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً» ق: ٣٦) ٢ـمن مجاهد وقتادة والضحاك: أي أم مَن خلقنا من المصنوعات العجيبة والمخلوقات الغريبة من الجنّ والملآئكة والأرواح العالية، ومن السموات والأرض وما بينهما غير النّاس من الحيوان والنبات والجماد على

أصنافها وأنواعها وأقسامها وأشكالها وهيئاتها، ومن المشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين... ٣-عن سعيد بن جبير: أي أم مَن خلقنا من الملآئكة المشار إليهم في الآيات السابقة وهم الصافون وحفظة الوحي ورماة الشهب...

أقول: والثاني هوالأنسب بظاهر الاطلاق، ومن المصاديق القول الثالث.

وفي قوله تعالى: «من طين لازب» أقوال: ١-عن إبن عبّاس: أي من طين لاصق حرّجيّد، ووصفه باللزوب لأنّه تراب مخلوط بالمآء، وفيه بيان عناصر أربعة: من تراب ومآء ونار وهوآء حيث إنّ التراب إذا خلط بمآء صار طيناً لازباً بالهواء والحرارة. فاللازب: الملتصق بعضه ببعض. وقد أنشدوا للإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام:

تعلّم فانّ الله زادك بسطة وأخلاق خير كلّها لك لازب

وقال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ولا يحسبون الشّرّ ضربة لازب

٢ ـ قيل: اللازب: الطين الحرّ الجيّد اللزج وهو الفارق بينهم وبين ماسواهم مما في الكون فانّهم خلقوا من الطين هو من الأرض التّي خلقها الله تعالى فهم مصنوع من أحد مصنوعاته... وأضاف الخلق من الطين إليهم، والمخلوق منه هو آدم أبوهم إذ كانوا هم نسله وذريّته فكأنّهم خُلِقُوا من طين لازب فإنّ أصلهم آدم عليه السّلام. ٣-قيل: أي خلق إبن آدم من تراب ومآء ونار و هوآء وهذا كله إذا خلط صار طيناً لازباً يلزم ويلاصق ماجاوره. ٤-عن قتادة وابن زيد: اللازب هو الّذي يلزق باليد. وعن ابن مسعود: اللازب: الملتزق بعضه ببعض بحيث يلزمه ماجاوره. ٥-عن مجاهد: اللازب هو اللازق. قيل: إنّ الفرق بين اللاصق واللازق أنّ اللاصق هو الّذي قد لصق بعضه ببعض، واللازق هو الّذي يلتزق بما أصابه.

٦ ـ قيل: أي من طين علك، خلق آدم منه، ونسب ولده إليه. ٧ ـ قيل: أي طين ملتصق متحجّر. وقيل: هو الزبد الّذي يتكوّن على شواطئ البحار والأنهار. ٨-عن عكرمة: اللازب: اللازج. ٩-عن سعيد بن جبير: أي جيّد حرّ يلصق باليد. ١٠-عن

مجاهد أيضاً: اللازب أي اللازم. والعرب تقول: طين لازب ولازم. ١١-عن السدى والكلبى: اللازب: الخالص. ١٢-عن مجاهد أيضاً والضّحاك: اللاّزب: المنتن. ١٣-عن ابن عبّاس أيضاً: الآزب والحمأو الطّين واحد كانَ أوّله تراباً ثمّ صارحمأ منتناً، ثمّ صارطيناً لازباً، فخلق الله منه آدم. وقال ابن عباس: اللاّزب: اللّزج الطيّب.

أقول: والأول هو المؤيّد بالرّوايات الآتية، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٢ - (بل عجبت ويسخرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - قيل: أي أنت تعجب من كفرهم بالبعث وهم يعجبون من إيمانك به، بل هم يسخرون منك ومنه إذا دعوتهم إليه. ٢-قيل: أي بل عجبت يا محمّد من تكذيبهم إيّاك ومن إنكارهم البعث مع دعوتك إياهم إلى كلمة الحقّ، وهم يسخرون ويهزؤن من أمر البعث، ومن تعجبك منهم أو من دعائك إياهم إلى الحقّ وإلى النظر في دلائله وآياته... ٣-قيل: أي بل عجبت أنت يا محمّد ويسخرون من هذا القرآن وكفرهم به مع كمال إعجازه. ٤-عن قتادة وابن جريج: أي عجب محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من هذا القرآن حين أعطاه وسخر منه أهل الضلالة. فالمعنى: عجبت من كتاب الله تعالى ووحيه إليك، وهم يسخرون بما جئت به إذا تلوته عليهم.

٥-قيل: أي بل عجبت يا محمّد من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وهم يسخرون من تعجّبك وقيل: أي وهم يسخرون ممّن يصف الله تعالى بالقدرة على البعث. ٦-قيل: أي بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم البعث تارة والجزاء تارة أُخرى، وهم يسخرون من تعجّبك وتقريرك للبعث أوممّن يصفنى بالقدرة.

٧ - قيل أي بل عجبت يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ هؤلاء المشركين قد دُعوا إلى أن يجلسوا مجلس الفتياوهم ليسوا أهلاً، ولكنّهم أبوا إلّا أن يكونوا في ملعب الصبيان يصخبون ويسخرون.

٨ - قيل: أي انّك وإن تستفتهم ولكنّهم معاندون لا ينفعهم الإستفتآء، ولا يتفكّرون في تلك الدلائل على كمال القدرة الإلهيّة وعلمه، وتدبيره وحكمته، بل

مثلك من يعجب منها، وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومـمّا تُريهم من الآيات... وذلك أن قلوبهم غلف فلا تنظر فيما حولها من البراهين والآيات الدّالة على القدرة على البعث، ولا تقدر أن تنفذ إلى الإيقان به، فحالهم كلّها عجب، ويحقّ لك أن تكثر التعجّب منها، فلقد بلغ من عنادهم ولجاجهم وإصرارهم على إنكارهم أن يسخروا من مقالك، ومن إهتمامك باقناعهم في وجوب تسليمهم بالبعث والإعتقاد بحصوله.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمل جيّداً ولا تغفل.

١٣ ـ (وإذا ذكروا لا يذكرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن سعيد بن جبير: أي إذا ذُكِّرَ لهم ما حلّ بالمكذّبين من قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبّروا فيه. فلا شيء لديهم إلّا الإسترسال مع الغرور والإصرار على الجهل والغفلة، فلا جدوى من وعظهم وإشاردهم. ٢ـ قيل: أي وإذا وُعظوا بشيء من المواعظ لا يتعظون به لقسوة قلوبهم، فلا تنفعهم العظة ولا تفيدهم العبر ولا تجديهم الذكرىٰ إذران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. ٣ـ قيل: أي إذا ذكر لهم مايدلّ على صحّة الحشر والنشر ماينتفعون به لبلادتهم وفكرتهم وكدورة باطنهم، ولا تباعهم أهوآءهم... ٤ـ قيل: أي وإذا دُعوا إلى الحقّ فلا يجيبونها ويعرضون عن الحقّ وعن الذكر الّذي هو القرآن الكريم كما قال تعالى: «والتاليات ذكراً».

٥ ـ قيل: أي وإذا ذُكِّروا بآيات الله الدالة على التوحيد ودين الحقّ لا يذكرون ولا يتنبّهون. ٦ـ قيل: أي وإذا ذكروا بآيات الله وحججه وخوّفوا بها ليعتبروا ويتفكّروا لا يتفكّرون ولا ينتفعون بها ولا يتعظون لأنّهم لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا. ٧ـ قيل: أي إذا جآءهم مَن يذكرهم بما فيه من ضلال لا يتذكرون ولا يقبلون نصحاً. ٨ـ قيل: أي ودأبهم أنّهم إذا خوّفوا بالله تعالى لا يخافونه. ٩ـ عن قتادة: أي وإذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون به.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

١٤ - (وإذا رأوا آية يستسخرون)

في الآية الكريمة اقوال: ١ - قيل: أي وإذا رأوا بيّنة من البيّنات ودليلاً من دلائل التّوحيد يتخذونها سخرية، فلا جدوى من ايراد البيّنات والدلائل لهدايتهم وارشادهم إلى التّوحيد. ٢-عن قتادة: أي وإذا رأوا معجزة يستسخرون منها. وقيل: أي واذا رأوا معجزة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات كالقرآن الكريم نفسه يستسخرون ويقولون: انّها سحر مستمرّ فيبالغون في السخريّة، فلا تفيد معهم البراهين الضروية ولا المقدّمات الوعظية ولا المعجزات الدالّة على صدق إخبارك بالبعث. وقيل: أي يستدعون السخرى من غيرهم بأن يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها. وعن مجاهد: أي يستهزؤن ويشتدّون في السخريّة. وقيل: أي يظنون أن تلك الآية سخريّة.

٣ - قيل: أي إذا رأوا حجّة من حجج الله تعالى عليهم ورأوا دلالة من الدلائل على نبوّتك يستهزؤن بها ويسخرون منها. ٤-قيل: أي ومن دأبهم أنّهم إذا رأوا آية من آيات الله الكونيّة أو سمعوا آية من آياته القرآنيّة يبالغون في السخريّة، ويستكثرون منها ويجتمعون جماعات على مجالسها... ٥-قيل: أي انّهم إذا رأوا آية من تلك الآيات الكونيّة الّتي عرضتها الآيات السابقة من قوله تعالى: «ربّ السموات والارض - إنّا خلقناهم من طين لازب»: ٥-١١) يرى فيها ذو والأبصار دلائل ناطقة بقدر الله جلّ وعلا وبسط سلطانه وناطقة بعلمه وحكمته، وتدبيره وعظمته... ولكنّ المشركين يتّخذون منها مادة للهزء والسّخرية!

أقول: ولكلّ وجه ولكنّ الأوجه الأنسب بظاهر إطلاق السياق هو التّعميم فتأمل جيّداً.

١٨ - (قل نعم وأنتم داخرون)

في قوله تعالى: «داخرون» أقوال: ١ - عن قتادة والسّدى والحسن: أي صاغرون أذلّاء وذلك انّهم إذا رأوا وقوع ما انكروه فلا محالة يذلّون.

٢ - قيل: أي صاغرون. ٣ - قيل أي صاغرون أشد الصغار مهانون أمام القدرة البالغة الإلهية. ٤-قيل: أي ستقوم القيامة وإن كرهتم، فهذا أمر واقع على رغمكم، وإن أنكرتموه اليوم بزعمكم. ٥-قيل: أي مقهورون لا تملكون من أمركم شيئاً.

٦-قيل: أي مطروحون في النّار.

أقول: والثالث هو الأنسب بمعناه اللغوى مِن غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر.

١٩ - (فإنّماهي زجرة واحدة فاذاهم ينظرون)

في قوله تعالى: «زجرة واحدة» أقوال: ١-قيل: أي دعوة واحدة. ٢-عن الحسن والسدى: أي صيحة واحدة من إسرافيل وهي النفخة الثانية، نفخة البعث، الصّيحة المفزعة، وقد سميّت الصيحة زجرة لأنّ مقصودها الزجر أي يزجرها كزجر الإبل والخيل عند السوق، فكأنّهم زجروا عن الحال الّتي هم فيها إلى الحشر والحساب والجزآء. ٣-قيل: أي صرخة واحدة وهي صوت البعث الّذي يفزع عنده أهل الكفر والشرك الّذين كانوا ينكرون البعث.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

وفي قوله تعالى: «فاذاهم ينظرون» أقوال: ١-قيل: أي ينظرون إلى البعث الّذي كذّبوا به وأنكروه. ٢-قيل: أي فاذاهم أحيآء ينتظرون ماينزل بهم من عذاب الله تعالى ومايفعل ويحلّ بهم من العقاب. ٣-قيل: أي فاذاهم قيام من مراقدهم، أحيآء بصرآء ينظرون إلى سوء أعمالهم. ٤-قيل: أي فاذاهم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ماكانوا يوعدون به من قيام الساعة ومايعاينونه. ٥-قيل: أي انّهم ينظرون أمر الله فيهم. ٦-قيل: أي ينظر بعضهم إلى بعض. ٧-قيل: أي ينظرون الّذي كانوا به يكذبون أي يشاهدون ذلك ويرونه. ٨-قيل: كناية عن يقظتهم وتنبّههم لما حولهم حين يُدعون من قبورهم. ٩-قيل: أي فاذاًهم أحيآء ينظرون إلى ما حولهم نظرة الرعب.

أقول: ولكلّ وجه أيضاً من غير تناف بينها مع تقارب بعضها معنًى.

٢٠ - (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدّين)

في «يوم الدّين» أقوال: ١ - عن إبن عبّاس والسّدي: أي يوم الحساب. ٢-عن قتادة: أي يوم الجزآء على الأعمال ... والمعنى: يوم يدين الله تعالى فيه العباد بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً. ٣-قيل: أي هذا يوم الفصل ويوم القضآء بينكم وبين المؤمنين، وهذا يوم الفصل بين الخلآئق...

أقول: والثاني هو الأنسب بمعناه اللغوى، وإن كان لايخلو الآخران من وجه.

وفي «يوم الدّين» أيضاً قولان: أحدهما ـ إنّه من كلام المنكرين ثانيهما ـ إنّه من كلام الملآئكة أي تقول لهم الملآئكة: هذا يوم الحساب والجزآء

اقول: والأول هو الأنسب بظاهر السّياق.

٢١ ـ (هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: هذا كلام بعض الكفار والمجرمين والفجار والمشركين لبعض.

٢ ـ قيل: هذا كلام الملآئكة للمكذّبين. ٣ـعن قتادة: هذا كلام الله تعالى يقول للمشركين ولمنكرى البعث. ٤ـقيل: هذا خبر يطلع على المكذّبين بالبعث، وهم ينادون ولا يدرون من أين هذا الندآء.

أقول: والثالث هو المؤيّد بالآية التالية، وبغيرها من الآيات الكريمة...

٢٢ ـ (احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون)

في الآمر بالحشر أقوال: ١ ـ قيل: هذا قول الله تعالى للمكذّبين بالبعث يوم القيامة. ٢ـقيل: هذا ما يقوله تعالى للملآئكة المتولّين لسوق المكذّبين إلى نار جهنم فيقول تعالى لهم: «إحشروا الّذين ظلموا...» ٣ـعن إبن عبّاس: هذا من كلام الملآئكة بعضهم لبعض بأن تقول الملآئكة للزبانية: احشروا الّذين ظلموا... ٤ـقيل: أي يقال للملآئكة: احشروا...

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق وعليه أكثر المفسرين.

في «الّذين ظلموا» أقوال: ١ ـ قيل: أي ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي... ٢ـقيل: أي ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمرالله تعالى وتكذيبهم الرسالة وإنكارهم البعث.٣ـقيل: أي ظلموا الناس. ٤ـقيل: أي الّذين ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر والفسق يعنى رؤسائهم. ٥ـقيل: أي كلّ ظالم بشركٍ أو غيره سواء أكانوا رؤسآء أم مرؤسين...

أقول: والخامس هو المؤيد بالآيات التالية فتأمل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «وأزواجهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير وعكرمة

والسدى ومجاهد: أي وأشباههم في الكفر، ونظر آؤهم في الطغيان، وأمثالهم في العصيان بأن يحشر أصحاب الزنامع أصحاب الزنا، ويحشر أصحاب الخمر مع أهلها، ويحشر أصحاب الربا مع أصحاب الربا، وتحشر القتلة مع القتلة، فالكفّار مع الكفّار أزواج في النّار. ٢-عن قتادة وإبن العالية: أي وأشياعهم من المشركين مع المشركين.٣-عن الحسن: أي وأزواجهم المشركات كأنّه قال: احشروا المشركين والمشركات. ٤ ـ قيل: أي وأتباعهم في الكفر ونظر آؤهم في التكذيب، وضرباؤهم في إنكار البعث.

فالمشرك غداً يحشر مع المشرك ومعبوده في مكان واحد من أمكنة جهنّم، وإنّ كلّ شكل مع شكله قرين وضجيع، بحيث يكونون في مباءة واحدة كما يرى في هذا العالم المادّي إنّ المواد الأرضية مجذوبة إلى الأرض، والهوآئية إلى الهوآء، والمآئية إلى المآء، وأصحاب الحرف المتفقة يتفقون ويتفاهمون، وأصحاب الأخلاق الرذيلة يتجاورون وذو والنفوس الشريفة يأتلفون، وتألف الغربان سربها، والحمام إلفها، والزنابير أخواتها، والنمل طائفتها، وبالجملة إنّ الإنسان يحشر مع مَن أحبّه... وفي الحديث: «أنت مع مَن أحببت».

٥ ـ عن الضحاك ومقاتل: أي قرناؤهم من الشياطين، فيحشر كلّ كافر مع شيطانه في سلسلة.

٦ ـ عن إبن زيد: أي وأزواجهم وأمثالهم في الأعمال لقوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة» الواقعة:٧) فأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج والسابقون السابقون زوج... ٧-عن مجاهد والحسن أي ونسآءهم اللاتي على ملتهم أي المرافقات على الكفر.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر سياق الآيات التالية، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «وما كانوا يعبدون» أقوال: ١-عن قتادة: أي من الأصنام ٢-قيل: أي ومن الشياطين وإبليس. ٣-قيل: أي مع ما كانوايعبدون من الأوثان

والطواغيت من الفراعنة والنماردة على اختلاف في الأشكال والأنواع في الأزمان...

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر الاطلاق والسّياق.

٢٣ ـ (من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

في قوله تعالى: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم» أقوال: ١ـعن إبن عبّاس: أي سوقوهم إلى وسط النّار. ٢ـقيل: أي أرشد وهم ودُلّوهم إلى طريق النّار. يقال: هديته إلى الطريق وهديته الطريق أي دللته عليه. ٣ـقيل: أي ادعوهم إلى طريق الجحيم. ٤ـقيل: أي قدّموهم. ٥ـعن إبن عبّاس أيضاً: أي وجّهوهم إلى طريق الجحيم. قيل الجحيم: الباب الرابع من أبواب النار.

أقول: والثالث هو المرويّ.

٢٤ ـ (وقفوهم إنّهم مسئولون)

في الآية الكريمة اقوال: ١ـعن أبي سعيد الخدري وسعيدبن جبير وإبن عبّاس وأبي إسحق: أي احبسوهم قبل دخول الجحيم إنّهم مسئولون عن ولاية عليّ بن ابيطالب عليه السّلام ٢ـقيل: إنّهم مسئولون عمّادُعوا إلى البدع. ٣ـعن الضحاك وعطية: انّهم مسئولون عن خطاياهم وأعمالهم... ٤ـعن إن عبّاس أيضاً: إنّهم مسئولون عن قول لا إله إلّا الله.

٥ ـ عن إبن عبّاس أيضاً: احبسوهم إنّهم محاسبون بما كانوا يظلمون الله جلّ وعلا بالشرك والطغيان، وبمخالفة أوامره وإرتكاب نواهيه، ويظلمون الناس بصدّهم عن سبيل الله وايقاعهم في الإنحطاط، ويظلمون أنفسهم بالخزى والهوان في الدّنيا، والعذاب والنّار في الآخرة.

٦ ـ عن عثمان بن زآئدة: انّهم مسئولون عن جلسآئهم... وعن إتباعهم رؤسآئهم بلا دليل ولا برهان، وعن تقليدهم كبرآئهم بدون حجة ولا بيّنة... ٧ـقيل: أي إحبسوهم عند الصراط إنّهم مسئولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم... ٨ـقيل: أي إنّهم مسئولون عن معتقداتهم: اليهود عن إتّخاذهم عزير ابن الله والنّصارى عن التثليث، وعبدة

الأوثان عن آلهتهم، والمشركون عمّا كانوا يعبدون من دون الله ويتبعونه اتباع العبيد لمواليهم... ٩-قيل: كلّنا مسئولون حتّى عن النظرة والكلمة وسماعها والقصد بها لقوله تعالى: «إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولاً» الاسراء: ٣٦)

١٠ - عن الكلبى والقرظى: أي احبسوهم في الموقف قبل دخول النّار انّهم مسئولون عن العقائد والأعمال والأقوال والأفعال، وعن كلّ ما كلّفهم الله تعالى في الحياة الدّنيا من عمل الطاعات وإجتناب المعاصي، وعن دين الحقّ وعن كلّ حقّ أعرضوا عنه في الدّنيا من إعتقاد حقّ أو عمل صالح إستكباراً على الحقّ تظاهراً بالتّناصر.

١١ - عن إبن عبّاس: أي انّهم مسئولون عن ظلم الخلق ١٢-قيل: سؤالهم أن يقال لهم: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا» الزمر: ٧١) إقامة للحجّة عليهم قبل دخول النّار. ١٣-قيل: إنّ السّؤال مذكور في قوله تعالى: «وما لكم لا تناصرون».

أقول: والروايات في الأول مستفيضة، من غير تناف بينه وبين غيره من الأقوال... فأوّل سؤال يسئل عنه يوم القيامة عند الصراط هو الولاية لأنّ كمال الدّين الإسلامي وتمام النّعمة على المسلمين وتبليغ رسالة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم كانت متوقفة على ولاية مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته إلى يوم لقآئه.

٢٦ - (بل هم اليوم مستسلمون)

في قوله تعالى: «مستسلمون» أقوال: ١ - عن قتادة: أي مستسلمون في عذاب الله عزّوجلّ ليس لهم مفرّ. ٢-عن إبن عبّاس: أي مسخّرون خاضعون ذليلون. ٣-عن الحسن: أي منقادون لعجزهم عن الحيلة والاستسلام: هو طلب السلامة ويلزمه الانقياد عرفاً يقال: استسلم فلان إذا القى بيده غير منازع فيما يراد منه. ٤-عن الأخفش: أي ملقون بأيديهم.

٥ - قيل: أي متسالمون، يسلم بعضهم بعضاً ويخذله. ٦-قيل: أي مسلّمون لا

يستكبرون كما كانوا يستكبرون في الحياة الدّنيا. ٧-قيل: أي مسترسلون، مستحدثون. ٨-قيل: أي مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعاً ولا منه امتناعاً. ٩-قيل: أي يستسلم بعضهم بعضاً ويخذله، وحقيقته: يطلب كلّ منهم سلامة نفسه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٢٧ - (وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١-قيل: أي كلّ واحد من المشركين يقبل على صاحبه الّذي أغواه، فيقول له على وجه التأنيب والتعنيف: لِمَ غرّرتنى؟ ويقول ذلك له: لِمَ قبلتَ منّى؟ ٢-قيل: أي ويقبل الأتباع الضّالّون على المبتوعين المضلّين، ويقبل المتبوعون المضلّون على الأتباع الضالين، ويقبل المرؤوسون على الرؤسآء وبالعكس يتلاومون ويتعاقبون ويتخاصمون ويتعاقبون. فالبعض الأول تارة هم المعترضون وتارة أُخرى هم المتعرض عليهم، وكذلك البعض الثاني. ٣-عن قتادة: أي وأقبل بعض الإنس الضال على بعض الجنّ المضلّ يتسائلون. ٤-قيل: أي يسئل بعضهم بعضاً للتوبيخ والعتاب والتقريع. ٥-قيل: أي يسئل بعض الآلهة عن بعض الآخرين من الآلهة في أمر عبدتهم. ٦-قيل: أي يسئل بعض العبدة عن أمر آلهتهم.

أقول: والأول هو الأنسب بظاهر السياق.

٢٨ - (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن مجاهد وابن زيد والزجاج: هذا قول الكفّار والمشركين والفجّار والمجرمين والفسّاق والمستكبرين للشياطين أي انكم تأتوننا من قبل الحقّ أنّه معكم، فاتخذتم الحقّ وسيلة على اطفآء نور الحقّ، ونشر الباطل. ٢-عن قتاده والحسن: هذا قول الإنس للجنّ المضلّ: أي انكم أيّها الجنّ كنتم تأتوننا عن طريق الخير والسعادة، فتقطعون الطريق وتحولون بيننا وبين الخير والسعادة وتصدّوننا عنهما وتضلّوننا! فاليمين إستعارة عن الخيرات والسعادات... وذلك ان اليمين والجانب الأيمن أفضل وأشرف من الشمال والأيسر شرعاً وعرفاً، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يحبّ التيامن في كلّ شيء ولهذا امرت الشريعة

بمباشرة أفاضل الامور باليمين، وأراذ لها بالشمال، وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيّئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيئ بشماله! وإن أكثر الخيرات تجرى من اليمين. والمعنى: انكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا أن مقصودكم من الدعوة إلى تلك العقائد نصرة الحقّ وتقوية الصّدق.

٣ ـ قيل: أي إنّكم كنتم تأتوننا عن أقوى الوجوه وأيمنه. ٤ـعن السدى: هذا قول الأتباع الضالّين الغاوين للمتبوعين المضلّين المغوين أي إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدّين وباسمه، فتهوّنون علينا أمر الشريعة، وتنفّروننا عنها وتصدّوننا عن الحقّ والهدى، وتزيّنون لنا الباطل والضلالة، وتقولون لنا: إنّ الدّين ما تضلوننا به. فاليمين هنا كناية عن الدّين إذ من جهة الدّين يكون الخير والشر كله. ٥ـعن الجبائي: أي انكم كنتم تأتوننا عن اليمين الّتي نحبّها، ونتفاءل بها لتغرّونا بذلك من جهة النصح والإرشاد. فالايتان عن اليمين كناية عن جهة النصح والإرشاد، حيث كانت جهة اليمين جهة اليُمن والإستبشار ولكنّه نصح إلى ضلال وهوان، وإرشاد إلى هلاك ودمار... فجعلت اليمين للتيّمن بها ولذلك يتمّنوا بالسانح وتطيّروا بالبارح، حيث إنّ العرب تتفاءل بما جآء عن اليمين وتسمّيه السانح.

٦ ـ قيل: أي إنّكم حبّبتم إلينا الكفر بما نراه خيراً وهو في واقعه شرّ. ٧ـقيل: أي انّكم كنتم تأتوننا مجيئ مَن إذا حلف لنا صدّقناه. فاليمين هنا بمعنى الحلف، وذلك انّ الكفّار كانوا يحلفون لهؤلآء الضعفآء: أنّ مايدعونهم إليه هو الحقّ، فونموا بأيمانهم وتمسّكوا بعهودهم. فالمعنى: إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن الجهة الّتي كنانأ منكم لحلفكم أنّكم على الحقّ والهدى، فصدّقناكم واتبعناكم فيحولون بالحلف بينهم وبين الإيمان بالله تعالى والإستجابة لدعوته.

ابن عبّاس والفرّآء: اليمين هنا بمعنى القوّة. فالمعنى: تمنعوننا بقوّة وغلبة وقهر قال الله تعالى: «فراغ عليهم ضرباً باليمين» الصافات:٩٣) أي بالقوّة، وقوّة الرّجل في يمينه، فبها يقع البطش. والمعنى: انكم كنتم تحملوننا على الكفر، وتقهروننا على

الضلال إذ كنتم تأتوننا عن القهر والغلبة حتّى تحملونا على الكفر والضلال. ٩ـقيل: إنّ اليمين هنا كناية عن الوسوسة والتزيين من جهة يمينهم لأن هذه الجهة هي الميمونة والمأمونة من فلان يمين فلان إذا كان عنده بمنزلة رفيعة، فكأنّهم قالوا: إنّكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا أننا عندكم بمحل رفيع، فوثقنا بكم وقبلنا عنكم. ١٠ـقيل: «تاتوتنا عن اليمين» يعنى فلاناً وفلاناً. أي أبوبكر وعمربن الخطاب. ١١ـقيل: أي من قبل الدّين لتلبيس الحقّ عليه، ومن أتاه الشيطان: عن اليسار فمن جهة الشهوات، فالشيطان يؤتي الإنسان تارة عن اليمين أي من قبل الدّين فيلتبس عليه الحقّ، واخرى عن الشمال أي من ناحية الشهوات وثالثة من خلفه فيخوّفه الفقر ورابعة من بين أيديهم فمن قبل تكذيب الدّين والقيامة.

أقول: ولكلٍّ وجه فإنّ للضلال والإضلال طرقاً ووجوهاً مختلفة فتأمّل جيّداً.

٣١ ـ(فحقّ علينا قول ربّنا إنّا لذآئقون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي وجب علينا قول ربّنا بأنّا لا نؤمن ونموت على الكفر مادمنا على العناد واللجاج والإستكبار. ٢ـقيل أي وجب علينا العذاب الّذي نستحقه على الإغوآء والكفر والضلالة. ٣ـقيل: أي فقد حقّ علينا حكم الله تعالى ووعيده في الحياة الدّنيا بالخزى والهوان، وفي الآخرة بالعذاب والنّار بسوء إختيارنا.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق.

٣٢ ـ(فأغويناكم إنّا كنّا غاوين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـقيل: أي زيّنّا لكم ما كنتم عليه من الكفر والضلالة إنا كنّا غاوين بالوسوسة والإستدعآء. ٢ـقيل: أي فدعوناكم إلى الغيّ لأنا كنّا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أنتم أمثالنا. ٣ـقيل: أي كنّا داخلين في الغيّ والضلالة. ٤ـقيل: أي فخيّبناكم طرق الرّشاد، فغوينا نحن أيضاً وخيبنا إنا كنّا خائبين. الإغوآء: الدعآء إلى الغيّ، والغيّ نقيض الرشد، وأصله الخيبة قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد النّاس أمره　　　ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائماً

أقول: والمعانى متقارب والمآل واحد.

٣٣ ـ (إنّا كذلك نفعل بالمجرمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس: أي إنّا هكذا نعذّب الذين جعلوا لله سبحانه شركآء. ٢ـقيل: أي إنّا مثل ما فعلنا بهؤلآء نفعل بجميع المجرمين. ٣ـقيل: أي كما نفعل بهؤلآء نفعل بالمجرمين غير هؤلاء بأن نعذّبهم التابع والمتبوع منهم جميعاً.

٤ ـ قيل: أي مثل ذلك الفعل نفعل بالمشركين كلّهم.

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسّرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر.

٣٦ ـ (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

في الآية الكريمة أقوال: أحدهــا ـ أنّهم كانوا يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم إليها، ويقولون: لاندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون وهو محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم يدعونا إلى خلافها. ثانيها ـ عن أبى مسلم: أى لاندع عبادة الأصنام لأجل شاعر مجنون وهم يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم. ثالثها ـ قيل: أنترك آلهتنا المتعددة لإتباع شاعر مجنون ونقول: لا إله إلّا الله.

اقول: والثّالث هو المؤيّد بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

٣٧ ـ (بل جآء بالحقّ وصدّق المرسلين)

في قوله تعالى: «بل جآء بالحقّ» أقوال: ١ـقيل: أي جآء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في كلّ ما أخبر به عن الله تعالى. ٢ـقيل: أي القرآن والتّوحيد. ٣ـقيل: أي أتى بما تقبله العقول من الدّين الحقّ والكتاب ٤ـقيل: أي ماجآء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسلون.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها وإن كان أكثر المفسرين على الرابع.

وفي قوله تعالى: «وصدّق المرسلين» أقوال: ١ ـ قيل: أي حقّق ما أتي به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحقّ بدين الإسلام. ٢ـقيل: أي صدّقهم بما أتى بمثل ما أتوابه من الدعآء إلى التّحيد. ٣ـقيل: أي صدّقهم بالنبوّة. ٤ـقيل: أي

وصدّق الجآئين بالحقّ وهو لا إله إلّا الله. ٥-قيل أي جآء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بالحقّ من عند الله تعالى وهو ما يجب العمل به وصدّق مع ذلك جميع مَن أرسله الله قبله، فهو لم يكن بدعاً بين الرّسل، بل سار على طريقهم الحقّ، واتبع نهجهم الواضح، فكيف يكون مَن هذه حاله شاعراً أو مجنوناً؟

أقول: وعلى الأخير جمهور المحققين من غير تناف بينه وبين الاقوال الأُخر.

٤٠ - (إلّا عباد الله المخلصين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - قيل: الإستثناء متّصل من الإسم الموصول: «وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون» ويكون الضّمير في «تجزون» للناس جميعاً أي وما يجزي الناس إلّا بما كان لهم من عمل إلّا عباد الله المخلصين، فإنّهم يجزون أضعاف ما عملوا، فيقبل الله منهم حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم، فضلاً منه وإحساناً لقوله تعالى: «فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا» سبأ:٣٧) وأمّا أصحاب النّار فانهم يجزون بما عملوا كيلاً بكيل ومثقالاً بمثقال. ٢-قيل: إستثناء متّصل من جملة المخاطبين في قوله تعالى: «انكم» فالخطاب للمكلّفين جميعاً، فيصحّ الإستثناء المتصل مطلقاً أي انكم تذوقون العذاب الأليم إلّا عباد الله الّذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته وكتب لهم السعاده في ام الكتاب، فإنّهم لا يذوقون العذاب لأنّهم أهل طاعة الله وأهل الإيمان به. و«المخلصين» على الفتح - بناء على قراءة أهل المدينة والكوفة - هم الّذين أخلصهم الله تعالى لطاعته ودينه وولايته.

٣ - قيل: الإستثناء منقطع ممّن يذوق العذاب أي انكم أيّها المجرمون ذائقوا العذاب لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب وإنّما ينالون الثّواب الجزيل. والمخلصين - بناءً على فتح الام -: هم الّذين أخلصوا دينهم وعبادتهم لله تعالى فلم يشركوا به شيئاً وأطاعوه في كلّ ما أمرهم به. ٤-قيل: الإستثنآء متصل من ضمير «تجزون» والمعنى: إنّكم تجزون بما تعملون لكن عباد الله المخلصين لهم رزق معلوم ورآء جزآء عملهم. وقد سماهم الله جلّ وعلا عباد الله المخلصين فأثبت لهم

عبودية نفسه والعبد هو الّذي لا يملك لنفسه شيئاً من إرادة ولا عمل، فهؤلاء لايريدون إلّا ماأراده الله ولا يعملون إلّا له، ثمّ أثبت لهم أنّهم مخلصون ـ بفتح اللاّم ـ أي إنّ الله تعالى أخلصهم لنفسه فلا يشاركه فيهم أحد فلا تعلّق لهم بشيء غيره تعالى من متاع الحياة الدّنيا ولا من نعم العقبى وليس في قلوبهم إلّا الله جلّ وعلا.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق، وإن كان غيره لا يخلو من وجه فتأمّل جيّداً.

٤١ ـ (اولئك لهم رزق معلوم)

في قوله تعالى: «رزق معلوم» أقوال: ١ـ قيل: للمخلصين في جنات النعيم رزق معدّ وحاضر دائماً يعلمه خدّامهم فيها، فيأتونهم به قبل أن يسئلوهم إياه. ٢ـقيل: أي رزق لايمكن وصفه ولا بيان قدره، معلوم عند المخلصين في الجنة كماً وكيفاً، وقيل: معلوم عند الله تعالى ولا يعلمه غيره. ٣ـقيل: أي رزق خاص متعيّن ممتاز لا يشبه رزق غيرهم، ولا يختلط بما يتمتّع به مَن دونهم وإن إشتركا في الإسم. ٤ـعن قتادة والسّدي: أي في الجنة. ٥ـعن مقاتل: أي حين يشتهونه. وقيل: إنّ الله تعالى جعل للمخلصين التّصرف في رزقهم وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كلّ وقت حسبما يشتهونه شيئاً معلوماً مقدّراً. ٦ـقيل: أي لهم رزق وافر في الجنة معلوم عند الله تعالى ٧ـقيل: أي لهم فواكه تذكر بعد.

٨ ـ قيل: أي رزق معلوم الوقت وهو بمقدار الغداة والعشي لقوله تعالى: «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً» مريم: ٦٢) ٩ـقيل: أي رزق معلوم الصفة لكونه مخصوصاً بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذّة وحسن منظر... ١٠ـقيل: أي رزق معلوم القدر على حسب إستحقاقهم. ١١ـقيل: أي أراد تعالى أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الّذي لا يعلم متى يحصل ومتى يقطع.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فانتظر.

٤٤ ـ (على سرر متقابلين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن عكرمة ومجاهد: أي لا ينظر بعضهم في قفا

بعض تواصلاً وتحاباً. ٢ـقيل: إنّ الأسرّة تدور كيف شاؤا فلايرى أحد قفا أحد. ٣ـعن إبن عبّاس: أي هم على سرر مكللة بالدرّ والياقوت والزبرجد، السرير ما بين صنعآء إلى الجابية، وما بين عدن إلى أيلة. ٤ـقيل: أي تدور بأهل المنزل الواحد، فيتلاطفون ويتآنسون ويتمتّعون بطيب الحديث، وفي ذلك لذة روحية لا يدركها إلّا ذو والنهي وأرباب الحجا الّذين جاؤا ربهم بقلب سليم. **أقول:** ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

٤٥ ـ (يطاف عليهم بكأس من معين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن قتادة والحسن: أي يطوف الخدّام على المخلصين بكأس من خمر لم تعصر، جارية في أنهار ظاهرة لأعينهم غير غائرة. والمعين هي العين الجارية، والمعين: النّهر الجاري على وجه الأرض، وأصله: معيون لآنه الظاهر للعيون أو من عين المآء. ٢ـعن الضّحاك بن مزاحم والسّدي والاخفش: كلّ كأس في القرآن فهو خمر. والكأس عند العرب كلّ إنآء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً بل هو إنآء وقدح. وقد تسمّى الخمر نفسها كأساً. والمعيد ـ فعيل ـ من المعن وهو المنقعة أو المآء الشديد الجرى، ومنه أمعن في السّير أي بالغ فيه واشتدّ.

وصف الخمر بما يوصف به المآء لأنّها تجرى في الجنة في أنهار كما يجرى المآء في أنهار الدّنيا لقوله تعالى: «وأنهار من خمر لذّة للشاربين» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ١٥)

٣ ـ قيل: أي يشربون الخمر من نهر جار ظاهر للعيون أو خارج منها. فالمعنى: يطاف عليهم بانآء فيه خمر معين أو نهر معين. ٤ـقيل: أي بكأس من خمر معين لا تنقطع ولا تفرغ من أنواع الشّراب. ٥ـقيل: إنّ المراد بكون الكأس من معين صفآء الشراب. ٦ـقيل: أي بشراب كأنّها المآء يتفجّر من عيون لا تنضب.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

٤٦ ـ (بيضآء لذّة للشّاربين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: إنّ «بيضآء» صفة للكأس بأنّ خمر الجنة بيضاء الكأس وصفرآء اللّون في نهاية الرقة مع الصفا واللطافة النورية الّتي لها. ٢ـقيل: «بيضآء» صفة للخمر أي مشرقة اللون طيبة الطعم. عن الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن. ٣ـقيل: «بيضآء» أي لم يعتصرها الرّجال بأقدامهم.

قال الزجاج: أي ذات لذة فحذف المضاف. وقيل: «لذة» مصدر جعل إسماً أي بيضآء لذيذة أي صافية في بياضها ونهاية رقتها ولطافتها وشفافتها مع النورية الّتي لهاء لذيذة للشاربين لأنّها على أحسن منظر ومخبر، بخلاف خمر الدّنيا فإنّها كريهة عند الشّرب.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين.

٤٧ ـ (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)

في قوله تعالى: «لا فيها غول» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير: أي ليس فيها صداع من شرابها ولا فيها مايؤذيهم من مكروه. وذلك أنّ العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه أوينال بداهية عظيمة: غال فلان غول. ٢ـعن ابن عبّاس أيضاً ومجاهد وإبن زيد: هي الخمر ليس فيها وجع بطن. الغول ما يوجع البطون، وشارب خمر الدّنيا يشتكى بطنه، وليس في خمر الجنّة أذى فتشتكى منها بطون شاربيها. ٣ـعن مجاهد أيضاً وقتادة: أي ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس ولا ذهاب عقل. يقال للوجع: غول لأنّه يؤدّى إلى الهلاك. والغول: إهلاك الشّيء من حيث لا يحسّ به. ٤ـعن السّدي والشّعبى وابن عبيدة: أي خمر الجنّة لا تغول عقول شاربيها.

٥ ـ عن الكلبى: أي ليس فيها إثم كما لخمر الدّنيا إثم. ٦ـقيل: أي ليس في خمر الجنة أذىً ولا مكروه على شاربيها في أجسامهم ولا في عقولهم ولا غير ذلك فلا تذهب بعقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ولا وجع بطن ولا تفسد عقولهم، والغول: فساد يلحق في خفآءٍ يقال: إغتاله اغتيالاً: إذا أفسد عليه أمره في خفية ومنه

الغول والغيلة وهو القتل خفية. ٧-قيل: أي لا فيها فساد بأنّها لا تُفسَدُ. ٨-قيل: لا فيها هلاك الشّاربين ٩-عن إبن عبّاس أيضاً: أي ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدّنيا. وقال إبن عبّاس: في الخمر أربع خصال: السّكرو الصّداع والقيْ والبول. فنزّه الله خمر الجنّة عنها لا فيها غول لا تغول عقولهم من السّكر ولا هم عنها ينزفون لا يقيؤن عنها كما يقيْ صاحب خمر الدّنيا والقيْ مستكره.

١٠ ـ عن مجاهد أيضاً: أي ليس فيها دآء. ١١-عن إبن كيسان: أي ليس فيها مغص ١٢-قيل: أي ليس فيها خمار السكر ولا حدّته.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق بأن ليس في خمر الجنّة ما في خمر الدّنيا من المفاسد والمضرّات الجسميّة والروحيّة، والفرديّة والإجتماعيّة، والظاهريّة والباطنيّة...

وفي قوله تعالى: «ولا هم عنها ينزفون» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة والسّدي وابن زيد: أي لا ينزف شرب خمر الجنة عقولهم ولا تذهب بها. ٢-قيل: أي لا ينفد شراب أهل الجنة ولا يسكرهم شربها. ٣-قيل: أي لا ينفد شرابهم عن شربها.

٤ ـ قيل: أي ولا يطردون منها. ٥-قيل: أي ولا يُسكرون. ٦-قيل: أي ولا تنقطع الخمر عنهم. ٧-قيل: أي ولا يفنى شرابها ولا تعمى بصيرتهم. وعلى قراءة الكسر: «ينزفون» أي لا ينزفون خمرهم ولا يفنى عندهم. ٨-قيل: أي لا ينفدون شرابهم لأنه دأبهم. يقال: أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيت خمره. ٩-عن إبن عبّاس أيضاً: أي لا يبولون.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسّرين وهو الأنسب بمعناه اللغوى.

٤٨ ـ (وعندهم قاصرات الطّرف عين)

في قوله تعالى: «قاصرات الطرف» أقوال: ١-عن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة وابن زيد والحسن ومحمّد بن كعب: أي نسآء قصرن طرفهن على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم لحبّهنّ إيّاهم وحسنهم عندهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم. قاصرات مأخوذ من قولهم: قد إقتصر على كذا: إذا إقتنع به وعدل عن غيره. ٢-قيل: أي لا يفتح

أعينهن دلالاً وغنجاً. ٣ـعن عكرمة: أي محبوسات على أزواجهنّ. ٤ـعن مجاهد أيضاً: أي لا يَغَرْنَ. ٥ـقيل: أي عفيفات جميلات حابسات الأعين على أزواجهنّ. ٦ـقيل: الطرف: هي العين، وقصر الطرف: كسره حيآء ًوخفراً وهذا كناية عن صغرهن وأنهنّ لم يلقين الرجال ولم يتصلن بهم: «لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان» الرحمن: ٥٦) ٧ـقيل: قاصرات أي راضيات.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين.

وفي قوله تعالى: «عين» أقوال: ١ـعن السّدي والضحاك وابن زيد: أي واسعات العيون وعظامها، وهي أحسن ماتكون من العيون. واحدتها: عينآء يقال: رجل أعين: واسع العين بيّن العين. ومنه قيل لبقرالوحش: عين والثور أعين، والبقرة عينآء. والعين: واسعة العينين في جمال وكمال، وفي هذا إحتراس ممّا قد يفهم من وصفهن بأنهنّ قاصرات الطرف، أنّ هذا القصرعن دآء بهذه العيون، وأنّ خلقتها هكذا مغلقة أو متكسرّة، وكلاّ فإنّها في حقيقتها عينآء... ولكنّه الحيآء والخفر قد أمسكا بها عن أن تمتلئ بالنّظر الحادّ إلى الرّجال. ٢ـعن الحسن: هي الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها. ٣ـعن مجاهد: أي حسان العيون وضخامها. ٤ـقيل: يعنى الحور العين تقصر الطرف عن النظر إليها من صفائها وحسنها.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

٤٩ ـ (كأنهنّ بيض مكنون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير والسدى وقتادة وعطاء الخراساني والحسن: أي كأنّهنّ بطن البيض حين يقشر قبل أن تمسّه الأيدى، فهنّ يشبهن ببطن البيض في البياض وهو داخل القشر مالم يمسّه شيء، فهنّ شبهن في بياضهن وأنهنّ لم يمسّهنّ قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الّذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة الملح قبل أنه تمسّه يد أو شيء غيرها وهذا هو المخزون المكنون، وأمّا القشرة العليا فإنّ الطّآئر يمسّها والأيدى تباشرها والعش يلقاها. والعرب تقول لكلّ مصون: مكنون ماكان ذلك الشّيء لؤلؤاً كان أو بياضاً أو

متاعاً. وتقول لكلّ شي ء أضمرته الصدور: أكنته فهو مكن.

٢ـ عن الحسن أيضاً وابن زيد أي كانّهنّ بيض يكنّه الرّيش مثل بيض النعام الذي قد أكنّه الريش من الريح والغبار، فهو أبيض إلى الصفرة، فكأنه يبرق فذلك المكنون. فشبهن بالبيض الّذي يحضنه الطائر، فهوإلى الصفرة فشبّه بياضهنّ في الصفرة بذلك، فشبهن ببيض النعام المكنون في وكناتها، وذلك لأنّ فيها بياضاً يشوبه قليل من الصفرة، وإذا كانت مستورة في أما كنها كانت مصونة عن الغبرة والتّغيّر، فكانت في غاية الحسن، وبها تشبه العرب النساء وتسمّيهن بيضات الخدور. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي كأنّهنّ لؤلؤمكنون بأنّهنّ شبهن با للؤلؤفي بياضه وصفآئه كقوله تعالى: «وحورعين كأمثال اللؤلؤالمكنون» الواقعة: ٢٢-٢٣) في أصدافه... ٤ـ قيل: المكنون: المصون عن الكسروالإبتذال أي إنّهنّ عذارٰى. ٥ـ عن عطآء: شبهّن بالسحآء الّذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض وسماة كل شئ قشره والجمع سَحاً. وهو القشر الرقيق على البيضة بين ذلك.

أقول: والأوّل هوالمروي من غيرتناف بينه وبين الأخيرين فتأمّل جيداً.

٥٠ ـ (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي يسئل بعض أهل الجنة بعضاً عن أحوالهم من حين بعثوا يوم القيامة إلى أن أدخلوا الجنة، فيخبر كلّ صاحبه بانعام الله تعالى عليه. ٢ـ قيل: أي يذكر بعضهم لبعض أنه كان قد حصل لهم في الدّنيا مايوجب لهم الوقوع في عذاب الله، ثمّ إنهم تخلّصوا عنه وفازوا بالنعيم المقيم. وإن الماضي: «أقبل» في معنى المضارع فإنّ من عادة الله تعالى أن يجيئ الماضي في الإخبار. ٣ـ قيل: أي يتساءلون عما مرّبهم بعد موتهم من عالم البرزخ ويوم القيامة إلى أن ادخلوا الجنّة وتنعّموا ماتنعموا. ٤ـ قيل: أي يتساءلون عمّا مرّبهم في الحياة الدّنيا، فيتفاوضون فيما بينهم أحاديثهم في الدنيا، وذلك انّهم لخلوّ بالهم من المشاغل وطيب نفوسهم يسمر بعضهم مع بعض، ويتحادثون فيما كانوا فيه في الحياة الدّنيا مع أخلائهم من شتّى الشّئون مع إختلاف الأهوآء...

٥ ـ قيل: أي يتساءلون ويتحادثون عن شتّى المعارف والفضآئل وماجرى لهم

وعليهم في الحياة الدنيا، وما أحلى تذكر مافات حين رفاهية الحال وفراغ البال واطمئنان النّفس وخلوّها من المخاوف العاجلة والآجلة... ٦- قيل: أي يتساءلون عن أحوالهم وما تفضّل الله تعالى عليهم من أنواع الكرامات في الجنّة وذلك أنّهم لمّا جلسوا على سررهم متقابلين وأطعموا ما إشتهوا من طعام وتنعّموا من ثمار وشربوا ما طاف عليهم من كؤوس الشّراب لم تبق عندهم إلاّ لذّة الحديث،فإذاً أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ويتسامرون... وكما أقبل أصحاب النّار بعضهم على بعض يتساءلون، كذلك أقبل أصحاب الجنّة بعضهم على بعض يتساءلون... ولكن شتّان بين تساؤل وتساؤل وحديث وحديث... إذ كان بين أهل النار إختصام واتهام وترامٍ بالشناعات واللعنات... وبين أهل الجنّة حديث الأحبّآء الأصفيآء... يتساقون به كؤوس المودّة والإخآء... ٧- قيل: أي يتساءلون عن أحوالهم كلّها في الحياة الدّنيا وفي عالم البرزخ ويوم القيامة وفي الجنّة.

أقول: ولكل وجه ولكن التّعميم هو الأوجه فتأمّل جيّداً.

٥١ - (قال قائل منهم إنّي كان لي قرين)

في «قرين» اقوال: ١- عن إبن عباس: أي كان لي صاحب من الناس، يختصّ بي في دار الدّنيا يسئلني ساخراً موبخاً لي على الإيمان بالبعث: كيف تؤمن بالبعث والحساب والجزآء وهو ضلالة وخرافة؟ ٢- عن مجاهد: أي كان لي رفيق مصاحب من الشّيطان يوسوس إليّ بإنكار البعث. ٣- عن إبن عبّاس أيضاً وسعيد بن جبير وعطآء والسّدي: أي كان لي شريك. وذلك أنّهما كانا شريكين في ثمانية آلاف دينار وهما الرّجلان المتحادثان المذكوران في قوله تعالى: «واضرب لهم مثلاً رجلين» الكهف: ٣٢)

٤ - قيل: أي كان لي جليس. ٥- قيل: كانا أخوين. ٦- قيل: هما بطروس الكافر ويهوذا المسلم، فيقول المسلم عند وقوع الحساب والجزاء: كان لي قرين ينكر الجزاء وما نحن فيه، فهل أنتم تطّلعونني عليه؟. ٦- قيل: أي قرين من الشّياطين... وفيه أنّ القرآن الكريم إنّما يثبت قرنآء الشياطين في المعرضين عن

ذكر الله، والمخلصون في عصمة إلهيّة من قرين الشّياطين وكذا من تأثير الشّيطان فيهم كما حكى عن إبليس أستثنآء هم من الإغوآء: «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢) نعم ربّما أمكن أن يتعرّض لهم الشيطان من غير تأثير فيهم لكنّه غير أثر القرين:

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٥٤ ـ (قال هل أنتم مطلعون)

في القآئل هنا أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: هو قول المؤمن لإخوانه في الجنّة: هل أنتم مطلعون إلى النّار لننظر كيف حال ذلك القرين قال ابن عبّاس: وذلك انّ في الجنّة كوّى ينظر أهلها منها إلى النّار وأهلها، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوّ كان له في الدّنيا اطلع من بعض الكوّى. ٢ـ قيل: هذا من قول بعض الملآئكة. ٣ـ قيل: هذا من قول الله تعالى بقول لأهل الجنّة: هل تحبّون أن تطّلعوا على أهل النّار لا ريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم. ٤ـ قيل: هذا من قول بعض الأنبيآء لا متهم.

أقول: والأول هو الأنسب بظاهر السّياق.

٥٦ ـ (قال تا لله إن كدت لتردين)

في الخطاب مع القرين أقوال: ١ـ قيل: هذا خطاب من المؤمن لقرينه السّوء بحيث يسمعه حقيقة، وذلك لرفع الحجاب وتقريب المسافة. ٢ـ قيل: هذا خطاب حقيقة ولكن يسمعه كما أراد الله تعالى بقدرته. ٣ـ قيل: هذا خطاب المؤمن لقرينه السوء وإن لم يمكنه السّماع لبعده كما يخاطب الموتى ومَن في حكمهم كقوله تعالى في قصّة صالح عليه السّلام: «فتولّى عنهم وقالَ يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى» الأعراف: ٧٩)

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٥٧ ـ (ولولا نعمة ربيّ لكنت من المحضرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي ولولا أنّ الله تعالى أنعم عليّ بهدايته إلى

الحقّ وتوفيقه للإيمان بالبعث بعد الموت لقوله تعالى حكاية عنهم: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله» الأعراف:٤٣) لكنت من المحضرين معك في عذاب الله. ٢ـ قيل: أي لولم يعصمني عن الكفر، ولم يوفقني لنعمة الاسلام، وللإستمساك بعروة الوثقى وللبراءة من قرين السوء لكنت اليوم معك في عذاب النّار. ٣ـ قيل: لولا تفضّل ربي عليّ بالثواب وكوني من أهل الجنّة لكنت معک. ٤ـ قيل: لولم تتداركني رحمة ربي بأن لطف لى في ترك متابعتك والقبول منك ولم يعصمني من الباطل لكنت معك اليوم في النّار.

أقول: ولكلّ وجه من غير تنافٍ بينها.

٥٨ـ٥٩ـ(أفما نحن بميّتين إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين)

في الآيتين الكريمتين أقوال: ١ـ قيل: إنّ هذا قول المؤمن لقرين السّوء على وجه التّوبيخ والتّقريع فالمعنى: أليس كنت في الدّنيا تقول لي: إنّا لا نموت إلّا الموتة الّتي تكون في الدّنيا فلا حياة بعدها ولا حساب ولا جزاء حتّى نعذّب، فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك. فيقول المؤمن هذا القول تحدّثاً بنعمة الله تعالى عليه بمسمع من قرينه السوء الّذي يكون في النّار ليكون توبيخاً له، فيزيد تعذيبه، وليحكيه الله تعالى فيكون لنا لطفاً وزجراً.

٢ ـ قيل: هذا من قول أهل الجنّة حين يُذبح الموت بصورة الكبش بين الجنة والنّار ثمّ يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النّار خلود ولا موت. فيقول عند ئذ أهل الجنّة على طريق الإخبار أنّهم لا يموتون بعد هذا النعيم لكن الموتة الاولى قد مضت: «أفما نحن بميّتين...» ٣ـ هذا من قول المؤمن الّذي كان له قرين سوء في الدّنيا وهو الآن في النّار لأهل الجنّة وذلك حين تمّ كلامه مع قرينه عاد إلى الجنة قائلاً لاهلها: «أفما نحن بميّتين...» وذلك لأنّ أهل الجنّة لا يعلمون في أوّل دخولهم الجنة أنّهم لا يموتون، فيستفهمون عن ذلك فيما بينهم أو هم يسئلون الملآئكة، فإذا جيئ بالموت على صورة الكبش أملح وذبح، فعند ذلك يعلمون أنّهم لا يموتون. فالمعنى: نحن مخلّدون منعمون فما من شأننا أن نموت ولا أن نعذّب.

وقيل: علم أهل الجنّة أنّهم لا يموتون بما جآء من إخبار الأنبيآء عليهم السّلام لهم في الدّنيا بذلك.

٤ ـ قيل: هذا من قول أهل الجنّة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنّة فيقول بعضهم لبعض تحدّثاً بنعمة الله تعالى عليهم وإغتباطاً بأحوالهم، فإنّ الذين يتكامل خيرهم وسعادتهم إذ اعظم تعجّبهم بها قد يقولون: أفيدوم هذا لنا وإن كانوا على يقين من دوامه. ولهذا عقبه بقولهم: «إن هذا لهو الفوز المبين» أي فما نحن أهل الجنّة بميّتين فيها إلّا موتتنا الّتي كانت في الدّنيا وأمّا الموتة البرزخية التّي يدلّ عليها قوله تعالى: «ربّنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» غافر: ١١) فلا يعبأ بها لأنّ الموت الّذي يزعم الزاعم فيه الفنآء والبطلان هو الموت الدّنيوى، وما نحن بمعذّبين كما وعدنا الله تعالى، ويريدون بذلك التحقيق لا الشك، وإنّما قالوا هذا القول لأن لهم في ذلك سروراً مجدّداًوفرحاً مضاعفاً، وإن كانوا قد عرفوا أنّهم سيخلدون في الجنّة، وهذا كما أن الّذي يعطى المال الكثير فيقول مستعجباً: كلّ هذا المال لي، وهويعلم أنّ ذلك له وهذا كقوله:

أبطحآء مكّة هذا الّذي أراه عياناً وهذا أنا

أقول: والثّاني هو المرويّ وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٦١ ـ (لمثل هذا فليعمل العاملون)

في القائل هنا أقوال: ١ـ قيل: هذا من تمام كلام القائل السّابق، وذلك انّ المؤمن لمّا رآى ما أعدّه الله جلّ وعلا له في الجنّة وما أعطاه قال: «لمثل هذا» العطآء والفضل «فليعمل العاملون» ٢ـ قيل: هذا من كلام الله جلّ وعلا لأهل الدّنيا أي يا أيّها النّاس قد سمعتم ما في الجنّة من الخيرات والجزآء ولمثل هذا الجزآء والنعيم والفوز العظيم فليعمل العاملون، ترغيباً لهم في طلب الثّواب بالإيمان والطاعة. فالمعنى: من كان يريد الفوز العظيم فليعمل لمثل هذا النفع العظيم. ٣ـ قيل: هذا من كلام الملآئكة. ٤ـ قيل: هذا من كلام الأنبيآء عليهم السّلام لا متهم. ٥ـ عن قتادة: هذا من قول أهل الجنّة. ٦ـ قيل: أي يقال لهم ذلك.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسّرين ولكن الخامس لا يخلو من وجه.

٦٢ ـ (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن الزجاج: أي اذلك الّذي ذكرناه من قرى أهل الجنة وضيافتهم، وأعدّلهم خير في باب الإنزال الّتي يتقوّت بها ويمكن معها الإقامة أم نزل أهل النّار فيها. ٢ ـ قيل: أي أسبب هذا المؤدّى إليه خير أم سبب ذلك لأنّ الزقّوم لا خير فيه. ٣ ـ قيل: إنّما جاز ذلك لأنّهم لمّا عملوا بما أدي إليه فكأنّهم قالوا فيه خير. ٤ ـ قيل: إنّما قال خير على وجه المقابلة فهو كقوله عزوجلّ: «أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً» الفرقان: ٢٤)

وهذا كما يقول الرجل لعبده: إن فعلت كذا أكرمتك، وإن فعلت كذا ضربتك أهذا خير أم ذلك؟ وإن لم يكن في الضرب خير، فلفظة «خير» هنا بمعنى الوصف دون التّفضيل إذ لا خيرية في الزّقوم أصلاً فهو كقوله تعالى: «قل ما عند الله خير من اللهو». الجمعة: ١١)

أقول: ولكلٍ وجه من غير تناف بينها.

وفي «شجرة الزقوم» أقوال: ١ ـ قيل: الزّقوم ثمر شجرة متكره جدّاً من قولهم: تزقّم هذا الطعام إذا تناوله على تكرّه ومشقّة شديدة. ٢ ـ قيل: الزّقوم شجرة في النّار يقتاتها أهل النّار، لها ثمرة مرّة خشنة اللمس، منتنة الرآئحة، كريهة الطعم، مؤلمة التناول، وصعبة الإبتلاع. ٣ ـ قيل: إنّها معروفة من شجر الدّنيا تعرفها العرب. وعن قطرب: إنّها شجرة صغيرة الورق، ذفرة ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورّم، مرّة تكون بتهامة والبلاد المجدبة المجاورة للصحرآء من أخبث شجر الدّنيا. ٤ ـ قيل: إنّها شجرة لم تعرف بَعد. ٥ ـ قيل: هو كلّ نبات قاتل سامّ. ٦ ـ قيل: الزقوم شجرة مسمومة لها لبن إذا مسّ جسم الإنسان تورّم ومات في أغلب الأمر تنبت في البلاد المجدبة المجاورة للصحرآء والتزقم: البلغ على شدّة وجهد.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين.

٦٣ ـ (إنّا جعلناها فتنة للظالمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي جعلنا شجرة الزقوم إبتلاء وإختباراً للمشركين وذلك إنّ الله تعالى لمّا أنزل: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم» قال المشركون: كيف ينبت الشّجر في النّار، والنّار تحرق الشّجر فقال الله عزّوجلّ: «إنّا جعلناها فتنة للظّالمين» الّذين قالوا في ذلك ما قالوا، فكانت خبره لهم افتتنوا بها وكذّبوا بكونها فصارت فتنة لهم، وذلك أنّها خلاف المألوف والمعتاد، فإذا ورد على سمع المؤمن فوّض علمه إلى الله عزّوجلّ، وإذا ورد على الكافر توسّل به إلى الطعن في القرآن، ويزيد في شبهته كقوله تعالى: «وإذا ما انزلت سورة ـ وأما الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» التوبة: ١٢٤-١٢٥)

٢ـ قيل: إنّما كانت شجرة الزّقوم محنة وعذاباً للمشركين لأنهم إذا كلّفوا تناولها شقّ ذلك عليهم، فهو كقوله تعالى: «يوم هم على النّار يفتنون» الذاريات: ١٣) أي يعذّبون. والمراد بالفتنة هنا المحنة والعذاب لهم في الآخرة أي جعلناها شدة عذاب لهم في الآخرة. ٣ـ قيل: الفتنة هنا: الكفر والضلالة والتكذيب أي سبب كفرهم وضلالتهم كقوله تعالى: «والفتنة أشد من القتل ـ والفتنة أكبر من القتل» البقرة: ١٩١و٢١٧) أي الكفر والضلالة.

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق، وهو المؤيّد بالروايات الآتية فانتظر.

٦٤ ـ (إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم)

في «أصل الجحيم» أقوال: ١ـ قيل: الزّقوم شجرة تنبت في قاع النّار وقرارها. ٢ـ قيل: أي في وسط الجحيم غذيت بالنار ومنها خلقت ٣ـ قيل: إنّ جهنم هي أرض شجرة الزقوم ومنبتها. ٤ـ قيل: أي في قعر النار ومنها منشؤها ثمّ هي متفرعة في جهنم. ٥ـ عن الحسن: أي في قعر جهنم وأغصانها ترفع إلى دركاتها.

في المجمع: «ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النّار أو من جوهر لا تأكله النّار ولا تحرقه كما أنّها لا تحرق السّلاسل والأغلال فيها، وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها، وكذلك الضريع وما أشبه ذلك» إنتهى

كلامه.

أقول: ولكلّ وجه والمعاني متقارب.

٦٧ - (ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً من حميم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - عن السّدي وابن زيد: أي يشاب لهم الحميم بغسّاق أعينهم وما يخرج من أجسادهم وصديد من قيحهم ودمآئهم. ٢-قيل: أي يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم، تغليظاً لعذابهم وتجديداً لبلآئهم. ٣- قيل: الشّوب: الخلط والمزج من كلّ شيء، ومنه الشائبة وهي ما يتعلّق بالإنسان من امور لا يليق به، والحميم: السائل الحار الّذي أشتدّ غليانه. والمعنى: يأكلون حميماً ويشربون سموماً أي خليطاً ومزاجاً من مآء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشّراب. ٤- قيل: أي انهم يكرهون على ذلك عقوبةً لهم. ٥- قيل: أي لخلطاً من ماءٍ حار يشوى وجودهم. ٦- عن إبن عبّاس: أي يشربون الحميم المشروب من الزقوم أي قد شيب مع حرارته بما يشتدّ تكرهه. ٧- قيل: أي لشراباً من غسّاق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعآءهم.

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٧٠ - (فهم على آثارهم يُهرعون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسّدي والحسن والفرّآء: أي فهم على آثار آبائهم يسرعون بأن يسرع بهم في طريقتهم الضالة ليقتفوا آثارهم وسننهم. ومنه يقال: أهرع فلان: إذا سار سيراً حثيثاً فيه شبه بالرعدة.

وعن مجاهد: أي يسرعون كهيئة الهرولة. ٢- عن ابن زيد: أي يستعملون إلى آثارهم كأنّهم يساقون سوقاً ويحثون حثاً إليها. ٣- عن الفضل: أي يزعجون إلى اتباعهم ازعاجاً من شدّة الإسراع. ٤- قيل: أي يقلّدونهم ويتبعونهم اتباعاً في الكفر والضلالة بسرعة من دون طلب دليل ولاوعي لا استدعآء برهان، ولا روية على تقليدهم واتباعهم. ٥- عن الكلبي: أي يعملون بمثل أعمالهم. ٦- عن أبي عبيدة والمبرّد: أي يستحثّون من خلفهم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه القول الرابع.

٧٣ ـ (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

في قوله تعالى: «عاقبة المنذرين» أقوال: ١ ـ قيل: أي عاقبتهم العذاب والنّار في جهنّم.

٢ ـ قيل: كان آخر أمرهم الخزى والهوان والتمزيق والتفريق في الحياة الدّنيا.

٣ ـ قيل: أي كان عاقبة أمرهم الهلاك والدمار. والمعنى: فانظر يا محمّد كيف أهلكتهم ماذا حلّ بهم من العذاب كقوم نوح ولوط وصالح والامم الّتي أهلكهم الله تعالى. ٤ـ قيل: أي من الهول والشدّة والفظاعة لمّا يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا له رأساً.

٥ ـ قيل: خطاب للمؤمنين. ٦ـ قيل: خطاب للمخاطبين زمن الوحى في المؤمنين والمشركين: ٧ـ قيل: خطاب لكلّ مَن يتمكّن من مشاهدة آثار الامم الماضين...

أقول: والتّعميم غير بعيد.

٧٥ ـ (ولقدنا دانا نوح فلنعم المجيبون)

في قوله تعالى: «فلنعم المجيبون» قولان: أحدهما ـ أي فلنعم المجيبون نحن في دعائه وندائه إذ أجبناه إلى ما سئل، وخلّصناه من أذى قومه باهلاكهم. ثانيهما ـ هو على العموم أي فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق.

٧٦ ـ (ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)

في «الكرب العظيم» أقوال: ١ ـ قيل: أي من الشّدة التّي كان هو وأهله يلقونها من قومه الّذين كذبوه وآذوه وآذوا أهله المؤمنين وشيعته. ٢ـ عن السدى: أي من غرق الطوفان. ٣ـ قيل: أي من المكروه الّذي كان ينزل به من قومه، ومن الغم الشديد والحزن الثقيل على القلب لكفر قومه. والكرب كلّ غم يصل حرّة الى الصدر قال الشاعر:

عسى الكرب الّذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

٤ـ قيل: أي من أذى قومه مع اليأس من ايمانهم، ومن المكروه الّذي كان فيه من الكافرين ومن كرب الطوفان ومخاوفه، ومن الغرق الّذي هلك به قومه. ٥ـ قيل: أي من البلاء العظيم الّذي أخذ الظالمين من قومه وهو الطوفان والخزى والهوان والهلاك والدّمار والعذاب والنّار.

أقول: ولكلّ وجه، ولكنّ التّعميم غير بعيد.

٧٧ـ (وجعلنا ذريته هم الباقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس والكلبي وقتادة: لما خرج نوح عليه السّلام من السفينة مات مَن كان معه من الرّجال والنّسآء إلّا ولده ونساؤه فذلك قوله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين» وقال سعيد بن المسيّب: كان ولد نوح ثلاثة والنّاس كلهم من ولد نوح. فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى، وحام أبو السودان من المشرق والمغرب: السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم، ويافث أبو الصّقالبة والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك. فالناس كلهم من نسله عليه السّلام فإنّ كلّ مَن سواه وسوى ذريته فقد فنوا.

٢ ـ قيل: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل لقوله تعالى: «ذرية من حملنا مع نوح» وقوله: «قيل يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى امم ممّن معك وامم سنمتّعهم ثمّ يمسّهم منّا عذاب أليم» فمعنى قوله تعالى: «وجعلنا ذريته هم الباقين» دون ذرية من كفرفانا أغرقنا اولئك.

٣ ـ قيل إنّ الناس كلّهم أباً من نسل نوح عليه السّلام وأمّاً من نسل المؤمنين الّذين كانوا مع نوح في السفينة.

أقول: وبالثالث يمكن لنا الجمع بين الأُوليّين فتدبر جيّداً واغتنم جداً.

٧٨ـ (وتركنا عليه في الآخرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدي والحسن: أي تركنا على نوح عليه السّلام ثنآء حسناً وسلاماً في كلّ امّة، فإنّه محبّب إلى الجميع فيذكر

بخير. ٢ـ عن إبن عبّاس وقتادة أيضاً ومجاهد: أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في امة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وذلك الذكر قوله تعالى: «سلام على نوح في العالمين» ٣ـ عن مجاهد أيضاً: أي جعلناه لسان صدق للأنبيآء كلّهم إذ لم يبعث بعدة نبيّ إلّا امر بالإقتدآء به لقوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصيّ به نوحاً» الشورى:١٣)

٤ـ عن عكرمة والمبرد والفرّاء: أي تركنا عليه قولاً وهو أن يقال في آخر الامم: «سلام على نوح في العالمين» وقيل أي تركنا عليه أن يصلّي عليه إلى يوم القيامة فكأنّه قال: وتركنا عليه التّسليم في الآخرين، ثمّ فسّر التّسليم بقوله: «سلام على نوح في العالمين». ٥ـ قيل: أي أحيينا دعوته إلى التّوحيد ومجاهدته في سبيل الله عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة على أنّ المراد بالترك هو الإبقاء والإحياء، والمراد بالآخرين الامم الغابرة غير الأولين. ٦ـ قيل: «أي أبقينا له ذكراً جميلاً وثنآءً حسناً في النّاس من بعد من الأنبيآء واممهم إلى يوم القيامة. ٧ـ قيل: أي أبقينا له تكرمة دآئمة من التحيّة والصلاة والسّلام.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٧٩ـ (سلام على نوح في العالمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن الكلبى: أي سلامة ثابتة منّا على نوح عليه السّلام وهذا هو السّلام المراد بقوله تعالى: «إهبط بسلام منّا وبركات عليك» هود:٤٨).

ـ قيل: أي أمنة وسلامة مستقرّة له من أن يذكره أحد بسوء إلى يوم القيامة.

٣ـ قيل: أي سلامة وسعادة منّا على نوح من بين العالمين في زمانه. ٤ـ قيل: إنّ هذه التّحيّة الّتي ثبتها الله تعالى فيهم فيسلم عليه الملآئكة والثقلان من الإنس والجنّ إلى يوم القيامة. ٥ـ قيل: أي سلام مستمر من الله تعالى على نوح في المجتمعات الإنسانيّة كلّها يردّده كلّ مؤمن بالله تعالى وبرسله إلى يوم القيامة.

٦ـ قيل: أي وقلنا له عليه السّلام: عليك السّلام في الملآئكة والإنس والجنّ إلى يوم القيامة.

٧ـ قيل: أي وسلام دائم على كلّ امّة من الامم في جميع القرون إلى يوم القيامة، فالمراد بـ «العالمين» عالموا البشروا ممهم وجماعات إلى يوم القيامة، فإنّه تحية من عند الله جلّ وعلا مباركة طيّبة تهدى إلى نوح عليه السّلام من قبل الامم الإنسانيّة، ماجرى فيها شيء من الخيرات اعتقاداً أو عملاً، فانّه عليه السّلام أوّل من انتهض لدعوة التّوحيد ودحض الشرك ، وما يتبعه من العمل، وقاسى في ذلك أشدّ المحنة فيما يقرب من ألف سنة لا يشاركه في ذلك أحد، فله نصيب من كلّ خير واقع بينهم إلى يوم القيامة، ولا يوجد في كلامه تعالى سلام على هذه السعة على أحد ممّن دونه.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، وهو المؤيّد بقصص نوح عليه السّلام في سائر السّور.. من غير تنافٍ بينه وبين الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

٨٠ ـ (إنّا كذلك نجزى المحسنين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي إنّا كما فعلنا بنوح عليه السّلام مجازاةً له على طاعتنا، وصبره على أذى قومه في رضانا فأنجيناه وأهله من الكرب العظيم، وجعلنا ذريته هم الباقين وأبقينا عليه ثنآء في الآخرين كذلك نجزى الّذين يحسنون في أقوالهم وأفعالهم راسخين في الإحسان معروفين به، فيطيعوننا وينتهون إلى أمرنا ويصبرون على الأذى في سبيلنا، فهذا جزاء كلّ محسن بالقول والعمل... فالمعنى: مثل ما فعلنا بنوح نجزى كلّ مَن أحسن بأفعال الطاعات وتجنّب المعاصي ونكافيهم باحسانهم وفقاً لعادة الله تعالى في جزآء المحسنين المؤمنين من عباده.

٢ ـ قيل: إنّ تشبيه جزاء نوح بجزاء عموم المحسنين من حيث أصل الجزاء الحسن لا في خصوصياته، فلا يوجب ذلك اشتراك الجميع فيما اختصّ به عليه السّلام. ٣ـ عن مقاتل: أي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين باحسانه: «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان» واحسانهأنه جاهد أعداء الله تعالى ويدعونهم إلى دين الله تعالى مدّة طويلة وصبراً طويلاً على أذاهم.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه الأوّل والثّالث.

٨٣ - (وإنّ من شيعته لإبراهيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ - عن السّدي وقتادة ومجاهد: أي ومن شيعة نوح عليه السّلام لابراهيم عليه السّلام يعنى أنَّ ابراهيم عليه السّلام كان على منهاج نوح عليه السّلام وسنته، ومن أهل دينه وملّته في التّوحيد والعدل واتباع الحقّ. قيل: وقد كان بين نوح وإبراهيم عليهما السّلام نبيّان: هود وصالح عليهما السّلام وقد طال الزمان بين نوح وإبراهيم وهو ألفان وستمأة وأربعون سنة.

٢ - عن الكلبى والفرّاء: أي وإنّ من شيعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إبراهيم عليه السّلام كما قال تعالى: «أنا حملنا ذريتهم» يس: ٤١) أي ذرية مَن هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم.

فالهاء من «شيعته» راجع إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فكان إبراهيم عليه السّلام على منهاج محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لأنه كان على الإيمان بفطرته، فلم تستجب فطرته لعبادة صنم طرفة عين، فكأنّه بهذا كان فمن آمن بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وكسر الأصنام وتبعه قولاً وعملاً، وقد جآء محمّد رسول الله بالدّين الإسلامي، وما كان إسم دين نبى إسلاماً قبل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقد كان إبراهيم عليه السّلام مسلماً: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً» آل عمران: ٦٧) وقد كان إبراهيم ممّن شايع محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم على اصول الدّين وعلى التصلّب في الدّين، وإن كلّ من وافق غيره في طريقته فهو من شيعته تقدّم أو تأخّر قال الله جلّ وعلا: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل» سبأ: ٥٤)

وفي تفسير البحر المحيط: قال أبوحيان الأُندلسى: «وقال الفراء: الضمير عائد إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم والأعرف أنّ المتأخر في الزمان هو شيعة للتمقدّم، وجآء عكس ذلك في قول الكميّت:

**ومالى إلّا آل احمد شيعة		ومالى إلّا مشعب الحقّ مشعب**

وفي تفسير التّبيان: قال الشّيخ الطّوسى قدّس سرّه الشّريف: «وقدروى عن أهل

البيت عليهم السّلام إنّ من شيعته (شيعة خ) عليّ لا براهيم. وهذا جآئز إن صحّ الخبر المرويّ في هذا الباب لأنّ الكناية عمّن لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلك دليل كما قال: «حتّى تورات بالحجاب» ص: ٣٢) ولم يجر للشمس ذكر، ويكون المعنى إنّه على منهاجه وطريقته في اتباع الحقّ والعدول عن الباطل، وكان إبراهيم وعليّ عليهما السّلام بهذه المنزلة» إنتهى كلامه.

أقول: وسيأتي البحث حول الشيعة مستقصىً إن شآء الله تعالى فانتظر.

٣ ـ عن إبن عبّاس: أي ومن أهل ذريته. ٤ ـ قيل: أي من فئته. ٥ ـ قيل: أي ومن جماعته. ٦ ـ قيل: أي ومن أمثاله.

أقول: والثاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت أدرى بما في البيت.

٨٤ ـ (إذجآء ربّه بقلب سليم)

في وقت مجيئ إبراهيم عليه السّلام أقوال: ١ ـ قيل: أي جآء إلى الموضع الّذي أمره الله تعالى بالرجوع إليه بقلب سليم عن الشّرك، برئ من المعاصي في الوقت الّذي قال لأبيه وقومه حين رأهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعلهم والتّقريع لهم: «ماذا تعبدون» فدعاهم إلى التّوحيد وطاعة الله جلّ وعلا وحده.
٢ ـ قيل: أي عند إلقآئه في النّار. ٣ ـ قيل: حين دخوله بيت الأصنام لكسرها. ٤ ـ قيل: حين صدّق الله تعالى وآمن به.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى: «بقلب سليم» أقوال: ١ ـ قيل: أي سليم من كلّ ماسوى الله تعالى لم يتعلّق بشيئ غيره، سليم من الشّرك والريب، وخال من كلّ دنس ومن كلّ علاقة دون الله جلّ وعلا. ٢ ـ قيل: أي سليم من حب الدّنيا. ٣ ـ عن قتادة والسّدي: أي سليم من الشّرك مخلص له التّوحيد. ٤ ـ عن مجاهد: أي لا شك فيه. ٥ ـ قيل: أي أقبل بقلبه على الله تعالى وأخلص العمل له وحده. ٦ ـ قيل: أي سليم من آفات القلوب وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر و الحسد. ٧ ـ قيل: أي ليس فيه

شكّ ولا غيره من النفاق واللجاج والعناد، ومن كلّ مايشين.

٨ـ قيل: القلب السليم: النّاصح لله تعالى في خلقه. ٩ـ قيل: القلب السليم: أن يعلم الله تعالى حقّ، وأن السّاعة قائمة، وأن الله يبعث مَن في القبور ١٠ـ قيل: أي بقلب خالص من الشرك، بريئ من المعاصي والغلّ والغشّ، على ذلك عاش وعليه مات. ١١ـ قيل: القلب السليم أي القلب الحزين.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٨٧ـ (فما ظنّكم بربّ العالمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي فما ظنكم أيّها المشركون من عبدة الأصنام أن يصنع ربّ العالمين بكم مع عبادتكم لغيره أوَحسبتم أنّه يهمل أمركم ولا يعاقبكم وأمنتم من عذابه؟! ٢ـ قيل: أي كيف تظنون بربّ تأكلون رزقه وتعبدون غيره حتّى جعلتم الجمادات أنداداً له سبحانه؟! ٣ـ قيل: أي وما تظنّون بربكم إنه على أيّ صفة ومن أيّ جنس من أجناس الأشيآء حين شبّهتم به تلك الأصنام... وفيه إشارة إلى أنه لا يشبه شيئاً. ٤ـ قيل: أي وما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فهو تحذير لهم كقوله تعالى: «ماغرّك بربّك الكريم» الإنفطار: ٦) ٥ـ قيل: أيّ شي ء أو همتموه حتّى أشركتم به غيره ٦ـ قيل: أيّ شي ء تظنّون بالله أن يفعل بكم إذا لا قيتموه غداً إذا عبدتم غيره أنّه يترككم بلا عقاب؟ لا وقد علمتم أنّه المنعم على الحقيقة فكان حقيقاً بالعبادة. ٧ـ قيل: أي فما معتقدكم في ربّ العالمين؟ وما تصوّركم له؟ وما حسابه عندكم؟ أهو واحد من آلهتكم تلك؟ أم هوعلى هيئة ملك أو أمير أو سيّد من ساداتكم...؟؟؟

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخرمع تداخل بعضها في بعض فتأمّل جيّداً.

٨٨ـ٨٩ـ (فنظر نظرة في النّجوم فقال إنّي سقيم)

في الآيتين الكريمتين أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير وسعيد بن

المسيّب والزجاج وقتادة وإبن زيد والضحاك وإبن إسحق: إنّ قوم إبراهيم عليه السّلام كانوا أهل تنجيم فلمّا أرادوا أن يذهبوا به إلى معبدهم نظر في النجوم رامياً ببصره إلى السمآء ليريهم أنه ينظر فيها لإعتقادهم علم النجوم، فأوهمهم أنّه إستدل بأمارة على أنه سقيم، فرآى نجماً قد طلع فعصب رأسه وقال: إبن مطعون، وقد كان قومه يخافون العدوى فيهربون من الطاعون كما هي الحال اليوم في جميع الامم، فأراد بذلك أن يتركوه في بيت آلهتهم ويخرجوا عنه ليخالفهم إليها فيكسرها، فتفرّقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل بالأصنام ما فعل.

٢ ـ قيل: إنّ المراد بالنّظر في النجوم ماجاء في قوله تعالى: «فلمّا جنّ عليه الليل رآى كوكباً» الأنعام: ٧٦) أي نظر فيها ليعرف أحوالها وأنها قديمة أو محدثة، فكان يوهم قومه أنّه يبحث عن ربّ العالمين، وقال لهم: اني سقيم أي في حيرة من أجل قومه وهدايتهم كيف يهديهم إلى الحقّ والرشاد، وهم يصرّون على الشرك والإلحاد وعلى عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر، وعليه فيكون قوله: «فنظر نظرة في النجوم» أنّه نظر وفكر ليتعرف أحوالها في أنّها محدثة مدبرة مصرفة مخلوقة، فعجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حتّى يعبدوها؟! وقد أراد أنّه سقيم النفس لكفرهم وشركهم، فلم يكذب، وهذا كلام صادق لأنّ الكذب قبيح في ذاته وإن إشتمل على مصلحة ظاهرة، وخاصّة عن النّبيّ الّذي يكون أُسوة لغيره.

٣ ـ قيل: أراد بالنّظر في النّجوم وأحكامها وكتبها، وذلك ليس بحرام، ولا سيّما في ذلك الشّرع، فليس فيه إلّا إعتقاد أنه جلّ وعلا خصّ كلّ واحد من الكواكب بقوّة وخاصّيّة يظهر بها منه أثر مخصوص، والإنسان لا ينفّك من أكثر أحواله عن حصول حالة مكروة له إمّا في قلبه، فلعلّ به سقماً كالحمّى الثّابتة أو أراد أنّه سيسقم لأمارة نجوميّة أو أراد به الموت الّذي يلحقه لا محالة، ولا دآء أعيى منه. قيل: انه عليه السّلام إستدل بالنّجوم على وقت حمّى كانت تعتاده فقال: إنّي سقيم، فمن أشرف على شيء جاز أن يقال: إنّه فيه. كما قال الله تعالى: «إنّك ميّت وانهم ميّتون» الزمر: ٣٠) ولم يكن نظره في النّجوم نظره في النّجوم على حسب المنجمين طلباً

للأحكام لأنّ ذلك فاسد ومثله قول الشّاعر:

أسهرى ما سهرت أم حكيم واقعدى مرّة لذاك وقومى

وافتحى الباب فانظري في النّجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

فنظر إبراهيم في النّجوم في أوقات اللّيل والنّهار، وقد كانت تأتيه سقامة كالحمى في بعض ساعات الليل والنّهار فنظر ليعرف هل هي في تلك السّاعة،وقال: «إنّي سقيم» فجعله عُذراً في تخلّفه عن العيد الّذي كان لهم فصدق فيما قال لأنّ السقم كان يأتيه في ذلك الوقت وإنّما تخلّف لتكسير أصنامهم وما كذب، فكانت نظرته في النّجوم لتشخيص الساعة وخصوص الوقت كمن به حمّى ذات نوبة يعيّن وقتها بطلوع كوكب أو غروبها أو وضع خاصّ من النّجوم، فلمّا أراد أهل المدينة أن يخرجوا كافّة إلى عيدلهم نظر إلى النجوم وأخبرهم أنه سقيم ستعتريه العلّة فلايقدر على الخروج معهم، وهذا هو الأنسب لحاله عليه السّلام وهو في إخلاص التّوحيد بحيث لا يرى لغيره جلّ وعلا تأثيراً، ولا دليل لنا قويّاً يدل على أنه عليه السّلام لم يكن به في تلك الأيّام سقم أصلاً، وقد أخبر القرآن الكريم باخباره بأنه سقيم، وذكر تعالى قبيل ذلك أنه جآء ربه بقلب سليم، فلايجوز عليه كذب ولا لغو من القول.

٤ ـ عن زيد بن أسلم: أرسل إليه ملك قومه إنّ غداً عيدنا، فاخرج معنا، فنظر إلى نجم طالع، فقال: إن هذا يطلع مع سقمي، وقد كان علم النجوم مستعملاً عندهم منظوراً فيه، فأوهمهم هو من تلك الجهة، وأرا هم من معتقدهم غدراً لنفسه، وذلك أنهم كانوا أهل رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما إلى نظر في النجوم. وعن ابن عبّاس: كان علم النّجوم من النبوّة، فلمّا حبس الله عزّوجلّ الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك، فكان نظر إبراهيم فيها علماً نبوياً. وعن الضّحاك : كان علم النّجوم باقياً إلى زمن عيسى عليه السّلام حتّى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه منه، فقالت لهم مريم: من أين علمتم بموضعه؟ قالوا: من النجوم، فدعاربه عند ذلك فقال: اللهم لا تفهمهم في علمها، فلا يعلم علم النجوم أحد، فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها في الناس مجهولاً. ومن الكلبى: وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة،

يقال لها: هرمزجرد، وكانوا ينظرون في النّجوم.

وعن إبن مسعود: قال أبو إبراهيم له: إنّ لنا عيداً لو خرجت معنا لأعجبك ديننا، فلمّا كان يوم العيد خرجوا إليه وخرج معهم، فلمّا كان ببعض الطريق ألقى بنفسه، وقال: إنّي سقيم أشتكى رجلي، فوطئوا رجله وهو صريع، فلمّا مضوا نادى في آخرهم: «وتا لله لأكيدنّ أصنامكم» الأنبيآء: ٥٧).

٥ ـ قيل: إنّ قوم إبراهيم عليه السّلام لمّا كانوا منجّمين يعظّمون النّجوم ويقضون بها على غائب امورهم، نظر إبراهيم عليه السّلام في علم النجوم وفي معانيه لا أنّه نظر بعينه إليها كما يقال: فلان نظر في الفقه مريداً أن يوهمهم أن يعلم ما يعلمون، ويتعرّف من حيث يتعرّفون حتّى إذا قال: «إني سقيم» أي سأسقم كقوله تعالى: «إنّك ميّت» أي ستموت. فقوله: «إنّي سقيم» كلمة فيها معراض ومعناها أنّ كلّ مَن كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر. فكانت نظرته في النّجوم وإخباره بالسّقم من المعاريض في الكلام، والمعاريض أن يقول الرّجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يقصده، فلعلّه عليه السّلام نظر في النّجوم نظر الموحّد في صنعه تعالى يستدل به على الله جلّ وعلا وعلى وحدانيّته، وهم يحسبون أنّه ينظر إليها نظر المنجّم فيها ليستدلّ بها على الحوادث ثمّ قال: «إنّي سقيم» يريد أنّه سيعتريه سقم، فإنّ الإنسان لا يخلو في حياته من سقم ما ومرض ما كما قال: «وإذا مرضت فهو يشفين» الشعرآء: ٨٠) وهم يحسبون أنّه يخبر عن سقمه يوم يخرجون فيه لعيد لهم فتفرّقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام، فرآى مواقعها وإتصالها... فأراهم أنّه أستدل بها على أنّه مشارف للسقم لئلا يخرجوه إلى معبدهم.، والمرجّح عند الجميع ذلك ما كان يهتمّ به من الرّواغ إلى أصنامهم وكسرها.

ولا يخفى أنّ هذا الوجه مبنيّ على أنّه كان صحيحاً غير سقيم يومئذ، وقد سمعت أن لا دليل يدلّ عليه، مع أن المعاريض غير جائزة على الأنبيآء لارتفاع الوثوق بذلك عن قولهم.

٦ ـ قيل: أي نظر في نجوم كلماتهم ومتفرّقات أقوالهم، فإنّ الأشيآء التى تحدث

قطعة قطعة يقال لها: منجمة أي متفرقة، ومنه نجوم الكتابة والمعنى إنّه لمّا سمع كلماتهم المتفرّقة نظر فيها ليستخرج منها حيلة يقدر بها على إقامة عذر لنفسه في التخلّف عنهم فلم يجد عذراً أحسن من قوله: «إنّي سقيم» مريداً أن أصير سقيماً وإن أشرف للسقم وهو الطاعون الّذي كان غلب على أكثر النّاس يومئذ. وقيل: إنّ المراد بالنّجوم هو النّبات أي فنظر فيها متحرّياً منها ما فيه شفآء لسقمهم وهمهم أن به ذلك وكان به.

٧ ـ قيل: إنّ هذا من معاريض الكلام على أن نفس السّلامة دآء ومنه المثل السآئر: «كفى بالسّلامة دآء» وقال لبيد:

فدعوتُ ربّي بالسّلامة جاهداً ليَصِحّني فاذاً السّلامة دآء

وقد مات رجل فجأة فالتفت عليه النّاس فقالوا: مات وهو صحيح! فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه! فابراهيم عليه السّلام صادق، لكن لمّا كان الأنبيآء عليهم السّلام لقرب محلهم واصطفآئهم عُدّ هذا ذنباً من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقرّبين ولهذا قال: «والّذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدّين» الشّعرآء: ٨٢)

٨ـ قيل: أراد أنّه سقيم القلب بسبب إطباق هؤلآء الجمع الكثيرعلى الكفر والشّرك كقوله تعالى لرسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» الكهف: ٦) فالمعنى: إنّي مريض القلب لـمّا أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة الأصنام الّتي هي المصنوعة بأيديكم مع وضوح الأدلّة القاطعة الدالة على وحدانيّة الله تعالى وإستحقاقه للعبادة منفرداً بها. ٩ـ قيل: إنّه كان سقيماً لمّا علم من شهادة بسط المصطفىٰ سيّد الشّهداء الحسين بن عليّ بن ابيطالب عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته، ١٠ـ قيل: إنّ الله تعالى أوحى إليه أنّه سيمتحنه بالمرض وقت مستقبل، وجعل له العلامة بالنّجوم فقال: إنّي سقيم، تصديقاً للوحى.

١١ ـ قيل: نظر في النجوم أي فأطال الفكر فيما هو فيه، فإنّ العرب تقول للشخص إذا تفكّر وأطال الفكرة: نظر في النجوم فقال انّي سقيم أي إنّي أحسّ بخروج مزاجي عن حال الإعتدال ولا أدرى في نفسي خفّة ونشاطاً، وكان مقصده

من كلامه هذا ألّا يخرج معهم في يوم عيدهم لينفّذ ما عزم عليه من كسر أصنامهم، وإعلان الحرب عليهم في عبادتهم للأوثان والأصنام، ولم يكن لهم علم بما بيّت عليه النيّة ولا دليل على أنه لم يكن صادقاً فيما يقول إذ مَن يعزم على تنفيذ أمرذى بال يخاف منه الخطر على نفسه أن يكون مهموماً مغموماً مفكّراً في عاقبة ما يعمل.

في تفسير الطّبري: عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسّلم قال: «لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله: قوله: «إنّي سقيم» وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا» وقوله في سارة: هي أختي»

أقول: ولعمري إنّ هذا من كذبات أبى هريرة الكذّاب.

وفي الدّر المنثور: عن الحسن قال: خرج قوم إبراهيم عليه السّلام إلى عيدلهم وأرادوا إبراهيم عليه السّلام على الخروج فاضطجع على ظهره وقال: «إني سقيم» لا أستطيع الخروج وجعل ينظر إلى السمآء فلمّا خرجوا أقبل على آلهتهم فكسرها

أقول: وهو كما تراه، والحسن البصري كأبي هريرة من الوضّاعين...

وقد دلّت الأدلة العقلية وصرّحت الأدلة النقلية على عصمة الأنبيآء والمرسلين والأوصياء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بانهم لن يكذبوا فيما يؤدونه عن الله جلّ وعلا من حيث إنّه كان يؤدى إلى أن لا يوثق بشئ من أخبارهم، وإلى أن لا ينزاح علة المكلفين، ولا في غيرما يؤدونه عن الله تعالى من حيث إنّ تجويز ذلك ينفرعن قبول قولهم فاذاً يجب أن يقطع مَن له أدنى مسكة وكرامة العقل على أن الخبرلا أصل له، وأمّا قوله: «إنّي سقيم» فسيأتي ما نختارفيه، وأمّا قوله: «بل فعله كبيرهم» الانبيآء: ٦٣) فقد سبق منّا الكلام فيه في محلّه فراجع وأمّا قوله في سارة إنّها اختي أي انها اختي في الدّين فقد قال الله تعالى: «إنّما المؤمنون إخوة» الحجرات: ١٠) أي إنّها أُختي في الدّين، وإن لم يكونا ولدى أب واحد.

أقول: وفي بعض الأقوال روايات فانتظر، فانّ المقام مزالّ الأقدام...

٩١ - (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون)

في قوله تعالى: «فراغ إلى آلهتهم» أقوال: ١- عن السّدي أي ذهب إليهم. وذلك انّ إبراهيم عليه السّلام ذهب إلى تلك الآلهة في خفية حتى لا يرى فكأنه رجع إليها

مراوغاً قومه من روغان الثعلب. ٢ـ عن أبي مالك: أي جآء إليهم. ٣ـ عن قتادة: أي مال إليهم. ٤ـ عن قتادة أيضاً والكلبي: أي أقبل عليهم. ٥ـ قيل: أي عدل. ٦ـ قيل: أي راغ بقوله: «انّي سقيم» حتّى خلا بآلهتهم.

أقول: والمعاني متقارب.

وفي قوله تعالى: «ألا تأكلون» أقوال: ١ـ قيل: كان بين يدى الأصنام طعام تركوه ليأكلوه إذا رجعوا من العيد، وإنّما تركوه بركة أصنامهم وتقرّباً إليها بزعمهم. ٢ـ قيل: أي كانت عبدة الأصنام يتركون أنواع المأكولات بين يدى الأصنام للسّدَنة الّذين كانوا هم يأكلون مايوضع عندها من الطعام وغيره من المأكولات المختلفة، وينطقون عند الضعفة عن لسانها يوهمون أنها تأكل وتنطق. ٣ـ قيل: أي قرّب إبراهيم عليه السّلام إلى تلك الآلهة طعاماً على جهة الإستهزآء والتّهجين لعابديها فقال: «ألا تأكلون» وابطالاً لمعتقدهم بأنّ تلك الأصنام لا شأن لها، وتنبيهاً لهم على أنّ من لا يتكلّم ولا يقدر على الجواب، ولا يأكل كيف تصحّ عبادتها، وعلى أنّها جماد أخسّ الأشيآء وأقلّها شأناً.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسّرين وفي معناه الثّاني.

٩٣ـ (فراغ عليهم ضرباً باليمين)

في قوله تعالى: «ضرباً باليمين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والضّحاك والرّبيع بن أنس: أي فلما خلا مال على الأصنام فجعل يضرب آلهتهم ويكسرها بفأس كان في يده اليُمنى لأنها أقوى على العمل والضرب بها أشد. ٢ـ عن السّدي والفرّاء: إنّ المراد باليمين هنا القوّة والقدرة. ٣ـ قيل: معنى اليمين هنا القسم الّذي سبق منه وهو قوله: «وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين» الأنبيآء:٥٧) أي ضارباً بسبب الحلف السّابق منه ليبرّ في يمينه. ٤ـ قيل: اليمين هنا العدل ومنه قوله تعالى: «لأخذنا منه باليمين» الحاقة:٤٥) أي بالعدل، فالعدل لليمين والجور للشمال، ألا ترى أن العدوّ عن الشمال والمعاصي عن الشمال والطاعة عن اليمين ولذلك قال: «إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين» الصافات:٢٨) أي من قبل الطاعة، فاليمين هو موضع

العدل من المسلم، والشمال موضع الجور ألا ترى أنه بايع الله بيمينه يوم الميثاق، فالبيعة باليمين، فلذلك يعطى كتابه غداً بيمينه لأنه وفى بالبيعة، ويعطى الناكث للبيعة الهارب برقبته من الله بشماله لأنّ الجور هناك .

وقد ورد: أنّ عمر بن الخطاب بايع علياً أمير المؤمنين عليه السّلام يوم غدير خم بشماله إذ قال: بخ بخ... ثمّ نكث بيعته وجار على عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسّلم وصدّ الناس عن الحقّ والهدى، عن الخير والفلاح، وعن الصلاح والكمال، فانحطّ المسلمون بنكثه وجوره ما انحطّوا حتّى اليوم!!!

فقوله تعالى: «فراغ عليهم ضرباً باليمين» أي بذلك العدل الّذي كان بايع الله جلّ وعلا على إبراهيم عليه السّلام يوم الميثاق، وفّى له ههنا، فجعل تلك الأوثان جذاذاً: «فجعلهم جذاذاً» الأنبيآء:٥٨) أي فتاتاً كالجذيذة وهي السويق وليس من قبيل القوّة. ٥ـ قيل: أي فراغ عليهم صفقاً باليمين. ٦ـ قيل: إنّ في «اليمين» إشارة إلى الإرادة القوية الّتي كان يعمل بها في تحطيم تلك الأصنام، إذ كانت اليد اليمنى هي القوّة العاملة في تنفيذ هذه الإرادة.

أقول: ولكلّ وجه من غير تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

٩٤ ـ (فأقبلوا إليه يزفون)

في قوله تعالى: «يزفون» أقوال: ـ عن ابن عبّاس: أي فأقبلوا إليه يجرون. ٢ـ عن السّدي وقتادة: أي يمشون. وقيل: المعنى: يمشون بجمعهم على مهل آمنين أن يصيب أحد آلهتهم بسوء. ٣ـ عن مجاهد: أن ينسلون. ٤ـ قيل: أي يستعجلون ٥ـ قيل: أي فأقبل عبدة الأصنام بعد الفراغ من معيدهم إلى إبراهيم عليه السّلام يسرعون المشي فقالوا له: نحن نعبد آلهتنا هذه وأنت تكسرها؟! عن مجاهد أيضاً: يزفون زفيف النعام وهو حالة بين المشي والعدو. وقيل: من قولهم: زفت النعامة وذلك أوّل عدوها وآخر مشيها، فقد جآؤا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة. عن الحسن وابن زيد: أي يسرعون. وقيل: أي يتسللون تسللاً بين المشي والعدو ومنه

زفيف النعامة.

٦ـ قيل: أي يزفون دوابهم أي يسرعون دوابهم أو بعضهم بعضاً. ٧ـ عن الضحاك: أي يسعون. ٨ـ قيل: عن يحيى بن سلام: أي يُرعدون غضباً. ٩ـ عن مجاهد أيضاً: أي يختالون وهو مشي الخيلاء ومنه أُخِذَ زفاف العروس إلى زوجها.

أقول: والخامس هو الأنسب بمعناه اللغوى وعليه أكثر المفسرين.

٩٦ ـ (والله خلقكم وما تعملون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي والله خلقكم، وخلق الّذي تعملون منه الأصنام من الخشب والأحجار والنحاس وغيرها من الأشياء التي كنتم تنحتون منها هيئآت وهياكل وأجساماً بأيديكم وتسمّون مصنوعاتكم آلهة لكم تعبدونها وحالكون جوهرها وموادّها كلّها مخلوقة من مخلوقاته جلّ وعلا فلفظة «ما» موصولة كقوله تعالى: «بل ربّكم رب السموات والأرض الّذي فطرهنّ» الأنبيآء: ٥٦) فالمعنى: والله خلقكم وخلق الكون كله من الجماد والنبات والحيوان والأرض والسمآء منها أجرام تلك الأصنام المنحوتة بأيديكم... فكيف تتركون الخالق وتعبدون مخلوقه بعد تصويركم إياه بهيئة مخصوصة، وتسميتكم إياه إلهاً لكم، وليس هذا إلّا مخلوقاً مثلكم لله تعالى على أن جوهر الأصنام وموادّها بخلقه تعالى وإن كان تصويرها بفعلهم، ولذلك جعل من أعمالكم فليس نفس العمل من الله سبحانه كما توهم المجبرة بأنّ العمل مخلوق لله سبحانه! فالناحت لم يحدث فيه إلّا صورة معينة وهي عمله، فيكون المعنى: إنّ الشّيء الّذي لم يكن معبوداً لي صار بسبب تصرّفي فيه معبوداً لي وفساد هذا معلوم بالبداهة.

٢ ـ قيل: أي والله خلقكم وخلق أعمالكم... هذا بنآءً على أنّ «ما» موصولة.
٣ـ قيل: أي والله خلقكم وأيّ شيء تعملون؟ فـ «ما» إستفهاميّة معناه التحقير لعملهم. وقيل: أي والله خلقكم ويعلم ما تعملون على سبيل التقريع والإنكار والتوبيخ. ٤ـ قيل: أي والله خلقكم ولا تعملوا ذلك، لكن الله تعالى خالقه فـ «ما» نافية فالمعنى: ليس العمل لكم في الحقيقة، فأنتم لا تعملون شيئاً فيها.

أقول: والأوّل هو الصّواب المؤيد بالآيات الكريمة من مواضع قصّة إبراهيم عليه السّلام مع قومه وبنفس السياق لامرآء فيه لمن له أدنى مسكة في فهم كلام الله تعالى.

٩٧ ـ (قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه في الجحيم)

في قوله تعالى: «قالوا ابنوا له بنياناً» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس: أي بنوا حآئطاً من حجارة طوله في السمآء ثلاثون ذرعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاؤه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله: «فالقوه في الجحيم» ٢ ـ عن السّدي قال: فحبسوه في بيت جمعوا له حطباً حتّى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم فلمّا جمعوا له وأكثروا من الحطب حتّى إن كانت الطير لتمرّ بها، فتحترق من شدّة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان فرفع إبراهيم عليه السّلام رأسه إلى السمآء فقالت السمآء والأرض والجبال والملآئكة إبراهيم يحرق فيك؟ أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه وقال إبراهيم عليه السّلام حين رفع رأسه إلى السمآء: اللهم أنت الواحد في السمآء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض واحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل، فناداها: يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم.

٣ ـ قيل: أي قالوا: ابنوا لأجله بنياناً من الحجر طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً. ٤ ـ قيل: انهم بنوا له شبه الحظيرة، وأجّجوا فيها ناراً ليلقوه فيها. ٥ ـ قيل: أي ابنوا له بنياناً يشبه التّنور.

في تفسير **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبى قال في الآية الكريمة: «وذكر الطبرى أنّ قائل ذلك إسمه الهيرن رجل من أعراب فارس وهم الترك وهو الّذي جآء فيه الحديث: «بينما رجل يمشي في حلّة له، يتبختر فيها فخسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»».

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي «الجحيم» أقوال: ١ ـ عن الزجاج: كلّ نار بعضها فوق بعض وجمر فوق جمر فهي جحيم فلام «الجحيم» عوض عن المضاف إليه أي في جحيم ذلك

البنيان. ٢ـ قيل: الجحيم هي النار العظيمة. ٣ـ قيل: أي بنوا له بنياناً يشبه التنور فالقوه في جحيم ذلك البنيان. فالألف واللام عوض عن الضمير المضاف إليه أي جحيمه. ٤ـ قيل: أي في النار الشديدة الوقود ٥ـ قيل: الجحيم عند العرب النّار الّتي تجتمع بعضها على بعض.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

٩٨ـ (فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين)

في «الأسفلين» أقوال: ١ـ قيل: أي الأذلّين حجة. ٢ـ قيل: أي المقهورين عند الإلقآء فخرج إبراهيم عليه السّلام من النّار سالماً. ٣ـ قيل: أي المغلوبين إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها، ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم. فالمعنى: وغلبنا عليهم إبراهيم عليه السّلام بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به الكيد. ٤ـ عن قتادة: أي فما ناظرهم بعد ذلك حتّى أهلكهم. ٥ـ قيل: أي أشرفوا عليه فرأوه سالماً، وتحقّقوا أنّ كيدهم لا ينفذ فيه، وعلموا أنهم مغلوبون لا طاقة لهم به.

أقول: ولكلّ وجه، والتّعميم غير بعيد مع تقارب المعاني فتأمّل جيّداً.

٩٩ـ (وقال إني ذاهب إلى ربّي سيهدين)

في قوله تعالى: «وقال إنّي ذاهب إلى ربي» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي لمّا خلّصه الله تعالى من النّار وأنقذه منها وأذلّ قومه وأرادوا أنّ يخرجوه من مولده ومشهده وهو بلدة بسواد العراق في أرض بابل تسمى «كوثى ربى» وبها طرح في النّار، قال إبراهيم توبيخاً لهم: إنّي مهاجر إلى ربّي أهجر ديار الكفر، وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه وهي الأرض المقدسة. وقال مقاتل: وهو أوّل مَن هاجر ومعه لوط وسارة إلى الشام. ٢ـ قتادة: أي إني ذاهب إلى مرضاة ربي بعملي الصالح ونيتي الخالصة، وقلبي السليم. فعلى هذا كان ذهابه عليه السّلام بالقلب والنيّة وصالح العمل لا بالبدن. وقيل: خرج إبراهيم عليه السّلام إلى حران فأقام بها مدة.

٣ـ قيل: إنّما قال إبراهيم: إنّى ذاهب إلى حين أرادوا أن يلقوه في النّار. ٤ـ

قيل: قال إبراهيم ذلك لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك منه ترغيباً. ٥ـ قيل: قال إبراهيم: هذا قبل إلقآئه في النّار أي إنّي ذاهب إلى ما قضاه عليّ ربّي أو انى ميت كما يقال لمن مات: قد ذهب إلى الله تعالى لأنه تصوّر أنّه يموت بالقائه في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها إلى أن قيل لها: «كوني برداً وسلاماً» فحينئذ سلم إبراهيم منها.

أقول: والأول هو المرويّ عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله: «سيهدين» أقوال: ١ـ قيل: قال إبراهيم عليه السّلام حين هاجر: يهديني ربّي فيما بعد إلى طريق المكان الّذي أمرني بالمصير إليه. ٢ـ قيل: أي سيهديني إلى الجنّة بطاعتى إياه. ٣ـ قيل: وإنّما قال: «سيهدين» ترغيباً لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخاً لقومه الّذين أخرجوه من مولده ومشهده. ٤ـ قيل: أي سيرشدني إلى ما فيه صلاح في دينى ويعصمنى ويوفقنى. قال ذلك إعتماداً على فضل الله تعالى أو عرف ذلك بالوحى. ٥ـ قيل: أي سيبصرني ويعيننى على مرضاته. ٦ـ قيل: أي سيهدينى فيما نويت إلى الصواب.

٧ـ قيل: أي سيهديني إلى الخلاص من النار. عن سليمان بن صُرد أنّه قال: لمّا ارادوا إلقآء إبراهيم عليه السّلام في النّار جعلوا يجمعون له الحطب، فجعلت المرأة العجوز تحمل على ظهرها وتقول: أذهب به إلى هذا الّذي يذكر آلهتنا، فلمّا ذُهِبَ به ليطرح في النّار قال: إنّي ذاهب إلى ربّي، فلمّا طرح في النّار قال: «حسبى الله ونعم الوكيل» فقال الله عزّوجلّ: «يا نار كوني برداً وسلاماً» . ٨ـ قيل: أي سيزيدنى هدىً.

أقول: والثالث هو المستفاد من الرّوايات الواردة وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٠١ ـ (فبشّرناه بغلام حليم)

في الغلام الحليم قولان: أحدهما ـ أنّه إسمعيل بن إبراهيم عليهما السّلام. ثانيهما ـ هو إسحق بن إبراهيم عليهما السّلام.

أقول: والأوّل هو المؤيد بنفس السياق، وبالآيات الكريمة من مواضع القصّة،

وإن الروايات فيه مستفيضة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والقول الثّاني كذب محض، ودسيسة ووسوسة مردودة بلا مرآء. وأماما ذكر من القائلين في الثاني فمنهم كإبن عبّاس ومَن إليه ولعمرى إنّهم ما قالوا ذلك بل نسب المخالفون الكذّابون هذا القول السّخيف إليهم كما هو دأبهم وديدنهم من غير مبالات في التحريف والجعل والوضع والكذب والافتراء في كلّ ظرف وأما كعب الأخبار وأبى هريرة وأضرابها فهم عمّال الدّسائس وعبيد الوساوس.

١٠٢ ـ (فلمّا بلغ معه السّعي قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شآء الله من الصّابرين)

في قوله تعالى: «فلمّا بلغ معه السّعي» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي فلمّا بلغ الغلام الحليم مع أبيه إبراهيم عليه السّلام المبلغ الّذي تمكّن أن يسعى مع أبيه في امورد نياه، وأن يعينه على أعماله، ويسعى في منافعه وفي طاعة الله تعالى. ٢ـ عن مجاهد والضحاك: أي شبّ وأدرك سعيه سعى أبيه إبراهيم في العمل. ٣ـ عن الفرّآء: كان الغلام يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. وعن إبن عبّاس: بلغ الإحتلام. ٤ـ عن الضحاك أيضاً وقتادة: أي مشى مع أبيه أي قوّى على أن يمشي مع أبيه في حوآئجه ويعينه على اموره. ٥ـ عن الحسن ومقاتل: هو سعى العقل الّذي تقوم به الحجة. ٦ـ عن إبن زيد والكلبي: هو السّعي في العبادة. ٧ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي صام وصلّى ألم تسمع الله عزّوجلّ يقول: «وسعى لها سعيها» الاسراء: ١٩) ٨ـ قيل: إنّه بلغ سبع سنين.

أقول: والأول هو المروي والمؤيد بظاهر السياق وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمل جيّداً.

في المجمع: في قوله تعالى: «قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى» قال: معنى رأى في الكلام على خمسة اوجه: **أحدها** ـ أبصر. **والثاني:** علم نحو رأيت زيداً عالماً. **والثالث:** ظنّ كقوله تعالى: «انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً» **والرابع:** إعتقد نحو قوله:

وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولٌ

والخامس: بمعنى الرأى نحو رأيت هذا الرأى وأما رأيت في المنام فمن رؤية البصر، فمعنى الآية: إنّ إبراهيم قال لإبنه: إنّي أبصرت في المنام رؤياً تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه؟ أو أيّ شيء ترى من الرأي؟ ولا يجوز أن يكون «ترى» ههنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شيء يبصر بالعين، ولا يجوز أن يكون بمعنى علم أو ظنّ أو اعتقد لأن هذه الأشيآء تتعدّى إلى مفعولين، وليس هنا إلى مفعول واحد مع استحالة المعنى، فلم يبق إلّا أن يكون من الرأي، والاولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه في حال اليقظة، وتعبّده بأن يمضي مايأمره به في حال نومه من حيث إنّ منامات الأنبيآء لا تكون إلّا صحيحة، ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة لما كان يجوز أن يعمل على مايراه في المنام.

وقال سعيدبن جبيرعن إبن عبّاس: منامات الأنبيآء وحي، وقال قتادة: رؤيا الأنبيآء حقّ إذا رأوا شيئاً فعلوه وقال أبومسلم: رؤيا الأنبيآء مع أنّ جميعها صحيحة ضربان:

أحدهما: أن يأتي الشّيء كما رأوه ومنه قوله سبحانه: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلن المسجد الحرام» الآية. **والآخر:** أن يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام وذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين وكأن رؤيا إبراهيم من هذا القبيل لكنّه لم يأمن أن يكون مارآه ممّا يلزمه العمل به على الحقيقة، ولا يسعه غير ذلك فلمّا أسلما أعلمه الله سبحانه أنه صدق الرؤيا بما فعله، وفدى إبنه من الذّبح بالذّبح.

١٠٣ ـ (فلمّا أسلما وتلّه للجبين)

في قوله تعالى: «فلمّا أسلما» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس ومجاهد والسّدي: أي فلمّا استسلما لأمر الله تعالى ورضيا حكمه فيهما، وأرادا تنفيذ أمره واطاعاه. ٢ ـ عن قتادة: أي لمّا سلم الأب إبنه لله تعالى، وسلم الإبن نفسه لله عزّوجلّ.

٣ ـ عن أبي صالح: أي فلمّا اتفقا على أمر واحد. ٤ ـ عن عكرمة: أي فلمّا أسلما

جميعاً لأمر الله ورضي إسمعيل بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، فقال إسمعيل: يا أبت اقذفني للوجه كيلا تنظر إليّ فترحمني، وانظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن ادخل الشفرة من تحتي وامض لأمر الله تعالى.

أقول: ولكلّ وجه، من غير تناف بينها.

وفي قوله تعالى: «وتلّه للجبين» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي وضع جبينه على الأرض لئلاّ يرى وجهه، فتلحقه رقة الآبآء. ٢ـ عن الحسن: أي اضطجعه على جبينه. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً وإبن زيد: أي كبّه لوجهه وحوّله إلى القبلة لأن إسمعيل قال لأبيه: إذ بحني وأنا ساجد ولا تنظر إليّ حتّى لا تدركك رقة تحول بينك وبين أمر الله. ٤ـ قيل: أي وصرعه. ٥ـ قيل: أي سحبه وطرحه على الأرض وجعل جبينه نحوها تهيّئواً لذبحه ووضع السكين على حلقه. ٦ـ قيل: أي اضجعه على تلّ ـ أي مرتفع من الأرض ـ لئلاّ يتزمّلّ في دمآئه...

أقول: والسادس هو الأنسب بمعناه اللغوى وهو المؤيد بالروايات...

١٠٦ ـ (إنّ هذا لهو البلآء المبين)

في «البلاء المبين» أقوال: ١ـ عن إبن زيد: إنّ البلآء في هذا الموضع هو من البلاء المكروه وهو الشّرّ، وليس من بلآء الإختبار. ٢ـ قيل: أي إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك اسمعيل لهو الإختبار الّذي يبين لمن فكّر فيه، وذلك ان هذا الأمر الّذي قد وقع لهو البلاء المبين الّذي يتميّز فيه المخلص عن المدّعي. ٣ـ قيل: أي المحنة العظيمة البيّنة الصعوبة الّتي لا أصعب منها، والمكروه الّذي لا أصعب على النفس منه. ٤ـ قيل: أي إن هذا لهو النعمة الظاهرة، وقد سميّت النعمة بلاء بسببها المؤدّي إليها، كما يقال لأسباب الموت هي الموت لأنّها تؤدّى إليه. ٥ـ قيل: أي الإختبار الظاهر والامتحان الشديد إذ إختبرنا إبراهيم بذبح ولده، واختبرنا إسمعيل بفدآء نفسه.

أقول: وعلى الثاني جمهور المحققين وهو المؤيد بالروايات من غير تناف بينه وبين الثالث والخامس فتأمل جيّداً.

١٠٧ ـ (وفديناه بذبح عظيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك: أي وفدينا إسمعيل بكبش عظيم. فالفداء هو جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، فكذلك فداء الله جلّ وعلا إسمعيل بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه. والعظيم أي السمين ضخم الجثة بالقياس إلى أمثاله وهي السنّة في الأضاحي. عن سعيد بن جبير: حقّ له أن يكون عظيماً أملح وقد رعى في الجنّة أربعين خريفاً. وعن إبن عبّاس: إنه الكبش من الغنم الّذي قربه هابيل، فقبل منه وكان يرعى في الجنّة إلى أن فدى به إسمعيل عليه السّلام فالمعنى: وجعلنا مكان ذبح إسمعيل ذبح بكبش عظيم وأنقذناه من الذبح.

٢ ـ قيل: سمّى عظيماً لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فدآءً عن ولد خليله. ٣ـ قيل: وصفه الله تعالى بالعظيم لبقآء أثره إلى يوم القيامة، فإنه ما من سنّة إلّا ويذبح بسبب ذلك من الأنعام مالا يحصيه إلّا الله تعالى. ٤ـ عن إبن عبّاس أيضاً والحسن: أنه وعل أهبط على إبراهيم عليه السّلام من ثبير. قيل له: عظيم لأنه ذبح، ذبح بالحقّ وذلك ذبحه بدين إبراهيم فتلك السنة إلى يوم القيامة. والوعل: التيس الجبلى. وعن السدى: نودى إبراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح ينحط من الجبل، فقام عند إبراهيم عليه السّلام فذبحه، وخلى إبنه.

٥ـ عن مجاهد: العظيم: المتقبل أي كان مقبولاً عند الله تعالى. وعنه أيضاً: الذبح العظيم هو الشاة. ٦ـ قيل: سمّى عظيماً لأنه كان من عند الله كوّنه ولم يكن عن نسل. ٧ـ قيل: سمّى عظيماً لانه فدآء عبد عظيم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

١١٣ ـ (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

في قوله تعالى: «وباركنا عليه وعلى اسحق» أقوال: ١ـ قيل: أي وباركنا على الغلام المبشّر به وهو إسمعيل وعلى إسحق. فالضمير: «عليه» راجع إلى إسمعيل وهو الذبيح. والمعنى: وجعلنا فيما أعطينا إسمعيل واسحق من الخير والبركة يعنى

النمآء والزيادة. قال المفضّل: الصحيح الّذي يدلّ عليه القرآن أنه اسمعيل، وذلك أنه قصّ قصّة الذبيح، فلمّا قال في آخر القصّة: «وفديناه بذبح عظيم» ثمّ قال: «سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين» قال: «وبشّرناه بإسحق نبيّاً من الصالحين وباركنا عليه» أي على اسمعيل «وعلى إسحق» كنى عنه لأنه قد تقدّم ذكره ثمّ قال: «ومن ذريتهما» فدلّ على أنهاذرية إسمعيل وإسحق، وليس تختلف الرواة في أن اسمعيل كان أكبر من اسحق.

٢ـ قيل: أي وباركنا على إبراهيم وعلى إسحق بأن كثّرنا أولا دهما وثنّينا عليهما النعمة. ٣ـ قيل: أي وباركنا على يعقوب وعلى إسحق إذ خلق من ذريتهما الخلق الكثير.

أقول: والأوّل هو المروي ويدل عليه نفس السّياق من غير خفآء على من له أدنى تأمل في القرآن الكريم فضلاً عن المتدبّرين في آياته.

وفي قوله تعالى: «ومن ذريتهما» أقوال: ١ـ قيل: أي وكثّرنا ولد إسمعيل الّذي ينتهى إليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وذريته إلى يوم القيامة، وولد إسحق حين أخرجنا ألف نبي من أنبياءبني اسرائيل من صلبه أوّلهم يعقوب وآخرهم عيسى فالمراد كثرة ولد اسمعيل وإسحق وبقاؤهم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة. ٢ـ قيل: أي ومن أولاد إبراهيم وإسحق والمعنى: وباركنا على ذرية إبراهيم وذرية اسحق بتكثير نسلهما وافضنا على ذريتهما بركات الدّين والدّنيا، وجعلنا ما أعطيناهم من الخير دائماً ثابتاً نامياً.

٣ـ قيل: أي وباركنا على ذرية يعقوب واسحق إذ خلقنا من ذريتهما الخلق الكثير. ٤ـ قيل: أي ومن ذرية اسمعيل وإسحق كانوا على طائفتين: الطائفة المحسنون والطائفة الظالمون.

أقول: والرابع هو المروى والمؤيد بالسّياق فتأمل جيداً ولا تغفل.

١١٥ ـ (ونجيّناهما وقومهما من الكرب العظيم)

في قوله تعالى: «من الكرب العظيم» أقوال: ١ـ قيل: أي من الرق الّذي لحق

بنى إسرائيل. ٢ـ عن السّدي وقتادة: أي من الغرق الّذي لحق فرعون وقومه. ٣ـ قيل: أي من الغم المكروه الّذي كانوا فيه من عبودة آل فرعون، وممّا أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق. ٤ـ قيل: أي من تسلّط فرعون وتغلّبه وجفائه على قومه واستعباده بنى اسرائيل، ومن تسخير قوم فرعون إياهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة. ٥ـ قيل: أي من ظلم الظالمين.

أقول: ولكلّ وجه، والتّعميم غير بعيد.

١٢٣ ـ (وإنّ إلياس لمن المرسلين)

في «إلياس» أقوال: ١ـ عن إبن مسعود وقتادة وعكرمة: إنّ إلياس هو إدريس. ٢ـ عن إبن عبّاس ومحمّد بن اسحق: هو نبيّ من أنبيآء بنى إسرائيل من ولد هارون بن عمران، إبن عمّ اليسع، وهو بعث بعد حزقيل النّبي عليه السّلام لما عظمت الأحداث في بنى إسرائيل، وكان يوشع لمّا فتح الشام بوّاها بنى إسرائيل، وقسّمها بينهم، فأحلّ سبطاً منهم ببعلبك وهم سبط إلياس، بعث فيهم نبياً إليهم، فأجابه الملك ثمّ إنّ إمرأته حملته على إن ارتدّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله، فهرب إلى الجبال والبرارى... وقيل: إن إلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كلّ يوم عرفة بعرفات.

وقال إبن عبّاس: إن الياس إستخلف اليسع على بنى إسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم، وقطع عنه لذّة الطعام والشراب وكساه الريش، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وسلّط الله على الملك وقومه عدوّاً لهم، فقتل الملك وامرأته وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو إسرائيل، وعظّموه وإنتهوا إلى أمره.

٣ ـ عن وهب: إنّ إلياس هو ذو الكفل. ٤ـ قيل: إنّه نبى من بني إسرائيل بعث بعد موسى عليه السّلام وهو المذكور في التّوراة باسم: ايليا بن متى. ٥ـ قيل: الخضر هو إلياس.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسرين والمورّخين.

١٢٥ ـ (أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

في قوله: «(أتدعون بعلاً)» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى: أي أتدعون لكم إلهاً ورباً من دون الله. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً والضحاك وإبن زيد وعطا: البعل إسم صنم كان لهم يسمّونه بعلاً ويعبدونه وبذلك سمّيت مدينتهم بعلبك. وجمع القولين أن المعنى: أتدعون صنماً عملتموه إلهاً ورباً. يقال: هذا بعل الدار أي ربها. فالمعنى: أتسمّون صنماً اختلقتموه إلهاً ورباً.

وعن مجاهد وقتادة والسّدي وعكرمة: البعل ـ بلغة اليمن ـ: الربّ والسيّد وسمع إبن عباس رجلاً من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: مَن بعل هذه؟ أى مَن ربها ومنه سمى الزوج بعلاً. الزوج ربّ الزوجة كأنه مالكها وسيّدها.

عن مقاتل: كان البعل صنماً كسره إلياس وهرب منهم. وقيل: كان البعل من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة اوجه فُتِنُوا به وعظّموه حتّى أخدموه أربعمأة سادن، وجعلوهم أنبيآءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلّم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها و يعلمونها النّاس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سمّيت مدينتهم بعلبك.

٣ـ عن إبن اسحق: البعل أمرأة كانوا يعبدونها. ٤ـ قيل: البعل ههنا ملك. ٥ـ قيل: أي أتدعون الله رجلاً وتلبسونه صفات الرجال وتتركون دعوته بالصفات اللائقة به وهو أحسن الخالقين وربّ العالمين.

٦ـ قيل: بعل هو معبود بلاد الشام جميعها: أي سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين قبل الميلاد المسيحى، وكان يعنى إله القمر أو إله السمآء وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضاً حيث يبدو أنه من آلهة الجنس العربى الرئيسية، وقد قُرِئ في آثار اليمن إسم (بعل سمين) بمعنى إله السمآء. وقد دخلت كلمة بعل في عداد اللغة العربية قبل الإسلام وصارت بمعنى الزوج ومالك الشئ. وقد وردت في آيات عديدة من القرآن الكريم بمعنى الزوج ومنها قوله تعالى حكاية عن سارة: «(يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً)» هود: ٧٢)

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها لتنوّع معبودات العرب وأنحآئها...

وفي قوله: «وتذرون أحسن الخالقين» أقوال: ـ قيل: ما اريد بالأحسن التّفضيل بين الفاضل والمفضول، حيث يثبت لغيره تعالى أن يخلق ولكنّه سبحانه يخلق ولكن أحسن من غيره. وذلك انّ أفعل التّفضيل إذا أضيف كان لبيان صفة الذات لا يشتركه فيها أحد، فليس للمفاضلة بين الإ ثنين، فلا يكون لبيان صفة الفعل كما اذا تم بالألف واللام أو بحرف «من» فالمعنى: أنّ الله جلّ وعلا أحسن الخالقين الّذي ليس سواه خالق أن يخلق إذ لا يقدر أحد سواه تعالى أن يخلق شيئاً فلا يقاس بخلقه، والجمع: «الخالقين» للتّعظيم كقوله تعالى: «إنا أنزلناه في اليلة القدر».

٢ ـ قيل: أي وتتركون أحس مَن يقال له: خالق. ٣ـ قيل: أي أحسن الصانعين لأنّ النّاس يصنعون ولا يخلقون. وقيل: إنّ المعنى: وتتركون عبادة أحسن الخالقين. ٤ـ قيل: أي أحسن المقدّرين على أنّ الخلق هنا بمعنى التّقدير.

أقول: والأول هو الأنسب بسياق البلاغة، وإن كان غيره لا يخلو من وجه.

١٢٧ ـ (فكذّبوه فإنّهم لمحضرون)

في قوله تعالى: «لمحضرون» أقوال: ١ـ قيل: أي لمحضرون بين يدى الله سبحانه للحساب يوم القيامة. ٢ـ عن قتادة: أي لمحضرون للنار والعذاب في جهنم فيشهدونها. ٣ـ قيل: أي سُيساقون إلى موقف الحساب يوم القيامة، ثمّ يجزون جزآء المكذّبين بالنّار والعذاب.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

١٣٠ ـ (سلام على إل ياسين)

في «إل ياسين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وأبي مالك: أي سلام على آل ياسين وهم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم. ٢ـ قيل: إنّ المراد من «إل ياسين» هو إلياس المذكور بأن إل ياسين إسم آخر لا لياس. ٣ـ قيل: كان إسم إلياس ياساً، فد خلت الألف واللام على ياس للتعريف فصار إلياس، ثمّ اضيف إلى الياء والنّون فإنّ المراد هو أهله المؤمنون به فالسلام عليه وعلى المؤمنين به، فالفها للوصل والياء

والنّون للجمع. ٤ـ قيل: كان إسمه ياسين فدخلت عليه الألف واللام التّي للتعريف فالألف للوصل.

٥ ـ قيل: أي إدريس بن ياسين أي سلام على أهل ياسين. ٦ـ قيل: يس إسم القرآن الكريم، فكأنه قيل: سلام على مَن آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الّذي هو يس. ٧ـ قيل: يس إسم لسورة «يس» والمعنى: سلام على مَن آمن بسورة «يس» ٨ـ عن الفرآء: إلياسين هو إلياس وأتباعه من المؤمنين. ٩ـ قيل: إلياسين جمع إلياس والمراد هو وأهله، فأهله داخلون فيه.

أقول: والروايات عن أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته مستفيضة على الأوّل فلا تغفل.

ثمّ إنّ إلياس إسم نبيّ من الأنبيآء صلوات الله عليهم أجمعين، عَلَمٌ مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام لا يدخل عليه الألف واللام، فلا يقال: النّوح والإبراهيم... ولا يجمع بالواووالنّون ولا يقال ـ نصباً وجرّاً مثلاً ـ نوحين، وإبراهيمين... ولو كان المراد آل إلياس لقيل: آل إلياس لا إل ياسين، ولو لم يقل: سلام على آل سائر الأنبيآء لماذا قيل: سلام على المؤمنين بالياس، أكان المؤمنون أهله أم آله؟؟؟

ولعمرى إنّ تأويل «إل ياسين» على غير آل محمّد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم هو دسيسة المخالفين، ووسوسة المعاندين، وذبذبة المبغضين خذلهم الله عزّوجلّ في الدّارين.

١٤١ ـ (فساهم فكان من المدحضين)

في قوله تعالى: «من المدحضين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدي والحسن: أي من المقروعين. ٢ـ قيل: أي من المغلوبين في الحجة وغيرها. والمعنى: من المغلوبين الساقطين الّذين خاب سهمهم... ومنه حجّة داحضة أي ساقطة غير مقبولة. وحقيقة المدحض: الّذي أزلق عن مقام الظفر والغلبة، وأرض دَحْض: زلق لا يثبت مَن يمشي عليها. ٣ـ قيل: أي من المغوصين. ٤ـ عن مجاهد: أي من

المسهومين. ٥- قيل أي من المغلوبين بالقرعة.

٦- قيل أي من الملقين في البحر. ٧- قيل: أي من المبغوضين.

أقول: ولكلّ وجه من غير تنافٍ بينها.

١٤٢ - (فالتقمه الحوت وهو مليم)

في قوله تعالى: «مليم» أقوال: ١- عن قتادة: المليم مَن أتى بما يلام عليه. فلُومَ يونس عليه السّلام في صنعه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربّه، هذا هو لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه، وقد وقع ذلك منه تركاً للمندوب، وقد يلام الإنسان على ترك المندوب لوم عتاب لا لوم عقاب. هذا معنى المليم وأما الملوم فهو الّذي يلام استحقّ ذلك أم لم يستحقّ. ٢- قيل: المليم: المعيب، يقال: لام الرجلّ إذا عمل شيئاً فصار معيباً بذلك العمل. ٣- قيل: أي هو داخل في الملامة ومنه المثل: «ربّ لائم مليم» أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم. ٤- عن مجاهد وإبن زيد: أي مذنب. ٥- قيل: أي مليم نفسه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٤٣ - (فلولا أنّه كان من المسبحين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير والسّدي: أي لو لم يكن يونس عليه السّلام من المصلّين كثير الصلاة في حال الرخاء لما نجّاه الله تعالى عند البلآء. وكان يقال في الحكمة: «إنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا ما صرع وجد متكأ» قال سعيد بن جبير: كان يونس عليه السّلام من المصلّين قبل أن يدخل بطن الحوت، فصارت كثرة صلاته من قبل، سبباً لنجاته من بطن الحوت كما ورد: فاذكروا الله في الرخآء يذكركم في الشدّة. وكما قيل: اذكر الله في الخلوات يذكرك في الفلوات... وقد ورد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «من استطاع منكم ان تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل» وذلك انّ العبد إذا اجتهد وحرص على خصلة من صالح عمله، ويخلص فيها بينه وبين ربّه، ويدّخرها ليوم فاقته وفقره ويخبئوها بجهده ويسترها عن خلقه يصل إليه نفعها أحوج ما كان إليه.

وإنّ يونس عليه السّلام كان عبداً صالحاً ذاكراً لله تعالى في مدّة عمره فلمّا وقع في بطن الحوت قال الله عزّوجلّ: «فلولا أنّه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون» وإنّ فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله في حياته: «حتّى إذا أدركه الغرق قال امنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين» فقيل له: «ءآلئن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» يونس: ٩٠-٩١)

قيل: أي كان من الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: «لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» الأنبيآء: ٨٧)

٣-عن سعيد بن جبير: إنّه كان من المسبّحين دائماً قبل التقام الحوت إياه وبعده وكان تسبيحه أنّه كان يقول مكرراً مردّداً: «لا إله إلّا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين». ٤- قيل: أي كان من المنزّهين الله تعالى عمّا لا يليق به ولا يجوز في صفته الذاكرين له. ٥-عن مجاهد: أي كان من العابدين الله قبل ذلك وعن وهب: أي كان من العابدين.

٦- قيل: أي كان من الذاكرين الله كثيراً بالتّسبيح والتّقديس مدّة عمره. ٧-عن أبي العالية: أي كان له عمل صالح فيما خلا. ٨-عن الحسن: أي ما كانت إلّا صلاة أحدثها في بطن الحوت. ٩-عن الحسن ايضاً: ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنّه قدّم عملاً صالحاً في حال الرخآء فذكره الله به في حال البلاء. ١٠ - عن مقاتل: أي كان من المصلّين المطيعين قبل المعصية.

اقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيداً.

١٤٤ - (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)

في قوله تعالى: «للبث في بطنه» أقوال: ١- قيل أي يبقى يونس عليه السّلام والحوت حييّن معاً إلى يوم البعث. ٢- قيل: أي يموت الحوت، ويبقى يونس عليه السّلام حياً في بطنه إلى يوم القيامة فكان بطنه قبره حياً. ٣- قيل: يموتان كلاهما، وكان البحر قبرهما معاً ثمّ يحشر يونس عليه السّلام من بطنه يوم القيامة. ٤- عن قتادة: أي لصار بطن الحوت قبراً ليونس عليه السّلام إلى يوم البعث ٥- قيل: أي لكان يونس

عليه السّلام ميتاً في بطن الحوت إلى يوم يبعثون إذ كان يُهضم يُونس عليه السّلام كبقيّة أنواع الطعام، ويتحوّل إلى غذآء له كسآئر أنواع الأغذية الّتي يأكلها كهضم التراب جسد الموتي فيحيى ليوم الحساب.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين وهو الأنسب بظاهر السياق.

وفي لبث يونس عليه السّلام في بطن الحوت أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وأبي مالك والسّدي والكلبى ومقاتل وإبن جريج: إنّ يونس عليه السّلام لبث في بطن الحوت أربعين يوماً. ٢ـ عن الضحاك: عشرين يوماً. ٣ـ عن سعيد بن جبير وعطاء: سبعة أيام.

٤ـ عن قتادة ومقاتل بن حيان: ثلاثة أيام. ٥ـ قيل: أي ساعة واحدة.

٦ـ عن الحسن: إنّ يونس عليه السّلام لم يلبث في بطن الحوت إلّا قليلاً. ٧ـ عن الشعبى: إلتقمه الحوت ضحًى، ولفظه عشية ما بات في بطنه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «إلى يوم يبعثون» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بيوم يبعثون النفخة الاولى الّتي فيها يموت الخلائق كلّهم. ٢ـ قيل: أي النفخة ـ الثانية الّتي تحيى الخلائق أجمعون للحساب والجزآء. ٣ـ قيل: إنّ التّأجيل بيوم القيامة كناية عن طول البعث.

أقول: والثّاني «هو الأنسب بظاهر السّياق.

١٤٥ ـ (فنبذناه بالعرآء وهو سقيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة والفرّآء: أي فطرحناه بالمكان الخالى الّذي لا نبت فيه ولا شجر ولا ظل ولا سقف ولا خباء يستظل به. ٢ـ عن إبن عبّاس والسّدي وسعيد بن جبير: أي رميناه بالساحل إذ ألهم الله تعالى الحوت حتى قذفه ورماه من وجه على ساحل البحر. ٣ـ قيل: أي على شط دجلة ونينوى. ٤ـ قيل: أي فألقيناه على اليابسة ضعيفاً كالفرخ بلا ريش. ٥ـ قيل: قذفه بساحل قرية من الموصل. ٦ـ عن إبن الأعرابي: أي بالصحرآء. ٧ـ عن الأخفش: أي بالفضآء ٨ـ عن

أبي عبيدة: أي بالواسع من الأرض. وقال: العرآء وجه الأرض.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٤٦ ـ (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

في «يقطين» أقوال: ١ـ قيل: هي شجرة التين. ٢ـ قيل: هي شجرة الموز تغطّى بورقها، واستظلّ بأغصانها، واغتذى على ثمارها. ٣ـ قيل: هي شجر الدُّبّآء. وقال المبرّد: يقال لكلّ شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الأرض يقطينة نحو الدُّبّآء والبطّيخ والحنظل. وفي الخبر: «الدُّبّآء والبطّيخ من الجنّة» فإن كان لها ساق يقلها فهى شجرة فقط، وإن كانت قآئمة أي بعروق تفترش فهى نجمة وجمعها نجم قال الله تعالى: «والنجم والشجر يسجدان» الرحمن: ٦)

وعن إبن عبّاس والحسن ومقاتل: كلّ نبت يمتدّ ويبسط على الأرض ولا يبقى عل استوآء وليس له ساق نحو القثّاء والبطّيخ والقرع والحنظل فهو يقطين يبقى من الشتآء إلى الصيف. وعن سعيد بن جبير: اليقطين هو كلّ شيء على وجه الأرض ليس له ساق ينبت ثمّ يموت من عامه، فيدخل في هذا الموز وهو مالا ساق له. وعن الجوهرى: اليقطين: مالا ساق له كشجر القرع ونحوه. وعن إبن عبّاس أيضاً: كلّ شجرة لها ورق عريض فهي يقطين. وقيل: إنّما خصّ اليقطين بالذّكر لأنّه لا ينزل عليه ذباب، ولا يجتمع عليه.

٤ ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير أيضاً وإبن مسعود وقتادة وإبن وهب والضّحاك وإبن زيد والسّدي ومجاهد: اليقطين: القرع، والعرب تسميّه الدُّبّآء. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إنك لتحبّ القرع؟» قال صلى الله عليه وآله وسلّم: أجل هي شجرة أخي يونس عليه السّلام. وقيل: كلّ نبت يمتدّ على وجه الأرض كالقرع يقطين. وقيل: ما كان ثمَّ يقطين فأنبته الله تعالى في الحال، وذلك كالمعجزة له، وكان اليقطين قائماً بحيث يحصل له ظلّ وهي القرع تظلّه بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، فكان نبته في الحال وقيامه كلاهما معجزتين ليونس عليه السّلام. ٥ـ عن سعيد بن جبير: اليقطين شجرة سمّاها الله تعالى يقطيناً أظلّته وليس بالقرع.

أقول: وعلى الرابع أكثر المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق وبمعناه اللّغوى فتدبّر جيّداً.

١٤٧ ـ (وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون)

في قوله تعالى: «وأرسلناه إلى مأة ألف» أقوال: ١ ـ عن قتادة والحسن: أي إنّ الله سبحانه أرسل يونس عليه السّلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل، قبل أن يصيبه ما أصابه. ٢ ـ عن إبن عبّاس: كانت رسالة يونس عليه السّلام هذه بعد ما نبذه الحوت. فعلى هذا يجوز أن يكون أُرسلَ يونس عليه السّلام إلى قوم بعد قوم، ويجوز أن يكون أُرسلَ إلى الأوّلين بشريعة فآمنوا بها. ٣ ـ عن مجاهد: أي وأرسلناه قبل أن يلتقمه الحوت. ٤ ـ قيل: أي وأرسلناه بعد ذلك كقبله إلى قوم نينوى من أرض الموصل، وذلك أنّ قوم يونس عليه السّلام آمنوا وندموا قبل أن يروا العذاب لأنّ فيه أنّه أخبرهم أنّه يايتهم العذاب إلى ثلاثة أيّام، ففرقوا بين كلّ والدة وولدها، وضجّوا ضجّة واحدة إلى الله تعالى.

أقول: وعلى الرابع أكثر المحققين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «أو يزيدون» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس ومقاتل وأُبيّ بن كعب: كانت الزيادة على مأة ألف، عشرين ألفاً. ٢ ـ عن إبن عبّاس أيضاً والحسن الربيع: كانت بضع وثلاثين ألفاً. ٣ ـ عن إبن عبّاس أيضاً وسعيدبن جبير ومقاتل بن حيان: كانت الزيادة سبعين ألفاً. ٤ ـ عن إبن عبّاس أيضاً: كانت بضعة وأربعين ألفاً. ٥ ـ عن إبن عبّاس أيضاً: كانت ثلاثين ألفاً. ٦ ـ عن المبرّد: أي وأرسلنا يونس إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مأة ألف أو أكثر. ٧ ـ عن الأخفش والزجاج: أي أو يزيدون في تقديركم.

أقول: والخامس هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومينن صلوات الله عليهم أجمعين.

١٤٨ ـ (فآمنوا فمتّعناهم إلى حين)

في «إلى حين» قولان: ١ ـ عن قتادة والسّدي: أي إلى منتهى آجالهم من

الموت في هذه الحياة الدّنيا. ٢- قيل: أي إلى يوم القيامة.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه أكثر المفسرين.

١٥٨ - (وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون)

في قوله تعالى: «وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة وعكرمة وعطية وأبى صالح وأبى مالك والجبائي: إنّ هذا قول المشركين: إنّ الجنّة هي الملآئكة وهي بنات الله، وقد سميّت الملآئكة جنّة لإستتارهم عن العيون. والمعنى: إنّ مشركي العرب جعلوا بين الله سبحانه وبين الملآئكة نسبة بسبب قولهم: إنّ الملآئكة بنات الله سبحانه فإنّ الولادة تقتضي الجنّسية والمناسبة، وعن مجاهد: إنّ كفار قريش قالوا: الملآئكة بنات الله. قيل لهم: جنّة لأنهم لا يُرَوْن. وأنهم بطن من بطون الملآئكة يقال لهم: الجنّة. وعن أبى مالك: إنّما قيل لهم: جِنّة لأنّهم خزّان على الجنان، والملآئكة كلّهم جنّة.

٢- عن قتادة والكلبي ومقاتل: أي وقالت اليهود لعنهم الله: إنّ الله صاهر الجنّ، فكانت الملآئكة من بينهم بأنّ الله تزوّج إلى الجنّ، فخرج منهما الملآئكة.

٣- عن مقاتل ومجاهد أيضاً والسّدي وعكرمة: القآئل ذلك كنانة وخزاعة قالوا: إنّ الله خطب إلى سادات الجنّ فزوّجوه من سَرَوات بناتهم، فالملائكة بنات الله من سَرَوات بنات الجنّ. ٤- عن الحسن: أي أشرك المشركون الشيطان في عبادة الله تعالى فهو النّسب الّذى جعلوه بينه وبين الجنّة. ٥- عن الحسن وقتادة أيضاً وإبن عبّاس والضحاك: هو قول المشركين: إن الله سبحانه وإبليس أخوان. تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

٦- قيل: إن هذا قول طائفة من الزنادقة القائلين بيزدان وأهريمن، وهذا مذهب المجوس بأنّ الله سبحانه هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم.

٧- عن إبن عبّاس أيضاً أنّه قال: انزلت هذه الآية في ثلاثة أحيآء من قريش: سليم وخزاعة وجهينة وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً قال: قالوا: صاهر إلى كرام الجنّ فحدثت الملآئكة. ٨- عن الكلبي وعطية أيضاً: إنّ هذا قول الزنادقة: إنّ الله وإبليس

أخوان، وإن الله سبحانه خلق النور والخير والحيوان النافع، وإبليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضّارّ. ٩ـ قيل: إنّ الجنّة هي العالم الخفيّ غير المنظور لهم من الملآئكة والجنّ، فجعلوا بين الله تعالى وبين هذه المخلوقات الخفيّة نسباً وقرابة، حيث نسبوا إليه سبحانه الولَد، والولد لا يكون إلّا من زواج، ولا يكون الزواج إلّا بين متناسبين، متقاربين في الصورة والطبيعة. ١٠ـ قيل: إنّ المراد من النسب هي المناسبة حيث أشركوا بالله سبحانه الجنّ في استحقاق العبادة، فجعلوا بينه سبحانه وبين الجنّة مناسبة في إستحقاق العبادة.

أقول: وعلى السّابع أكثر المفسرين وهو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّدا.

وفي قوله تعالى: «ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدي: أي ولقد علمت الملآئكة إنّ قائل هذا القول السخيف الباطل الزور لمحضرون يوم القيامة للعذاب في النار. وقيل: إنّ الإحضار قد تكرّر في هذه السّورة وما اريد به إلّا العذاب في النّار. ٢ـ عن مجاهد: أي لمحضرون يوم القيامة للحساب ٣ـ قيل: أي ولقد علمت الجنّة وهم الجنّ الّذين دعوهم أنهم محضرون العذاب بدعآئهم إلى هذا القول.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق وإن كان التعميم غير بعيد.

١٦١ـ١٦٣ـ (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلّا مَن هو صال الجحيم)

في الآيات الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي انكم وما تعبدون من آلهة أجمعين لستم بفاتنين على عبادة الله تعالى أحداً إلّا مَن يصلى الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره. فالضّمير: «عليه» راجع إلى «ما تعبدون» أي على معبوداتكم. ٢ـ عن إبن عبّاس ومجاهد والحسن وعكرمة: أي لستم بمضلّين أحداً أي لا تقدرون على إضلال أحد إلّا من سبق في علم الله تعالى أنه سيكفر بالله عزّوجلّ ويصلى الجحيم. ٣ـ قيل: أي ما أنتم على الله تعالى ولا على دينه بمصلّين أحداً من النّاس إلّا مَن هو صالي الجحيم بسوء اختياره مثلكم وهذا كما يقال: لا يهلك على الله تعالى، هالك

وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان. فالضمير: «عليه» راجع إلى «الله» ويقال فتن فلان على فلان إمرأته: إذا أفسدها عليه، فالمعنى: ما أنتم على الله بمفسدين النّاس بالإغوآء. والفاتن: الدّاعي إلى الضلالة بتزيينه له، لكلّ مَن دعا إلى عبادة غير الله بالإغوآء والتّزيين فهو فاتن لأنّه يخرجه إلى الهلاك من فتنت الذهب بالنّار إذا اخرجته إلى حال الخلاص.

٤ـ عن قتادة: أي ما أنتم بمضلّين أحداً من عبادي بباطلكم هذا إلّا من تولاّكم بعمل النّار. ٥ـ قيل: أي لستم بحاملين على عبادتكم أو على عبادة معبوداتكم إلّا من هو صال الجحيم. فالضّمير: «عليه» راجع إلى «ما» مصدرية كانت أو موصولة.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٦٤ ـ (وما منّا إلّا له مقام معلوم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن مسعود وسعيد بن جبير: أي وما منّا معشر الملآئكة ملك إلّا له مكان معلوم في العبادة والطاعة لا يستطيع أن يتجاوز عنه، وعن إبن عبّاس: «ما في السموات موضع شبر إلّا وعليه ملك يصلّي ويسبّح» ٢ـ قيل: هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين للمشركين أي لكلّ واحد منّا ومنكم في الآخرة مقام معلوم، وهو مقام الحساب على قدر الإعتقاد والعمل.

٣ـ قيل: أي منّا مَن له مقام الخوف، ومنّا مَن له مقام الرجاء، ومنّا مَن له مقام الإخلاص، ومنّا مَن له مقام الشكر وغيرها من المقامات...

٤ـ عن السّدي وإبن زيد والضحّاك: أي وما منّا معشر الملآئكة إلّا مَن له مقام في السمآء معلوم. ٥ـ قيل: أي وما منّا الملآئكة أحد إلّا له مقام معلوم في المعرفة بالله والعبادة لله، والإنتهآء إلى أمر الله جلّ وعلا في تدبير الكون ونواميس الوجود. ٦ـ عن عكرمة: هذا قول جبرئيل عليه السّلام يوم القيامة. ٧ـ قيل: أي وما منّا الملآئكة أحد إلّا له مقام معلوم لا يتجاوز عمّا أُمر به، ورتب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام عن مقام الّذي حدّ له، فكيف يجوز أن يُعبَد مَن بهذه الصفة وهو عبد مربوب.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٦٥ (وإنّا لنحن الصّافّون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن السّدى: أي القآئمون صفوفاً في الصلاة وأداء الطاعة ومنازل الخدمة. وعن الكلبى: صفوف الملآئكة في السمآء كصفوف أهل الدّنيا في الأرض. وعن الجبائي: أي الصافون بأجنحتنا في الهوآء للعبادة والتّسبيح ٢ ـ قيل: أي الواقفون صفوفاً للعبودية والطاعة. ٣ ـ قيل: أي الصافون حول العرش ننتظر الأمر والنهى من الله تعالى. ٤ ـ قيل: أي الصافون أقدا منا في الصلاة. ٥ ـ قيل: أي لنحن الصافون أجنحتنا في الهوآء وقوماً ننتظر ما نؤمر به.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق، من غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر.

١٦٦ ـ (وإنّا لنحن المسبّحون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن قتادة أي المصلّون. وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله جلّ وعلا وتقديسه وتعظيمه. ٢ ـ قيل: أي المنزّهون الله تعالى عمّا أضافه إليه المشركون ممّا لا يليق به من الأحداث... والمراد أنهم يخبرون أنهم يعبدون الله تعالى بالتّسبيح والصلاة وليسوا معبودين ولا بنات الله سبحانه. ٣ ـ قيل: أي المسبّحون بحمد الله وعظمته.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

١٦٨ ـ (لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن السدى وابن زيد: أي لو كان عندنا كتابٌ من كتب الأوّلين الّتي أنزلها الله تعالى على أنبيآئه... ٢ ـ قيل: أي لو بُعِثَ إلينا نبيّ ببيان الشرآئع لا تبعناه. ٣ ـ قيل: انهم أرادوا لو علمنا حال آبائنا وما آل إليه أمرهم. ٤ ـ عن الضحاك: أي لو كان عندنا علماً من الأوّلين الّذين تقدّمونا وما فعل الله بهم. فسمّى العلم ذكراً لأنّ الذكر من أسباب العلم فسمّى العلم بإسم سببه. ٥ ـ قيل: إنّ مشركي مكة كانوا يتمنّون قبل أن يأتيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم أن لو كان

عندهم ذكر من الله تعالى، ومَن يذكّرهم بأمرالله ونهيه كما كان للامم الماضية لآمنوا به.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر ولكن الأخير هو الأنسب بظاهرالسّياق.

١٧١ ـ (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

في «كلمتنا» أقوال: ١ـ عن الفرّاء: أي ولقد سبقت كلمتنا بالسّعادة لعبادنا المرسلين. ٢ـ قيل: أراد بالكلمة قوله عزّوجلّ: «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى» المجادلة: ٢١) ٣ـ عن الحسن: أي لم يُقتَل من أصحاب الشرائع قطّ أحد. ٤ـ عن السّدي وقتادة: أي ولقد سبق لهم النصرة والغلبة بالحجة.

٤ـ قيل: أي ولقد سبق وعدنا بالنّصر والغلبة إمّا بالحجج وإمّا بالقتال لعبادنا المرسلين على أعدآئنا، وذلك أنّ رسلنا لهم المنصورون وأنّ جندنا المؤمنين لهم الغالبون الكفار بالحجّة والنصر والغلبة عليهم في الحياة الدّنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدّنيا ففي الآخرة. فالكلمة هي قوله عزّوجلّ: «إنّهم» لهم المنصورون وإنّ جندنا لهم الغالبون» وقد سميّت الجملة من الكلام كلمة فإن ـ كلمة بها كلام قديؤمّ ـ لإنعقاد بعض معاني الكلام ببعض بحيث صار خبراً واحداً، وقصّة واحدة كالشيء الواحد كما في كلمة التوحيد: «لا إله إلّا الله».

٥ـ عن الحسن: إن المراد بالكلمة هي نصرة المرسلين في الحرب، فإنّه لم يُقتَل نبيّ من الأنبيآء قطّ في الحرب، وإنّما قُتِلَ من قُتِلَ منهم غيلة أو على وجه آخر في غير الحرب، وإن مات نبيّ قبل النصرة أو قُتِل فقد أجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له، فقد تحقّق قوله: «إنّهم لهم المنصورون»

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

١٧٣ ـ (وإنّ جندنا لهم الغالبون)

في قوله تعالى: «جندنا» أقوال: ١ـ قيل: هم الأنبيآء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين. ٢ـ قيل: هم المؤمنون المخلصون من أتباع المرسلين. ٣ـ قيل: هم

الملآئكة. ٤ـ قيل هم الأنبياء والمرسلون والأوصياء والمخلصون والملآئكة...

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

١٧٤ ـ (فتولّ عنهم حتّى حين)

في قوله تعالى: «حتّى حين» أقوال: ١ـ عن إبن عباس ومجاهد والسّدي: أي إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعنى القتل يوم بدر. فالمعنى: فأعرض يا أيّها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم عن هؤلاء المشركين إلى مدة معلومة عندنا حتّى نامرك بالقتال، وهي مدّة الكفّ عن القتال. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً وقتادة: أي إلى يوم الموت. ٣ـ عن السدى أيضاً وإبن زيد: أي إلى يوم القيامة حين لا ينفعهم البصر. ٤ـ قيل: أي إلى انقضآء مدّة الإمهال. ٥ـ قيل: أي إلى يوم فتح مكّة. ٦ـ قيل: أي إلى مدّة يسيرة سيلقاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم في الوقت القريب، وسيرون تحقيق هذا الوعد الّذي وعد الله رسله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله جلّ وعلا. ٧ـ عن الزجاج: أي إلى الوقت الّذي أُمِهلوا إليه. ٨ـ قيل: إنّ الآية منسوخة بآية السيف وهي قوله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» التوبة: ٥)

أقول: ولكلّ وجه، ولكنّ الأوجه هو التّعميم لأنّه الأنسب بظاهر الاطلاق فتأمّل جيّداً.

١٧٥ ـ (وأبصرهم فسوف يبصرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: أي سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار. وعسى من الله تعالى للوجوب، وعبّر بالإبصار عن تقريب الأمر أي عن قريب يبصرون. ٢ـ قيل: أي وأبصرهم في الحال على أسوء الأحوال، وأقطع نكال يحلّ بهم من القتل والاسر والخزى والوبال، فسوف يبصرون أي فعنقريب يعاينون ما يحلّ بهم من الشّرور... ٣ـ قيل: أي أبصر ما ينالهم يوم القيامة فسوف يبصرون النّار والعذاب. ٤ـ قيل: أي وأبصرهم العذاب فسوف يبصرونه حين الموت. ٥ـ قيل: أي وانظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا في الدّنيا والآخرة.

٦ـ عن إبن زيد: أي انظرهم فسوف يبصرون مالهم بعد اليوم من العذاب، فيبصرون

يوم القيامة ما ضيّعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه. ٧ـ قيل: أي وأبصرهم ما يقضي عليهم من الاسر والقتل والخزى والهوان في الدّنيا، ومن النّار والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك وما يؤل إليه أمرك من النّصر والغلبة والسّيادة والثّواب في الدّارين. ٨ـ قيل: أي فأعلمهم فسوف يعلمون. ٩ـ قيل: أي وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب في الدّنيا، فسوف يبصرون عاقبة كفرهم في الآخرة. ١٠ـ قيل: أي وأبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون يوم القيامة معاينة.

١١ـ قيل: أي فانذرهم فسوف يرون تحقيق ما ينذرون. ١٢ـ قيل: أي وأبصر حالهم بقليل. ١٣ـ قيل: وأبصرهم في وقت البصر. ١٤ـ قيل: أي فاذكرهم بذلك فسوف يتذكّرون بعد ذلك، وما عليك إلّا البلاغ. ١٥ـ قيل: أي وأبصرهم على ذلك الوقت: «حتّى حين».

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٧٧ـ (فإذ انزل بساحتهم صباح المنذرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي فاذ انزل العذاب بأفنية دورهم كما يستعجلون فسآء صباح المنذرين أي فبئس الصباح صباح من خوّف فلم يخف وحذر ولم يحذر. والساحة فنآء الدار وفضآؤها الواسع. فالمراد: إن العذاب لعظمه لا يسعه إلّا الساحة ذات الفضآء الواسع. ٢ـ عن السدى: أي فاذا نزل بدارهم فبئس ما يصبحون. وكانت العرب تفاجئ أعداءها بالغارات صباحاً، فخرج الكلام على عادتهم، ولأن الله عزّوجلّ أجرى العادة بتعذيب الأُمم وقت الصباح كما قال: «إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» هود: ٨١) وقال الزّجاج: كان عذاب هؤلآء بالقتل.

٣ـ عن الفرّآء: أي بفنائهم. وإنّ العرب تكتفى بذكر السّاحة عن القوم وقال: «نزل بساحتهم»: نزل بهم سوآء. ٤ـ قيل: هذا في فتح مكّة وقد كانت من عادة العرب أن يغيروا صباحاً، فسميّت الغارة صباحاً، وإن وقعت في وقت آخر. وشبّه نزول العذاب بساحتهم بعد ما انذروه بجيش أنذر بعض النصحآء بهجومه قومه، فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم حتّى أناخ بفنائهم بغتة، فشنّ الغارة عليهم. ٥ـ قيل: كان ذلك في

فتح خيبر وذلك لماورد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لمّا أتى خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحى، فقالوا: محمّد والخميس ـ الخميس: الجيش ـ ورجعوا إلى حصنهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساءصباح المنذرين» وهو يبيّن معنى: «فإذا نزل بساحتهم» يريد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم. ٦ـقيل: إنّ نزول العذاب بساحتهم كناية عن نزوله بهم على نحو الشمول والإحاطة. ٧ـقيل: هذا ما كان في صباح يوم بدر.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها، والتّعميم غير بعيد وإن كان الأنسب هو الرّابع.

١٧٨-١٧٩ ـ(وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون)

في الآيتين الكريمتين أقوال: ١ـقيل: إنّهما تأكيدان للآيتين: (١٧٤-١٧٥) تأكيد لتهديد المشركين بعد تهديد، وتسلية بعد تسلية للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٢ـقيل: وقدثنّى «وتولّ عنهم» والأول لعذاب الدّنيا والثّاني للآخرة، وقد اطلق الفعل الثّاني أيضاً اكتفآء بالاوّل وليفيد فائدة زائدة وهي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يبصروهم يبصرون مالا يحيط به من صنوف المسرّة وفنون المساءة مع أن الواقع في الآية: «وأبصر» من غير مفعول كما في الآية السّابقة من قوله: «وأبصرهم» والحذف يشعر بالعموم وأن المراد إبصار ما عليه عامّة النّاس من الكفر والطغيان ومن الفسوق والعصيان، ويناسبه التهديد بعذاب الآخرة. فالمعنى: فكن على بصيرة من أمرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم. فالمراد بالأوّل عذاب الدّنيا، وبالثاني عذاب الآخرة. أي وتولّ يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن المشركين ومَن ينسلك مسالكهم إلى وقت هلاكهم يوم بدر ونحوه، واعلم فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة.

٣ـقيل: أُريد بهما عذاب الدّنيا. ٤ـقيل: أُريد بهما عذاب الآخرة.

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق.

١٨٠ ـ(سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون)

في قوله تعالى: «ربّ العزّة» أقوال: ١ـقيل: أي ربّ العزة الّتي يتعازّبها الخلق فيما

بينهم، فهي من خلق الله تعالى وهو وحده مالك العزّة يعزّ من يشآء، فلا يملك أحد إعزاز أحد سواه جلّ وعلا. فالعزّة ههنا صفة فعل كما أنّ العزّة في قوله تعالى: «فلله العزّة جميعاً» الفاطر: ١٠) صفة ذات. فالمعنى: أن العزة المخلوقة الكآئنة للأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمخلصين والصّلحآء والمؤمنين كما قال تعالى: «إن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين» المنافقون: ٨) وقد أضاف الرّبّ إليها لا ختصاصه بها كأنه قيل: إنّه ذو العزّة وله العزّة جميعاً، فما من عزّة لأحد إلّا وهو ربّها وما لكها لقوله عزّوجلّ: «تعزّ مَن تشآء وتذلّ مَن تشآء» آل عمران: ٢٦).

٢ ـ قيل: إنّ المراد من العزّة ههنا الملآئكة. ٣ ـ قيل: أي ربّ القوّة والغلبة.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

١٨١ ـ (وسلام على المرسلين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي سلامة وأمان لهم من أن ينصر عليهم أعدآئهم. ٢ ـ قيل: أي لهم أمْنٌ مِنَ الله تعالى يوم الفزع الأكبر وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قِبَل الله سبحانه. ٣ ـ قيل: هذا خبر معناه أمر أي سلّموا عليهم أجمعين، ولا تفرّقوا بينهم، وهم الّذين بلغوا عن الله تعالى التّوحيد والرّسالة. ٤ ـ قيل: أي سلّم الله تعالى على رسله عموماً بعد سلامه على أربعة منهم وعلى آل ياسين خاصّة المذكورين في هذه السورة آنفاً.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق من غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

١٨٢ ـ (والحمد لله ربّ العالمين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي على إرسال المرسلين مبشّرين ومنذرين، وعلى ما أفاض عليهم، وعلى مَن اتبعهم من النّعم وحسن العاقبة. ٢ ـ قيل: أي على جميع ما أنعم الله تعالى به على الخلق أجمعين. ٣ ـ قيل: أي على هلاك المشركين ومن انسلك مسالكهم من الظالمين لقوله تعالى: «فقطع دابر القوم الّذين ظلموا والحمد لله

ربّ العالمين» الأنعام: ٤٥) وعلى نصر الأنبيآء والمرسلين على أعدآئهم . . .

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً، فإن كلام الخالق أولى بالتدبّر من كلام المخلوق، فإذا قيل في كلام المخلوقين من الفقهآء والاصوليين، ومن الحكماء والمتكلّمين و و و: تدبّر وتأمّل مرّة بعد أُخرى فكيف كلام الخالق جلّ وعلا؟

ولعمري! لو كان المسلمون عامّة والعلمآء خاصة يتدبّرون في كلام الخالق بقدر كلام المخلوق، ويعتنون بكلام الخالق على ما يعتنون بكلام المخلوق لما كانوا على ما كانوا عليه اليوم من الخزى والهوان، ومن الفشل والإنحطاط . . . فتدبّروا ولا تغفلوا فإنّ الله عزّوجلّ يقول: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أُولوا الألباب» ص: ٢٩) ويقول: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٤).

﴿التّفسير والتّأويل﴾

١ ـ (والصافات صفاً)

وقد أقسم الله عزّوجل بطآئفة من الملائكة الذين يصفّون أنفسهم صفوفاً فى طريق الوحى كصفوف المؤمنين المخلصين المصلّين للصلاة في الأرض ـ الصفّ: ترتيب الجمع على خطّ كالصفّ فى الصّلاة ـ وهؤلاء الطآئفة يصفّون فى مقام العبودية والولاء والخشوع الدآئم واقفين فى انتظار أوامر الله جل وعلا والإمتثال بها كقيام العبيد بين يدى مواليهم صفوفاً للخدمة والإمتثال، كقوله تعالى حكاية عنهم: «وإنا لنحن الصّافّون» الصافات: ١٦٥) وهم ملائكة الوحى، ورئيسهم جبرئيل وهم أعوانه: فيتبعونه فى نزول الوحى من الله عزّوجل إلى رسله أجمعين، وإلى رسوله الخاتم محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم خصوصاً، وهم أُمنآء وحيه وألسنة إلى رسله...

قال الله تعالى: «ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلّا أنا فاتقون» النحل: ٢).

وقال: «إنا أنزلناه فى ليلة القدر ـ تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر» القدر: ١ـ٤) وقال: «تعرج الملآئكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج: ٤)

٢ ـ (فالزاجرات زجراً)

وقد أقسم الله جل وعلا بطآئفة آخرين من الملآئكة، وهم السدنة لأبواب

سمآئه وحفظة وحيه، المأمورون بتأمين طرق نزول الوحى إلى المرسلين، فيمنعون الشياطين عن استراق السمع إلى الملأ الأعلى، ويدفعونهم عن المداخلة فى الوحى حتى يستقر فى قلوب المرسلين، ويحفظونه بعد النبى الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الدّسّ و التحريف ...

قال الله عز و جل: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ـ ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم» الحج: ٥٢ـ٥٥)

وقال: «وأنا لمسنا السمآء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً ـ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً» الجن: ٨ـ٢٨)

وقال: «إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر: ٩)

٣ ــ (فالتاليات ذكراً)

قسم ثالث أقسم جل وعلا بطائفة ثالثة من طوآئف الملآئكة الذين يتلون الوحى السماوى على المرسلين، والذكر هو الوحى الذى كان ينزل على الموحى إليه من الكتب السّماوية النازلة على المرسلين، ومن القرآن الكريم وهو الكتاب الخالد المحفوظ من أىّ دس وتحريف إلى يوم القيامة، النازل على خاتم الأنبيآء وسيد المرسلين محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» آل‌عمران: ٥٨)

وقال: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحّق و انک لمن المرسلين» البقرة: ٢٥٢)

٤ ــ (إن إلهكم لواحد)

وقد أقسم الله عزوجل بثلاث طوآئف من الملآئكة: الصّافّون لأخذ الوحى من الله تعالى، والحافظون على طرق الوحى، والتالون الوحى على المرسلين عموماً،

وخاصّة خاتمهم محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا معشر مشركى العرب، ويا أيها الناس كافّة: إن معبودكم الذى هو وحده يليق للعبادة هو إله واحد لا ثانى ولا شريك له فى الوجود نفسه، ولا فى ايجاد الكون، ولا فى تدبير نظام الكون ونواميس الوجود، ولا في العبادة، فوحّدوه و أخلصوا له العبادة و أفردوه بالّطاعة ولاتشركوا به شيئاً، فانّه جل وعلا تفرّد فى صفات الجلال والكمال تفرّداً لا يشاركه فيها أحد،فانه الخالق،وما سواه المخلوق،وهذه حقيقة يشهد بها كل موجود، فاله الموجودات كلها إله واحد، هو الذى أوجدها وهو الذى قام بسلطانه عليها...

وقد كان أوّل دعوة الأنبيآء والمرسلين كلّهم عليهم السلام اممهم إلى التوحيد والعبادة لله وحده.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحى إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون-قل إنّما يُوحى إلىّ أنّما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» الأنبيآء: ٢٥ و ١٠٨)

وقال: «هذا بلاغ للناس وليندروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذّكّر اولوا الألباب» ابراهيم: ٥٢)

وقال: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقآء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف: ١١٠)

وقال: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يُوحىٰ إلىّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين» فصّلت: ٦)

٥ ــ (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق)

هذا الإ له الواحد الذى يليق هو وحده للعبادة هو رب السموات والأرض مع ضخامتها وعظمتها ودقتها وتنوعها وجمالها وتناسقها وما بينهما من أصناف المخلوقات وأنواع الموجودات... من هواء وسحاب وضوء ونور ومخلوقات دقيقة يعرفها البشر شيئاً منها حيناً بعد حين، ويخفى عليهم منها أكثر مما يكشف لهم إلى الآن مما يمكن لنا أن نشاهده وإلّا فهو جل وعلا رب الكون كله، ويدبّر أمره وبيده

ملكوت كل شئ، وهو تعالى رب مشارق ما بين السموات والأرض ومغاربه من الكواكب والنجوم ومن الشمس والقمر ولا نستطيع أن نحصى مشارق عالمنا هذا ومغاربها فضلا عما ورآئه، فان للكواكب والنجوم، وللشمس والقمر فى كل دقيقة بل أقل منها طلوعاً وغروباً بحسب تعدد الآفاق واختلافها، فكلّما اتجه الانسان فى الشرق والغرب وجد مشارق ومغارب مضافاً إلى أن لكل يوم من أيام السنة الشمسية (٣٦٥) يوماً مشرقاً، مع أن لكل واحد من الشمس والقمر والنجوم والكواكب فى كل ثانية مشرقاً فى افق ومغرباً فى افق فى مناطق خطّ الاستوآء، وإلّا في قطبي الجنوب والشمال فلكل واحد منها مشارق ومغارب مختلفة حسب تباعدها عن خطّ الاستوآء. فوجود ذلك كله وانتظامها على الوجه الأكمل دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدانيته قال الله عزوجل: «إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستّة أيام ـ والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» الأعراف: ٥٤)

وقال: «ذلكم الله ربكم لا إله إلّا هو خالق كل شئ فاعبدوه ـ قل أغير الله أبغى رباً وهو ربّ كل شئ» الأنعام: ١٠٢ و ١٦٤)

وقال: «فلا اقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين» المعارج: ٤٠-٤١)

٦ ـ (إنا زيّنّا السمآء الدنيا بزينة الكواكب)

إنا خلقنا الكواكب وجعلناها زينة عجيبة بديعة لسمآء دنياكم هذه من خلق السموات السبع، وهو عالم الكواكب فوق الأرض مما يقرب منكم وترونها وتحيط بكم وتشاهدونها ليلاً وإلّا فتلك سموات محال الأعمال ومعبدالملائكة وصعود دعآء العباد، وفوقها العرش والكرسى والسرادقات والحجب... جعلنا تلك الكواكب زينة لسمآء دنياكم من حيث جمالها ولألاؤها، من حيث بهجتها وأنوارها، من حيث تناسب أشكالها وحسن أوضاعها، ومن حيث نظامها الخاص مضافاً إلى الإهتدآء بها فى ظلمات البر والبحر، ومن نظام الكواكب تناسب المسافات بينها

بحيث يكون بُعد كل سيّارة من الكواكب عن الشمس ضِعف بُعد الكواكب الذى قبله...

فاشراق الجواهر الزواهر وتلألؤها على بسيط أزرق بنظام مخصوص مما يروق الناظر فكأنه جل وعلا قال: زيّنّاها بالكواكب كما قال: «وزيّنّا السمآء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم» فصلت: ١٢)

وقال: «ولقد جعلنا في السّمآء بروجاً و زيّنّاها للنّاظرين» الحجر: ١٦)

وقال: «أفلم ينظروا إلى السمآء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها من فروج» ق: ٦)

٧ ـ (وحفظاً من كل شيطان مارد)

وحفظنا السمآء الدنيا حفظاً من كل شيطان باغ خارج من الطاعة والإنقياد إلى الطغيان والفساد، وحفظناها من دنوّ كل متمرّد عات خبيث خال من الخير للاستماع سوآء أكان من شياطين الإنس أم من شياطين الجنّ... وقد كانوا من قبل يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملآئكة ويقولون ذلك إلى ضعفتهم وكانوا يوسوسون بها فى قلوب الكهنة، ويوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فنعهم الله تعالى عن ذلك.

قال الله عزوجل: «وحفظناها من كل شيطان رجيم» الحجر: ١٧)

وقال حكاية عن الجن: «وأنّا لمسنا السمآء فوجدناها مُلِئت حَرَساً شديداً وشهباً» الجن: ٨)

وقال: «ولقد زيّنّا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين» الملك: ٥)

المارد: المتعرّى عن الخير كلّه، ومنه شجر أمرد إذا تعرّى من الورق والثمر وغلام أمرد: إذا تعرّى من اللحية.

٨ ـ (لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب)

هؤلآء الشياطين الماردة لا يستطيعون بعد ذلك أن يقربوا من السمآء الدنيا أو يطوفوا بها، فيسترقوا السمع ويُصْغُوا إلى الملأ الأعلى من كلمات حملة الوحى وكلام

ملآئكة السمآء، فيطّلعوا على أخبار الغيب المستورة عن هذا العالم الأرضى من الحوادث المستقبلة والأسرار المكنونة... بل إذا أرادوا الصعود إلى السمآء للاستراق والاستماع يرمون بالرجوم والشهب من كل جانب من جوانب السمآء وآفاقها.

قال الله تعالى: «إلّا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين» الحجر: ١٨)

وقال: «وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون» الشعرآء: ٢١٢)

وقال حكاية عن الجن: «وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً» الجن: ٩)

٩ ــ (دحوراً ولهم عذاب واصب)

دفعاً لهؤلآء الشياطين بالعنف، وإبعادهم عن السمآء الدنيا، فيرجعون مطرودين صاغرين أذلآء مقهورين لم يحصلوا على شئ، ولهم يوم القيامة مع ذلك عذاب تام خالص، غير منقطع، دآئم شديد، موجع يصل وجعه إلى قلوبهم من غير خلاص لهم منه قط.

١٠ ــ (إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)

إن هؤلآء الشياطين لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى إلّا الشيطان الذى يلقى بنفسه إلى التهلكة، فيدنو من السمآء الدنيا لاستراق السمع واختلاس الكلمة مسارقة، فحينئذ يُرمى فى أثره بشهاب راصد لكل مَن حام حول هذا الحمى... فيسترق الواحد منهم شيئاً مما يتفاوض فيه الملائكة مما سيكون فى العالم قبل أن يعلمه أهل الأرض وهذا لخفّة أجسام الشياطين، ولكنّه يرجم حينئذ بشهاب ثاقب كأنه يثقب الجوّ بضوئه ولا يخطى غرضه، فيقتله أو يحرقه أو يخبله.

١١ ــ (فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مَن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)

فاستفت يا أيّها النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مشركى مكّة خصوصاً واستخبر بني آدم كافّة الذين هم ينكرون البعث و الحساب و الجزآء بعد موتهم و لايستيقنون: أهم أصعب خلقاً و أشقّ ايجاداً؟ أم مَن خلقنا من الملآئكة و السّموات

والأرض وما بينهما من الكواكب والنجوم والشهب الثواقب ومن الشياطين والجن والجبال والبحار وما إليها من الخلآئق...؟

قال الله تعالى: «ء أنتم أشدّ خلقاً أم السمآء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها مآءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم» النازعات: ٢٧-٣٣)

وقال: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون» غافر: ٥٧)

إنا خلقنا أصل الانسان وهو آدم عليه السلام من طين لا صق يلصق بعضه بعضاً، ويلصق باليد، فكان خلق الانسان ضعيفاً، فأيّهما أعظم، وأشدّ وأصعب وأشقّ؟ إحياؤهم بعد الموت؟ أم ايجاد هذا الكون بعجآئبه؟ وما من شك ولامرآء أن خلق هذا الكون أعظم، فاذن كيف ينكرون البعث ويستبعدونه؟ وكيف ينقضون أنفسهم بأنفسهم؟ ومن هان عليه هذه كان خلق البشر بل إعادته بعد موته عليه أهون.

قال الله عزوجل: «وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم» الروم: ٢٧)

فكيف ينكرون البعث؟ وأين هم بالنسبة لهذه العوالم التى خلقناها؟ إنا خلقناهم من طين لازب! فأين هم من كواكب السمآء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة؟ فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة، فهل يعجزنا أن نعيد ما هو مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلّا باشراق الأنوار عليه، ووصول الآثار إليه من العوالم الاخرى؟

قال الله تعالى: «أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يَعيَ بخلقهنّ بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير» الأحقاف: ٣٣)

ولا تنتظر أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم منهم جواباً لأن الأمر ظاهر وإنّما السئوال سئوال إستنكار وتعجيب من حالهم العجيب، وغفلتهم عمّا حولهم

والسخرية من تقديرهم للامور... فنعرض عليهم مادة خلقهم الاولى وهى طين رخو لزج من بعض هذه الأرض التى هى إحدى تلك الأكوان والخلآئق فنقول: «إنا خلقناهم من طين لازب» فهم قطعاً ليسوا أشد خلقاً من تلك الخلائق... وموقفهم إذن عجيب، وهم يسخرون من آيات الله تعالى ومن وعده لهم بالبعث والحساب والجزآء، وسخريتهم هذه تثير العجب فى نفس النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم فى موقفهم سادرون:

١٢ ـ (بل عجبت ويسخرون)

بل أنت تعجب من إنكارهم وكفرهم بالبعث وهم يسخرون منك ومنه. «وإن تعجب فعجب قولهم ءإذا كنّا تراباً ءإنّا لفى خلق جديد» الرعد: ٥) وحقّ للنبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعجب من أمر المشركين المستكبرين فان محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرى الله جل وعلا بقلبه ويرى آيات الله تعالى واضحة هذا الوضوح كثيرة هذه الكثرة فيعجب ويدهش بأنه كيف تعمى عنها قلوب هؤلآء المشركين ومن انسلك مسالكهم؟ وكيف يقفون منها هذا الموقف العجيب، فيعجب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم هذا العجب إذا هم «يسخرون» من القضية الواضحة التى يعرض عليهم سوآء فى وحدانية الله تعالى وربوبيته، فى عظمته وقدرته، فى علمه وحكمته، وفي تدبيره وجلاله، أو فى أمر البعث والنشور، وفى أمر الحساب والجزآء...

فلا تتفتح قلوبهم للتذكير فانها غلف لا تنظر فيا حولها من البراهين الواضحة على وحدانية الله جل وعلا وقدرته، وعلى علمه وحكمته، ومن الأدلة القاطعة على البعث والنشور... ومن الحجج الباهرة على الرسالة، فقد بلغت من العناد واللجاج، والاصرار على الكفر والإنكار أن يسخروا من مقالك ومن إهتمامك باقناعهم فى وجوب تسليمهم بالتوحيد والبعث والإعتقاد بحصوله...

١٣ ـ (وإذا ذكّروا لا يذكرون)

وهؤلآء المشركون ومن انسلك مسالكهم لقسوة قلوبهم إذا ذكّروا بآيات الله

جل وعلا وحججه الدالة على التوحيد ودين الحق، على ما هم فيه من شرك وفساد، من كفر وضلال، من طغيان وعناد، من إثم وإنحطاط، ومن جرم ولجاج... وعلى ما حلّ بالمكذّبين من قبلهم من الهلاك والدمار والعذاب والنار، وعلى الرسالة والبعث والحساب والجزآء... هم لا يذكرون ولا يتنبّهون ولا يتفكّرون ولا ينتفعون بالعظة ولا يقبلون نصحاً ممن ينصحهم لأنه قدر ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فماذا تفيد العبر أو تجدى الذكرى مع قوم هذه حالهم؟!

قال الله عزوجل: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدّمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً ـ الذين كانت أعينهم فى غطآء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً» الكهف: ٥٧ و ١٠١)

وقال: «ولقد صرّفناه بينهم ليذّكّروا فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً» الفرقان: ٥٠)

وقال: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين» الزمر: ٢٢)

١٤ ــ (وإذا رأوا آية يستسخرون)

وإذا رآى هؤلآء المشركون ومَن انسلك مسالكهم فى الشرك والطغيان، فى الكفر والعصيان، وفى الإثم والعدوان... رأوا بيّنة واضحة وحجة قاطعة من حجج الله تعالى تدلّ على رسالة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم كانشقاق القمر وشهادة الحصاة والشجر على نبوّة النبي الكريم صلّى الله عليه و آله و سلّم وما إليها من المعجزات كنفس القرآن الكريم يستسخرون منها ويبالغون فى السخرية الشديدة فانهم لعنادهم ولجاجهم تغافلوا عن آثار قدرة الله جل وعلا فيما حولهم و في ذات أنفسهم، ولاتباعهم أهوآء هم جهلوا عن آثار هذه القدرة المطلقة فى خلق السموات و الأرض وما بينهما، وفى خلق الكواكب والشهب وفى خلق الملائكة والشياطين وفى خلقهم هم أنفسهم من طين لازب، غفلوا عن آثار القدرة فى نظام الكون ونواميس الوجود، فوقفوا يستبعدون على هذه القدرة أن تعيدهم إذا ماتوا وصاروا تراباً وعظاماً هم وآباؤهم الأوّلون.

قال الله تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحق لمّا جآءهم- وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين» الأنعام: ٤-٥ و ٢٥)

وقال: «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٤٦)

وقال: «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ وكذّبوا واتبعوا أهوآءهم» القمر: ٢-٣)

١٥ ــ (وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين)

وقد كان هؤلآء المشركون المستكبرون إذا رأوا كل آية من آيات ربهم جآئتهم، وعجزوا عن مقابلتها ولم يكن لهم كلام بعد الاستسخار ينادى بعضهم بعضاً يقولون: هلمّوا وانظروا إلى ما يفعله هذا الساحر الذى يخلب ألبابنا، ويسلب عقولنا، ويريد أن يصدّنا عمّا كان يعبد آباؤنا، وانه يدعونا إلى ما ليس هو إلّا سحراً ظاهراً سحريته، فما هي من دلآئل الحق شئ، فايّاكم أن تخدعوا بها وترجعوا عن الدين الحق الذى عليه آباؤكم، وقد مرّت عليه القرون ونحن له متبعون.

فما هذا الذى جئتنا به يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا سحر وتخييل وخداع وتمويه بيّن لمن تأمّل فيه فيراك أنك ساحر ماهر، وليس هناك بعث، فان كان فهو من شئ لا واقع له.

قال الله تعالى: «ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين» هود: ٧)

وقال: «بل متّعت هؤلآء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولمّا جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون» الزخرف: ٢٩-٣٠)

وقال: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلّا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لمّا

جآءهم إن هذا إلّا سحر مبين» سبأ: ٤٣)

وقال: «وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب» ص: ٤-٥)

١٦ ـ (ء إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنا لمبعوثون)

وقد كان هؤلاء المشركون المستكبرون يقولون منكرين مستبعدين ـ لغاية عتوّهم ولجاجهم، وعنادهم ـ: أ إذا متنا وصار بعض أجزآئنا من اللحم والجلد وما إليهما تراباً، وبعضها الاخرى عظاماً نخرة وبالية متفتتة؟ ء إنا نبعث من قبورنا بعد موتنا وصرنا أحيآءً؟ إن هى إلّا حياتنا الدنيا، وما نحن بمحشورين أحيآءً بعد موتنا، فانه كيف نبعث إلى خلق جديد وقد بليت عظامنا ولم يبق لها أىّ أثر؟ كيف يبعث مَن عفت القرون آثاره وأصبح أشلآء وهبآءً؟

نعم! ولو تقبّلنا من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بعض ما يقول ـ وإن كان فيه ما يدهش العقول ـ ولكنّا لا نتقبّل منه تلك المقالة وهى إحيآء العظام النخرة والأجسام التى صارت تراباً إن هى إلّا إحدى الكبر، فلا ينبغى أن نلتفت إلى مثل تلك الآرآء التى لا يقبلها العقل ولا يصل إلى مثلها الفكر، فانه كيف يعود الانسان إلى صورته الاولى بعد أن تلاشى بدنه، وصار تراباً وعظاماً؟ كيف ترجع إلى تلك الأجسام البالية الحياة مرّة اخرى؟ كيف هذا والانسان إذا فسد عضو من أعضائه وهو حىّ ـ لا يمكن إصلاحه... فكيف بهذه الأعضآء ... ـ وهى الانسان كله وقد صارت تراباً وعظاماً؟ أيقوم منها هذا الإنسان إلى الحياة الجديدة مرّة اخرى؟!

قال الله تعالى: «وقالوا أ إذا كنّا عظاماً ورفاتاً أ إنّا لمبعوثون خلقاً جديداً» الاسرآء: ٤٩)

وقال: «أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين» المؤمنون: ٣٥-٣٧)

وقال: «أ إذامتنا و كنّا تراباً ذلك رجع بعيد» ق: ٣)

١٧ ــ (أو اٰبآؤنا الأوّلون)

أو يبعث أيضاً اٰبآؤنا الأوّلون الذين مضوا من قبلنا، فبادوا و هلكوا؟ فبعثهم عندنا أبعد وأشدّ غرابة من بعثنا لأنّهم أقدم منّا، فلو سلّم أنه يبعث الذين ماتوا من إخواننا أو أبنآئنا أو آبآئنا الأقربين أو نبعث نحن بعد موتنا لقرب عهدنا لعلّ الأرض تحتفظ ببقية منّا، ولا نسلّم أن يبعث آبآؤنا الأوّلون الذين ماتوا قبلنا منذ مئات السنين، ولا أثر لهم حتى ان عظامهم قد أبلاها البلى والتراب أكلها، أهم يحشرون وهذا أبعد ممّا تقدّم؟ فاستبعاد الوهم عندهم لبعث آبآئهم وقد انمحت رسومهم ولم يبق منهم إلّا أحاديث أشد وأقوى من استبعاده بعث أنفسهم.

١٨ ــ (قل نعم وأنتم داخرون)

قل يا أيها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلاء المنكرين للبعث: نعم! أنتم أيّها المنكرون وآباؤكم الأوّلون ستبعثون للحساب والجزآء بعد مصيركم تراباً وعظاماً أحيآء كما كنتم قبل موتكم، فأنتم تحشرون صاغرين أذلّاء، مستسلمين، غير مستعصين ولا متأبين، مقهورين لا تملكون من أمركم شيئاً أمام القدرة البالغة، ونفوذ الإرادة الإلهية من غير مهلة، فانّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون: «وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شئ قدير» النحل: ٧٧) وقال تعالى: «وكل أتوه داخرين» النمل: ٨٧) فما فى هذا البعث والإعادة من غريب ولا بعيد على تلك القدرة الكاملة المطلقة الإلهية لمن يتأمّل هذا الواقع ويتدبّره أقل تدبّر فى ضوء هذه المشاهدات التى تحيط بهم فى الآفاق وفى أنفسهم... ولذا عقّبه بقوله جل وعلا:

١٩ ــ (فانّما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون)

فلا تستصعبوا البعث فانما قصّة البعث صيحة واحدة بالنفخة الثانية فى الصور فاذاً الناس كلهم قيام من مراقدهم أحيآء ينظرون إلى ما كانوا يوعدون به من قيام الساعة للحساب والجزآء ويشاهدون ذلك ويرونه.

قال الله تعالى: «ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» يس: ٥١)

وقال: «ونفخ فى الصور فصعق مَن فى السموات ومَن فى الأرض إلّا مَن شآء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨)

وقال: «هل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون» الزخرف: ٦٦)

٢٠ ــ (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين)

وقال اولئك المنكرون للبعث المبعوثون يوم القيامة، مبهوتين مدهوشين، متفكّرين لما عاينوا البعث الذى كانوا يكذّبون به فى الدنيا: «ياويلنا» فيدعون على أنفسهم بالويل والهلاك لأنهم يومئذ يتنبّهون ويعلمون بما يحلّ بهم من العذاب والنار، فيقولون معترفين على أنفسهم بالكفر والطغيان: هذا يوم الدين يدين الله تعالى فيه العباد بأعمالهم كما ورد فى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كما تدين تدان» هذا يوم نجازى فيه بأعمالنا من الكفر بالله جل وعلا وتكذيب الرسل، وإنكار البعث والحساب والجزآء...

قال الله تعالى: «قالوا ياويلنا مَن بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» يس: ٥٢)

وقال: «واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنّا ظالمين» الأنبيآء: ٩٧)

وقال: «فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون» الذاريات: ٦٠)

٢١ ــ (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون)

لمّا اعترف المنكرون للبعث به لمّا رأوه يوم القيامة ينادى من جانب الله جل وعلا إليهم، فيقال لهم: هذا يوم الفصل والقضآء، يوم نفصل ونقضى ونحكم بين المشرك والموحّد، بين الكافر والمؤمن، بين المنافق والمخلص، بين المطيع والمتمرّد، بين الفاسد والصالح، بين المسيئ والمحسن، وبين المفسد والمصلح... هذا

يوم يمتاز المشركون من المؤمنين، يمتاز الأشرار من الأخيار، يمتاز الفجّار من الأبرار، ويمتاز المجرمون من العاصين: «وامتازوا اليوم أيّها المجرمون» يس: ٥٩)

هذا يوم الفصل بين الخلائق والحكم وتميز الحق من الباطل، والإخلاص من النفاق، والصالح من الطالح... على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه، وإنه تعالى يدخل المؤمنين المخلصين الجنة على وجه الإعظام والإكرام، ويدخل الكافرين العاصين النار على وجه الإذلال والإهانة: «وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنّة وفريق فى السعير» الشورى: ٧)

هذا يوم الفصل الذى كنتم أيها الكافرون العصاة، أيّها المشركون الطغاة، وأيّها المجرمون البغاة تكذّبون به وتنكرونه فى الحياة الدنيا، وتقابلون مَن أخبر به بالتكذيب وتنسبونه إلى ضدّ الصدّق.

قال الله تعالى: «إن يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ فى الصّور فتأتون أفواجاً» النبأ: ١٧-١٨)

وقال: «إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين» الدخان: ٤٠)

وقال: «هذا يوم الفصل جمعناكم والأوّلين» المرسلات: ٣٨)

وقال: «قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم» الواقعة: ٤٩-٥٠)

وقال: «إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد» الحجّ: ١٧)

وقال: «قد خسر الذين كذّبوا بلقآء الله حتى إذا جآءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها» الأنعام: ٣١)

وقال: «ويل يومئذ للمكذّبين الذين يكذّبون بيوم الدين» المطففين: ١٠-١١)

وقال: «بل كذّبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً» الفرقان: ١١)

٢٢ ــ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون)

إن الله تعالى يأمر الملائكة المتولّين لسوق الكفار والمجرمين والفجّار والظالمين إلى

موقف الحساب والنار يوم القيامة، فيقول لهم: أجمعوا من كل جهة ومكان أصناف الظالمين الذين ماتوا على الظلم والعدوان، على الشرك والطغيان وعلى الكفر والعصيان، الذين ظلموا الله جل وعلا بالشرك : «يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» لقمان: ١٣) وظلموا محمداً وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالعداوة وغصب حقهم، وظلموا النّاس والمجتمع البشرى بالاضلال والانحطاط وصدّهم عن الخير والهدى، عن الحق والرشاد، وعن السعادة والكمال، وظلموا أنفسهم بالذّلّة والهوان والعذاب والنيران...

وأجمعوا من كل مكان وجهة فئاتهم المتشاكلة وأتباعهم السفلة وأشباههم الجهلة الذين انسلكوا مسالكهم فى الظلم والعدوان والعناد واللجاج... واجمعوا قرنآئهم من شياطين الجن والإنس ونظرائهم الذين على دينهم وسيرتهم...

قال الله تعالى: «يوم ندعوا كل اناس بامامهم» الاسرآء: ٧١)

وقال: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون» الزخرف: ٣٦-٣٩)

وقال: «فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنّم جثيّاً» مريم: ٦٨)

فاجعلوا ذوى المعاصى المتشابهة بعضهم مع بعض، فاجعلوا الخائن مع قرينه، والسارق مع شريكه، وشارب الخمر مع شاربها، والزانى مع الزاني، والمنافق مع بديله، والمجرم مع رفيقه، والآكلين لحوم الناس والناهشين لأعراضهم كذلك و هكذا كل شكل مع شكله قرين وضجيع... «و إذا النفوس زوّجت» التكوير: ٧) كل ظالم بمثيله... كما أن أصحاب الحرف المتفقة يتفقون ويتفاهمون، وأصحاب الأخلاق الوضيعة والأشرار والأراذل يتجاورون، وذو والنفوس الشريفة و الأبرار والأفاضل... يأتلفون، فالغربان مع الغربان، والحمام مع الحمام، والزنابير مع

أخواتها و النمل بطائفتها... و فى الحديث: «أنت مع مَن أحببت» واجمعوا آلهتهم الذين كانوا يعبدونها من دون الله من الأصنام والأوثان و الهياكل المنحوتة، والمجسّمات المصوّرة والهيئات المصنوعة... فاجعلوا عابدى الأصنام... و معبوديهم من الأوثان... معاً، ولعل وجه حشر الأصنام مع كونها جمادات لاتعقل هو زيادة التبكيت لعابديها، و زيادة الحسرة لهم، و عظيم التخجيل على ما أتوه من عظيم الشرك و كبير المعصية، و إظهار أنها لا تنفع و لا تضرّ أو لتغليب اولى العقل من المعبودين كالفراعنة و النماردة...

فيحشر يوم القيامة المشرك مع المشرك و معبوده فى موقف واحد من موافقها... فيسئل عنهم جميعاً.

قال الله تعالى: «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولآ أنتم لكنّا مؤمنين ـ ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون» سبأ: ٣١-٤١)

وقال: «ويوم يحشرهم و ما يعبدون من دون الله فيقول ء أنتم أضللتم عبادى هؤلآء أم هم ضلّوا السبيل» الفرقان: ١٧)

٢٣ ــ (من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

من الأصنام وغيرها من الآلهة الموهومة، فيا أيّها الملآئكة عرّفوا هؤلآء المجرمين وأرشدوهم ودلّوهم ووجّهوهم إلى طريق جهنّم شديدة تأجّج نارها، سوقوهم وادعوهم إليها بعد السئوال عنهم فى موقف السئوال والحساب ليسلكوها لأنهم على مشرب واحد.

قال الله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ـ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً» مريم: ٨١-٨٦)

وقال: «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً» الزمر: ٧١)

٢٤ ـ (وقفوهم إنهم مسئولون)

أيتها الملائكة المتولّون لسوق الظالمين إلى الجحيم! قفوهم عند الصراط فى طريق الجحيم: «ولو ترى إذوُقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا» الأنعام: ٣٠) إحبسوهم قبل أن تفتح لهم أبواب جهنم ويلقوا فيها... لأنهم مسئولون ـ على وجه التقرير والتقريع والتبكيت والتوبيخ لهم دون الاستعلام ـ عن ولاية مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته فان العقائد الحقة والأقوال الصادقة والأعمال الصالحة بدون الولاية العلوية حتى التوحيد غير مقبولة عند الله جل وعلا بلا مرآء كالصلاة بدون وضوء فان الولاية حافظة التوحيد، ثم إنهم مسئولون عن سآئر عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم حتى عن النظرة والكلمة وسماعها والقصد بها...

قال الله تعالى: «إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً» الاسراء: ٣٦)

وقال: «الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنّهم أجمعين عما كانوا يعملون» الحجر: ٩١-٩٣)

انهم مسئولون عن كل حق أعرضوا عنه فى الحياة الدنيا من اعتقاد حق أو قول صدق أو عمل صالح إستكباراً على الحق وعناداً على أهله، تظاهراً بالتناصر لأنفسهم فى إعراضهم... وانهم مسئولون عما اتبعوه وعبدوه لأن يكون لهم ناصراً ويقرّبهم إلى الله زلفى... فلابد قبل دخولهم النار المتأجّجة الشديدة أن يحاسبوا وأن يسئلوا عما أجرموا وظلموا وتجاوزوا وهو حساب عسير: «وكان يوماً على الكافرين عسيراً ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّنى عن الذكر بعد إذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولاً وقال الرسول يا ربّ إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٢٦-٣٠)

«فاستمسك بالذى اوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك

ولقومك وسوف تُسئلون» الزخرف: ٤٣-٤٤)

وهذا السئوال عند الصراط فى طريق جهنم، غير ما تسئل خزنتها الظالمين عنه عند دخولهم فيها: «وإذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميّز من الغيظ كلّما ألقِىَ فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جائنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شئ إن أنتم إلّا فى ضلال كبير وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير» الملك: ٧-١١)

٢٥ ــ (ما لكم لا تناصرون)

ومما يُسئَلُ عنه هؤلآء الظالمون المجرمون عند الصّراط فى طريق الجحيم إذلالاً لهم واستهزآءً بهم: أىّ شئ لا ينصر بعضكم بعضاً اليوم فى دفع الأهوال والحساب والعذاب كما كان ينصر بعضكم بعضاً في دفع الحق و في إطفاء نوره، ويستعين بعضكم ببعض على حوائجكم ومقاصدكم، وأنتم اليوم جميعاً فى حاجة شديدة إلى الناصر المعين، ومعكم آلهتكم التى كنتم تعبدونها لذلك فى الحياة الدنيا؟ ومع أنكم تقولون فى الدنيا: «نحن جميع منتصر» القمر: ٤٤) وكنتم فيها متحابّين متضامنين؟! فأين أزواجكم وقرنآئكم وأشباهكم...؟ أين آلهتكم التى كنتم تعبدونها من دون الله لتنصركم اليوم؟ وأين شفاعة الشافعين منها؟؟؟

قال الله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم يُنصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون» يس: ٧٤-٧٥)

وقال: «وبُرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون» الشعرآء: ٩٢-٩٣)

وقال: «وما للظالمين من أنصار» البقرة: ٢٧٠)

وقال: «ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أوليآء ينصرونهم» الشورى: ٤٥-٤٦)

لا جواب لهم بطبيعة الحال ولا كلام، إنما يرد التعليق والتعقيب:

۲۶ ــ (بل هم اليوم مستسلمون)

العابدون والمعبودون، الأتباع والمتبوعون، والرؤسآء والمرؤسون... كلهم صاغرون منقادون أذلّاء لعجزهم عن التناصر والتدافع لا يملكون شيئاً، فلا ينازعون فى الوقوف ولا فى غيره، بل هم يومئذ مستسلمون لأمر الله تعالى فيهم وقضآئه عليهم، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، إذ قد سدّت أمامهم وجوه الحيل، وعجزوا عن الوصول إلى السلام من أىّ طريق يلتمسونها، فلا يجدون فائدة فى المنازعة، ولا سبيلاً إلى الجدل والمخاصمة.

قال الله تعالى: «وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنّا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السَّلَم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون» النحل: ۸۶-۸۷)

۲۷ ــ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

وأقبل فى الموقف قبل دخول الجحيم بعض هؤلآء الظالمين المجرمين وهم الضعفآء السفلة والأتباع الجهلة على رؤسآئهم ومتبوعيهم، فيتعاتبون ويتلاومون فيما بينهم حينئذ، ويتخاصم الأتباع والمتبوعون والضعفآء والرؤسآء، وقد كانوا فى الحياة الدنيا الأخلآء، فيقول التابع لمتبوعه، والمرؤس لرئيسه الذى أغواه على وجه التأنيب والتضعيف له: لِمَ غررتنى؟ لِمَ أضللتنى؟ لِمَ أغويتنى؟؟؟ ويقول الرئيس والمتبوع: لِمَ قبلت منّى؟

قال الله تعالى: «الأخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين» الزخرف: ۶۷)

وقال: «ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكنّا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين» سبأ: ۳۱-۳۲)

وقال: «وقال إنّما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من

ناصرين» العنكبوت: ٢٥)

٢٨ ــ (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين)

قال الأتباع الضعفآء من الظالمين المجرمين لقادتهم المتبوعين الزّعمآء و الرؤسآء: إنكم كنتم تزيّنون لنا الكفر و الغواية، و الجحود و الضلالة بطرق مختلفة... وتصدّوننا عن الايمان بالله تعالى و الإستجابة لدعوته، إذ كنتم تأتوننا عن الجهة التى كنّا نأمنكم منها لحلفكم لنا أنكم على الحق و الهدى، على الخير و الصلاح، على السعادة و الفلاح، وعلى الرشاد و الكمال... فتنهوننا عنها، وتمنعوننا منها، وتصدّوننا عن سلوك طريقها، وعن أهلها، فصدقناكم و اتبعناكم، فأنتم أضللتمونا، وإذ كنتم تأتوننا من ناحية النصيحة و الإرشاد و الموعظة... ولكنّها نصح إلى الغواية و الضلال، وإرشاد إلى الإنحطاط و الهلاك و الدّمار، ودعوة إلى العذاب و النار:

قال الله تعالى: «اولئك يدعون إلى النار» البقرة: ٢٢١)

وقال: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلآء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» النسآء: ٥١)

وقال: «انهم اتخذوا الشياطين أوليآء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون» الأعراف: ٣٠)

وقال: «وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون» الزخرف: ٣٧)

وإذ كنتم تأتوننا باسم الدين وتحولون بيننا وبين الدين الحق وتضلّوننا و توقعوننا فى الباطل و الضلالة، وفى الفساد و الشقاوة، وترغّبون فيما تدينون به وتعتقدونه، فحببتم إلينا الكفر بما نراه خيراً وهو فى واقعه شرّ ولذلك إغتررنا بكم فأضللتمونا وأوقعتمونا فى الهلاك الذى نحن صائرون إليه لا محالة.

٢٩ ــ (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين)

قال زعمآء الكفرة الفجرة، وقادة الظلمة الفسقة، ورؤسآء الجناية و الخيانة لأتباعهم الجهلة ومردتهم السفلة ردّاً عليهم: ليس الأمر كما قلتم، بل لم تكونوا مؤمنين بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أصلاً أو كنتم على صورة الإسلام من غير

اتيان بشروطه وعهوده... فلم تكونوا على الايمان حقيقة، بل كنتم منتحلين بصورة الاسلام وتدّعون الإيمان: «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» المائدة: ٤١)

لم تكونوا مؤمنين إذ أبيتم الايمان وأعرضتم عنه، وأنتم مختارون كما أعرضنا عنه ونحن مختارون، فلم نقرّكم على الكفر والظلم على سبيل الإلجاء، بل أنتم اخترتم الكفر والطغيان بسوءِ إختياركم، وأعرضتم عن الايمان من غير إلجآءٍ، فلم نمنعكم من الايمان ولم ننقلكم عن الايمان إلى الكفر، ولم نجبركم ولم نلجأكم إلى الكفر والضلالة، ولم نسلب منكم الإختيار، فلم نجدكم مؤمنين حتى صرفناكم عن الايمان، إذ كنتم ضالّين طغاة غير مصدّقين فى قرار نفوسكم بما دسيتم به أنفسكم من اتباع الهوى وإرتكاب المعاصى والآثام، والانهماك فى الفجور والشهوات...

فلم نكن نحن السبب التام الموجب لكفركم وطغيانكم، ولضلالكم وهلاككم بخلوّكم عن الايمان، فما جرّدناكم من الايمان، فلم تكونوا مؤمنين بسوء اختياركم، ونحن وإن كنّا ندعوكم إلى الكفر والضلالة وإلى الباطل والغواية، ولكن مجرّد الدعوة لا يسلب عنكم الإختيار، وإلّا فقد كان محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً يدعوكم إلى الايمان والهدى وإلى الخير والفلاح وإلى الحق والصلاح... فلِمَ أجبتمونا ولم تجيبوا دعوة الله تعالى ودعوة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! «إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون ـ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا» غافر: ١٠ـ١٢)

«قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين» سبأ: ٣٢)

٣٠ ــ (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين)

ولو سلّمنا أنه كان لكم أيها الأتباع والمردة ايمان، فما كان لنا عليكم من سلطان قاهر على باطنكم وايمانكم حتى نسلبه منكم ونجرّدكم منه، فانه لا سلطان لأحد على القلوب والضمآئر حيث هى مستقر الايمان ومستودعه، فما كنّا نملك أية

حجة أو قوّة فى ترك الحق والايمان فنصدّكم بها عن الهدى والرشاد بصدق وإخلاص، ونحول بينكم من أجلها وبين أتباع الحق، فنخرجكم من الايمان وندخلكم فى الكفر أو بالعكس هذا!

ولو فرضنا أنّنا أضللناكم وزيّنّا لكم الكفر فما كان لنا عليكم من قدرة تقهركم على متابعتنا ونسلبكم بها إختياركم، فنجبركم على الكفر والضلالة، فلم نسلب نحن منكم الإيمان على فرضه، ولم نحملكم حملاً على الضلالة على فرض الإضلال!

بل كنتم قوماً طاغين على الله جل وعلا متجاوزين الحد، متعدّين إلى ما ليس لكم التعدّى إليه من الشرك والعصيان ومخالفة أوامر الله تعالى، خارجين عن الحق، منحرفين عن طريق الهدى، وكنتم أهل بغى وعدوان، أهل عناد وعصيان، وأهل لجاج وطغيان... تجاوزتم الحدّ إلى أفحش الظلم، وأعظم المعاصى، وأكبر الكبآئر... وكنتم قوماً باغين مختارين الكفر والطغيان مثلنا، فتعاضدنا نحن الزعمآء وأنتم الأتباع جميعاً على ترك سبيل الرشد والكمال، والحق والهدى، وعلى اتخاذ سبيل الغى والانحطاط، وسبيل البغى والهلاك بسوء إختيارنا!

قال الله عزوجل: «سأصرف عن آياتى الذين يتكبّرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغىّ يتخذوهِ سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٤٦)

ولذا تركنا نحن الزعمآء المتبوعون، وأنتم الضعفآء التابعون... تركنا الحق والايمان، وأخذنا الباطل والكفر، وأعرضنا عن الهدى والرشاد ورغبنا فى الضلالة والإنحطاط... وهذا مثل محاجّة إبليس لأتباعه: «إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىّ إنّى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم» إبراهيم: ٢٢) فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فانه لازم لكم ولا حق بكم.

مع أن سلطان الزعمآء المتبوعين إنما هو بالمردة التابعين، فانهم يعطونهم القدرة والسلطة على أنفسهم، فيتسلّط الزعمآء بأيدى مردتهم على أنفسهم: «إنما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون» النحل: ١٠٠)

فلم نسلب نحن عنكم الإختيار إذ ما كان منّا إلّا أن دعوناكم لتؤمنوا بما اخترناه لأنفسنا وزيّنه الشيطان لنا، ووسوس به إلينا، فلبّيتم دعوتنا سراعاً وسرتم فيما نحن فيه سآئرون، إذ كنتم لذلك مستعدّين، ولمثله محبّين، فما كان منّا إلّا الدعوة، وكانت منكم الإجابة باختياركم لا جبراً لكم!

قال الله تعالى: «ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا» غافر: ١٢)

وقال: «فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهوآءهم» القصص: ٥٠)

٣١ ـ (فحقّ علينا قول ربنا إنّا لذآئقون)

فوجب وثبت ولزم علينا التابع والمتبوع، الرئيس والمرؤس، والخادم والمخدوم جميعاً قضآء ربنا فينا أن نكون من أصحاب النار بسوء إختيارنا فى عقائدنا وأقوالنا وأعمالنا... فنحن الزعمآء المتبوعون وأنتم الضعفآء التابعون جميعاً ذآئقون مرارة عقآئدنا الباطلة، وأقوالنا الكاذبة، وأعمالنا الفاسدة كما كنا ندرك المطعوم بالذوق فى الحياة الدنيا، فكلّنا ذائقون العذاب الأليم الدائم الذى نستحقّه بالغواية والإغواء، والضلالة والإضلال لا محالة، ولا مفرّ لنا من هذا المصير.

قال الله تعالى: «فالحق والحق أقول لأملأنّ جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٤ـ٨٥)

وقال: «وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار» غافر: ٦)

وقال: «ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذّبون» سبأ: ٤٢)

وقال: «إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون» الصافات: ٣٨ـ٣٩)

وذلك ان من عدله تعالى أن يجازى كل نفس بما كسبت ويثيبها بما عملت: «كل نفس بما كسبت رهينة» المدثر: ٣٨) «ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلّا بما كنتم تكسبون» يونس: ٥٢) ان الله تعالى هو الخبير بما كسبنا، وهذا جزآء لا محيص عنه، وهو نتيجة حتمية لما فعلنا بسوء إختيارنا، فلا يلومنّ كل منّا إلّا نفسه، ولا يلم بعضنا بعضاً، ولا داعى إلى الجدل والخصام وشدّ النكير، فلا يُجنى من الشوك العنب، ولا يعقب الضلال إلّا النار، عدلاً من ربنا كما وعد بذلك على ألسنة رسله، وكنّا بذلك عالمين، ولكنّا كنّا عن الحق معرضين، وعن اتباعه مستكبرين، فدعوناكم إلى الكفر والضلالة بلا إكراه فاستجبتم لنا بدون تعقل، فنحن وأنتم فى الكفر والطغيان سواء، فلا لوم لكم علينا ولا لوم لنا عليكم، وكلّنا نذوق العذاب الأليم!

٣٢ ــ (فأغويناكم إنّا كنّا غاوين)

فدعوناكم أيها المردة إلى ما كنّا فيه من الغىّ والضلال دعوة محصّلة للبغية، وزيّنا لكم ما كنّا عليه من الكفر والطغيان، فقبلتم واستجبتم لنا، ورجّحتموها على الرشد والهدى، فأضللناكم عن الحقّ والكمال لأنّا كنّا غاوين، فأردنا إغوآءكم لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكالها تقع، والناس مولعون بتكثير سوادهم ومَن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الامم يعلّمون الآخرين لغاتهم وعلومهم وتاريخهم... ليكونوا على شاكلتهم وينتفعوا بهم، فالغاوى لا يتوقّع منه إلّا الغواية كما أنّ الأمين لا يتوقّع منه إلّا الأمانة، فان الإنآء لا يترشّح منه إلّا ما فيه.

قال الله تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتّبع ملّتهم» البقرة: ١٢٠)

وقال: «والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ـ ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل ـ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم» النسآء: ٢٧ و ٤٤ و ١٤٠)

فما كان منّا فى شأنكم إلّا حبّنا أن تكونوا مثلنا وهو غير ملزم لكم على ما كنّا عليه، وإنّما أضرّكم سوء إختياركم، فنحن أغويناكم وقد كنتم تعرفوننا انا كنّا غاوين، ولكن لم يكن الإغوآء أن يلجأكم بالغواية، فلا عتب علينا فى تعرّضنا لإغوائكم ولا تلومونا ولوموا أنفسكم، فقد أردنا أن تكونوا أمثالنا فى الغواية فأقدمنا على إغوائكم لأنّا كنا موصوفين بالغواية.

قال الله تعالى: «قال الّذين حقّ عليهم القول ربّنا هؤلآء الّذين أغوينا أغويناهم كما غوينا» القصص: ٦٣)

وقال: «وإخوانهم يمدّونهم فى الغىّ ثم لا يقصرون» الأعراف: ٢٠٢)

٣٣ ـ (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون)

إن هذه الملاحاة التى تدور بين أهل البغى والجناية، بين أهل الظلم والضلالة، وبين أهل الكفر والغواية ... لا تغنى عنهم شيئاً، ولا يغنى الاعتذار والتنصّل والتلاوم أحدهم شيئاً كما لا ينفع الزعمآء الباغون يومئذ أتباعهم الطاغين ولا ينفع الأتباع رؤسآئهم الفاجرين شيئاً، فان التابع الفاسد والمتبوع المفسد، الرئيس المضلّ والمرؤس الضال، والخادم الغاوى والمخدوم المغوى كلهم يوم القيامة مشتركون فى عذاب جهنم المحيط بهم كما أنهم كانوا مشتركين فى الفساد والضلالة والبغى والغواية فى الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جآءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون» الزخرف: ٣٦-٣٩)

وقال: «وبُرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسوّيكم برب العالمين وما أضلّنا إلّا المجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم» الشعراء: ٩١-١٠١)

وإن كان الزعمآء الفجرة والرؤسآء الباغية أشدّ عذاباً من مردتهم السفلة لأنهم يحملون أوزارهم وأوزاراً مثل أوزار مَن أضلّوهم، وهذه الزيادة لا تنافى إشتراك الجميع: الرؤسآء والأتباع فى أصل العذاب، فللزعمآء المغوين عذاب لاغوآئهم الغاوين زيادة على عذاب غوايتهم.

قال الله تعالى: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم» النحل: ٢٥)

وقال: «كلّما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون» الأعراف: ٣٨) وقال: «وإذ يتحاجّون فى النار فيقول الضعفآء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها» غافر: ٤٧-٤٨)

٣٤ ــ (إنا كذلك نفعل بالمجرمين)

إنا كما فعلنا بهؤلآء الأتباع الغاوين، وهؤلآء المتبوعين المغوين نفعل مثل ذلك الجزآء والعذاب الأليم بكل مجرم غيرهم وفاقاً لما تقتضيه الحكمة ويوجبه العدل بين العباد، فيعطى كل عامل جزآء ما قدمت يداه، فسبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه استوجبها، وهذا جزآء كل مَن أجرم وكفر بالله تعالى وضلّ عن سوآء السبيل.

قال الله تعالى: «إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السمآء ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين» الأعراف: ٤٠-٤١).

وقال: «إنه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى» طه: ٧٤)

٣٥ ــ (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون)

إنّما نفعل هكذا بهؤلاء المجرمين ونعذّبهم بهذا العذاب الأليم لأنّهم كانوا إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلّا الله، وإذا دُعوا إلى الايمان بالله جل وعلا وإلى أن يعبدوه

وحده أبوا أن يستجيبوا لهذا الداعى الذى يدعوهم، واستكبروا أن يتلقّوا كلمة التوحيد منه، وتعظّموا عن ذلك، وتكبّروا عن قبول الشهادة والاعتراف بها، استكبروا أن يقولوا: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة والنطق بها، وإذا سمعوها نفروا منها واستكبروا وأعرضوا عن سماعها وصعّروا خدودهم أنفة وكبراً أن يسمعوا مثلها، واستكبروا عن النطق بها وعن سماعها وعن الداعى إليها، وأبوا إلّا الشرك والإشراك ويستمّرون عليه.

قال الله تعالى: «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» الشورى: ١٣)

وقال: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه يستبشرون» الزمر: ٤٥)

وقال: «إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» النحل: ٢٢)

وقال: «وإذاتتلى عليه آياتنا ولىّ مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ فى اذنيه وقراً» لقمان: ٧)

وقال: «وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين» الجاثية: ٣١)

٣٦ ــ (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

ولمّا أنكر المشركون المستكبرون، والمجرمون المعاندون التوحيد، أنكروا الرسالة وكانوا يقولون: أنترك نحن آلهتنا المتعدّدة ونتبع هذا الشاعر المجنون وهم يعنون النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم- وهو يدعونا إلى إله واحد؟: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب» ص: ٥) «إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا لو لا أن صبرنا عليها- أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٢-٤٤)

ولا ريب أن المشرك المستكبرو المجرم المعاند الذى نسب الجنون إلى سيّد الكونين الذى أخرج من الظلمات إلى النور أضلّ سبيلاً من الأنعام، وأن المجنون خير

وأكرم عند الله تعالى وعند العقلآء منه.

٣٧ ـ (بل جآء بالحق وصدق المرسلين)

إن محمداً هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وليس بشاعر ولا مجنون، بل جآء بالحق من عند ربهم: «يا أيها الناس قد جآءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم» النسآء: ١٧٠) «أم يقولون به جنّة بل جآءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» المؤمنون: ٧٠) وهذا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذى صدّق المرسلين الذين أرسلوا من قبله أجمعين إذ دعا هو صلّى الله عليه وآله وسلّم الناس كلهم إلى توحيد الله جل وعلا وإلى عبادته وحده كما كان ذلك دعوة كل رسول من رسل الله صلوات الله عليهم اجمعين.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحى إليه أنه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبياء: ٢٥)

وقال: «إن الله هو ربّى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» الزخرف: ٦٤)

فصدّق محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المرسلين فيما جآؤا به من التوحيد والعبادة لله تعالى وحده فان التوحيد والعبادة لله تعالى وحده دين كل الأنبياء والمرسلين، وإذا كان محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو خاتم الرسل: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» الاحزاب: ٤٠) وإذا كان كتابه هو جامعة الكتاب، فمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا مصدّق لاخوانه الرسل من قبله وكتابه مصدّق لما نزل عليهم من كتب، وذلك ان المُرسِل واحد وهو الله جل وعلا والرسالة واحدة وهى هداية البشر إلى الخير والكمال، إلى الحق والرشاد، وإلى الصلاح والفلاح وإسعاده وبثّ روح الفضيلة بين أفراده...

قال الله تعالى: «ذلک هدى الله يهدى به مَن يشآء من عباده ـ اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة ـ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ـ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» الانعام: ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ١٥٣ و ١٦١)

وقال: «الذين يتبعون الرسول النبي الامّى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبآئث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون» الاعراف: ١٥٧)

٣٨ ــ (إنكم لذائقوا العذاب الأليم)

انكم أيّها الزعمآء المغوون، ويا أيّها الرؤسآء المستكبرون، ويا عبدة الأصنام الغاوون، ويا أيّها الضعفآء المردة المجرمون... إنكم بما فعلتم من الشرك، والإستكبار، ورمى الحق بالباطل، وتكذيب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ونسبة الجنون والشعر إلى سيّد الكونين سيقال لكم يوم القيامة: ذوقوا العذاب الأليم الدائم.

قال الله عزوجل: «ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأنعام: ٣٠)

وقال: «فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرّاً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذّبون وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلّا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفك مفترىً وقال الذين كفروا للحق لمّا جآءهم إن هذا إلّا سحر مبين» سبأ: ٤٢-٤٣)

وقال: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً» النسآء: ٥٦)

وليس ذلك ظلماً عليكم قط قال الله تعالى: «ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد» آل‌عمران: ١٨١-١٨٢).

٣٩ ــ (وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون)

هذا العذاب الأليم الدائم هو الجزآء العادل لما كنتم تعملون من الشرك والطغيان، من الكفر والعصيان، ومن الظلم والعدوان، فليس فى هذا الجزآء عدوان عليكم ولا ظلم لكم أيّها الكفرة الفجرة، وإن كان أليماً دائماً بالغ الغاية فى الايلام والدوام، فانكم لا تجزون إلّا بما عملتم وقدمتم ما استحقتم من الدوام والايلام.

قال الله تعالى: «ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلّا بما كنتم تكسبون» يونس: ٥٢)

وقال: «ذلك جزآؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً» الكهف: ١٠٦)

وقال: «والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور» فاطر: ٣٦)

وقال: «فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعدآء الله النار لهم فيها دار الخلد جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون» فصّلت: ٢٧-٢٨)

٤٠ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

إنكم أيها المشركون المستكبرون التابع والمتبوع كلكم لذآئقوا العذاب الأليم بسبب شرككم وطغيانكم ولكنّ عباد الله الموحّدين المخلصين الذين أخلصوا دينهم ولم يشركوا به شيئاً، وأطاعوه فى كل ما أمرهم به وانتهوا عن كل مانهاهم عنه فهم لا يذوقون العذاب الأليم.

قال الله تعالى: «الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً» النسآء: ١٤٦)

وقال: «وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥)

وقال: «لا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم» الدخان: ٥٧)

٤١ ـ (اولئك لهم رزق معلوم)

هؤلآء المخلصين الموحدين المؤمنين فى جنّات النعيم رزق وافر ما لذّوطاب، معدّ وحاضر دآئماً لا ينقطع، يعلمه خدّامهم فيها، فيأتونهم به قبل أن يسئلوهم إيّاه وذلك لحسن اختيارهم ونيّاتهم وعقيدتهم الحقة وإخلاصهم وصلاح عملهم.

٤٢ ـ (فواكه وهم مكرمون)

ومن هذا الرزق المعلوم فـواكه كثيرة، وثمار متنوّعة رطبها ويابسها، يتفكّهون بها ويتنعّمون بالتصرّف فيها، وهم لا يشتهون شيئاً فى الجنّة إلّا اكرموا به، وهم مع تلك النعم ونـيلهم بها، مكـرمون بأنواع كرامـة الله تعالى ورعايتـه وعنايته الخـاصّـة بهم، مكرمون بحسب الرزق والمسكن والمقام والمعاشر...

قال الله تعالى: «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» الدخان: ٥٥)

وقال: «وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة» الواقعة: ٣٢-٣٣)

وقال: «وفواكه مما يشتهون» المرسلات: ٤٢)

وقال: «اولئك فى جنّات مكرمون» المعارج: ٣٥)

٤٣ ـ (فى جنّات النعيم)

ليس لهؤلآء المـوحّديـن المـؤمـنين المخلصين مجرّد الرزق المعـلوم والإكـرام من غير سكونـة وإستراحـة، بـل لهم مع هـذا الرزق الوافر والـفواكه الـكثيـرة والثمار المتنـوّعة والكرامـات الإلهيـة فى بساتين فيها أنـواع النـعيم التى يتنـعمـون بها ويـتـمكّنـون فيها: «فالذيـن آمنوا وعمـلوا الصالحـات فى جنات النـعيم» الحج: ٥٦) «وعد الله المـؤمنين والمؤمنات جنّـات تجرى من تحتها الأنهار خـالدين فيها ومساكن طيّبة فى جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧٢)

٤٤ ـ (على سرر متقابلين)

وهؤلاء المخلصون فى هذا المنزل الـكريم يجلسون على سرر يواجه فيها بعضهم بعضاً ليتلاطفوا ويتآنسـوا ويتحابّوا ويتمـتّعوا بطيب الحديث، ويستمتع بعضهم بنظرهم فى وجه بعض لحسن معاشرتهـم وتهذيب أخلاقهم... من غير أن يـرى بعضهم قفا بعض لـعيب وحقـد وعـداوة، وفى ذلـك لذّة روحيّـة لا يـدركـها الآ ذو واالنهى وأرباب الحجا...

قال الله تعـالى: «ونزعنـا مـا فى صدورهم مـن غلّ إخواناً على سـرر متقـابلين» الحجر: ٤٧)

وقال: «على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين» الواقعة: ١٥-١٦)

٤٥ ــ (يطاف عليهم بكأس من معين)

يطوف على هؤلآء المخلصين فى هذا المنزل الكريم سقاة من غلمان وخدم بكؤوس ممتلأة صافية الأديم من أنواع خمر ظاهرة للعيون كأنّها المآء يتفجّر جارية من العيون غير غائرة كما تجرى العيون على وجه الأرض، صافية نقية رقيقة، فلا تعصر عصراً، ولا تنقطع أبداً، فيطلبون منها ما يريدون وحيثما يشآؤن.

قال الله تعالى: «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون» الطور: ٢٤)

وقال: «يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس من معين» الواقعة: ١٧-١٨)

٤٦ ــ (بيضآء لذّة للشاربين)

خمر صافية فى بياضها، مشرقة اللون، حسنة بهيّة أشدّ بياضاً من اللبن، وهى ببياضها وصفآئها تلذّ الناظر إليها، وتملأ عينه بهجة وحبوراً، فترى بيضآء صافية فى نهاية الرقّة واللطافة مع النورية الّتى لها والشفافة لأنّها على أحسن منظر ومخبر لا كخمر الدنيا ذات المنظر البشع واللون الأسود أو الأصفر أو الذى فيه كدورة أو كريهة عند الشرب وما إليها مما ينفّر الطبع السليم.

وهى خمر بلغت الغاية فى لذّتها للشاربين كأنّها نفس اللذّة، لذيذة الطعم كما هى طيّبة اللون وطيّبة الريح، فليس فيها ما يعترى خمر الدنيا من المرارة والكراهة.

٤٧ ــ (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)

ليس فى خمر الجنّة خمار السكر وحدّته، ولا غآئلة تفسد العقول، فتذهب بها خفية من غير أن يحسّ بذهابها، ولا يصيبهم منها مرض ولا وجع فى البطن ولا فى الرأس ولا يسكرون بها كما فى خمور الدنيا وتصدع أهلها وتحدث فيهم البول والقئ والعربدة وما إليها من المفاسد والمضرّات الجسمية والروحية، الماديّة والمعنوية، الفردية والإجتماعية، والظاهرية والباطنية... خفية من غير أن تحسّ بدواً.

الغول يشمل أنواع الفساد الناشئة عن شرب الخمر، فينتفي جميعها من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتأثيم وإثارة الشهوة الحيوانية والنزوة وهلاك النفس والمال وضياع الشرف والشخصية والكرامة الانسانية وما إليها من المفاسد... ولمّا كان السكر أعظم مفاسد الخمر أفرده بالذكر: «ولاهم عنها ينزفون» فليست خمر الجنّة كخمر الدنيا: كريهة الطعم، كريهة الرآئحة، مذهبة العقل، مضعفة الجسم، ومظهرة عمل البهآئم من الانسان، فنزّه الله جل وعلا خمر الجنّة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس، ووجع البطن وذهاب العقل وما إليها من الآفات...

٤٨ ـ (وعندهم قاصرات الطرف عين)

وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله تعالى في الجنّة فتيات جميلات عفيفات طاهرات... قصرن طرفهن وحبسن قلوبهن على أزواجهنّ، وينظرن إليهم نظرة الغنج والدلال، فلا يردن غيرهم، ولا ينظرن إلى غيرهم لغاية حبّهنّ إياهم، ونهاية حسنهم عندهنّ، ولأنهنّ مخصوصات لهم، وهنّ ذات عيون بخلآء، واسعات العيون الكبرآء لحسانها في جمال و كمال، وان أعينهنّ شديدة في سوادها، شديدة في بياضها.

قال الله تعالى: «وعندهم قاصرات الطرف أتراب» ص: ٥٢)

وقال: «فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ» الرحمن: ٥٦)

٤٩ ـ (كأنّهنّ بيض مكنون)

كأن هؤلآء الفتيات الجميلات الباكرات بيض مكنون، فيشبهن ببطن البيض في الصفآء واللطافة، في الحسن والرقّة، في النظافة والصيانة عن الكسر والابتذال، وفي اللون وهو البياض في الصفرة وهي أحسن ألوان النسآء، والبيض هو اللباب الذي يكون بعد القشر الرقيق الذي يكون بين البيض والقشرة العليا الضخيمة وهي الجلدة الملبسة الملح الّتي يمسّها الطائر، وتباشرها الأيدي، ويلقاها العش، فالبيض هو المخزون المكنون داخل القشر الرقيق ما لم يمسّه شئ من يد أو غيرها... وهؤلآء الفتيات كالبيض المكنون في الصفآء والشفافة واللطافة... وأنهن لم يمسّهنّ قبل

أزواجهن: هؤلآء المخلصون من عبادالله تعالى إنسٌ ولا جانّ، وأنّهنّ عذارى.

قال الله تعالى: «إنا أنشأناهنّ إنشآءً فجعلنا هنّ أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين» الواقعة: ٣٥-٣٨)

وقال: «كأنهنّ الياقوت والمرجان» الرحمن: ٥٨)

٥٠ ــ (فأقبل بعضهم على بعض يتسأءلون)

بعد ما نزل المخلصون منازل التكريم فى جنّات النعيم، فيقبل بعضهم على بعض فيها، فيتجاذبون الحديث، ويتحدّثون عما كانوا يعانون فى الحياة الدنيا، وما جرى لهم وعليهم فيها، ويتحادثون ما تنعّموا من نعيم الجنّة، وما وقاهم الله تعالى من عذاب الجحيم وأهوال يوم القيامة، وهذا هو من تمام الانس فى الجنة، وهذه ألذّلذّات روحية، أشرف من اللّذات الحسّيّة المادّيّة.

قال الله تعالى: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنّا قبل فى أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنّا من قبل ندعوه انه هو البرّ الرحيم» الطور: ٢٥-٢٨).

٥١ ــ (قال قائل منهم إنى كان لى قرين)

ومما يتحدّث بعض المخلصين المتسآئلين بعد إقباله إلى بعض منهم، يذكر فى تضاعيف المحاوراة قريناً كان له يسئله سئوال الساخر المستكبر: انى كان لى رفيق متنكّر فى الحياة الدنيا، كافر بالبعث، ومنكر للحساب والجزآء...

٥٢ ــ (يقول أ إنك لمن المصدّقين)

يقول لى هذا القرين المتنكّر، متظاهر الرفاقة، منكر البعث، مكذّباً ساخراً، توبيخاً لي وتبكيتاً بايمانى وتصديقى بالبعث والجزآء الذى أخبر الله تعالى، يقول لى: أيّها الرفيق أ إنك كسآئر المؤمنين لمن المصدّقين بالبعث والحساب والجزآء؟ كيف تؤمن بالبعث وهو ضلالة وخرافة؟

وذلك ان بعض منكرى البعث كان يتظاهر الرفاقة والمصاحبة لبعض المخلصين، ويقول له على طريق التوبيخ والإنكار والتهجين لاعتقاده، ويوسوس فيه ليشككه فى

أمر البعث والحساب والجزآء... كما هو دأب شياطين الجن والإنس فى كل ظرف من غير تأثير لهم فى المخلصين.

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان: «لأُزيّننّ لهم فى الأرض ولأُغوينهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» الحجر: ٣٩-٤٠)

٥٣ ــ (ء إذامتنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنا لمدينون)

وقد كان هذا القرين المتنكّر المتظاهر يستبعد البعث ويستنكره أشدّ الاستنكار ويوسوس فىّ، ويكشف لى عن إستحالته بما يضرب لى من أمثال فى هذه العظام البالية، وهذا التراب الذى صارت إليه العظام، وأن لبسها الحياة بعد هذا! هذا أمر لا يصدقه عقل ولا يقبله عاقل، وقد كان يراودنى على أن نترك هذا المعتقد الذى كنّا نعتقده فى البعث والحساب والجزآء، ويقول لى ما كان يتردّد على ألسنة أهل الشرك والضلال، أهل الكفر والفساد، وأهل البغى والعناد:

حياة ثم موت ثم بعث؟ حديث خرافة يا امّ عمرو!

يقول لى متعجّباً مستنكراً: أ إذ امتنا وصار بعض أجزآئنا من الجلد واللحم وما إليها تراباً وبعضها الاخرى عظاماً نخرة وبالية متفتتة، وتلاشت أبداننا وتغيّرت صورها... نخلق خلقاً جديداً وصرنا أحيآء ونخرج من قبورنا، ونحن بعد ذلك نحاسب بما قدّمت أيدينا، ونجازىٰ بأعمالنا وندان عليها ـ كما تدين تدان ـ ونعذّب فى النار كما يقول محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا؟

ألا ان ذلك لا يدخل فى باب الإمكان ولا يقبله عاقل، فاجْدِرْ بمن يصدق بمثل ذلك أن يعدّ من البُله والمجانين الذين لا ينبغى مخاطبتهم، ولا الدخول معهم فى باب الجدل والخصام، فهم ساقطون من درجة الإعتبار لدى العقلآء والمنصفين...

قال الله تعالى: «وإن تعجب فعجب قولهم أ إذا كنا تراباً أ إنّا لفى خلق جديد» الرعد: ٥)

وقال: «وقال الذين كفروا أ إذا كنّا تراباً وآباؤنا أ إنّا لمخرجون لقد وُعِدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلّا أساطير الأوّلين» النمل: ٦٧-٦٨)

وأما طبيعة الإخلاص فبأن لا يستجيب المخلص لهذا الكفر والإنكار والشرك والضلال، ولا ينخدع لهذا القرين المتنكّر الموسوس، ولهذا كان هذا المخلص مع هؤلاء المخلصين فى هذا المنزل الكريم، ولكن القرين المتنكّر قد أخذ طريقه إلى جهنم:

٥٤ ـ (قال هل أنتم مطّلعون)

ثم قال هذا المؤمن المخلص لإخوانه المخلصين فى جنّات النعيم: هل أنتم أيّها الصحاب الكرام مطّلعون على موضع من الجنّة يرى منه حال هذا القرين المتنكّر ـ من طلع على كذا: إذا أشرف عليه ـ والمعنى: هل تودّون أن تنظروا إلى أين استقرّ المقام بهذا القرين؟ هل تحبّون أن تروا مكان هذا القرين؟ هل تؤثرون أن تنظروا كيف حاله فى النار؟ كيف كانت عاقبته؟ كيف خذله الله جل وعلا؟ وكيف أوقعه فى الهلكة؟ قال ذلك ليزيدهم سروراً على أن عصمهم الله تعالى من مثل حاله، ووفقهم إلى العمل بما أرشده إليه أنبيآؤه ورسله... وليبيّن صدقه فيما حكاه إخباراً لهم بأن كان له قرين متنكّر بقوله له: «أ إنك لمن المصدّقين...»

٥٥ ـ (فاطّلع فرآه فى سوآء الجحيم)

انظروا أيّها الإخوان المخلصون ها هوذا فلان الذى كان شأنه ذلك، انه هناك فى جهنم؟ ها هو ذا فانظروا إليه وإلى ما هو فيه! فيقول له جلسآئه المخلصون: نعم اطلع أنت فانك أعرف بقرينك المتنكر، ولا حاجة لنا فى تصديقنا بما أخبرتنا به إلى رؤية القرين، فأشرف المؤمن المخلص حينئذ من بعض كوى الجنّة على أهل النار، فرآى قرينه المتنكر فى وسط الجحيم يأخذ مكاناً متمكّناً منها يتلظّى بحرّها وشديد لهبها، وقد كان هو داعية من دعاة السوء ورأساً من رؤوس الكفر كان يدعوا الناس إلى النار وقد وقع فيها.

قال الله تعالى: «اولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبيّن آياته للناس لعلّهم يتذكّرون» البقرة: ٢٢١)

وقال: «فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم

القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين» القصص: ٤٠-٤٢)

إن فى الجنّة كوى ينظر أهلها منها إلى النار وأهلها، فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوّ كان له فى الدنيا اطلع عليه من بعض الكوى...

٥٦ ـ (قال تالله إن كدت لتردين)

لمّا أشرف المخلص من كوّة الجنّة على القرين المتنكّر فى وسط الجحيم، ورآى القرين الذى فى النار من كوّتها المخلص فى جنات النعيم، قال المخلص مخاطباً له على وجه التعجّب والتوبيخ والتشميت: اقسم بالله جل وعلا انك قاربت لتسقطنى عن الإنسانية، وتسقطنى فيما أنت سقطت فيه من وسط الجحيم، ولتهلكنى لو أطعتك بما قلته لى، ودعوتنى إليه بوسوستك وجحودك ، وبسعيك فى إغوآئى وإضلالى فى الحياة الدنيا إلى إنكار البعث والحساب والجزآء، وسعيك فى صدّك إيّاى عن الايمان، وبسعيك فى كفرى المؤدّى إلى الهلاك الحقيقى حتى يكون هلاكى كهلاك المتردّى من شاهق، ومنه قوله تعالى: «وما يغنى عنه ماله إذا تردّى» الليل: ١١) فى النار ولكن الله عزوجل لطف وسلم.

قال الله تعالى: «وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لا تخذوك خليلاً- وإذاً لا يلبثون خلافك إلّا قليلاً» الاسراء: ٧٣-٧٦)

ولا يجد المؤمن المخلص ما يقوله لقرينه المتنكّر إلّا أن يتبرّ أمنه فى الآخرة- وقد استقر المخلص المؤمن فى جنات النعيم، وقد خلّد المشرك المغوى فى سواء الجحيم- كما تبرّ أمنه فى الحياة الدنيا.

٥٧ ـ (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين)

وقال المخلص على طريق التوبيخ، مخاطباً لقرينه المتنكّر: لو لا توفيق ربى ونعمته علىّ بالاستمساك بالعروة الوثقى، والبرآءة من القرين السوء لا تبعتك وأخذت طريقك الضلال، لو لا إنعام ربى وإحسانه إلىّ بالاسلام لكنت مثلك كافراً مغوياً، لو لا رحمة ربى وهدايته إيّاى إلى الحق والرشاد، إلى الخير والفلاح، وإلى الصلاح

والكمال لكنت مثلك منحطاً ساقطاً عن الكرامة والإنسانية، لولا فضل ربى ولطفه علىّ بالايمان بالبعث والحساب والجزآء بعد الموت بأن لطف لى فى ترك متابعتك والقبول منك، وفى ترك طريقك الضال، ولولا عصمته إيّاى من الكفر والضلال، ومن البغى والفساد... لكنت أنا أيضاً من المحضرين معك ومع أضرابك فى النار للعذاب، فاقاسى ما تقاسى أنت وأمثالك وقرنآؤك ...

قال الله عزوجل: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم- ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً» النور: ١٤ و ٢١)

وقال: «ولكنّ الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة» الحجرات: ٨)

وقال: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلّا قليلاً- ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طآئفة منهم أن يضلّوك وما يضلّون إلّا أنفسهم وما يضرّونك من شئ» النسآء: ٨٣ و ١١٣)

وقال: «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين» البقرة: ٦٤)

وقال: «ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جآءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٣)

٥٨ ــ (أفما نحن بميّتين)

لمّا ذُبح الموت بصورة الكبش بين الجنّة والنار نُودِىَ! يا أهل الجنّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، فيقول عندئذ أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنّة على طريق الإخبار والبشارة بأنهم لا يموتون بعد هذا النعيم، وان الموتة الاولى قد مضت: «أفما نحن بميتين» فالاستفهام إستفهام تلذّذ وسرور وبشارة وتحدّث بنعمة الله جل وعلا عليهم من تأبيد الحياة وعدم التعذيب أى نحن مخلّدون فى الجنّة ومتنعّمون بنعيمها أبداً فما نحن بميتين بعد ذلك قطّ.

٥٩ ــ (إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين)

إلّا موتتنا الاولى فى الحياة الدنيا، وما نحن بمعذّبين بعد دخولنا فى جنّات النعيم، فلا يكون بعد هذا البعث موت ثم بعث، وإذا كانت هذه الموتة هى آخر موتة، وإذا كان هذا البعث آخر بعث، وإذا انتهينا من الموت وسكراته، ومن الحساب وآفاته... فهل نظلّ على أحوالنا هذه من النعيم الذى نحن فيه؟ نعم بلا ريب، فلا تتغيّر أحوالنا كما كان شأننا فى الحياة الدنيا، فلا نعذّب بعد ذلك كما يعذّب هؤلآء المعذّبون فى النار، وهم فيها يتمنّون الموت كل ساعة ونحن اليوم وإلى آخر يوم فى حياة طيّبة ونعيم وسلامة وأمن وأمان من الخوف والفزع.

٦٠ ــ (إن هذا لهو الفوز العظيم)

ان هولآء المخلصين يهتفون مغتبطين مسرورين: ألا ان هذا الذى نحن فيه ما لا يقادر قدره ولا يمكن وصفه الذى أعطاناه الله جل وعلا من الكرامة والحياة الطيّبة الدائمة والنعيم المقيم من المآكل والمشارب والمساكن والمناكح والخلود فى جنات النعيم، ومن الأمن من كل غائلة ونازلة والنجاة من عذاب النار لهو الفوز والنجاء العظيم، فوز أيّما فوز! وفوق ذلك كله هو الظفر برضا الله جل وعلا لأنه فوز لا يقابله فوز.

قال الله تعالى: «وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة فى جنّات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧٢)

٦١ ــ (لمثل هذا فليعمل العاملون)

لمثل هذا العطآء الجزيل وهذا الثواب الجميل، لمثل هذا المقام المنيع وهذا المنزل الرفيع، فليسع الساعون، لمثل هذا الفضل الكثير وهذا المصير الكريم، ولمثل هذا الفوز العظيم فليعمل العاملون تجارة رابحة فى الحياة الدنيا لا خسران فيها فى الدنيا والآخرة ليدركوا ما أدركناه فى جنّات النعيم، فان كل سعى إلى غير هذا المصير هو سعى باطل خاسر، وكل عمل لغير رضا الله جل وعلا هو عمل لا يعقب إلّا حسرة

وندامة... فلا ينبغى لعاقل أن يسعى إلى لذّة تفنى ونعيم لا يبقى، ولا يعمل للحظوظ الدنيوية السريعة الانهدام، المشوبة بصنوف الآلام...

قال الله تعالى: «فمن كان يرجوا لقآء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف: ١١٠)

وقال: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون» الأنبيآء: ٩٤)

وقال: «مَن كفر فعليه كفره ومَن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحبّ الكافرين» الروم: ٤٤-٤٥)

وقال: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين» الزمر: ٧٣-٧٤)

وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنّات لهم ما يشآؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» الشورى: ٢٢)

وقال: «وفى ذلك فليتنا فس المتنافسون» المطففين: ٢٦)

وقال: «إذ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» البقرة: ١٦٦-١٦٧)

٦٢ ــ (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقّوم)

أهذا المنزل الكريم والمقام الأمين؟ وأهذا النعيم المقيم والفوز العظيم الذى ينال به أهل التقوى واليقين فى جنّات النعيم كرامةً وفضلاً منّى لهم خير منزلاً ـ النزل ما يهيّأ ويعدّ من طعام وشراب... للنازل بالمكان من ضيف وغيره يتقوّت به ويمكن معه الإقامة ـ أم نزل أهل النار فيها من شجرة الزقوم المعدّة لأهلها منزلاً ومقاماً وهى شجرة صغيرة الورق، كريهة الطعم، منتنة الرآئحة، مؤلمة التناول، صعبة الإبتلاع، ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورّم ومات منه غالباً، وتثير ثمرتها عطشاً شديداً فى

آكلها هى أخبث الشجرة المرّة البشعة التى تكون بتهامة والبلاد المجدبة المجاورة للصحرآء هذه شجرة زقوم الدنيا، وأما شجرة زقوم جهنم فينبتها الله تعالى فى قاع الجحيم وفى ظلالها منزل أهل الشرك والضلال، ومن ثمرها طعام أهل البغى والفساد، ومن اصولها شراب أهل الكفر والعناد...

قال الله تعالى: «إن شجرة الزّقّوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم» الدخان: ٤٣-٤٦)

وقال: «ثم انكم أيّها الضّالّون المكذّبون لآكلون من شجر من زقوم فما لئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين» الواقعة: ٥١-٥٦)

فلفظة «خير» هنا بمعنى الوصف دون التفضيل إذ ليس فى الزّقّوم خير قط، وإنما هى سآئت مستقراً ومقاماً كقوله تعالى: «أ أرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار» يوسف: ٣٩) وقوله: «أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة» فصلت: ٤٠) وقوله: «بل كذّبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً ـ قل أذلك خير أم جنّة الخلد التى وُعِدَ المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلاً ـ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنها سآئت مستقراً ومقاماً» الفرقان: ١١-١٥ و٢٤ و ٦٥-٦٦) فلا يقاس السوء بالحُسن، ولا الشرّ بالخير...

٦٣ ــ (إنا جعلناها فتنة للظالمين)

إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة وعقوبة لأهل الكفر والعناد، لأهل الظلم والفساد، ولأهل الإثم واللجاج... يعذّبون بها فى الآخرة.

قال الله تعالى: «يسئلون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون» الذاريات: ١٢-١٤)

مع أنهم افتتنوا واختبروا بها فكذّبوا بوجودها، فانهم لمّا سمعوا أنها فى النار قالوا ساخرين: كيف تنبت الشجرة فى النار، والنار تحرقها؟ وقد كانوا يتخذونها مادّة

للتفكه والسخرية، وقال قائلهم: انظروا إلى ما يحدّث به محمد! إنه يعدنا بشجرة تنبت فى النار وتطلع وسط اللهب! أرأيتم شجرة تقوم اصولها وفروعها فى النار، فيكون منهاريّها ونماؤها، ويطلع فى أحشآئها زهرها وثمرها؟؟؟ وهكذا يظلّون فى هذا اللغو من القول!

كما كانت عدّة الملآئكة الذين هم خزنة النار فتنة للكافرين والمنافقين...

قال الله تعالى: «وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلّا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً» المدثر: ٣١)

فكان ذلك تغليظاً للمحنة لأنه يحتاج إلى الإستدلال على أنه قادر لا يمتنع عليه أن يمنع النار من إحراقها حتّى تنبت الشجرة، وهم غافلون عن قدرة الله تعالى أن يخلق الشجرة من جنس النار التى لا تحرقها كما يخلق الله جل وعلا فيها الأغلال والسلاسل والقيود والعقارب والحيات وخزنة النار... وهم غير ملتفتين إلى مالله عزوجل من قدرة لا يعجزها شئ، وغير واقفين عند ما لفتهم الله تعالى إليه فى قوله سبحانه: «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» يس: ٨٠) أو ليس الذى جعل من الشجر الأخضر ناراً، بقادر على أن يجعل من النار شجراً أخضر؟ أليس هذا من ذاك ؟

٦٤ ــ (إنّها شجرة تخرج فى أصل الجحيم)

ان شجرة الزقوم شجرة تنبت وتنشأ فى قعر جهنم وقرارها، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، فالجحيم أرض هذه الشجرة ـ التى خلقت من النار وغذيت بها ـ ومنبتها ومنشؤها، ولا عجب من خلق شجرة من النار ونبتها فى قاع الجحيم وبقآئها فيها، فان حياة الانسان وبقآئها خالداً فيها أعجب، والله جل وعلا يخلق ما يشآء ويفعل ويحكم ما يريد.

قال الله تعالى: «ذلك جزآؤ أعدآء الله النار لهم فيها دارالخلد جزآء بما كانوا

بآياتنا يجحدون» فصلت: ٢٨)

وقال: «اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الأغلال فى أعناقهم واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» الرعد: ٥)

٦٥ ــ (طلعها كأنّه رؤوس الشياطين)

طلع شجرة الزقوم ـ الطلع هو: الزهر الذى ينعقد عليه الثمر ـ كأنه رؤوس الشياطين فى القبح والبشاعة ونفرة الطباع عنها.

إذا كان طلع الشجرة كرؤوس الشياطين فى القبح... فكيف ثمرها وأوراقها وأغصانها وشجرها؟؟؟!!! كما أنه إذا كان رأس الشئ وهو أظهر ما فيه وأدلّ شئ على حسنه وقبحه فى غاية القبح فكيف سآئر أعضآئه...؟ وان رؤوس الشياطين متصوّرة فى النفوس فتنفّر عنها كما أن صور الملك متصورة فيها، فتميل إليها، فان كل صورة قبيحة بلغت غايتها فهى عندها كصورة الشيطان، وكل صورة حسنة بلغت غايتها فهى كصورة الملك، فالشيطان عندها مَثَلٌ فى غاية القبح والبشاعةونفرة الطباع عنه كما أن الملك عندها مَثَلٌ فى غاية الحسن وميلها إليه، ومنه قوله تعالى مخبراً عن صواحب يوسف عليه السلام: «وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلّا ملك كريم» يوسف: ٣١)

٦٦ ــ (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)

فانّ هؤلآءِ المشركين الضّالّين، هؤلآءِ المستكبرين الظالمين، هؤلآءِ المغوين الباغين، هؤلآءِ المفسدين الآثمين، وهؤلآءِ المجرمين الغاوين... كلّهم فى نار جهنم لشدّة الجوع وغلبته عليهم يحرصون به على أكل ثمرة شجرة الزقوم كيفما كانت، وإن كانوا يعرفون غاية مرارتها وحرارتها، ونهاية نتنها وكراهتها وبشاعة رائحتها وقبح شكلها ومنظرها... فتمتلى بطونهم بها، ولكنها لا تسمنهم ولا تغنيهم من جوع...

قال الله تعالى: «إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم» الدخان: ٤٣-٤٦)

وقال: «و ذرني والمكذّبين اولى النعمة ومهلّهم قليلاً إن لدنيا أنكالاً وجحيماً

وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً» المزمل: ١١-١٣)

هذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أصحاب النعيم فى الجنة، هذا مأكولاتهم وأما شرابهم:

٦٧ ــ **(ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم)**

ثم إن لهؤلآء المجرمين الآثمين زيادة على شجرة الزقوم لأخلاطاً من سوائل تغلى وتفور ـ الشوب: خلط الشئ بما ليس منه مما هو شرّ منه، ومنه الشآئبة وهى ما يعلق بالإنسان من امور لا تليق به، يقال: هذا الطعام مشوب، وقد شابه شئ من الفساد، والحميم إذا شاب الزقوم إجتمعت المكاره فيه من المرارة والخشونة ونتن الرآئحة والحرارة المحرقة، والحميم: الحار الذى له من الإحراق المهلك أدناه ـ يقطع أمعآءهم لشدّة حرارته، فتزداد حرقتهم وعطشهم وعذابهم فهم يأكلون جحيماً ويشربون سموماً... فالمجرمون الظالمون بعد ما شبعوا من شجرة الزقوم وغلبهم العطش وطال استقاؤهم يستغيثون منه، فيغاثون بمآء كالمهل قد انتهى حرّه، فاذا أدنوه من أفواههم شوى لحوم وجوههم وإذا شربوه قطّع أمعآئهم...

قال الله تعالى: «إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بمآء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وسآءت مرتفقاً» الكهف: ٢٩)

وقال: «وسقوا مآءً حميماً فقطّع أمعآءهم» محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٥)

وهذا أفظع عذابهم وأشنع أحوالهم...

٦٨ ــ **(ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم)**

ثم ان مرجع الظالمين الآثمين ومأوى المجرمين الطاغين بعد أكلهم من شجرة الزقوم، وشربهم من الحميم لإلى الجحيم، بأنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج عن الجحيم كما تورد إلا بل إلى المآء ثم يردّون ويسوقون إلى الجحيم وهى النار الموقدة. فالمعنى: أن الزقوم طعام الظالمين والحميم شرابهم، والجحيم المسعّرة منقلبهم ومأواهم.

وذلك ان منازل الظالمين المستكبرين، ومحال الآثمين المجرمين هى الجحيم، وانهم إذا جاءوا فيها جيئوا إلى شجرة الزقوم، فيأكلون ويملؤن منها بطونهم، ومع كل

طعام شراب، فاذا غلبهم العطش وطال إستقاؤهم جيئوا إلى الحميم خارج الجحيم، فاذا سقوا من الحميم أرجعُوا إلى محالهم من دركات الجحيم المتوهجة المتأجّجة المسعّرة المتوقّدة، فيستقرون فيها ويعذّبون بنارها، فتكون الجحيم مأواهم الخالد.

قال الله تعالى: «هذه جهنم التى يكذّبُ بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن» الرحمن: ٤٣-٤٤)

وقال: «وأما إن كان من المكذّبين الضالّين فنزل من حميم وتصلية جحيم» الواقعة: ٩٢-٩٤)

وقال: «ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين» آل‌عمران: ١٥١)

وقال: «وبُرّزت الجحيم لمن يرى فأمّا مَن طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى» النازعات: ٣٦-٣٩)

٦٩ ــ (انهم ألفوا آبآءهم ضالّين)

ان الظالمين الآثمين وجدوا آبآءهم ضالّين عن الصراط المستقيم، وعن قصد السبيل الذى هو طريق الحق، غير سالكين محجة الدين الحق، فهم ضلّوا عن سوآء السبيل ولم يستمعوا إلى ما جآءهم من نذر، ولم يقبلوا ما دُعوا إليه من هدى ورشاد، من خير وكمال، ومن صلاح و فلاح ... فاتبعوهم واقتدوا بهم على الجهالة والعمى، والضلالة والشقآء...

قال الله تعالى: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبآئنا أو لو كان آبآؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» البقرة: ١٧٠)

٧٠ ــ (فهم على آثارهم يُهرعون)

فهؤلاء الضالّون الآثمون، والظالمون المجرمون كانوا يسرعون على طريقة آبآئهم الضالّين، ويستعجلون استعجالاً فى اتباعهم على منهجهم الضال، ويقلّدونهم تقليداً سريعاً كأنّهم يحثّون حثّاً بلا روية وتعقّل، ولا توقف على بحث ونظر ليقتفوا آثارهم وسننهم فى الكفر والضلالة من دون طلب أىّ دليل، ولا استدعآء أىّ برهان، ومن غير أن يتدبّروا أنهم على حق وخير، وعلى هدى ورشاد أولا، مع ظهور كونهم على

الباطل والشر... بأدنى تأمّل.

قال الله تعالى: «بل قالوا إنا وجدنا آبآئنا على امّة وإنّا على آثارهم مهتدون» الزخرف: ٢٢)

٧١ ـ (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين)

اقسم بالله جل وعلا أن أكثر الامم الماضية قبل مشركى العرب قد ضلّوا بالتقليد وترك النظر فى الدين وأضلّوا كثيراً كما ضلّ هؤلآء المشركون فى عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتقليد عن آبآئهم وترك النظر فى الدين، ضلّوا عن طريق الحق والهدى إلى الباطل والعمى، عن طريق الخير والرشاد إلى الشرّ والفساد، وعن طريق السعادة والكمال إلى الشقاء والإنحطاط... فانسلكوا مسالك الأمم الضالّة المضلّة، الغاوية المغوية الهالكة، وقال هؤلآء المشركون ما قال اولئك الأمم، وكذّبوا محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كذّب أمم من قبلهم نبيّهم، وعبدوا ما كان آباؤهم يعبدون من قبل، فأكثرهم مشركون وأضلّوا كثيراً من النّاس كأمم قبلهم!

قال الله تعالى: «ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنّة الأوّلين» الحجر ١٠-١٣)

وقال: «بل قالوا مثل ما قال الأوّلون» المؤمنون: ٨١)

وقال: «ما يقال لك إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك» فصّلت: ٤٣)

وقال: «وإن تكذّبوا فقد كذّب امم من قبلكم وما على الرسول إلّا البلاغ المبين» العنكبوت: ١٨)

وقال: «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين» الروم: ٤٢)

وقال فى مشركى العرب: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون» يوسف: ١٠٦)

وقال: «فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلآء ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم من قبل» هود: ١٠٩)

وقال: «ولا تتّبعوا أهوآء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سوآء السبيل» المآئدة: ٧٧)

٧٢ ـ (ولقد أرسلنا فيهم منذرين)

واقسم بالله عزوجل أنا أرسلنا فى الأمم السالفة قبل مشركى العرب منذرين من الأنبيآء والمرسلين يدعون امهم إلى الحق والهدى والصلاح والفلاح، والرشاد والكمال، ويحذّرونهم من معاصى الله سبحانه ويخوّفونهم العواقب الوخيمة من الهلاك والدمار فى الدنيا، ومن الجحيم والنار فى الآخرة، ولكنهم تمادوا فى مخالفة رسلهم، وتكذيب أنبيآئهم، ولم يستجيبوا لدعوتهم، فاستحقّوا ما استحقّوه من سوء العاقبة.

قال الله تعالى: «ولقد بعثنا فى كل امة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت ـ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم ولهم عذاب أليم» النحل: ٣٦ و ٦٣)

وقال: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الذين أجرموا» الروم: ٤٧)

وقال: «وكم أرسلنا من نبيّ فى الأوّلين وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأوّلين» الزخرف: ٦-٨)

٧٣ ـ (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

فانظر أيّها الانسان من زمن الوحى إلى محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى يوم القيامة ممّن يتمكّن أن يشاهد آثار الأمم الماضية الطاغية الهالكة أو سمع أخبارهم وتفكر فيما مضى عليهم وما حلّ بهم من سوء العواقب والعذاب... لماذا هلكوا هلاكاً فظيعاً؟ كيف دمّروا تدميراً؟ ولماذا يعذّبون يوم القيامة عذاباً أليماً؟؟؟

قال الله تعالى: «ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم

فكيف كان عقاب۔ وعقبى الكافرين النار» الرعد: ٣٢ و ٣٥)

وقال: «فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» النحل: ٣٦)

وقال: «فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون سآء مثلاً القوم الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون» الأعراف: ١٧٦-١٧٧)

٧٤ ــ (إلّا عباد الله المخلصين)

وللمنذرين سوء العواقب والعذاب كما أهلكنا الامم الماضية، وعذّبناهم عذاباً وبيلاً إلّا عباد الله المخلصين الذين استجابوا لله تعالى ولرسله عليهم صلوات الله واهتدوا بهداه وتنبّهوا باءنذارهم وآمنوا وأخلصوا عبادتهم لله تعالى وائتمروا بأوامره وانتهوا عن نواهيه، وهم قلّة قليلة مستثناة من هذا الطوفان الكبير وليس للشيطان عليهم سلطان فى كل ظرف، فأنجاهم الله تعالى من الهلاك والدمار ومن العذاب والنار، وقد كانت عاقبتهم حميدة إذ وعدهم الله جل وعلا بجزيل الأجر وجميل الثواب، وهم فازوا بالنعيم المقيم فى جنات عرضها السموات والأرض لإيمانهم وإخلاصهم وصالح أعمالهم...

قال الله تعالى: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق۔ اولئك لهم عقبى الدار۔ فنعم عقبى الدار۔ تلك عقبى الذين اتقوا» الرعد: ٢٠-٣٥)

وقال: «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدّت للمتقين۔ ونعم أجر العاملين» آل‌عمران: ١٣٢-١٣٦)

٧٥ ــ (ولقدنا دانا نوح فلنعم المجيبون)

واقسم بالله جل وعلا أن نوحاً عليه‌السلام دعانا واستنصر واستغاث بنا على قومه الكافرين لما عصوه وبالغوافي ايذآئه وهمّوا بقتله فاستجبنا له فوالله تعالى إنا نعم المجيبون نحن له، حيث يجد مَن يجيبه إلى طلبه ويمنحه نصراً عزيزاً وفتحاً مبيناً، فتباركت يا الله وتعاليت وخاب من طرق باباً غير بابك ووجه وجهاً إلى غير وجهك.

وذلك ان الله تعالى قد أرسل نوحاً عليه السلام نذيراً إلى قومه: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك ...» نوح: ١-٤) وقد أنذر نوح عليه السلام قومه وبالغ فى إنذارهم فلم يستمعوا ولم يستجيبوا له ولم يقبلوا منه قولاً بل كذّبوه وأصرّوا واستكبروا استكباراً فلمّا يئس منهم لجأ إلى ربه شاكياً: «قال رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً- قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلّا خساراً...» نوح: ٥-٢٤) فلمّا بلغ به اليأس مداه دعا ربه أن يأخذهم بعاجل ذنوبهم: «فدعا ربه أنّي مغلوب فانتصر» القمر: ١٠) «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً» نوح: ٢٦)

فأجاب الله تعالى دعآئه وغضب لغضبه وأهلك قومه الطاغين بالطوفان.

٧٦ ــ (ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)

ونجّينا نوحاً عليه السلام وأهل دينه وشيعته الذين آمنوا به من قومه: «وما آمن معه إلّا قليل» هود: ٤٠) وقد كانوا هم ثمانين نفراً ركبوا معه عليه السلام السفينة، نجّيناهم من الكرب العظيم، من الأذى والمكروه من الظلم والطغيان من الغمّ الشديد تنزل بهم من قومه الكافرين، ومن كل ما يكربه ويسوئه وقومه عليه السلام المؤمنين من قومه الظالمين ومن كرب الطوفان ومخاوفه ومن الغرق الذى هلك به قومه الفاسقون.

قال الله تعالى: «ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذّبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين» الأنبيآء: ٧٦-٧٧)

وقال: «قال رب إن قومى كذّبون فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجّنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين» الشعرآء: ١١٧-١٢٠)

وقال: «وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى» النجم: ٥٢)

وقال: «وقوم نوح من قبل انهم كانوا فاسقين» الذاريات: ٤٦)

وقال: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين» العنكبوت: ١٤-١٥)

٧٧ ــ (وجعلنا ذريته هم الباقين)

وجعلنا ذرية نوح عليه السلام هم الباقين من الناس. وذلك ان الناس كلهم بعد الطوفان أباً من نسل أولاد نوح الثلاثة: ١ـ سام بن نوح عليه السلام ومن نسله العرب والعجم والروم والآراميون والآشوريون من اليهود. ٢ـ يافث بن نوح عليه السلام ومن نسله الخَزَر الذين سكنوا جنوب بحر الخزر فى سلسلة جبال البرز، والترك والصقالبة، والذين سكنوا البحر الأسود حتى شواطئ وجزآئر البحر المتوسط. ٣ـ حام ومن نسله السودان من المشرق إلى المغرب: السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم... وقد كان من هؤلاء الثلاثة ذرية نوح عليه السلام التى بقى بها نسله جيلاً بعد جيل إلى الآن ولذلك أنه سمى أباً ثانياً للناس كلهم.

هذا من غير تناف بين ذلك وبين رواية أبى الجارود فى المقام سيأتى ذكرها لو سلّمنا بصحتها. على أن الناس كلهم أباً بعد الطوفان من ذرية نوح عليه السلام وأمّاً فمن بنات المؤمنين اللاتى زوّج بهن ثلاثة أبنآء نوح عليه السلام بعد النجاة أو قبلها، كنّ معه عليه السلام فى السفينة أو وُلِدن بعد ذلك، وما بقى من المؤمنين معه عليه السلام ذكور ذووا النسل إذ ماتوا بدون ذرية ذكور لهم.

٧٨ ــ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على نوح عليه السلام ثنآءً جميلاً فى كل امة من الامم، وذكراً طيّباً فى الأجيال من بعده فيذكر بخير إلى يوم القيامة، وجعلناه لسان صدق للأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين إذ لم يبعث بعده نبىّ اِلا أُمِرَ بالإقتداء به: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه» الشورى: ١٣) فأحيينا دعوته إلى كلمة

التوحيد، وتوحيد الكلمة وإلى مجاهدته وتصلّبه فى سبيل الله فى كل ظرف إلى يوم القيامة بأن بعثنا بعده مَن يقوم بدعوته ويدعو إلى ملّته، كما تركنا قصّة نوح عليه السلام آية لمن يتذكّر مدى الحياة إلى يوم القيامة: قال الله تعالى: «ولقد تركناها آية فهل من مدّكر» القمر: ١٥)

٧٩ ــ (سلام على نوح فى العالمين)

سلامة ثابتة وبركات دائمة منّا على نوح عليه السلام وعلى الذين آمنوا واتبعوه مدى الحياة إلى يوم القيامة، وهذا هو السلام المراد بقوله تعالى: «قيل يا نوح إهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى امم ممّن معك ـ إن العاقبة للمتقين» هود: ٤٨ـ٤٩) «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء والأرض» الأعراف: ٩٦)

٨٠ ــ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا كما وصفنا لك أيّها النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من إكرامنا نوحاً عليه السلام كإجابة ندآئه وتنجيته وأهله من الكرب العظيم وإبقآء ذريته، وترك الثناء الجميل عليه فى الآخرين والسلامة الدائمة والبركات عليه وعلى المؤمنين معه مدى الحياة، مثل ذلك الجزآء نثيب كل مَن أخلص دينه وأحسن طاعته وطاعته حسب درجات الايمان والإخلاص وصالح الأعمال... راسخين فى الإحسان، معروفين به.

قال الله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنالا نضيع أجر من أحسن عملاً اولئك لهم جنّات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرآئك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً» الكهف: ٣٠ـ٣١)

٨١ ــ (إنّه من عبادنا المؤمنين)

انّ نوحاً عليه السلام كان من عبادنا المؤمنين الراسخين فى الايمان الذين صدّقوا بتوحيد الله تعالى ووعده ووعيده وجميع ما أمرهم به وما نهاهم عنه.

انا جزينا نوحاً عليه السلام ذلك الجزآء الجزيل لإحسانه الذى كان مسبوقاً

بعبوديتـه لنا وحده ورسوخه فى الايمان، فليس لكل إحسان جزآء إلّا أن يكون مسبوقاً بالعبودية لله تعالى وحده وبالايمان الراسخ.

العبد هو الـذليل لملكـه بالعبودية، والخلق كلّهـم عباد الله تعالى، فمنهم عابد له وحده ومنهم عابد لغيره تضييعاً منهم لحق نعمه وجهلاً بما يجب له عليهم، والمؤمن هو المصدّق بجميع ما أوجب الله تـعالى عليه وما ندب إليـه، والعـامل بما يـؤمنـه من العقاب.

قال الله تعالى: «ومن يعمـل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنّـة ولا يظـلمون نقيـراً ومَن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن» النسآء: ١٢٤-١٢٥)

وقال: «بلى مَن أسلم وجهه لله وهـو محسن فله أجره عند ربـه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» البقرة: ١١٢)

وقال: «ومَن يسلم وجهـه إلى الله وهـو محسن فقد إستمسک بالعروة الوثق وإلى الله عاقبة الامور» لقمان: ٢٢)

٨٢ ـ (ثم أغرقنا الآخرين)

إذ نجّينا نـوحاً عليه السلام ومن آمن معه مـن الطوفان بالسفينة، أغرقنا الباقين من قومه الذين تأخّروا عـن الايمان وكفروا بالله جل وعلا وطـغوا وعصوا رسوله وكذّبوه وما بقينـا لهم عيناً ولا أثـراً، وهذه عاقبة المـكذبين وفى ذلك آية للـناس وما كان أكثرهم مؤمنين.

قال الله تعالى: «فـكذّبوه فـأنجيناه والـذين معـه فى الفلك وأغرقنا الـذين كذّبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين» الأعراف: ٦٤)

وقال: «فانجينـاه ومن معه فى الفـلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعرآء: ١١٩-١٢١)

وقال: «فكذّبوه فنجّـيناه ومن معه فى الفلک وجعلناهم خلآئف وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» يونس: ٧٣)

٨٣ ـ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾

واقسم بالله عزّوجل أن إبراهيم خليل الرحمن عليه‌السلام كان من شيعة نوح عليه‌السلام وعلى منهاجه وملّته فى التوحيد والعدل والبعث واتباع الحق والايمان على فطرته، فلم تستحب فطرته لغيرالله: «إن إبراهيم كان امّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين» النحل: ١٢٠) وقد شايعه فى اصول الشريعة والتصلّب فى سبيل الله ومصابرة المكذّبين، وسلك طريقه ووافقه فى دينه، فكأنه بهذا كان ممن آمن مع نوح وركب معه السفينة وكان من الناجين، وكان من أنصاره والقآئمين على دعوته من بعده وإن طال بينهما الزمان وهو ألفان وستمأة وأربعين سنة وكان بينهما نبيّان من الأنبياء وهما هود وصالح صلوات الله عليهم أجمعين.

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللبّ فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً.

٨٤ ـ ﴿إذ جآء ربه بقلب سليم﴾

ان ابراهيم عليه‌السلام كان على نهج نوح عليه‌السلام وشيعته على فطرة التوحيد: «فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون» الروم: ٣٠) حين أقبل على ربه بقلب قد سلم من آفات الشرك الخفىّ والجلىّ، من الكفر والفساد، ومن الشك والضلال، وقد أقبل على ربه وقلبه خالٍ من مساوى الأخلاق وآثار المعاصى، وحبّ الدنيا وشهواتها... فلا غش لديه ولا حقد ولا شئ مما يشينه من العقآئد الزآئفة والصفحات القبيحة، وعلى ذلك عاش وعليه مات وقد صار أسوة حسنة وإماماً للشيعة المؤمنين المتقين إلى يوم القيامة. وفى البداية والنهاية لابن كثير (ج ١ ص ١٦٧) قال: «فكل كتاب أُنزِل من السمآءِ على نبىّ من الأنبياء بعد إبراهيم فمن ذريته وشيعته» وهذه مرتبة رفيعة كما أن منزلته ورفعة شأنه تكمن أيضاً فى أنه أبوالأنبيآء عليهم صلوات الله.

قال الله تعالى: «إنى جاعلك للناس إماماً» البقرة: ١٢٤)

وقال: «قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم» الممتحنة: ٤)

إذ لم تعلق بفطرته شآئبة، بل ظلّ على الفطرة التى فطره الله جل وعلا عليها، لم

يدخل عليها شئ من غبار الشرك وآفات الذنوب والآثام... التى كانت تسودّ وجه الأرض، فآمن بالله تعالى وأخلص العمل له جل وعزّ، وأخذ طريق نوح عليه السلام وقلبه عارٍ عن كل ما يضرّ التصديق والايمان بالله عزوجل، وعن أىّ تعلّق بغيره ينجذب إليه الإنسان، ويختلّ به صفاء توجهه إليه تعالى.

قال الله تعالى: «قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» آل عمران: ٩٥)

٨٥ ــ (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون)

وقد وُلِدَ إبراهيم عليه السلام ببابِل- وهى بين نهرى دجلة والفرات فى السهل إلى الجنوب- فى عهد الملك نمرود بن كنعان بن كوش الذى يدّعى الالوهيّة، وكان لأهل بابِل آلهة كثيرة، وإن كانوا يخضعون رسمياً للإله الأعظم.

ومن جملة آثار سلامة قلب إبراهيم عليه السلام على فطرة التوحيد أنه لمّا رآى أباه آزر وقومه الذين اتخذوا الأصنام المختلفة آلهة لهم ويعبدونها من دون الله قال لهم على وجه التعجّب والاستغراب والتهجين لفعالهم، والتقريع والإنكار والتوبيخ لهم: أىّ شئ تعبدون من تلك الأصنام والتماثيل التى لا تنفع ولا تضرّ؟!

قال الله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون- أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم» الأنبيآء: ٥١-٦٦) قالوا: نعبد أصناماً... قال لهم إبراهيم عليه السلام:

٨٦ ــ (أئفكاً آلهة دون الله تريدون)

الإفك هو أشنع الكذب وأفظعه، والإفك قلب الشئ عن جهته التى هى له، فلذلك كان الإفك كذباً. والمعنى: أتريدون آلهة من واردات الإفك والافترآء بدلاً من رب العالمين، وتتخذون من دون الله إفكاً وزوراً وكذباً شنيعاً؛ أليس ذلك سفهاً فى سفه، وجهلاً عن جهل؟؟؟ «افّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون» الأنبيآء: ٦٧) «إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله» العنكبوت: ١٧)

٨٧ ــ (فما ظنّكم برب العالمين)

قال إبراهيم عليه السلام لعبدة الاصنام: لو كانت تلك الأصنام آلهتكم تريدونها و تعبدونها فما معتقدكم بربّ العالمين؟ «بل ربّكم رب السموات و الأرض الذى فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشاهدين» الأنبياء: ٥٦) وما تصوّركم له؟ وما حسابه عندكم؟ أهو واحد من آلهتكم تلك؟ أم هو على هيئة ملك أو أمير أو سيّد من ساداتكم؟؟؟ «هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرّون» الشعراء: ٧٢-٧٣) إن الله تعالى هو مبدع هذا الوجود وهو القآئم عليه، وبيده ملكوت كل شئ... فكيف تعبدون إلهاً غيره؟ وكيف ترضون لعقولكم أن تقبل هذه الأحجار والأخشاب... آلهة تتعامل معها، وتتخاضع بين يديها، وتجعلها شريكة لله سبحانه فى الوجود أو فى الايجاد أو فى الملك أو فى التدبير أو فى العبادة؟

إذا عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا وكانوا نجامين، فخرجوا الى عيدلهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فاذا رجعوا أكلوه وقالوا لإبراهيم عليه السلام: اخرج معنا:

٨٨ ــ (فنظر نظرة فى النجوم)

ثم لاح لإبراهيم عليه السلام عذر يستطيع به التخلّف، فنظر عليه السلام فى النجوم، فأطال الفكر فيما هو فيه، نظرة مذكرة له بما كان منه و هو في سبيل البحث عن الله جل وعلا قبل أن تأتيه الرسالة، وكأنه يدعو بهذه النظرة قومه إلى أن يسلكوا الطريق الذى سلك، وأن يهتدوا إلى الله تعالى بفطرتهم كما اهتدى هو عليه السلام إن كانوا يستنكفون عن اتباعه، والأخذ بما يدعوهم إليه... ولكن لم تكن لهم عقل تعقل ولا آذان تسمع... مع أنه كان ينظر فى النجوم رامياً ببصره إلى السمآء ليريهم أنه ينظر فيها لإعتقادهم علم النجوم، فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه سقيم:

٨٩ ــ (فقال إنى سقيم)

وقد زعمت عبدة الأصنام أنه عليه السلام يريد بأنى مشرف على مرض لنظرتى فى النجوم، فلا أقدر على الخروج معكم، وقد كانوا هم يخافون العدوى وهو

عليه السلام يريد بأنى سقيم بشرككم بالله جل وعلا وعبادتكم لغير الله تعالى، وبضلالتكم وسفاهتكم وجهالتكم... وكان غرضه من كلامه هذا ألّا يخرج معهم يوم عيدهم لينفّذ ما عزم عليه من تحطيم أصنامهم، وإعلان الحرب عليهم، فى عبادتهم للأصنام والأوثان، ولم يكن لهم علم بما بيّت عليه النية ولا دليل على أنه لم يكن صادقاً فيما يقول، إذ مَن يعزم على تنفيذ أمر ذي بال يخاف منه الخطر على نفسه أن يكون مهموماً مغموماً مفكّراً فى عاقبة ما يعمل.

٩٠ ــ (فتولّوا عنه مدبرين)

لما سمع عبدة الأصنام قول إبراهيم عليه السلام: «إنى سقيم» أعرضوا عنه هاربين منه خوفاً من العدوى، وخرجوا من المدينة وذهبوا إلى عيدهم وتركوه فى مكانه، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: «وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين» الأنبياء: ٥٧)

٩١ ــ (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون)

لمّا خرج عبدة الأصنام من المدينة إلى معيدهم رجع إبراهيم عليه السلام أدراجه نحو بيت الأصنام، فمال إليها سراً وذهب إلى بيتها مستخفياً حتى لا يراه أحد، وقد كان مصمّماً على تحطيمها، فلمّا دخل بيتها من غير أن يراه أحد، ووصل إلى الهيكل الذي اقيمت فيه أصنامهم من الهياكل المنحوتة المعلقة في جانب، والقائمة في ناحية، وكان بعضها إلى جانب بعض يتصدرها كبيرها، ورآى بين يدى تلك الآلهة كثيراً من صنوف المأكولات والمشروبات، وألوان الهدايا التى كان يتقرّب بها القوم إليها ويتبرّكون فيها، إذ كانوا يتركونها عند آلهتهم وخاصّة أيام أعيادهم ليأكلوها بعد رجوعهم من عيدهم ويتبرّكوا بها، أو تأكلها الأصنام فى غيبة عبدتهم، خاطب حينئذ إبراهيم عليه السلام لتلك الأصنام: صغيرها وكبيرها ـ وإن كانت جماداً ـ ساخراً وهازئاً بها، وعلى وجه التهجين لعابديها ومستهزءاً بهم، وتنبيههم على أنّ مَن لا يتكلّم ولا يقدر على الجواب كيف تصحّ عبادتها: ألا تأكلون أيّها الأصنام من الطعام الذى بين أيديكم صنعوه عبدتكم لكم تقرّباً إليكم وتبرّكاً به؟

٩٢ ـ (ما لكم لا تنطقون)

فلما لم يسمع إبراهيم عليه السلام من تلك الأصنام جواباً ولم ينطقوا بكلام قال عليه السلام خطاباً لها أيضاً تهكّماً بهم واحتقاراً لشأنهم، وتسفيهاً لأفكار عبدتهم، واحتجاجاً وتنبيهاً لهم على أن آلهتهم جماد لا تأكل ولا تنطق فهى أخسّ الأشيآء وأقلها، وتهجيناً لعابديهم كأنهم حاضرون بها أى ما لكم لا تجيبون؟ أىّ شئ منعكم الإجابة عن سؤلى ولا تنطقون؟ وأنتم آلهة يزعم عبّادكم أنكم عقلآء قادرون مدبّرون لأمورهم؟ فكيف أنتم آلهة لا تأكلون ولا تجيبون ولا تنطقون؟ نعم أنتم أجسام مجسّمة وهياكل مصوّرة، وأشكال مصنوعة، وهيئات منحوتة... لا شأن لكم فكيف لعابديكم...

٩٣ ـ (فراغ عليهم ضرباً باليمين)

فعندئذ مال إبراهيم عليه السلام على الأصنام وأرادها عنفاً وقهراً وتدميراً وتحطيماً لا رفقاً، فكان يضربها ضرباً باءرادة قويّة،ويكسرها بفأس فى يده اليمنى التى هى القوة العاملة فى تنفيذ هذه الارادة، ويحطمها حطماً كما حلف على ذلك: «وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين» الأنبيآء: ٥٧) فجعلها قطعاً صغيرة حتى تركهم جذاذاً في ذكآء وحذر حتى لا يحدث صوتاً يكشف للقوم عما يجرى هنا وأبقى على الصنم الكبير ـ وهو أكبر الآلهة عندهم ـ وعلّق الفأس بيده ثم غادر الهيكل: «فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون» الأنبيآء: ٥٨)

نعم: ان إبراهيم عليه السلام لمّا لم يجد فائدة لموعظته فى عبدة الأصنام... أراد إرادة قوية وحلف أن يحطم بقوّة ومتانة، تلك الآلهة التى جمدوا على عبادتها، فكسرها ليقيم دليلاً حسّيّاً لقومه على بطلان عبادة الأصنام، وليفهمهم مركز آلهتهم، ويقيم لهم الحجة عملاً على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها، أو تكسبهم خيرا إذا عبدوها: «قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم» الأنبيآء: ٦٦) فلو كانت آلهة حقيقة لدافعت عن نفسها، وأصابت بالضرر مَن أرادها بسوء، وحمت عن معبدها فضلاً عن عابديها... وان البرهان العملى أوقع

فى النفس، وأرجى أن يحرز القبول.

٩٤ ــ (فأقبلوا إليه يزفّون)

لما رجع القوم من معيدهم إلى المدينة ورأوا ما حلّ بآلهتهم إذ رأوها مكسّرة متحطّمة فى بيتها، فراعهم ذلك ووقع ما وقع من اضطراب وبلبلة، فتساءلوا فيما بينهم عن الفاعل الذى نال من مقدّساتهم، وانتهى الأمر بينهم إلى أن إبراهيم عليه السلام هو الذى فعل هذه الفعلة بآلهتهم: «قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتًى يذكرهم يقال له إبراهيم» الأنبياء: ٥٩-٦٠) كان من عادته أن يعيبها ويستهزئ بها وهو الذى نظنّه فعل بها هذا الفعل.

وصل إلى الحكّام نبأ الإعتدآء على الأصنام فقالوا لجندهم! ائتوا بإبراهيم لنحاكمه على مشهد من الناس، وليتقدّم للشهادة الذين سمعوه يعيب الأصنام ويتوعّدها بالشّرّ: «قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» الأنبياء: ٦١)

فأقبلوا إلى إبراهيم عليه السلام مسرعين فى خيفة لا عقل لهم، وطيش لا تدبير عندهم إهتماماً بالحادثة التى يظنّون أن ابراهيم عليه السلام هو الذى أحدثها ليمسكوا به وليحاسبوه الحساب العسير على هذا الجرم العظيم! فقالوا له ـ منكرين عليه ما فعل بآلهتهم ـ: نحن نعبد هذه الآلهة وأنت تحطمها، ولما أخذوا يعتبون عليه طفق يؤنبهم ويعيبهم:

٩٥ ــ (قال أتعبدون ما تنحتون)

وقد أشعر إبراهيم عليه السلام بأن الفرصة قد سنحت له ليبلغ مأربه وليصل إلى الحقيقة التى أراد أن يقرّوابها، فسئلهم سؤالاً ـ بايجاز مدهش وبيان واضح ـ يحسم فيه الأمر ويبطل عبادة الأصنام... سئلهم على طريق الحجاج عليهم وإبطال مسالكهم وإنحراف أفكارهم وسفه عقولهم ـ منكراً وموبخاً لهم بأفعالهم ـ: أتعبدون من دون الله أصناماً آلهة أنتم تنحتونها واحداً بعد آخر بأيديكم من الأحجار والأخشاب وغيرها، وأنتم تحرسونها من الإعتدآء لعجزها أن تدافع عن نفسها؟ فكيف تكون آلهة لكم؟!

كيف يصحّ أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده؟ ليس من صانعى التماثيل مَن يعبد الآلهة، فانهم يعرفون من أىّ مادّة تُصنَع. أفما تحدثون فيه الصنعة تجعلونه معبوداً لكم؟ ان الشئ الذى لم يكن معبوداً لكم كيف صار بسبب تصرفكم فيه معبوداً لكم؟ وفساد هذا معلوم بالبداهة. أفلا عاقل بينكم ينهاكم عن مثل هذا الضلال؟

٩٦ ـ (والله خلقكم وما تعملون)

فقال لهم إبراهيم عليه السلام ـ على سبيل الإفحام والإلزام والإحتجاج والتنديد بهم ـ: إن الله جل وعلا وحده خلقكم، وخلق مادة تلك الأصنام التى تنحتونها أصناماً بأيديكم من الأحجار والأخشاب وغيرها... قبل أن تنحتوها، أليست مادتها التى تنحتونها هى من مخلوقات الله تعالى وإن كانت صورها معمولة لكم؟

قال الله عزوجل: «يعملون له ما يشآء من محاريب وتماثيل...» سبأ: ١٣) كانت تصاويرها من عملهم وهذا لا يخرج من كون مادتها مخلوقة لله تعالى، قال: «أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون» الأعراف: ١٩١)

فكيف تتخذون ما تنحتونه بأيديكم آلهة لكم تعبدونها؟ مع أنّ مادتها مخلوقة لله تعالى وصورها مصنوعة لكم أيعبد الصانع مصنوعه؟ والعامل معموله؟ والفاعل مفعوله؟ هذا وضع مقلوب. والخالق جل وعلا وحده هو المستحق للعبادة دون المخلوق، فعبادتكم لمخلوق خطأ عظيم وإثم كبير لا يغفر: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ـ فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النسآء: ٤٨ و ١١٦)

٩٧ ـ (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم)

لمّا أورد عليهم إبراهيم عليه السلام هذه الحجّة القوية التى لم يستطيعوا دفعها، وألزمهم بها، وما كان لهم جواب عمّا أفحمهم وألقمهم الحجر بهذا القول، عدلوا عن المنطق والبرهان، وعن الدليل والحجاج إلى طريقة الايذآء واستعمال القوّة كما هى دأب الحكّام الجبابرة وديدن الطواغيت فى كل ظرف، فقالوا لجنودهم العاملة الحمقآء: ابنوا لإبراهيم حاطم الأصنام بنياناً من حجارة، فاملؤوه حطباً، وأضرموه

بالنار، فاذا تأجّجت والتهبت وتوهّجت، فاطرحوه فى النار الشديدة المسعّرة فيحترق بها: «قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين» الأنبيآء: ٦٨)

نعم! ان الجهل إذا استحكم فى النفوس، والتعصّب الأعمى إذ لامس القلوب، جعل النفوس تصل إلى مستوى حقير فى الحكم على صحّة الأشيآء، لهذا لمّا رأوا أنهم غُلِبوا على أمرهم، وخافوا افتضاح حالهم، ولم تبق لهم حجة عدلوا عن الجدل والمناظرة، وعمدوا إلى القوّة والسوط والعذاب يسترون بها فضيحتهم، فأصدروا حكمهم عليه بالموت حرقاً! هذا هو الحكم الذى انتهى إليه رأى القوم فى إبراهيم حاطم الأصنام، وهو أن يموت حَرقاً بالنار، جزآءً له على ما فعل بآلهتهم، فليس لمن يفعل هذا إلّا أن يلقى هذا العذاب الأليم... إن إبراهيم عليه السلام كان يحذّرهم نار الآخرة التى يعذّب بها الله تعالى الذين يعبدون تلك الأصنام... وهاهى ذى الأصنام تعذّب بالنار مَن يعبد غيرها!!! أليست آلهة؟ وأليس للإله أن يعذّب بالنار من يشرك به ويتعدّى حدوده؟...

٩٨ ــ (فأرادوا به كيداً فجعلنا هم الأسفلين)

لمّا غلب إبراهيم عليه السلام على مستكبرى قومه المشركين وخواصّهم، وقهرهم بالحجّة القاطعة على بطلان الشرك وبالبرهان الواضح على بطلان عبادة الأصنام، أرادوا أن يكيدوا لإبراهيم عليه السلام حيلة، ويتدبّروا فى إهلاكه، فانتهى رأيهم بأن يهلكوه باحراقه فى النار لئلاّ يظهر للعامّة عجزهم، ولئلاّ يعلو أمره عليه السلام وليطفؤا نور الله تعالى بنارهم، فنجّينا نبيّنا إبراهيم عليه السلام من النار إذ جعلناها عليه برداً وسلاماً: «قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم» الأنبيآء: ٦٩) فخرج من النار سالماً عزيزاً، وكتبنا له عليه السلام الغلبة والنصر عليهم بابطال كيدهم، وجعلناه برهاناً منيراً على علوّ شأنه، وجعلناهم المقهورين عند الإلقآء، وجعلنا كيدهم نحورهم أذلّين مغلوبين أخسرين إذ نفذت حجته من حيث لم يمكن دفعها، ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم إذ صار النار له برداً وسلاماً: «وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين» الأنبيآء: ٧٠-٧١)

«وما كان جواب قومه إلّا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فانجاه الله من النار إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون» العنكبوت: ٢٤)

٩٩ ـ (وقال إنّى ذاهب إلى ربى سيهدين)

إن الله عزوجل لمّا أفلج إبراهيم عليه السلام على قومه ونجّاه من كيدهم وأنقذه من النار وأذلّ قومه وأغرقهم فى لجج الكفر و الضّلال، والبغي والفساد، وقام إبراهيم عليه السلام مدّة فى مولده وتزوّج سارة وهى ابنة خالته، وآمن معه لوط وهو ابن خالته، فأراد قومه المشركون أن ينفوه من موطنه، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه، وسارة، قال إبراهيم عليه السلام توبيخاً وتحقيراً لهم: إنى مهاجر من مولدى ديار الكفر والطغيان، ديار الشرك والأصنام، وبلدة قومى الكافرين إلى حيث أمرنى ربى بالذهاب إليه وهى الأرض المقدسة التى أتمكّن فيها من عبادة ربى، وتبليغ رسالتى، متخذاً داراً غير داركم، وموطناً غير موطنكم، فان ربى سيهدينى إلى خير دار وأطيب مقام، وإلى مانويت إلى الصواب، وهو يعيننى عليه ويعصمنى ويوفقنى.

قال الله تعالى: «فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم» العنكبوت: ٢٦)

وهذا الموقف الذى وقفه إبراهيم عليه السلام من قومه المشركين مدحه الله جل وعلا، وحثّ المؤمنين على الإقتدآء به! «قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤)

١٠٠ ـ (رب هب لى من الصالحين)

وقد قام إبراهيم عليه السلام فى الأرض المقدّسة ومعه سارة زوجته، وجارية لها تدعى هاجراً، وقد تقدّمت سارة فى السّن، وكانت عقيماً لا يرجى أن ترزق ولد، فتزوّج إبراهيم عليه السلام هاجر، وقد بلغ من الكبر عتياً، ولم يرزق بعد ولداً، وكانت نفس إبراهيم عليه السلام ترغب فى ولد يعينه على دعوته، ويؤنسه فى وحدته، ويشدّ

ظهره فى غربته، فدعا الله تعالى أن يهبه ولداً صالحاً، تقرّبه عينه حين يراه مؤمناً بربه: «رب هب لى» ولداً صالحاً «من الصالحين» يكونون عوضاً من قومى وعشيرتى الذين فارقتهم.

١٠١ ـ (فبشّرناه بغلام حليم)

إنّ الله تعالى استجاب لإبراهيم عليه السلام دعآئه إذ قال: فبشّرنا على ألسنة الملائكة إبراهيم بابن وقورصبور ذى حلم كثير، رزين العقل، راجح الرأى، وهو الذى يبلغ أو ان الحلم والكمال وصفآء الذات، ويستدل بعقله على مواقع الحق والصّواب فى كل أمر يعرض، وحسب المرء ـ كمالاً وصفآء وصلاحاً ـ أن يكون معه عقل سليم وإدراك صحيح، وقد كان هذا الغلام على صورة أبيه إبراهيم فى كمال عقله وسلامة إدراكه، وصلابة دينه، وهذا الغلام هو إسمعيل عليه السلام لأنه أوّل ولد بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحق عليه السلام على ما يستفاد من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «الحمدلله الذى وهب لى على الكبر إسمعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعآء» إبراهيم: ٣٩) وباتفاق العلمآء والمحققين من أهل الكتاب والمسلمين، وقد جآء النص فى التوراة على أن إسمعيل وُلِدَ لإبراهيم وسنّه ست و ثمانون سنة، وولد له إسحق وعمره تسع وتسعون سنة.

وفى (سفر التكوين ـ الفصل ١٧ ـ آية ٢٠): «وأما اسمعيل فقد سمعت قولك فيه وهاء نذا اباركه وانميه وأكثره جدّاً جدّاً ويلد اثنى عشر رئيساً وأجعله امّة عظيمة»

هذه بشارة بامّة محمد وأوصيآئه عليهم السلام، فان محمداً صلّى الله عليه واله وسلّم من نسل اسمعيل، وكذلك أوصيآؤه إثنى عشر اماماً، ولم يتحقق هذا الوعد فى ذرية اسمعيل عليه السلام إلّا على يد محمد رسول الله وأوصيآئه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وأىّ حلم مثل حلم إسمعيل عليه السلام عرض عليه أبوه وهو مراهق أن يذبحه فقال: «ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» الصافات: ١٠٢) فما ظنّك به بعد بلوغه،

ومانعت الله تعالى نبياً من أنبيآئه ولا رسولاً من رسله بالحلم غير إبراهيم عليه السلام: «إن إبراهيم لأوّاه حليم» التوبة: ١١٤) «إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب» هود: ٧٥) وإبنه اسمعيل عليهما السلام: «فبشرناه بغلام حليم»

١٠٢ ــ (فلمّا بلغ معه السعى قال يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنّى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصّابرين)

فوهبنا لإبراهيم عليه السلام هذا الغلام، فلمّا وُلِدَ الغلام وهو إسمعيل عليه السلام وكبر وترعرع وبلغ السّنّ التى تساعده على أن يسعى مع أبيه إبراهيم فى بنآء الكعبة، ويعينه على أعماله... فجعل إبراهيم عليه السلام يبنيها وإسمعيل يناوله الحجارة وهو المراهق ـ قيل: سبع سنين وقيل: ثلاث عشرة سنة ـ: «وعهدنا إلى إبراهيم واسمعيل أن طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ـ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم» البقرة: ١٢٥-١٢٧)

فلمّا تمّ البنآء قال إبراهيم عليه السلام بنّآء بيت الله تعالى لابنه اسمعيل العامل معه ـ عوضاً عن اجرته ـ على سبيل الترحّم: يا بنىّ! إنّى أرى ـ ثلاث ليال متتابعة ـ فى المنام أنّى أذبحك فى المنى، فانظر ماذا ترىٰ فى ذبحى إياك فما رأيك؟ فتفكر ملياً فيما قلت، وعيّن ما هو رأيك فيه؟ ـ وقد خصّ عليه القصّة ليعلم ما عنده فيما نزل من بلآء الله تعالى، فيثبت قدمه إن جزع وليوطن نفسه على الذبح وليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يذبحه قهراً، وليكتسب المثوبة بالإنقياد لأمرالله تعالى لم يشاوره ليرجع إلى رأيه لأن أمرالله تعالى حتم لا يتخلّف عنه الأنبيآء المعصومون عليهم السلام، بل ليختبر صبره وليوطن نفسه على الذبح، فيلقى البلآء كالمستأنس به، ويكتسب الثواب بصبره وانقياده، ولتكون سنّة فى المشاورة! ولذا أجاب: «ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» إذ فوّض الأمر وإتيانه وحصول الصبر إلى مشيّة الله تعالى ـ أجاب اسمعيل عليه السلام بتمام وجوده وطيب نفسه ـ على سبيل التوقير والتعظيم لأبيه، وفوّض الأمر إليه حيث استشاره وأن الواجب عليه إمضآء مارآه ـ: يا أبت سميعاً دعوت؟ ومن مجيب طلبت؟ وإلى راضٍ ببلآءِ الله وقضآئه

توجهت؟

إفعل ما تؤمر به مرّة بعد اخرى، فان الأمر مستمر حتى ائتمرت به، فما عليك إلّا أن تفعل ما تؤمر به، وما عليّ إلّا الانقياد و امتثال الأمر وإن بلغ ما بلغ، وعلى الله جل وعلا المثوبة وهو حسبي ونعم الوكيل. وماذا يرى الولد وهو على صورة أبيه «الولد سرّ أبيه» إلّا الإمتثال لأمرالله جل وعلا و الطاعة المطلقة لحكمه فيه؟ وهذا هو جواب المؤمن بالله تعالى ايماناً لا يرى معه لنفسه حقاً إلى جانب مالله عزوجل فيه من حق، انه كلّه ملك لله تعالى، وللمالك أن يتصرّف كما يشآء فيما ملك... يا أبت! إمض على أمر الله جل وعلا بصبر وشجاعة وصلابة...

كما قال الإمام الثالث سيد الشهدآء الحسين بن عليّ عليهما أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته حين ذهب للاستشهاد: «أمضى على دين النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم» وقال ولده الشهيد عليّ الأكبر سلام الله عليه: «لا نبالي بالموت مادمنا على الحق» وكل ائمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إزدروا الدنيا واستهانوا بالحياة طاعة لأمر الله عزوجل، ومن أجل هذا ندين لهم بالولآء لامن أجل النصوص وكفى.

قال اسمعيل لأبيه عليهماالسلام: يا أبت امض ما أمرك الله تعالى به ستجدنى إن شآء الله من الصابرين الذين يصبرون على الشدآئد و المصآئب و البلايا فى جنب الله تعالى ويسلّم أمره إليه، فسأصبر على ما قضى الله عزوجل عليّ من الذبح، وأحتمل هذه اللاواء من غير ضجر ولا برم بما قضى وقدر، قال ذلك تطبيباً منه لنفس أبيه أنه لا يجزع منه، ولا يأتى بما يهيّج وجد الوالد عن ولده المزمّل بدمآئه.

ان الله تعالى وصف اسمعيل بصدق الوعد فى قوله مادحاً له: «واذكر فى الكتاب إسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً» مريم: ٥٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفّى به فكان من الصابرين، وجعله الله تعالى من الصالحين كما طلب ابراهيم عليه السلام من الله عزوجل.

قال الله تعالى: «واسمعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم

فى رحمتنا إنهم من الصالحين» الأنبيآء: ٨٥-٨٦)

١٠٣ ــ (فلمّا أسلما وتلّه للجبين)

فلمّا استسلم إبراهيم واسمعيل عليهما السلام لقضآء الله تعالى وانقادا وخضعا لأمره ورضيا به وأطاعاه وفوّضاه إليه واتفقا على أمر واحد وهو الذبح وعزما على تنفيذ أمره وأضجعه إبراهيم على جبينه الأيسر على مرتفع من الأرض بمنى لئلا يتزمّل الذبيح فى دمآئه، ولئلا يرى الأب وجه ابنه فتلحقه رقّة الآبآء، فشفق عليه، وأمرّ السكّين على حلقه، فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهيّة، عند ئذٍ كانا ما كانا مما لا يحيط به الوصف من شكرهما الله تعالى على ما أنعم به عليهما من رفع البلآء بعد حلوله ومن توفيق الإمتثال بأمر الله تعالى وإن بلغ ما بلغ لما لم يوفّق غيرهما لمثله وإظهار فضلهما به على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك.

١٠٤ ــ (وناديناه أن يا إبراهيم)

وحينئذ نادينا إبراهيم عليه السلام بلسان ملك! بأن يا إبراهيم كفّ عن ذبح إبنك فقد حصل المقصود من إختباركما مما لا يحيط به البيان، ولا أن تراه العيان...

١٠٥ ــ (قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين)

قد صدّقت الرؤيا التى أرينا كها فى منامك بأمرنا بذبح إبنك، فقد فعلت ما أُمِرتَ به فى منامك بما أتيت به مما أمكنك وكان تحت قدرتك من أمر الذبح، فيكفيك ذلك إذ عزمت على ذلك وأقدمت وقصدت وسعيت على تمام الفعل جداً فكأنك فعلته كاملاً تماماً إذ لا تخفى علينا خافية، ونعلم ما فى الصّدور... إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم عليه السلام كذلك نجزى من سلك طريقكما فى الإحسان بالاستسلام والإنقياد لأمر الله تعالى، كذلك نجزى الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا وسعوا فى رضانا باخراج الشّدة عنهم، وبرفعة شأنهم وعلوّ منزلتهم...

إنا كذلك نجزى مَن أراد إحساناً وإن لم يفعله وقصده قصداً جازماً، فنعدّه من زىّ المحسنين الذين أحسنوا وأتمّوا إحسانهم، كما أنك إذا أمرت عبدك بعمل شاق إختباراً، فأقدم على إتيانه مصمّماً عازماً قاطعاً عليه، وعلمت أنه يفعله مع غاية

صعبه ونهاية شاقّه، فحينئذ تقول له: لا تفعل لا تفعل فانك قد فعلت ما أمرتك به باقدامك على اتيانه جداً وعزمك على امتثاله راسخاً كما قال تعالى:

١٠٦ ــ (إن هذا لهو البلآء المبين)

انّ هذا الذبح الذى ابتلينا به إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام لهو الإختبار البيّن الشديد، والإمتحان الظاهر الصعب الذى لا يخفى على أحد، كان إختباراً لا يعدله اختبار يتميّز فيه المؤمن من الكافر، الموحّد من المشرك، المخلص من المنافق، والمصلح من المفسد... وان الاختبار يكون بالخير والشرّ...

قال الله تعالى: «ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة وإلينا ترجعون» الأنبيآء: ٣٥)

نعم: ان التضحية التى أمرالله تعالى بها إبراهيم عليه السلام وهى ذبح إبنه إسمعيل عليه السلام واستجابتهما لهذا الأمر الإلهى عن رضا وطيب نفسهما من أعظم البلايا والمحن وأكبر الحوادث وأجلّها فى تاريخ التضحيات... وخاصّة إذا نظرنا إليهما من الزوايا التى احيطت بها هذه التضحية.

وذلك ان إبراهيم عليه السلام كان حريصاً على الذرية، وهو الذى رُزِق بعد لأى بولد وهو فى سن الشيخوخة، هذا الولد الذى هو مهجة قلبه، وأمل حياته ووارث إسمه، يأمره الله تعالى أن يضحى به ليمتحن ايمانه ويرى مبلغ استجابته لأمره ودرجة طاعته، حدّث إبراهيم عليه السلام ابنه فى هذا الشأن الخطير، ويكاد قلبه ينخلع من الحزن فيجيبه إسمعيل بقوله: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» ولعمرى ان القلم ليعجز عن وصف مضمون هذا القول الذى يتمثل فيه الرضى التام بتضحية النفس فى جنب الله جل وعلا.

تضحية من وجهين: تضحية الوالد بولده، وتضحية الإبن بنفسه، وبذلك نال اسمعيل عليه السلام بالسيادة، وانتهت سيادة نبينا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وذريته إليه.

هذه التضحية هى أرفع صور الايمان وأجلّها فى تاريخ الإنسانية، فليس الايمان إدعاءات تلوكها الألسن، وليس الايمان تسلية للأحزان لفترة ما، وليس الايمان

نظرية من النظريات يغوص العقل فى كشف خفاياها، بل الايمان هو الإندماج الكلى فى إرادة الله تعالى التى تتركز فى العمل بوصاياه وأوامره والتضحية بكل غال ونفيس فى سبيله تعالى، إن إبراهيم أفدى إبنه، وأفدى اسمعيل عليه السلام نفسه فى امتثال أمر ربهما ولم يعكسا. ما أحوجنا إلى هذا الدرس فى هذا الزمن الذى أصبح فيه المال والولد والمقام والمرأة... يستأثرون بحب الانسان الذى يؤثرهم على كل شئ حتى أصبحوا معبودات له من دون الله. وما أحقر الإنسان إذا تعلق بزينة الحياة الدنيا ولذّاتها الفانية وترك الحقيقة الخالدة التى هى سبب وجوده ومصدر استمرار حياته، وأفدىٰ نفسه لما خُلِقَ لها، ولم يُفْدِ لها ما خُلِقَ لها!

وقد عزم إبراهيم عليه السلام على تنفيذ ما أمره الله تعالى به فى منامه وقد حثّه إبنه اسمعيل عليه السلام على إمتثاله، فضلاً عما كان مأموراً فى يقظته ـ وإن كانت رؤيا الأنبيآء حقاً لأنها بمثابة الوحى من الله تعالى ـ ولم يثنه عن عزمه أن إسمعيل ابنه الوحيد، وانه اصبح فى سنّ الشيخوخة، ولذلك قال الله تعالى:

١٠٧ ــ (وفديناه بذبح عظيم)

الفدآء: جعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر عنه: «إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبّل منهم» المآئدة: ٣٦)

والذبح: إسم لما يذبح وهو المذبوح كالطحن إسم لما يطحن وهو المطحون.

والمعنى: وفدينا إسمعيل عليه السلام بذبح عظيم وهو كبش أتى به جبرئيل من عندالله تعالى فدآءً لاسمعيل فذبحه عوضاً من ابنه المنقاد، فتمّ به الفعل المأمور به فى منامه، إذ جعلنا الذبح العظيم ـ الكبش المذبوح ـ بدلاً عن اسمعيل عليه السلام كالأسير يفدى بشئ: «وإن يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم» البقرة: ٨٥)

فجعلنا مكان ذبح اسمعيل ذبح كبش عظيم وأنقذناه من الذبح، وقد كان الكبش عظيماً لعظم قدره ورفعة شأنه حيث قبله الله تعالى فدآءً عن ولد خليله وبقآء أثره إلى يوم القيامة، ولكونه فدآءً لعبد عظيم نال بفدآء نفسه فى جنب الله تعالى

مقام السيادة، وقد صار أبا السادات أجمعين، ولكونه فضلاً من الله عزوجل فى حقه وتعظيماً له بدلاً من عدم وقوع الذبح ظاهراً، ولكونه رمزاً لرضا الله تعالى وتبادله الإحسان مع خليله إبراهيم عليه السلام ومن نسله خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٠٨ ـ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على إبراهيم عليه السلام ذكراً حسناً فى كل امة من الامم، وأبقينا له ثناءً جميلاً فى الأجيال من بعده، فيذكر بخير إلى يوم الدين، فصار محبوباً بين الناس جميعاً من كل امة ومذهب، فان اليهود يجلّونه، والنصارى يعظمونه، والمسلمون يبجّلونه، والمشركون يحترمونه وما من امّة إلّا أن تصلّى عليه وتحبّه، وكلهم يقولون: إنّا على ملّة إبراهيم أبينا، وذلك إستجابة لدعوته إذ قال: «رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنّة النعيم» الشعرآء: ٨٣ـ٨٥)

وجعلنا فى ذريته النبوّة والكتاب والحكمة: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم...» البقرة: ١٢٨-١٢٩)

وأحيينا دعوته إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة وإلى مجاهدته فى سبيل الله تعالى وتصلّبه فى دين الله ودعونا الناس كلهم بعده إلى ملّته، وجعلناه اسوة حسنه للمؤمنين فى الولاية والبرآءة فى كل ظرف...

قال الله تعالى: «قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» آل‌عمران: ٩٥)

وقال: «قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤) وقال: «وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى

برآء مما تعبدون إلّا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون» الزخرف: ٢٦-٢٨)

١٠٩ ـ (سلام على إبراهيم)

وقلنا لابراهيم: سلام منّا عليك سلاماً خاصّاً عظيماً لا يقدر قدره، وسلام من المؤمنين بالله تعالى، وسلام من الملآئكة والإنس والجن أجمعين عليك، وسلامة منّا لك من الآفات... وأمنة منّا لك فى الأرض أن لا تذكر من بعدك إلّا بالجميل من الذكر، وهذا من الذكر الجميل الباقى على الزمن، فعلى لسان كل مؤمن ثناء وسلام على إبراهيم الذى سلّم الله تعالى عليه إلى يوم الدين، وسلام على مَن أسلم لرب العالمين ووصىّ بها بنيه، و.سلام على مَن جآء ربه بقلب سليم.

قال الله تعالى: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ـ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنىّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون» البقرة: ١٢٨-١٣٢)

١١٠ ـ (كذلك نجزى المحسنين)

بمثل هذا الجزآء الحسن وهو الذكر المتجدد بالثنآء الجميل نجزى الراسخين فى الإحسان المعروفين به من عبادنا، فنبقى لهم فى الناس ذكراً طيباً، ونجعل فيهم اسوة حسنة لكل من يريد أن يتلبّس بالإحسان.

١١١ ـ (إنه من عبادنا المؤمنين)

إن إبراهيم عليه السلام كان من عبادنا الذين أخلصوا لنا الايمان، وهو الذى اعطى العبودية حقّها حتّى استحق الإضافة إلينا.

قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: «إنّى وجّهت وجهى للّذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» الأنعام: ٧٩)

١١٢ ـ (وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين)

ومن الجزآء الحسن كذلك لخليلنا إبراهيم عليه السلام: أنا بشّرناه بعد قصّة اسمعيل عليه السلام هذه بولادة ولد آخر وهو اسحق إلى جانب هذا الولد الذى أراد

ذبحه وتقديمه قرباناً لله جل وعلا امتثالاً لأمره، بشّرناه به جزآءً لطاعته أمر الله تعالى، نعمة مجدّدة عليه، لما سعى فيما أمره الله به عازماً عليه، راضياً به، مستسلماً له، وصابراً على ذبح ولده الوحيد: اسمعيل عليه السلام المولود من هاجر عليها السلام وبشّرنا إبراهيم باسحق من سارة مقدّراً وعالماً وحاكماً بأنه نبيّ صالح من جملة الأنبيآء الصالحين عليهم السلام.

قال الله تعالى: «ولقد جآءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام۔ وامرأته قآئمة فضحكت فبشّرناها باسْحق ومن ورآء اسحق يعقوب قالت ياويلتى ءألدوأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد» هود: ٦٩-٧٣)

١١٣ ـ (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

ومن الجزآء الحسن كذلك لخليلنا إبراهيم عليه السلام: أنا باركنا على ابنيه: اسمعيل وإسحق وجعلنا فيما أعطينا هما من الخير والبركة، ومن النمآء والزيادة، وأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، وكثّرنا ولد اسمعيل الذى ينتهى إليه محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذريته وبقآؤهم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة، وولد اسحق إذ أخرجنا ألف نبى من أنبيآء بنى إسرائيل من صلبه أوّلهم يعقوب وآخرهم عيسى صلوات الله عليهم أجمعين، ومن ذرّيّه اسمعيل واسحق محسن بالايمان والتقوى والطاعة، ومن ذريتهما ظالم لنفسه بالكفر والطغيان والمعصية، بيّن الظلم على نفسه وعلى الله جل وعلا وعلى المجتمع البشرى، لان الشرك ظلم عظيم على الله سبحانه: «إن الشرك لظلم عظيم» لقمان: ١٣) والطغيان هو الموجب لانحطاط المجتمع، والمعصية هى الموجبة لهلاك العاصى ودماره فى الدنيا، والعذاب والنار فى الآخرة.

فلا تنفع الظالم بنوّة النبوّة، فاليهود والنصارى وإن كانوا من ولد اسحق عليه السلام والعرب وإن كانوا من ولد اسمعيل عليه السلام ولم يكن سلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه من نسلهما، وقد قال رسول الله سيد الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فيه: «سلمان منّا أهل البيت» فان الكرامة والسعادة

والأهليّة عند الله تعالى بالايمان والتقوى والولاية لا بالنسب والولادة...

قال الله تعالى: «يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم إن الله عليم خبير» الحجرات: ١٣)

وقال: «ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى- قال يا نوح إنّه ليس من أهلك انه عمل غير صالح» هود: ٤٥-٤٦)

١١٤ ـ (ولقد مننّا على موسى وهارون)

واقسم بالله تعالى! انّا أنعمنا على موسى وهارون عليهماالسلام نعماً كثيرة قطعت عنها كل أذية ـ أصل المنّ: القطع من قوله تعالى: «فلهم أجر غير ممنون» التين: ٦) أى غير مقطوع ـ ومن النعم: النبوّة وايتآء الكتاب والهداية والخير الكثير، والتنجية من الغم والكرب العظيم، والنجاة من فرعون وقومه، والنصر على أعدائهما من قبط ومصر، وملكناهما أرضهم وأغرقنا من كان مستذلّهما، وغيرها من النعم الدينية والمنافع الدنيوية...

قال الله تعالى: «وهل أتاك حديث موسى ـ ولقد مننّا عليك مرّة اخرى- كذلك نقصّ عليك من أنبآء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنّا ذكراً» طه: ٩-٩٩) والأعراف: ١٠٣-١٥٥) والقصص: ٣-٤٦)

١١٥ ـ (ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم)

ونجّينا موسى وهارون عليه‌السلام وقومهما بنى إسرآئيل من الغمّ الشديد والعذاب المهين من تسلّط فرعون وجفآئه على بنى إسرائيل، من محنة قاسية تحت يد فرعون وقومه واستعبادهم إياهم واستثمارهم واستعمالهم فى مشاق الأعمال... إذ كانوا يستضعفونهم ويذبّحون أبنآءهم ويستحيون نسآءهم، ويسومونهم سوء العذاب، ومن الرق الذى لحق بنى إسرائيل، ومن الغرق الذى لحق فرعون وقومه، فنجّينا موسى وقومه، وأهلكنا فرعون وقومه.

قال الله تعالى: «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما

كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون. وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبنآءهم ويستحيون نسآءكم وفى ذلكم بلآء من ربكم عظيم» الأعراف: ١٣٧-١٤١)

وقال: «ولقد نجّينا بنى إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين» الدخان: ٣٠-٣١)

وقال: «وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعرآء: ٦٥-٦٧)

١١٦ ـ (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين)

ونصرنا موسى وهارون عليهما السلام وقومهما بنى إسرآئيل جميعاً على أعدآئهم، فكانوا هم الغالبين لأعدآئهم بالحجج الظاهرة والقاهرين عليهم بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين، فأيّدناهم عليهم، فغلبوهم، وملكوا أرضهم وأموالهم وما كانوا قد جمعوه طوال حياتهم، فكانوا أصحاب الصولة والسلطان والدولة والرفعة بالتأييد والنصرة بعد أن كانوا تحت اسرهم وقهرهم، وان النصر والغلب هو الذى أدّى إلى خروجهم من مصر وجوازهم البحر وهلاك فرعون وجنوده، وإلى نجاة بنى اسرائيل إذ كانت هناك معركة قائمة فعلاً بين الفريقين... حيث كان موسى وبنو إسرائيل جادين فى الهرب، وكان فرعون من ورآئهم بجنوده يريد اللحاق بهم، ولو لحق بهم لأهلكهم أجمعين.

قال الله تعالى: «قال سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومَن اتبعكما الغالبون» القصص: ٣٥)

وقال: «فما آمن لموسى إلّا ذريّة من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين. وجاوزنا ببنى اسرآئيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق» يونس: ٨٣-٩٠)

١١٧ ـ (وآتيناهما الكتاب المستبين)

وآتينا موسى وهارون التوراة وهى الكتاب الداعى إلى نفسه بما فيه من البيان

الواضح، ومن الهدى والنور والموعظة، ومن الأحكام والحدود وغيرها... ومن تفصيل كل شئ.

قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضيآءً وذكراً للمتقين» الأنبيآء: ٤٨)

وقال: «قل من أنزل الكتاب الذى جآء به موسى نوراً وهدى للناس ـ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شئ وهدى ورحمة لعلّهم بلقآء ربهم يؤمنون» الأنعام: ٩١ و ١٥٤)

كل ذلك قبل أن تدخل فيها يد التحريف، ويحوم عليها الدّس من علمآء اليهود، فانهم نقضوا ميثاقهم، فحرّفوا الكلم عن مواضعه، فصارت التوراة: الوحى السماوى ما فيه كل شئ إلّا الوحي السماوى.

قال الله تعالى: «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به ولا تزال تطّلع على خآئنة منهم إلّا قليلاً منهم» المائدة: ١٣)

وقال: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ـ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً» النسآء: ٤٦)

١١٨ ـ (وهدينا هما الصراط المستقيم)

ودللنا موسى وهارون عليه السلام على الطريق المؤدّى إلى الحق والصّواب، وإلى الهدى والرشاد الموصل إلى الجنّة ونعيمها باخلاص طاعة لله تعالى، وأمددنا هما بالتوفيق والعصمة، هذا هو الطريق الموصل الى المطلوب: «وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل» الأنعام: ١٥٣) هذا هو الصراط الذى لا ضلال ولا اعوجاج فيه، هذا هو صراط أهل الاسلام، صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين، هذا هو دين الاسلام، الدين القويم الذى لن يقبل الله تعالى غيره: «إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتو الكتاب إلّا من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم ـ أفغير دين الله يبغون ـ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً

فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » آل‌عمران: ١٩ و ٨٣ـ٨٥)

هذا هوالدين الذى ابتعث به الأنبيآء والمرسلون أجمعون، وهذا هو دين الله تعالى الذى اشترك فى اصوله جميع الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «قل إن هدى الله هو الهدى وأُمرنا لنسلم لربّ العالمين» الأنعام: ٧١)

وقال: «ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له‌ٗ ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصّى إبراهيم بنيه ويعقوب ـ ونحن له مسلمون » البقرة: ١٣٠-١٣٦)

١١٩ ــ (وتركنا عليهما فى الآخرين)

وتركنا على موسى وهارون عليهماالسلام وأبقينا عليهما فى الامم المتأخّرة ذكراً حسناً وثنآءً جميلاً، وهذا ما تصبو إليه النفوس... ونعم ما قيل: «الذكر الجميل للإنسان عمرثانٍ دآئم بدوام ذكره» وقال الشاعر:

وإنّما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

١٢٠ ــ (سلام على موسى وهارون)

سلام منّا على موسى وهارون سلام خاص عظيم لا يقدر قدره، وجعلنا الملائكة والإنس والجنّ يسلّمون عليهما أبد الدهر، ولا شئ أدعى إلى سعادة الحياة للانسان من الطمأنينة وهدؤ البال.

١٢١ ــ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا مثل ما جزينا موسى وهارون عليهماالسلام من ذكر حسن وثنآء جميل بين الناس، ومن سلام منّا ومن الملائكة والثقلين، نجزى كل مَن تلبّس بالاحسان وبقى عليه.

قال الله تعالى: «للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دارالمتقين ـ من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ـ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

محسنون» النحل: ٣٠ و ٩٧ و ١٢٨)

١٢٢ ــ (إنها من عبادنا المؤمنين)

إنّا كذلك جزينا موسى وهارون عليهماالسلام لأنهما من عبادنا المخلصين لنا الايمان المصدّقين العالمين العاملين بجميع ما أوحينا عليهما.

١٢٣ ــ (وإن إلياس لمن المرسلين)

واذكر يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ان إلياس من جملة المرسلين إلى خلقه نبيّاً من أنبيآء بنى إسرآئيل من ولد هارون بعث بعد حزقيل النبى عليه السلام داعياً إلى توحيده وطاعته.

قال الله تعالى: «ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصّالحين» الأنعام: ٨٤-٨٥)

١٢٤ ــ (إذ قال لقومه ألا تتقون)

حين قال إلياس لقومه: ألا تتقون الله تعالى بترك معاصيه وفعل طاعاته؟ ألا تحذرون بأس الله جل وعلا ونقمته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؟ وألا تخافون عقاب الله عزوجل فى عبادة سواه؟

١٢٥ ــ (أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

أتدعون لكم إلهاً ورباً من دون الله، وتعبدون الصنم بعلاً وتتركون عبادة الله الذى خلق العالم فأحسن خلقه، وهو وحده يستحق العبادة لا شريك له؟!

١٢٦ ــ (الله ربكم وربّ آبآئكم الأوّلين)

فالإله الجدير بالعبادة هو الله الذى خلقكم ودبّركم وخلق من مضى من آبآءكم الأوّلين وأجدادكم...

١٢٧ ــ (فكذّبوه فانهم لمحضرون)

فكذّب إلياس قومه فيما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة لله وحده ومن ترك الشرك والمعاصى... فلم يستجيبوا له، ولم يأخذوا بنصحه ولم يصدّقوه ولم يقبلوا ما

دعاهم إليه من تصحيح معتقدهم فى الله تعالى، فكان جزاؤهم أن يصيبهم الهلاك والد ما رفى الدنيا، وأن يحشروا يوم القيامة ويساقوا إلى الحساب ويحضروا فى جهنم للنار والعذاب، فيجازون على سوء عقآئدهم وأقوالهم وأفعالهم...

١٢٨ ـ (إلّا عباد المخلصين)

ويستثنى من هذا الجزآء المكذّب، عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وأنابُوا إليه من قوم إلياس، ولم يلبسوا ايمانهم بالشرك والضلالات، وبالكفر والأباطيل ... فاولئک يجزون الجزآء الأوفى على ما أسلفوا من إعتقاد حق وعمل صالح ...

١٢٩ ـ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على إلياس ثنآءً جميلاً وذكراً حسناً على ألسنة مَن جآؤا بعده من الامم إلى يوم القيامة.

١٣٠ ـ (سلام على إل ياسين)

سلام خاص عظيم منّا على آل ياسين وهم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: فاطمة الزهرآء واثنى عشر إماماً معصوماً من أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته، وجعلنا الملائكة والمؤمنين من الثقلين يصلّون ويسلّمون عليهم أبد الدهر.

قال الله تعالى: «إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» الأحزاب: ٥٦)

وقال: «ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحيآء ولكن لا تشعرون ـ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون» البقرة: ١٥٤-١٥٧)

وأىّ مصيبة أعظم مما أصاب آل محمد كلهم صلوات الله عليهم أجعين، ولعمرى لا تقاس أيّة مصيبة عظمى واقعة فى العالم من أوّله إلى آخره بما وقعت على أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجعين من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند وفاته إلى خاتم أوصيآئه إذ لا نرى نبياً من أنبيآء الله تعالى أن أهان عليه مَن ادّعى الايمان

به، ما أهان على رسول الله من ادّعى الاسلام وهو عمر بن الخطاب إذ قال على طريق الإهانة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ان هذا الرجل ليهجر» وما فعل على رسول من رسل الله تعالى ما فعل امة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أهل بيت رسولهم من فاطمة الزهرآء بنت رسول الله إلى المهدى آخر أوصيآئه عليهم صلوات الله إذ غاب المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف لما غاب ويفعل به ما يُفعل.

١٣١ ـ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا مثل ذلك الجزآء نجزى كل مَن تلبّس بالاحسان وبق عليه، فكيف من كان محوراً لإحسان المحسنين فى كل ظرف.

١٣٢ ـ (إنه من عبادنا المؤمنين)

لأنّه كان من عبادنا المصدّقين العالمين العاملين بما أوجبناه عليهم المخلصين فى أفعالهم وأقوالهم ونيّاتهم... فوحّدونا واطاعونا ولم يشركوا بنا شيئاً.

١٣٣ ـ (وإن لوطاً لمن المرسلين)

واذكر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ان لوطاً ابن هاران كان من جملة المرسلين الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته إلى عباده، داعياً لهم إلى طاعة الله ومنبهاً لهم على وجه وحدانيته.

وقد آمن لوط بإبراهيم عليهما السلام وقد اهتدى بهداه: «فآمن له لوط» العنكبوت: ٢٦) وتبع إبراهيم فكان معه فى رحلاته. ثم افترق من ابراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى، فأرسله الله تعالى إلى سدوم فى دائرة الاردن على شواطئ بحر الميت فى غورأريحا فى فلسطين، فنزل مدينة سدوم لهداية أهلها وتحذيرهم عن سوء فعالهم... إذ كانوا من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وسلوكاً، يقطعون الطرق للسلب ويأتون فى ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم وهى: اللواط.

قال الله تعالى: «ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد

من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النسآء بل أنتم قوم مسرفون» الأعراف: ٨٠-٨١)

١٣٤ ــ (إذ نجّيناه وأهله أجمعين)

لمّا دعا لوط عليه السلام قومه إلى الايمان بالله تعالى وخوّفهم عقابه وحثّهم على ترك ما كانوا عليه من المعاصى والمنكرات... كذّبوه وهدّدوه باخراجه من بلادهم، وتمرّدوا واستكبروا وقالوا له: إن كنت صادقاً فيما تهدّدنا به من العذاب، فعجّل وائتنا به، فاذاً نجّينا نبيّنا لوطاً وأهله ممن آمن معه أجمعين.

قال الله تعالى: «كذّبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلّا آل لوط نجّيناهم بسحر» القمر: ٣٣-٣٤)

وقال: «ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجّيناه من القرية التى كانت تعمل الخبآئث إنّهم كانوا قوم سوء فاسقين» الأنبيآء: ٧٤)

١٣٥ ــ (إلّا عجوزاً فى الغابرين)

إلّا أن إمرأة لوط التى خانته فلم تكن من الناجين، فكانت من الباقين الذين أهلكوا وعلتهم غبرة التراب، فهلكت هى مع مَن هلك من قومها.

قال الله تعالى: «ولما جآئت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين- إنا منجّوك وأهلك إلّا إمرأتك كانت من الغابرين» العنكبوت: ٣١-٣٣)

وقال: «فأنجيناه وأهله إلّا امرأته قدّرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فسآء مطر المنذرين» النمل: ٥٧-٥٨)

وقد ضرب الله عزوجل إمرأة لوط مثلاً لنبتة السوء تنبت فى الأرض الطيبة إذقال فيها وفى إمرأة نوح عليه السلام: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا هما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين» التحريم: ١٠)

١٣٦ ــ (ثم دمّرنا الآخرين)

بعد أن نجّينا لوطاً و أهله المؤمنين أهلكنا الباقين من قوم لوط مع إمرأته الذين كذّبوا واستكبروا استكباراً، أهلكناهم على أسوإ أحوال إذ أمطرنا عليهم حجارة من طين متحجّر صلب، فقذفناهم بها من فوقهم كانت تنهال عليهم متتابعة منتظمة حين انقلبنا قراهم من تحتهم، فجعلنا عاليها سافلها تعذيباً منّا لهم، فعاقبناهم عقاباً شديداً لكفرهم وطغيانهم، لعتوّهم و ضلالهم، ولبغيهم و فسادهم ...

قال الله تعالى: «فلمّا جآء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود مسوّمة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد» هود: ٨٢-٨٣)

١٣٧ ــ (وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين)

قل يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلاء المشركين المستكبرين: يا أهل مكة! انكم لتمرّون على أطلال قوم لوط المهلكين، تمرّون عليهم فى متاجركم وأسفاركم وقت الصباح- فان سدوم فى طريق الحجاز إلى الشام- فتشاهدون آثار هلاكهم الشؤمة فى ذهابكم وإيابكم فى أسفاركم، تشاهدون منازلهم الخربة وقراهم الخاوية لا أنيس فيها ولا جليس ولا ديّار ولا نافخ نار، وترون ما حلّ بهم من غضب الله تعالى ونقمته، ترون ذلك فى وضح النهار، فاتعظوا واعتبروا...

قال الله تعالى: «وأمطرنا عليهم مطراً فسآء مطر المنذرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعرآء: ١٧٣-١٧٤)

١٣٨ ــ (وباللیل أفلا تعقلون)

وكنتم تمرّون أيّها المشركون على هؤلآء القوم المهلكين ليلاً أيضاً أفلا تعقلون إذا شاهدتم ذلك صباحاً ومسآءً حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم لما خالفوا رسولهم وكذّبوه وتهدّدوه بالأذى إذ كان ذلك العذاب الشديد والهلاك والدمار لمخالفتهم رسولهم كما تخالفون رسولكم؟ أفلا تتدبّرون فيما نزل بهؤلآء القوم لتجتنبوا ما كانوا يفعلون من الكفر والضلال والبغى والفساد...؟

أفلا تتفكّرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله فى الكفر به وتكذيب رسله

مسلك هؤلآء الذين وصف صفتهم من قوم لوط نازل بهم من عقوبة الله مثل الذى نزل بهم على كفرهم بالله تعالى وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عمّا أنتم عليه من الشرك بالله سبحانه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ أفليس فيكم عقل تعتبرون به؟ من كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قلّ ذلك منه، فلو أنه كان لكم أيّها المشركون عقل لكان لكم فى مصارع الظالمين الطاغين عبرة ومزدجر.

١٣٩ ــ (وإن يونس لمن المرسلين)

واذكر يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ان يونس بن متى كان رسولاً من المرسلين، أرسلناه إلى قومه أهل نينوى بالموصل عاصمة دولة أشور الذين كانوا يعبدون الأصنام ويصرون على ما هم عليه من الشرك والضلال والكفر والفساد، والشر والعناد... أرسلناه إليهم ليدعوهم إلى التوحيد وخلع الأنداد دونه، وليهديهم إلى الحق والرشاد، فلم يستجيبو الدعوته، فأوعدهم يونس عليه السلام بنزول العذاب عليهم بعد مدّة من الزمن.

١٤٠ ــ (إذ أبق إلى الفلك المشحون)

لما لم ينزل بقوم يونس عليه السلام العذاب الذى وعدهم، ظنّ عليه السلام أنه قد أدّى الرسالة، وقام بكل المهمّة التى أمره الله تعالى بها، وخرج من مدينتهم مغاضباً لهم بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر: «وذاالنون إذ ذهب مغاضباً» الأنبيآء: ٨٧) وكان تركه للمدينة وهربه من أهلها بدون إذن ربه إعتقاداً منه ان الله عزوجل لن يؤاخذه على ما فعل، وظلّ سآئراً حتى أتى إلى ساحل البحر، فوجد سفينة مملؤة موقرة محمولة من الناس والأمتعة... على أهبة السفر، فطلب من أصحابها أن يركبوه معهم فى السفينة.

ولا يخفى على قارئ خبير أن فرار يونس عليه السلام وإن كان من قومه ظاهراً، ولكنه فى الواقع كان فراراً من الرسالة التى حملها إلى قومه، حيث لم يصبر طويلاً على أذاهم، فسمّى آبقاً كما يأبق العبد من سيّده، وسيد يونس، هو الله جل وعلا. الإباق: الهرب من السيّد، ولما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه،

إذ خرج من بين قومه معرضاً عنهم، وهو عليه السلام وإن لم يعص فى خروجه ذلك ربه، وما كان هناك نهى من ربه عن الخروج، ولكن كان خروجه كذلك ممثّلاً لا باق العبد من خدمة مولاه أخذه الله تعالى بذلك.

١٤١ ــ (فساهم فكان من المدحضين)

لما ركب يونس عليه السلام السفينة وسارت واحتواها البحر وقفت إذ عرض الحوت للسفينة، فزع الملاّحون والركاب... فاضطرّوا بالقآءِ واحد منهم فى البحر ليبتلعه و يخلّى السفينة، فقالوا: إن فينا عبداً آبقاً من سيّده، وقد كان الملاّحون يزعمون أن السفينة إذا كان فيها آبق لا تجرى، فساهم يونس أهلها بأن القوا السهام في البحر على سبيل القرعة حتى يسلم الباقون من الغرق، ولا يكونوا جميعاً على سوآء فى هذا الأمر، فقارعهم يونس عليه السلام فوقع السهم ثلاث مرّات على يونس عليه السلام فقال: أنا الآبق، فكان هو من المقروعين المسهومين المغلوبين بالقرعة، فمضى عليه السلام إلى صدر السفينة، فاذاً الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه.

١٤٢ ــ (فالتقمه الحوت وهو مليم)

لمّا أُلقِىَ يونس عليه السلام فى المآء ابتلعه الحوت كاللقمة بلا فصل، الحوت الذى فتح فاه لذلك لأنه كان مرصوداً مسوقاً بقدرة الله تعالى إلى تلك المهمّة وهى ابتلاع يونس عليه السلام وحالكون يونس عليه السلام ملوماً على ما كان منه من فراره من قومه بدون إذن ربه مغاضباً قومه، فأتى بما يلام عليه لوم عتاب لا لوم عقاب، وقد كان عليه أن يصبر على أذى قومه كما صبر عليه اولوا العزم من الرسل حتى يأمره الله تعالى بالهجرة أو أخرجه قومه كابراهيم عليه السلام ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بلادهم...

١٤٣ ــ (فلولا أنّه كان من المسبّحين)

لمّا التقم الحوت يونس عليه السلام واستقرّ فى جوفه، علم أنه ظلم على نفسه بما فعل، فعكف على تسبيح الله تعالى، ودعا ربّه معترفاً له أوّلاً بوحدانيته، وثانياً بأنه كان ظالماً فيا صدر عنه، فاستجاب تعالى له، فألهم الحوت أن يطرح يونس على

شاطئ البحر من أرض قفراء، فلو لم يكن يونس عليه السلام فى بطن الحوت من المسبّحين الذاكرين الله تعالى ولم يقل أربعين يوماً مكرراً مردّداً كثيراً: «لا إله إلّا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» الأنبيآء: ٨٧) أى لا معبود بالحق أتوجّه إليه سواك ، فأنت منزّه مما كان يشعر به فعلي، أنّى آبق منك يا سيّدى، معرض عن حق عبوديتك متوجه إلى غيرك ، فانّى كنت ظالماً لنفسى فى فعلى، فها أنا متوجّه إليك متبرّئ مما كان يشعر به فعلى من التوجّه عنك إلى غيرك فوصف الله تعالى بكمال الالوهية، ونزّهه عن كل النقآئص ومنها العجز، ووصف نفسه بضعف البشرية والقصور فى أدآء حق الالوهية، ففرّج الله تعالى عنه كربته فاستجاب له: «فاستجبنا له ونجّيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» الأنبيآء: ٨٨)

١٤٤ ــ (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون)

فلو لم يسبّح لله تعالى يونس عليه السلام فى بطن الحوت ـ كما كان يسبّح له تعالى من قبل ـ لبقى فيه، وهما حيّان إلى يوم القيامة، فنجّاه الله تعالى بسبب هذا التسبيح فى الشدة المسبوق بالتسبيح فى الرخآء وذلك ان يونس عليه السلام كان يكثر التسبيح فى الرخآء، فأنجاه الله تعالى به عند الشدة. وقد روى ابن عباس: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال له: «إنّى معلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله فى الرخآء يعرفك فى الشدّة».

وأما نسيان الله تعالى فى حال الرخآء والإعراض عن هداه فان ذلك يكون سبباً فى عدم استجابة الله تعالى له عند الشدّة، ولهذا يذكر القرآن الكريم عن فرعون الذى كان طاغياً كافراً بالله سبحانه فانه لـمّا أدركه الغرق قال: «آمنت أن لا إله إلّا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين» فقيل له: «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» يونس: ٩٠ـ٩١)

وأما كون يونس عليه السلام والحوت حيين إلى يوم القيامة فمن كان قادراً على حفظ يونس عليه السلام حياً فى الظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر وظلمة الليل بدون طعام ولا شراب ولا هوآء أربعين يوماً، فهو قادر على حفظهما

حيين فى البحر إلى يوم القيامة.

۱۴۵ ــ (فنبذناه بالعرآء وهو سقيم)

قد إستغاث إلينا نبينا يونس عليه السلام وهو غارق فى الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت، ولا مغيث له على الإطلاق إلّا الله تعالى، فاستجبنا له فألهمنا الحوت أن يطرح يونس عليه السلام فى ساحل البحر من أرض قفرآء، فألقيناه من بطن الحوت على اليابسة الخالية لا سترة فيها يستظلّ بها من سقف أوخبآء أو شجر أو نبات... فخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت وهو عليل الجسم، سقيم النفس، وضعيف الأعضآء والجوارح... كالفرخ الممعط بلا ريش له مما ناله في بطن الحوت، وما لحقه من الغم مما حدث من قومه إذ أعرضوا عن دعوته ولم يصدّقوه فيما جآء به، وقد كان يرجو لهم الخير والصلاح والسعادة والفلاح، والرشاد والكمال الإنسانى، ولما وجد من شدّة وجهد فى ابتلاع الحوت له وإلقآئه... حتى بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة.

نعم: ان التسبيح وإن كان سبباً لنجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت، ولكن نعمة الله تعالى وإحسانه ورحمته عليه تداركته، فألقاه الحوت بالعرآء وهو غير مذموم، ولو لا تداركته فيلقيه بالعرآء وهو مذموم: «لو لا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرآء وهو مذموم» القلم: ۴۹)

۱۴۶ ــ (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

وبهذه النعمة المتداركة ليونس عليه السلام أنبتنا عليه شجرة من يقطين، وهى القرع التى تنبسط أو راقها على سطح الأرض، فيضطر المستظل بها إلى أن يضع خدّه على الأرض، فتكنّه من حرّ الشمس، أو تظله بساق لها على خلاف العادة فى القرع، معجزة له، وقد أنبت الله تعالى له عليه السلام هذه الشجرة إذ لا يجتمع عليها الذباب والبعوضة.

وقد ورد: أنه كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تأتيه صباحاً ومسآءً فيشرب من لبنها حتى قوى.

فلو لا نعمة ربه أن تداركه لتعرّض لحرّ الشمس ولزمهرير البرد من رياح البحر وشديد صرّها، فيموت بعد حين أو يشوّه خلقه فكان مذموماً.

هذه نعمة ربانية ظاهرة مادية، وأما معنوية روحانية منها فقال:

١٤٧ ــ (وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون)

لـمّا شُفِيَ يونس عليه السلام من سقمه، ورضينا عنه، اجتبيناه وأمرناه أن يعود إلى قومه أهل نينوى من أرض الموصل الذين فارقهم بسبب إعراضهم فى البداية عنه، فارسلناه إليهم، وهم مأة ألف، بل أكثر من ذلك إلى ثلاثين ألفاً ليتمّ دعوته ويبلغ رسالته، فعاد إليهم ودعاهم إلى الايمان والهدى، والحق والفلاح، وأدّى الرسالة الّتى أمرناه بها قبل ذلك.

قال الله تعالى: «فاجتباه ربه فجعله من الصالحين» القلم: ٥٠)

١٤٨ ــ (فآمنوا فمتّعنا هم إلى حين)

فذهب يونس عليه السلام إلى قومه بعد فراره منهم مغاضباً، وبعد معاينتهم العذاب والايمان بالله تعالى فى غيبته عنهم «فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها إلّا قوم يونس لـمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين» يونس: ٩٨) أى إلى حين رجوع يونس عليه السلام إليهم ثانياً، فلمّا رجع إليهم، ودعاهم إلى الله تعالى ثانياً استجابوا له من غير مهلة ولا تأخير، فآمنوا به ثانياً، فمتعناهم بلذآئذ النعم الظاهرة والباطنة إلى انقضآء آجالهم فى الحياة الدنيا المقدّر لهم.

فكان لهم تمتيعان: تمتيع مترتّب على ايمانهم حين رأوا العذاب، فكشف عنهم إلى رجوع يونس عليه السلام إليهم، وتمتيع مترتب على ايمانهم به بعد رجوعه إليهم إلى انقضآء آجالهم المقدرة لهم فى الحياة الدنيا، فلو لم يؤمنوا بعد رجوعه إليهم ثانياً كما آمنوا وتابوا إلى الله تعالى فى غيبته عنهم لما تركهم الله تعالى، بل يعذّبهم، فان الايمان لابد أن يستند إلى دعوة الرسول من الله عزوجل.

فالمعنى: فأرسلنا يونس عليه السلام مرّة اخرى إلى قومه، إذ استقامت حالهم،

وآمنوا بالله تعالى حين رأوا العذاب، فانهم بعد أن خرج يونس من بين أظهرهم رأوا أنهم قد أخطاؤا وأنهم إذا لم يتبعوا رسولهم هلكوا كما حدث لمن قبلهم من الأمم، فلمّا عاد إليهم ودعاهم إلى ربه لبّوا الدعوة طآئعين منقادين لأمرالله عزوجل ونهيه، فمتعناهم فى هذه الحياة حتى انقضت آجالهم وهلكوا فيمن هلك.

ولا يخفى أن فى قصّة يونس عليه السلام دروساً عالية للعلمآء العاملين والدعاة المصلحين والوعّاظ المبلّغين فى كل ظرف، فعليهم فى تنفيذ إرشادات ربهم، والدعوة إليه جل وعلا وهدايتهم إلى الخير والصواب، إلى الحق والكمال وإلى الفوز والفلاح... بارادة قوية واستقامة، وبصبر وصلابة لئلا يبتلوا بصعاب وأهوال... لم تكن فى حسبان، فيونس عليه السلام تعجّل الفرار من ميدان الرسالة والهداية والدعوة وإرشاد الناس الذى وضعه الله تعالى فيه، وتلك فعله ما كان لنبىّ أن يفعلها لأوّل بادرة سوء يصادفها من الناس أو إعراض عنه، أو تكذيب به أو أذى... فمن خرج من هذا الميدان فعليه النقمة والندامة... ولذلك قال الله تعالى لنبيه الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم» القلم: ٤٨)

وقد كان لابد من درس يتلقّاه النبى من ربّه، وهو أن يخرج من ضيق إلى ضيق أشد، ومن بلآء إلى بلآء أقسى، وهو جوف الحوت ثم تجئ نعمة الله تعالى فتخرجه منه إلى اليابسة، فيعود إلى المدينة التى فارق أهلها مغاضباً، ليعاود الدعوة إلى الله عزوجل وهو أشدّ يقيناً وأرحب نفساً فيوفقه الله تعالى فى مهمته.

ان يونس عليه السلام تعجّل فى ميدان الرسالة فابتلى ما ابتلى به، وأما إبراهيم عليه السلام فصبر على تفدية إبنه الوحيد فى جنب الله تعالى فنال بالخلّة، وصار اسوة فى الصلابة فى دين الله تعالى وصبر اسمعيل عليه السلام على تفدية نفسه فى أمر الله جل وعلا: «ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» فنال بالسيادة، وصار اسوة فى الصبر على تفدية نفسه فى دين الله تعالى فشتّان بين يونس عليه السلام وبينهما عليهما أفضل صلوات الله وأكمل تحياته.

١٤٩ ــ (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون)

يا أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم استخبر هؤلاء المشركين توبيخاً لهم، وسلهم تقريعاً على ضعف أحلامهم وسفاهة عقولهم... ألربّى البنات بزعمكم ولكم البنون؟ «أم له البنات ولكم البنون» الطور: ٣٩) كيف تزعمون أن الملائكة بنات الله سبحانه وتضيفونها إليه فتعبدونها، واخترتم الذكور لأنفسكم فتختصّون بالأسنى؟ فمن أين جآءكم هذا التقسيم؟ وإلام تستندون؟ وانكم لتكرهون البنات وتبغضونها اشد البغض كما جآء فى قوله عزوجل: «وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بُشِّرَ أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم» الزخرف: ١٥-١٧) «ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون وإذا بُشِّرَ أحدهم بالانثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم يتورىٰ من القوم من سوء ما بُشِّرَ به أيمسكه على هون أم يدسّه فى التراب ألاسآء ما يحكمون» النحل: ٥٧-٥٩) «ألكم الذكر وله الانثى تلك إذاً قسمة ضيزى» النجم: ٢١-٢٢) أى قسمة جائرة غير عادلة فكيف يجعلون لله سبحانه على تقدير صدق ما زعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما وهو الاناث ولهم أعلاهما وأرفعهما وهم الذكور، وهل هذا إلّا حيف فى القسمة، وليس هذا إلّا لضعف عقولهم وسوء إدراكهم. وطائفة من المشركين يزعمون أن الملائكة بنات الله سبحانه على وجه الاصطفآء لا على وجه الولادة، وعن بعض قبائل العرب كجهينة وسليم وخزاعة وبنى مليح القول بانوثة الملائكة جميعاً ومن لوازم ذلك ان الملائكة أولاده سبحانه.

١٥٠ ــ (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدونَ)

بل أخلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون خلقنا إيّاهم اناثاً؟! انهم لم يشهدوا خلقهم ولم يشاركوا فيه حتّى يكون لهم قول فى هذا الأمر، إنهم يحكمون بلا علم، ويقضون بدون حجّة. من أين علموا أن الملائكة اناثاً؟ شاهدوا خلق الله لهم؟ فرأوا اناثاً؟ فانهم لا يمكنهم ادّعآء ذلك إذ لا يمكن معرفة مثل ذلك إلّا بالمشاهدة، ولم يكونوا شاهدين خلقهم ولا حاضرين لخلقنا إياهم إناثاً فيقولون ذلك، ولا لهم أن

يدّعوا ذلك، لأن الذكورة والانوثة مما لا يثبت إلّا بنوع من الحسّ أو النقل الصحيح، ولا سبيل إلى معرفته بالعقل حتى يقوم الدليل والبرهان على صحته، وأمّا النقل الصحيح الذى يؤيّد ما يدّعون فلا يوجد، فلم تبق إلّا المشاهدة، وهذه لم تحصل فكيف جعلوهم اناثاً ولم يشهدوا خلقهم؟ فمن أين جآءهم هذا العلم؟؟؟!!!

قال الله تعالى: «وجعلوا الملآئكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون» الزخرف: ١٩)

١٥١ ــ (ألا إنهم من إفكهم ليقولون)

ألا يا أهل العالم! ان هؤلآء المشركين من كذبهم وافترآئهم وضلالهم ليقولون. وهذا هو أسوأ الكذب لا مستند له، وأقبح الإفترآء لا شبهة ترشد إلى صدقه. الإفك هو صرف القول عن وجهه إلى غير وجهه أى من الحق إلى الباطل، من الصدق إلى الكذب، ومن الحسن إلى القبيح... فيوجّهون خلقهم بما يعدّونه ولادة ويعبّرون عنه بها فهم آفكون كاذبون...

١٥٢ ــ (ولد الله وإنهم لكابون)

انهم يقولون إفكاً وبهتاناً: إن الله سبحانه يلد ولداً، وهذا إفك وضلال سوآء أكان هذا الولد ذكراً أم انثى، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وانهم فى هذا القول الأحمق لكاذبون فيما يتديّنون به كذباً بيّناً لا ريب فيه، ولا أثرة لهم من علم يصدق ما يعتقدون فمن أين جآء هم هذا؟ «أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ» الأنعام: ١٠١) «إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد» النسآء: ١٧١) «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً ـ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من فى السموات والأرض إلّا آتى الرحمن عبداً» مريم: ٨٨ـ٩٣) «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» الأنبيآء: ٢٦)

١٥٣ ــ (أصطفى البنات على البنين)

أيها المشركون! أبصدق تزعمون أن الله سبحانه اختار البنات لنفسه، وترك لكم

البنين؟ إختار الأخس والأدون لنفسه، وترك الأفضل والأعلى لكم؟ أىّ شئ حمله على ذلك؟ ولماذا الإناث دون الذكور؟ أليصاهرهنّ؟ فما لكم إذن لا ترضون بأن يولد لكم الإناث...؟ أتكون مواليد الله سبحانه بزعمكم اناثاً وليس ذكوراً.

قال الله عزوجل: «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً» الاسرآء: ٤٠)

١٥٤ ــ (ما لكم كيف تحكمون)

من أىّ شئ؟ من أىّ دليل وبرهان؟ ومن أين ثبت لكم أن لله سبحانه البنات ولكم البنين؟ كيف تحكمون لله تعالى بالبنات وهنّ القسم الذى تكرهونه، ولكم بالبنين وهم القسم الذى تحبّونه؟ وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له عزوجلّ ما لا ترضونه لأنفسكم؟ أهذا حكم يستقيم حتى مع منطقكم أنتم؟ أو ليس هذا الحكم خارجاً عن نطاق المنطق والعقل عندكم؟ أوليس هذا وضع الشئ فى غير موضعه: «تلك إذاً قسمة ضيزى» النجم: ٢٢)

ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل ولا منطق، وليس له دليل ولا برهان؟ إنّما العقل والمنطق والبرهان كلها يقضى ببطلان هذا، فكيف تحكمون هذا الحكم الفاسد الباطل وتقولون ما لا تعقلون؟ أمالكم عقول تتدبّرون بها ما تقولون وتتفكّرون فى صحّة ما تعتقدون؟ وحقاً أن الأمر ليس كذلك إذ أنتم على خطاءٍ فاحش يدعوإليه الجهل والسفاهة، وبئس الحكم تحكمون أيها المشركون! قال الله تعالى: «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ـ ويجعلون لله ا يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب» النحل: ٥٧ـ٦٢)

١٥٥ ــ (أفلا تذكّرون)

أفلا تتفكّرون أيها المشركون فى فساد عقآئدكم؟ أفلا تعقلون في قبح ما تقولون وبطلان قولكم؟ أفلا تذكّرون فيما تنسبونه إلى الله سبحانه وهو منزّه عنه؟ أفلا تدبّرون انه لا تجوز نسبة الولد إلى الله تعالى؟ لأن نسبة الولد إلى الله عزوجل تخرجه عن الوجوب إلى الامكان، عن الغنى إلى الحاجة، عن القدرة المطلقة إلى العجز، عن

التنزّه إلى التدنّس، وعن التجرّد إلى كونه مادياً وغير ذلك من النقآئص...

أفلا تتعظون فتعرفوا خطاكم فتنتهوا عن قيله، وترجعوا على أنفسكم باللآئمة فيما تقولون؟ أفلا تصحّحون هذا التناقض الذى وقعتم فيه أيّها المستفتون؟ وأفلا تخافون أن يكون قولكم هذا رجماً بالغيب؟

١٥٦ ـ (أم لكم سلطان مبين)

فاذا لم تكن لكم عقول تعقل، ولا حجّة ظاهرة تقام لكم على هذا الذى تزعمونه، ولا يشهد عليه حسّ أحد، فهل معكم بهذا كتاب من السمآء ينطق على صحّة ما تدّعون وما تحكمون بأن لله سبحانه ولداً وأن الملائكة بنات الله سبحانه، فان كانت لكم حجة ظاهرة وبيّنة واضحة من عندالله.

١٥٧ ـ (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)

فاتوا بكتابكم الذى نزل عليكم من عندالله سبحانه، فأرونى ما تزعمونه فيه إن كنتم صادقين فى دعواكم: أن لله تعالى ولداً، وأن الملائكة بنات الله سبحانه، وأن البنات لله جل وعلا، ولكم البنين؟

قال الله تعالى: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون» الروم: ٣٥)

وقال: «إن هى إلّا أسمآء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلّا الظن وما تهوى الأنفس» النجم: ٢٣)

فليس لكم أىّ دليل عقلى ولا حسّى ولا نقلىّ صحيح إلّا الجهل وهوى النفس وبذلك.

١٥٨ ـ (وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون)

ومن جهالة المشركين وسفاهتهم، ومن إفكهم ومفترياتهم على الله سبحانه أن جعلوا بين الله سبحانه وبين العالم الخفى غير المنظور لهم من عالم الملائكة والجن نسباً وقرابة حيث نسبوا إلى الله جل وعلا الولد، والولد لا يكون إلّا من زواج، وان الزواج لا يكون إلّا بين متناسبين متقاربين فى الصورة والطبيعة، فقالوا: صاهر الله

سبحانه إلى كرام الجن فحدثت الملائكة فهم بنات الله سبحانه، وهذا العالم الخفىّ الذى يرهبه المشركون، ويتخذون منه آلهة يعبدونها من دون الله لاعتقادهم الفاسد ـ أن بينهم وبين الله سبحانه قرابة ـ هذا العالم الخفى يعلمون أنهم محضرون بين يدى الله جل وعلا ومحاسبون على ما كان منهم، وأنهم خلق الله تعالى ولن يخرجوا عن سلطان الله تعالى. قال الله جل وعز: «وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون» الأنعام: ١٠٠)

١٥٩ ــ (سبحان الله عما يصفون)

تنزيهاً لله تعالى عما يصفه هؤلآء المشركون بهذا الوصف الذى يسوون فيه بين الخالق والمخلوق من الولد والنسب والصاحبة، وينسبون إليه ما يجهلون، ويفترون عليه سبحانه من أنّ له بنات وهنّ الملائكة، وأن له صاحبة وهى كرام الجن فيكون له ولد. والدليل على أن الصانع واحد: حكمة التدبير وبيان التقدير.

١٦٠ ــ (إلّا عباد الله المخلصين)

لكن عباد الله المخلصون ـ وهم الملآئكة وإن كانوا من العالم الخفى ـ فانهم ممحّضون للخير، مفطورون على الطاعة، لا يقع منهم ما لا يرضاه الخالق جل وعلا، فهم بريئون عن أن يصفوا الله سبحانه بما وصفه به المشركون.

١٦١ ــ (فانكم وما تعبدون)

فانكم أيها المشركون وما تعبدون من شياطين الجن والأصنام على اختلاف ألوانها وأنحائها لا يملكون من أمر الله جل وعلا شيئاً.

١٦٢ ــ (ما أنتم عليه بفاتنين)

لستم أيها المشركون أنتم ولا آلهتكم على الله سبحانه ولا على دينه بمضلّين ولا مفسدين أحداً من الناس بالاضلال والاغوآء.

١٦٣ ــ (إلّا مَن هو صال الجحيم)

فلا تستطيعون أن تفتنوا أحداً من عبادالله تعالى، فانكم وآلهتكم أعجز وأحقر أن تفسدوا وتضلّوا أحداً من الناس إلّا مَن كان مثلكم من الفجّار والفسّاق، من

البغاة والطغاة ومن الجهّال والأشرار... فتولّاكم بعمل النار وسلك سبيل الجحيم، وأما المؤمنون والأبرار، والمخلصون والأخيار...

فلا سلطان لكم ولا لآلهتكم عليهم، فلا تقدرون على إغوآئهم وإضلالهم...

قال الله تعالى: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلّا مَن اتبعك من الغاوين» الحجر: ٤٢)

وقال: «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون» النحل: ٩٩-١٠٠)

وقال: «يا أيّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم مَن ضلّ إذا اهتديتم» المآئدة: ١٠٥)

وقال: «انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون» الأنبيآء: ٩٨-٩٩)

وقال: «ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلآء إيّاكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون» سبأ: ٤٠-٤١)

١٦٤ ـــ (ومامنّا إلّا له مقام معلوم)

وما أحد منّا معشر الملائكة إلّا وأن يكون له مقام معلوم وشغل معيّن فى السموات والأرض من المعرفة والتسبيح والتقديس والعبادة والوظآئف والإنتهآء إلى أمر الله جل وعلا فى تدبير الكون ونواميس الوجود: «وما نتنزّل إلّا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك» مريم: ٦٤) «بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبيآء: ٢٦-٢٧)

فلا نتجاوز عمّا أُمِرنا به، وعمّا رُتِبَ لنا كما لا يتجاوز صاحب المقام الشريف الراضى عن مقامه الذى حدّ له، بأن يفوّض إليه أمر فيستقل فيه، بل كل مجبولون على طاعة الله تعالى فيما يؤمرون به وعلى عبادته وحده فنحن نتنزّل منه خضوعاً لعظمته جلّ وعزّ وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله، فنحن عبيد أذلّاء بين يدى الله تعالى،

فكيف يجوز أن يُعبَد مَن هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب.

١٦٥ ــ (وإنّا لنحن الصّافّون)

وإنا معشر الملائكة جميعاً لنحن الواقفون صفوفاً للعبودية، وأدآء الطاعة، وإمتثال أوامر الله تعالى فى تدبير الكون ونواميس الوجود، فنجريها على ما يريد.

قال الله تعالى: «والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» النحل: ٤٩-٥٠)

وقال: «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١)وقال: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جآء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون» الأنعام: ٦١)

وقال: «إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» ق: ١٧-١٨) وقال: «إن كل نفس لمّا عليها حافظ» الطارق: ٤)

وقال: «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار: ١٠-١٢)

وقال: «فالمقسّمات أمراً» الذاريات: ٤)

وقال: «والنازعات غرقاً ـ فالمدبّرات أمراً» النازعات: ١-٥)

١٦٦ ــ (وإنا لنحن المسبّحون)

وإنا معشر الملائكة أجمعين لنحن المسبّحون لله عزوجل بحمده وعظمته ليلاً ونهاراً، ومنزّهونه دائماً عن كل ما لا يليق بساحة قدسه وكبريآئه تعالى من أنواع الشرك وأنحآء النقص...

قال الله تعالى حكاية عن الملائكة: «ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك البقرة: ٣٠)

وقال: «إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبّحونه وله يسجدون» الأعراف: ٢٠٦)

وقال: «ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبّحون الليل والنهار لا يفترون» الأنبيآء: ١٩-٢٠)

وقال: «فالذين عند ربك يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون» فصّلت: ٣٨)

١٦٧ ــ (وإن كانوا ليقولون)

وإن هؤلآء المشركين كانوا قبل بعثة محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم إذا عُيّرُوا بالكفر والضلالة، وبالبغى والجهالة ليقولون إعتذاراً عن شركهم وتقليد آبائهم:

١٦٨ ــ (لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين)

كانوا هؤلآء المشركون يتمنّون قبل أن يأتيهم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: أن لو كان عندنا ذكر من الله، ومَن يذكّرنا بأمرالله ونهيه، ويأتينا بكتاب من عنده كالتوراة والإنجيل ونحوهما من الكتب السماوية النازلة على المرسلين فى الأمم الماضين يبيّن فيه الشرائع لآمنّا به واتبعناه.

قال الله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآئتهم آية ليؤمننّ بها ـ أن تقولوا إنّما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنّا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم» الأنعام: ١٠٩ و ١٥٦-١٥٧)

١٦٩ ــ (لكنّا عباد الله المخلصين)

لكنا عبادالله الموحّدين المخلصين له العبادة، المؤمنين بالله وبمن يذكّرنا بكتابه، القآئمين على طريق الحق والهدى الذين لا يدخل عليهم شئ من الباطل والضلال، وكنّا أهدى سبيلاً ممّن سبقنا من أهل الكتب السالفة من اليهود والنصارى ولم نخالف الذكر والمذكّر مثل الأوّلين... فلمّا لم ينزل علينا كتاب ينطق بالتوحيد، وبطلان الشرك، قلّدنا آبآئنا الأقدمين، وقلنا بما قالوا ونعبدكما عبدوا فنحن معذورون لو كفرنا وأشركنا لعدم قيام الحجّة علينا من قبل الله تعالى.

١٧٠ ــ (فكفروا به فسوف يعلمون)

فلمّا جآءهم محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالذكر الذى كانوا يتمنّونه، وبكتاب من الله تعالى، وهو القرآن الكريم الذى هو سيّد الأذكار وأشرف من جميع الكتب السماوية، وهو متضمن للتوحيد، والمعارف والحِكَم والأحكام والشرائع

ودلائل الصدق وكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع فى جميع شئونه الدنيوية والاخروية... كفروا بالقرآن المجيد وأنكروا صدقه، فنسبوه إلى الشعر والسحر والكهانة والإفك ... وكذّبوا مَن جآء به.

قال الله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلمّا جآءهم نذير ما زادهم إلّا نفوراً استكباراً فى الأرض ومكر السّيئ ولا يحيق المكر السّيئ إلّا بأهله فهل ينظرون إلّا سنّة الأوّلين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً» فاطر: ٤٢-٤٣)

وقال: «قال الذين كفروا للحق لما جآءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه» الأحقاف: ٧-٨)

وقال: «وقال الذين كفروا إن هذا إلّا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جآؤا ظلما وزوراً وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً» الفرقان: ٤-٥)

وقال: «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين- ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشآء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون» الأنعام: ٢٥ و ١١١)

وقال: «ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربّى هل كنت إلّا بشراً رسولاً وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدى إلّا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً» الاسرآء: ٩٣-٩٤)

وقوله تعالى: «فسوف يعلمون» عاقبة شركهم وضلالهم، يعلمون وبال كفرهم وطغيانهم، يعلمون مآل عنادهم ولجاجهم، يعلمون وخامة تكذيبهم واستكبارهم، ويعلمون مغبّة بغيهم وعدوانهم، ويعلمون ما سيحلّ بهم من نقمتنا وعذابنا، فلا يكون لهم يومئذ إلّا الحسرة والندم، والعذاب والنار.

قال الله تعالى: «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» الحجر: ٣)

وقال: «ليكفروا بما آتيناهم وليتمتّعوا فسوف يعلمون- ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحق لما جآءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين» العنكبوت: ٦٦-٦٨)

وقال: «وانه لحسرة على الكافرين» الحاقة: ٥٠)

وقال: «وأسرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون» سبأ: ٣٣)

١٧١ ــ (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

واقسم بالله جل وعلا بأنه سبقت كلمتنا بالنصر والغلبة لعبادنا المرسلين الذين بعثناهم إلى الناس وللذين آمنوا معهم على الكفار والمعاندين، على الفجّار والمستكبرين، وعلى الفسّاق والمنافقين... بأنّا وعدنا وقضينا قضآءً محتوماً فى رسلنا والمؤمنين أن ننصرهم على أعدآئهم بالحجج الكافية والبينات الواضحة على نبوتهم ورسالتهم وهدايتهم، والسعادة والعاقبة لهم ولأتباعهم فى الدنيا والآخرة، وبقهرهم والنيل منهم أو تشريدهم أو إجلائهم عن أوطانهم أو اسرهم وما إليها...

قال الله تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار» غافر: ٥١-٥٢)

وقال: «ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نباءِ المرسلين» الأنعام: ٣٤)

وقال: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» الروم: ٤٧)

فهذا الصراع الدآئر بين المشركين وبين النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم سينتهى آخر الأمر بنصر الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين معه على هؤلآء المشركين، فتلك سنة الله عزوجل فيما بين الرسل وأقوامهم، وكلمة الله التى سبقت وهى ما أشار تعالى إليه فى قوله: «إن الذين يحادّون الله ورسوله اولئك فى الأذلّين كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى إن الله قوىّ عزيز» المجادلة: ٢٠-٢١) فكلمة الله

تعالى هى العليا وكلمة الكافرين هى السفلى قال الله تعالى: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم» التوبة: ٤٠)

١٧٢ ــ (انهم لهم المنصورون)

إن رسلنا وأتباعهم هم المنصورون من قِبَلِنا بالحجج الظاهرة أو بالقهر والغلبة أو باظهارهم على الكافرين أو بالانتقام منهم فى الحياة الدنيا، فانهم على الحق، والحق غير مغلوب.

قال الله عزوجل: «ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوىّ عزيز» الحج: ٤٠)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم» محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٧-٨)

وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النسآء: ١٤١)

وقال: «حتى إذا استيئس الرسل وظنّوا أنهم قد كذبوا جآءهم نصرنا فنجّى من نشآء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين» يوسف: ١١٠)

وهم المنصورون فى الدارالآخرة: «يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه» التحريم: ٨)

١٧٣ ــ (وإن جندنا لهم الغالبون)

إن جندالله تعالى هو المجتمع الغليظ المؤتمر بأمر الله عزوجل وهو قريب المعنى من الحزب: «إذ جآئتكم جنود ــ ولما رأ المؤمنون الأحزاب» الاحزاب: ٩ و ٢٢) «ولله جنود السموات والأرض» الفتح: ٤) «وما يعلم جنود ربك إلّا هو» المدثر: ٣١) ومن الجنود هم الأنبيآء والمرسلون، والأوصيآء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين والمؤمنون الذين يجاهدون فى سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم، وينصرون دين الله جل وعلا ولا يخافون لومة لآئم، فهم حزب الله عزوجل وأهل ولايته فلهم الظفر والفلاح فى النهاية على أهل الكفر والضلال والخلاف، فيقهرونهم بالحجّة تارة وبالقتل والنصر عليهم تارة اخرى فى الحياة الدنيا، فان الله عزوجلّ لن يتخلّى عن جنده الذين يقاتلون فى سبيله ويدافعون عن دينه، وما نزل من الحق، ويجاهدون فى

حفظ كيان الاسلام ونواميس المسلمين فى كل ظرف...

قال الله تعالى: «ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» المائدة: ٥٦)

وأما أهل الكفر والطغيان، وأهل البغى والعدوان، وأهل الظلم والعصيان... فهم حزب الشيطان الخاسرون ليس لهم جند ينصرهم.

قال الله تعالى: «إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكرالله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادّون الله ورسوله اولئك فى الأذلّين» المجادلة: ١٩-٢٠)

وقال: «أمّن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلّا فى غرور» الملك: ٢٠)

ولا يخفى انّ الغلبة والعلوّ والنّصر والاستيلاء... لحزب الله تعالى على حزب الشيطان منوطة على حقيقة الايمان: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل‌عمران: ١٣٩) فما داموا على الايمان فهم من جند الله جل وعلا المنصورين الغالبين لا محالة، و أما إذا لم يبق من الايمان إلّا إسمه، ومن القرآن الكريم إلّا رسمه، ومن الإنتساب إلّا حديثه، فلا ينبغي أن يرجى نصر ولا غلبة، بل يغلب عليهم الكفار والفجّار...

فالمؤمنون حقاً هم المنصورون الغالبون فى الحياة الدنيا بالحجة والبرهان تارة، وبالدولة والاستيلاء تارة اخرى قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام: «ما ظفر مَن ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب أما فى الآخرة فلا حول للمبطلين ولا قوّة» وبالنصر والغلبة والقتل والاسر ثالثة، وبالدوام والثبات على الحق رابعة، فالمؤمن وإن صار مغلوباً فى بعض الأحيان ظاهراً بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو منصور غالب، فلا يلزم إشكال على هذه الآية الكريمة ونحوها: أن بعض الأنبيآء قد قتلوا: «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس» آل‌عمران: ٢١) وإن كثيراً من

المؤمنين قد هُزِموا.

١٧٤ ـ (فتولّ عنهم حتّى حين)

فأعرض يا أيها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عن المشركين المعاندين والمستكبرين المجرمين واصبر على أذاهم ولا تبال بهم ولا تقاتلهم، وأمهلهم إلى أمد قليل محدود ووقت معيّن وهو غير بعيد عندنا، وهو الموعد لنصرك عليهم، فنأمرك حينئذ بقتالهم، وسنجعل لك العاقبة والنصر والتأييد والظفر بهم لا محالة، وسيلقاهم فيه، وسيرون تحقيق هذا الوعد الذى وعدنا رسلنا، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرنا. وقد كان كذلك إذ هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد قليل من مكّة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، فأباد صناديد قريش فى غزوة بدر وفتح مكة وغيرهما... فاعرض عنهم إعراض الصفوح الحليم عمّن ينال منه: كقوله تعالى «ودع أذاهم» الاحزاب: ٤٨) وقوله: «فاصفح الصفح الجميل» الحجر: ٨٥)

قال الله تعالى: «إتبع ما اوحى إليك من ربك لا إله إلّا هو وأعرض عن المشركين» الأنعام: ١٠٦)

وقال: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون» الحجر: ٩٤-٩٦)

وقال: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون» السجدة: ٢٩-٣٠)

١٧٥ ـ (وأبصرهم فسوف يبصرون)

وأبصر يا أيها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلاء المشركين على أسوإ الأحوال وأفظع نكال يحل بهم من القتل والاسر والخزى والوبال فى الدنيا، فعنقريب يعاينون ما يحلّ بهم من الشرور... حين لا ينفعهم البصر، يرونه بأعينهم فيما يصابون به فى أنفسهم يوم يلتقى الجمعان يوم بدر وغيره، وما سيحل بهم من العذاب والنار فى الدار الآخرة.

١٧٦ ــ (أفبعذابنا يستعجلون)

قل يا أيها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: أفبعذابنا يطلبونه منك عاجلاً قبل أوانه؟ قل لهم: «لا تستعجلوه فانه واقع بكم فى وقته، وهم إنّما فعلوا ذلك لتكذيبهم بعذابنا وكفرهم بك، والله عزوجل منزله عليهم لا محالة. وذلك انهم كانوا يقولون ـ من فرط تكذيبهم من هذا الوعد مستهزئين ـ متى نزول هذا الوعد؟

قال الله تعالى: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢)

وقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده» الحج: ٤٧)

وقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولو لا أجل مسمّى لجآءهم العذاب وليأتينّهم بغتة وهم لا يشعرون» العنكبوت: ٥٣)

١٧٧ ــ (فاذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين)

فاذا نزل العذاب بأفنية دور هؤلآء المشركين كما يستعجلون بعذاب الله ـ العذاب الذى يستخفون به ويطلبون متحدّين تعجيله لهم ـ فاذا نزل بهم هذا العذاب المطلوب، فبئس الصباح صباح مَن خوّف فلم يخف، وصباح من حذّر فلم يحذّر، صباح يوم هلاكهم ودمارهم كما أن مسآءهم كان شرّ مسآء فيالَسَوْه حالهم وما يلقون منه فى صباح يوم فتح مكة أو غيره ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

قال الله تعالى: «وهو الذى كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ـ لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً» الفتح: ٢٤ـ٢٥)

وقال: «لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين ـ وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزآء الكافرين» التوبة: ٢٥ـ٢٦)

وقال: «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون» السجدة: ٢٨ـ٣٠)

فصباح وقوع هذا العذاب يكون عليهم سَيِّئاً مشؤوماً.

١٧٨ ــ (وتولّ عنهم حتى حين)

وأعرض يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هؤلآء المشركين وخلّهم وفريتهم على ربّهم ومن ينسلك مسالكهم بعد أن رأيت بعينيك فى هذه الدنيا هزيمتهم يوم فتح مكة ونحوه، فمَن آمن منهم بعد ذلك فقد نجى، ومَن أمسك بالشرك الذى انعقد عليه قلبه فهو من الخاسرين.

قال الله تعالى: «ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون» السجدة: ٢١)

١٧٩ ــ (وأبصر فسوف يبصرون)

فكن يا أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على بصيرة من أمرك واعلم، فسوف يكون هؤلآء المشركون ومن انسلك مسالكهم فى الشرك والطغيان، فى الكفر والعصيان، وفى الظلم والعدوان كلّهم يكونون على بصيرة من أمرهم وعاقبة كفرهم وعنادهم ووخامة استكبارهم ولجاجهم... ويعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت، ويرون ما يحلّ بهم من عقابى يوم القيامة، وماذا يلقون فى النار.

قال الله تعالى: «ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» المائد: ٣٣)

وقد نزل العذاب الإلهى من الغرق والحجارة والخسف والصيحة والرياح العاتية وما إليها من أنواع العذاب على الأمم الماضية من قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وأما نبينا محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد نال ما نال، ولم ينزل على امته من تلك العذاب المدمّرة لأنه جل وعلا خصّ امته صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمان منها إلى يوم القيامة إذ قال: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون» الأنفال: ٣٣)

١٨٠ ــ (سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون)

منزّه ربك يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن كل ما لا يليق به من الصفات الناقصة... ربك هو رب العزّة التى يعزّها أنبيآئه ورسله، يعزّها أوصيآئه وأوليائه، ويعزّها المؤمنين الصلحاء، والمخلصين الأتقيآء... فله العزّة والقدرة والقوّة والبطش

والغلبة على الإطلاق، يعزّ مَن يشآء ويذلّ من يشآء: «قل اللهم ما لك الملك تؤتى الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعزّ من تشآء وتذلّ مَن تشآء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير» آل‌عمران: ٢٦)

فلا يملك أحد إعزاز أحد سواه جل وعلا، فالعزّة لله وحده جميعاً وهو ربها لأنه القادر الذى لا يعجزه شئ منها ولا من غيره «الذين يتخذون الكافرين أوليآء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فان العزّة لله جميعاً» النسآء: ١٣٩) «من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً» فاطر: ١٠) وهو جل وعلا منيع الجانب على الاطلاق فلا يذلّه مذلّ ولا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، فالمشركون هم أعدآء الحق المهدّدون بالعذاب ليسوا له بمعجزين.

قوله تعالى: «عما يصفون» جلّ وعلا عما يصفه به المشركون الفجّار والمجرمون الفسّاق، والمستكبرون الكفّار مما لا يليق بساحة قدسه وكبريآئه وجلاله من اتخاذ الولد والصاحبة والشريك، منزّه ذاته عما أضاف إليه سبحانه المشركون من أن الملائكة بنات الله عزوجل، وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم فاتخذوا آلهة من دون الله فيعبدونها ليكونوا لهم عزّاً، ويكونون عليهم يوم القيامة ضدّاً.

قال الله تعالى: «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً» مريم: ٨١-٨٢)

وقال: «ولا يحزنك قولهم إن العزّة لله جميعاً هو السميع العليم» يونس: ٦٥)

١٨١ ــ (وسلام على المرسلين)

وسلام عظيم منّا لا يقدر قدره أحد سواه سلام على الذين أرسلناهم إلى اممهم لهدايتهم وكمالهم، لخيرهم وصلاحهم، ولسعادتهم وفلاحهم... إذ بهم تعمر القلوب وتجلو الأفكار وينمو الإستعداد وترقى الأرواح وتزكى النفوس، وتلهج الألسنة، تحية عظيمة منا على المرسلين الذين أبلغوا عنّا رسالاتهم إلى الناس: «قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمّا يشركون» النمل: ٥٩) وأمنة وسلامة

وصون وأمان لرسلنا من أن يصيبهم من قبلنا ما يسؤوهم وما يكرهونه، ومن أن ننصر عليهم أعدائهم...

وبالتبع سلام وأمان منّا على مَن اتبع رسلنا: «والسلام على من اتبع الهدى» طه: ٤٧)

١٨٢ ـ (والحمد لله رب العالمين)

والحمد كله لله الذى خلق الكون ونواميس الوجود ظرفاً لكمال الإنسان وملك التصرف فيه، فله الملك وله الحمد وله وحده القدرة المطلقة: «يسبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير» التغابن: ١) «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩) «وسخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣)

والحمد مختصّ بالله الذى لا شريك له فى الملك: «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً» الاسرآء: ١١١)

والحمد جميعه لله رب العالمين على إرسال المرسلين مبشّرين ومنذرين، وأنزل عليهم كتاباً لهداية الناس إلى الحق والكمال، وإلى الخير والسعادة، وعلى ما أفاض عليهم وعلى مَن اتبعهم من النعم وحسن العاقبة والتوفيق لها: «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» الكهف: ١) «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنتهدى لولا أن هدانا الله لقد جآئت رسل ربنا بالحق» الأعراف: ٤٣)

والحمد كله لله الذى نجا أنبيآئه ورسله ومَن آمن معهم من القوم الظالمين: «فقل الحمد لله الذى نجّٰنا من القوم الظالمين» «الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن» فاطر: ٣٤)

والحمد مختصّ بالله الذى أهلك الأعدآء والمشركين، ونصر الأنبيآء والمرسلين «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» الأنعام: ٤٥)

فاخلصوا أيّها الناس الحمد والثنآء لله وحده دون سواه لأن كل نعمة على عباده فهى منه وحده فلا تشركوا به أحداً.

قال الله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد

فى السموات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون» الروم: ١٧-١٨)

وقال: «وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» القصص: ٧٠)

﴿جملة المعاني﴾

٣٧٨٩ ـ (والصّافّات صفّاً)

يقول الله جل وعلا: اقسم بطآئفة من الملآئكة الذين يصفّون أنفسهم صفوفاً فى طريق الوحى، واقفين لإنتظار أمرى والإمتثال به.

٣٧٩٠ ـ (فالزاجرات زجراً)

واقسم بطائفة آخرين منهم وهم السدنة لأبواب سمآئى، وحفظة وحيى، وهم مأمورون بتأمين طرق نزول الوحى إلى رسلى...

٣٧٩١ ـ (فالتاليات ذكراً)

واقسم بطآئفة ثالثة من طوآئف الملآئكة الذين يتلون الوحى على رسلنا.

٣٧٩٢ ـ (إن إلهكم لواحد)

أيها الناس! إن معبودكم الذى هو وحده يليق للعبادة هو إله واحد لا شريك له من أنحآء الشرك.

٣٧٩٣ ـ (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق)

هذا الإله الواحد هو رب السموات والأرض ورب ما بينهما من أصناف الموجودات... وربّ مشارق السّموات والأرض وما بينهما ومغاربها...

٣٧٩٤ ـ (إنا زيّنّا السمآء الدنيا بزينة الكواكب)

إنا خلقنا الكواكب وجعلناها زينة لسمآء دنياكم هذه.

٣٧٩٥ ـ (وحفظاً من كل شيطان مارد)

وحفظنا السمآء الدنيا حفظاً من كل شيطان باغ متمرّد خالٍ من الخير.

٣٧٩٦ ـ (لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب)

هؤلآء الشياطين لا يستطيعون بعد ذلك أن يدنوا من السمآء الدنيا، فيصغوا إلى الملأ الأعلى، فيطلعوا على أخبار الغيب، وإذا أرادوا ذلك يرمون من كل جانب من جوانب السمآء وآفاقها...

٣٧٩٧ ـ (دحوراً ولهم عذاب واصب)

دفعاً لهؤلآء الشياطين بالعنف، وإبعادهم عن السمآء الدنيا، ولهم مع ذلك عذاب دائم.

٣٧٩٨ ـ (إلّا مَن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)

إلّا الشيطان الذى يلق بنفسه إلى التهلكة، فيدنومن السمآء الدنيا لاستراق السمع، فعندئذ يُرمىٰ فى أثره بشهاب راصد لكل من حام حول هذا الحمى.

٣٧٩٩ ـ (فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم مَن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)

فاستخبر يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم المشركين: أهم أصعب خلقاً أم من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض...؟ إنا خلقناهم من طين لاصق، فكان خلقهم لنا أهون.

٣٨٠٠ ـ (بل عجبت ويسخرون)

بل أنت يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم تعجب من كفرهم وإنكارهم البعث، وهم يسخرون منك ومنه.

٣٨٠١ ـ (وإذا ذكّروا لا يذكرون)

وهؤلآء الكافرون إذا ذكّروا بآيات الله تعالى لا يتنبّهون.

٣٨٠٢ ـ (وإذا رأوا آية يستسخرون)

وإذا رأوا حجّة قاطعة من حجج الله تعالى يتخذونها سخرية ويبالغون فيها.

٣٨٠٣ ــ (وقالوا إن هذا إلّا سحر مبين)

وقالوا ـ مستهزئين ـ: ليس ما جئتنا به إلّا سحراً ظاهراً سحريته.

٣٨٠٤ ــ (أ إذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنا لمبعوثون)

يقولون ـ منكرين ـ: أ إذا متنا وصار بعض أجزآئنا تراباً وبعضها الاخرى عظاماً نخرة أ إنا بعد ذلك نبعث من قبورنا وصرنا أحيآءً للحساب و الجزآء؟!

٣٨٠٥ ــ (أو آبآؤنا الأوّلون)

فلو سلّمنا البعث فينا، فكيف آباؤنا الذين مضت آلاف سنة من موتهم؟

٣٨٠٦ ــ (قل نعم وأنتم داخرون)

قل يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لمنكرى البعث: نعم بلا ريب أنتم وآباؤكم كلكم تبعثون صاغرين أذلآء...

٣٨٠٧ ــ (فانّما هى زجرة واحدة فاذاهم ينظرون)

فلا تستبعدوا البعث فانّما قصّة البعث صيحة واحدة بالنفخة الثانية فى الصور فعندئذ كل الناس قيام من مراقدهم، أحيآء ينظرون إلى ما كانو يوعدون به.

٣٨٠٨ ــ (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين)

وقال المنكرون حينئذ ـ مبهوتين ـ: ياويلنا هذا يوم الدين ندان بأعمالنا...

٣٨٠٩ ــ (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون)

فيقال لهم يومئذ: هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون فى الحياة الدنيا.

٣٨١٠ ــ (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون)

يقول الله تعالى يومئذ ـ آمراً ـ: يا أيّها الملائكة المتولّون لسوق الكفّار إلى جهنم! إجمعوا أصناف الظالمين من كل مكان، وأتباعهم وقرنآئهم من شياطين الجن والإنس الذين اتخذوهم آلهة يعبدونهم.

٣٨١١ ــ (من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

فأرشدوهم ووجّهوهم إلى طريق جهنم شديدة تأجّج نارها.

٣٨١٢ ــ (وقفوهم إنهم مسئولون)

أيها الملآئكة قفوا هؤلآء المكذبين عند الصراط فى طريق الجحيم لأنهم مسئولون.

٣٨١٣ ــ (ما لكم لا تناصرون)

أىّ شئ ولماذا لا ينصر بعضكم بعضاً اليوم فى دفع الأهوال كما ينصر بعضكم بعضاً فى دفع الحق؟

٣٨١٤ ــ (بل هم اليوم مستسلمون)

بل هؤلآء المنكرون يومئذ مستسلمون لأمر الله تعالى فيهم إذ لا يستطيعون أن يخالفوه.

٣٨١٥ ــ (وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون)

وأقبل ـ فى الموقف قبل دخول الجحيم ـ بعض الظالمين التابعين على رؤسآئهم فيتعاتبون ويتلاومون فيما بينهم حينئذ.

٣٨١٦ ــ (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين)

قال الأتباع السفلة لزعمائهم الفجرة: إنكم كنتم تزيّنون لنا الكفر والغواية، تأتوننا عن الجهة التى كنّا نأمنكم منها لحلفكم لنا أنكم على الحق والهدى...

٣٨١٧ ــ (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين)

قال الزعماء ـ مجيبين ـ لأتباعهم: بل لم تكونوا مؤمنين أصلاً

٣٨١٨ ــ (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين)

ولو سلّمنا أنه كان لكم ايمان، فما كان لنا عليكم من سلطان على باطنكم حتى نسلب الايمان منكم، ونجرّدكم منه، بل كنتم أنتم قوماً متجاوزين الحدّ، منحرفين عن طريق الهدى.

٣٨١٩ ــ (فحق علينا قول ربنا إنّا لذائقون)

فلزم علينا التابع والمتبوع جميعاً قضآء ربنا فينا أن نكون من أصحاب النار بسوء إختيارنا، فكلّنا ذائقوا العذاب لا محالة.

٣٨٢٠ ــ (فأغويناكم إنا كنّا غاوين)

فدعوناكم أيها الأتباع والمردة إلى ما كنّا فيه من البغى والغواية فاستجبتم لنا، دعوناكم لأنا كنّا غاوين، ومن دأب الغاوين أن يدعوا الناس إلى ما كانوا فيه.

٣٨٢١ ــ (فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون)

فالزعماء الفاجرون، والضعفاء التابعون كلهم يوم القيامة فى عذاب النار مشتركون.

٣٨٢٢ ــ (إنا كذلك نفعل بالمجرمين)

إنا كما فعلنا بهؤلآء الزعماء المغوين، وهؤلآء الضعفاء الغاوين نفعل مثل ذلك الجزآء بكل مجرم غيرهم وفاقاً لما تقتضيه الحكمة ويوجبه العدل بين العباد.

٣٨٢٣ ــ (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون)

لأنهم كانوا إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلّا الله، يستكبرون أن يتلقّوا كلمة التوحيد.

٣٨٢٤ ــ (ويقولون أ إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

وكانوا يقولون ـ منكرين للرسالة بعد إنكارهم التوحيد ـ: أنترك آلهتنا المتعدّدة لقول شاعر مجنون يدّعى أنّه رسول من الله؟!

٣٨٢٥ ــ (بل جآء بالحق وصدّق المرسلين)

إن محمداً هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وليس بشاعر ولا مجنون، بل جآء بالحق من عند ربهم، وصدّق المرسلين الذين أُرسِلوا من قبله أجمعين.

٣٨٢٦ ــ (إنكم لذآئقو العذاب الأليم)

إنكم أيّها الزعمآء المغوون وأيها الضعفآء الغاوون لذائقوا العذاب الأليم.

٣٨٢٧ ــ (وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون)

وما تجزون يوم القيامة إلّا ما كنتم تعملون به فى الحياة الدنيا.

٣٨٢٨ ــ (إلّا عباد الله المخلصين)

ولكن عباد الله المخلصين الّذين أخلصوا دينهم لا يذوقون العذاب الأليم.

٣٨٢٩ ـ (اولئك لهم رزق معلوم)

هؤلآء المخلصون لهم رزق معلوم فى جنّات النعيم.

٣٨٣٠ ـ (فواكه و هم مكرمون)

ومن هذاالرزق المعلوم فواكه كثيرة، و هم مع ذلك مكرمون بأنواع الكرامة.

٣٨٣١ ـ (في جنّات النعيم)

في بساتين، فيها أنواع النعيم التي يتنعّمون بها ويتمكّنون فيها.

٣٨٣٢ ـ (علىٰ سررٍ متقابلين)

هم يجلسون على سرر يواجه فيها بعضهم بعضاً ليتلاطفوا ويتمتّعوا بطيب الحديث.

٣٨٣٣ ـ (يطاف عليهم بكأس من معين)

يطوف على هؤلآء المخلصين فى هذا المنزل الكريم سقاة من غلمان بكؤوس ممتلأة من أنواع خمر ظاهرة للعيون...

٣٨٣٤ ـ (بيضآء لذّة للشاربين)

خمر صافية فى بياضها، قد بلغت الغاية فى لذّتها للشاربين كأنّها نفس اللّذة.

٣٨٣٥ ـ (لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون)

ليس فى خمر الجنّة خمار السكر وحدّته، ولا أهل الجنة بخمرها يكسرون فتذهب عقولهم تدريجاً بخلاف خمر الدنيا.

٣٨٣٦ ـ (وعندهم قاصرات الطرف عين)

وعند هؤلآء المخلصين فى الجنة فتيات جميلات قصرن طرفهن على أزواجهنّ.

٣٨٣٧ ـ (كأنهنّ بيض مكنون)

كأنّ هؤلآء الفتيات بيض مكنون فى الصفآء واللطافة.

٣٨٣٨ ـ (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

بعد ما نزل المخلصون منازل التكريم فى جنّات النعيم، فيقبل بعضهم على بعض فيها فيتجاذبون الحديث.

٣٨٣٩ ــ (قال قآئل منهم إنّى كان لى قرين)

قال قائل من المخلصين ـ فى تضاعيف المحاورة ـ: إنى كان لى قرين فى الحياة الدنيا ينكر البعث.

٣٨٤٠ ــ (يقول أ إنك لمن المصدّقين)

يقول لى هذا القرين ـ منكراً للبعث ساخراً ـ: أ إنك كسآئر المؤمنين لمن المصدّقين بالبعث؟

٣٨٤١ ــ (أ إذا متناوكنّا تراباً وعظاماً أ إنّا لمدينون)

يقول لى: أ إذامتنا وصار بعض أجزآئنا تراباً وبعضها الاخرى عظاماً نخرة نخلق جديداً؟ ونحن بعد ذلك نحاسب ونجازى بأعمالنا...؟

٣٨٤٢ ــ (قال هل أنتم مطّلعون)

ثم قال هذا المؤمن المخلص لإخوانه المخلصين فى جنات النعيم: هل أنتم مطّلعون على موضع من الجنة يرى منه حال هذا القرين منكر البعث أين استقر وكيف كان حاله فى النار؟

٣٨٤٣ ــ (فاطّلع فرآه فى سوآء الجحيم)

فأشرف المؤمن المخلص حينئذ من بعض كوى الجنّة على أهل النار فرآى قرينه: منكر البعث فى وسط الجحيم.

٣٨٤٤ ــ (قال تالله إن كدت لتردين)

قال المخلص لقرينه: أقسم بالله تعالى إنك قاربت أن توقعنى فى الإنحطاط وتسقطنى عن الإنسانية.

٣٨٤٥ ــ (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين)

وقال المخلص ـ مخاطباً لقرينه ـ: لولا توفيق ربى لكنت مثلك من المحضرين فى نار الجحيم.

٣٨٤٦ ــ (أفما نحن بميتين)

يقول أهل الجنة بعضهم لبعض ـ على وجه السرور ـ: أفما نحن بميتين؟

٣٨٤٧ ـ (إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين)

فلسنا بميتين بعد موتتنا الأولى فى الحياة الدنيا وما نحن بمعذّبين بعد دخولنا الجنّة.

٣٨٤٨ ـ (إن هذا لهو الفوز العظيم)

إن أهل الجنة يهتفون ـ مغتبطين مسرورين ـ: ألا إن هذا الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم.

٣٨٤٩ ـ (لمثل هذا فليعمل العاملون)

لمثل هذا العطآء الجزيل والمقام الكريم فى جنات النعيم فليعمل العاملون فى الحياة الدنيا.

٣٨٥٠ ـ (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزّقّوم)

أهذا المنزل الكريم فى جنات النعيم خير منزلاً أم نزل أهل النار فيها من شجرة الزقوم المعدّة لأهلها منزلاً ومقاماً.

٣٨٥١ ـ (إنا جعلنا هافتنة للظالمين)

إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة وعقوبة للظالمين يعذّبون بها فى الآخرة.

٣٨٥٢ ـ (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم)

إن شجرة الزقوم شجرة تنبت وتنشأ فى قعر جهنم وقرارها.

٣٨٥٣ ـ (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)

طلع شجرة الزقوم كأنه رؤوس الشياطين فى القبح ونفرة الطباع عنها.

٣٨٥٤ ـ (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)

فان الظالمين ليأكلون من شجرة الزقوم، فيملؤن منها بطونهم...

٣٨٥٥ ـ (ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم)

ثم إن للظالمين زيادة على شجرة الزقوم لأخلاطاً من سوآئل تغلى من حميم بلغت حرارته غايتها.

٣٨٥٦ ـ (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم)

ثم إن مرجع الظالمين بعد أكلهم من شجرة الزقوم وشربهم من الحميم لإلى

الجحيم.

٣٨٥٧ ـ (انهم ألفوا آبآءهم ضالين)

إن الظالمين وجدوا آبآئهم منحرفين عن الصراط المستقيم.

٣٨٥٨ ـ (فهم على آثارهم يُهرعون)

فهؤلآء الظالمون ـ مع وجدانهم آبآءهم منحرفين ـ على طريقة آبآئهم الضآلين يسرعون، فيقلّدونهم فى ضلالتهم من غير تفكّر ولا تأمّل.

٣٨٥٩ ـ (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين)

أُقسم بالله تعالى أن أكثر الأمم الماضية قبل مشركى العرب قد ضلّوا بالتقليد وترك النظر فى الدين.

٣٨٦٠ ـ (ولقد أرسلنا فيهم منذرين)

واقسم بالله جل وعلا أنا أرسلنا فى الامم السابقة من قبل مشركى العرب منذرين من الأنبيآء والمرسلين يدعون أممهم إلى الحق والهدى.

٣٨٦١ ـ (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

فانظر أيّها الانسان فى كل زمن كيف كان عاقبة الذين كذّبوا بالحق وطغوا.

٣٨٦٢ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

الّا عباد الله الذين استجابوا لله تعالى ولرسله عليهم السلام فليس لهم سوء العواقب . . .

٣٨٦٣ ـ (ولقدنادانا نوح فلنعم المجيبون)

واقسم بالله تعالى أن نوحاً عليه السلام دعانا واستنصر بنا على قومه الكافرين، فاستجبناه له، فوالله تعالى انا نعم المجيبون نحن له عليه السلام.

٣٨٦٤ ـ (ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)

ونجّينا نوحاً عليه السلام ومَن آمن معه من الكرب العظيم.

٣٨٦٥ ـ (وجعلنا ذريته هم الباقين)

وجعلنا ذرية نوح عليه السلام هم الباقين من الناس بعد الطوفان.

٣٨٦٦ ــ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على نوح عليه السلام ذكراً حسناً فى كل امة من الامم الآتية إلى يوم القيامة.

٣٨٦٧ ــ (سلام على نوح فى العالمين)

سلام عظيم منا لا يقدر قدره على نوح عليه السلام مدى الحياة إلى يوم الدين.

٣٨٦٨ ــ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا كما وصفنا لك يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من إكرامنا نوحاً عليه السلام مثل ذلك الجزآء نثيبُ كل من كان راسخاً متلبّساً ثابتاً فى الإحسان.

٣٨٦٩ ــ (إنه من عبادنا المؤمنين)

إن نوحاً عليه السلام كان من عبادنا الراسخين فى الإيمان.

٣٨٧٠ ــ (ثم أغرقنا الآخرين)

ثم أغرقنا الباقين من قوم نوح عليه السلام الذين كفروا بالله جل وعلا وعصوا رسوله عليه السلام.

٣٨٧١ ــ (وإن من شيعته لابراهيم)

وإن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام هو من شيعة نوح عليه السلام وعلى منهاجه وفطرة التوحيد.

٣٨٧٢ ــ (إذ جآء ربه بقلب سليم)

حين أقبل إبراهيم عليه السلام ربه جل وعز بقلب قد سلم من آفات الشرك كلها . . .

٣٨٧٣ ــ (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون)

إذ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه ـ عمّه ـ آزر ولقومه: أىّ شئ؟ ولماذا تعبدون تلك الأصنام والتماثيل التى لا تنفع ولا تضرّ؟

٣٨٧٤ ــ (أ إفكاً آلهة دون الله تريدون)

أتريدون آلهة من واردات الإفك والإفترآء بدلاً من رب العالمين؟!

٣٨٧٥ ـ (فما ظنّكم برب العالمين)

لو كانت تلك الأصنام آلهتكم تريدونها وتعبدونها فما معتقدكم برب العالمين؟

٣٨٧٦ ـ (فنظر نظرة فى النجوم)

فنظر إبراهيم عليه السلام بعد ما لاح له عذر يستطيع به التخلف عنهم، نظرة مذكرة له بما كان منه.

٣٨٧٧ ـ (فقال إنى سقيم)

فقال إبراهيم عليه السلام لقومه عذراً لتخلّفه عنهم فى معيدهم: إنى سقيم بإنحرافكم عن الفطرة و انهماككم فى الضلالة و الغواية.

٣٨٧٨ ـ (فتولّوا عنه مدبرين)

فأعرض قومه عنه وتركوه فى مكانه ذاهبين إلى معيدهم.

٣٨٧٩ ـ (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون)

فمال إبراهيم عليه السلام إلى آلهة قومه فى بيتها مستخفياً حتى لا يراه أحد، فلمّا دخل بيت الأصنام قال ـ ساخراً على طريق الخطاب لها ـ: ألا تأكلون أيها الأصنام، تلك الأطعمة الّتى بين أيديكم؟!

٣٨٨٠ ـ (ما لكم لا تنطقون)

ما لكم أيّها الأصنام لا تنطقون ولا تجيبون عن سؤلى؟

٣٨٨١ ـ (فراغ عليهم ضرباً باليمين)

فمال إبراهيم عليه السّلام عندئذ على الأصنام، فيضربها ضرباً بإرادة قوية ويكسرها بفأس في يده اليمنى ويحطمها حطماً كما حلف على ذلك من قبل.

٣٨٨٢ ـ (فأقبلوا إليه يزفّون)

فأقبل عبدة الأصنام إلى إبراهيم عليه السلام مسرعين إهتماماً بالحادثة فقالوا له: نحن نعبد الأصنام وأنت تحطمها؟

٣٨٨٣ ـ (قال أتعبدون ما تنحتون)

قال إبراهيم عليه السّلام لعبدة الأصنام: أبصدق أنتم تعبدون ما تنحتون بأيديكم من الأحجار..

٣٨٨٤ ـ (والله خلقكم وما تعملون)

والله عزوجل وحده خلقكم، وخلق مادة تلك الأصنام التى تنحتونها وتتخذونها آلهة لكم تعبدونها.

٣٨٨٥ ـ (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم)

قال الرؤسآء من عبدة الأصنام لعمّا لهم الحمقآء: ابنوا لإبراهيم عليه السلام بنياناً من حجارة، فاملؤوه حطباً فاطرحوه فى النار المتأجّجة.

٣٨٨٦ ـ (فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين)

فأراد عبدة الأصنام بإبراهيم عليه السلام حيلة بأن يحرقوه، فأبطلنا كيدهم وجعلناهم مغلوبين.

٣٨٨٧ ـ (وقال إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين)

وقال إبراهيم عليه السلام بعد بطلان كيد قومه: إنى مهاجر من ديار الشرك إلى ربى سيهدينى إلى مكان أتمكّنُ فيه من عبادة ربى وتبليغ رسالتى.

٣٨٨٨ ـ (ربّ هب لى من الصالحين)

قال إبراهيم عليه السلام بعد هجرته، واستقراره فى الأرض المقدّسة: رب هب لى ولداً صالحاً من الصالحين.

٣٨٨٩ ـ (فبشّرناه بغلام حليم)

فاستجبنا لابراهيم عليه السلام وبشرناه بابن وقور صبور ذى حلم كثير.

٣٨٩٠ ـ (فلمّا بلغ معه السعى قال يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنّى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصّابرين)

فلمّا بلغ إسمعيل عليه السلام السّنّ التى كان يستطيع على أن يسعى مع أبيه إبراهيم عليه السلام فى بنآء الكعبة ويعينه على أعماله... فلمّا بنياها قال إبراهيم عليه السلام لإسمعيل: يا بنى! إنّى أرى ـ ثلاث ليال متوالية ـ فى المنام أنّى أذبحك

فى المنى، فانظر ماذا ترى فى ذبحى إياك ؟ قال اسمعيل عليه السلام: يا أبت إمض ما أمرك الله تعالى به ستجدنى إن شآء الله من الصابرين.

٣٨٩١ ــ (فلمّا أسلما وتلّه للجبين)

فلمّا استسلم إبراهيم واسمعيل عليهما السلام لقضآء الله تعالى واتفقا على أمر إلهى وهو ذبح الوالد ولده الوحيد وأضجع الأب إبنه على جبينه الأيسر على مرتفع من الأرض بمنى.

٣٨٩٢ ــ (وناديناه أن يا إبراهيم)

وحينئذ نادينا إبراهيم عليه السلام بأن يا إبراهيم كفّ عن ذبح إبنك.

٣٨٩٣ ــ (قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين)

قد صدّقت الرؤيا يا إبراهيم عليه السلام إنا كما جزيناك بطاعتنا كذلك نجزى من سلك طريقكما فى الإحسان بالاستسلام لأمر الله تعالى.

٣٨٩٤ ــ (إن هذا لهو البلآء المبين)

إن أمرنا الأب بذبح الإبن لهو الإمتحان الذى كان صعبه ظاهراً لكل أحد.

٣٨٩٥ ــ (وفديناه بذبح عظيم)

وفدينا إسمعيل عليه السلام بذبح عظيم وهو كبش أتى به جبرئيل من عندنا.

٣٨٩٦ ــ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على إبراهيم عليه السلام ذكراً جيلاً فى كل أمّة من الأمم إلى يوم القيامة.

٣٨٩٧ ــ (سلام على إبراهيم)

وقلنا لإبراهيم: سلام منّا عليك سلاماً خاصّاً عظيماً لا يقدر قدره.

٣٨٩٨ ــ (كذلك نجزى المحسنين)

بمثل هذا الجزآء الحسن نجزى كل من كان راسخاً ثابتاً فى الإحسان كإبراهيم عليه السلام.

٣٨٩٩ ــ (إنه من عبادنا المؤمنين)

إنّ إبراهيم عليه السلام كان من عبادنا الذين أخلصوا لنا الإيمان ثابتاً على فطرة التوحيد.

٣٩٠٠ ــ (وبشّرناه باسحق نبياً من الصّالحين)

وبشّرنا إبراهيم عليه السلام بعد قصّة إسمعيل عليه السلام بولادة ولد آخر وهو إسحق من سارة، حالكونه نبيّاً صالحاً من الأنبيآء الصلحآء عليهم آلاف التحية والثنآء.

٣٩٠١ ــ (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

وباركنا على إسمعيل وعلى إسحق، ومن ذريتهما محسن بالإيمان وصالح العمل، ومن ذريتهما ظالم لنفسه بالكفر وفساد العمل.

٣٩٠٢ ــ (ولقد مننّا على موسى وهارون)

واقسم بالله تعالى: أنا أنعمنا على موسى وهارون عليهما السلام نعماً كثيرة...

٣٩٠٣ ــ (ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم)

ونجّينا موسى وهارون وقومهما بنى إسرآئيل من الغمّ الشديد والعذاب المهين.

٣٩٠٤ ــ (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين)

ونصرنا موسى وهارون عليهما السلام وبنى إسرائيل على أعدآئهم فكانوا هم الغالبين عليهم بعد أن كانوا مغلوبين.

٣٩٠٥ ــ (وآتينا هما الكتاب المستبين)

وآتينا موسى وهارون التوراة التى تدعو الناس إلى الله تعالى ببيان واضح.

٣٩٠٦ــ (وهديناهما الصراط المستقيم)

ودللنا موسى وهارون إلى طريق مؤدٍّ إلى الخير والحق.

٣٩٠٧ ــ (وتركنا عليهما فى الآخرين)

وتركنا على موسى وهارون عليهما السلام ثنآءً جميلاً فى الأُمم المتأخرة.

٣٩٠٨ ـ (سلام على موسى وهارون)

سلام خاصّ منّا على موسى وهارون.

٣٩٠٩ ـ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا مثل ما جزينا موسى وهارون نجزى كل مَن تلبّس بالإحسان وبقى عليه.

٣٩١٠ ـ (إنهما من عبادنا المؤمنين)

إنّ موسى وهارون كانا من عبادنا الذين آمنوا وأخلصوا دينهم.

٣٩١١ ـ (وإن إلياس لمن المرسلين)

وإن إلياس كان من جملة المرسلين فأرسلناه إلى قومه.

٣٩١٢ ـ (إذ قال لقومه ألا تتقون)

إذ قال إلياس لقومه: ألا تتقون الله جل وعلا بترك نواهيه وإمتثال أوامره.

٣٩١٣ ـ (أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين)

أتدعون لكم إلهاً ورباً من دون الله وتعبدون الصنم بعلاً وتتركون الخالق الذى خلق كل شئ فأحسن خلقه؟!

٣٩١٤ ـ (الله ربكم ورب آبائكم الأوّلين)

الله تعالى هو ربكم وربكم آبائكم الماضين.

٣٩١٥ ـ (فكذّبوه فانهم لمحضرون)

فكذّب إلياس قومه فيما دعاهم إليه من التوحيد وترك الشرك ، فلم يستجيبوا له، فكان جزاؤهم أن يحضروا نار جهنم.

٣٩١٦ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

ويستثنى من هذا الجزآء المكذّب، عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله تعالى.

٣٩١٧ ـ (وتركنا عليه فى الآخرين)

وتركنا على إلياس ذكراً طيباً فى الامم المتأخرين.

٣٩١٨ ـ (سلام على إلياسين)

سلام خاصّ عظيم منّا على آل ياسين.

٣٩١٩ ــ (إنا كذلك نجزى المحسنين)

إنا مثل ذلك الجزآء الحسن نجزى كل من رسخ فى الإحسان وثبت عليه.

٣٩٢٠ ــ (إنه من عبادنا المؤمنين)

انه كان من عبادنا المصدّقين العالمين العاملين بكل ما أوجبناه عليهم.

٣٩٢١ ــ (وإن لوطاً لمن المرسلين)

وإن لوطاً كان من جملة المرسلين الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته إلى عباده.

٣٩٢٢ ــ (إذ نجّيناه وأهله أجمعين)

إذ نجّينا لوطاً ومن آمن معه أجمعين.

٣٩٢٣ ــ (إلّا عجوزاً في الغابرين)

إلّا إمرأة لوط التى خانته فكانت من جملة الهالكين.

٣٩٢٤ ــ (ثمّ دمّرنا الآخرين)

ثم أهلكنا الباقين من قوم لوط الذين كذّبوا واستكبروا إستكباراً.

٣٩٢٥ ــ (وانكم لتمرّون عليهم مصبحين)

وإنكم أيها المشركون لتمرّون على أطلال قوم لوط المهلكين في أسفاركم وقت الصباح.

٣٩٢٦ ــ (وبالليل أفلا تعقلون)

وتمرّون عليهم أيضاً ليلاً أفلا تعقلون فيما تشاهدون من آثارهم وسوء عواقبهم...

٣٩٢٧ ــ (وإن يونس لمن المرسلين)

وإن يونس عليه السلام كان رسولاً من المرسلين، أرسلناه إلى قومه أهل نينوى بالموصل.

٣٩٢٨ ــ (إذ أبق إلى الفلك المشحون)

إذ خرج يونس من بين قومه مغاضباً لهم إلى السفينة المملوْة من الناس والأمتعة...

٣٩٢٩ ــ (فساهم فكان من المدحضين)

فساهم يونس عليه السلام أهل السفينة، فكان هو من المغلوبين بالقرعة.

٣٩٣٠ ــ (فالتقمه الحوت وهو مليم)

فلمّا أُلقِىَ يونس عليه السلام فى البحر إبتلعه الحوت، وحالكون يونس عليه السلام ملوماً لفراره من قومه بدون إذن ربه، وفراره من حمل رسالته.

٣٩٣١ ــ (فلولا أنه كان من المسبّحين)

فلولم يكن يونس عليه السلام من المسبّحين لله جل وعلا.

٣٩٣٢ ــ (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون)

لمكث يونس عليه السلام فى بطن الحوت وهما حيّان إلى يوم القيامة.

٣٩٣٣ ــ (فنبذناه بالعرآء وهو سقيم)

فالقينا يونس عليه السلام من بطن الحوت فى ساحل البحر من أرض قفرآء وهو عليل الجسم وسقيم النفس وضعيف الأعضآء والجوارح...

٣٩٣٤ ــ (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين)

وأنبتنا على يونس عليه السلام من أرض قفرآء، شجرة من يقطين يستظلّ بها يونس عليه السلام.

٣٩٣٥ ــ (وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون)

وأرسلنا يونس عليه السلام مرّة أخرى إلى قومه وهم مأة ألف بل أكثر من ذلك.

٣٩٣٦ ــ (فآمنوا فمتّعناهم إلى حين)

فآمن قومه به، فمتعناهم بنعم الدنيا إلى إنقضآء آجالهم فى الحياة الدنيا.

٣٩٣٧ ــ (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون)

يا أيّها النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم! استخبر هؤلآء المشركين ألربي البنات بزعمكم ولكم البنون؟

٣٩٣٨ ــ (أم خلقنا الملآئكة إناثاً وهم شاهدون)

بل أخلقنا الملآئكة إناثاً وهم شاهدون خلقنا إيّاهم إناثاً ؟!

٣٩٣٩ ـ (ألا إنهم من إفكهم ليقولون)

ألا يا أهل العالم! إن هؤلآء المشركين من إفكهم ليقولون: هذا القول السخيف:

٣٩٤٠ ـ (ولد الله وانهم لكاذبون)

وانهم فى هذا القول الأحمق لكاذبون كذباً بيّناً لا ريب فيه.

٣٩٤١ ـ (أصطفى البنات على البنين)

أيها المشركون! أبصدق تزعمون أن الله سبحانه اختار لنفسه البنات، وترك لكم البنين؟!

٣٩٤٢ ـ (ما لكم كيف تحكمون)

من أين ثبت لكم ذلك؟ كيف تحكمون لله سبحانه بالبنات ولأنفسكم بالبنين؟

٣٩٤٣ ـ (أفلا تذكّرون)

أفلا تذكّرون فيما تنسبونه إلى الله سبحانه وهو منزّه عنه؟

٣٩٤٤ ـ (أم لكم سلطان مبين)

ألكم على دعواكم كتاب يبيّن مدّعاكم؟

٣٩٤٥ ـ (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)

فأتوا بكتابكم هذا إن كنتم صادقين فى دعواكم؟

٣٩٤٦ ـ (وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون)

ومن مفتريات المشركين انهم جعلوا بين الله سبحانه وبين الجنة قرابة، واقسم بالله تعالى أن هذه الجنّة، يعلمون أنهم محضرون يوم القيامة للحساب والجزآء.

٣٩٤٧ ـ (سبحان الله عما يصفون)

تنزيهاً لله تعالى عما يصفه هؤلآء المشركون بما لا يليق بساحة قدسه.

٣٩٤٨ ـ (إلّا عباد الله المخلصين)

لكن عباد الله المخلصين، فهم بريئون عن أن يصفوا الله تعالى بما وصفه به المشركون.

٣٩٤٩ ـ (فانكم وما تعبدون)

فانكم أيّها المشركون وما تعبدون لا يملكون من الله تعالى شيئاً.

٣٩٥٠ ـ (ما أنتم عليه بفاتنين)

لستم أنتم ولا آلهتكم على الله تعالى بمضلّين أحداً من الناس.

٣٩٥١ ـ (إلّا مَن هو صال الجحيم)

إلّا مَن كان مثلكم فتولّاكم بعمل النار وسلك سبيل الجحيم.

٣٩٥٢ ـ (وما منّا إلّا له مقام معلوم)

وما أحد منّا معشر الملآئكة إلّا له مقام معلوم لا يتجاوزعنه قطّ.

٣٩٥٣ ـ (وإنا لنحن الصّافّون)

وإنا معشر الملآئكة لنحن الواقفون صفوفاً للعبودية وأدآء الطاعة.

٣٩٥٤ ـ (وإنا لنحن المسبّحون)

وإنا معشر الملآئكة لنحن المسبّحون لله تعالى بحمده ليلاً ونهاراً.

٣٩٥٥ ـ (وإن كانوا ليقولون)

وإن هؤلآء المشركين كانوا قبل بعثة محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم إذا عُيِّروا بالكفر ليقولون:

٣٩٥٦ ـ (لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين)

لو كان عندنا ذكر من الله تعالى ومذكّر لنا كما كان للامم الماضين.

٣٩٥٧ ـ (لكنّا عباد الله المخلصين)

له العبادة، المؤمنين به، وبذكره وبمن يذكّرنا بذكره.

٣٩٥٨ ـ (فكفروا به فسوف يعلمون)

فلمّا جآءهم محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالذكر كفروا به، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.

٣٩٥٩ ـ (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

واقسم بالله تعالى أنه سبقت كلمتنا بالنصرو الغلبة لعبادنا المرسلين الذين

بعثناهم لهداية الناس.

٣٩٦٠ ــ (إنّهم لهم المنصورون)

إن رسلنا وأتباعهم المؤمنين هم المنصورون على الكافرين.

٣٩٦١ ــ (وإن جندنا لهم الغالبون)

وإنّ جندنا المرسلين والمؤمنين حقاً انهم غالبون على أعدائهم...

٣٩٦٢ ــ (فتولّ عنهم حتى حين)

فأعرض يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عن المشركين وأمهلهم إلى أمد قليل محدود.

٣٩٦٣ ــ (وأبصرهم فسوف يبصرون)

وأبصر يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين على أسوإ الأحوال، فهم عن قريب يعاينون ما يحل بهم في هذه الحياة الدنيا.

٣٩٦٤ ــ (أفبعذابنا يستعجلون)

أيستعجلون منك نزول عذابنا عليهم قبل وقته؟

٣٩٦٥ ــ (فإذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين)

فإذا نزل عذابنا بأفنية دورهم، فبئس الصباح صباح المنذرين الذين خُوِّفُوا ولم يخافوا، وحُذِّروا فلم يحذروا.

٣٩٦٦ ــ (وتولّ عنهم حتى حين)

وأعرض يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم عنهم وخلّهم و فريتهم على ربهم إلى وقت معلوم.

٣٩٦٧ ــ (وأبصر فسوف يبصرون)

وأبصر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين على سوء عاقبتهم، فسوف يبصرون ما ذا يفعل بهم بعد موتهم.

٣٩٦٨ ــ (سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون)

منزّه ربك يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذى هو رب العزّة، عما يصفه به

المشركون.

٣٩٦٩ ـ (وسلام على المرسلين)

وسلام خاصّ منا على المرسلين أجمعين الذين أرسلناهم إلى أممهم لهدايتهم.

٣٩٧٠ ـ (والحمد لله رب العالمين)

والحمد كله مختص بالله الذى بيده تدبير الكون ونواميس الوجود كله.

﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «والصافات صفاً» قال: الملآئكة والأنبيآء عليهم السلام ومن وصف الله عزّوجل (ومَن صفّ لله خ) وعبده «فالزاجرات زجراً» الذين يزجرون الناس «فالتاليات ذكراً» الذين يقرؤن الكتاب من الناس قال فهو قسم وجوابه: «إن إلهكم لواحد».

وفي الدر المنثور: عن ابن‌عباس قال: قدم أهل حضرموت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنو وليعة حمزة ومحرش ومشرح وأبصعة وأُختهم العمردة وفيهم الأشعث بن قيس وهو أصغرهم، فقالوا: أبيت اللعن؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لست ملكاً أنا محمد بن عبدالله قالوا نسمّيك باسمك قال: لكن الله سمّاني وأنا أبوالقاسم قالوا: يا أبا القاسم انا قد خبأنا لك خبياً فما هوإذ كانوا خبؤوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جرادة في حمية سمن، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: سبحان الله إنّما يفعل هذا بالكاهن، وان الكاهن والكهانة والتكهن في النّار، فقالوا: يا رسول الله كيف نعلم أنك رسول الله؟ فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كفّاً من حصى فقال: هذا يشهد أنّي رسول الله فسبّح الحصى في يده قالوا: نشهد أنّك رسول الله.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن الله بعثني بالحق وأنزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أثقل في الميزان من الجبل العظيم، وفي الليلة الظلمآء مثل نور الشهاب قالوا: فاسمعنا منه فتلا رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والصافّات صفّاً ـ حتّى بلغ ـ رب المشارق» ثم سكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسكن روعه فما يتحرّك منه شئ ودموعه تجرى على لحيته، فقالوا: إنا نراك تبكى أفمن مخافة مَن أرسلك تبكى؟ قال: إنّ خشيتى منه أبكتنى، بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حدّ السيف إن زغت عنه هلكت ثم تلا: «ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك إلى آخر الآية» الاسراء: ٨٦)

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته ـ: «فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعلياهنّ سقفاً محفوظاً، وسَمْكاً مرفوعاً بغير عمد يدعَمُها ولا دِسار ينظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب وضيآء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك دآئر وسَقف سآئر ورقيم مآئر ـ ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهنّ أطواراً من ملآئكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون ومسبّحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم امنآء على وحيه وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضآئه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه».

وفي تفسير القمي: باسناده عن ابن أبيعمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن هذه (لهذه خ) النجوم التى فى السمآء مدائن مثل المدائن التي فى الأرض مربوطة كل بعمود من نور (مربوطة كل مدينة إلى عمود مربوط من نور خ) طول ذلك العمود في السمآء مسيرة مأتين (مأتى خ) وخمسين سنة.

وفيه: فى قوله تعالى: «وحفظاً من كل شيطان مارد» قال: المارد: الخبيث «لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً» يعنى الكواكب التى يرمون بها «ولهم عذاب واصب» أى واجب «إلّا مَن خطف الخطفة» يعنى يسمعون الكلمة فيحفظونها «فاتبعه شهاب ثاقب» وهو ما يرمون به فيحترقون.

وفيه: فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال: «عذاب واصب» أى

دائم موجع قد وصل إلى قلوبهم.

وقوله تعالى: «شهاب ثاقب» أى مضيئ إذا أضاء فهو ثقوبه.

وفيه: باسناده عن محمد بن أبى‌عمير عن هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام ـ فى حديث المعراج طويل ـ عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فصعد جبرئيل وصعدت معه إلى سماء (السمآء خ) الدنيا وعليها ملك يقول (يقال خ) له: إسمعيل وهو صاحب الخطفة التى قال الله عزوجل: «إلّا مَن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» وتحته سبعون ألف ملك، تحت كل ملك سبعون ألف ملك فقال: يا جبرئيل من هذا معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، ففتح الباب فسلمت عليه وسلّم عَلَيّ، واستغفرت له واستغفرلى، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

وفيه: فى قوله تعالى: «إنا خلقناهم من طين لازب» قال: يعنى يلصق باليد.

وفى اصول الكافى: باسناده عن عبدالغفار الجازى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن الله خلق المؤمن من طينة الجنّة، وخلق الكافر من طينة النار وقال: إذا أراد الله بعبد خيراً طيب ريحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلّا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلّا أنكره قال: وسمعته يقول: الطينات ثلاث: طينة الأنبيآء والمؤمن من تلك الطينة إلّا أن الأنبيآء هم من صفوتها هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك لا يفرق الله عزوجل بينهم وبين شيعتهم، وقال: طينة الناصب من حماءٍ مسنون، وأما المستضعفون فمن تراب لا يتحول مؤمن عن ايمانه ولا ناصب عن نصبه ولله المشيّة فيهم.

وفى نهج البلاغة: قال الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى صفة خلق آدم عليه السلام ـ: «ثم جمع سبحانه مِن حَزْنِ الأرض وسهلها وعَذبها وسبخها تربةً سنّها بالمآء حتي خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحنآء ووصول وأعضآء وفصول...»

وفى الدر المنثور: عن ابن جريج فى قوله تعالى: «بل عجبت» قال النبى صلّى الله

عليه وآله وسلّم: عجبت بالقرآن حين أنزل ويسخر منه ضلاّل بني آدم.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «احشروا الذين ظلموا» قال: الذين ظلموا آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم حقهم «وأزواجهم» قال: أشباههم. وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم» يقول: ادعوهم إلى طريق الجحيم.

وفى شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قوله تعالى: «وقفوهم إنهم مسئولون» قال: عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

وفيه: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا كان يوم القيامة اوقف أنا وعليّ على الصراط، فما يمرّ بنا أحد إلّا سئلناه عن ولاية عليّ عليه السلام فمن كانت معه، وإلّا ألقيناه فى النار، وذلك قوله: «وقفوهم إنهم مسئولون».

وفى النور المشتعل لأبى نعيم الإصبهانى باسناده عن ابن عباس فى قوله عزوجل: «وقفوهم انهم مسئولون» قال: عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

وفى ذيله: عن الواحدى قال: والمعنى أنهم يسئلون هل والوه حق الموالات كما أوصاهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ثم قال الواحدى: وروى عن عليّ صلوات الله عليه وآله انه قال: جعلت الموالات أصلاً من اصول الدين.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى قال: الآية الرابعة ـ مما نزلت فى عليّ ـ قوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» أخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «وقفوهم إنهم مسئولون» عن ولاية عليّ عليه السلام.

ثم قال ابن حجر: وكأنّ هذا هو مراد الواحدى بقوله: روى فى قوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» أى عن ولاية عليّ عليه السلام وأهل البيت لأن الله أمر نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعرف الخلق انه لا يسئلهم على تبليغ الرسالة أجراً إلّا المودّة فى القربى. والمعنى: انهم يسئلون هل والوهم حق الموالات كما أوصاهم النبى

صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ أم أضاعوها وأهملوها فتكون المطالبة والتبعة.

وفى المناقب للخوارزمى عن أبى اسحق فى قوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» قال: يعنى من ولاية على بن أبيطالب عليه السلام انه لا يجوز أحد الصراط إلّا وبيده براة بولاية على بن أبيطالب عليه السلام. رواه القندوزى فى ينابيع المودة عن أنس بن مالك.

وفى كتاب شرف المصطفى للخرگوشى قال: «وبلغنا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم انه قال: إن الله فرض فرائض فوضعها فى حال وخفّف فى حال، وفرض ولايتنا أهل البيت فلم يضعها فى حال من الأحوال».

وفى ذيل الكتاب النور المشتعل -عن كتاب اليقين- عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إذا كان يوم القيامة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط فلا يجوزه أحد إلّا ببراءة أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ومن لم يكن له براءة من أميرالمؤمنين أكبّه الله على منخريه فى النار وذلك قوله تعالى: «وقفوهم إنهم مسئولون» قلت: فداك أبى وامّى يا رسول الله ما تعنى ببرآءة أميرالمؤمنين؟ قال: لا إله إلّا الله محمد رسول الله علىّ أميرالمؤمنين وصىّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم». البراءة: المنشور والإجازة.

أقول: وقد وردت فى المقام روايات كثيرة عن طريق العامة لا يسعها المقام ونحن على جناح الإختصار.

وفى عيون الأخبار: باسناده عن الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام قال: حدّثنى أبى على بن أبيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قول الله عزوجل: «وقفوهم انهم مسئولون» قال: عن ولاية على عليه السلام.

وفى كنز الفوآئد: روى شيخ الطائفة رحمه الله فى مصباح الأنوار باسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعلىّ عليه السلام على الصّراط، بيد كل واحد منّا سيف، فلا يمرّ أحد من خلق الله إلّا سئلناه عن ولاية على عليه السلام فمن كان معه شئ منها نجى وفاز، وإلّا ضربنا

عنقه و ألقيناه فى النار ثم تلا: «وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون».

وفى أمالى الشيخ قدس سره باسناده عن تمامة بن عبدالله بن أنس بن مالك عن أبيه عن جدّه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الميزان على جهنم لم يجز عليه إلاّ مَن كان معه جواز فيه ولاية على بن أبيطالب عليه السلام وذلك قوله: «وقفوهم انهم مسئولون» يعنى عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام».

وفى البحار: وسُئِل القارونىّ ذات يوم عن قوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» فقال: أقعد يا هذا الرجل، فما هذا موضع هذه المسئلة، فقال له: لابد من تفسير هذه الآية ويؤدّى (لأنا نؤدّى فيها خ) الأمانة فقال له: إعلم أنه إذا كان يوم القيامة تحشر الخلق حول الكرسى كل على طبقاتهم: الأنبيآء عليهم السلام و الملآئكة المقرّبون وسآئر الأوصيآء عليهم السلام فيؤمر الخلق بالحساب، فينادى الله عزوجل: «وقفوهم انهم مسئولون» عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام فقال له السائل: ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يسئل عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام؟ فقال له: نعم ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يُسئل عن ولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

أقول: وذلك ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُسئل يوم القيامة عن تبليغ ولاية أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى الحياة الدنيا إذ قال تعالى له صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧) فيُسئل صلّى الله عليه وآله وسلّم عنها لئلا يعتذر الظالمون الذين غصبوا حق أميرالمؤمنين على عليه السلام ولئلا يعتذر أتباع هؤلآء الغاصبين الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وفى تفسير نورالثقلين: بالإسناد عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا معاشر قرّآء القرآن! إتقواالله عزوجل فيما حملكم من كتابه فانّى مسئول وانكم مسئولون، إنى مسئول عن تبليغ الرسالة، وأما أنتم

فتسئلون عما حملتم من كتاب الله وسنتى.

وفى معانى الأخبار: عن أبى سعيد عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قول الله عزوجل: «وقفوهم إنهم مسئولون» قال: عن ولاية علىّ عليه السلام ما صنعوا فى أمره؟ وقد أعلمهم الله عزوجل أنّه الخليفة بعد رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفى عيون الأخبار: باسناده عن الحسين بن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن أبابكر منّى بمنزلة السمع، وإن عمر منّى بمنزلة البصر، وإن عثمان منّى بمنزلة الفؤاد قال: فلمّا كان من الغد دخلت إليه وعنده أميرالمؤمنين عليه السلام وأبوبكر وعمر وعثمان، فقلت له: يا أبه سمعتك تقول فى أصحابك هؤلآء قولاً فما هو؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم ثم أشار إليهم فقال: هم السمع والبصر والفؤاد، وسيسئلون عن وصييّ هذا ـ وأشار إلى علىّ عليه السلام ـ ثم قال: إن الله عزوجل يقول: «إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً» ثم قال: وعزّة ربّى إن جميع امّتى لموقفون يوم القيامة ومسئولون عن ولايته، وذلك قول الله عزوجل: «وقفوهم إنهم مسئولون».

أقول: ولا يبعد أن يكون المراد من تأويل بطن الآية الكريمة أن هؤلآء الثلاثة لشدّة خلطتهم ظاهراً واطلاعهم على ما أبداه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بمنزلة السمع والبصر والفؤاد فتكون الحجّة عليهم أتمّ، ولذا خصوّا بالذكر فى هذه الآية مع عموم السئوال لجميع المكلّفين كما أن فى تخصيص ولاية أميرالمؤمنين والإعتقاد بامامته وخلافته عليه السلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بلا فصل بالسئوال عنها والتوقيف بها يوم القيامة من بين سآئر العقائد والأعمال دلالة قاطعة على أنها من أعظم أركان الإيمان، وبرهاناً واضحاً على أن له عليه السلام فضيلة عظيمة لا يقاس بها فضل سآئر الصحابة المخلصين كسلمان وأبى ذر ومقداد... فضلاً عن المنافقين...

وفى البحار: عن كتاب (منقبة المطهّرين) لأبى نعيم الإصبهانى باسناده عن أبى بردة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم ونحن حوله: والذى نفسى

بيده لا تزول قد ما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن ماله مما كسبه وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت؟ فقال عمر: يا رسول الله وما آية حبكم من بعدك ؟ قال: فوضع يده على رأس على بن أبيطالب عليه السلام ـ وهو إلى جنبه ـ فقال: آية حبّنا من بعدى حبّ هذا. وروى باسناد آخر عن عبدالله بن بريدة عن أبيه نحوه وقال فى آخره: حبّ هذا ـ ووضع يده على كتف علىّ عليه السلام ـ ثم قال: من أحبّه فقد أحبّنا ومَن أبغضه فقد أبغضنا.

وفى اعتقادات الصدوق رضوان الله تعالى عليه قال زرارة للصادق عليه السلام: ما تقول يا سيّدى فى القضآء والقدر! قال عليه السلام: أقول: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سئلهم عمّا عهد إليهم ولم يسئلهم عمّا قضى عليهم.

وفى الدر المنثور: عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مامِن داع دعا إلى شئ إلّا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً به لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً ثم قرأ «وقفوهم انهم مسئولون»».

وفى اصول الكافى: باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: بنى الاسلام على خمسة أشيآء: على الصلاة والزكاة والحجّ والولاية قال: زرارة: فقلت: وأىّ شئ من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهنّ والوالى هو الدليل عليهنّ ... الحديث. وفيه: باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه السلام قال: بنى الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشئ كما نودى بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعنى الولاية ـ.

وفى المناقب لابن شهرآشوب المازندرانى عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعر النيران السبع ويأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمانية، ويقول: يا ميكائل مدّ الصراط على متن جهنم، ويقول: يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، وينادى: يا محمد قرب امتك للحساب، ثم يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط قناطر طول كل قنطرة سبعة عشرة ألف فرسخ، وعلى كل قنطرة

سبعون ألف ملك قيام، فيسئلون هذه الامة نساؤهم ورجالهم على القنطرة الاولى عن ولاية أميرالمؤمنين وحب أهل بيت محمّد(ص) فمن أتى به جازعلى القنطرة الأولى. كالبرق الخاطف، ومن لم يحبّ أهل بيت نبيه سقط على امّ رأسه فى قعر جهنم ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقاً، وعلى القنطرة الثانية يسئلون عن الصلاة، وعلى الثالثة يسئلون عن الزكاة، وعلى الرابعة عن الصيام، وعلى الخامسة عن الحجّ، وعلى السادسة عن الجهاد، وعلى السابعة عن العدل.

فمن أتى بشئ من ذلك جازعلى الصراط كالبرق الخاطف، ومن لم يأت عذّب وذلك قوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» يعنى معاشر الملائكة قفوهم يعنى العباد على القنطرة الأولى عن ولاية علىّ وحب أهل البيت عليهم السلام. وسُئِلَ الباقر عليه السلام عن هذه الآية قال: يقفون فيسئلون: «ما لكم لا تناصرون» فى الآخرة كما تعاونتم فى الدنيا على علىّ عليه السلام قال: يقول الله: «بل هم اليوم مستسلمون» يعنى العذاب. ثم حكى الله عنهم قولهم: «وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون».

وفى **نهج البلاغة**: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «اتقواالله فى عباده وبلاده فانكم مسئولون حتّى عن البقاع و البهآئم...»

وفى **المجمع**: «انهم مسئولون» روى أنس بن مالك مرفوعاً انهم مسئولون عما دعوا إليه من البدع.

وفى **التهذيب** ـ فى الدعآء بعد صلاة الغدير ـ المسند إلى الامام الصادق عليه السلام: «اللهم فكما كان من شأنك يا صادق الوعد، يا مَن لا يخلف الميعاد، يا مَن هو كل يوم فى شأن ان أنعمت علينا بموالاة أوليآئك المسئول عنها عبادك، فانك قلت وقولك الحق: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» وقلت: «وقفوهم انهم مسئولون».

وفى **المناقب** لابن شهرآشوب: سئل الباقر عليه السلام من هذه الآية ـ وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون ـ قال: يقفون فيسئلون مالكم لا تناصرون فى الآخرة كما تعاونتم فى الدنيا على علىّ عليه السلام قال: يقول الله: «بل هم اليوم المستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ـ إلى قوله ـ مجرمين».

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين» قال: يعنى فلاناً وفلاناً «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين».

وفى تفسير بيان السعادة: ما هو لفظه: «أوّل الظلم لآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو ستر الولاية التكوينية التى هى حبل من الله، وينشأ منه الظلم التكليفى وترك الولاية التكليفية».

وفى رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا إله إلّا الله» تمنع العباد من سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فاذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم، ثم قالوا: «لا إله إلّا الله» رُدَّت عليهم وقال الله: «كذبتم».

٤١ ـ (اولئك لهم رزق معلوم)

فى روضة الكافى: باسناده عن محمد بن اسحق المدنى عن أبى جعفر عليه السلام عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فى حديث طويل يصف فيه أهل الجنة قال ـ وأما قوله: «اولئك لهم رزق معلوم» قال: يعلمه (يعنى خ) الخدّام فيأتون به أولياء الله (إلى أولياء الله خ) قبل أن يسئلوهم إياه وأما قوله عزوجل: «فواكه وهم مكرمون» قال: فانهم لا يشتهون شيئاً فى الجنّة إلّا أُكرِموا به.

وفى رواية: «عن ام سلمة قلت: يا رسول الله! أخبرنى عن قوله: «كأنّهنّ بيض مكنون»؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: رقتهن كرقّة الجلدة التى رأيتها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ».

وفي تفسير القمى: وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام «فاطلع فرآه فى سوآء الجحيم» يقول: فى وسط الجحيم.

وفيه: فى قوله تعالى: «أفما نحن بميتين...» باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار جيئ بالموت، فيذبح كالكبش بين الجنة والنار، ثم يقال: خلود فلا موت أبداً، فيقول أهل الجنّة: «أفما نحن بميتين إلّا موتتنا الاولى وما نحن بمعذّبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون».

٦٢ ــ (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم)

فى نور الثقلين: وقد روى: أن الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدّة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم أبوجهل، فيأكلون منها فتغلى بطونهم كغلى الحميم، فيستسقون فيسقون شربة من المآء الحار الذى بلغ نهايته فى الحرارة، فاذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم، فذلك قوله: «يشوى الوجوه» فاذا وصل إلى بطونهم صهر ما فى بطونهم كما قال سبحانه: «يصهر به ما فى بطونهم والجلود» وذلك طعامهم وشرابهم.

وفيه: عند قوله تعالى: «ومن الناس من يشترى لهو الحديث» وروى أيضاً عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: هو الطعن فى الحق والاستهزآء به وما كان أبوجهل وأصحابه يجيئون به إذ قال: يا معشر قريش: ألا اطعمكم من الزقّوم الذى يخوفكم به صاحبكم ثم ارسل إلى زبد وتمر، فقال: هذا هو الزّقوم الذى يخوفكم به.

وفي رواية: عن ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تلا: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزّقوم» وقال: اتّقوا الله حقّ تقاته فلو أن قطرة من الزّقوم قطرت في بحار الدّنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف: بمن يكون طعامه».

وفى الكافى: باسناده عن ضريس الكناسى قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إن الله تعالى ناراً فى المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فاذا طلع الفجر هاجت إلى وادٍ باليمن، يقال له: برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كان فيه (فيهما خ) يتلاقون ويتعارفون، فاذا كان المسآء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة.

وفى تفسير القمى: وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل: «وجعلنا ذريته هم الباقين» يقول: الحق والنبوّة والكتاب والإيمان فى عقبه، وليس كل من فى الأرض من بنى آدم من ولد نوح عليه السلام قال الله عزوجل فى كتابه: «احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلّا مَن سبق عليه القول منهم ومَن آمن وما آمن معه إلّا قليل» وقال الله عزوجل أيضاً: «ذرية مَن حملنا مع

نوح ».

أقول: وقد سبق منّا كلام فى الآية الكريمة فراجع إلى البحث البيانى.

وفى كمال الدين وتمام النعمة: باسناده عن أبى الديلم عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام قال: عاش نوح بعد نزوله من السفينة خمسين سنة ثم أتاه جبرئيل فقال له: يا نوح قد أنقضت نبوتك واستكملت أيامك فانظر الإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة التى معك فادفعها إلى إبنك سام، فإنّى لا اترك الأرض إلّا وفيها عالم تعرف به طاعتى، فيكون نجاة فيما بين مقبض النبى ومبعث النبى الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجّة وداعٍ وهادٍ إلى سبيلى وعارف بأمرى، فانّى قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً يهدى به السعداء ويكون حجّة على الأشقياء قال: فدفع نوح عليه السلام الإسم الأكبر وميراث العلم، وآثار علم النبوّة الى ابنه سام وأما حام ويافث لم يكن عندهما علم ينتفعان به، قال: وبشّرهم نوح عليه السلام بهود عليه السلام و أمرهم بإتّباعه و أن يفتحوا الوصيّة كلّ عام فينظروا فيها ويكون عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام فظهروا الجبرية من ولد حام ويافث، فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث وهو قول الله عزوجل: «وتركنا عليه فى الآخرين» يقول: وتركت على نوح دولة الجبّارين ونصرالله محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك قال: وُلِدَ لحام السند والهند والحبش، ووُلِدَ لسام العرب والعجم وجرت عليهم الدولة وكانوا يتوارثون الوصية عالم بعد عالم حتى بعث الله عزوجل هوداً عليه السلام.

وفى تفسير الطبرى: عن سمرة عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قوله: «وجعلنا ذريته هم الباقين» قال: «سام وحام ويافث».

٨٣ ــ (وإن من شيعته لإبراهيم)

وفى تفسير القمى: باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام انه قال: ليهنئكم الإسم قلت: وما هو جعلت فداك؟ قال: «وان من شيعته لابراهيم» وقوله عزوجل: «فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه» فليهنئكم الإسم.

وفى المجمع: وروى أبوبصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: ليهنئكم الاسم قلت: وما هو؟ قال: الشيعة قلت: إن الناس يعيروننا بذلك! قال: أما تسمع قول الله سبحانه: «وان من شيعته لابراهيم» وقوله: «فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه».

وفى تأويل الآيات: للسيّد شرف الدين الأسترابادى قال: ومعنى «إن من شيعته لإبراهيم» أى ان إبراهيم عليه السلام من شيعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قال سبحانه: «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون» أى ذريّة من هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم إلى الدنيا.

وفيه: وروى عن مولانا الصادق جعفربن محمد عليهما السلام أنه قال: قوله عزوجل: «وإن من شيعته لإبراهيم» أى أن إبراهيم عليه السلام من شيعة علىّ عليه السلام.

والخبران متوافقان لأن كل من كان من شيعة النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو من شيعة علىّ عليه السلام وكل من كان من شيعة علىّ عليه السلام فهو من شيعة النبى صلّى الله عليهما وعلى ذريتهما الطيبين.

ويؤيّده هذا التأويل: أن إبراهيم عليه السلام من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام ما رواه الشيخ محمد بن الحسين رحمه الله عن محمدبن وهبان عن أبى جعفر محمد بن على بن رحيم (وخيم خ) عن العباس بن محمد قال: حدّثنى أبى عن الحسن بن على بن أبى حمزة قال: حدّثنى أبى عن أبى بصير يحيى بن القاسم قال: سئل جابربن يزيد الجعفى جعفربن محمد الصادق عليهما السلام عن تفسير هذه الآية: «وإن من شيعته لإبراهيم» فقال عليه السلام: إن الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم كشف له عن بصره فنظر فرآى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهى ما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور محمد صفوتى من خلقى، ورآى نوراً إلى جنبه، فقال: إلهى وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور علىّ بن أبيطالب عليه السلام ناصر دينى.

ورآى إلى جنبهم (جنبهما خ) ثلاثة أنوار فقال: إلهى وما هذه الأنوار؟ فقيل له:

هـذا نور فاطمة فطمـت محبّيها من النار، ونـور ولـديها الحسن والحسين، فقال: إلهى وأرى تسعة أنوار قد أحدقوا بهم (قد حفوا بهم خ) (فقال: إلهى فما هذه الانوار التسعة خ).

قيل: يا ابراهيم هؤلآء الأئمة من ولد علىّ وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهى بحقّ هؤلآء الخمسة إلّا عرّفتنى مَنِ التسعة؟

قيل: يا إبراهيم! أوّلهم على بن الحسين، وابنه محمد، وابنه جعفر، وابنه موسى، وابنه علىّ، وابنه محمّد، وابنه علىّ، وابنه الحسن، والحجة القآئم إبنه عليهم صلوات الله. فقال إبراهيم: إلهى وسيّدى أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصى عددهم إلّا أنت؟ قيل: يا ابراهيم! هؤلاء شيعتهم شيعة أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟ قال: بصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والقنوت قبل الركوع، والتختّم فى اليمين، فعند ذلك قال إبراهيم عليه السلام: اللهم اجعلنى من شيعة اميرالمؤمنين قال: فأخبر الله تعالى فى كتابه، فقال: «وإن من شيعته لإبراهيم».

تنبيه: فاذا كان إبراهيم عليه السلام من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام فيكون أفضل منه لأن المتبوع أفضل من التابع، وهذا لا يحتاج إلى بيان ولا إلى دليل وبرهان، وممّا يدل على أن إبراهيم وجميع الأنبياء والرسل من شيعة أهل البيت عليهم السلام ماروى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس إلّا الله ورسوله و نحن وشيعتنا و الباقى في النّار» فتعيّن أن جميع أهل الايمان من الأنبيآء والرّسل وأتباعهم من شيعتهم، ولقول النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو اجتمع الخلق على حبّ علىّ لم يخلق الله النار» فافهم ذلك. انتهى كلامه ورفع مقامه.

أقول: وقد أوردنا روايات كثيرة عن الفريقين فى هذا التفسير: أن الأنبيآء والمرسلين كلهم صلوات الله عليهم أجمعين كانوا على ولاية الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وسيأتى البحث مستقصىً فى كونهم شيعة أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله فى هذه السورة إن شاء الله تعالى فانتظر.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «بقلب سليم» قال: القلب السليم الذى يلقى الله عزوجل وليس فيه أحد سواه. وفيه قال: القلب السليم من الشك. وفى رواية: «لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه» وقد قال مولى الموحدين امام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «طوبى لقلب سليم أطاع مَن يهديه وتجنّب من يرديه».

وفى معانى الأخبار: باسناده إلى صالح بن سعيد عن رجل من أصحابنا عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قوله تعالى: «انى سقيم»؟ فقال: ما كان ابراهيم سقيماً وما كذب إنّما عنى سقيماً فى دينه مرتاداً.

وفى اصول الكافى: على بن محمد رفعه عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: «فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم» قال: حسب فراى ما يحل بالحسين عليه السلام فقال: إنى سقيم لما يحل بالحسين عليه السلام.

وفى روضة الكافى: باسناده عن حجر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال أبوجعفر عليه السلام: عاب آلهتهم «فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم» قال أبوجعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب.

وفى معانى الأخبار: وفى رواية: أنّه عنى: إنى سقيم بما يفعل بالحسين بن على عليه السلام.

وفى نور الثقلين: وقد روى أنه عنى بقوله: «انى سقيم» أى ساسقم وكل ميت سقيم وقد قال الله عزوجل لنبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم: انك ميّت أى ستموت.

وفيه: باسناده عن سماعة عن أبى بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «التقية من دين الله قلت: من دين الله؟ قال: اى والله من دين الله ولقد قال يوسف: «أيّتها العير انكم لسارقون» والله ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال إبراهيم: «إنى سقيم» والله ما كان سقيماً».

وفيه: بالاسناد عن أبى بصير قال: قيل لأبى جعفر عليه السلام وأنا عنده: ان سالم بن أبى حفصة وأصحابه يروون عنك انك تكلم على سبعين وجهاً لك منها

المخرج؟ فقال: ما يريد سالم منّى أيريد أن أجيئ بالملآئكة، والله ما جآئت بهذا النبيّون، ولقد قال إبراهيم عليه السلام: «إنّى سقيم» وما كان سقيماً وما كذب ولقد قال إبراهيم: «بل فعله كبيرهم» وما فعله كبيرهم وما كذب، ولقد قال يوسف: «أيّتها العير إنكم لسارقون» والله ما كانوا سرقوا وما كذب».

وفى البحار: مثله نقلاً عن العياشى ورجال الكشى ثم قال:

بيان: «لمّا كان سبب هذا الاعتراض عدم إذعان سالم بامامته عليه السلام إذ بعد الإذعان بها يجب التسليم فى كل ما يصدر عنهم عليهم السلام ـ ذكر الإمام عليه السلام أوّلاً أن سالماً أىّ شئ يريد منّى من البرهان حتّى يرجع إلى الإذعان؟ فان كان يكفى فى ذلك إلقآء البراهين والحجج وإظهار المعجزات فقد سمع وشاهد فوق ما يكفى لذلك، وإن كان يريد أن أجيئ بالملآئكة ليشاهدهم ويشهدوا على صدق، فهذا ممّا لم يأت به النبيّون أيضاً، ثم رجع عليه السلام إلى تصحيح خصوص هذا الكلام بأنّ المراد إلقآء معاريض الكلام على وجه التقيّة والمصلحة، وليس هذا بكذب وقد صدر مثله عن الأنبياء عليهم السلام».

وفى الاحتجاج: وروى انه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل فى قصّة إبراهيم عليه السلام: «قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون» قال: ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم عليه السلام قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إنّما قال إبراهيم: فاسئلوهم إن كانوا ينطقون، فان نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام فسئل عن قوله فى سورة يوسف: «أيتها العير انكم لسارقون»؟ قال: انهم سرقوا يوسف من أبيه ألا ترى أنه قال لهم: «قالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك».

ولم يقل: سرقتم صواع الملك، إنما سرقوا يوسف من أبيه. فُسئِلَ عن قول إبراهيم عليه السلام: «فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم» قال: ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب إنّما عنى سقيماً فى دينه أى مرتاداً».

وفى البحار: ـ فى باب ما ورد فى أصناف آيات القرآن ـ عن الصادق جعفر بن

محمد عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ قال: وأما الرّدّ على عبدة الأصنام والأوثان فقوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم فى الإحتجاج عن أبيه: «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً» وقوله حين كسر الأصنام فقالوا له: مَن كسرها؟ «ومن فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ـ إلى قوله ـ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» ولمّا جآء قالوا له: «أ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلآء ينطقون» قال: «أفتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» فلما انقطعت حجتهم «قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين» إلى آخر القصص، فقال الله تعالى: «يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم».

وفى تفسير القمى: باسناده عن ابن عباس فى قوله: «وإذ الجحيم سعّرت» يريد أُوقدت للكافرين، والجحيم النار الأعلى من جهنم، والجحيم فى كلام العرب ما عظم من النار كقوله عزوجل: «ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم» يريد النار العظيمة».

وفى الكافى: باسناده عن ابراهيم بن أبى زياد الكرخى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ: فاخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة وقال لهم: «انى ذاهب إلى ربى سيهدين» يعنى إلى بيت المقدس...» الخبر.

وفى البحار: بالاسناد عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ قال: وأما ابراهيم فنبوّته بكوثى ربا وهى قرية من قرى السواد فيها مبدأ أوّل أمره، ثم هاجر منها وليست بهجرة قتال، وذلك قوله تعالى: «وقال انى مهاجر إلى ربى سيهدين» فكانت هجرة إبراهيم عليه السلام بغير قتال...» الحديث.

وفى التوحيد: باسناده عن زيد بن علىّ قال: سئلت أبى سيد العابدين عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ قلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إرجع إلى ربك»؟

فقال: معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: «إنى ذاهب إلى ربى سيهدين»

وفيه: قال أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى حديث طويل بمن زعم أن فى القرآن تناقضاً ـ: وقد أعلمتك أنّ رُبّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه كلام البشر وسأُنبئك بطرف منه فتكتفى إن شآء الله من ذلك قول إبراهيم عليه السلام: «إنى ذاهب إلى ربى سيهدين» فذهابه إلى ربه توجّهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله جل وعزّ ألا ترى أن تاويله غير تنزيله... الحديث.

وفى عيون الأخبار: باسناده عن على بن الحسين بن على بن فضّال عن أبيه قال: سئلت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليهما السلام عن معنى قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا ابن الذبيحين؟ قال: يعنى اسمعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وعبدالله بن عبدالمطلب، أما اسمعيل فهو الغلام الحليم الذى بشّر الله به إبراهيم: «فلمّا بلغ معه السعى» وهو لمّا عمل مثل عمله: «قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذاترى قال يا أبت افعل ما تؤمر» ولم يقل: يا أبت افعل ما رأيت ستجدنى إن شآء الله من الصابرين فلمّا عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل فى سواد ويشرب فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد ويبرك فى سواد ويبعر فى سواد، وكان يرتع قبل ذلك فى رياض الجنّة أربعين عاماً، وما خرج من رحم انثى، وإنما قال الله له عزوجل: «كن فيكون».

فكان ليفدى به اسمعيل فكل ما يذبح فى منى فهو فدية لاسمعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين، وأما الآخر: فان عبدالمطلب كان تعلّق بحلقة باب الكعبة ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عزوجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلمّا بلغوا عشرة قال: قدوفى الله لي فلا وفين لله عزوجل فادخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم، فخرج سهم عبدالله أبى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان أحبّ ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبدالله ثم أجالها ثالثة، فخرج سهم عبدالله فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نسآء عبدالمطلب يبكين ويصحن، فقالت له إبنته عاتكة:

يا أبتاه اغدر فيما بينك وبين الله عزوجل فى قتل ابنك؟ قال: وكيف اغدر يا بنية فانك مباركة؟ قالت: اعمد إلى تلك السوائم التى فى الحرم، فاضرب بالقداح على ابنك وعلى إبلك واعط ربك حتى يرضى، فبعث عبدالمطلب إلى إبله، فاحضرها واعزل منها عشراً وضرب بالسهام، فخرج سهم عبدالله فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مأة فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة، فقال عبدالمطلب: لا حتى اضرب بالقداح ثلاث مرّات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلمّا كانت فى الثلاثة إجتذ به الزبير وأبوطالب وإخوانهما من تحت رجليه، فحملوه وقد انسلخت جلدة خدّه التى كانت على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب، فأمر عبدالمطلب أن تنحر الإبل بالحزورة ولا يمنع أحد منها، وكانت مأة فكانت لعبدالمطلب خمس من السنن أجراها الله عزوجل فى الإسلام:

حرّم نسآء الآبآء على الأبنآء، وسنّ الدية فى القتل مأة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمى زمزم حين حفرها سقاية الحاجّ، ولولا أن عمل عبدالمطلب كان حجة، وان عزمه كان على ذبح ابنه عبدالله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه اسمعيل لما افتخر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان فى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انا ابن الذبيحين والعلّة التى من أجلها دفع الله عزوجل الذبح عن اسمعيل هى العلّة التى من أجلها دفع الذبح عن عبدالله وهى كون النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم فى صلبيهما، فببركة النبى صلّى الله عليه واله وسلّم والأئمة عليهم السّلام دفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنّة فى الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كل اضحى التقرّب إلى الله تعالى بقتل أولادهم، وكل ما يتقرّب الناس به إلى الله عزوجل من اضحية فهو فدآء لاسمعيل عليه السلام إلى يوم القيامة».

وفى تفسير القمى: باسناده عن إبراهيم بن أبى زياد الكرخى قال: سمعت أبا

عبدالله عليه السلام يقول: إن إبراهيم كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها، وكانت امّه وام لوط صلى الله عليهما سارة وورقة (رقية خ) اختين وهما ابنتان للاحج، وكان اللاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً وكان ابراهيم عليه السلام فى شبيبته على الفطرة التى فطرالله عزوجل الخلق عليها حتّى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه وانه تزوّج سارة ابنة لاحج (ابنة ابنة لاحج ظ) وهى ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة، وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثى ربا رجل أحسن حالاً منه، وإن إبراهيم عليه السلام لمّا كسر أصنام نمرود، أمر به نمرود فأوثق وعمل له حيراً، وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار.

ثم قذف ابراهيم عليه السلام فى النار لتحرقه ثم اعتزلوها حتى خمدت النار ثم اشرفوا على الحير فاذاهم بابراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيم من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بما شيته وماله، فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك، فقال: إن أخذتم ما شيتى ومالى فان حق عليكم أن تردّوا علىّ ما ذهب من عمرى فى بلادكم، واختصموا إلى قاضى نمرود فقضى على ابراهيم أن يسلم إليهم جميع ما أصاب فى بلادهم وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره فى بلادهم.

فأخبر ذلك نمرود فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ما شيته وماله أن يخرجوه، وقال: إنه إن بقى فى بلادكم أفسد دينكم وأضرّ بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه عليهما السلام من بلادهم إلى الشام فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة وقال لهم: «إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين» يعنى بيت المقدس فتحمل إبراهيم عليه السلام بما شيته وماله وعمل تابوتاً، وجعل فيه سارة وشدّ عليها الأغلاق غيرة منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له: عرارة فمرّ بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلمّا انتهى إلى العاشر ومعه التابوت قال العاشر لإبراهيم: إفتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه، فقال له إبراهيم:

قل ما شئت فيه من ذهب أو فضّة حتى نعطى عشرة ولا تفتحه، قال: فأبى العاشر إلّا فتحه قال: وغضب إبراهيم على فتحه.

فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال ابراهيم: هي حرمتي وابنة خالتى، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها فى هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به. فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إنى لست أفارق التابوت حتى تفارق روحى جسدى، فأخبروا الملك بذلك فأرسلوا الملك ان احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: افتح التابوت، فقال له ابراهيم: أيها الملك ان فيه حرمتي وبنت خالتى وأنا مفتد فتحه بجميع ما معى.

قال: فغضب الملك إبراهيم على فتحه، فلما رآى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعن الملك غيرة منه، وقال: اللهمّ احبس يده عن حرمتي وابنة خالتى فلم تصل يده إليها، ولم ترجع إليه، فقال له الملك: إن إلهك هو الذى فعل بى هذا؟ فقال له: نعم إن إلهى غيور يكره الحرام، وهو الذى حال بينك وبين ما أردت من الحرام، فقال له الملك: فادع إلهك يردّ علىّ يدى، فان أجابك فلم أعرض لها، فقال إبراهيم عليه السلام: إلهى ردّ عليه يده ليكفّ عن حرمتي، قال فردّ الله عزوجل عليه يده، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم عاد بيده نحوها، فأعرض إبراهيم عنه بوجهه غيرة منه وقال:

اللهمّ احبس يده عنها، قال: فيبست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لابراهيم: إن إلهك لغيور وانك لغيور، فادع إلهك يردّ علىّ يدى فانه إن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسئله ذلك على أنك إن عدت لم تسئلنى أن أسئله؟ فقال له الملك: نعم فقال إبراهيم: اللهمّ إن كان صادقاً فردّ عليه يده، فرجعت إليه يده،

فلمّا رآى ذلك الملك من الغيرة ما رآى الآية فى يده عظم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشئ مما معك، فانطلق حيث شئت، ولكن لى إليك حاجة، فقال له إبراهيم عليه السلام: ما هى؟ فقال له: احب أن تأذن لى أن أخدمها قبطية عندى جميلة عاقلة تكون لها خادماً (خادمة خ) قال: فأذن له إبراهيم فدعا بها فوهبها لسارة وهى هاجر امّ اسمعيل عليه السلام فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشى خلف إبراهيم اعظاماً لإبراهيم وهيبة له.

فأوحى الله عزوجل إلى إبراهيم: أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلّط ويمشى هو خلفك، ولكن إجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فانه مسلّط ولابدّ من امرة فى الأرض برّة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: امض فان إلهى أوحى إلىّ الساعة أن أعظمك واهابك وأن اقدمك أمامى وأمشى خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم: نعم، قال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حليم كريم وانك ترغبنى فى دينك، وودّعه الملك، فسار إبراهيم حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوطاً فى أدنى الشامات، ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطى عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتينى هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة فولدت اسمعيل عليه السلام.

قوله عليه السلام: «بكوثى ربا» ـ كطوبى ـ: موضع بالعراق وبها ولد إبراهيم عليه السلام وفى بعض النسخ: «وكانت إمرأة إبراهيم وإمرأة لوط» بدل: «وكانت امّه وام لوط سارة وورقة» وقوله عليه السلام: «فى شبيبته»: فى حداثته وقوله عليه السلام: «حيراً» الحير: شبه الحظيرة و «عاشر» أى ملتزم بأخذ العشر.

وفى تفسير البرهان: بالاسناد عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سئلته عن قول الله عزوجل: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات» فذكر عليه السلام ما ابتلى به إبراهيم عليه السلام فقال عليه السلام: ومنها المعرفة بقدم بارئه وتوحيده وتنزيهه عن التشبيه حين نظر إلى الكواكب والقمر والشمس،

فاستدل بافول كل واحد منها على حدوثه، وبحدوثه على محدثه، ثم علمه عليه السلام بأن الحكم بالنجوم خطأ فى قوله عزوجل: «فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم» وإنّما قيّده سبحانه بالنظرة لأن النظرة الواحدة لا توجب الخطأ إلّا من بعد النظرة الثانية بدلالة قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لما قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: أوّل النظرة لك والثانية عليك لا لك.

وفى كتاب التوحيد: عن مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى حديث طويل يقول فيه وقد سئله رجل عما اشتبه عليه من الآيات ـ: «وقد أعلمتك أن ربّ شئ من كتاب الله عزوجل تأويله غير تنزيله، ولا يشبه كلام البشر، وسأنبئك بطرف منه فتكتفى إن شآء الله من ذلك قول إبراهيم عليه السلام: «إنى ذاهب إلى ربّى سيهدين» فذهابه إلى ربه بوجهه إليه عبادة وإجتهاداً وقربةً إلى الله عزوجل، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله؟»

وفى البرهان: بالاسناد عن داود بن كثير الرقى قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: أيّهما كان أكبر اسمعيل أو اسحق؟ وأيّهما كان الذبيح؟ فقال: اسمعيل كان أكبر من اسحق بخمس سنين وكان الذبيح اسمعيل، وكان مكّة منزل اسمعيل، وإنما أراد ابراهيم أن يذبح اسمعيل أيام الموسم بمنى قال: وكان بين بشارة الله ابراهيم باسمعيل، وبين بشارته باسحق خمس سنين أما تسمع لقول إبراهيم حيث يقول: «رب هب لى من الصالحين» إنّما سئل الله عزوجل أن يرزقه غلاماً من الصالحين وقال فى سورة «الصافات»: «فبشّرناه بغلام حليم» يعنى اسمعيل من هاجر قال: ففدى اسمعيل بكبش عظيم، فقال أبوعبدالله عليه السلام: «وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق» يعنى بذلك اسمعيل قبل البشارة باسحق، فمن زعم أنّ اسحق أكبر من اسمعيل، وان الذبيح اسحق فقد كذب بما أنزل الله عزوجل فى القرآن من نبأهما.

وفى المجمع: وروى العياشى باسناده عن يزيد بن معاوية العجلى قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: كم كان بين بشارة إبراهيم باسمعيل عليه السلام وبين بشارته

باسحق؟ قال: كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه: «فبشّرناه بغلام حليم» يعنى اسمعيل وهى أوّل بشارة بشّرالله بها إبراهيم فى الولد ولمّا ولد لابراهيم اسحق من سارة وبلغ اسحق ثلاث سنين، أقبل اسمعيل إلى اسحق وهو فى حجر إبراهيم فنحاه وجلس فى مجلسه، فبصرت به سارة، فقالت: يا ابراهيم ينحى ابن هاجر ابنى من حجرك ويجلس هو مكانه لا والله لا تجاورنى هاجر وابنها أبداً فنحهما عنّى، وكان إبراهيم مكرماً لسارة يعزّها ويعرف حقها، وذلك لأنها كانت من ولد الأنبيآء وبنت خالته.

فشقّ ذلك على إبراهيم واغتم لفراق اسمعيل، فلمّا كان فى الليل أتى إبراهيم آتٍ من ربه فأراه الرؤيا فى ذبح ابنه اسمعيل بموسم مكة، فأصبح ابراهيم حزيناً للرؤيا التى رآها، فلمّا حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجرو اسمعيل فى ذى الحجّة من أرض الشام فانطلق بها إلى مكة ليذبحه فى الموسم، فبدأ بقواعد البيت الحرام، فلمّا رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى، ورجع إلى مكة، فطاف بالبيت أسبوعاً ثم انطلقا، فلمّا صارا فى السعى قال ابراهيم لاسمعيل: يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنّى أذبحك فى الموسم عامى هذا، فماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر فلمّا فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى، وذلك يوم النحر، فلمّا انتهى إلى الجمرة الوسطى وأضجعه بجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودى: «أن يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا ...» إلى آخره، وفدى اسمعيل بكبش عظيم، فذبحه وتصدّق بلحمه على المساكين. وفيه: وروى أنه قال: أذبحنى وأنا ساجد لا تنظر إلى وجهى فعسى أن ترحمنى فلا تذبحنى.

وفى عيون الأخبار: باسناده عن الفضل قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لمّا أمرالله عزوجل ابراهيم عليه السلام أن يذبح مكان إبنه اسمعيل الكبش الذى أنزله عليه تمنّى إبراهيم ان يكون قد ذبح ابنه اسمعيل بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذى يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصآئب.

فأوحى الله عزوجل إليه: يا ابراهيم من أحبّ خلق إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد، فاوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدى أعدآئه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتى؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدى أعدائه أوجع لقلبى.

قال: يا ابراهيم فان طائفة تزعم أنها من امّة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطى، فجزع ابراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكى، فأوحى الله عزوجل: يا ابراهيم قد فديت جزعك على ابنك اسمعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصآئب، وذلك قول الله عزوجل: «وفديناه بذبح عظيم».

وفى تفسير القمي: باسناده عن عبدالملك بن هارون عن أبى عبدالله عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم قال: سئل ملك الروم الحسن بن علىّ عليه السلام عن سبعة أشيآء خلقها الله لم تركض فى رحم فقال عليه السلام: أوّل هذا آدم، ثم حوّآء، ثم كبش إبراهيم، ثم ناقة الله، ثم إبليس الملعون، ثم الحيّة، ثم الغراب التى ذكرها الله في القرآن.

وفى قرب الأسناد: محمد بن عبدالحميد عن الحسن بن علىّ بن فضّال قال: سئل الحسين بن أسباط أباالحسن الرضا عليه السلام - وأنا أسمع - عن الذبيح إسمعيل أو اسحق؟ فقال: اسمعيل أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: «وبشّرناه باسحق».

وفى علل الشرائع: سئل الشامىّ أميرالمؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا فى رحم فقال: آدم، وحوّاء وكبش إبراهيم، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفّاش الذى عمله عيسى بن مريم فطار باذن الله عزوجل.

وفيه: باسناده عن أبان ابن عثمان قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: كيف صار الطحّال حراماً وهو من الذبيحة؟ فقال: إن إبراهيم عليه السلام هبط عليه

الكبش من ثبير ـ وهو جبل بمكة ـ ليذبحه أتاه إبليس فقال له: أعطني نصيبي من هذا الكبش، قال: وأيّ نصيب لك وهو قربان لربّي وفدآء لابني؟ فأوحى الله عزوجل إليه: إنّ له فيه نصيباً وهو الطحال، لأنه مجمع الدّم، وحرّم الخصيتان لأنهما موضع للنكاح ومجرى للنطفة، فأعطاه إبراهيم عليه السلام الطحال والأُنثيين وهما الخصيتان، قال: فقلت: فكيف حرّم النخاع؟ قال: لأنه موضع المآء الدافع من كل ذكر وانثى وهو المخّ الطويل الذى يكون فى قفار الظهر.

وفى فروع الكافى: على بن محمد عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه أظنّه محمد بن اسمعيل عن الرضا عليه السلام قال: لو خلق الله مضغة هى أطيب من الضأن لفدى بها إسمعيل عليه السلام.

وفى التوحيد: روى ان الصادق عليه السلام قال: ما بد الله بداءً كما بداله فى إسمعيل إذ أمر أباه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم.

وفيه: باسناده عن فتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن عليه السلام ـ فى حديث طويل قال عليه السلام ـ: يا فتح إن لله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشآء ذلك ويأمر وهو لا يشآء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو يشآء ذلك، ولولم يشأ يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله، وأمر إبراهيم بذبح إبنه اسمعيل عليهما السلام، وشآء أن لا يذبحه، ولولم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عزوجل، قلت: فرجت عنّى فرج الله عنك.

أقول: وقد كان النهى عن أكل الشجرة والأمر بالذبح كلاهما إمتحانين لآدم وحوآء، ولإبراهيم وإسمعيل عليهم صلوات الله بلا مرآء ولاخفآءٍ على ما صرّحت به الآيات الكريمة والروايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، فلو لم يأكل آدم وحواء من تلك الشجرة المنهيّة لما كان وجه لاخراجهما من الجنة، ولما ظهرت عداوة الشيطان للانسان، وما كان للأرض أهل ولانبيّ ولا رسول ولا وصىّ ولا إنسان ولا حيوان... وقد خلق الله عزوجل الأرض والسمآء وما بينهما للانسان قبل أن يخلق آدم وحوآء، ولو لا النبى الكريم صلّى الله عليه وآله

وسلّم لما خلق الله تعالى الأفلاك ... فكانت الأرض بلا ساكن ... وكيف يفعل إبراهيم عليه السلام ما أُمِـرَبه ورسول الله والأئمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين فى صلب إسمعيل عليه السلام ؟؟؟ فتأمل جيّداً واغتنم جداً فان المقام مزلّ الأقدام...

وفى مهج الدعوات: ـ فى دعآء مرويّ عن الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام عن النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «يا مَن فدى إسمعيل من الذبح».

وفى مفاتيح الجنان: ـ فى دعآء سبط المصطفى سيد الشهدآء الحسين بن على عليهم صلوات الله يوم عرفة ـ: «يا كاشف الضّرّ والبلوى عن أيّوب وممسك يدى إبراهيم عن ذبح ابنه بعد كبر سنّه وفنآء عمره...»

وعن الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن الذبيح مَن كان؟ فقال: إسمعيل لأن الله تعالى ذكر قصّته فى كتابه ثم قال: «وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين».

وفى المجمع: عن ابن اسحق أن إبراهيم كان إذا زار إسمعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعى رآى فى المنام أن يذبحه (أنّه يذبحه خ) فقال له: يا بنّىّ خذ الحبل والمدية ـ السكّين ـ ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلمّا خلا إبراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما قد ذكره الله عنه، فقال: يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنّى ثيابك حتى لا ينتضح من دمى شيئاً فيراه امّى واشحذ شفرتك وأسرع مرّ السكّين على حلقى ليكون أهون علىّ فان الموت شديد، فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بنىّ على أمر الله ـ إلى أن قال ـ: ثم انحنى إليه بالمدية وقلّب جبرائيل المدية على قفاها واجترّ الكبش من قبل ثبير واجترّ الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام، ونودى من ميسرة مسجد الخيف: يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا.

أقول: ان الآيات الكريمة بسياقها ظاهرة بل صريحة، وتصرح الروايات الصحيحة الكثيرة على أن الذبيح هو اسمعيل ابن إبراهيم عليهما صلوات الله، ولا خفآء على مَن

له أدنى تدبّر فى الآيات والروايات فضلاً عن المتدبرين فيها فتدبّر جيداً ولا تغفل.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «أتدعون بعلاً» قال: كان لهم صنم يسمّونه بعلاً. وسئل رجل أعرابياً من ناقة واقفة، فقال: لمن هذه الناقة الواقفة؟ فقال الأعرابى: أنا بعلها. وسمّى الرب بعلاً. وفى قوله تعالى: «وتركنا عليه فى الآخرين» قال: هم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

١٣٠ ــ (سلام على إل ياسين)

فى شواهد التنزيل: للحاكم الحسكانى الحنفى قال: «سلام على آلِ ياسين»: وهو قراءة نافع وابن‌عامر ورويش وشيبة وأبى عامر.

وفيه: باسناده عن ابن‌عباس فى قوله: «سلام على آل ياسين» قال: على آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: باسناده عن الحارثى: على آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: باسناده عن كادح عن الصادق جعفر عن أبيه عن آبائه عن علىّ عليهم السلام فى قوله: «سلام على آل ياسين» قال: ياسين محمد ونحن آل ياسين.

وفيه: عن سليم بن قيس العامرى قال: سمعت علياً يقول: رسول الله ياسين ونحن آله.

وفيه: باسناده عن عبدالله بن عباس فى قول الله تعالى: «سلام على آل ياسين» يعنى على آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وياسين بالسريانية: يا إنسان يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: باسناده عن أبى مالك فى قوله: «سلام على آل ياسين» قال: هو محمد وآله أهل بيته.

وفى النور المشتعل: لأبى نعيم الإصبهانى باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى: «سلام على آل ياسين» قال: آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: رواه كثير من أعلام العامة وحملة آثارهم باختلاف يسير فى أسفارهم لا يسع مقام الإختصار بذكر جميعها فنشير إلى نبذة منها:

١ ـ الطبرانى فى (المعجم الكبير: ج ٣ الورق ١٠٨ ـ باب ما اسند ابن‌عباس).

٢ ـ الهيثمى فى (مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٤ ـ فى آخر باب فضل أهل البيت عليهم السلام).

٣ ـ ابن‌حجر الهيثمى فى (الصواعق المحرقة: ص ٧٦) قال عند ذكره الآيات النازلة فى أهل البيت عليهم السلام: الآية الثالثة قوله تعالى: «سلام على آل ياسين» فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن‌عباس أن المراد بذلك: سلام على آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذا قاله الكلبي.

٤ ـ القرطبي فى (الجامع لأحكام القرآن: ج ١٥ ص ١١٩ ط القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ) قال: إن المراد من الآية الشريفة آل محمد سلام الله عليهم أجمعين.

٥ ـ القرطبي فى (الجامع لأحكام القرآن: الجزء ٦١ ص ٥٥٦٣ ط دار الشعب بالقاهرة) قال الماوردى: وقرأ الحسن «سلام على ياسين» باسقاط الألف واللام وفيه وجهان: أحدهما أنهم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قاله ابن‌عباس. الثانى أنهم آل ياسين. فعلى هذا فى دخول الزيادة فى ياسين وجهان:

أحدهما ـ أنها زيدت لتساوى الآى كما قال فى موضع: «طور سينآء» وفى موضع آخر: «طور سينين» فعلى هذا السلام على أهله دونه، وتكون الإضافة إليه تشريفاً له. الثانى أنها دخلت للجمع فيكون داخلاً فى جملتهم، فيكون السلام عليه وعليهم، قال السهيلى: قال بعض المتكلمين فى معانى القرآن: آل ياسين آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٦ ـ أبوحيان الاندلسى فى تفسير (البحر المحيط: ج ٧ ص ٣٧٣ ط مطبعة السعادة بمصر).

٧ ـ الفخر الرازى فى تفسير (مفاتيح الغيب: ج ٢٦ ص ١٦٢ ط البهية بمصر) وقال: ان أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يساوونه فى خمسة أشيآء: **الأول:** فى السلام قال: السلام عليك أيّها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: «سلام على آل ياسين» **الثانى:** فى الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهم فى التشهد. **الثالث:**

فى الطهارة قال تعالى: «طه» أى يا طاهر. وقال: «ويطهّركم تطهيراً» الرابع: فى تحريم الصدقة. **الخامس:** فى المحبّة قال الله تعالى: «فاتبعونى يحببكم الله» آل‌عمران: ٣١) وقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى» الشورى: ٢٣).

٨ ـ ابن كثير دمشقى فى تفسيره: (ج ٤ ص ٢٠ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر)

٩ ـ السيوطى فى تفسير (الدر المنثور: ج ٥ ص ٢٨٦ ط مصر)

١٠ ـ محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضوى ص ٥٤ ط بمبئى بمطبعة المحمدى)

١١ ـ الشوكانى فى تفسير (فتح القدير: ج ٤ ص ٤٠٠ ط مصطفى محمد بمصر)

١٢ ـ محمود الآلوسى البغدادى فى تفسير (روح المعانى: ج ٢٣ ص ١٢٩ ط المنيرية بمصر)

١٣ ـ أبوبكر الحضرمى فى (رشفة الصادى: ص ٢٤ ط الاعلامية بمصر) وغيرهم من أعلام العامة وحملة أسفارهم...

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة فالأخبار عندنا مستفيضة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته فى تفسير الآية الكريمة: أن «آل ياسين» هم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين فنشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

١ ـ فى عيون الأخبار ـ باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام مع المأمون ـ فى حديث طويل ـ فقال أبوالحسن عليه السلام: نعم أخبرونى عن قول الله عزّوجل: «يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم» فمن عنى بقوله: «يس»؟

قالت العلمآء: يس محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يشك فيه أحد.

قال أبوالحسن عليه السلام: فان الله عزوجل أعطى محمداً وآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلّا مَن عقله، وذلك أن الله عزوجل لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبيآء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى:

«سلام على نوح فى العالمين» وقال: «سلام على إبراهيم» وقال: «سلام على موسى وهارون» ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عزوجل: «سلام على آل يس» يعنى آل محمد صلوات الله عليهم، فقال المأمون: لقد علمت أن فى معدن النبوة شرح هذا وبيانه».

٢ ـ فى معانى الأخبار باسناده إلى قادح عن الصادق جعفربن محمد عن أبيه عن آبائه عن علىّ عليهم السلام فى قول الله عزوجل: «سلام على آل ياسين» قال: يس محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن آل يس.

٣ ـ فى تأويل الآيات الظاهرة للسيد شرف الدين الاسترابادى بالاسناد عن سليمان بن قيس عن على عليه السلام قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إسمه ياسين، ونحن الذين قال الله: «سلام على آل ياسين».

٤ ـ وفيه بالاسناد عن عمربن الخطاب أنه كان يقرأ: «سلام على آل ياسين» قال: على آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٥ ـ فى تفسير القمى: قال: ثم ذكر عزوجل آل محمد صلوات الله عليهم فقال: «وتركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين» فقال: يس محمد وآل محمد الأئمة عليهم السلام.

٦ ـ فى جوامع الجامع: عن ابن عباس: آل يس آل محمد صلوات الله عليهم ويس إسم من أسمائه وقد مضى فى سورة الأحزاب عند قوله تعالى: «وسلّموا تسليماً» وفى أوّل سورة يس أخبار فى تسمية النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بيس ويؤيد هذه القراءة كونهما مفصولين فى مصحف إمامهم.

٧ ـ فى الإحتجاج: عن مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى الردّ على الزنديق المدّعى للتناقض فى القرآن ـ قال: وكذلك قوله: «سلام على آل يس» لأن الله سمّى النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا الاسم حيث قال: «يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين» لعلمه بأنهم يسقطون قول: «سلام

على آل محمد» كما أسقطوا غيره.

٨ ـ وفيه: وعن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميرى انه قال: خرج توقيع من الناحية المقدّسة حرسها الله تعالى بعد المسائل التى سئلها:

«بسم الله الرحمن الرحيم لا لأمرالله تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون «حكمة بالغة فما تغنى النذر عن قوم لا يؤمنون» السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: «سلام على آل يس» إلى آخره.

ولا يخفى على القارئ الخبير سليم القلب: أن الله عزوجل فضّل فى سورة «الصافات» جماعة مخصوصة من المرسلين إذ قال: «سلام على نوح فى العالمين ـ سلام على ابراهيم ـ سلام على موسى وهارون» ٧٩ و ١٠٩ و ١٢٠) ثم ختم السورة بتعميم السلام لجميع المرسلين، وخصّ أيضاً فى أثنآء ذلك آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «سلام على آل يس» تنبيهاً إلى شرف منزلتهم وأنّهم فى قرن المرسلين وعلى فضلهم وإمامتهم للامة المسلمة.

قال الرازى ـ فيما حكاه عنه ابن حجر فى الصواعق فى الآية الثالثة من الآيات النازلة فى أهل البيت عليهم صلوات الله ـ: «ان أهل بيته صلّى الله عليه وآله وسلّم يساوونه فى خمسة أشيآء: فى السلام قال: السلام عليك أيّها النبى وقال: سلام على آل يس وفى الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهم فى التشهد، وفى الطهارة قال تعالى: «طه» أى يا طاهر وقال: «ويطهّركم تطهيراً» وفى تحريم الصدقة وفى المحبّة قال تعالى: «فاتبعونى يحببكم الله» وقال: «لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى»».

أقول: ان الرازى ترك أونسي عمدة ما يساوونه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه: **منها** ـ أنهم حجج الله تعالى مثله صلّى الله عليه وآله وسلّم لكونهم عليهم صلوات الله خلفآئه الاثنى عشر من قريش. **ومنها** ـ المباهلة بهم معه صلّى الله عليه وآله وسلّم. **ومنها** ـ عصمتهم **ومنها** ـ العلم بما فى الكتاب ونحوه وغير ذلك من الفضائل الكثيرة التى

يشاركونه بها دون الامة.

أقول: وفيه دلالة على قراءة آل يس، وأن المراد بهم آل محمد صلوات الله عليهم. فلو جاء في القرآن الكريم: «سلام على آل محمد» بدل «سلام على آل ياسين» لأسقطه أعداؤهم كما أسقطوا أسمائهم في غير القرآن الكريم من الروايات الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهذا هو دأبهم حيث يسندون الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام إلى أبي هريرة وأنس بن مالك ومعاوية وعائشة والمغيرة بن شعبة وأضرابهم الكذّابين، ويأبون عن نقل الروايات عنهم عليهم صلوات الله عداوةً لهم، وهذا واضح لمن أدنى تدبر في مسانيدهم... فوا أسفاه من الحمية الجاهلية والانقلاب إلى الأعقاب الطاغية...

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي الربيع الشامي ـ في حديث ـ قال: فقلت ـ للصادق عليه السلام ـ: «فقوله عزوجل: «وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون»؟ قال عليه السلام: تمرّون عليهم في القرآن إذا قرأتم القرآن، تقرأ ما قصّ الله عزوجل عليكم من خبرهم».

وفي تحف العقول: في وصيّة الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم ـ في حديث طويل ـ قال: «يا هشام! ثم خوّف الذين لا يعقلون عذابه فقال: «ثم دمّرنا الآخرين وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون»».

وفي الفقيه: وقال الصادق عليه السلام: «ما تنازع قوم ففوّضوا أمرهم إلى الله عزوجل إلّا خرج سهم المحق، وقال: أي قضيّة أعدل من القرعة إذا فوّض الأمر إلى الله؟ أليس الله يقول: «فساهم فكان من المدحضين»».

وفي فروع الكافي: باسناده عن ثعلبة بن ميمون عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل عن مولود ليس بذكر ولا انثى ليس له إلّا دبر كيف يورّث؟ قال: يجلس الإمام ويجلس عنده (معه) ناس من المسلمين فيدعوالله وتجال السهام عليه على أيّ ميراث يورث على ميراث الذكر أو ميراث الانثى، فأيّ ذلك خرج عليه ورّثه، ثم قال: وأيّ قضيّة أعدل من قضيّة تجال عليها السهام يقول الله

تعالى: «فساهم فكان من المدحضين» وقال: مامن أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل فى كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال».

وفى تفسير القمى: باسناده عن ابن أبى‌عمير عن جميل قال: قال أبوعبدالله عليه‌السلام: «ما ردّالله العذاب إلّا عن قوم يونس ـ إلى أن قال عليه‌السلام ـ: فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً لله كما حكى الله حتى انتهى إلى ساحل البحر، فاذاً سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها فسئلهم يونس أن يحملوه، فحملوه فلمّا توسطوا البحر بعث‌الله حوتاً عظيماً، فجلس عليهم السفينة، فنظر إليه يونس ففزع منه، فصار إلى مؤخّر السفينة، فدار إليه الحوت وفتح فاه، فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاصٍ فتساهموا فخرج سهم يونس وهو قول الله عزوجل: «فساهم فكان من المدحضين» فأخرجوه فألقوه فى‌البحر فالتقمه ومرّ به فى‌المآء».

وفى تفسير العياشى: عن الثمالى عن أبى‌جعفر عليه‌السلام قال: إن يونس لمّا آذاه قومه ـ وذكر حديثاً طويلاً. إلى أن قال ـ: وخرج كما قال الله تعالى: «مغاضباً» حتى ركب سفينة فيها رجلان، فاضطربت السفينة فقال الملاّح: يا قوم! إن فى سفينتى مطلوب، فقال يونس: أنا هو وقام ليلقى نفسه فأبصر السمكة، وقد فتحت فاها، فهابها وتعلّق به الرجلان وقالا له: أنت ويحك ونحن رجلان؟ فساهم فوقعت السهام عليه، فجرت السنة بأن السهام إذا كانت ثلاث مرّات أنها لا تخطى فألقى نفسه فالتقمه الحوت، فطاف به البحار السبعة حتى صار إلى البحر المسجور، وبه يعذب قارون.

وفى الخصال: ـ فى سئوال بعض اليهود علياً عليه‌السلام عن الواحد إلى المأة قال له اليهودى ـ: فما نفس فى نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟ قال: ذلك يونس فى بطن الحوت، قال له: فما قبر طاف بصاحبه؟ قال: يونس حين طاف به‌الحوت فى سبعة أبحر.

وفى عيون‌الأخبار: ـ فى باب ما جآء عن‌الرضا عليه‌السلام من خبر الشامى وما سئل عنه أميرالمؤمنين عليه‌السلام فى جامع الكوفة وفيه ـ: وسئله عن سجن سار

بصاحبه؟ فقال: الحوت سار بيونس بن متى. **وفى تفسير القمى:** فى قوله تعالى: «فكان من المدحضين» أى من المغوصين.

وفى تفسير البرهان: عن أبى جعفر عليه السلام قال: أوّل مَن سُوهِمَ عليه مريم ابنة (بنت خ) عمران ـ إلى أن قال ـ ثم استوهموا فى يونس لما ركب مع القوم، فوقعت (فوقفت خ) السفينة فى اللّجة فاستوهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرّات، قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة، فاذاً الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه... الحديث.

وفى نور الثقلين: «وقد سئل بعض اليهود أميرالمؤمنين عليه السلام عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه فقال: يا يهودى! أمّا السجن الذى طاف أقطار الأرض بصاحبه فانه الحوت الذى حبس يونس فى بطنه، فدخل فى بحر القلزم، ثم خرج إلى بحر مصر، ثم دخل بحر طبرستان ثم خرج فى دجلة الغورآء قال: ثم مرّت به تحت الأرض حتى لحقت بقارون، وكان قارون هلك أيام موسى ووكل الله به ملكاً يدخله فى الأرض كل يوم قامة رجل، وكان يونس فى بطن الحوت يسبح الله ويستغفره... الحديث.

وفيه: عن الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ قال: وامر الله الحوت أن يلفظه فلفظه على ساحل البحر، وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهى الدباء فاظلته من الشمس، ثم أمرالله الشجرة فتنحت عنه ووقعت الشمس عليه، فجزع فأوحى الله إليه: يا يونس! لِمَ لَمْ ترحم مأة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من تألّم ساعة؟ فقال: يا رب عفوك عفوك، فردّالله عليه بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به.

وفى روضة الكافى: ـ فى رسالة أبى جعفر عليه السلام إلى سعد الخير يقول عليه السلام ـ: «إن النبى من الأنبيآء كان يستكمل الطاعة، ثم يعصى الله تبارك وتعالى فى الباب الواحد فيخرج به من الجنة، وينبذ به فى بطن الحوت، ثم لا ينجيه إلّا الإعتراف والتوبة».

وفى بصآئر الدرجات: بالاسناد عن حبّة العرنى قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

-«إن الله عرض ولايتي على أهل السموات وعلى أهل الأرض أقرّها من أقرّ وأنكرها مَن أنكر، أنكرها يونس، فحبسه الله في بطن الحوت حتّى أقرّها».

أقول: ولا يبعد أن يكون المراد بالولاية -على ما قيل-: هي الولاية الكلّيّة الإلهية التي هو عليه السلام أوّل مَن فتح بابها قبل خلق الكون ونواميس الوجود، وقد كانت الأنبياء والمرسلون عليهم السلام كلهم عليها وهي قيامه جل وعلا مقام عبده في تدبير أمره، فلا يتوجّه العبد إلّا إليه ولا يريد إلّا ما أراده وذلك بسلوك طريق العبودية التي تنتهي بالعبد إلى أن يخلصه الله جل وعلا لنفسه فلا يشاركه فيه غيره. وكان ظاهر ما أتى به يونس عليه السلام مما لا يرتضيه الله تعالى فلم يكن قابلاً للانتساب إلى إرادته فابتلاه الله بما ابتلاه ليعترف بظلمه على نفسه، وأنّه تعالى منزّه عن إرادة مثله، فالبلايا والمحن التي يبتلى بها الأولياء من التربية الإلهية التي يربّيهم بها ويكمّلهم ويرفع درجاتهم بسببها، وإن كان بعضها من جهة اخرى مؤاخذة ذات عتاب، وقد قيل: البلآء للولآء.

ويؤيّد ذلك ما عن العلل باسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لأيّ علّة صرف الله العذاب عن قوم يونس، وقد أظلّهم ولم يفعل ذلك بغيرهم من الامم؟ فقال: لأنّه كان في علم الله أنه سيصرفه عنهم لتوبتهم، وإنما ترك إخبار يونس بذلك لأنه أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت، فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته.

وفي المجمع: وروى ابن مسعود قال: خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش، فاستظلّ بالشجرة من الشمس.

وفي الدر المنثور: وأخرج الديلمي عن الحسن بن علي عليه السلام رفعه: «كلوا اليقطين فلو علم الله عزوجل شجرة أخف منها لأنبتها على يونس عليه السلام وإذا اتخذ أحدكم مرقاً فليكثر فيه من الدبّاء فانه يزيد في الدماغ وفي العقل».

وفي اصول الكافي: باسناده عن هشام بن سالم ودرست بن أبي منصور قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الأنبيآء والمرسلون على أربع طبقات، فنبيّ منبأ في نفسه لا

يعدو غيرها، ونبىّ يرى فى النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه فى اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه امام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام، ونبىّ يرى فى منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد ارسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس، قال الله ليونس: «وأرسلناه إلى مأة ألف أو يزيدون» قال: يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام... الحديث.

١٤٩ ــ (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون)

فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون» قال: قالت قريش: إن الملائكة هم بنات الله، فردّ الله عليهم فقال: «فاستفتهم...» إلى قوله تعالى: «سلطان مبين» أى حجة قوية على ما يزعمون. وقوله: «وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً» يعنى انهم قالوا: إن الجن بنات الله، فردّ الله عليهم بقوله: «ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون» يعنى فى النار.

وفيه: وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: «وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين لكنّا عباد الله المخلصين» فهم كفّار قريش كانوا يقولون: لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين لكنّا عبادالله المخلصين قاتل الله اليهود والنصارى كيف كذبوا أنبيآئهم أما والله لو كان عندنا ذكراً من الأوّلين لكنّا عبادالله المخلصين، فكفروا به حين جآئهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول الله: «فسوف يعلمون» فقال جبرئيل: يا محمد: «إنا لنحن الصافّون وإنا لنحن المسبّحون».

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «ثم فتق ما بين السموات العُلىٰ، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون ومسبّحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان...» الخطبة الاولى.

وفى كنز الفوائد: بالاسناد عن الربيع بن عبدالله الهاشمى عن أشياخ من آل

محمد عن على بن أبيطالب (عن أشياخ من آل علىّ خ) عليه السلام قالوا: قال علىّ عليه السلام - فى بعض خطبه -: إنا آل محمد كنّا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح، فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ثم أهبطنا إلى الأرض، فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت أهل الأرض بتسبيحنا فانا لنحن الصافّون وإنا نحن المسبّحون».

وفيه: سئل إبن مهران، عبدالله بن العباس عن تفسير قوله تعالى: «إنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون» فقال ابن عباس: إنّا كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأقبل على بن أبيطالب عليه السلام فلمّا رآه النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم تبسّم فى وجهه، وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام، فقلت: يا رسول الله أكان الإبن قبل الأب؟ قال: نعم إن الله تعالى خلقنى وخلق علياً عليه السلام قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين، فخلقنى من نصفه، وخلق علياً عليه السلام من النصف الآخر قبل الأشيآء كلها، ثم خلق الأشيآء فكانت مظلمة فنورها من نورى ونور علىّ عليه السلام ثم جعلنا عن يمين العرش.

ثم خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمى وتعليم علىّ عليه السلام وكان ذلك فى علم الله السابق أن لا يدخل النار محبّ لى ولعلىّ عليه السلام ولا يدخل الجنّة مبغض لى ولعلىّ عليه السلام ألا وإن الله عزّوجل خلق ملائكة بأيديهم أباريق اللّجين مملوّة من مآءِ الحياة من الفردوس، فما أحد من شيعة علىّ عليه السلام إلّا وهو طاهر الوالدين، تقىّ نقىّ مؤمن بالله فاذا أراد أبو أحدهم أن يواقع أهله جآء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق مآء الجنّة، فيطرح من ذلك المآء فى الآنية التى يشرب منها، فيشربه فبذلك المآء ينبت الايمان فى قلبه كما ينبت الزرع.

فهم على بيّنة من ربّهم ومن نبيّهم ومن وصيّه علىّ عليه السلام ومن ابنتى الزهرآء ثم الحسن ثم الحسين ثم الأئمة من ولد الحسين، فقلت: يا رسول الله ومَن هم الأئمة؟ قال: أحد عشر منّى وأبوهم على بن أبيطالب عليه السلام ثم قال النبى صلّى الله عليه وآله

وسلّم: الحمد لله الذى جعل محبّة علىّ والايمان به سببين يعنى سبباً لدخول الجنّة وسبباً للنجاة (للفوز خ) من النار».

وفى رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فضِّلنا على الناس بثلاث: جُعِلَت صفوفنا كصفوف الملآئكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد المآء».

وفى البحار: عن جابربن يزيد الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ ثم قال أبوجعفر عليه السلام: «فنحن أوّل خلق الله وأوّل خلق عبدالله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين فبنا عرف الله، وبنا وحّد الله، وبنا عبدالله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب مَن أثاب، وبنا عاقب مَن عاقب، ثم تلا قوله تعالى: «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون».

وفيه: عن عبدالرحمن بن يزيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى كان ولا شئ، فخلق خمسة من نور جلاله، واشتقّ لكل واحد منهم إسماً من أسمآئه المنزلة، فهو الحميد وسمّانى محمداً وهو الأعلى وسمّى أميرالمؤمنين علياً، وله الأسمآء الحسنى، فاشتق منها حسناً وحسيناً وهو فاطر فاشتقت لفاطمة إسماً من أسمآئه، فلمّا خلقهم جعلهم فى الميثاق عن يمين العرش، وخلق الملآئكة من نور فلمّا أن نظروا إليهم عظّموا أمرهم وشأنهم ولقّنوا التسبيح فذلك قوله تعالى: «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون».

وفى الدر المنثور: عن العلاء بن سعيد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوماً لجلسآئه: أطّت السمآء وحق لها أن تئط، ليس منها موضع قدم إلّا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ: «وإنا لنحن الصّافّون وإنا لنحن المسبّحون».

وفيه: عن أنس آن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا قام إلى الصّلاة قال: استووا تقدّم يا فلان تأخّر يا فلان أقيموا صفوفكم يريد الله بكم هدى الملآئكة ثم يتلو: «وإنّا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون».

وفيه: عن أبي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، ان السمآء اطّت وحق لها أن تئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وملك واضع جبهته ساجداً لله.

وفيه: باسناده عن ابن مسعود قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يمسح منا كبنا فى الصلاة ويقول: إستووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم».

وفيه: عن على عليه السلام قال: إستووا تستو قلوبكم وتراصوا ترحموا».

١٧١ ـ (سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)

فى المناقب لابن شهرآشوب المازندرانى: «يحيى بن عبدالله بن الحسن عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون» قال: نحن هم» أى نحن الكلمة التى ذكرها الله تعالى لعباده المرسلين أو ولايتنا. أو نحن داخلون في الوعد بالنصرة والغلبة لأن نصرهم نصر النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى: «فاذا نزل» العذاب «بساحتهم» ببنى امية وأشياعهم فى آخرالزمان «فسآء صباح المنذرين» وأبصر فسوف يبصرون» إذا أتاهم العذاب أبصروا حين لا ينفعهم النظر، وهذه من أهل الشبهات والضلالات من أهل القبلة.

وفيه: فى قوله تعالى: «بساحتهم» قال: أى بمكانهم.

وفى روضة الكافى: باسناده عن محمدبن عطيّة قال: جآء رجل إلى أبى جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمآئهم فقال: يا أباجعفر عليه السلام جئت أسئلك عن مسئلة قد أعيت علىّ أن أجد أحداً يفسّرها وقد سئلت عنها ثلاثة أصناف من الناس، فقال كل صنف منهم شيئاً غير الذى قال الصنف الآخر؟ فقال له أبوجعفر عليه السلام: ما ذاك ؟ قال: فانّى أسئلك عن أوّل ما خلق الله من خلقه، فان بعض ما سئلته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح فقال أبوجعفر عليه السلام؛ ما قالوا شيئاً أُخبرك ! أن الله تبارك وتعالى كان

ولا شئ غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه وذلك قوله: «سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون» وكان الخالق قبل المخلوق... الحديث.

وفى البحار: وروى: أن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من مجلسه، يقول: «اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمّدنا وما أسررنا وما أعلنّا وما أنت أعلم به منّا أنت المقدّم وأنت المؤخر لا إله إلّا أنت» ويقول إذا قام من مجلسه: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب اليك، سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» رواه جماعة من فعل النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿بحث فقهي﴾

يستدل بقوله تعالى: «قالوا إنكم كنتم تأتوننا باليمين ـ فأغوينا إنّا كنا غاوين.» الصافات: ٢٨ـ٣٢) على عدم وجوب إطاعة الرعية من الحكّام الفاسقين، والأُمرآءِ الظالمين، والسلاطين المستكبرين والملوك المجرمين... بل في الآيات الكريمة دلالة على حرمة الإتباع والإطاعة والتقليد منهم فى الامور الاعتقادية... فلابد أن تكون الرعية والمواطنون أحراراً فى معتقداتهم، ولا يكونون مقهورين لرضا الحكام... كما لم يتبع إبراهيم عليه السلام من نمرود ولا نبي من الأنبيآء من الملوك، وفى الآيات الكريمة ردّ على العامّة من أهل التسنن الذين يجبون على الرعية الإتباع والإطاعة لكل مَن غلب إطلاقاً ويُستدَلُّ بقوله تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون» الصافات: ٦١) على جواز اتيان العمل ـ عبادياً كان أم عادياً ـ طمعاً للثواب أو خوفاً من العقاب.

وقد اختلفت كلمات الحكمآء والمفسّرين، والفقهآء والمتكلمين فى الجواز قديماً وحديثاً إختلافاً كثيراً لا يسع المقام بذكر جميعها، ونحن على جناح الإختصار، فنشير إلى نبذة منها:

فى تفسير التبيان: قال فى تفسير الآية الكريمة: «ويحسن من العامل أن يعمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذى تدعو إليه الحكمة من وجوب أو ندب. قال الرماني: ألا ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو إليه الحكمة لاستحق الثواب إذ اخلص من الاحباط. وهذا الذى ذكره غير صحيح لأن القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه وإن عرض فى القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن

فانه لا يعتدّ بها، فان علمنا فيما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق فيه الثواب، علمنا أنه خرج من كونه قبيحاً، ومثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الاكراه عليها أو الإنكار لكون نبيّ بحضرته لمن يطلبه ليقتله، فان هذا وإن كان كذباً فى الظاهر، فلابد أن يورى المظهر بما يخرجه عن كونه كاذباً ومتى لم يحسن التورية منع الله من إكراهه عليه».

وفى تفسير الفخر الرازى: قال فى قوله تعالى: «وادعوه خوفاً وطمعاً» الأعراف: ٥٦): اتفق المتكلمون على أن مَن عبدالله للطمع فى ثواب لم يصحّ عبادته».

وفيه: قال فى أوائل تفسير سورة الفاتحة: «مَن قال: أُصَلِّي للثواب انه فسدت صلاته» قال: ويؤيده ذلك ما نقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «ما عَبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً ورغبة فى ثوابك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

وفى أجوبة المسائل المهنائية: (مسئلة ١٤٠): «ما يقول سيّدنا فيمن يقوم بالواجبات على الوجه الذى حسنت لأجله وهو رجآء الثواب وخوف العقاب، لِمَ حكمتم ببطلانها إذا أتى بها على هذا الوجه؟ لِمَ لا يكون صحيحة لأن الله سبحانه قد صرّح بذلك فقال: «لمثل هذا فليعمل العاملون» وقال: «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» وقال علىّ عليه السلام: «قوم عبدالله رغبة فتلك عبادة التجار وقوم عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد» وهذا معنى الحديث وإن كان اللفظ مخالفاً، فصرّح سبحانه فى الآيتين المذكورتين بأن العبادة لما ذكر من الثواب، ولم يحكم أميرالمؤمنين عليه السلام ببطلان العبادة على هذين الوجهين؟ فلِمَ لا تكون صحيحة إذا أتى بها على هذا الوجه؟ وبأىّ شئ تأوّلون عن الآيتين الكريمتين وعن قول مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام؟ اكشف لعبدك عن هذا الأمر كفاك الله حوادث الدهر؟

الجواب: إتفقت العدلية على أن مَن فعل فعلاً لطلب الثواب أو لخوف العقاب فانه لا يستحق بذلك ثواباً، والأصل فيه أن من فعل فعلاً ليجلب نفعاً أو يدفع عنه ضرراً به فانه لا يستحق به المدح على ذلك، ولا يسمّى من أفاد غيره شيئاً ليستعيض عن فعله جواداً، فكذا فاعل الطاعة لأجل الثواب أو لدفع العقاب.

والآيتان لا ينافيان لما قلناه لأن قوله تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون» لا يقتضى أن يكون غرضهم بفعلهم مثل هذا وكذا فى قوله تعالى: «فليتنافس المتنافسون» لعدم دلالتهما عليها» انتهى كلامه.

وقد ادّعى بعض أصحابنا ـ كالشهيد ـ الإجماع على أنه متى قصد بالعبادة تحصيل الثواب أو دفع العقاب كانت عبادته باطلة لمنافاته لحقيقة العبودية، بل هى من قبيل المعاوضات التى لا تناسب مرتبة السيّد سيّما مثل هذا السيّد.

وفى الجواهر: «ولا ريب أن القرب بالمعنى المتقدم ـ القربة هى العلّة الغائية بمعنى أنه يقصد وقوع الفعل تحصيلاً للتقرب إلى الله تعالى الذى هو ضدّ البعد المتحقق بحصول الرفعة عنده استعارة من القرب المكانى ـ نوع من الثواب، فيجرى فيه ما يجرى فيه، نعم اختار بعض متأخرى المتأخرين فى مثل تلك العبادة الصّحة عملاً بظواهر الآيات والروايات كقوله تعالى: «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» السجدة: ١٦) و «يدعوننا رغباً ورهباً» الأنبيآء: ٩٠)

وفى وسائل الشيعة: بالاسناد عن محمد بن مروان قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «من بلغه ثواب من الله على عمل، فعمل ذلك العمل إلتماس ذلك الثواب اوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه».

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «إن قوماً عبدواالله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدواالله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدواالله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

ثم قال صاحب الجواهر: «إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة ... ـ فوى خلافه، وجميع ما ذكر محمول على إرادة ايقاع الفعل بقصد الإمتثال وموافقة الإرادة والطاعة، وجعل ذلك وسيلة إلى تحصيل ذلك الثواب كما هى سيرة سائر العبيد مع ساداتهم، إنما الممنوع عندناالقصد بالفعل لتحصيل الثواب».

ثم قال: «إذا عرفت ذلك فالمتجه حينئذ تفسير القربة بما يظهر من بعضهم من موافقة الإرادة وقصد الطاعة والإمتثال، فانه حينئذ يدل عليه جميع ما دلّ على

وجوب الاخلاص كتاباً وسنّة كقوله تعالى: «وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» البينة: ٤) مضافاً إلى توقّف تحقق قصد الطاعة والامتثال المأمور بهما فى الكتاب والسنة عليها».

وفى الخلاف: قال الشيخ الطوسى قدس سرّه: «إن النيّة هى الإرادة التى تؤثر فى وقوع الفعل على وجه دون وجه وبها يقع الفعل عبادة وواقعاً موقع الوجوب أو الندب، وإنّما سميّت نيّة لمقارنتها للفعل وحلولها فى القلب، ولأجل ذلك لا تسمّى إرادة الله نيّة لأنها لا تحل فى القلب، وإذا ثبت ما قلناه فمَن أوجب التلفّظ بها أو استحبّ ذلك فعليه الدليل والشرع خالٍ من ذلك».

وقال المتكلمون: «يشترط استحقاق الثواب على واجب أن يوقعه لوجوبه أو وجه وجوبه.

وقالوا: تجب نيّة الوجه وصفاً وغاية. والنيّة هى العزم والإرادة المتعلّقة بمقصود معيّن لابدّ فى تحقّقها إحضار المقصود بالبال أوّلاً بجميع مشخصاته كالصلاة مثلاً واجبة أو مندوبة، قضآءً أو أدآءً ثم يقصد ايقاع هذا المقصود المعيّن على وجه التقرّب إلى الله».

فى وسآئل الشيعة: بالاسناد عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عليه السلام قال: «لا عمل إلّا بنيّة».

نيّة الوجه: أى نيّة الوجوب فى الواجب، ونيّة الندب فى المندوب.

وفى مسالك الأفهام: «قال بعض الأصحاب: إن قصد الثواب بالعبادة من الشرك، وإنه مناف للاخلاص الذى هو إرادة وجه الله وحده، وإن مَن قصد ذلك فانما قصد جلب النفع إلى نفسه لا وجه الله سبحانه كما أن مَن عظّم شخصاً وأثنى عليه طمعاً فى ماله لا يعدّ مخلصاً فى ذلك التعظيم» وقال بعضهم: إن العامل بهذا القصد إنما قصد الرشوة والبرطيل بعمله ولم يقصد وجه ربه.

وقال صاحب المسالك: «والآيات الدالة على اعتبار الاخلاص فى العبادة كثيرة وليس فيها دلالة على اعتبار النية على الوجه الذى قالوه».

وقال: لا نسلّم أن قصد الثواب مناف للاخلاص، وقد وقع فى القرآن المجيد: «يدعوننا رغباً ورهباً» أى رغباً فى الثواب ورهباً من العذاب على أن قصد الثواب لا يخرج العمل عن ابتغاء وجه الله تعالى، فان الثواب لما كان عنده تعالى فمبتغيه يبتغى وجه الله، ولا يقدح كون تلك الغاية باعثة على العبادة، فان الكتاب والسنّة تشتمل على كل منهما على المرهبات والمرغبات وأيضاً ما نقل عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يدلّ على عدم جواز قصد الثواب بل على أنه عليه السلام لم يكن فعله لذلك، وإنّما عبادته لكونه أهلاً لها، فجاز أن يكون ذلك من خصائص مثله عليه السلام فلا ينافى جواز ذلك القصد فى غيره وهو ظاهر ويؤيّد ذلك ما رواه الكلينى رحمة الله تعالى عليه بطريق حسن:

فى اصول الكافى: باسناده عن هارون بن خارجة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن العبادة ثلاث (العبّاد ثلاث خ): قوم عبدوا الله عزوجل خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب (طلب الثواب خ) فتلك عبادة الأُجرآء، وقوم عبدوا الله عزوجل حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار وهى أفضل العبادة».

ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمل ان حكم الامام عليه السلام بأفضيلّة هذه العبادة يعطى أن العبادة على الوجهة السابقين لها فضل أيضاً فتكون صحيحة وهو المطلوب.

وفى زبدة البيان: قال المقدّس الأردبيلى رضوان الله تعالى: «وما نقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام فمن خصائص مثله، على أنه لا يدل على إدخال قصد حصول الثواب وعدم العقاب بالعبادة فى الشرك - بل يدل على أن فعله عليه السلام ما كان لذلك بل لكون الله أهلاً له وكذا لا يفهم أن الإخلاص المذكور من أحكام الإسلام، فيكون كل مسلم مأموراً به، ولا يدلّ أيضاً على كون العبادات شكراً لله وهو ظاهر».

وقد أفرط الاصوليّون فقالوا: «إن الأصل عدم اشتراط قصد القربة فى الامتثال»

وقد أطالوا الكلام فيه على ظنّهم الذى لا يغنى من الحق شيئاً.

وقال أكثر المتأخّرين من الفقهآء: إن النية عبارة عن قصد الفعل قربة إلى الله عزوجل وإمتثالاً لأمره وذلك إما لأنه أهل للعبادة وهو أعلاها أو جزآءً لشكر نعمه أو طلباً لرضاه أو خوفاً من عقابه أو رجآء لثوابه وهذا أدناها.

وقال أكثر متأخّرى المتأخرين: إن النية هى القصد إلى الفعل بعنوان الإمتثال والقربة بأن يكون الداعى والمحرّك هو الإمتثال والقربة ولغايات الإمتثال درجات:

أحدهاـ وهو أعلاها أن يقصد إمتثال أمرالله لأنه تعالى أهل للعبادة والطاعة وهذا ما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله عليه السلام: «إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

ثانيهاـ أن يقصد شكر نعمه التى لا تُحصى. **ثالثها**ـ أن يقصد به تحصيل رضاه والفرار من سخطه. **رابعها**ـ أن يقصد به حصول القرب إليه. **خامسها**ـ أن يقصد به الثواب ورفع العقاب بأن يكون الداعى إلى امتثال أمره رجآء ثوابه وتخليصه من النار، وأما إذا كان قصده ذلك على وجه المعاوضة من دون أن يكون برجآء إثابته تعالى فيشكل صحّته، وأما ما ورد من صلاة الاستسقآء وصلاة الحاجة فانّما يصحّ إذا كان على الوجه الأوّل.

وقالوا: إن الضمآئم المباحة أو الراجحة إن كانت مقصودة تبعاً وكان الداعى والغرض الأصلى هو إمتثال الأمر الإلهى فلا إشكال، وإن كان بالعكس بطلت بلا إشكال، وكذا إذا كان كل منها جزءاً للداعى بحيث لو لم ينضمّ كل منهما إلى الآخر لم يكن باعثاً ومحرّكاً، والأحوط بطلان العمل فى جميع موارد إشتراك الداعى حتى مع تبعيّة داعى الضميمة إذا كانت الضميمة مؤثرة ولو تبعاً فضلاً عن كونهما مستقلين.

وغير ذلك من كلماتهم المبسوطة فى الكتب...

أقول: وقد ثبت عندنا أن النية لغة وعرفاً بل شرعاً هى قصد الفعل المنوىّ

المنبعث عن التوجّه والإلتفات إلى الشئ، وتصوير ما يترتّب على وجوده من غاية وأثر ومنفعة محقّقة أو محتملة أو دفع مضرّة كذلك يكون ذاك التصوّر سبباً لشوق النفس إلى وجوده وينبعث من الشوق عزم وإرادة جزم إلى تحريك العضلات والجوارح بحركتها الفعلية لايجاد المقصود فى الخارج، وهذا القصد الباعث على الفعل بالترتيب المزبور جارٍ فى الامور الاختيارية والأفعال القصدية كلها، عاديّة كانت أو عبادية حيث انه لا يكاد يصدر عن العاقل فعل من الأفعال ـ بعد فرض عدم الغفلة والنسيان ـ إلّا مع قصد ونيّة سابقة عليه، بل لا يعقل صدوره عنه بدونه.

ولذا قيل: لو كُلِّفنا بفعل بلا قصد لكان تكليفاً بالمحال لعدم إنفكاك فعل المختار عن قصد غاية الأمر، ان الغاية الباعثة فى العبادات لابدّ أن تكون هى القربة أعنى بها كون الباعث لايتانها امتثال الأمر المتعلّق بها، وفى العادات كانت الغاية غالباً هى الملاذّ النفسانية وهذا لا تقتضى الإختلاف فى حقيقة النيّة بل فى الغاية الباعثة، فتحقّق من ذلك انه لا معنى للنيّة عرفاً وشرعاً بل ولا عقلاً إلّا قصد الفعل والعزم عليه، وان النيّة الشرعية ليست مغايرة للعرف واللغة.

فما عن جماعة من المغايرة بين العُرف واللغة، وان النيّة الشرعيّة نقلت من معناها اللغوى إلى المعنى الشرعى الذى هو عبارة عن الإرادة مع القربة أو مع قصد الوجه كما عن جماعة أو بزيادة قصد رفع الحدث والاستباحة كما عن البعض فصارت حقيقة شرعية لا متشرّعة فى المعنى المعهود لكونه أخصّ من المعنى العرفي وَهْمٌ نشأ من خلط اعتبار الامور المعتبرة فى المنوىّ الذى هو متعلّق النيّة فى معنى النيّة، وإلّا فالنيّة التى هى القصد من الصّفات القآئمة بالنفس ليست من الامور المركبة ـ من فعلين: أحدهما إرادة الفعل وثانيهما كون العمل بداعى إلهى. كما زعمه بعض المتأخرين من الفقهآء ـ بل البسيطة المنبسطة على مجموع العمل، فان الحركات الخارجيّة إنّما كانت مسبّبة من المبادى المزبورة ولا تنفكّ عن الإرادة المنبعثة عن الشوق المسبّب عن تصوّر الغاية، فما دامت الحركة موجودة فهذه المبادى موجودة وإن عرض فى الأثنآء الذهول وعدم الإلتفات إلى وجودها، ولكنّه بحيث لو رجع إلى قلبه

استشعر بها.

فتمام أجزآء الفعل الواحد مستند إلى تلك الإرادة وكلها أفعال إرادية صادرة عن قصد واختيار، فلا فرق بين الجزء الأوّل والوسط والآخر فى كونها مستندة إلى القصد المنبعث عن الداعى المركوز فى القلب إلّا ان الجزء الأوّل غالباً مستند إليها بالتصور التفصيلى والباقى بالتصوّر الإجمالىّ المركوز فى الذهن، ويعبّر عنه بالداعى فى اصطلاح المتأخرين، بل اتفاقهم عليه، فالقصد المنبعث هو النيّة شرعاً وعرفاً وعقلاً وليس للنيّة معنًى ورآء ذلك، فالتعبير عنه بالداعى من باب تسمية المسبب بالسبب أى الارادة المنبعثة عن الداعى.

فالمراد بنيّة القربة قصد الطاعة والإمتثال بأن يأتى العمل بداعى الأمر الذى يعبّر عنه بالقربة، ويدل على اعتباره فيها مضافاً إلى الإجماع المحقق فضلاً عن المنقول جميع ما دلّ على وجوب الإخلاص ـ وهو ايقاع الطاعة خالصة لله تعالى وحده ـ من القرآن الكريم كقوله عزوجل: «وما أُمِروا إلّا ليعبدو الله مخلصين له الدّين حنفآء» البيّنة: ٥)

وقوله تعالى: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلّا ابتغآء وجه ربه الأعلى» الليل: ١٩ـ٢٠)

وقوله سبحانه: «ومن الأعراب مَن يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عندالله وصلوات الرسول ألآ إنها قربة لهم» التوبة: ٩٩) وغيرها من الآيات الكريمة والروايات الكثيرة الواردة فى ثواب الأعمال لا يسعها مقام الإختصار.

والمستفاد من الآيات القرآنية والروايات الواردة فى صالح الأعمال أن للقربة أربع مراتب:

الاولى: وهى اعلاها وأجلاها: إتيان الفعل بداعى الأمر من حيث أهليّة المطاع للإطاعة واستحقاقه لذلك من حيث ذاته، فانه لا داعى له على الفعل إلّا القيام بما يستحقّه لذاته جل وعلا لامن حيث انعامه وإحسانه ونحو ذلك، وهذه المرتبة هى أكمل مراتب الإخلاص لا ينال بها إلّا مَن ادّعاها بقول الإمام أميرالمؤمنين على بن

أبيطالب عليه‌السلام: «إلهى ما عبدتك طمعاً فى جنتك ...» الحديث ومَن يتلوه من أئمتنا المعصومين عليهم أفضل صلوات‌الله وأكمل تحياته أجمعين.

الثانية: وهى دون الاولى أن يقصد طاعته وإمتثال أمره لعظمته عزوجل بحيث لا داعى له إلى الفعل إلّا تعظيم ذاته تعالى.

الثالثة: وهى دون الثانية أن يقصد طاعته وإمتثال أمره شكراً لنعمته، فيكون مقصوده من الطاعة والإمتثال أدآء بعض ما يستحقّه الله عزوجل عليه من الشكر بحيث لا يقصد من العمل إلّا وجه الله تعالى.

الرابعة: وهى دون الثالثة أن يقصد طاعته وإمتثال أمره تعالى تحصيل الفائدة العائدة إلى نفسه كحصول الرفعة والمنزلة عند الله تعالى أو الثواب ودفع العقاب فى الدار الآخرة المترتّبين على الأعمال الصالحة والعبادات الموظّفة فى الشريعة، فان العامل بها بداعى إمتثال أمرها بقصد تلك الفوائد والمنافع وإن كان غير خارج عن طاعة الله تعالى إلّا أن مرجعه إلى تحصيل المنافع لنفسه والنيل بالدرجات الرفيعة، والوصول إلى الفوز العظيم ولعلّ إلى ذلك أشار تعالى بقوله عزوجل: «إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون» الصافات: ٦٠-٦١) والله جل وعلا هو أعلم.

يستدلّ بقوله تعالى: «انهم ألفوا آبآءهم ضالّين» الصافات: ٦٩) على عدم جواز التقليد فى الاصول الاعتقادية، وعلى عدم جواز التقليد فى المسائل الشرعية العملية والأحكام الفرعية الفعلية عمّن تلبّس بالضلالة والانحراف والإعوجاج فى الدين الاسلامى وإن بلغ ما بلغ من الاجتهاد، وان الامم الماضية ما هلكوا إلّا بالتقليد فى الاصول أو عن المنحرفين فى الفروع العملية، ولو لم يكن فى القرآن الكريم غير هذه الآية الكريمة فى ذمّ التقليد وسوء عواقبه فى الاصول الاعتقادية أو عن المنحرفين لكفى.

يجب عند أصحابنا الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقة على كل مكلّف غير مجتهد ولا محتاط أن يقلّد فى المسائل الشرعية العملية عن المؤمنين الأتقيآء من الفقهآء الخبرآء الذين أحرزوا شرائط الفتوى، ولا يجوز التقليد فى الاصول الاعتقادية الخمسة

عندنا من التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، ولا فى الضروريات كوجوب الصلاة وركعاتها ولا فى اليقينيات والقطعيات إذا حصل له اليقين والقطع.

قوله تعالى: «فنظر نظرة فى النجوم فقال إنّى سقيم» الصافات: ٨٨-٨٩) وقد استدل به بعض الفقهآء على جواز النظر إلى النجوم بقدر ما يثبته التوحيد، وعلى جواز التورية، وقد تقدّم منّا كلام فى تحقيق الأقوال فراجع.

وقوله تعالى: «فراغ عليهم ضرباً باليَمين» الصافات: ٩٣) يستدلّ به على عدم ماليّة الأصنام وما إليها من التماثيل والمجسّمات وآلات اللهو والميسر، وعلى جواز هدمها من غير ضمانة لصاحبها.

وقوله تعالى: «وقال إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين» الصافات: ٩٩) يستدلّ به على وجوب الهجرة على مَن لم يستطع على إقامة دينه على الوجه المرضىّ فى موطنه إلى أرض اخرى، يتمكّن فيها من الإقامة. ولا يخفى ان هذه الآية الكريمة أصل فى هجرة الموحّد من بلد الشرك ما لم يتمكّن على إظهار التوحيد فى بلده، وأن أوّل مَن فعل ذلك هو إبراهيم الخليل عليه السلام فانه أوّل من هاجر من الخلق مع لوط وسارة من أرض بابل إلى الأرض المقدسة وهى أرض شام.

وقوله تعالى: «وفديناه بذبح عظيم» الصافات: ١٠٧) وقد استدلّ به بعض الفقهآء والاصوليين على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته، وقال اكثرهم بعدم الجواز لاستلزامه البدآء أو الجهل زعماً منهم أن الله عز وجل أمر إبراهيم عليه السلام فى المنام بمقدّمات الذبح كاضجاع إبنه ووضع السكّين على حلقه والعزم الصحيح على الإتيان بذلك الفعل أوان ورود الأمر، وقالوا: سلّمنا أنه تعالى أمره عليه السلام بنفس الذبح لكن لِمَ لا يجوز أنه قطع الحلقوم إلّا أنه كان يلتئم جزءً فجزءً، فلهذا قيل له: «قد صدّقت الرؤيا» الفدآء فضل من الله تعالى فى حقه وتعظيم له بدلاً من عدم وقوع الذبح فى الظاهر ولهذا قال: «وفديناه» باسناد الفدآء إلى ذاته عز وجل.

وقال بعضهم: ان ظاهره يدل على أنه كان مأموراً بذبحه، فجآئز أن يكون الأمر إنّما تضمن معالجة الذبح لا ذبحاً يوجب الموت، وجآئز أن يكون الأمر حصل على

شريطة التخلية والتمكين منه، وعلى أن لا يفديه بشئ، وانه ان فدى منه بشئ كان قآئماً مقامه والدليل على أن ظاهره قد اقتضى الأمر قوله: «إفعل ما تؤمر» وقوله: «وفديناه بذبح عظيم» فلو لم يكن ظاهره قد اقتضى الأمر بالذبح لما قال: «إفعل ما تؤمر» ولم يكن الذبح فدآء عن ذبح متوقّع. وجآئز أن يكون الأمر ورد بذبح إبنه، وذَبَحه فوصل الله تعالى أو داجه قبل خروج الروح وكانت الفدية لبقآء حياته.

أقول: والحق أن نسخ الحكم قبل حضور وقته لا يدلّ على البدآء والعبث ولا على الجهل كما أنه بعد الوقت لا يدل على ذلك، فقد يكون غرض الآمر أن يعلم المأمور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الإنقياد والطاعة أم لا كما يدل عليه قوله تعالى: «إن هذا لهو البلاء المبين»: ١٠٦) إذ كانت قصّة الذبح اختباراً عظيماً لابراهيم عليه السلام تبيّنت خلالها شخصيته الفذّة الكبيرة بوضوح، وأما تصديق الرؤيا فيكفى فيه الاتيان بمثل هيئة الذبح فمن الرؤيا ما يكون تأويلها بالشبيه كرؤيا يوسف عليه السلام والفدآء زيادة تشريف وتكريم ووضع سنّة مؤكّدة.

وقد سبق منّا كلام فى الناسخ والمنسوخ وفى تحقيق الأقوال... يناسب المقام فراجع.

واستدل بعض المتفقّهين بقوله تعالى: «وفديناه بذبح عظيم» على أن مَن نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة بأن الأمر بذبح الولد تضمّن ايجاب شاة فى العاقبة، فلمّا صار موجب هذا اللفظ ايجاب شاة فى المتعقب فى شريعة إبراهيم عليه السلام وقد امرالله تعالى باتباعه فى قوله: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً» النحل: ١٢٣) وقوله: «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» الأنعام: ٩٠) وجب على من نذر ذبح ولده شاة، فوجب بقآء حكمه ما لم يثبت نسخه عملاً بشريعة إبراهيم عليه السلام.

فى الدر المنثور: عن ابن عباس قال له رجل: نذرت لا نحرن نفسى؟ فقال ابن عباس: «لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة» ثم تلا «وفديناه بذبح عظيم» فأمر بكبش فذبحه.

وقال بعض المتفقهين: مَن حلف أن ينحر ابنه فعليه مأة من الإبل. وقال

بعضهم: من نذر ذبح عبده لم يكن عليه شئ. وغير ذلك من الأقاويل التى خارجة عن نطاق كلام الله تعالى فى المقام، على أن ذبح إسمعيل عليه السلام كان من مناسك الحج: «وأرنا مناسكنا» البقرة: ١٢٨) وقد صار ذبح الكبش بمنى ـ فدآءً من ذبحه عليه السلام ـ هو السنّة الباقية، فالمورد خاصّ مخصّص فتأمل جيّداً واغتنم جداً ولا تغفل.

ويستدلّ بقوله تعالى: «وفديناه بذبح عظيم» على أن الأضحية بالشاة فى منى أفضل من الإبل والبقر.

إن تسئل: كيف أُمِرَ إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وهو معصية، والأمر بالمعصية لا يجوز؟

تجيب عنه: هذا إعتراض على الله جل وعلا فانه الآمر. وقال بعضهم: إن المعاصى والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للأعيان، وان الطاعات عبارة عما تعلق به الأمر من الأفعال، والمعصية عبارة عما تعلّق به النهى من الافعال فلمّا تعلّق الأمر بذبح الولد: اسمعيل من إبراهيم عليه السلام صار طاعة وابتلاءً ولهذا قال الله عزوجل: «إن هذا لهو البلاء المبين» فى الصبر على ذبح الولد والنفس ولمّا تعلق النهى بنا فى ذبح أبنائنا صار معصية. مع أن المورد كان خاصاً كما أن مساهمة يونس عليه السلام كانت خاصّة به إذ لا يجوز الاقتراع على إلقاء الآدمى فى البحر، وإنما كان ذلك فى يونس عليه السلام وزمانه مقدّمة لتحقيق برهانه وزيادة فى ايمانه، فلا يجوز لمن كان عاصياً أن يرمى به فى النار أو البحر، وإنّما تجرى عليه الحد والتعزير حسب جنايته.

ويستدل بقوله تعالى: «فساهم فكان من المدحضين» الصافات: ١٤١) على جواز القرعة فى كل أمر مجهول ومشتبه واقعاً وظاهراً، فيكشف بها عن معلوم الله جل وعلا.

وذلك ان حكم القرعة ثبت بالكتاب والسنّة والإجماع والعقل عندنا، وان الآية الكريمة تدل على ثبوتها فى الشرائع السابقة فى الجملة، وقد ثبت أنه يعمل بما

ثبت فى الشرائع السابقة ما لم يعلم نسخه، وعليه ابتنآء مسائل فى الفروع الفقهيّة...
وقد وردت الروايات عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين نحو خمسين رواية على مراتبها: الصحيحة والحسنة والموثقة فى جواز القرعة، وقال الشيخ قدّس سره فى كتاب (الخلاف): إجماع الفرقة على أن القرعة تستعمل فى كل أمر مجهول مشتبه كما آدعاه غيره من الفقهآء الأعلام...

فلا يبقى للفقيه البارع عند تتبّع الفتاوى شكّ فى كون العمل بالقرعة من الاصول الشرعية فى المجهولات المعنونة فى الكتب الفقهيّة، وان المضبوط فى معاقد الإجماع أن القرعة لكل أمر مجهول ومشتبه ظاهراً وواقعاً لا سبيل إلى رفع ذلك بطريق معتبر شرعاً حتى يكون مخرجاً للحكم فى تلك الواقعة، فلا تستعمل فى الفتاوى ولا تجوز لاثبات الأحكام الشرعيّة...

فكل مقام فرض فيه إختلاف فى شئ إذا قرع فيه، فعلى الله تعالى أن يبيّن فيه الواقع، ويحكم بالعدل، ومقتضاها أن تكون القرعة مميّزة بين الحق والباطل بجعل الحكيم على الاطلاق وكل ما كان كذلك فهو حجّة ولا اختصاص بالمتنازعين إذ فى كل اختلاف فهناك محق ومبطل يتميّزان بمقتضى الآيات الكريمة والروايات الواردة والإجماع والعقل السليم بالقرعة، فالقرعة أمر مشروع لكل ما هو مجهول ومشتبه ظاهراً وواقعاً فى الشبهات الموضوعية، وانها عزيمة عندنا يجب العمل بها بعد إعمالها، ولنا فى القرعة بحث دقيق وتحقيق عميق فى هذا التفسير فراجع.

ويستدلّ بقوله تعالى: «فالتقمه الحوت وهو مليم» الصافات: ١٤٢) على أنه ليس للأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ولاية مطلقة إلهيّة تكوينية بمعنى التصرف فى نظام الكون ونواميس الوجود بدون إذن الله تعالى، ولا ولاية تشريعية بمعنى التصرّف فى النفوس والأعراض والأموال والدمآء... كيفما يشاؤن بغير إذن ربهم، وليس لهم أن يفعلوا بدون إذن ربهم فكيف تشريع الأحكام، وجعل القانون بغير إذن الله تعالى إذ لُومَ يونس عليه السلام على خروجه من بين قومه بدون إذن ربه.

وقوله تعالى: حكاية عن الملآئكة: «وما منّا إلّا له مقام معلوم» الصافات: ١٦٤)

أى مامنّا أحد إلّا ثابت له مقام معلوم. على أن الظرف «له» صفة لـ «أحد» المضمر ولابد من تقديره ليعود الهآء إليه، وهذا يدل على قول بعض الفقهآء إذ قالوا فيمن قال لعبده: إن كان فى هذا البيت إلّا رجل فأنت حرّ، فاذا كان فيه رجل وصبى فانه يحنث لأن التقدير: إن كان فى هذا البيت أحد إلّا رجل والصبى من جملة الأحد إلّا أن يعنى أحداً من الرجال، فَيُدَّيَنُ إذ ذلك.

وقوله تعالى: «سبحان ربك ربّ العزّة» الصّافّات: ١٨٠) قال بعض الفقهآء: من حلف بعزّة الله تعالى فان أراد عزّته التى هى صفته فحنث فعليه الكفّارة، وإن أراد التى جعلها الله بين عباده فلا كفّارة. على أن العزة تكون صفة ذات كقوله تعالى: «فلله العزّة جميعاً» فاطر: ١٠)

وصفة فعل كقوله تعالى: «رب العزّة» أى رب العزّة التى يتعازها الخلق فيما بينهم فهى من خلق الله تعالى.

﴿بحث مذهبي﴾

فى قوله تعالى: «وحفظاً من كل شيطان مارد ـ فأتبعه شهاب ثاقب» الصافات: ٧ـ١٠) تكذيب بما يدّعى المدّعون من الأخبار الغيبية السماوية، وبما كانت العرب تزعم أن محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كاهن وأن ما يتنزّل عليه هو من جنس ما يتنزّل به الشياطين على الكهنة، بأنهم أعجز عن القيام بهذه المهمّة الملكوتية، فانهم مرجومون بالشّهب والقذآئف... وردّ على الذين يدّعون بالنفوذ والعبور عن مدار الشهاب الثاقب تحميقاً للناس، واستثمار الممالك واستغلال ذخآئرها، واستعباد المستضعفين وانحراف أفكارهم، ودلالة على بطلان مذهب أبى حنيفة من عدم تأثير الجنس فى جنسه بأن الشيطان لمّا خلق من النار فلا يتأذى ولا يحترق بها، غفلة عن أن الانسان خلق من التراب ويتأذى به.

فى تفسير روح البيان: «لا يقال: إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الانسان ليس من التراب الخالص، مع أنّ النار القويّة إذ استولت على الضعيفة إستهلكتها ثم إن المراد بالشهاب شعلة نار تنفصل من النجم لا انه النجم نفسه لأنه قارّ فى الفلك على حاله».

وقوله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» الصافات: ٢٤) وقد وردت روايات كثيرة بطرق عديدة إنتهت حدّ التواتر عن الفريقين أوردنا نبذة منها فى البحث الروائى: «انهم مسئولون» عن ولاية على بن أبيطالب وأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين وانه لا يجوز أحد الصراط إلّا وبيده براة بولاية على بن أبيطالب عليه السلام

فالآية الكريمة كالنص على إمامة على بن أبيطالب عليه السلام.

وذلك ان الإمامة أوّل ما يُسئل عنه بعد التوحيد و الرسالة، وأحق ما يحتاج إلى معرفة الإمام على عليه السلام فى الجواز على الصراط، وقد وردت الروايات المتواترة عن الفريقين على أن «مَن لا يعرف إمامة إمامه مات ميتة جاهلية» بخلاف سآئر الواجبات فان من لا يقوم بها لا يخرج عن الدين إذ ليست من اصوله، ولذلك جآءت الآية الكريمة فى أثنآء ذكر الكافرين، وان السئوال عن ولاية الامام على عليه السلام دون سآئر الأوليآء دليل على أن أمر الولاية و الإمامة إنحرف عنه عليه السلام وهو أوّل ذوى الولاية و الإمامة.

وليت شعرى! أكان أبوبكر وعمر وعثمان أئمةً لعلى بن أبيطالب عليه السلام وهم لا يجوزون الصراط إلّا ويسئلون عن ولايته، ولا يمرّون عليه إلّا ببراة منه.

وقوله تعالى: «فحق علينا قول ربنا إنا لذآئقون فأغويناكم إنا كنّا غاوين» الصافات: ٣١-٣٢) فى تفسير النيسابورى قال: «كأنهم قالوا: إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا، فغوايتنا إن كانت بسبب إغوآء غاوٍ لزم التسلسل، فعلمنا أن غوايتنا أيضاً من الله كما مرّ فى قوله: «فحق علينا قول ربنا» هذا تفسير أهل السنة».

أقول: وقد سبق آنفاً تفسير الآيتين بأنهم ما كانوا مؤمنين لسوء اختيارهم الكفر على الايمان و الطغيان على الطاعة إذ دعاهم المغوون إلى الغواية بدون إجبار ولا إلجآء، لأنهم كانوا أهلها فأرادوا اغوآئهم ليكونوا أمثالهم، فاستجابوا لهم، فحق عليهم وعيد الله تعالى فذاقوا عذابه لاستحقاقهم به. وقد تقدّم منّا كراراً ضلالتهم فى البحث المذهبى من هذا التفسير فراجع.

فى تفسير الفخر الرازى: قال الفخر: «إحتجّ أصحابنا على أن الهدى و الضلال من الله تعالى بقوله تعالى: «ولو لا نعمة ربى لكنت من المحضرين» الصافات: ٥٧)

وقالوا: مذهب الخصم أن كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام فى حق المؤمن، فقد فعله فى حق الكافر، وإذا كان ذلك الانعام مشتركاً فيه امتنع أن يكون سبباً لحصول الهداية للمؤمن، وأن يكون سبباً لخلاصه من الكفر و الردى، فوجب أن

تكون تلك النعمة المخصوصة أمراً زائداً على تلك الانعامات التى حصل الإشتراك فيها، وما ذلك إلّا بقوّة الداعى إلى الايمان وتكميل الصارف عن الكفر».

احتجّ نفاة عذاب القبر بقوله تعالى: «إلّا موتتنا الاولى» الصافات: ٥٩)

بأنه يدل على أن الإنسان لا يموت إلّا موتة واحدة، ولو حصلت الحياة فى القبر لكان الموت حاصلاً مرّتين.

أقول: وقد سبق تفسير الآية الكريمة بأن المراد بالموته الاولى كل ما يقع فى الحياة الدنيا فراجع.

قوله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون» الصافات: ٩٦) إحتجّت الأشاعرة المجبّرة وأذنابهم من أهل التسنّن بالآية الكريمة على مذهبهم السخيف من نفى الاستطاعة وسلب القدرة عن العباد بأنّ أفعالهم كلها مخلوقة لله سبحانه سوآء كانت لفظة «ما» مصدرية فالمعنى: والله خلقكم وعملكم. فيكون نفس الايجاد والايقاع من فعله تعالى أم كانت موصولة أى والله خلقكم ومعمولكم. فالعمل المتحقق خارجاً هوفعله سبحانه. وعلى كلا التقديرين يثبت أن لاعمل للعبد. قاله التفتازانى وغيره.

فى تفسير النيسابورى: «احتجّ جمهور الأشاعرة بقوله: «والله خلقكم وما تعملون» على أن العبد ليس خالق أعماله لأن المعنى: خلقكم وأعمالكم» فأعمال العباد عندهم غير مكتسبة منهم، وإنّما هى مقدّرة محتمة عليهم، فجالوا فيما ولدته أوهامهم، ونبتته ظنونهم، ورتّبوا عليها: أن الله تعالى لا يخلق القبيح فان الأفعال كلها حسنة ليس فيها قبيح، ولذلك أنكروا القبح والحسن العقليين أو الشرعيين، فالقبيح عندهم كالحسن بارادته تعالى بنآءً على أن إرادة القبيح منه كخلقه ليست قبيحه.

أقول: وقد سبق معنى الآية الكريمة فى التفسير والتأويل: ان الله تعالى خلقهم وخلق الأشيآء التى نُحِتَتْ منها الأصنام، فبقيت الأعمال والحركات غير داخلة فى خلق الله تعالى، وإن إبراهيم عليه السلام عيّر قومه بعبادة الأصنام التى هى الأحجار والأخشاب المنحوتة بأيديهم، وإنما أراد المنحوت دون عملهم لأنهم كانوا يعملون الأصنام ويعبدونها، ولم يكونوا يعبدون النحت الذى هو فعلهم، فاذا كان نفس النحت فعله سبحانه فهو يصلح تبريراً لفعلهم وعذراً لهم إذ حينئذ تكون عبادتهم

أيضاً من فعله سبحانه فلم يصحّ توجيه اللائمة إليهم بالذات.

والتحقيق ان الآية الكريمة ليست بصدد تقرير خلق الناس وأعمالهم، وإنما هى جملة ما حكى من أقوال إبراهيم عليه السلام لقومه فى صدد محاجتهم والتنديد بهم بأنهم كيف يعبدون الأصنام التى تكون مادتها مخلوقة مثلهم؟ كيف يعبد الصانع مصنوعه؟ فقال لهم إبراهيم عليه السّلام: إن الله تعالى خلقكم وخلق مادة ماتنحتون على سبيل الإفحام والالزام.

فايراد الآية فى معرض الاستدلال على خلق الله تعالى لأعمال الناس فى غير محله، بل هذا من باب تطبيق القرآن الكريم على المذهب، لا تطبيق المذهب على القرآن المجيد ليظهر فساده أو صحته.

وان الآية الكريمة نفسها تدل على بطلان الجبر بأن الله تعالى لا يريد من الكفّار الكفر لأنه صرّح ههنا انه يريد من جميع المكلّفين الايمان والطاعة، وان الآيات القرآنية تؤكّد بأساليب مختلفة قابليّة الناس على الكسب والاختيار واستحقاقهم الجزاء إن كان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، وان العبد يفعل باختيار، وفى الأفعال حسن وقبح، فلو لم تكن أفعالنا صادرة عنّا باختيارنا لامتنع تعذيبنا على الشئ من الأفعال لقبح أن يخلق الله تعالى الفعل ثم يعذّبنا عليه، إذ يقبح تعذيبه على ما خلقه فينا بالضرورة، ولا ريب أنه جل وعلا منزّه عن القبائح، فاللازم باطل إجماعاً فالملزوم مثله وهو يقول: «وقل الحق من ربكم فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر» الكهف: ٢٩) ويقول: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الإنسان: ٣) ويقول: «ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧) إلى غير ذلك مما لا يُعدّ ولا يُحصى يدل على أن أفعال العباد صادرة عنهم باختيارهم ولنا فى هذا التفسير بحث دقيق، وتحقيق عميق فى الحسن والقبح العقليين فراجع.

وقوله تعالى: «ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين» الصافات: ١١٣) يدل على أن الأهليّة والسعادة بالولاية لا بالولادة ردّاً على مَن زعم العكس، ويدلّ على أن النسب لا أثر له فى الهدى والضلالة، وأن الانسان بما هوإنسان من أىّ شخص وُلِدَ فهومختار فى دينه وعقيدته، وأن الظلم من الاعقاب لا يعود على الأسلاف، ولا يوجب النقص والعيب

عليهم، كما ان ابن نوح عليه السّلام لم يكن من أهله، وقد كان سلمان الفارسى من أهل بيت سيّد الأنبيآء والمرسلين فلا يكون أعمال الناس وأنسابهم مجتمعين، وعلى أن فضآئل الآباء لا تستلزم فضيلة الأبنآء كما افتخرت اليهود بذلك جهلاً عن حقيقة الأمر!

نعم ما قال الشاعر:

أتفخر باتصالك من عليّ ... وأصل البول المآء القراح

وليس بنافع نسب زكيّ ... تدنسه صنائعك القباح

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا بنى هاشم لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم» والمراد تقبيح افتخارهم لديه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالأنساب حين يأتى الناس بالأعمال...

ونعم ما قال الشاعر:

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله

وقبيلة باهلة عرفوا بالدنآئة لأنهم كانوا يأكلون بقيّة الطعام مرّة ثانية، ويأكلون نقى عظام الميتة.

فمن كان عاقلاً لا يغترّ بالأنساب والأحساب، ولا يترك السعى والاجتهاد وما ينفعه يوم الحساب، فقد يكون أصل أحد الشيئين أفضل، ولكن ينضّم إليه ما يقتضى مرجوحيته كما فى إبليس حيث انضمّ إلى أصله عوارض رديئه من الكبر والحسد والعجب والعصيان... فاقتضت اللعنة عليه، وأمر آدم عليه السلام بعكس.

قوله تعالى: «ليقولون ولدالله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين» الصافات: ١٥١-١٥٣) يدلّ على ان المشركين إرتكبوا أربعة أنواع من الكفر: **الأوّل:** ان الله سبحانه جسم لأنّ الولادة من لوازم الجسم. **الثانى:** تفضيل أنفسهم على ربهم إذ اختاروا البنين لأنفسهم والبنات لله سبحانه. **الثالث:** انهم استهانوا بالملآئكة حيث انّثوهم. **الرابع:** إحتياج الله سبحانه إلى التلذّذ والاستمتاع.

فى التفسير البحر المحيط: «ان للكفار فى نسبة الولد إلى الله سبحانه مقالات شنيعة... منها: انه سبحانه صاهر سروات الجن فولد منهم الملآئكة وهم فرقة من بنى مدلج».

﴿حقيقة الشيعة عند المحققين القدمآء والمتأخرين﴾

قال الله عزوجل: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم ـ وقال إنّي ذاهب إلى ربّى سيهدين» الصافات: ٨٣ـ٩٩)

ولا يخفى على سليم القلب أن سياق الآيات الكريمة يدل على أن حقيقة «الشيعة» مركبة من الولآء والبرآءة: الولآء لله‌تعالى والبراءة من أعدآئه كنفس كلمة التوحيد: «لا إله إلّا الله» كان إبراهيم خليل الرحمن عليه‌السلام شيعياً رافضياً، فليست حقيقتها بسيطة كما زعم البسطآء... والمراد بالشيعة فى‌المقام هم الإمامية الاثنى عشرية، فعلى حقيقتها يدور بحثنا هيهنا على سبيل الإختصار، ولا يخفى على القارئ الخبيرالمتدبّر أن للمفسّرين والبلغآء، والمحدّثين والفصحآء، والمتكلمين والحكمآء، واللغويين والادبآء... من المتأخرين والقدمآء تعاريف وتراجم عديدة تبيّن حقيقة الشيعة فنشير إلى ما يسعه المقام ونحن على جناح الإختصار:

فى **تفسير الطبرى** وهو من أعلام العامة فى قوله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم» قال: «وإن من أشياع نوح على منهاجه وملّته والله لابراهيم خليل الرحمن».

وفى **تفسير النيسابورى:** وهو كذلك قال: «والمراد أن إبراهيم ممن شايع نوحاً على اصول الدين أو على التصلّب فى‌الدين».

وفى **الكشاف:** قال: «ممن شايعه على اصول الدين وإن اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلّب فى دين الله ومصابرة المكذّبين، ويجوز أن يكون بين شريعتهما

اتفاق فى أكثر الأشيآء، وعن ابن عباس: من أهل دينه وعلى سنّته وما كان بين نوح وإبراهيم إلّا نبيّان: هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمأة وأربعون سنة».

وفى **تفسير الجلالين**: قال: «ممن تابعه فى أصل الدين وإن طال الزمان بينهما وهو ألفان وستمأة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح».

وفى **تفسير الحديث**: للدروزة قال: «من شيعته» من فئته أو جماعته أو أمثاله».

وفى **تفسير الطنطاوى**: قال: «ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة إذ ظرف متعلق بـ «شيعته» لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب وهى المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد».

وفى **تفسير المراغى**: قال: «أى وإن ممن سار على نهج نوح وسلك طريقه فى اعتقاد التوحيد والبعث والتصلّب فى دين الله ومصابرة المكذّبين إبراهيم صلوات الله عليه «إذ جآء ربه بقلب سليم» أى سالم من جميع العلل والآفات النفسية كالحسد والغلّ وغيرهما من النيات السيّئة إذ أخلص قلبه لربه وجعله خالياً من كل شئون الحياة الدنيا، فلا غشّ لديه ولا حقد ولا شئ مما يشينه من العقائد الزآئفة والصفات القبيحة».

وفى **تفسير القرآن بالقرآن**: قال: «أى إن من شيعة نوح وأنصاره والقآئمين على دعوته من بعده إبراهيم، وشيعة المرءأوليآؤه وأنصاره، وحُسِبَ إبراهيم عليه السلام من شيعة نوح لأنه كان على الايمان بفطرته، فلم تستجب فطرته لعبادة صنم، فكأنّ بهذا كان ممن آمن مع نوح وركب معه السفينة وكان من الناجين، ثم إبراهيم قد اعتزل قومه وتركهم لضلالهم يتخطّبون فيه حتى هلكوا كما فعل نوح باعتزاله قومه بركوب السفينة تاركاً إيّاهم للبلآء الذى حلّ بهم، ولهذا كان إبراهيم امة وحده كما يقول الله تعالى: «إن إبراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين» النحل: ١٢٠) «إذ جآء ربه بقلب سليم» أى أقبل على ربه «بقلب سليم» أى قلب قد سلم من آفات الشرك والضلال، فلم تعلق بفطرته شائبة، بل ظلّ على الفطرة التى

فطره الله عليها، لم يدخل عليها شئ من غبار الشرك الذى يسدّ وجه الأرض».

وفى تفسير الواضح: قال: «شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، وكل قوم إجتمعوا على أمر فهم متشيّعون له، ثم صارت بعد موت سيّدنا على بن أبيطالب رضى الله عنه على جماعة خاصّة».

وان هؤلآء التسعة من كبرآء مفسرى العامة القدمآء والمتأخّرين وقد تركنا غيرهم منهم روماً للإختصار.

وأما مفسّر والشيعة:

فى تفسير التبيان: قال: «فالشيعة: الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصاروا بالعرف عبارة عن شيعة على عليه السلام الذين معه على أعدآئه».

وفى تفسير مجمع البيان: قال: «الشيعة: الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة على بن أبيطالب عليه السلام الذين كانوا معه على أعدائه وبعده مع مَن قام مقامه من أبنآئه».

وفى تفسير الميزان: قال: «الشيعة هم القوم المشايعون لغيرهم الذاهبون على أثرهم وبالجملة: كل مَن وافق غيره فى طريقته فهو من شيعته، أى ان إبراهيم كان ممن يوافقه (نوحاً) فى دينه وهو دين التوحيد».

وغير هؤلآء الثلاثة من مفسّريهم قد تركناهم لما سبق.

ومن محقق البلغآء: من قال: «الشيعة: الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصاروا بالعرف عبارة عن تابعين لعلىّ عليه السلام الذين كانوا معه على أعدآئه، وكون إبراهيم عليه السلام شيعياً لنوح عليه السلام كونه على منهاجه وسنته فى التوحيد والعدل واتباع الحق».

وفى سفينة البحار: «إن الشيعة هم أهل دين الله وهم على دين أنبيآئه وهم على الحق ولا يُغفَرُ إلّا لهم، ولا يُقبَلُ إلّا منهم» قال الله تعالى: «فمن تبعنى فانه منّى» إبراهيم: ٣٦).

ومن محقق الفصحآء: مَن قال: «الشيعة هى الفرقة المتفقة على مبدإ واحد ديناً

وعقيدةً».

وقالوا: «إن شيعة الحق هم الذين إجتمعوا على الحق كشيعة أهل بيت محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين هم اجتمعوا معهم على الحق لأنهم على الحق، والحق معهم يدورون حيثما دار».

وفى **أوائل المقالات:** للشيخ مفيد رضوان الله تعالى عليه: «التشيّع فى أصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولآء للمتبوع على الإخلاص قال الله عزوجل: «فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه» القصص: ١٥) ففرق بينهما فى الإسم بما اخبر به من فرق ما بينهما فى الولاية والعداوة موجب التشيّع لأحدهما هو الولآء بصريح الذكر له فى الكلام وقال الله تعالى: «وإن من شيعته لإبراهيم» فقضى له بالسمة بالاتباع منه لنوح على سبيل الولآء، ومنه قولهم: فلان تكلّم كذا وكذا فشيّع فلان كلامه إذا صدقه فيه واتبعه فى معانيه...

ومن هذا المعنى قيل لمن اتبع المسافر لوداعه: هو مشيع له غير أنه ليس كل مشيع لغيره على حقيقة ما ذكرناه من الإتباع يستحقّ السمة بالتشيّع، ولا يقع عليه اطلاق اللفظ بأنه من الشيعة، وإن كان متبوعه محقاً أو كان مبطلاً إلّا أن يسقط منه علامة التعريف التى هو الألف واللام، ويضاف بلفظ «مِن» للتبعيض، فيقال: هؤلآء من شيعة بنى امية أو من شيعة بنى العباس أو من شيعة فلان أو فلان، فأما إذا ادخل فيه علامة التعريف فهو على التخصيص لا محالة لاتباع أميرالمؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولآء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفى الإمامة عمّن تقدّمه فى مقام الخلافة وجعله فى الإعتقاد متبوعاً لهم، غير تابع لأحد منهم على وجه الإقتدآء، والذى يدل على ذلك عرف الكافّة ومعهودهم منه فى الإطلاق، ومعرفة كل مخاطب منه مراد المخاطب فى تعيين هذه الفرقة دون من سواها ممّن يدّعى استحقاقه من مخالفيها بما شرحناه كما يفهم العرف مراد المخاطب بذكر الاسلام على الاطلاق، وذكر الحنيفية والايمان والصلاة والزكاة والحجّ والصيام وإن كانت هذه الأسمآء فى أصل اللسان غير مفيدة لما قرّرته الشريعة،

وقضى به العرب فيها على البيان».

ثم قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى: «فأما السمة للمذهب بالإمامة، ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية فهو علم على مَن دان بوجوب الإمامة، ووجودها فى كل زمان وأوجب النصّ الجليّ والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة فى ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام وساقها إلى الرضا عليّ بن موسى عليه اسلام لأنّه وإن كان في الأصل علماً على مَن دان من الاصول بما ذكرناه دون التخصيص لمن قال فى الأعيان بما وصفناه فانه قد انتقل عن أصله لاستحقاق فرق من معتقديه ألقاباً بأحاديث هم بأقاويل احدثوها، فغلبت عليهم فى الإستعمال دون الوصف بالإمامية، وصار هذا الإسم فى عرف المتكلمين وغيرهم من الفقهآء والعامة علماً على مَن ذكرناه».

وفى الملل والنحل للشهرستانى ـ وهومن أعلام متكلمى العامة فى القرن الخامس والسادس هـ ـ قال: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بامامته وخلافته نصّاً ووصيّة، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا: ليست الإمامة قضيّة مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضيّة اصوليّة، وهى ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، يجمعهم القول بوجوب التعين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبيآء والأئمة وجوباً عن الكبآئر والصغآئر، والقول بالتولّى والتبرّى قولاً وفعلاً وعقداً إلّا فى حال التقيّة».

وفيه: قال ـ فى ترجمة الإماميّة ـ: «هم القائلون بامامة عليّ رضى الله عنه بعد النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. قالوا: وما كان فى الدين والإسلام أمر أهمّ من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الامّة، فانه إنّما بُعِثَ لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الامّة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه فى ذلك غيره، بل يجب أن يعيّن شخصاً هو

المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعوّل عليه، وقد عيّن علياً رضى الله عنه فى مواضع تعريضاً وفى مواضع تصريحاً.

أما تعريضاته فمثل أن بعث أبابكر ليقرأ سورة «برآءة» على الناس فى المشهد، وبعث بعده علياً ليكون هو القارئ عليهم والمبلغ عنه إليهم، وقال: «نزل علىّ جبرئيل عليه السلام، فقال: يبلّغه رجل منك أو قال من قومك» وهو يدلّ على تقديمه علياً عليه، ومثل أن كان يؤمّر على أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى البعوث، وقد أمر عليهما عمروبن العاص فى بعث، واسامة بن زيد فى بعث، وما أمّر على علىّ أحداً قطّ.

وأما تصريحاته فمثل ما جرى فى نأنأة (بدء الاسلام حين كان ضعيفاً) حين قال: «مَنِ الذى يبايعنى على ماله؟ فبا يَعَتْهُ جماعةُ ثم قال: مَنِ الذى يبايعنى على روحه وهو وصىّ وولىّ هذا الأمر من بعدى؟» فلم يبايعه أحد حتّى مدّ أميرالمؤمنين علىّ رضى الله عنه يده إليه، فبايعه على روحه ووفىّ بذلك، حتى كانت قريش تعير أباطالب أنه أمّر عليك إبنك، ومثل ما جرى فى كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: «يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» فلمّا وصل غدير خم أمر بالدوحات فقُمِمْن، ونادوا: الصلاة جامعة، ثم قال عليه الصلاة والسلام وهو على الرجال: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللّهمّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلّغت؟ ثلاثاً» فادّعت الإمامية أن هذا نصّ صريح.

فاننا ننظر مَن كان النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم مولى له؟ وبأىّ معنى؟ فَنَطّرِدُ ذلك فى حق على رضى الله عنه، وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه، حتى قال عمر حين استقبل علياً: طوبى لك يا علىّ! أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

قالوا: وقول النبى عليه الصلاة والسلام: «أقضاكم علىّ» نصّ فى الإمامة، فان الإمامة لا معنى لها إلّا أن يكون أقضى القضاة فى كل حادثة والحاكم على

المتخاصمين فى كل واقعة، وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم» قالوا: فاولوا الأمر: مَن إليه القضآء والحكم. حتّى وفى مسئلة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والأنصار، كان القاضى فى ذلك هو أميرالمؤمنين علىّ دون غيره، فان النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخصّ وصف له فقال: «أفرضكم زيد، وأقرؤكم أُبىّ، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ» وكذلك حكم لعلىّ بأخصّ وصف له، وهو قوله: «أقضاكم علىّ» والقضآء يستدعى كل علم، وليس كل علم يستدعى القضآء».

وفيه: قال الشهرستانى الشافعى ـ فى ترجمة الاثنى عشرية ـ «الاثنا عشرية: إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا قطعية، ساقوا الإمامة بعده فى أولاده، فقالوا: الإمام بعد موسى الكاظم: ولده علىّ الرضا، ومشهده بطوس، ثم بعده: محمد التقى الجواد أيضاً، وهو فى مقابر قريش ببغداد (كاظمين) ثم بعده: علىّ ابن محمد النقىّ، ومشهده بقمّ (سُرّ من رأى ظ) وبعده: الحسن العسكرى الزكى وبعده: إبنه محمد القائم المنتظر الذى هو بُسرّ مَن رأى وهو الثانى عشر، هذا هو طريق الاثنى عشرية فى زماننا». هذا كلام الشهرستانى فى القرن الخامس والسادس الهجرى.

وفى شرح ابن أبى الحديد قال: «والقول بالتفضيل ـ تفضيل علىّ عليه السلام على غيرهم ـ قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: عمّار والمقداد وأبوذر وسلمان وجابربن عبدالله وابىّ بن كعب وحذيفة وبريدة وأبو أيّوب وسهل بن حُنَيف وعثمان بن حنيف وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وأبو الطفيل عامربن واثلة والعباس بن عبدالمطلب وبنوه وبنوهاشم كافة وبنو المطلب كافّة ـ فأما من قال بتفضيله على الناس كافّة من التابعين فخلق كثير كاويس القرنىّ وزيد بن صوحان وصعصعة أخيه وجُندب (حبيب خ) الخير وعُبيدة السلمانى وغيرهم ممّن لا يُحصىٰ كثرة ولم تكن لفظة الشيعة تُعرف فى ذلك العصر إلّا لمن قال بتفضيله ـ فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة، وجميع ما ورد

من الآثار والأخبار فى فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنّة فهؤلآء هم المغيّون به دون غيرهم ...».

وفى دائرة المعارف للبستانى ـ فى ترجمة الشيعة ـ قال: «فرقة من كبار فرق الإسلام بايعوا علياً رضى الله عنه، وقالوا: إنه الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنصّ الجلىّ أو الخفىّ واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده...»

وفيه: قال البستانى فى ترجمة الإماميّة: «فرقة من الشيعة الذين لقّبوا علياً بالإمام نعتاً له بالإمامة الكبرى وهى بمعنى الخلافة ـ إلى أن قال ـ: والإمامية بحصر اللفظ يغلب على الفرقة المذكورة من الشيعة الذين يسمّون أيضاً الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثانى عشر من الأئمة وقولهم بغيبته إلى آخر الدهر...»

ثم قال: «والأئمة الذين استقرّ عليهم رأيهم بعد جعفر الصادق هو إبنه موسى الكاظم وبعده على بن موسى الرضا وبعده محمد بن علىّ التقى وبعده على بن محمد النقى وبعده حسن بن علىّ الزكى العسكرى وبعده محمدبن الحسن وهو الإمام المنتظر».

وفيه: قال ـ في ترجمة الخلافة ـ: «وعند الشيعة ان الامامة ليست من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الامّة ولكنها ركن الدين وقاعدة الاسلام وعلى النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم تعيين الإمام للمسلمين، وان النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم عيّن علياً رضى الله عنه بنصوص...»

وفى دائرة المعارف: لفريد وجدى ـ فى ترجمة الشيعة ـ قال: «هم الذين شايعوا علياً عليه السلام فى إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده قالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامّة بل هى قضيّة اصولية هى ركن الدين، ولابد أن يكون الرسول قد نصّ على ذلك صريحاً، والشيعة يقولون بعصمة الأئمة من الكبآئر والصغآئر والقول بالتولى والتبرى قولاً وفعلاً إلّا فى حال التقية إذا خافوا بطش ظالم».

وفيه: قال ـ فى ترجمة الامامية ـ: «هم فرقة من المسلمين يقولون بامامة على بن

أبيطالب عليه السلام بعد النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قالوا: وما كان فى الدين والإسلام أمرأهم من تعيين الإمام فانه إذا بعث النبى لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يترك الامّة بلا إمام يسلك كل واحد طريقاً فى انتخابه، وقد عيّن علياً عليه السلام تعريضاً وتصريحاً أما تعريضاً ففى حوادث كثيرة مثل انه لم يجعله تحت امرة أحد فى حرب من حروبه بخلاف أبى بكر وعمر فقد أمّر عليهما غيرهما، وأما تصريحاً فانه قال عليه الصلاة والسلام من الذى يبا يعنى على روحه، وهو وصىّ وولىّ هذا الأمر من بعدى، فلم يبايعه أحد حتّى مدّ أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه».

وفيه: قال ـ فى ترجمة الا ثنى عشرية ـ: «طائفة من الشيعة الذين قالوا: لابدّ للعالم من إمام معصوم، ورأوا أن هؤلآء الأئمة لا يكونون إلّا من عقب النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم من أولاد فاطمة زوج على بن أبيطالب رضى الله عنهما سمّوا بذلك لأنهم ساقوا الإمامة بعد علىّ إلى اثنى (أحد ظ) عشر ولداً من أولاده حتى وصلوا إلى الإمام القائم ابن حسن العسكرى الزكى، وقالوا: انه الإمام المنتظر وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً وكمالاً».

وفى لسان العرب وتاج العروس: ـ فى مادة شيع ـ: «الشيعة يهوون هوى عترة النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ويوالو الهم» و «شيعة الرجل ـ بالكسر ـ: أتباعه وأنصاره، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس على حدة ويقع على الواحد والإ ثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الإسم على كل مَن يتولّى علياً وأهل بيته رضى الله عنهم أجمعين حتى صار إسماً لهم خاصاً، وأصل ذلك من المشايعة وهى المتابعة والمطاوعة».

وقال ابن خلدون فى (مقدمته: ص ١٣٠): «إعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والا تباع، ويطلق فى عرف الفقهآء والمتكلمين من السلف والخلف على أتباع علىّ وبنيه رضى الله عنهم».

وفى خطط الشام (ج ٥ ص ١٥٦) لمحمد كرد على ـ وهو غير شيعى بل هو ممّن

يتحامل على الشيعة الأبرار، لكن الحق ينطق منصفاً وعنيداً- فانه عدّ طائفة من الصحابة المعروفين بشيعة علىّ عليه السلام وقال: «وأماما قد ذهب إليه بعض الكتّاب من أن أهل مذهب التشيّع من بدعة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلّة معرفة فى مذهبهم».

وفى الرائد: ـ فى مادة شيع ـ: «الشيعة جماعة من المسلمين ناصروا الإمام (على بن أبيطالب) وآله عليه السلام».

وفى المنجد: «الشيعة: الفرقة وقد غلب هذا الإسم على كل من يتولّى علياً وأهل بيته حتى صار لهم إسماً خاصاً ويعرف أيضاً بالمتوالى».

وفى امالى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى صادق قال: «سمعت أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام يقول: دينى دين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحسبى حسب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن تناول دينى وحسبى فقد تناول دين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحسبه».

وفي كتاب لماذا اخترت مذهب الشيعة للعلامة الكبير المجاهد الشيخ محمد مرعى الأمين الأنطاكى ـ وهو من كبرآء أهل التسنن وكان قاضى القضاة لهم- فاستبصرو كتب كتباً قيّمة جدّاً بعد استبصاره فعلى المحققين الأحرار بمطالعتها وقال: «من هم الشيعة؟ هم الطآئفة الحقّة المحقة والخيرة من خلق الله، والفرقة الناجية التى تمسكت بولآء الله ورسوله والأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم صلوات الله وعرفت حق أئمتها حق المعرفة حسب الإمكان، وعرفت من عاداهم فأعطت كلا منهم حقهم، وهم يعبدون الله وحده لا شريك له ولا مثيل، ويؤمنون برسالة النبى الأعظم محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبولاية:

الامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وبقيّة الأئمة الأحد عشر:

الامام الحسن المجتبى عليه السلام

الامام الحسين الشهيد بكربلآء عليه السلام

الامام على بن الحسين السجاد عليه السلام

الامام محمد بن على الباقر عليه السلام

الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الامام علىّ بن موسى الرضا عليه السلام

الامام محمد بن علىّ الجواد عليه السلام

الامام على بن محمد الهادى عليه السلام

الامام الحسن الزكى العسكرى عليه السلام

الامام الحجة المنتظر المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف

وسيظهر فى آخرالزمان، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.
(راجع كتب الفريقين لتعرف علّة بقآئه وطول عمره)

وانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والخمس، ويصومون ويحجّون ويجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، كما أمرالله ورسوله، ولا يخافون فى الله لومة لائم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون إلى الخيرات، ويأتون بجميع الواجبات، وينهون عن جميع المحرمات».

وقال: «ونختم القول بأنّ الشيعة فرقة مؤمنة اخذت بجميع ما جآء عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ربه فهى صاحبة الحق فى كل مدّعياتها، ولكن أهل الفساد ألصقوا بها عيوباً هى منه بريئة كبرائة ذئب يوسف من يوسف. راجع كتبها وتتبع آثار باخلاص تعرف صدقنا، وأقول: إن لفظة «شيعى» هو شرف عظيم لأن القرآن جآء بمدحها، ألا ترى إلى ما قال الله فى كتابه حكاية عن الذى استغاث بموسى لما أراد القبط بتسخيره فاستغاثه الذى هو من شيعته على الذى من عدوّه فوكزه (أى موسى) وكز القبطى فقتله دفاعاً عمّن هو من شيعته، وقوله تعالى: «وإن من شيعته لإبراهيم» يعنى ان نوحاً من شيعة ابراهيم، وقد مرّ عليك كثيراً قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلىّ عليه السلام: أنت وشيعتك فالشيعة هم حزب الله وحزب الأنبيآء والأوصيآء والحمد لله.

وفى الدرَر الملتقطة: «الشيعة : بالكسر: الأتباع والأنصار.. و كل قوم إجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة إسماً لجماعة مخصوصة».

ثم قال: «ويستفاد من بعض الأخبار أن تسمية الشيعة بهذا الإسم باعتبار أن نور نبيّنا و روحه هو الذى تشعبت منه أنوار أوصيآئه المعصومين عليهم السلام ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخرين، فلذلك سمّوا بهذا الاسم» وإليه يشير ما:

فى البحار: عن المفضّل بن عمر قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام: «ما كنتم قبل أن يخلق الله السموات و الأرضين؟ قال عليه السلام: كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتى خلق الله سبحانه الملآئكة، فقال لهم: سبّحوا فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا، فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنّا خلقنا من نورالله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فاذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبّابة و الوسطى وقال: كهاتين. ثم قال: يا مفضّل! أتدرى لِمَ سُمِّيت الشيعة شيعة؟ يا مفضّل! شيعتنا منّا و نحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشّمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، وقال: إلى أين تعود؟ قلت: إلى مغرب، قال عليه السلام: هكذا شيعتنا، منّا بدؤا وإلينا يعودون».

وفى (الفصل فى الملل والأهوآء والنحل: ج ٢ ص ١١٣) قال ابن حزم: «ومن وافق الشيعة فى أن علياً رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعىّ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً».

ولا يخفى على القارئ الخبير أن ابن حزم يعترف بأفضليّة أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام على الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنه الامام والخليفة بعده وأن الإمامة فى ذريته من فاطمة الزهرآء عليه السلام وهذا هو أساس التشيّع وجوهره.

قال شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود ـ وهو من كبار متفكرى العامة

المعاصرين- فى كتابه (التفكر الفلسفى فى الاسلام: ص ١٦٦) ما لفظه: «رأينا فى أصل الشيعة: ولكنّا نرى أن السبب فى نشأة «الشيعة» لا يرجع إلى الفرس عند دخولهم فى الاسلام ولا يرجع إلى اليهودية فى «عبدالله بن سبأ» وإنّما هو أقدم من ذلك، فنواته الاولى ترجع إلى شخصية علىّ رضى الله عنه من جانب، وصلته بالرسول عليه الصلاة والسلام من جانب آخر وتوضيح ذلك: أن صلة علىّ بالرسول عليه الصلاة والسلام أقدم من الإسلام نفسه، لم ينس محمد عليه الصلاة والسلام بعد زواجه بخديجة رضى الله عنها، عطف أبى طالب عليه ورعايته له. فقد ضمّ أبوطالب الرسول إليه وكفله بعد وفاة جدّه عبدالمطلب وذلك بالرغم من كثرة عياله وعدم ثرائه.

وكان من تصرّفات المقادير: أن أصابت قريشاً أزمة شديدة فتحدث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معه عمه العباس وكان من أيسر بنى هاشم فقال له: إن أخاك ابا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله: آخُذُ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه، فقال العبّاس: نعم فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب وانتهى الأمر بينهما وبينه: أن أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً، فضمّه إليه وأخذ العباس جعفراً.

نشأ علىّ مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منذ نعومة أظفاره، فتفتحت عيناه طفلاً على أكرم مُثُل للقدوة الحسنة ممثّلة فى الرسول عليه الصلاة والسلام، وتفتحت عيناه على اكرم مُثُل للودّ المتبادل بين الزوجين الطاهرين، والحنان الذى يملأ البيت الكريم، والرحمة التى تفيض من قلب محمد وخديجة، فيكون من أثرها حمل الكل، وصلة الرحم، وقرى الضيف، والإعانة على نوائب الدهر، فترك ذلك فى نفسه أكرم الأثر، وأوحى الله إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وعلىّ يومئذ ابن عشر سنين،فلم تتدنّس جبهته بالسجود لصنم ولم يكن ســن تجترح فيها المعاصى، فاعتنق الاسلام طاهراً».

أقول: هذا كلام شيخ الأزهر من كبار متفكرى العامة المعاصرين فى نشأة

الشيعة وإما مهم مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله و أزكى تحياته بعدد ما أحاط به علم الله جل وعلا.

ولعمرى! انه لا يتخذ عَلىّ بن أبيطالب عليه السلام مولًى إلّا الموحّدون، ولا يتخذه إماماً إلّا المتقون، ولا أميراً إلّا المؤمنون، فغيرهم لا يتخذوه مولًى ولا إماماً ولا أميراً على أنفسهم، فنذرهم فى طغيانهم يعمهون.

﴿طينة الشيعة من طينة أهل بيت الوحي عليهم السلام﴾

وأخذ الميثاق منهم بالولاية

قال الله عزوجل: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» الأعراف: ١٧٢)

وقد وردت فى المقام روايات صحيحة كثيرة نشير إلى نبذة منها:

١ ـ فى اصول الكافى: باسناده عن بكيربن أعين قال: «كان أبوجعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذرّ، يوم أخذ الميثاق على الذر والإقرار له بالربوبية ولمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنبوة».

٢ ـ وفيه: باسناده عن بكيربن أعين قال: «كان أبوجعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ، يوم أخذ الميثاق على الذّرّ بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنبوّة، وعرض الله جل وعزّ على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم امّته فى الطين وهم أظلّة وخلقهم من الطينة التى خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفى عام وعرضهم عليه وعرّفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعرّفهم علياً ونحن نعرفهم فى لحن القول».

٣ ـ فى بصائر الدرجات: بالاسناد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله خلق محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح فجبل طينة أميرالمؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان لطينة أميرالمؤمنين عليه السلام نضح، فجبل طينتنا من فضل طينة أميرالمؤمنين عليه السلام وكانت لطينتنا نضح، فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا،

فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم، وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير ونحن له خير».

٤ـ وفيه: بالاسناد عن عبدالحميد عن أبى الحسن الأوّل عليه‌السلام قال: «سمعته يقول: خلق الله الأنبيآء والأوصيآء يوم الجمعة وهو اليوم الذى أخذ الله فيه ميثاقهم، وقال: خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة لا يشذّ منها شاذّ إلى يوم القيامة».

٥ـ وفيه: بالاسناد عن الفضل بن عيسى الهاشمى قال: «دخلت على أبى عبدالله عليه‌السلام أنا وأبى عيسى، فقال له: أمِن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: سلمان رجل منّا أهل البيت؟ فقال: نعم، فقال: أى من ولد عبدالمطلب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: أى من ولد أبى‌طالب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: إنّى لا أعرفه، فقال: فاعرفه يا عيسى فانّه منّا أهل البيت. ثم أو مأبيده إلى صدره ثم قال: ليس حيث تذهب إن‌الله خلق طينتنا من علّيين وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك فهم منّا وخلق طينة عدوّنا من سجّين وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك، وهم منهم وسلمان خير من لقمان».

٦ـ فى البحار: عن ابن‌عبّاس أنه قال: قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «إتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنورالله، قال: فقلت: يا اميرالمؤمنين كيف ينظر بنورالله عزوجل؟ قال عليه‌السلام: لأنّا خلقنا من نورالله، و خلق شيعتنا من شعاع نورنا، فهم أصفيآء أبرار أطهار متوسّمون، نورهم يضيئ على مَن سواهم كالبدر فى اللّيلة الظّلمآء».

٧ـ وفيه: عن صفوان عن الصادق عليه‌السلام أنه قال: «لمّا خلق الله السموات والأرضين استوى على العرش، فأمر نورين من نوره فطا فا حول العرش سبعين مرّة فقال عزوجل: هذان نوران لى مطيعان، فخلق الله من ذلك النور محمداً وعلياً والأصفيآء من ولده عليهم‌السلام وخلق من نورهم شيعتهم، وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار».

٨ـ فى معانى الأخبار: باسناده عن جابر الجعفى قال: «سئلت أباجعفر محمدبن

علىّ الباقر عليه السلام عن قول الله عزّوجل: «كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها فى السمآء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها» قال: أمّا الشجرة فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفرعها علىّ عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله وثمرها أولادها عليهم السلام وورقها شيعتنا، ثم قال عليه السلام: إن المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة، وإن المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة ورقة». **أقول:** إن الامام عليه السلام بيّن أن أهل النجاة والسعادة منحصرون فى الشيعة لأن الله تعالى ضرب للكلمة الطيبة التى هى الايمان وأهله بالشجرة الطيبة، وبيّن أجزائها، فالمخالفون بريؤون من تلك الشجرة وداخلون فى الشجرة الخبيثة التى ذكرت بعدها، ثم بيّن ان الشيعة كلهم داخلون فى الشجرة الطيبة بقوله: «ان المولود من شيعتنا ليولد».

٩ـ فى المحاسن: بالاسناد عن سدير قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: أنتم آل محمد أنتم آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم»

أقول: كقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «سلمان منّا أهل البيت».

١٠ـ وفيه: بالاسناد عن الحسين بن أبى العلا قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: إن لكل شئ جوهراً وجوهر ولد آدم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن وشيعتنا».

١١ـ فى تفسير القمى: باسناده عن عمربن يزيد قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «أنتم والله من آل محمد، فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: نعم والله من أنفسهم ثلاثاً ثم نظر إلىّ ونظرت إليه، فقال: يا عمر إن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولىّ المؤمنين».

١٢ـ فى روضة الكافى: باسناده عن مالك بن عطيّة قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: إنّى رجل من بجيلة وأنا أدين الله عزوجل بأنكم موالىّ وقد يسئلنى بعض من لا يعرفنى فيقول لى: ممّن الرجل؟ فأقول له: أنا رجل من العرب ثم من بجيلة، فعلىّ فى هذا إثم حيث لم أقل: إنّى مولى لبنى هاشم؟ فقال: لا أليس قلبك

وهواك منعقداً على أنك من موالينا؟ فقلت: بلى والله فقال: ليس عليك فى أن تقول: أنا من العرب، إنّما أنت من العرب فى النسب والعطآء والعدد والحسب، فأنت فى الدين وما حوى الدين بما تدين الله عزوجل به من طاعتنا والأخذ به منّا من موالينا ومنّا وإلينا».

١٣ـ فى اصول الكافى: عن علىّ بن الحسين عليهما السلام قال: «إنّ الله عزّوجل خلق النبيّين من طينة علّيّين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفّار من طينة سجّين، قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن ههنا يصيب المؤمن السيّئة، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه».

أقول: ولا يبعد أن يكون المراد بطينة عليين وطينة سجّين ما فى الانسان من قوتى العقل والشهوة، الهدى والضلالة، النور والظلمة، الخير والشرّ، السعادة والشقاوة والتقوى والفجور: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشمس: ٧ـ٨) فصار بهما الانسان مختاراً فى عقآئده وأفعاله... فيدعو أحدهما صاحبه إلى الجنة والملأ الأعلى التى تناسبها، والآخر إلى النار ونهاية السفلى التى تناسبها، فيتبع الأنبيآء والمرسلون والأوصيآء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين العقل فانهم مظاهره حسب درجاتهم... ويتبعهم المؤمنون، ويتبع الكفار الشهوة: «قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها» الشمس: ٩ـ١٠).

١٤ـ وفيه: باسناده عن صالح بن سهل قال: «قلت لأبى عبدالله عليه السلام: جعلت فداك من أىّ شئ خلق الله عزوجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبيآء فلم تنجس أبداً». أى بنجاسة الكفر والضلالة والشرك والغواية.

١٥ـ وفيه: باسناده عن عبدالله بن كيسان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: جُعِلَت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان: قال: أما النسب فأعرفه وأما أنت: فلست أعرفك، قال: قلت له: إنّى وُلدتُ بالجبل ونشأت فى أرض

فارس، وإنّني أُخالط الناس فى التجارات وغير ذلك، فاخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق وكثرة أمانة، ثم افتشه فاتبينه عن عداوتكم، واُخالط الرجل، فارى منه سوء الخلق وقلّة أمانة وزعارة، ثم افتشه فاتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي: أما علمت يابن كيسان أن الله عزّوجل أخذ طينة من الجنة وطينة من النار فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه، وهذه من هذه فما رأيت من اولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمت فمّا مسّتهم من طينة الجنّة وهو يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلآء من قلّة الأمانة وسوء الخلق والزعارة، فمّا مسّتهم من طينة النار وهم يعودون إلى ما خلقوا منه».

قوله عليه السلام: «السمت»: هيئة أهل الخير، و «عن عداوتكم» تعدّى بـ «عن» لتضمّن معنى الكشف، و «فخلطهما جميعاً» أى فى صلب آدم عليه السلام إلى أن يخرجوا من أصلاب أولاده وهو المراد بقوله: «ثم نزع هذه من هذه» إذ يخرج المؤمن من صلب الكافر والعكس و «الزعارة»: سوء الخلق والشراسة.

١٦- **فى تفسير العياشي:** عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: أخبرنى عن الذرّ حيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى والله، وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، كيف علموا القول حيث قيل لهم: «ألست بربكم»؟ قال: إن الله جعل فيهم ما إذا سئلهم أجابوه».

١٧- **فى البحار:** عن أبى الحجّاج قال: «قال لى أبوجعفر عليه السلام: يا أبا الحجّاج إن الله خلق محمداً وآل محمد صلّى الله عليهم من طين علّيّين، وخلق قلوبهم ـ أى قلوب شيعتهم ـ من طين علّيين، فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّ الله تعالى خلق عدوّ آل محمد من طين سجّين، وخلق قلوبهم أخبث من ذلك وخلق شيعتهم من طين دون طين سجّين، فقلوبهم من أبدان اولئك، وكل قلب يحنّ إلى بدنه».

١٨- **فى بشارة المصطفى:** باسناده عن جابر عن أبى جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام «أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعليّ: أنت الذى احتجّ الله

بك فى ابتدآء الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: ومحمد رسولى؟ قالوا: بلى قال: وعلىّ أميرالمؤمنين؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل، وهم أقلّ القليل وهم أصحاب اليمين».

قال الله عزوجل حكاية عن إبليس: «فبعزّتك لاغوينهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢-٨٣)

وقال تعالى: «وقليل من عبادى الشكور- ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين» سبأ: ١٣ و ٢٠)

١٩- فى تفسير العياشي: عن أبى ذرّ قال: «قال: والله ما صدق أحد ممن أخذ الله ميثاقه فوفى بعهدالله غير أهل بيت نبيّهم، وعصابة قليلة من شيعتهم، وذلك قول الله: «وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين» وقوله: «ولكن أكثر الناس لا يؤمنون»».

٢٠- فى المحاسن: عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» فقال: ليس على هذه العصابة خاصّة سلطان، قلت: وكيف وفيهم ما فيهم؟ فقال: ليس حيث تذهب إنما هو ليس لك سلطان أن يحبّب إليهم الكفر ويبغّض إليهم الايمان».

﴿الشيعة على أساس الفطرة﴾

قال الله عزوجل: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» الروم: ٣٠)

وقد وردت روايات كثيرة على أن الولاية والإمامة والخلافة لأهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ـ وهى مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ـ كالتوحيد والنبوّة والعدل والمعاد على مقتضى الفطرة الإنسانية، وهذا هو معنى قوله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم» الصافات: ٨٣-٨٤)، فمن لاولاية له بذوبها لا دين ولا ايمان له بالتوحيد والنبوّة والعدل والمعاد، وانه منحرف ضال خارج عن مدار الفطرة وإن ادّعى ما ادّعى... فنشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

فى تفسير القمى: باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» قال: هى الولاية.

وفيه: باسناده عن علىّ بن موسى الرضا عن أبيه عن جدّه محمد بن علىّ عليهم السلام فى قوله تعالى: «فطرة الله التى فطر الناس عليها» قال: هو «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علىّ أميرالمؤمنين».

وفى بصائرالدرجات: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله التى فطرالناس عليها» قال: على التوحيد وأن محمداً رسول الله وأن علياً ولىٌّ أميرالمؤمنين عليه السلام.

وفى النهاية لابن الأثير ـ فى كلمة فطر ـ قال: فيه «كل مولود يُولد على الفطرة» الفَطْر: الإبتدآء والإختراع، والفِطرة: الحالة منه كالجلسة والركبة. والمعنى: أنه يولد على نوع من الجبلّة والطبع المتهيّئ لقبول الدين، فلو تُرِك عليها لا ستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه مَن يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثّل بأولاد اليهود والنصارى فى اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة» إنتهى كلامه.

وفى المحاسن: باسناده عن زرارة قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «فطرة الله التى فطر الناس عليها» قال: فطرهم على معرفة أنه ربهم، ولو لا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا مَن ربهم ومَن رازقهم».

وفى اصول الكافى: باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عزّوجل: «حنفآء لله غير مشركين به»؟ قال: الحنيفية من الفطرة التى فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: وسئلته عن قول الله عزوجل: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى... الآية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّر فعرّفهم وأراهم نفسه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه، وقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كل مولود يولد على الفطرة يعنى المعرفة بأن الله عزوجل خالقه، كذلك قوله: «ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله».

قوله تعالى: «حنفآء لله غير مشركين به» إشارة إلى قوله عزوجل: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفآء لله غير مشركين به» الحج: ٣٠-٣١)

وفى النهاية: «والحنفآء جمع حنيف وهو المآئل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام وأصل الحَنَف: الميل. ومنه الحديث: «بُعِثت بالحنيفية السمحة السهلة».

وقوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» بأن يكون الخلق كلهم مسلمين مقرّين بالله

تعالى وحده أو قابلين للمعرفة به جل وعلا.

وقوله عليه السلام: «وأراهم نفسه» أى بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينيّة فى الظهور ليرسخ فيهم معرفته، ويعرفوه فى دار التكليف، ولو لا تلك المعرفة الميثاقية لم يحصل لهم تلك القابليّة. وقوله عليه السلام: «كذلك قوله» أى هذه الآية الكريمة أيضاً محمولة على هذا المعنى.

وفى دعآء عرفة: من كلام سبط المصطفى سيد الشهداء الإمام أبى عبدالله الحسين بن على عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «كيف يُستدلّ عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟ حتّى يكون هو المظهر لك؟ متى غبتَ حتّى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟ عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً».

وقال عليه السلام أيضاً: «تعرّفت لكل شئ فما جهلك شئ، تعرّفت إلىّ فى كل شئ فرأيتك ظاهراً فى كل شئ، فأنت الظاهر لكل شئ».

أقول: وما يظهر من الأخبار هو أن الله عزوجل قرّر عقول الخلق كلهم على التوحيد والإقرار بالصانع وعلى النبوّة والولاية فى بدءِ الخلق عند الميثاق، فقلوب الخلق أجمعين مذعنة فى ذاتها بذلك وإن جحدوه معاندة.

وفى تفسير العياشى: عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» قال: الصبغة معرفة أميرالمؤمنين عليه السلام بالولاية فى الميثاق».

﴿شجرة النبوّة هى أصل الشيعة﴾

قال الله تعالى: «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها فى السمآء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون» إبراهيم: ٢٤-٢٥)

وقد أورد فى المقام جماعة من حملة آثار العامّة فى أسفارهم روايات صحيحة بأسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها:

١- روى ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان: ج ٦ ص ٢٤٣ ط حيدرآباد الدكن) بالاسناد عن عاصم بن ضمرة عن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شجر أنا أصلها، و علي فرعها و الحسن و الحسين ثمرها و الشيعة ورقها، فهل يخرج من الطّيّب إلاّ الطّيّب، و أنا مدينة العلم و علّي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».

رواه جماعة من أعلامهم بعينه: منهم: الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب: ص ٩٨ ط الغرى) والأمر تسرى فى (أرجح المطالب: ص ٤٥٨ ط لاهور)

٢- روى الحاكم النيسابورى فى (المستدرك: ج ٣ ص ١٦٠ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن ميناآء بن أبى ميناآء مولى عبدالرحمن بن عوف قال: خذوا عنّى قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: آنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلىّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة فى جنّة عدن، وسآئر ذلك فى سآئر الجنة».

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعاظم العامه:

منهم: الذهبي فى (تلخيص المستدرك ، المطبوع بذيل المستدرك : ج ٣ ص ١٦٠ ط حيدرآباد)

ومنهم: الذهبي فى (ميزان الإعتدال: ج ١ ص ٢٣٤ ط القاهرة)

ومنهم: ابن حجر العسقلانى فى (الإصابة: ج ٣ ص ٥٠٧ ط مصر)

ومنهم: الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين: ص ٦١ ط الغرى) وغيرهم تركناهم للاختصار.

ثم ذكر الحاكم فى (المستدرك ، ج ٣ ص ١٦٠ ط حيدرآباد) بعد نقل الحديث ما لفظه: وأنشدنا الشيخ أبوبكر بن فضل الله الحلبي الواعظ فى المعنى لبعضهم:

يا حبّذا دوحة في الخلد ثابتة ... ما في الجنان لها شبه من الشجر

المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثمّ اللقاح عليّ سيّد البشر

والها شميان سبطاه لها ثمر ... والشّيعة الورق الملتف بالثمر

هذا حديث رسول الله جآء به ... أهل الرواية في العالى من الخبر

إنّي بحبّهم أرجو النجاة غداً ... والفوز مع زمرة من أحسن الزمر

٣ـ روى المحدث جمال الدين محمد بن احمد الحنفى الموصلى المتوفى (٦٨٠) فى كتابه (درّ بحر المناقب: ص ٦٥) عن عباد بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليلة اسري بي إلى السمآء أوحى الله إليّ: يا محمد على مَن تخلّى امتك ؟ قال: اللهمّ عليك ، قال: صدقت أنا خليفتك على الناس أجمعين، يا محمد! قلت: لبيك وسعديك يا رب، قال: إنى اصطفيتك برسالاتى وأنت امينى على وحيى، ثم خلقت من طينتك الصديق الأكبر خير الأوصيآء، جعلت له الحسن والحسين، أنت يا محمد وعليّ غصنها وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمرها، خلقتكم من طين فى علّيّين وجعلت شيعتكم من بقيّة طينتكم، فلأجل ذلك قلوبهم وأجسادهم تهوى إليكم».

٤ـ روى ابن حجر العسقلانى (المتوفى: ٨٥٢) فى كتابه (لسان الميزان: ج ٤

ص ٣٥٤) عن أبي إسحق السبيعي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في عليّ عليه السلام ـ قال: «مثل عليّ كشجرة أنا أصلها، وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها» رواه بعينه الذهبي في (ميزان الإعتدال: ج ٢ ص ٢٨١ ط القاهرة).

ثم قال ابن حجر: ونعم ما قيل:

يا حبّذا دوحة في الخلد نابتة — ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة — والها شميان سبطاه لها ثمر
والشيعة الورق الملتف بالثمر

٥ـ روى الشيخ الحنفي الموصلي في (درّ بحر المناقب: ص ٧٨) باسناده عن ثمامة (أبي امامة خ) الباهلي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله خلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا ورقها، فمن تمسّك بهذه الشجرة دخل الجنة وأمن من النار».

٦ـ روى الگنجي الشافعي في (كفاية الطالب: ص ١٧٩ ط الغرى) باسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «في الفردوس لَعَيْناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله تعالى منها، وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا وهي الميثاق الذي أخذ الله عزوجلّ عليه ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السلام».

رواه بعينه الذهبي في (ميزان الإعتدال: ج ٢ ص ١٧٤ ط القاهرة) والعسقلاني في (لسان الميزان: ج ٤ ص ١٢٤ ط حيدرآباد الدكن) وغيرهما.

٧ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة: ص ٢٥٦ ط إسلامبول) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «خلق الله الأنبياء من أشجار شتّى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعليّ فرعها، والحسن والحسين أثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بها نجى، ومن زاغ عنها هوى».

وفيه (ص ٢٥٧ الطبع) عن جابر مرفوعاً: «أوّل ثلمة في الإسلام مخالفة عليّ

عليه السلام».

٨- روى الذهبي فى (ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٣٦٩ ط القاهرة) باسناده عن جابربن عبدالله قال: «خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: مَن أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً وإن صام وصلّى، ان الله علّمنى أسمآء امتى كما علّم آدم الأسمآء كلها ومثّل لى امّتى فى الطين، فمربي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلىّ وشيعته»

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من أعلام العامّة:

منهم: ابن‌حجر العسقلانى فى (لسان الميزان: ج ٣ ص ١ ط حيدرآباد الدكن)

ومنهم: الهيتمى فى (مجمع الزوآئد: ج ٩ ص ١٧٢ ط القدسى بالقاهرة) ما لفظه:

وعن جابربن عبدالله الأنصارى قال: «خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فسمعته وهو يقول: أيّها الناس! مَن أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً، فقلت: يا رسول الله و إن صام وصلّى؟ قال: وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم احتجوا بذلك من سفك دمه وأن يؤدّى الجزية عن يدوهم صاغرون، مثّل لى امّتى فى الطين، فمرّبى أصحاب الرايات، فاستغفرت لعلىّ وشيعته».

ثم قال: رواه الطبرانى فى (الأوسط) وغيرهم ممن تركنا ذكرهم روماً للاختصار.

أقول: انشدكم بالله أيّها العامّة! فما اريد بلفظ الشيعة من لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى الروايات الواردة عن طريقكم؟ أهم شيعة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين أم شيعة الخلفآء الثلاثة الغاصبين وأتباع معاوية بن أبى‌سفيان؟ أكان مذهب الشيعة من تلقآء أنفسهم؟ أهم كذّابون فى اصول دينهم وفروعه؟ أو لا تعرفونها من أين اتخذوها؟ أحقيق للانسان أن يشترى دينه بالدينار ويكتم الحق ويلبسه بالباطل؟؟؟!!!

﴿طيب مولد الشيعة وخبث ولادة غيرهم﴾

قال الله جل وعلا: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» الاسرآء: ٦٤-٦٥).

وقد وردت روايات كثيرة لا يسع مقام الإختصار بذكر جميعها، فنشير إلى نبذة منها:

١ــ فى علل الشرائع باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال: كنّا بمنى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ بصرنا برجل ساجد و راكع و متضرّع، فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته؟ فقال صلّى الله عليه وآله و سلّم :هو الذى أخرج أباكم من الجنّة، فمضى إليه علّى عليه السلام غير مكترث فهزّه هزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى، واليسرى فى اليمنى، ثم قال: لأقتلنّك إن شآء الله فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربّي، مالك تريد قتلى؟ فوالله ما أبغضك أحد إلا سبقت نطفتى إلى امّه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك فى الأموال والأولاد، و هو قول الله عزّوجل فى محكم كتابه: «وشاركهم فى الأموال والأولاد».

قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: صدق يا علىّ لا يبغضك من قريش إلّا سفاحىّ ولا من الأنصار إلّا يهودىّ ولا من العرب إلّا دعىّ ولا من سآئر الناس إلّا شقىّ ولا من النسآء إلّا سلقلقيّة وهى التى تحيض من دبرها، ثمّ أطرق مليّاً ثم رفع رأسه، فقال: معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبّة علىّ، قال جابر بن

عبدالله: فكنّا نعرض حبّ علىّ عليه السلام على أولادنا فمن أحبّ عليّاً علمنا أنه من أولادنا، ومن أبغض علياً إنتفينا منه».

قوله: «غير مكترث» أى لا يعبأ به ولا يباليه، و «هزّه»: حرّكه.

٢- فى الإحتجاج: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلى بن أبيطالب عليه السلام: يا علىّ لا يحبّك إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلّا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلّا مؤمن ولا يعاديك إلّا كافر».

٣- فيما وعظ به على بن أبيطالب عليه السلام نوفاً البكالى أنه قال: «يا نوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يبغضنى ويبغض الأئمة من ولدى».

٤- فى رواية عن ابن عباس قال: قال النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يحبّك إلّا طاهر الولادة ولا يبغضك إلّا خبيث الولادة».

٥- فى معانى الأخبار: باسناده عن زيد بن علىّ عن أبيه عن جدّه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا علىّ مَن أحبّنى وأحبّك وأحبّ الأئمّة من ولدك فليحمدالله على طيب مولده، فإنّه لا يحبّنا إلّا مؤمن طابت ولادته، ولا يبغضنا إلّا مَن خبثت ولادته».

٦- فى تفسير القمى فى قوله تعالى: «سلام عليكم طبتم» الزمر: ٧٣) أى طاب موالدكم لأنه لا يدخل الجنة إلّا طيّب المولد «فادخلوها خالدين» قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: إن فلاناً وفلاناً غصبونا حقّنا واشتروا به الإمآء وتزوّجوا به النسآء، ألاو إنّا قد جعلنا شيعتنا من ذلك فى حلّ لتطيب موالدهم».

٧- فى السرآئر: باسناده عن محمد بن قيس العطّار قال: قال أبوجعفر عليه السلام: «إنّما يحبّنا من العرب والعجم أهل البيوتات وذووا الشرف، وكل مولود صحيح، وإنّما يبغضنا من هؤلآء وهؤلآء كل مدنّس مطرّد».

٨- وفيه: باسناده عن السكونى قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «لا يحبّنا من العرب والعجم وغيرهم من الناس إلّا أهل البيوتات والشرف والمعادن والحسب الصحيح، ولا يبغضنا من هؤلآء إلّا كل نسب ملصق» أى الدعىّ المتهم فى نسبه أو

من ينسب إلى قبيلة وليس منهم.

٩ـ في أمالي ابن الشيخ الطوسي باسناده عن الحسين بن زيد وعبدالله بن إبراهيم الجعفري معاً عن جعفر بن محمد عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: «قال النبي عليه السلام ياباذرّ من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النعم، قال: يا رسول الله وما أوّل النعم؟ قال: طيب الولادة إنه لا يحبّنا أهل البيت إلّا مَن طاب مولده».

١٠ـ في العلل باسناد عن ابراهيم القرشي قال: كنّا عند أمّ سلمة رضى الله عنها فقالت: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لعليّ عليه السلام: يا عليّ لا يبغضكم إلّا ثلاثة: ولد زنا ومنافق ومَن حملت به امّه وهى حائض».

١١ـ في إرشاد المفيد باسناده عن عبدالله بن جبلة عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبدالله بن حزام الأنصاري يقول: «كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم جماعة من الأنصار، فقال لنا: يا معشر الأنصار بوروا أولادكم بحب على بن أبيطالب عليه السلام فمن أحبّه فاعلموا أنه لرشدة ومن أبغضه فاعلموا أنه لغيّة».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بوروا»: إختبروا و «لغيّة»: زنية أو من حملته امه في حيضها.

١٢ـ في كتاب فضائل الشيعة للصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: «كنّا جلوساً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبرني عن قوله عزوجل لإبليس: «استكبرت أم كنت من العالين» فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرادق العرش نسبح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزوجل آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزوجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلّا إبليس فانه أبى ولم يسجد فقال الله تبارك وتعالى: «استكبرت أم كنت من العالين» عنى من هؤلآء الخمسة المكتوبة

أسمآؤهم فى سرادق العرش، فنحن باب الله الذى يؤتى منه، بنا يهتدى المهتدى، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومَن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا من طاب مولده».

١٣ـ فى صفات الشيعة للصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن يحيى بن سدير قال: «قال أبوعبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة دُعِىَ الخلائق بأمّهاتهم ما خلانا وشيعتنا فإنّا لا سفاح بيننا».

١٤ـ فى روضة الكافى باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال: «قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون مَن خالفهم؟ فقال لى: الكفّ عنهم أجمل، ثم قال: والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا، قلت: كيف لى بالمخرج من هذا؟ فقال لى: يا أبا حمزة كتاب الله المنزل يدلّ عليه أن الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة فى جميع الفئ، ثم قال عزوجل: «واعلموا أنّما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» فنحن أصحاب الخمس والفئ، وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا والله يا أبا حمزة مامن أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شئ منه إلّا كان حراماً على مَن يصيبه فرجاً كان او مالاً ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يزيد حتى أن الرجل منهم ليفتدى بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى شئ من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقّنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجّة».

قوله: «من خالفهم» أى يقذفونهم بالزنا، فأجاب الإمام عليه السلام بأن كلام الأصحاب صحيح صادق ولكن ينبغى التقية لو كانت لازمة وإلّا فلا، و «كيف لى بالمخرج من هذا» أى بِمَ أستدل واحتجّ على مَن أنكر هذا، و «لو قد ظهر الحق ـ فيمن لا يزيد» أى ما يؤخذ باسم الخراج أو المقاسمة أو الخمس أو الضريبة كلها حرام على آخذيه، ولو قد ظهر الحق لقد باع الرجل نفسه العزيزة عليه فيمن لا يريد ـ بالرآء ـ وفى ذكر «لا» هنا مبالغة لطيفة كما أن فى اختيار لفظ «بيّع» من

باب التفعيل على «باع» مبالغة ولطيفة اخرى. فالمعنى: ان الامام المعصوم أو من يأذن له الامام أو من أصحاب الخمس والخراج والغنائم... يبيع المخالف الذى تولد من هذه الأموال مع كونه عزيزاً فى نفسه كريماً.

قوله عليه السلام: «ليفتدي بجميع ماله» ليفكّ من قيد الرقية فلا يتيسّر له ذلك إذ لا يقبل منه الإمام المعصوم عليه السلام ذلك.

١٥- فى البحار بالاسناد عن بكر بن أحنف قال: حدّثتنا فاطمة بنت على بن موسى الرضا عليه السلام قالت: حدثتنى فاطمة وزينب وام كلثوم بنات موسى بن جعفر عليها السلام قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليه السلام قالت: حدّثتنى فاطمة بنت محمد بن على عليهما السلام قالت: حدثتنى فاطمة بنت على بن الحسين عليهما السلام قالت: حدّثتنى فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علىّ عليهما السلام عن امّ كلثوم بنت علىّ عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول:

«لمّا أُسرى بى إلى السمآء دخلت الجنّة فإذا أنا بقصر من درّة بيضآء مجوّفة، وعليها باب مكلّل بالدرّ والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسى فإذا مكتوب على الباب «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علىّ ولى القوم» وإذا مكتوب على الستر بخّ بخّ مَن مثل شيعة علىّ؟ فدخلته فاذاً أنا بقصر من عقيق أحمر مجوّف، وعليه باب من فضّة مكلّل بالزّبرجد الأخضر وإذا على الباب ستر، فرأفعت رأسى فاذاً مكتوب على الباب: «محمد رسول الله علّي وصي المصطفى» وإذاً على الستر مكتوب: «بشّر شيعة علىّ بطيب المولد».

فدخلته فاذاً أنا بقصر من زمرّد أخضر مجوّف لم أر أحسن منه، وعليه باب من ياقوتة حمرآء مكلّلة باللؤلؤ وعلى الباب ستر فرفعت رأسى فاذاً مكتوب على الستر شيعة علىّ هم الفآئزون، فقلت: حبيبى جبرئيل لمن هذا؟ فقال: يا محمد لابن عمّك ووصيّك على بن أبيطالب عليه السلام يحشر الناس كلهم يوم القيامة حفاة عراة إلّا شيعة علىّ ويدعى الناس بأسمآء امّهاتهم ما خلا شيعة علىّ عليه السلام

فإنّهم يدعون بأسمآء آبآئهم، فقلت:حبيبي جبرئيل و كيف ذاك ؟ قال: لأنهم أحبّوا علياً فطاب مولدهم».

أقول: ولا يخفى على المحققين الخبرآء أن للإقرار أو الإنكار بولاية أهل بيت الوحى عليهم السلام فى الميثاق والذرّ، ثم إقرار الآبآء والامهات أو إنكارهم الولاية تأثيراًعجيباً فى انعقاد النطفة.

فيتبعه طيب الولادة أو خبثها، مع عدم خروج الانسان بذلك عن الاختيار، كما أن للزنا والحمل أيام الحيض تأثيراً فى إنكار المولود الولاية، وإن لم يخرجه ذلك عن الاختيار فتأمل جيّداً فان المقام مزالّ الأقدام فلا تغفل.

وفى مروج الذهب: «وذكر عيسى بن أبى دُلَف أنّ أخاه دُلَف ـ وبه كان يكنى أبوه أبا دُلَف ـ كان ينتقص عليّ بن أبيطالب عليه السلام ويضع منه ومن شيعته، وينسبهم إلى الجهل، وأنّه قال يوماً ـ وهو فى مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضراً ـ: إنهم يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلّا كان لغير رشدة، وأنتم تعلمون غيرة الأمير، يعنى أباه وأنه لا يتهيّأ الطعن على أحد من حرمه، وأنا أُبغض علياً، قال: فما كان بأوشك من أن خرج أبو دُلَف، فلمّا رأيناه قمنا له، فقال: قد سمعت ما قاله دُلَف والحديث لا يكذب، والخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف، هو وَاللهِ لزَنْيَةٍ وحَيضةٍ وذلك أنّى كنت عليلاً فبعثت إليّ اختى جارية لها، كنت بها معجباً، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً، فعلقت به، فلمّا ظهر حملها وهبتهالى.

فبلغ من عداوة دُلف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته له لأنّ الغالب على أبيه التشيّع والميل إلى عليّ أن شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به محمد بن على القُوهستانى».

﴿أسمآء الشيعة عند أهل بيت الوحي عليهم السلام﴾

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «الله نور السموات والأرض...» النور: ٣٥) قال: حدّثني أبي عن عبدالله جندب قال: كتبت إلى أبي‌الحسن الرضا عليه‌السلام عن تفسير هذه الآية فكتب إليّ الجواب: «أما بعد فإنّ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أمين الله في خلقه، فلمّا قبض النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمنآء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وما من فئة تضلّ مأة وتهدى مأة إلّا ونحن نعرف سائقها وقآئدها وناعقها، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق.

وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمآئهم وأسمآء آبآئهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، ويوردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الاسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة، نحن الآخذون بحجزة نبيّنا، ونبيّنا آخذ بحجزة ربنا، والحجزة النور، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك ومن تبعنا نجى، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتّبعنا وتابع أوليآئنا مؤمن، لا يحبّنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبّنا كان على الله حقاً أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منّا فليس من الإسلام في شئ.

بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله تعالى قطر السمآء، وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم ومن الخسف في برّكم، وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزان وعند

دخول الجنان، ومثلنا في كتاب الله كمثل مشكوة، والمشكاة في القنديل، فنحن المشكوة فيها المصباح محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المصباح في زجاجة من عنصره الطاهرة، الزجاجة كأنّها كوكب درّى توقد من شجرة مباركة زيتونة، لا شرقية ولا غربية، لاذعيّة ولا منكرة، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار القرآن نور على نور يهدى الله لنوره من يشآء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم».

فالنور عليّ عليه السلام يهدى الله لولايتنا من أحبّ، وحق على الله أن يبعث وليّنا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عندالله حجّته، حقاً على الله أن يجعل أوليآئنا المتقين والصدّيقين والشهدآء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً، فشهدآئنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، ولشهيد شيعتنا فضل على كل شهيد غيرنا بتسع درجات، نحن النجبآء ونحن افراط الأنبيآء وأولاد الأوصيآء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال الله في كتابه: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك» يا محمد وما وصينا به إبراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب.

قد عُلِّمْنا وبلّغنا ما عُلِّمْنا واستودعنا علمهم، ونحن ورثة الأنبيآء ونحن ورثة اولى العلم واولى العزم من الرسل، أن أقيموا الدّين كما قال الله: «ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه» من الشّرك ، من أشرك بولاية علي عليه السّلام «ماتدعوهم إليه» من ولاية عليّ عليه السّلام يا محمّد «فيه هدى ويهدى إليه من ينيب» من يجيبك إلى ولاية عليّ عليه السّلام وقد بعثت إليك بكتاب، فتدبّره وافهمه فإنّه شفاء لما في الصّدور ونور، والدليل على أن هذا مثل لهم قوله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال- بغير حساب» النور: ٣٦- ٣٨) ثمّ ضرب الله مثلاً لأعمال مَن نازعهم فقال: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة» النور: ٣٩) والسراب هو الذى تراه في المفازة يلمع من بُعدٍ كأنه المآء، فاذا جآء العطشان لم يجده شيئاً، والبقيعة المفازة المستوية».

أقول: ولا يخفى على ذوى البصآئر أن البصر كما يحتاج فى إدراكه المبصرات المحسوسة إلى معين من الخارج وهو الشمس أو السراج، فكذلك البصيرة تحتاج فى إدراكها المعارف والمعقولات إلى هاد، وهو القرآن الكريم ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحى عليهم السلام، ولذلك سمى الله عزوجل كتابه نوراً، ونبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم نوراً وأهل بيت وحيه أنواراً، فالوحى ونبى الوحى وأهل بيت الوحى فى عالم الأرواح والعقول بمنزلة الشمس والسراج فى عالم الأجسام والمحسوسات، فمن لم يستضئ بنور الوحى ونبيه وأهل بيته فهو كالماشى فى الليلة الظلمآء ليست له شمس يستضيئ بنورها.

وإنّما الفرق بين النورين: أن نور الشمس وضيائها يُدرك بالبصر، ونور القرآن ونور النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحي عليهم السلام يدرك بالبصيرة، ويدرك البصر المبصرات والمحسوسات بنور الشمس، وتدرك البصيرة الحقائق والمعارف والحِكَم والأسرار والمعقولات... بنور الوحى ونبيه وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ومن هنا عبّر تعالى عن الوحى ونبى الوحى وأهل بيت الوحى بنوره جل وعلا ونورالسموات والأرض لشدّة إتصال هذا النور به عزوجل من غير واسطة جسم بين الله سبحانه والنور الذى أعطاه النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السلام لأن النور الذى يدرك من الشمس بواسطة الشمس، فالوحى والنبى وأهل بيته عليهم السلام كالشمس فى إضائتهم، وهم أنوارالله تعالى، وان النور فى الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سآئرالمبصرات كالكيفيّة الفائضة من النيران على الأجرام الكثيفة المحاذية لها، وكذلك الحقائق والمعارف والحكم والأسرار... لا تعرف إلّا بالبصيرة التى تستند فى إدراكها إلى الوحى ونبيّه وأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين.

وفى كشف الغمة: عن أبى بصير قال: كنت عند أبى عبدالله عليه السلام ذات يوم جالساً إذ قال: «يا أبا محمد هل تعرف إمامك؟ قلت: اى والله الذى لا إله إلّا هو، وأنت هو. ووضعت يدى على ركبته أو فخذه فقال عليه السلام: صدقت قد

عرفت فاستمسك به، قلت: اريد أن تعطيني علامة الإمام قال: يا أبا محمد ليس بعد المعرفة علامة، قلت: أزداد ايماناً ويقيناً قال: يا أبا محمد ترجع إلى الكوفة وقد وُلِدَ لك عيسى ومن بعد عيسى محمد، ومن بعدهما إبنتان، واعلم أن إبنيك مكتوبان عندنا فى الصحيفة الجامعة مع أسمآء شيعتنا، وأسمآء آبآئهم وامهاتهم وأجدادهم وأنسابهم، وما يلدون إلى يوم القيامة وأخرجها فاذا هى صفرآء مدرجة».

وفى بصآئر الدرجات: عن حبابة الوالبيّة قالت: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن لى إبن أخ وهو يعرف فضلكم، وإنّى أُحبّ أن تعلمنى أمن شيعتكم؟ قال: وما إسمه؟ قالت: قلت: فلان بن فلان، قالت: فقال: يا فلانة هات الناموس، فجائت بصحيفة تحملها كبيرة، فنشرها ثم نظر فيها فقال: نعم هو ذا إسمه وإسم أبيه هيهنا».

وفيه: بالاسناد عن رجل من بنى حنيفة ـ وهو حذيفة بن أُسيّد الغفارى ـ قال: «كنت مع عمّى فدخل على علىّ بن الحسين عليه السلام فرآى بين يديه صحائف ينظر فيها، فقال له: أىّ شئ هذه الصحف جعلت فداك ؟ قال: هذا ديوان شيعتنا، قال: أفتأذن أطلب اسمى فيه؟ قال: نعم فقال: فانّى لست أقرأ، وابن أخى معى على الباب، فتأذن له يدخل حتى يقرأ؟ قال: نعم فأدخلنى عمّى، فنظرت فى الكتاب فأوّل شئ هجمت عليه إسمى، فقلت: إسمى وربّ الكعبة، قال: ويحك فأين أنا؟ فجزت بخمسة أسمآء أو ستة (بثمانية أسمآء خ) ثم وجدت إسم عمّى».

وفيه: بالاسناد: عن داود الرّقّي قال: قلت لأبى الحسن الماضى عليه السلام: «إسمى عندكم فى السفط التى فيها أسمآء شيعتكم؟ فقال: اى والله فى الناموس».

وفيه: عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال: «لمّا وادع الحسن بن علىّ عليه السلام معاوية وانصرف إلى المدينة صحبته فى منصرفه، وكان بين عينيه حمل بعير لا يفارقه حيث توجّه، فقلت له ذات يوم: جعلت فداك يا با محمد هذا الحمل لا يفارقك

حيث ما توجّهت؟ فقال: يا حذيفة أتدرى ما هو؟ قلت: لا قال: هذا الديوان، قلت: ديوان ماذا؟ قال: ديوان شيعتنا فيه أسمآؤهم، قلت: جعلت فداك فأرنى إسمى، قال: اغد بالغداة، قال: فغدوت إليه ومعى ابن أخ لى وكان يقرأ ولم أكن أقرأ قال: ما غدابك ؟ قلت: الحاجة التى وعدتنى قال: من ذا الفتى معك ؟ قلت: ابن أخ لى وهو يقرأ ولست أقرأ قال: فقال لى: إجلس فجلست، فقال: علىّ بالديوان الأوسط.

قال: فأُتى به، قال: فنظر الفتى فاذا الأسماء تلوح، قال: فبينما هو يقرأ إذ قال هو: يا عمّاه هو ذا إسمى، قلت: ثكلتك امك انظر أين إسمى؟ قال: فصفح ثم قال: هو ذا إسمك فاستبشرنا واستشهد الفتى مع الحسين بن على عليهما السلام».

وفيه: بالاسناد عن الأعمش قال: قال الكلبى: يا أعمش أىّ شئ أشدّ ما سمعت من مناقب علىّ عليه السلام ؟ قال: فقال: حدّثنى موسى بن طريف عن عباية قال: سمعت علياً وهو يقول: أنا قسيم النار فمن تبعنى فهو منّى ومَن عصانى فهو من أهل النار.

فقال الكلبى: عندى أعظم مما عندك ، أعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً عليه السلام كتاباً فيه أسمآء أهل الجنّة وأسمآء أهل النار، فوضعه عند ام سلمة، فلمّا ولىّ أبوبكر طلبه فقالت: ليس لك فلمّا ولىّ عمر طلبه فقالت: ليس لك ، فلمّا ولىّ عثمان طلبه، فقالت: ليس لك فلمّا ولىّ علىّ عليه السلام دفعته إليه».

وفى روضة الكافى: باسناده عن أبى حمزة ـ فى حديث ـ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «أنتم للجنّة والجنّة لكم، أسمآؤكم عندنا الصالحون والمصلحون، وأنتم أهل الرضا عن الله عزوجل برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم فى الخير، فاذا جهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جُنَّة، وقبوركم لكم جَنّة، للجنّة خلقتم وفى الجنّة نعيمكم وإلى الجنة تصيرون».

قوله عليه السلام «جُنّة»: الستر.

وفى أمالى الطوسى: باسناده عن ابن عقدة قال: «سمعت جعفر بن محمد

عليهما السلام يقول: نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من امّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم».

«الشيعة الإماميّة على ملّة إبراهيم خليل الرحمن»
عليه السلام

قال الله عزوجل: «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين ـ قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» آل‌عمران: ٦٨ و ٩٥)

وقال: «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذالله إبراهيم خليلاً» النسآء: ١٢٥)

وقال: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» لقمان: ٢٢)

وقال: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» البقرة: ٢٥٦)

وقد وردت روايات كثيرة وصلت حدّ التواتر والإستفاضة عن الفريقين، أنه لا تذكر في القرآن الكريم آية في الايمان إلّا وعليّ بن أبيطالب عليه السلام أمير أهله، كيف لا وقد جعل الله تعالى ايمانه عليه السلام معياراً لايمان غيره، وإسلامه عليه السلام مقياساً لاسلام مَن سواه، وجعل نفسه عليه السلام محوراً لأهل الايمان؟ كيف لا وهو مع الحق والحق معه يدور حيثما دار؟ كيف لا ولا يتكلم في الايمان إلّا وعلي بن أبيطالب عليه السلام داخل فيه دخولاً أوّليّاً؟ ومن هنا يعلم سرّ ايمانه عليه السلام قبل بلوغه فآمن بالله جل وعلا وبرسوله الخاتم محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم لكي لا يقع زمن فاصل بين بلوغه وايمانه ولو طرفة عين، وُلِدَ على فطرة التوحيد واتبع ملّة

إبراهيم عليه‌السلام وآمن بالله تعالى وحده وأسلم وجهه لله تعالى وكفر بالطاغوت... وسيأتى البحث فى ايمانه عليه‌السلام فى تفسير سورة «العصر» إن شآء الله تعالى فانتظر.

وقد سبق آنفاً عن طريق أعلام العامة فى العلوم والفنون المختلفة: أن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية هم الذين شايعوا على بن أبيطالب عليه‌السّلام، وقالوا بامامته وخلافته بعد النبي الكريم صلّى‌الله عليه وآله وسلّم بلا فصل نصّاً ظاهراً ووصيّة، واعتقدوا أن الإمامة بعد علىّ عليه‌السّلام لا تخرج عن أولاده المعصومين، والأئمة كلهم عند الشيعة اثنى عشر إماماً ولذلك سمّوا بالشيعة الإمامية الاثنى عشرية، وهم يطيعون أئمتهم المعصومين ويتبعونهم ويقتدون بهداهم كما أمرالله تعالى به: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم» النسآء: ٥٩) هذه جملة كلماتهم تقدّم ذكرها آنفاً. وقد وردت روايات كثيرة فى العنوان نشير إلى نبذة منها:

١ـ فى فضائل الشيعة للشيخ الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه باسناده عن عمربن حنظلة قال: «قال أبوعبدالله عليه‌السلام: يا عمر إن الله يُعطى الدنيا مَن يحبّ ويبغض، ولا يعطى هذا الأمر إلّا صفوته من خلقه، أنتم والله على دينى ودين آبآئى إبراهيم وإسمعيل لا أعنى على بن الحسين ولا الباقر ولو كان هؤلآء على دين هؤلآء».

أقول: رواه الكلينى فى اصول الكافى.

وقوله عليه‌السلام: «من يحبّ ويبغض» أى يحبّه الله ومَن يبغضه الله والمراد بالمحبّة محبّة خاصّة، و **قوله عليه‌السلام:** «ولا يعطى هذا الأمر» أى الاعتقاد بالولاية واختيار دين الإماميّة «إلّا صفوته من خلقه» أى من اصطفاه واختاره وفضّله على جميع خلقه بسبب طيب طينته وطهارة مولده. **وقوله عليه‌السلام:** «ودين آبائى» أى أن اصول الدين مشتركة فى ملل جميع الأنبيآء والمرسلين عليهم‌السلام فان الاعتقاد بالتوحيد والعدل والمعاد، والتصديق بنبوّة الأنبياء ورسالة المرسلين والإذعان

بجميع ما جآؤا به وأهمّها الايمان بأوصيآئهم ومتابعتهم فى جميع الامور وعدم العدول عنهم إلى غيرهم كان لازماً فى جميع الملل، فمن أقرّ بنبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم وبجميع ما جآء به وبجميع أوصيائه ولم يعدل عنهم إلى غيرهم فهو على دين جميع الأنبيآء والمرسلين عليهم السلام كما أن الإقرار بنبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوصيآئه عليهم السلام كان مأخوذاً على جميع الأنبيآء والمرسلين واممهم على ما ورد فيه الروايات الصحيحة الكثيرة فكما أن محمداً وأوصيآئه صلوات الله عليهم أجمعين كانوا على دين الأنبيآء والمرسلين السابقين كانوا هم على دين الاسلام وكانوا مسلمين على ما ورد فى القرآن الكريم من الآيات العديدة...

٢ـ وفيه: عن أبى ذر رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ضرب كتف على بن أبيطالب عليه السلام بيده وقال: يا علىّ! مَن أحبّنا فهو العربى ومَن أبغضنا فهو العلج، فشيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على ملّة إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها برآء إنّ الله وملائكته يهدمون سيّئات شيعتنا كما يهدم القدوم البنيان».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «العِلْج»: الكافر. و حمار الوحش.

و **قوله** صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اهل البيوتات والمعادن» أى القبائل الشريفة والأنساب الصحيحة.

٣ـ **فى المجمع:** فى قوله تعالى: «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه» آل عمران: ٦٨) قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أولى الناس بالأنبيآء أعلمهم بما جاؤوا به ثم تلا هذه الآية وقال: إن ولىّ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدوّ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم مَن عصى الله وإن قربت قرابته «والله ولىّ المؤمنين» أى يتولّى نصرتهم».

٤ـ **فى أمالى الشيخ الطوسى** قدّس سرّه باسناده عن عمر بن يزيد قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: يا ابن يزيد أنت والله منّا أهل البيت، قلت: جعلت فداك من آل محمد؟ قال: إى والله من أنفسهم، قلت: من أنفسهم جعلت فداك ؟ قال: إي

والله من أنفسهم يا عمر أما تقرأ كتاب الله عزوجل: «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» أو ما تقرأ قول الله عزّ إسمه: «فمن تبعني فانه منّي ومن عصاني فانك غفور رحيم».

٥ـ في **تفسير العياشي:** عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من تولّى آل محمد وقدّمهم على جميع الناس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو من آل محمد لمنزلته عند آل محمد لا أنه من القوم بأعيانهم، وإنّما هو منهم بتولّيه إليهم واتباعه إيّاهم، وكذلك حكم الله في كتابه: «ومن يتولهم منكم فانه منهم» المآئدة: ٥١) وقول إبراهيم: «فمن تبعني فانه منّي ومن عصاني فانك غفور رحيم» إبراهيم: ٣٦)

٦ـ **وفيه:** عن أبي بصير قال: «سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام وهو يقول: نحن أهل بيت الرحمة وبيت النعمة وبيت البركة، ونحن في الأرض بنيان وشيعتنا عرى الاسلام، وما كانت دعوة إبراهيم إلّا لنا وشيعتنا، ولقد استثنى الله إلى يوم القيامة إلى إبليس، فقال: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان».

قوله عليه السلام: «بنيان» أي بيت الشرف والنبوّة والإمامة والكرامة، و «عرى الاسلام» أي يستوثق ويستمسك بهم الإسلام، أو من أراد الصعود إلى الاسلام أو إلى ذروته يتعلّق بهم، ويأخذ منهم، أو على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها ويستوثق.

٧ـ في **تفسير العياشي:** عن عليّ بن النعمان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» قال: «هم الأئمة وأتباعهم».

أقول: في الآية الكريمة دلالة على أن الولاية ثبتت بالدين لا بالنسب.

٨ـ **وفيه:** عن حبابة الوالبيّة قالت: «سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: ما أعلم أحداً على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا».

٩ـ **وفيه:** عن أبي الصباح قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: في

قول الله: «إن أولى الناس بإبراهيم ـ إلى قوله ـ والله ولىّ المؤمنين» ثم قال: علىّ والله على دين إبراهيم ومنهاجه وأنتم أولى الناس به».

١٠ـ وفيه: عن جابر الجعفى عن محمد بن علىّ عليهما السلام قال: «ما من أحد من هذه الامّة يدين بدين إبراهيم غيرنا وشيعتنا».

١١ـ وفيه: عن عمران بن ميثم قال: «سمعت الحسين بن علىّ صلوات الله عليه يقول: ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا وسآئر الناس منها بُرَآء».

١٢ـ فى المحاسن: باسناده عن عمران بن ميثم عن حبابة الوالبيّة قال: دخلنا على إمرأة قد صفّرتها العبادة أنا وعباية بن ربعىّ، فقالت: من الذى معك؟ قلت: إبن أخيك ميثم، قالت: ابن أخى والله حقاً أما إنّى سمعت أبا عبدالله الحسين بن علىّ عليهما السلام يقول: ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسآئر الناس منها بُرَآءٌ».

١٣ـ وفيه: باسناده عن عبّاد بن زياد قال: «قال لى أبو عبدالله عليه السلام: يا عبّاد ما على ملّة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلّا منكم ولا يغفر الذنوب إلّا لكم».

١٤ـ وفيه: باسناده عن عبدالله بن سليمان الصيرفى قال: «سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «إن أُولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا» ثم قال: أنتم والله على دين إبراهيم ومنهاجه وأنتم أولى الناس به».

١٥ـ وفيه: باسناده عن يزيد بن خليفة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «قال لنا ونحن عنده: نظرتم والله حيث نظر الله، واخترتم من اختار الله وأخذ الناس يميناً وشمالاً وقصدتم قصد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أما والله إنّكم لعلى المحجّة البيضآء».

١٦ـ فى روضة الكافى: باسناده عن أبى الصامت عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «مررت أنا وأبوجعفر عليه السلام على الشيعة وهم ما بين القبر ـ قبر النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والمنبر فقلت لأبى جعفر عليه السلام: شيعتك ومواليك جعلنى الله فداك

قال: أين هم؟ فقلت: أراهم ما بين القبر والمنبر، فقال: اذهب بي إليهم، فذهب فسلّم عليهم ثم قال: والله إنّي لأحبّ ريحكم وأرواحكم، فأعينوا مع هذا بورع وإجتهاد إنه لا ينال ما عندالله إلّا بورع وإجتهاد، وإذا ائتممتم بعبد فاقتدوا به، أما والله إنكم لعلى ديني ودين آبآئي إبراهيم واسمعيل، وإن كان هؤلآء على دين اولئك فأعينوا على هذا بورع وإجتهاد».

١٧ـ **وفيه:** باسناده عن حمّاد اللّحّام عن أبي عبدالله عليه السلام أن أباه قال: «يا بنيّ إنك إن خالفتني في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل، ثم قال: أبى الله عزوجل أن يتولّى قوم قوماً يخالفونهم في أعمالهم ينزلون معهم يوم القيامة كلاّ ورب الكعبة».

١٨ـ **وفيه:** باسناده عن أبي حمزة قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما أحد من هذه الامة يدين بدين إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا، ولا هدى من هدى من هذه الامّة إلّا بنا، ولا ضلّ مَن ضلّ من هذه الامّة إلّا بنا».

١٩ـ **في المحاسن:** باسناده عن أيّوب بن حرّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أنتم والله على دين الله ودين رسوله ودين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وماهي إلّا آثار عندنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكنزها».

٢٠ـ **وفيه:** باسناده عن حبيب قال: قال لنا أبوعبدالله عليه السلام: «ما أحد أحبّ إليّ منكم إن الناس سلكوا سبلاً شتّى منهم آخذ بهواه، ومنهم آخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل».

٢١ـ **وفيه:** في حديث آخر لحبيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الناس أخذوا هكذا وهكذا فطائفة أخذوا بأهوآئهم، وطائفة قالوا بالرواية، وإن الله لهداكم لحبّه وحبّ من ينفعكم حبّه عنده».

٢٢ـ **وفيه:** باسناده عن بشير الدهّان قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: «إن هذه المرجئة وهذه القدريّة وهذه الخوارج ليس منهم أحد إلّا وهو يرى أنه على الحق، وإنكم إنّما أجبتمونا في الله ثم تلا: «أطيعواالله وأطيعوا الرسول واولي

الأمر منكم » و «ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» «من يطع الرسول فقد أطاع الله» «إن كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» ثم قال عليه السلام: والله لقد نسب الله عيسى بن مريم فى القرآن إلى إبراهيم من قبل النسآء قال: «ومن ذريته داود وسليمان ـ إلى قوله ـ ويحيى وعيسى».

أقول: وقد استدل الامام عليه السلام بقوله: «والله لقد نسب الله...» على أن الأئمة المعصومين من ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢٢ ـ وفيه: باسناده عن بشير ـ فى حديث سليمان مولى طربال ـ قال: ذكرت هذه الأهوآء عند أبى عبدالله عليه السلام قال: «لا والله ماهم على شئ ممّا جآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا إستقبال الكعبة فقط».

٢٣ ـ فى تفسير الامام الحسن العسكرى عليه السلام: ـ فى حديث طويل ـ وقال رجل لعلىّ بن الحسين عليهما السلام: «يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم الخلّص، فقال له: يا عبدالله فاذا أنت كابراهيم الخليل عليه السلام الذى قال الله: «وإن من شيعته لإبراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم» فان كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا، وإن لم يكن قلبك كقلبه وهو طاهر من الغشّ والغلّ، فأنت من محبّينا، وإلّا فإنّك إن عرفت أنك بقولك كاذب فيه، إنك لمبتلى بفالج لا يفارقك إلى الموت أو جذام ليكون كفّارة لكذبك هذا».

٢٤ ـ فى المحاسن: عن أبى الجارود قال: «خرج أبوجعفر عليه السلام على أصحابه يوماً وهم ينتظرون خروجه، وقال لهم: تحرّوا البشرى من الله ما أحد يتحرّى البشرى من الله غيركم».

٢٥ ـ وفيه: عن أبي كهمس قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أخذ الناس يميناً وشمالاً ولزمتم أهل بيت نبيّكم، فابشروا قال: جعلت فداك أرجو أن لا يجعلنا الله وإيّاهم سوآء، فقال: لا والله لا والله ثلاثاً».

٢٦ ـ وفيه: باسناده عن بريد العجلىّ وزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم قالوا: «قال لنا أبو جعفر عليه السلام: ما الذى تبغون؟ أما لو كانت فزعة من السمآء لفزع

كل قوم إلى مأمنهم، ولفزعنا نحن إلى نبيّنا، وفزعتم إلينا، فأبشروا ثم أبشروا ثم أبشروا لا والله لا يسوّيكم الله وغيركم ولا كرامة لهم».

٢٧ـ وفيه: باسناده عن أبي كهمس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «عرفتمونا وأنكرنا الناس، وأحببتمونا وأبغضنا الناس، ووصلتمونا وقطعنا الناس، رزقكم الله مرافقة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وسقاكم من حوضه».

٢٨ـ وفيه: عن ضريس الكناسيّ قال: «سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «وهدوا إلى الطّيّب من القول وهدوا إلى صراط الحميد» فقال: هو والله هذا الأمر الذى أنتم عليه».

٢٩ـ وفيه: باسناده عن الحارث بن المغيرة النضرى قال: «سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: «كل شئ هالك إلّا وجهه» فقال: كل شئ هالك إلّا من أخذ الطريق الذى أنتم عليه» وفى رواية اخرى: «إلّا من أخذ طريق الحق».

أقول: فالمراد بالوجه ـ على هذا التأويل ـ: الجهة التى أمر الله تعالى أن يؤتى منه.

٣٠ـ وفيه: باسناده عن أبي حمزة قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله: «كل شئ هالك إلّا وجهه» فقال: فيهلك كل شئ ويبقى الوجه، ثم قال: إنّ الله أعظم من أن يوصف، ولكن معناها: كل شئ هالك إلّا دينه، والوجه الذى يؤتى منه».

٣١ـ وفيه: باسناده عن عقبة بن خالد ومعلّى بن خنيس ـ فى حديث قال الامام الصادق عليه السلام لهما ـ «مضيتم على دين الله الذى رضيه لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعث عليه».

٣٢ـ وفيه: باسناده عن أبان بن تغلب قال: «قال أبوجعفر عليه السلام: إذا قدمت الكوفة إن شآء الله فاروِ عنّى هذا الحديث: «مَن شهد أن لا إله إلّا الله وجبت له الجنّة» فقلت: جعلت فداك يجيئنى كل صنف من الأصناف، فأروى لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله

تبارك وتعالى الأوّلين والآخرين فى روضة واحدة، فيسلب لا إله إلّا الله إلّا ممّن كان على هذا الأمر».

قال الله عزوجل: «ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّا مَن سفه نفسه» البقرة: ١٣٠).

﴿ابراهيم خليل الرحمن وشيعة الإمام عليّ﴾
عليهما السلام

قال الله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم» الصافات: ٨٣-٨٤)

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم واسمعيل عليهما السلام: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة ـ ووصىّ بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنىّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون» البقرة: ١٢٨ و ١٣٠)

وقال: «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين» الأنعام: ١٦٢-١٦٣)

وقد جآء فى تفاسير الفريقين القول بأن الضمير فى قوله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم» راجع إلى محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان إبراهيم عليه السلام شيعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وشيعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو شيعة على بن أبيطالب عليه السلام على ما سبق فى بيان حقيقة الشيعة آنفاً.

فى **تفسير البحر المحيط** لأبى حيان الاندلسى ـ وهو من أعلام العامة ـ: «وقال الفرّاء: الضمير عائد إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأعرف أن المتأخر فى الزمان هو شيعة للمتقدم وجآء عكس ذلك فى قول الكميت:

«ومالى إلّا آل احمد شيعة ۞ ومالى إلّا مشعب الحق مشعب»

وفى **تفسير الجامع لأحكام القرآن** للقرطبى ـ وهو أيضاً من أعلامهم ـ: «وقال الكلبى والفرّاء: المعنى: وإن من شيعة محمد لإبراهيم. فالهآء فى «شيعته» على هذا

لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

وفى تفسير الطبرى: قال: «وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وأن من شيعة محمد لابراهيم وقال ذلك مثل قوله: «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم» يس: ٤١) بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منه فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم».

وغيرهم تركنا ذكرهم روماً للاختصار. مع أن الاسلام جآء به محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل المسلمين بعد مجيئه وقد كان الأنبيآء والمرسلون كلهم مسلمين قبل مجيئه وقد أوصى بذلك إبراهيم عليه السلام بنيه، ودعاهو وإسمعيل عليهما السلام ربهما لذريتهما أن يكونوا مسلمين.

وقد وردت روايات عديدة فى كون إبراهيم عليه السلام شيعة على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

فى البحار: بالاسناد عن أبى بصير قال: سئل جابر الجعفى أبا عبدالله عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم» فقال عليه السلام: «إن الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم كشف له عن بصره فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهى ما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم صفوتى من خلقى، ورأى نوراً إلى جنبه، فقال: إلهى وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور علىّ بن أبيطالب عليه السلام ناصر دينى، ورأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار فقال: إلهى وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين، فقال: إلهى وأرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم، قيل يا إبراهيم هؤلآء الأئمة من ولد علىّ وفاطمة.

فقال: إلهى وسيّدى أرى أنواراً قد أحدقوابهم لا يحصى عددهم إلّا أنت؟ قيل: يا إبراهيم هؤلآء شيعتهم شيعة أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فقال إبراهيم: وبم تعرف شيعتهم؟ قال: بصلاة الإحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختّم فى اليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهم اجعلنى من شيعة أميرالمؤمنين! قال: فأخبرالله تعالى فى كتابه، فقال: «وإن من

شيعته لابراهيم».

وفيه: عن عبدالله بن أبي أوفى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «لمّا خلق الله إبراهيم الخليل عليه السلام كشف الله عن بصره فنظر إلى جانب العرش فرأى نوراً، فقال: إلهي وسيّدي ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم هذا محمد صفيّي، فقال: إلهي وسيّدي أرى إلى جانبه نوراً آخر، فقال: يا إبراهيم هذا عليّ ناصر ديني، فقال: إلهي وسيّدي أرى إلى جانبهما نوراً ثالثاً قال: يا إبراهيم هذه فاطمة تلي أباها وبعلها، فطمت محبّيها من النار قال: إلهي وسيّدي أرى نورين يليان الثلاثة الأنوار قال: يا إبراهيم هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدّهما وأُمّهما، فقال: إلهي وسيّدي أرى تسعة أنوار احدقوا بالخمسة الأنوار قال: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولدهم، فقال: إلهي وسيّدي فبمن يعرّفون؟ قال: يا ابراهيم أوّلهم علي بن الحسين، ومحمد ولد عليّ، وجعفر ولد محمد، وموسى ولد جعفر، وعليّ ولد موسى، ومحمد ولد عليّ، وعليّ ولد محمد، والحسن ولد عليّ، ومحمد ولد الحسن القآئم المهدي.

قال: إلهي وسيّدي أرى عدّة أنوار حولهم لا يحصى عدّتهم إلّا أنت، قال: يا إبراهيم هؤلآء شيعتهم ومحبّوهم، قال: إلهي وبما يعرفون شيعتهم ومحبّيهم؟ قال: بصلاة الإحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختّم باليمين، قال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعتهم ومحبّيهم، قال: قد جعلتك (منهم خ) فأنزل الله فيه: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم».

﴿الأنبيآء وشيعة الإمام على عليه السلام﴾

قال الله عزوجل: «ومن يتولّهم منكم فانه منهم ـ ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» المآئدة: ٥١ و ٥٧)

وقال: «إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون» النحل: ١٠٠)

وقد وردت روايات كثيرة أن لفظ الشيعة والولاية لأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين ـ وهى حقيقة الشيعة الإماميّة الاثنى عشرية ـ الذى يطلق على أتباع أئمتنا المعصومين عليهم السلام لقب شريف وصف الله تعالى النبيّين وأتباع الأنبيآء والمرسلين الماضين به فسرّوا به، كما أن لفظ التولّى للشيطان يطلق على أتباعه... فلا تبالوا أيها الشيعة الإماميّة الاثنى عشرية بتشنيع المخالفين الأعدآء، ووسوسة المعاندين أتباع الشياطين والأهوآء... بذلك عليكم.

فى اصول الكافى: باسناده عن محمدبن عبدالرحمن عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بها».

وفيه: باسناده عن عبدالأعلى قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام **يقول:** مامن نبيّ جآء قطّ إلّا بمعرفة حقّنا وتفضيلنا على مَن سوانا».

وفيه: باسناده عن أبى الصباح الكنانى عن أبى جعفر عليه السلام قال: «سمعته يقول: والله إنّ فى السمآء لسبعين صفّاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كل صفّ منهم ما أحصوهم وإنّهم ليدينون بولايتنا».

وفيه: باسناده عن محمد بن الفضل عن أبى الحسن عليه السلام قال: «ولاية علىّ

عليه السلام مكتوبة فى جميع صحف الأنبيآء ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ووصيّة علىّ عليه السلام».

وفى الدّرر الملتقطة: «وكان فى زمن نوح النبى على نبيّنا وآله وعليه السلام طائفة من قومه قد آمنوا به يقال لهم: الشيعة، وقوم آخرون فى مقابلهم قد كفروا به يقال لهم: العامّة. وقد نالت الشيعة منهم شدّة شديدة، واشتدّت عليهم البلوى وعظمت فيهم الرزية، وكانوا منتظرين للفرج مدّة مديدة وأزمنة طويلة، إلى أن أهلك الله أعدآءهم بالطوفان، وقريب منه ما يجرى فى هذه الأزمان».

وفى كمال الدين وتمام النعمة: باسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمى قال: «قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: لما أظهر الله تبارك وتعالى نبوّة نوح عليه السلام وأيقن الشيعة بالفرج، إشتدت البلوى وعظمت الفرية إلى أن آل الأمر إلى شدة شديدة نالت الشيعة، والوثوب على نوح بالضرب المبرح حتّى مكث عليه السلام فى بعض الأوقات مغشياً عليه ثلاثة أيام يجرى الدم من اذنه، ثم أفاق وذلك بعد ثلاثمأة سنة من مبعثه، وهو فى خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً فيهربون، ويدعوهم سرّاً فلا يجيبون ويدعوهم علانية فيولون.

فهم بعد ثلاثمأة سنة بالدعآء عليهم، وجلس بعد صلاة الفجر للدعآء فهبط إليه وفد من السمآء السابعة، وهم أملاك فسلموا عليه ثم قالوا: يا نبى الله لنا حاجة، قال: وما هى؟ قالوا: تؤخر الدعآء على قومك، فانّها أوّل سطوة الله عزّوجل فى الأرض، قال: قد أخّرت الدعآء عليهم ثلاثمأة سنة اخرى، وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع، ويفعلون ما كانوا يفعلون، حتّى إنقضت ثلاثمأة سنة اخرى، ويئس من ايمانهم، جلس فى وقت ضحى النهار للدعآء، فهبط عليه وفد من السمآء السادسة وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه، وقالوا: نحن وفد من السمآء السادسة خرجنا بكرة وجئناك ضحوة ثم سئلوه مثل ما سئله وفد السمآء السابعة، فأجابهم إلى مثل ما أجاب اولئك إليه.

وعاد إلى قومه يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤه إلّا فراراً حتى انقضت ثلاثمأة اخرى

تـتمّة تسعمأة سـنـة، فصارت الشيعة إليـه، وشـكوا ما ينالهم مـن العامّة والطواغيت وسئلوه الـدعآء بـالفـرج، فأجـابهـم إلى ذلك وصلّى ودعا، فـهبط عـليه جـبرئـيل عليه السلام فقال لـه: إنّ الله تبارك وتعـالى قد أجاب دعوتك، فقل للشيعة: يأكلوا (يأكلون خ) التمر ويغرسوا (يغرسون خ) النوى ويراعوه (يراعونه خ) حتى يثمر، فاذا أثمرت فرجت عنهم.

فحمدالله وأثنى عليه، وعرفهم ذلك فاستبشروا بـه، فأكلوا التمر وغرسوا النوى وراعوه حتى أثمر، ثم صاروا إلى نوح عليه السلام بالتمر (بالثمرة خ) وسئلوه أن ينجز لهم بالـوعـد، فسئل الله عـزوجل فى ذلك، فـأوحى الله إليه: قـل لهـم: كلوا هـذا التمر وأغرسوا النـوى، فاذا أثمـر فرجت عنـكم، فلـمّا ظنّوا أن الخلف قد وقع عليهم إرتدّ منهم الثلث وثبت الثلثان، فأكلوا التمر وغـرسوا النوى حتّـى إذا أثمر أتوا به نـوحاً عليه السلام فـأخبروه وسئلوه أن ينجز لهم الوعد، فسئل الله عـزوجل فى ذلك، فأوحى الله إليـه: قـل لهم: كلوا هذا التمـر وأغرسوا النوى فـاذا أثمر فرجت عـنكم، فارتدّ الثلث الآخر وبقى الثلث، فـأكلوا التمر وغرسـوا النوى فلمّـا أثمر أتوابه نـوحاً عليه السلام فقالـوا له: لم يبق منّا إلّا القـليل، ونحن نتخوّف على أنـفسنا بتأخير الفرج أن نهلك.

فصلّى نوح عليه السلام فقال: يا رب لم يبق من أصحابى إلّا هذه العصابة، وإنّى أخاف عـليهـم الهلاك إن تأخر عنهـم الفرج، فـأوحى الله عزوجل إلـيه قد أجبت دعاءك فاصنع الفلك، وكان بين إجابة الدعآء وبين الطوفان خمسون سنة».

وفى رياض الجنـان: لفضل الله بـن محمود الفـارسىّ عن أبى عبـدالله عليه السلام: «أن رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم قـال لعلىّ عليه السلام: يا علىّ إنّ الله وهب لـك حبّ المسـاكين والفـقرآء فى الأرض، فـرضيت بهـم إخوانـاً ورضوا بـك إماماً، فطوبى لمن أحبّك، وويل لمـن أبغضـك. يا علىّ أهل مـودّتك كـل أوّاب حفيظ، وكـل ذى طـمرين لو اقسم على الله لأبرّه يـا عـلىّ أحبّاؤك كل محتقر عند الخلق، عظيم عند الحق، يا عـلىّ محبّوك فى الفردوس الأعلى، جيران الله لا يـأسفون على

مافاتهم من الدنيا يا علىّ إخوانك ذبل الشفاه، تعرف الرهبانيّة فى وجوههم، يفرحون فى ثلاث مواطن: عند الموت وأنا شاهدهم، وعند المسئلة فى قبورهم وأنت هناك تلقّنهم، وعند العرض الأكبر إذا دُعِيَ كل أُناس بامامهم.

يا على! بشّر إخوانك أن الله قد رضى عنهم، يا علىّ! أنت أميرالمؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، وأنت وشيعتك الصافّون المسبّحون، ولو لا أنت وشيعتك ما قام لله دين، ولو لا مَن فى الأرض منكم ما نزل من السمآء قطر، يا علىّ لك فى الجنّة كنز وأنت ذو قرنيها وشيعتك حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، يا علىّ أنت وشيعتك القآئمون بالقسط، وأنتم على الحوض تسقون من أحبّكم، وتمنعون من أخلّ بفضلكم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر.

يا علىّ! أنت وشيعتك تظلّلون فى الموقف، وتنعّمون فى الجنان، يا علىّ! إن الجنّة مشتاقة إليك وإلى شيعتك، وإن ملائكة العرش المقرّبين يفرحون بقدومهم والملائكة تستغفر لهم، يا علىّ! شيعتك الذين يخافون الله فى السّرّ والعلانية، يا علىّ! شيعتك الذين يتنافسون فى الدرجات، ويلقون الله ولا حساب عليهم، يا علىّ! أعمال شيعتك تعرض علىّ فى كل جمعة، فأفرح بصالح أعمالهم وأستغفر لسيّئاتهم، يا علىّ! ذكرك وذكر شيعتك فى التوراة بكل خير، قبل أن يخلقوا وكذلك فى الإنجيل، فانّهم يعظّمون أليّاً وشيعته، يا علىّ! ذكر شيعتك فى السمآء أكثر من ذكرهم فى الأرض فبشّرهم بذلك، يا علىّ! قل لشيعتك وأحبّائك يتنزّهون من الأعمال التى يعملها عدوّهم، يا علىّ! اشتدّ غضب الله على مَن أبغضك وأبغض شيعتك».

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «طمرين» الطمر ـ بالكسر ـ: الثوب الخلق أو الكسآء البالى من غير الصّوف و «ذبل الشفاه» أى من الصوم أو من كثرة الدعآء والتلاوة.

أقول: وما يظهر من الروايات التى أوردناها وغيرها فى المقام: أن إسم الشيعة كان شايعاً فى زمن نوح النبى عليه السلام وغيره من الأنبيآء والمرسلين صلوات الله

عليهم أجمعين، وقد كان يطلق على كل من اتبعه فى طريق الحق والهدى، وكان من أهل النجاة.

«الشيعة هم الفرقة الناجية»

قال الله جل وعلا: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتّقون» الأنعام: ١٥٣)

وقال: «ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون» فصلت: ١٨)

وقد اتفق الفريقان: الشيعة والعامّة على صحّة رواية: «ستفترق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة» بل وقد انتهت حدّ التواتر والاستفاضة، وما ينبغى لنا ههنا أن نبحث فى الفرقة الناجية من تلك الفِرَق... مع أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وصفوها بصفات معيّنة ما يزة من غيرها، وبيّنها الفريقان فى مآخذهم المعتبرة عندهم لا يسع مقام الإختصار بذكر جميعها، فنشير إلى نبذة منها:

١ـ روى الحاكم فى (المستدرك: ج ٤ ص ٤٣٠ من كتاب الفتن) وصحّحه على شرط البخارى ومسلم عن عوف بن مالك قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ستفترق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة يقيسون الامور برأيهم، فيحرّمون الحلال ويحللون الحرام».

وفى تفسير المنار: (ج ٧ ص ١٥٧) عن عدّة عن عوف بن مالك الأشجعى قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: تفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على امّتى قوم يقيسون الامور برأيهم، فيحلّون الحرام ويحرمون الحلال».

أقول: وقد وردت روايات كثيرة وقضايا عديدة عن طريق العامّة: أن الخلفآء

الثلاثة الضالّين المضلّين، الغاوين المغوين ـ مكان الراشدين ـ أعنى أبابكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان كانوا يحكمون برأيهم وحدسهم وظنّهم، ويخالفون كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم جاوزت مئات أوردنا كثيراً منها بمناسبات فى هذا التفسير نقلا عن مآخذهم المعتبرة عندهم:

منها: وقد ثبت أن أبابكر تخلّف عن جيش أسامة فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد لعن صلّى الله عليه وآله وسلّم المتخلّف عنه.

ومنها: قول أبى بكر بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن لى شيطاناً يعترينى، فان استقمت فأعينونى وإن زغت فقوّمونى».

ومنها: قول عمر بن الخطاب فى خلافة صاحبه: «كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه...»

وقد صدق الامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى قوله: «ما أضمر أحد شيئاً إلّا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه».

وقد عاد عمر بن الخطاب إلى ما كان صاحبه عليه، مع أن حكم عمر بوجوب القتل وبطلان البيعة إن طابق الواقع فقد كان أبوبكر مستوجب القتل، فكانت بيعته غير صحيحة، وإلّا كان عمر بن الخطاب هو المستوجب للقتل لقوله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون» المائدة: ٤٤) وحكمه ليس عن خطأ بل اتبع لهواه واتخذ الدين لعباً لأنه أوّل مَن بايع أبابكر يوم السقيفة السخيفة على النحو الذى حكم هو بوجوب قتل المبايع.

ومنها: قول أبى بكر: «أقيلونى فلست بخيركم وعلىّ فيكم» فان كان أبوبكر صادقاً فلم يصلح للخلافة، وإلّا فلم يصلح لها أيضاً فان الكاذب لا يصلح أن يخلف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولذلك يقول كل من له طيب الولادة: والله جل وعلا: أن أبابكر وعمر وعثمان كانوا خلفآء ضالّين مضلّين، غاوين مغوين ـ مكان الراشدين ـ وقد كانواهم وأذنابهم يلعبون بالدين، ويتخذونه هزواً ومزاحاً، وما كانوا به مؤمنين طرفة عين أبداً، قال الامام على بن أبيطالب عليه السلام فيهم:

«إتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ فى صدورهم، ودبّ ودرج فى حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، وزيّن لهم الخطل، فِعْلَ مَن قد شركه الشيطان فى سلطانه ونطق بالباطل على لسانه».

ومنها: قول أبى بكر فى مرض موته: «ليتنى كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتنى فى ظلّة بنى‌ساعدة كنت ضربت يدى على يد أحد الرجلين، فكان هو الأمير وكنت الوزير».

ومنها: منع أبى بكر فاطمة الزهرآء بنت المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم من إرثها.

وعشرات اخرى من خلافه على كتاب الله تعالى وخلاف سنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوردها حملة أسفار العامّة فى أسفارهم...

وأما عمربن الخطاب: فكانت مخالفته لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر وأكثر من مخالفة صاحبه لها فانه كان مبدأ الفتن ومنشأ الزلل والمضلاّت كلها فى‌الاسلام وسبب انحطاط المسلمين إلى يوم القيامة.

فى الدر المنثور: (ج ٣ ص ١٥٥) «أخرج الحكيم الترمذى عن عمربن الخطاب قال: أتانى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنا أعرف الحزن فى وجهه، فأخذ بلحيتى فقال: «إنا لله وإنّا إليه راجعون» أتانى جبرئيل آنفاً فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» قلت: أجل «فانالله وإنا إليه راجعون» فمّ ذاك يا جبرئيل؟ فقال: إن امّتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، قلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كل ذلك سيكون. قلت: ومن أين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب‌الله؟ قال: بكتاب الله يضلّون، وأوّل ذلك من قبل قرّائهم وامرائهم، يمنع الامرآء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون، وتتّبع القرّآء أهوآء الأُمرآء فيمدّونهم فى الغىّ ثم لا يقصرون قلت: يا جبرئيل فبم يسلم من سلم منهم؟ قال: بالكفّ والصبر إن اعطوا الذى لهم أخذوه وإن منعوه تركوه».

أقول: ولا يخفى على من له قلب سليم أن هذه القضية بيان لما فى السقيفة السخيفة ومنع حق الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وصبره عليه السلام إذا منعوه عن حقه، ومنع فاطمة عليها السلام من حقها فدك وهضم حقها.

ومنها: نسبة عمربن الخطاب الهجر و الهذيان إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتكذيب قول الله تعالى فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى» النجم: ٣-٤) ومخالفة عمربن الخطاب لأمر الله تعالى إذ قال: «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» الحشر: ٧) ومخالفته لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومنعه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الوصية والجسارة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم علناً فى حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومنها: مخالفة عمربن الخطاب لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صراحاً بقوله: «متعتان محلّلتان كانتا فى عهد (زمن) رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنا أُحرّ مهما واعاقب عنهما».

ومنها: تعطيل عمربن الخطاب حدّ الزنا عن المغيرة بن شعبة.

ومنها: إعطائه بيت المال ما لا يجوز على عآئشة وحفصة فى كل عام عشرة آلاف درهم، ومنعه أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم عن خمسهم، ومنع فاطمة الزهرآء سلام الله عليها عن إرثها وعن فدك التى كانت حقّها آتاها إياها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمرالله جل وعلا: «وآت ذاالقربى حقه» الاسراء: ٢٦) والروم: ٣٨)

ومنها: أنه قضى فى الجدّ بسبعين قضية باختلاف فاحش على خلاف كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد ورد عن طريق العامة: مأة قضية.

ومنها: ان عمربن الخطاب قد أبدع فى الدين ما لا يجوز على هوى نفسه كالتراويح ووضع الخراج على السواد وترتيب الجزية...

وغير ذلك من مبدعاته وجناياته التى جاوزت الآلاف كلّها مضبوطة فى كتب العامة أوردها حملة أسفارهم فيها...

وأما عثمان بن عفان ثالث ثلاثة فلا يخفى مفاسده فى الاسلام، وجناياته على

المسلمين على مَن له طيب الولادة، وأما مَن خبثت ولادته فلن نتوقّع منه تصديقنا، وهو وأربابه يكذّبون كلام الله جل وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث ان تكذيبه دليل قاطع وبرهان ساطع على خبث ولادته، ومن الإنآء يترشح ما فيها، ومن آلاف مفاسد عثمان وجناياته نفيه أباذر الغفارى إلى الربذة، وقد كان جرمه عنده بيان الحق فقط، ومنها: تعطيله الحدّ من ابن‌عمر، واستهزائه بالشريعة المحمدية وجرأته على المخالفة لها علناً وما إليها، كلها مضبوطة فى كتب العامة من الآلاف...

انشدكم بوجدانكم يا أهل العالم، وانشدكم بالله يا أيها المسلمون الأحرار من الحميّة الجاهلية ومن العصبيّة العميآء! أهؤلآء الفجرة الغاوون؟ أهؤلآء الظلمة المغوون؟ أهؤلآء الفسقة الضالّون؟ وأهؤلآء الطاغية المضلّون كانوا خلفآء راشدين؟ أكان أتباع هؤلآء المفسدين فرقة ناجية؟ ولو كان اولئك راشدين، وهؤلآء فرقة ناجية لما كان للظلم والجناية، للكفر والضلالة، للشرك والغواية، وللافساد والإغوآء معنى ولا مفهوم ولا مصداق أصلاً.

ولعمرى! انى لن أتقدّم رضى المخلوق الجانى على رضا الخالق المتعال، ولا أترك ذكر جنايات الخلفآء الثلاثة الغاوين المغوين لفرح أذنابهم السفلة وهم أبغضوا الله عزوجل وأبغضوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبغضوا أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وظلموهم وهضموا حقوقهم وقتلوهم وهتكوا حرماتهم... على ما ورد عن طريق العامّة أنفسهم... «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأهبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم» محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٨-٢٩)

فاذاً كيف أكون ـ العياذ بالله تعالى ـ بصدد جلب رضا أعدائهم وفرحهم، بترك مفاسد أربابهم والإغماض عن جناياتهم... وإنّهم لن يرضوا عنّا الشيعة الامامية الاثنى عشرية إلّا أن نكونوا مثلهم: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم» البقرة: ١٢٠)

فتبّت يد مَن مدّها إلى يد هجمت إلى مهبط الوحى وأحرقت بيت أهله

صلوات الله عليهم أجمعين وبطشت خدّي فاطمة الزهراء وضربت جنبها وأسقطت جنينها سلام الله عليها، وجعلت الحبل على عنق أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام لبيعة أبى بكر قسراً... وقطع لسان من يصف هؤلآء المضلّين بالراشدين وحشره الله تعالى معهم وقطع دابرهم...

وقد وردت روايات كثيرة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين على تحريم العمل بالقياس، فمنها...

فى أمالى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن زرارةبن أعين قال: قال لى أبوجعفر محمدبن على عليه السلام: «يا زرارة إياك وأصحاب القياس فى الدين فانهم تركوا علم ما وكلّوا به وتكلفوا ما قد كفوه يتأوّلون الأخبار ويكذبون على الله عزوجل، وكأنى بالرجل منهم ينادى من بين يديه قد تاهوا وتحيّروا فى الأرض والدين».

وفيه: باسناده عن إبن أبى‌عمير عن غير واحد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «لعن الله أصحاب القياس فانهم غيّروا كلام الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم واتهموا الصادقين فى دين الله عزوجل».

ولا يخفى على القارئ الخبير: أن القياس هو إلحاق أمر في الحكم غير منصوص عليه بآخر منصوص عليه لاتحاد بينهما فى العلّة المستنبطة، ومثال ذلك: أنّه لو نصّ الشارع على أنّ الجدّة لأمّ ترث، ويسكت عن الجدّة لأب، فيلحق الحاكم هذه بتلك فى الميراث قياساً لأن كلتيهما جدّة والبحث فيه تفصيلاً فى محلّه من هذا التفسير.

وقد ثبت أن العامّة عامة والأشاعرة خاصة يعملون بالقياس، وبعد الخلفآء الثلاثة المغوين كان أبوحنيفة معروفاً بالعمل بالقياس فراجع.

كما وردت أخبار متظافرة تشهد على أن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لا يخالفون كتاب ربهم إلى يوم القيامة.

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «نحن شجرة النبوّة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم

وينابيع الحِكَم، ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه، ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله فانهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».

وفيه: قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام: «وناظر قلب اللبيب به يُبصرُ أمده، ويعرف غوره ونجده، داعٍ دعا، وراعٍ رَعىٰ، فاستجيبوا للداعى واتبعوا الراعى. قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالّون المكذّبون، نحن الشِعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تُؤتَى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّىَ سارقاً».

٢ـ فى تفسير المنار: أخرج أبو الشيخ عن علىّ بن أبيطالب كرّم الله وجهه قال: «لتفترقن هذه الامّة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلّا فرقة» يقول الله: «وممّن خلقنا امّة يهدون بالحق وبه يعدلون» فهذه هى التى تنجو من هذه الأمة».

ثم قال صاحب المنار: «ومعلوم أن الشق الأوّل من هذا الأثر مرفوع إلى النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فذكره علىّ رضى الله عنه ليفسّر به الفرقة الناجية، وقد فسّرها النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى بعض الروايات بأنها هى التى تستقيم على ما كان عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو وأصحابه ومعنى التفسيرين واحد فى مآلهما، والمراد منه امّة الإجابة لدعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم».

وفى مناهل العرفان: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ستفترق امّتى ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها فى النار إلّا واحدة» قيل: ومَن هم؟ «قال: الذين هم على ما أنا عليه وأصحابى».

مَن هؤلآء الأصحاب؟

ولو سلّمنا ذيل الرواية الأخيرة: «الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي» لكان ينبغي لنا السؤال:

١- هل اريد بالأصحاب: الجميع من على بن أبيطالب وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى وعمّار بن ياسر ومَن إليهم ... ومن المغيرةبن شعبة المجرم، ومروان الحكم الطريد بن الطريد، الملعون بن الملعون، ومعاوية بن أبى سفيان الطليقين وعمروبن عاص الأبتر الشانئ وأذنابهم ...؟!

٢- أم اريد بالأصحاب: بعض المجهول؟!

٣- أو اريد بهم: بعض المعلوم؟.

ولا سبيل لمعنى الأوّل قطعاً لأنه يلزم أن يكون كل مَن اتبع ما يتفق عليه مجموع أصحابى فهو الناجى مع اختلاف الكثير بينهم فى الاصول والفروع الدينية عامّة، وفى أمر الخلافة خاصّة، وأن يلزم أن مَن اتبع قول بعض الصحابة وترك العمل بقول البعض الآخر خروجه من أهل النجاة، ويلزم خروج من قال بخلافة أبى بكر من أهل النجاة لأن اجماع الصحابة لم يتحقق على خلافته، إذ كثير من خيار الصحابة تخلّفوا عن بيعته كعلى بن أبيطالب وسائر بنى هاشم وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى ومقداد وعمّار وسعد بن عبادة وأولاده وأصحابه وغيرهم ممّن صرّح بهم رواة الطرفين، واتفاق الإثنين: عمربن الخطاب وأبى عبيدة الجرّاح على أبى بكر فى السقيفة السخيفة بنى ساعدة مع تعاملهم وتواعدهم وتصانعهم بينهم من قبل ليس بحجّة فالتابع لهذا البعض المتصانع المرموز المدسوس يكون خارجاً عن ربقة أهل النجاة قطعاً.

ولا سبيل إلى المعنى الثانى لأنّه يلزم أنّ كلّ مَن اتبع قول بعض الجهّال بل الفسّاق و الفجّار والمنافقين منهم، وترك العمل بقول صالح المؤمنين يكون من أهل النجاة و يكون أتباع عائشة و طلحة و زبير و معاوية الذين بغوا و خرجوا على أميرالمومنين على بن أبيطالب عليه السلام و قاتلوه على الحق، و أن يكون المقتول من

الطرفين في الجنّة، فلو أنّ رجلاً حارب معاوية مثلاً إلى نصف النهار فى نصرة علي بن أبيطالب عليه السلام ثمّ عاد فى نصفه و حارب علياً عليه السلام فى نصرة معاوية لكان فى الحالين مهتدياً بالحقّ!

فتعيّن الثالث، ولابد وأن يكون ذلك المعيّن متصفاً بمزايا العلم والفضآئل الأخلاقية والكمالات النفسانيّة لتكون متابعته وسيلة إلى النجاة، وأن يكون معصوماً عن الإنحراف والإضلال... إذ على تقدير التساوى يلزم الترجيح بلا مرجّح، والمخصوص بهذه الأوصاف بين الصحابة هو أهل بيت الوحى من على بن أبيطالب وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا ريب في أنّ مَن كان تابعاً لهؤلآء المعصومين عليهم سلام الله تعالى كان هو من أهل النجاة، فالفرقة الناجية من تابعيهم فى العقآئد الاسلامية ليس إلّا الشيعة الإمامية الاثنى عشرية.

قال محمود جارالله زمخشرى المفسّر المشهور صاحب تفسير «الكشاف» كما فى «الريحانة: ج ٢ ص ١٢٧» نقلاً عن تفسيره «الكشاف آخر الجزء الثانى المطبوع بمصر»:

إذا سئلوا عن مذهبي لم ابح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم
فان حنفيّاً قلت قالوا بأنّني ... ابيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيّاً قلت قالوا بأنّني ... ابيح لهم لحم الكلاب وهم هم
وإن شافعيّاً قلت قالوا بأنّني ... ابيح نكاح البنت والبنت محرم
وإن حنبليّاً قلت قالوا بأنّني ... ثقيل حلولى بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدرى ويفهم
تعجّبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من السن النّاس يسلم
وأخّرَني دهرى وقدّم معشراً ... على أنهم لايعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهّال أيقنت أنّني ... أنا الميم والأيّام أفلح أعلم

ومن أشعاره قوله:

كثر الشـك والخـلاف فـكـل يـدّعـى الـفـوز بـالصـراط السوى
فـاعـتصامـى بـلا إلـه سـواه ثـمّ حـبّـى لأحمـد وعـلـيّ
فـاز كـلـب بحب أصحـاب كـهف كـيـف أشق بحبّ آل نـبـيّ

و فى كتاب (لماذا اخترت مذهب الشيعة ص ١٢:) للعلامة المجاهد الشيخ محمد مرعى الأمين الأنطاكى ـ وهو كان قاضى القضاة مرتدياً زيّ الإفتاء على مذهب العامة ـ ثم استبصر وقال ـ تحت عنوان: الشيعة هم الناجون ـ: «السبب فى نجاة هذه الطائفة (الشيعة) بالإضافة على ما تقدّم هو امتيازها عن سآئر الفرق الإسلامية التى جآء به الحديث المتفق عليه: «ستفترق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلّا فرقة واحدة».

وقال: «وقد رأينا أنّ الأُمّة الاسلامية كلها تأتى بكلمة «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» فان قلنا بنجاة الكل كذبنا الحديث، وإن قلنا بهلاك الكل أيضاً كذبنا الحديث، إذن فالفرقة الناجية هى كما قلنا التى أخذت بولآء آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والدليل على نجاتها قيام الأدلّة كتاباً وسنّة ثابتة عند الطرفين، إذن فلابد أن تكون هذه الفرقة الّتى نجت قد امتازت عن سآئر الفِرق بشيْ لم تأخذه به سآئر الفرق، وهو الولآء والبرآء وقولهم أيضاً بعصمة أئمتهم وساداتهم وقادتهم وشفعآئهم.

فبالله عليك أيّها القارى المنصف الكريم المؤمن أيقال لمثل هؤلآء: كفرة مشركون مرتدّون مهدورى الدّم؟ وينسب إليهم أنواع التهم الباطلة والافتراءات المفتعلة والأقاويل الكاذبة الشنيعة كما أتى به «ابن تيمية وابن حجر والقصيمى والحفناوى وموسى جارالله و أحمد أمين والجبهانى» و كالمجرم شيخ نوح الذى أفتى بكفر الشيعة وقتلهم و سبى نسائهم و نهب أموالهم و استرقاق ذراريهم... و قد ختم فتواه الطويلة بقوله: «تابوا أم لم يتوبوا».

ثم قال: «انظر إلى نصّ فتواه المشومة إلى كتاب «الفصول المهمّة» للسّيّد شرف الدين وذلك فى «الفصل التاسع» اللهم إليك المشتكى وأنت المفزع

فى الملمّات... وهل تعلم أيّها القارئ اللبيب ما هو ذنب الشيعة؟ هو عدم اعترافهم بالخلافة لغير أئمتهم كآئناً من كان، بل تقول: إن الخلافة لهم من أوّل البعثة إلى آخر الدنيا، فبربك قل أهذا ذنب يورث الكفر و الإرتداد؟»

ثم **قال** ـ تحت عنوان إعلان التشيّع ـ: «قد عرفت مما مر عليك متكرراً بأن الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من كلا الطرفين طافحة فى كتب الفريقين بأحقيّة الأخذ بمذهب الجعفرى إذ أنّه سلسلة ذهبيّة متراصة حلقاتها بعضها ببعض لا تنفصم إذ يقول جلّ شأنه: «لا إكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

وقد جآء فى حديث معتبر مأثور عن علىّ عليه السلام عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «نحن العروة الوثقى» وجآءت رواية اخرى: «نحن الصراط المستقيم، نحن السبل إلى الله» وأمثال ذلك وهى كثيرة جداً أوضحت لنا السبيل إلى الدخول فى المذهب الشيعى، فاعتنقناه بكل فرح وسرور إذ لا مناص لنا من الأخذ به طلباً للنجاة وفوزاً إلى الرشاد هدانا الله وإياك إلى ما فيه رضاه وهو الموفق والمرشد والهادى ولله درّ شاعر أهل البيت عليهم السلام الكميت رحمه الله:

ومالى إلّا آل أحمد شيعة ... ومالى إلّا مذهب الحق مذهب

وقال الشافعى:

ولمّا رأيت النّاس قدذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
وأمسكت حبل الله وهو ولآئهم ... كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت في الدّين سبعون فرقة ... ونيف كما قد جآء في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غيرفرقة ... فقل لى بها ياذا التفكروالعقل
أفي الفرق الهلاك آل محمّد ... أم الفرق اللائى نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد ... وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فانّني ... رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّى

فخلوا علياً لى ولياً ونسله وأنتم من الباقين في أوسع الحلى

وقال الآخر:

إذا شئت أن تبغى لنفسك مذهباً ينجيك يوم البعث من لهب النّار

فدع عنك قول الشافعى ومالك وأحمد والمروى عن كعب أحبار

ووال اناساً قولهم وحديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى

ثم قال -تحت عنوان الفرقة الناجية-: «فأقول: إن الفرقة الناجية هى التى تمسكت بولآء الله وولآء الرسول والأئمة الأطهار الذين طهّرهم الله من الرجس، وتبرّأت ممن عاداهم عملاً بالحديث الثابت المتفق عليه من كلا الطائفتين: (الشيعة والسنة) وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

ثم قال: «وأما قول مَن قال: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا سُئِلَ عن الفرقة الناجية: أيّها هى؟ فقال: ما أنا وأصحابى عليه فغير مسلم فيه، اذ ان الصحابة ليسوا كلهم ممّن يتمسك بهم لأنه فيهم ممن ظهر منهم أفعال غير مرضية مثل: مروان الحكم الطريد بن الطريد الملعون بن الملعون كما روى عن عائشة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مروان قصص من لعنة الله ورسوله» ومعاوية الطليق بن الطليق، وعمرو بن العاص المشهور فى المكر والخداع وكالمجرم المغيرة بن شعبة وكثير غيرهم... وقد قال الله سبحانه فى سورة برآءة: «ومن الأعراب منافقون من أهل المدينة مردوا على النفاق...»».

إلى أن قال: «وإن صحّ قوله: «ما أنا وأصحابى عليه» ولا أراه بصحيح فالمراد به أهل البيت عليهم السلام -كما قال الامام على عليه السلام: نحن الشعار والأصحاب...- الذين جعلهم الله ورسوله قدوة لاولى الألباب، وأمر رسول الله بالتمسك بهم ونهى عن ترك التمسك بهم -قد ورد فى كتب الحديث وكتب المواعظ وغيرهما: «من قال لا إله إلّا الله دخل الجنّة» قلت: نعم لكن بشرطها، فالامّة كلها تأتى بلا إله إلّا الله محمد رسول الله الشيعة وغير الشيعة، ومع ورود ذلك فقد

حكم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بنجاة فرقة واحدة لا غير، فالقول بنجاة الامة جميعاً ردّ للحديث المتفق على صحته، والقول بهلاك الكل ردّ له أيضاً، إذن فلابد من أن يكون الفرقة الناجية قد امتازت عن غيرها من الفِرَق بشيءٌ لم تأخذ به بقية الفرق، وقد امتازت الشيعة عن غيرها بامور إختصّت بها وهو قولهم بعصمة الأئمة، وإختصاص الخلافة بهم بأدلّة تقطع على الخصم حجته، فالخلافة لا تصلح لغيرهم، ولا يتم نظام الامة بتولى الخلافة بغيرهم، ولو أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اخذوا بتعاليم نبيّهم لما وقعوا فيا وقعوا به من القتل والنهب والسلب ولكن خرجوا عن طاعة الله والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان ما كان مما لا يخفى على أحد» انتهى كلامه.

٣ـ روى الصيمرى فى كتابه: (الالزام) نقلاً عن كتاب الحافظ احمد بن موسى الشيرازى وهو من أعاظم العامة استخرج من اثنى عشرة تفسير من تفاسير قدمآء العامة كلهم عن أنس بن مالك وغيره ـ فى حديث ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ بن أبيطالب عليه السلام: «يا أبا الحسن إنّ امّة موسى عليه السلام إفترقت على احدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون فى النار، وإنّ امّة عيسى افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون فى النار، وستفرق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون فى النار، فقلت (فقال عليّ عليه السلام خ): يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فما الناجية؟ قال: المتمسك بما أنت وشيعتك وأصحابك» الحديث. رواه جماعة منهم: علي بن عبدالعال الكركى فى (نفحات اللاهوت ص ٨٦ ط الغرى) و محمدبن يوسف التونسى المشتهر بالكافى فى (السيف اليمانى المسلول ص ١٦٩).

أقول: ولا يخفى على المحقق الخبير المتأمّل: أن لفظة «فرقة» تنطبق بحساب الجمل على كلمة «شيعة» فانظر وتدبّر:

فـرقة			=	شيعة		
رقم	حروف	العدد بحساب الجمل		رقم	حروف	العدد بحساب الجمل
١	ف	٨٠		١	ش	٣٠٠
٢	ر	٢٠٠		٢	ى	١٠
٣	ق	١٠٠		٣	ع	٧٠
٤	ة (هـ)	٥		٤	ة (هـ)	٥
	الجمع	٣٨٥	=		الجمع	٣٨٥

٤ـ فى أمالى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى عقيل قال: «كنّا عند أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فقال: لتفترقن هذه الامة على ثلاثة وسبعين فرقة والذى نفسى بيده إنّ الفِرَق كلها ضالّة إلّا مَن اتبعنى وكان من شيعتى».

أقول: أنشدكم يا أهل العالم بوجدانكم، وانشدكم أيّها المسلمون! أفيكون أهل القياس والخلاف وأهل التنازع محضر النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والرادّ عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم والذين حلّلوا حرام الله وحرّموا حلاله من العامة على فرقها المختلفة فرقة ناجية؟ ويكون ـ العياذ بالله ـ أهل بيت الوحى المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين والذين يتبعونهم من الشيعة الإمامية الاثنى عشرية أهل النار؟!

وقد أخذ الله عزوجل الميثاق من العلمآء أن يبيّنوا الحق للناس ولا يكتموه ولا يشتروا به ثمناً قليلاً، ولا يفرحوا بأخذ الدينار وايتآء الدين، وقد لعن الله تعالى ويلعن الخلائق كلهم من كتم الحق واشترى به... ولهم عذاب أليم.

إذ قال: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل‌عمران: ١٨٧-١٨٨).

وقال: «إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» البقرة: ١٥٩).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن علم علماً وكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار تفضّلاً منه على بريته وطلباً لإدراجهم فى رحمته، فيرجع الجاهل عن ز لله ويستوجب الثواب على عمله».

فيجب على كلّ عالم ديني أن يظهر ما أوجب الله عزّوجلّ عليه إظهاره من المعارف والحقائق الدينية، ويكشف الحق ويفضح الباطل ويرشد الضالّين لئلا يكون من الملعونين على لسان رب العالمين وجميع الخلائق أجمعين بمقتضى الآيات الكريمة والروايات الواردة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا ظهرت البدع فى امتى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» ولمّا كان أبنآء زماننا هذا ممن استغواهم شياطين الجن والانس واستفزّ من استطاعوا منهم بأصواتهم وأجلبوا عليهم بخيلهم ورجلهم وشاركوهم فى الأموال والأولاد و وعدوهم وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً إلّا الشاذّ القليل الفائز بالتوفيق الإلهى حتى انكروا كثيراً من الضروريات واخطاؤا فى معظم المحسوسات ومالوا إلى الدنيا ومتاعها... وجب على العلمآء العاملين الذين لا يشترون الدّين... بالدّينار وجب عليهم بيان خطأ الغاوين المغوين وضلالة الضالين المضلّين لئلا يقتدى بهم غيرهم فتعمّ البلية جميع الخلق ويتركون الصراط المستقيم، فينكرون القضايا البديهية، ويكابرون فى المشاهدات الحسّيّة، ويدخلون فى الفِرَق الهالكة...

﴿افتراق الأمّة وانحطاط الملّة﴾

قال الله تعالى: «وأطيعواالله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» الأنفال: ٤٦).

إنّ الله عزوجل أمر المؤمنين باطاعته وإطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونهاهم عن المعصية والمنازعة والإفتراق والإختلاف بينهم لأنها توجب فشل الامة وإنحطاط المسلمين، وقد ثبت عن طريق العامة أن أبابكر بن أبى قحافة وعمربن الخطاب وأذنابهما عصوا الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنازعوا عنده وآذوه وأغضبوه وأهانوا عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأظهروا مخالفتهم لأمر الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم قولاً وعملاً فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته، وقد كانوا هم مبدأ العصيان والافتراق ومنشأ الطغيان والاختلاف، ومحور التنازع والانحطاط بين المسلمين، وقد أثبتوا هؤلآء الطغاة والعصاة والبغاة بأقوالهم الشنيعة وأعمالهم الفاسدة وعقآئدهم الباطلة فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنهم خارجون عن مدار الايمان، وعن زمرة المؤمنين، فنشير إلى نبذة منها عن طريق حملتهم فى أسفارهم إتماماً للحجة عليهم:

١ـ فى الملل والنحل للشهرستانى (ج ١ ص ٢٢ ط مصر) قال: «فأوّل تنازع وقع فى مرضه عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى باسناده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنه قال: «لمّا اشتدّ بالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم مرضه الذى مات فيه، قال: ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدى» فقال عمر: «إن

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد غلبه الوَجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قوموا عنّى لا ينبغى عندى التنازع» قال ابن عباس: «الرّزيّة كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم» رواه جماعة من أعلام العامة...

وروى البخارى فى (صحيحه- باب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وفى باب قول المريض: قوموا عنّى من كتاب المرضى) ومسلم فى (صحيحه- فى آخر كتاب الوصية) وغيرهما من أعلامهم عن ابن عباس قال: «لما حضر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «هلمّوا اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده» قال عمر: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم غلبه الوَجع وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلّوا بعده ومنهم من يقول: ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «قوموا عنّى».

وفى صحيح مسلم (فى آخر كتاب الوصية) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس» ثم جعل تسيل دموعه حتّى رأيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ائتونى بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فقالوا: «إن رسول الله يهجر».

روى سبط ابن الجوزى فى (تذكرة الخواص: ص ٩٨ ط النجف الأشرف) عن أبى حامد الغزالى فى كتاب (سرّ العالمين) أنه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل وفاته بيسير: «اعطونى بدوات وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفون فيه بعدى» فقال عمر: «دع الرجل انه ليهجر».

وفى مسند أحمد (ج ٣ ص ٣٤٦) عن جابر: «ان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا عند موته بصحيفة ليكتب كتاباً لا يضلّون بعده فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها».

أقول: روى قصّة كتابة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وإهانة عمربن الخطاب وأذنابه للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنازعهم عنده بأسانيد عديدة، جماعة من حملة أسفار العامة فى مآخذهم المعتبرة عندهم... أهذا هو العمل بأمر الله تعالى وطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» الحشر: ٧) و «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومَن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» الأحزاب: ٣٦)

ولو لم تكن إهانة عمربن الخطاب وعصيانه ومخالفته لأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصية لكان الشيطان معصوماً من كل ذنب حتى من ترك الأولى، مع أن الشيطان ما تجرّئ وما أهان لنبي من أنبيآء الله تعالى ما تجرّئ عمربن الخطاب وأهان لسيّد الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

ويا أيّها العامّة! إنا لو قلنا: إن عمربن الخطاب هجر فى قبال قوله للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «انه ليهجر» أ أنتم ترضون عنابدون القتل، والحال إن قولنا لو كان حراماً وضلالاً لكان بسبب عمر لمنعه للكتاب الرافع للضلال إلى يوم القيامة، فكان أولى بما تستحلّونه منّا.

٢ـ مخالفتهم ـ قولاً وعملاً ـ لأمر الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قصّة اسامة بن زيد فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومجمل القصّة على ما ورد عن طريق العامة فى أسفارهم المعتبرة عندهم: «ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جهّز جيشاً لغز والروم قبل وفاته بيومين، وقد دعا أُسامة بن زيدبن حارثة، وكان عمره يومئذ سبعة أو ثمانية عشر عاماً، فأمّره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذه السرية، وقد عبأ صلّى الله عليه وآله وسلّم فى هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار، فنهم أبوبكر بن أبي قحافة وعمربن الخطاب وأبوعبيدة الجرّاح وغيرهم من الصحابة، فطعن قوم منهم فى تأمير أُسامة وخالفوا أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا: كيف يؤمّر علينا شابّ لا نبات بعارضيه؟! وقد طعنوا من قبل فى تأمير أبيه، وقد قالوا فى ذلك واكثروا النقد، حتى غضب رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم على المتخلّفين منهم غضباً شديداً مما سمع من طعنهم وتخلّفهم وانتقادهم الباطل، وقد كان أبوبكر وعمر وأبوعبيدة من المتخلّفين، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصّب الرأس محموماً، يتهادى بين رجلين، ورجلاه تخطّان فى الأرض من شدّة ما به صلّى الله عليه وآله وسلّم من لغوب، فصعد صلّى الله عليه وآله وسلّم المنبر وعليه صلّى الله عليه وآله وسلّم قطيفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيّها الناس! ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أُسامة! ولئن طعنتم فى تأميرى اسامة، فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله، وأيم الله أنّه كان لخليقاً بالإمارة وأن ابنه من بعده لخليق بها...»

ثم جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يحضّهم على التعجيل، ويقول: «جَهِّزوا جيش اسامة، أنفذوا جيش اسامة، أرسلوا بعث اسامة» يكرّر ذلك على مسامعهم وهم متثاقلون وعسكر وبالجرف ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ـ وما كادوا يفعلون.

فى الملل والنحل: الخلاف الثانى فى مرضه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلّف عنه» فقال قوم: يجب علينا إمتثال أمره، وأُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا تسع قلوبنا مفارقته، والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أىّ شئ يكون من أمره».

أقول: وان مثل ذلك التخلف عن أمر الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدفع كل إنسان سليم قلبه أن يتساءل: ما هذا طغيان هؤلآء القوم المتخلّفين وجرأتهم على الله جل وعلا؟ وما هذا عصيانهم ومخالفتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وما هذا العقوق والإهانة فى حق النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم الذى هو حريص عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم؟؟؟

وما هو الحق فى هذه القضية: أن هؤلآء الصحابة الذين طعنوا فى تأمير اسامة قد خالفوا أمر ربهم وعصوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخالفوا الصريح من النصوص

التى لا تقبل الشك ولا تقبل التأويل، وليس لهم عذر فى ذلك، إلّا ما يتشبّث به الذين فى قلوبهم مرض، من أعذار باردة حفاظاً على كرامة المتخلّفين من الصحابة، ولا كرامة لهم لأنهم لا يحفظون كرامة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم الذين لا يفقهون حديثاً ولا يعقلون إذ أعمت الحميّة الجاهلية أعينهم، فلا يفرّقون بين الفرض الواجب طاعته، والنهى الواجب تركه، وهؤلآء الأتباع العميآء يريدون أن يحفظوا حرمة الذين لم يراعوا لرسول الله حقاً، ولم يعرفوا له احتراماً، فطعنوا فى تأميره أُسامة بعد يومين من رميه بالهجر والجرح لما يندمل، حتى أجبروه أن يخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتلك الحالة التى وصفها المؤرخون، لا يقدر على المشى من شدّة المرض، وهو يتهادى بين رجلين.

ثم يقسم بالله تعالى بأن اسامة خليق بالإمارة، ويزيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن هؤلاء المتخلّفين هم أنفسهم الذين طعنوا فى تأميره زيد بن حارثة من قبل، ليعلّمنا أن هؤلآء لهم معه مواقف سابقة متعددة وسوابق شاهدة على أنهم لم يكونوا من الذين لا يجدون فى أنفسهم حرجاً ممّا قضى ويسلّموا تسليماً، بل كانوا من المعاندين المجادلين الذين جعلوا لأنفسهم حق النقد والمنازعة والمعارضة والمخالفة... حتى ولو خالفوا بذلك أحكام الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعصوا الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومما يدلّنا على المعارضة والمخالفة والمنازعة الصريحة: أنهم رغم ما شاهدوه من غضب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليهم، ومن عقد اللوآء له بيده الشريفة والأمر لهم بالإسراع والتعجيل، تثاقلوا وتباطئوا ولم يذهبوا حتّى توفّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفى قلبه حسرة على امته المنكوبة التى سوف تنقلب على أعقابها وتهوى فى النار ولا ينجو منها إلّا القليل الذى شبّهه رسول الله بهمل النعم.

ومن الأخبار التى تدل على ارتداد الصحابة إلّا القليل النادر هى أخبار الحوض.

فى صحيح البخارى ـ فى كتاب الحوض ـ عن أبى هريرة: «ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: بينا أنا قائم، فاذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى

وبينهم، فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم إرتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم».

٣ـ اختلافهم فى موت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل دفنه أورده أعلام العامة:

فى **شرح نهج البلاغة** لابن ابى الحديد: «لما مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشاع بين الناس موته، طاف عمر على الناس قائلاً: إنه لم يمت، ولكنه غاب عنّا كما غاب موسى عن قومه، وليرجعنّ فليقطّعنّ أيدى رجال وأرجلهم، يزعمون أنه مات؟ فجعل لا يمرّ بأحد يقول: إنه مات إلّا ويخبطه ويتوعّده حتى جآء أبوبكر فقال: أيّها الناس! مَن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فانه حىّ لم يمت، ثم تلا قوله تعالى: «أفَائِن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم» قالوا: فوالله لكأنّ الناس ما سمعوا هذه الآية حتّى تلاها أبوبكر، وقال عمر: لما سمعته يتلوها هويتُ إلى الأرض، وعلمتُ أن رسول الله قد مات».

وفى **الملل والنحل**: «الخلاف الثالث فى موته عليه الصلاة والسلام قال عمربن الخطاب: من قال: إن محمداً قد مات قتلته بسيفى هذا، وإنّما رفع إلى السمآء كما رفع عيسى عليه‌السلام وقال أبوبكربن أبى قحافة: مَن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فان إله محمد حىّ لم يمت ولن يموت، وقرأ قول الله سبحانه وتعالى: «وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين» فرجع القوم إلى قوله، وقال عمر: «كأنّى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبوبكر».

أقول: إن الآية الكريمة وإن كانت تخاطب للصحابة بعد واقعة أُحُد، ولكنّها

تـدل على عروض الإرتداد لهـم بعد وفـاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك ان الاستفهام فيها من الله سبحانه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل، وإنّما هو للانكار أو التوبيخ وهما يقتضيان الوقوع، ولذا قال: «انقلبتم» بصيغة الماضى تنبيهاً على تحقّقه لعلمه تعالى بعاقبة أمرهم، ولا يصحّ أن يراد بالآية الكريمة خصوص الأعراب الذين زعمت العامة إرتدادهم كمالك بن نويرة وقومه، لأن الآية متعلّقة بالمنهزمين فى أُحد وهم المهاجرون والأنصار...

٤ـ اختلافهم فى أمر الإمامة مع النصوص الواردة فيها فأغمضوا عنها فقال أبوبكر وعمر وأذنابهما: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مات بغير وصيّة، ولم يستخلف أحداً، وقال أهل بيت الوحى المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وكبار الصحابة الصادقين كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى ومقداد وعماربن ياسر ومَن إليهم من الصحابة المؤمنين الصادقين حقاً: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مات عن وصيّة، وانه صلّى الله عليه وآله وسلّم استخلف أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام إماماً بعده بأمر الله جل وعلا، وقد بلّغه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمواقع عديدة ومواضع كثيرة لا يخفى على أحد منها يوم غدير خم.

فى الملل والنحل: «الخلاف الخامس فى الإمامة، وأعظم خلاف بين الامّة خلاف الامامة، إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة فى كل زمان، وقد سهل الله تعالى فى الصدر الأوّل، فاختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار منّا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصارى، فاستدركه أبوبكر وعمر فى الحال بأن حضرا سقيفة بنى ساعدة، وقال عمر: كنت أُزوّر فى نفسى كلاماً فى الطريق، فلمّا وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلّم فقال أبوبكر: مَه يا عمر فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أقدره فى نفسى كأنّه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدى إليه فبايعته، وبايعه الناس، وسكنت الفتنة، إلاّ أن بيعة أبى بكر كانت فلتة، وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأيّما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من

المسلمين فانهما تغرّة يجب أن يقتلا».

أقول: وقد ورد للفلتة معان: أحدها- الفتنة كما يظهر من الخصم ونطقت بها رواية ابن الأثير في (الكامل: ج ٢ ص ٥٧) لما روى حديث السقيفة فانه رواها بلفظ الفتنة وهذا لا ريب فيه فان بيعة أبي بكر فتنة، وأيّ فتنة كانت أساس الفتن ورأسها. ثانيها- الزلّة والخطيئة كما هو ظاهر اللفظ، نعم! كانت بيعته زلة وخطيئة لا تقال. ثالثها- الفجأة والبغتة بلا تدبّر ولا رويّة وبدون مهلة ولا مشورة بل استبداداً وغيرها من المعاني التي كانت كلها موجبة لفشل الامة وانحطاط المسلمين.

٥- تهاجم هؤلآء القوم المتخلّفين البغاة، والهتّاكين لحرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والطغاة على دار أميرالمؤمنين على بن أبيطالب وفاطمة الزهراء بنت المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيها الحسنان سبطا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبنو هاشم وكبار الصحابة العدول المؤمنين حقاً، وإجبارهم على بيعة أبي بكر وإحراق بيت الوحي لأجل ترك مبايعة أبي بكر كانت فلتة، وغصبهم فدكاً كانت حق فاطمة الزهرآء ومنعها من إرثها، وضربها وإسقاط جنينها حتى شهدت سلام الله عليها، نعم! مَن أهان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمشافهة، فهو لا يبالي أن يحرق دار أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وغير ذلك من الإختلاف والجناية، من الظلم والخيانة، من الإرتداد والضلالة، من الانحراف والغواية، من الطغيان والمعصية، ومن الافتراق والمخالفة لله جل وعلا ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم عملاً وقولاً واعتقاداً- في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم- الموجبة لفشل الامة وذهاب ريحهم، وانحطاط الملّة المسلمة إلى يومنا هذا. ولعمري! ان أبابكر وعمر كانا بانيي أساس انحطاط الامة المسلمة. «فرّق تسد» فانشدكم يا أهل العالم الأحرار بوجدانكم، وانشدكم بالله جل وعلا أيها المسلمون أكان هؤلآء القوم المتخلّفون البغاة والمستكبرون الطغاة يطيعون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويأتمرون بأوامر الله عز وجل وينتهون عن نواهيه...؟! أو لم تكن هؤلآء الصحابة المزوّرون مبدأ لافتراق الملّة

المحمّدية صلّى الله عليه وآله وسلّم على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى نار جهنم هم فيها خالدون إلّا فرقة واحدة وهم أهل بيت الوحى المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وشيعتهم كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد وعمار بن ياسر... ومَن إليهم إلى يوم القيامة ممّن كان له طيب الولادة.

قال الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ـ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم» آل‌عمران: ١٠٣ـ١٠٥)

«تاريخ التشيّع في الاسلام وأصحاب كبار رسول اللّه»
صلّى الله عليه وآله وسلّم والتابعون

قال الله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعرآء: ٢١٤) وقال «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» البيّنة: ٧)

وقد ذكر بعض الجهّال السفلة، وبيّاع الدين بالدنيا خبيث الولادة، والأُجرآء العملة من الحكومات الطاغية والسياسة الدولية الخارجة... طرفاً من الالباس على ضعفآء الناس قديماً وحديثاً باسم الاسلام والاصلاح والاتحاد وبريق الأفكار وما إليها من كلمات حقة يريدون بها الكفر والإفساد وفشل الامة وانحطاط المسلمين... إذ أكثروا الأقاويل في نشأة التشيّع:

في تاريخ ابن خلدون (ج ٣ ص ٣٦٤) قال: «إن الشيعة ظهرت لما توفّى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان أهل البيت عليهم السلام يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش ولما كان جماعة من الصحابة يتشيّعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره...»

وفي ضحى الاسلام (ج ٣ ص ٢٠٩) لأحمد أمين المصرى قال: «قد بدأ التشيّع من فرقة عن الصحابة كانوا مخلصين في حبّهم لعليّ عليه السلام يرونه أحق بالخلافة لصفات رأوها فيه ومن أشهرهم: سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود...»

فعلى هذا الرأى أن التشيّع ظهر أيام السقيفة!

ومنهم: من قال: ان التشيّع نشأ أيام مقتل عثمان بن عفان بان الاسلام بعد قتل

عثمان إنقسم إلى حزبين: حزب على عليه السلام وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية اسم الشيعة، فكانت شيعة معاوية فى مقابل حزب على عليه السلام ولمّا تولى معاوية الملك فى دولة الاسلام كلها... أصبح استعمال لفظ شيعة مقصوراً على أتباع عليّ عليه السلام.

ومنهم: مَن قال: إن مذهب الشيعة من مبدعات عبدالله بن سبا اليهودى فى عهد عثمان بن عفان، بأن أصل التشيّع والرفض مأخوذ من اليهودية!

ومنهم: من قال: ان التشيّع نشأ يوم الجمل فى البصرة وذلك لما خالف طلحة والزبير على عليّ عليه السلام وأبيا إلّا الطلب بدم عثمان، وقصدهما على عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله، تسمّى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة.

ومنهم: من قال: ان التشيّع تكوّن يوم خروج الخوارج بصفّين إذ قال جماعة من أتباع على عليه السلام: نحن نوالى مَن والاك ونعادى من عاداك. فتكوّن بذلك الشيعة.

ومنهم مَن قال: إن مذهب التشيّع قد ظهر بعد مقتل الحسين عليه السلام بان دم الحسين عليه السلام الذى أراقته سيوف الحكومة القائمة يومذاك يعتبر البذرة الاولى للتشيّع كعقيدة.

ومنهم: من قال: ان مذهب الشيعة من زنادقة الفرس!

ومنهم: مَن قال: ان مذهب الشيعة حدث على رأس أربعمأة من خلافة بنى العباس!

ومن المتأخرين وخاصّة المتجدّدين العملآء الأجرآء للأجانب الأعدآء - باسم بريق الأفكار - قالوا: إن مذهب الشيعة نحدث ونشأ من زمن الحكومة الصفوية بايران!

وإلى غير ذلك من الأكاذيب والمخاريق والتمويهات المودعة فيهم والوظآئف المحوّلة إليهم حسب اجورهم، ومن وليدات أوهامهم، وأفكارهم السخيفة، وما أجروا أن يتقوّلوا بما أراد به أربابهم الطواغيت المستكبرة، وأكثر هؤلآء الاجرآء يعلمون أن التشيّع لم يكن حادثاً، فانها ما فارقت كتاب ربها ولا سنّة نبيّها صلّى الله

عليه وآله وسلّم ولكنهم اشتروا الدين بالدينار لخبث ولادتهم وقد قال الله تعالى فيهم: «فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» آل‌عمران: ۱۸۷)
وقال: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلآء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً اولئك الذين لعنهم الله» النسآء: ٥١-٥٢)

وقال: «إن الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون فى بطونهم إلّا النار ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى‌الكتاب لفى شقاق بعيد» البقرة: ۱۷٤-۱۷٦)

وقال: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل» النسآء: ٤٤)

وينبغى لنا البحث ههنا على طريق الإختصار حول ثلاثة امور:

الأول: فى مبدأ التشيّع بأنّه من أين نشأ؟ ومتى تكوّن؟ وحيثمانما؟ ومَن هو غارس بذرته الاولى؟ ومن هو واضع حجره الأوّل؟ وكيف افرعت دوحته حتى سما واستطال وأزهر وأثمر وثبت واستدام واستمرّ.

الثانى: فى تشيّع طبقات كبار الصحابة المؤمنين الصادقين فى زمن رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى بن أبيطالب عليه‌السلام.

الثالث: في تشيّع كبارالتابعين المتقين حقاً، وحتى تديّنت به جملة من أعاظم ملوك الاسلام، بل وقدتظاهرت به وجملة من خلفآء بني‌العباس كالمأمون والنّاصر لدين الله، واعتقدت به وكبار وزراء الدول العباسية وآل بويه وغيرها، وحتّى تشكّلت الحكومة الشيعيّة العلويّة، والسادات القواميّة أكثرمن أربعة قرون بمازندران، من نصف القرن الثّالث إلى نحونصف القرن الخامس، ومن نحونصف القرن الثّامن إلى أواخر القرن العاشر: (٧٦٠-إلى-٩٨٩) الهجرى النّبوى.

أما الأوّل: فمن البيّن الذى لا يخفى على المحققين الخبرآء الذين لهم طيب الولادة: أن أوّل مَن وضع إسم الشيعة لأتباع مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه‌السلام ووضع بذرة التشيّع فى حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الواضع لحجرها الأساسى وغارس بذرتها الاولى بأن وضعت بذرة التشيّع مع بذرة الاسلام جنباً إلى جنب وسوآء بسوآء وما زال غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت فى حياته وأثمرت فى زمانه، وقد كان المثبت لها هو الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام فمن كان مومناً حقاً كان شيعته عليه‌السلام وكانت الشيعة يعرفون بشيعة على بن أبيطالب عليه‌السلام.

فى فرق الشيعة (ص ١٥) قال النوبختى (المتوفى ٣٠٠ هـ): «إن أوّل فرقة الشيعة هم فرقة على بن أبيطالب عليه‌السلام المسمّون شيعة على عليه‌السلام فى زمان النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بامامته».

وفى الروضات: قال أبو حاتم الرازى: «أوّل إسم ظهر فى الإسلام على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم: أبوذر الغفارى وسلمان الفارسى والمقداد بن الأسود الكندى وعماربن ياسر إلى أوان (صفين) فانتشرت بين موالى علىّ عليه‌السلام. فالشيعة إسم غير منتحل وقد كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وإنّما الدعوة إلى التشيّع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صارخاً بكلمة: «لا إله إلّا الله» فانه لما نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعراء: ٢١٤)

جمع بنى هاشم وأنذرهم قائلاً: «أيكم يؤازرنى ليكون أخى ووارثى ووصيّى وخليفتى فيكم بعدى»؟ فلمّا لم يجبه إلى ما أراد غير على بن أبيطالب عليه‌السلام قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «هذا أخى ووارثى ووزيرى ووصيى وخليفتى

فيكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا» رواه الطبرى فى (تاريخه: ج ٣ ص ١٧٢-١٧٣)

فكانت الدعوة إلى التشيّع لأميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه السلام من صاحب الرسالة تمشى معه جنباً إلى جنب مع الدعوة للشهادتين ومن ثمّ كان أبوذر الغفارى... من شيعة علىّ عليه السلام.

وفى تاريخ الشيعة: قال أبوسعيد الخدرى: «أُمِرَ الناس بخمس فعملوا أربعاً وتركوا واحدة ولمّا سُئِلَ من الأربع قال: الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج. قيل: فما الواحدة التى تركوها؟ قال: ولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

وقد كانت لفظة «الشيعة» تطلق على طائفة من الصحابة الكرام الذين كانوا شديدى الاتصال بعلى بن أبيطالب عليه السلام منهم: سلمان وأبوذر وعمار والمقداد وحذيفة بن اليمان وأبوسعيد الخدرى... وإن التشيّع لعلى عليه السلام والأئمة من بنيه فى جميع مراحله لا يعنى شيئاً آخر ورآء ما جآء به الاسلام من اصول وفروع كلها... فالتشيّع أصيل أصالة الاسلام وجزء من محتواه وليس التشيّع كغيره من الطوائف والفرق الطارئة التى كانت وليدة ظروف وأحداث معيّنة كما أحصتها المؤلفات فى الفرق الاسلامية ومجاميع التأريخ، وهو يعنى فيما يعنيه إختيار على بن أبيطالب عليه السلام لقيادة الامة بعد النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم لاتمام المسيرة التى قطع منها أشواطاً بعيدة لبناء الاسلام، وقد كانت بذرته الاولى يوم هتف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بكلمة التوحيد.

وان الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة على ذلك نفس أحاديث صاحب الشريعة لامن طرق الشيعة ورواة الإماميّة حتى يقال: إنهم ساقطون لأنهم يقولون: إن الإمامة تثبت بالنصوص لا برأى الرجلين: عمر وأبى عبيدة فى السقيفة السخيفة بنى ساعدة، يقولون: لابد أن يكون الامام معصوماً من الذنوب صغيرها وكبيرها، أن يكون أعلم الناس وأتقاهم وأشجعهم وأزهدهم...

ويقولون: بالرجعة ومسئلة القبر والشفاعة، أو أن راويهم يجر إلى قرصه بل من نفس أحاديث علماء العامة وحملة أسفارهم ومن طرقهم الوثيقة عندهم:

١ـ فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ج ١٣ ص ١٩٧-٢١٢)ـ فى شرح الخطبة القاصعة رقم: ٢٣٨ـ من كلام الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

«ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله وسلّم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرنى بالإقتدآء به، ولقد كان يُجاور في كل سنة بحرآء، فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحى والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحى عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيسَ من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرىٰ إلّا أنك لست بنبيّ ولكنّك لوَزير وإنك لعلى خير».

فقال ابن أبى الحديد: «وأما خبر الوزارة فقد ذكره الطبرى فى تاريخه عن عبدالله بن عباس عن على بن أبيطالب عليه السلام قال: لما انزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين» على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دعانى فقال: يا علىّ! إن الله أمرنى أن انذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أنّى متى أُنادهم بهذا الأمر أرَمنهم ما أُكره، فصمتُّ حتى جآئنى جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد! إنك إن لم تفعل ما أُمِرتَ به يعذّبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع بنى عبدالمطلب حتى أُكلّمهم وأُبلّغهم ما امرت به، ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه: أبوطالب وحمزة والعبّاس وأبولهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذى صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بَضعة من اللحم فشقّها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصفحة ثم قال: كلوا باسم الله، فأكلوا حتى ما لهم إلى شئ من حاجة، وأيم الله الذى نفس

علىّ بيده إن كـان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم ثم قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إسق القـوم يا علىّ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا مـنه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهـم لـيشرب مثلـه، فـلمّا أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكلّمهم بدره أبولهب إلى الكلام، فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم! فتفرّق القوم ولم يكلّمهـم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال من الغد: يا علىّ! إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما سـمعت مـن القول، فتفرّق القـوم قبل أن أكلّمهم، فَعُدْ لَنَا اليومِ إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لى، ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعانى بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بـالأمس، فأكـلوا حتى ما لهم بشئ مـن حاجـة ثم قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إسقهم، فجئتهم بـذلـك العُسّ، فشربوا منه جميعاً حتى رووا ثم تكلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا بنى عبدالمطلب! إنى والله ما أعلم أنّ شاباً فى العرب جآء قومه بأفضل مـمّا جئتكم به إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأيّكـم يوازرنى على هذا الأمرعلى أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم؟ فأحـجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنـا وإنّى لأحدثهم سـنّاً وأرمصهم عيـناً وأعظمهم بطنـاً وأحمشهم ساقاً، أنـا يا رسول الله أكون وزيرك عـليه، فأعاد القول، فـأمسكوا وأعدت ما قلـت، فـأخذ برقبتى ثم قال لهم: هـذا أخـى ووصيّى وخليفتى فيكم، فاسمعـوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع».

ثمّ قال ابن أبى الحديد: «ويـدلّ على أنه وزيـر رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّم من نصّ الكتاب والسنّة قـول الله تعالى: «واجعل لى وزيراً من أهلى هـارون أخى أشدد به أزرى واشركـه فى أمرى» وقال الـنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى الخبر المجمع على روايته بين سائر فِـرَق الإسـلام: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نـبىّ بعدى» فأثبـت لـه جميع مراتب هارون عـن مـوسى، فاذن هو وزير رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم وشادّ أزره ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً فى أمره».

ثم قال: «وروى أبوجعفر الطبرى أيضاً فى «التاريخ»: أن رجلاً قال لعليّ عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! بِمَ ورثت ابن عمّك دون عمّك؟ فقال عليّ عليه السلام: هاؤم ثلاث مرّات حتّى أشر أبّ الناس، ونشروا آذانهم، ثم قال: جمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنى عبدالمطلب بمكّة وهم رهطه كلهم، يأكل الجَذْعَة، ويشرب الفِرْق، فصنع مُدّاً من طعام حتى أكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو كأنّه لم يمسّ ثم دعا بغُمَر، فشربوا ورووا وبقى الشراب كأنه لم يشرب، ثم قال: يا بنى عبدالمطلب، إنّى بعثت إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، فأيّكم يبا يعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى؟ فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه، وكنت من أصغر القوم، فقال: إجلس ثم قال: ذلك ثلاث مرّات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول: إجلس، حتّى كان فى الثالثة، فضرب بيده على يدى، فعند ذلك ورثت ابن عمّى دون عمّى».

أقول: روى أعاظم العامة وغيرهم ما رواه الطبرى بأسانيد عديدة فى أسفارهم، أوردناها فى تفسير سورة «الشعرآء» من هذا التفسير فراجع. وقد كان هذا فى مبدإ الدعوة الإسلامية قبل ظهور الاسلام بمكّة، ومَن أحاط علماً بسيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى تأسيس الدولة الاسلامية، وتشريع أحكامها وتمهيد قواعدها وسنّ قوانينها وتنظيم شئوونها عن الله تعالى، يجد الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وزير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى أمره، وظهيره على عدوّه وعيبة علمه، ووارث حكمه، وولىّ عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن وقف على أقوال النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأفعاله فى حله وترحاله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجد نصوصه فى ذلك متواترة متوالية من مبدإ أمره إلى منتهى عمره.

٢ـ وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة إنتهت حدّ التواتر: ان الآية الكريمة: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» البيّنة: ٧) نزلت فى علىّ بن أبيطالب عليه السلام وشيعته، وسنذكرها فى

تفسير هذه السورة إن شآءالله تعالى فانتظر، ونشير فى المقام إلى واحدة منها ايضاحاً للحجة واتماماً للمحجة روى ابن‌الحجر فى (الصواعق المحرقة: ص ١٢٨) عن ابن‌عباس أنه قال: لما أنزل الله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلىّ عليه السلام: هم أنت وشيعتك، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتى عدوّك غضبا با مقمحين».

وقد جآء فيها وفى غيرها من الروايات الكثيرة التى لا تحصى: إن نفس صاحب الشريعة الإسلامية كان يكرّر لفظة «شيعة علىّ بن أبيطالب عليه السلام» وينوه عنهم بأنهم هم الآمنون يوم القيامة، هم حزب‌الله الغالبون، هم الفآئزون، وهم الراضون المرضيّون... فمن كان معتقداً بنبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم يصدقه فيما يقول وانه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى».

فاذا لم يصر كل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيعة لعلى بن أبيطالب عليه السلام لعلل ظاهرة للمحققين الخبرآء الذين طابت ولادتهم، فالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة من الصحابة المخلصين أن يكونوا ممّن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسّع والتأويل، وقد كان الأمر كذلك، فان كبار الصحابة الصادقين كسلمان الفارسى وأبى‌ذر الغفارى والمقداد وعماربن ياسر ومن إليهم كانوا يختصّون فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعلىّ بن أبيطالب عليه السلام ويلازمونه ويجعلونه إماماً كمبلّغ عن النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وشارح ومفسّر لتعاليمه وأسرار حكمه وأحكامه، فصاروا يعرفون بأنهم شيعة على بن أبيطالب عليه السلام كعلم خاص بهم، كما سبق منّا نقلا عن المحققين القدمآء والمتأخرين فى حقيقة الشيعة بأن هذاالإسم غلب على أتباع على بن أبيطالب وأولاده المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين، ومَن يواليهم حتى صار إسماً خاصاً بهم.

ومن المعلوم: أنه لوكان مراد صاحب الرسالة من شيعة على بن أبيطالب

عليه‌السلام مَن يحبّه أو لا يبغضه بحيث ينطبق على أكثر المسلمين كما توهم بعض الاجرآء و المعاندين لما استقام التعبير بلفظ «شيعة» فان صرف محبّة شخص لآخر أو عدم بغضه لا يكفى فى كونه شيعة له، بل لابد هناك من خصوصيّة زآئدة عليها، وهى الاقتدآء و المتابعة له، بل ومع الالتزام أيضاً، وهذا مما يعرفه كل من له أدنى ذوق فى مجارى استعمال الألفاظ العربية، وإذا استعمل فى غيره فهو مجاز مدلول عليه بقرينة حال أو مقال، فعلى هذا لا اظنّ أن ينكر مَن له مسكة وطيب ولادة، ظهور تلك الروايات الواردة فى شيعة الإمام على بن أبيطالب عليه‌السلام فى إرادة جماعة خاصّة من المسلمين، ولهم نسبة خاصّة بأميرالمؤمنين على عليه‌السلام يمتازون بها عن سآئر المسلمين الذين لم تكن لهم هذه النسبة الخاصة أو كان فى قلوبهم حسد وحقد وبغض... حتى تعرف بذلك خبث ولادتهم.

وقد ظهرت هذه النسبة الخاصة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا انحرف مسير الخلافة إلى غير محلّها، امتنع بنوهاشم وفيهم آل محمد كافة وهم من الامة بمنزلة الرأس من الجسد والعينين من الوجه، ثقل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعيبته وأعدال كتاب الله وسفرته وسفن نجاة الامة وباب حطتها... وكبار الصحابة الصادقين كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد وعماربن ياسر وخزيمة بن ثابت وأبىّ بن كعب والبراء بن عازب ومن إليهم عن البيعة الكاذبة تبعاً لأميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّاهم وعلّمهم أن للذّين أئمة هم أهله وأحق به، ولم يجدوا مَن توفرت فيه شروط الإمامة من الايمان والعلم والعمل والتّقوى والزّهد والشّجاعة والصلابة والصّبر وشرف الحسب والنّسب غير على بن أبيطالب وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وضمّ إلى ذلك ما يرويه الصّحابة للنّاس من كلمات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حق على بن أبيطالب وأولاده عليهم‌السّلام والايعاز إلى أحقيتهم، فلم تزل التشيّع لعلى وأولاده عليهم صلوات الله بهذا وأمثاله ينمو ويسرى فى كل مَن له طيب الولادة وقد كان على عليه‌السلام هو معيار الايمان إذ قال رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم : «لولا عليّ لم يعرف المؤمنون بعدى».

ولذلك كان كبار الصحابة الصادقين يقولون: نحن شيعة على بن أبيطالب عليه السلام وتابعوه نسالم مَن سالمه، ونحارب مَن حاربه، ونعادى مَن عاداه ونوالى مَن والاه إجابة وامتثالاً لدعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ويقولون: حبّنا وموالاتنا لعليّ بن أبيطالب وأولاده عليهم صلوات الله إنما هى محبة وموالاة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإطاعة له.

إذ قال الله عزوجل: «يا أيها الذين آمنوا اطيعواالله واطيعواالرسول واولى الأمر منكم» النسآء: ٥٩) وقال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحبّ الكافرين» آل‌عمران: ٣١-٣٢)

٣- ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحب الشريعة لم يزل يتعاهد بذر الشيعة قبل بعثته صلّى الله عليه وآله وسلّم:

فى شرح ابن أبى الحديد: (ج ٢٠ ص ٣١٥ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٦٣ م) فى الحكم المنسوبة إلى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام رقم: ٦٢٥

قال على عليه السّلام: «أنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد وكالكفّ من الذراع ربّانى صغيراً وآخانى كبيراً ولقد علمتم أنّى كان لى منه مجلس سرّ لا يطّلع عليه غيرى، وأنه أوصىٰ إلىّ دون أصحابه وأهل بيته، ولأقولنّ مالم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سئلته مرّة أن يدعو لى بالمغفرة، فقال: أفعل ثم قام فصلّى، فلمّا رفع يده للدعاء استمعت عليه، فاذا هو قائل: اللهم بحق علىّ عندك اغفر لعلىّ، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: أواحد أكرم منك عليه فاستشفع به إليه».

ويسقيه بعد بعثته بالمآء النمير العذب من كلماته وأعماله وإشاراته فى أحاديث مستفيضة، وروايات متواترة وأخبار مشهورة عند المحدّثين من علمآء العامة وحملة أسفارهم، فضلا عن الشيعة، وأكثرها مرويّ في صحاحهم ومآخذهم المعتبرة عندهم كحديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث المنزلة وحديث الطير وكقوله

صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عليّ مع الحق والحق معه يدور حيثما دار» وكقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا عطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» وكقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق» وغيرها من الأحاديث... تجاوزت عشرات آلاف، أوردنا كثيراً منها عن طريق العامة فى هذا التفسير.

﴿الشيعة وطبقات كبار الصحابة﴾

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا مَن يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» المائدة: ٥٤-٥٦)

الأمر الثانى: من الامور الثلاثة المتقدمة فى تشيّع طبقات كبار الصحابة المؤمنين الصادقين، ولا يخفى على المتأمل الخبير أن الآيات الكريمة تشير إلى طبقات صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى الولاية والبرآءة وفى الايمان والعمل... ومن المعلوم بحكم الضرورة من أخبار العامّة أنه كان بين طبقات الصحابة فئة صالحة، وهم أعيان صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبرارهم، وعدولهم وأجلاّؤهم، ذوو منزلة عظيمة وفضيلة جسيمة، وعلم غزير وفهم وتدبير، قد أخلصوا لله تعالى وجاهدوا فى سبيله بأموالهم وأنفسهم، ونصروا دينه، باحيآء شريعة سيّد رسله، وناضلوا فى بثّ الإسلام ونشر أحكامه، بهم حفظت الآثار النبويّة، وعليهم دارت الصحاح والسنن والمسانيد... آمنوا بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآزروه وعاشروه ثم لم يرتابوا، فبلغوا مرتبة رفيعة من الزهد والتقى، من الورع والصلاح، ومن الفوز والفلاح: «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» الفتح: ٢٩) وسمّواً من الفضل والعفاف والكمال، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا

يخافون لومة لائم اولئك هم الصادقون.

هم لازموا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فى محافله ومجالسه، وتزوّدوا من فيض قدسه، وتأدّبوا على يديه، ونالوا منه رفعة وكرامة فى أخلاقهم وآدابهم، فهم للخيرات يتسابقون، وعن اللغو واللهو معرضون، وهم تلقّوا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سننه وأحكامه واستجابوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّما أسمعهم من حججه وبيّناته...، وقد أخذوا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم حقائق الايمان وعملوا به، وساروا على ضوئه ورشده، وانتصروا له ودافعوا عنه وأبلوا دونه بلآءً حسناً، لم يتزحزحوا عمّا حثّهم الصادع الكريم إليه ودلّهم عليه، ولم يميلوا عن تلك العقيدة الصحيحة الثابتة طرفة عين، يرجون بذلك تجارة لن تبور، وهم أنكروا الباطل بقلوبهم وكانوا حرباً عليه، ولازموا الحق وكانوا جنده وأعوانه، ثبت الأقدام فى نصرة الدين، لم تذهب بهم الأهوآء فى مذاهبها ولم تغرّهم الدنيا بزبرجها ولم تأخذهم الشهوات فى سبلها...

وقد أبصروا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مشاهده ومحافله، واستمعوا إلى نهجه وخطبه، ووعوا وصاياه فى خليفته وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وتدبّروا كلمه العسجدية فى وزيره ووارثه، ووقفوا بذلك على ما لأميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام من مكانة عندالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فشايعوه ووالوه دون تشكيك فى أمره ولا ترديد فى مقامه، كيف لا وفى قلوبهم قول الله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» البيّنة: ٧) وقد ثبت فيها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله لعلى عليه السلام: «هم أنت وشيعتك».

وملأ أسماعهم قول النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلى بن أبيطالب عليه السلام: «أنت وشيعتك فى الجنة» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: «إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك وشيعتك ومحبّى شيعتك» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: «إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين

مرضيين» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن هذا ـ يعنى علياً ـ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة» وغيرها من كلامه صلّى الله عليه وآله وسلّم فى علىّ عليه السلام وشيعته سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى.

فهم لازموا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتعلّموا منه الأصول، وعلى ضوء أحاديثه الصحيحة الثابتة فى النصّ على خلافة صنوه الطاهر تمسّكوا بولآء أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ولم يحيدوا عنه قيد أنملة ولم يميلوا منه طرفة عين، وهم جاهدوا دون الحق الصريح من غير فزع لسطوات الحكّام و الولاة، وصمدوا أمام مناوئيه متحملين دون ذلك المشقّة و العنآء، مستسلمين إلى المحن والرزايا، حتّى قُطِعَ دون العقيدة أوصالهم، وشتت فى سبيل المبدأ شملهم، و أُبيد فى الله جمعهم، ليعيدوا الحكم الإسلامى إلى طريقه السوىّ الذى أقرّه النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ويرشدوا الملأ إلى النهج الواضح، ويركنوا إلى كمال الدّين الذى أعلنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«مَن يريد أن يحيى حياتى ويموت مماتى ويسكن جنّة الخلد التى وعدنى ربى فليتولّ على بن أبيطالب عليه السلام فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم فى ضلالة».

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «علىّ أميرالمؤمنين وإمام المتقين، وقآئد الغرّ المحجلين إلى جنّات رب العالمين، أفلح من صدّقه، وخاب من كذّبه، ولو أنّ عبداً عبدالله بين الركن و المقام ألف عام وألف عام حتى يكون كالشّنّ البالى ولقى الله مبغضاً لآل محمد أكبّه الله على منخره فى نار جهنم».

وعلى ضوء تلك الوصايا وآلاف أمثالها عرفوا الحق و اتبعوه و اعلنوه إلى الملأ واضح الجبين، سافر المعالم، كلّما سنحت لهم الفرص ووافتهم الظروف لم تأخذهم فى ذلك لومة لائم لتكون الأُمّة على بصيرة من أمرها ورشد من دينها، وعلم بعقيدتها، فكانوا هؤلاء الصحابة الكرام الصادقون قدوة حسنة للتشيّع، و اسوة صالحة للمتمسكين بولآء العترة الطاهرة و المقتفين إثر دعوة الكتاب الكريم و السنّة

النبوية الشريفة، وهذا هو التشيّع فى جوهره وحقيقته، إذ لم تدعوا هذه الطائفة لأمر سوى الرجوع إلى ظلال القرآن المجيد، والأخذ بتعاليم النبى الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فى الأحكام، والسير على النهج الذى يرتضيه واتباع من خصّه الله جل وعلا لإمامة المؤمنين بعد نبيه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وينبغى لنا أن نذكر ههنا بعضاً من اولئك خير البرية من أعيان الصحابة وكبارهم الذين تشيّعوا لعلى بن أبيطالب ووازروه فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهدوا معه وناصروه على الباغين عليه، وكانوا يناشدون الخلفاء الثلاثة الظلمة الطاغية وأذنابهم على ظلمهم وخيانتهم، على بغيهم وجنايتهم، على انحرافهم وضلالتهم، وعلى إفسادهم وغوايتهم... فان هؤلآء الصحابة الكرام لا يضيعون فرصة تخولهم الإحتجاج بأنواعه من تصريح وتلويح، من شدّة ولين، من خطابة وكتابة، ومن شعر ونثر حسبما تسمح لهم ظروفهم الحرجة على رفضهم الخلفآء الباغين وأذنابهم الطاغين...

وقد أورد أعلام العامة فى كتب الرجال والتأريخ أكثر من ثلاثمأة رجل شيعىّ من كبار الصحابة الذين عرفوا بالولآء لعلى بن أبيطالب عليه السلام فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم فنذكر أربعين رجلاً منهم على سبيل الإختصار:

١ ـ سلمان الفارسى الذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «سلمان منّا أهل البيت» وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو كان الدين في الثريّا لنا له سلمان» وقال سلمان رضوان الله تعالى عليه: «بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على النصح للمسلمين والائتمام بعلى بن أبيطالب والموالاة له عليه السلام» وقد توفّى عام (٣٥ أو ٣٦) من الهجرة فى عهد عثمان بن عفان بالمدائن، وكان إسلامه في السّنة الاولى من الهجرة بالمدينة.

٢ ـ أبوذر جندب بن جنادة الغفارى، قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما أظلت الخضرآء ولا أقلت الغبرآء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر» وقال

صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أراد أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى زهد أبي ذر» وهو رابع أوخامس مَن أسلم وهو أوّل من لقّب بالشيعى على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكة المكرمة بعد أن آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٣ـ عماربن ياسر المعذّب فى الله تعالى، والممتحن لايمانه وهو الذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية» وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما خير عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما» وهو أحد الأركان الأربعة الذين كانوا شيعة لعليّ عليه السلام على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٤ـ مقداد بن الأسود الكندى وهو الذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذاك منّا أبغض الله مَن أبغضه وأحب الله مَن أحبّه» وقال الصادق عليه السلام فيه: «لم يتغيّر المقداد منذ قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى فارق الدنيا طرفة عين» وهو الذى احتجّ على بيعة أبى بكر فى السقيفة.

٥ـ جابربن عبدالله الأنصارى وهو الذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا جابر! وأنت منّا، أبغض الله مَن أبغضك، وأحبّ الله من أحبّك».

٦ـ أبو أيّوب الأنصارى شهد العقبة وبدراً وأُحُداً والخندق مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد مع على بن أبيطالب عليه السلام صفّين والجمل وكان على مقدّمة الجيش يوم النهروان.

٧ـ خزيمة بن ثابت بن الفاكه ذوالشهادتين شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها، وقد جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهادته بشهادة رجلين، وحضر مع على عليه السلام حرب الجمل وصفين.

وقد أنشد هذا الصحابى الجليل صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبوحسن ممّا نخاف من الفتن
وجدناه أولى النّاس بالنّاس أنّه ... اطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشاً لاتشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن

وصـيّ رسـول الله مـن دون أهـلـه ... وفـارسـه قد كـان في سـالـف الـزمن
وأوّل مَن صلّى من النّاس كلّهم ... سوى خيرة النسوان والله ذوالمنن
وصاحب كبش القوم في كلّ وقعة ... يكون له نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الّذي تثنى الخناصر باسمه ... إمامهم حتّى اغيب في الكفن

٨- أبو الهيثم مالك بن التيهان شهد العقبة وبدراً وشهد مع على عليه السلام صفين وبها قتل.

٩- عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلب، حبر الامّة شهد مع أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام صفين و الجمل و النهروان.

١٠- الفضل بن العباس بن عبدالمطلب من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفى الفتنة التى قتل بها عثمان، قال الفضل بن العباس فى الإمام على عليه السلام:

وكان ولى العهد بعد محمّد ... عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
عليّ وليّ الله أظهر دينه ... وأنت مع الأشقين فيما تحاربه

١١- حذيفة بن اليمان العبسى، وهو من الأركان الذين مضوا على منهاج نبيّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يغيروا ولم يبدلوا، وفى حديث عن أبى الحسن الرضا عليه السلام ذكر أن حذيفة لما حضرته الوفاة ـ وكان آخر الليل ـ قال لابنته: أيّة ساعة هذه؟ قالت: آخر الليل قال: «الحمد لله الذى بلغنى هذا المبلغ ولم اوال ظالماً على صاحب حق، ولم اعاد صاحب حق...» الحديث.

١٢- أُبيّ بن كعب سيّد القرّاء، شهد العقبة مع السبعين، وكان يكتب الوحى، وهو من الاثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر.

١٣- أبو رافع القبطى مولى النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن لكل نبى أميناً وان أمينى أبورافع» وهو شهد مع النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم مشاهده غير بدر لأنه كان مقيماً بمكة ولزم أميرالمؤمنين عليه السلام بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان من خيار الشيعة وشهد معه عليه السلام

حروبه و كان صاحب بيت ماله بالكوفة.

١٤- أبو سعيد الخدرى و هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجى، كان من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام و كان من كبار الصحابة ومستقيماً.

١٥- سهل بن حنيف الأنصارى من كبار الصحابة الذين سمّاهم الله تعالى شرطة الخميس على لسان نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو من الا ثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر.

١٦- عثمان بن حنيف الأنصارى، وانه من الذين مضوا على منهاج نبيّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يغيروا ولم يبدلوا، وكان من الا ثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر، وكان عامل أميرالمؤمنين على عليه السلام على البصرة.

١٧- بريدة (بريد) الأسلمى، وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ومن الا ثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر.

١٨- أبو بردة الحارث بن عمر الأنصارى شهد بدراً وما بعدها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد صفين والجمل مع أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السّلام.

١٩- خالد بن سعيد بن العاص وهو من الا ثنى عشر الذين أنكروا على أبى بكر، وهو أوّل مَن تكلّم يوم الجمعة فقال: «يا أبابكر أذكرك قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم قريظة: يا معشر قريش احفظوا وصيتى: إن علياً إمامكم بعدى بذلك أنبأنى جبرئيل عليه السلام عن ربى عزّ ذكره ألا أنكم إن لم تأتوه اموركم اختلفتم وتولّى عليكم أشراركم، ألا ان أهل بيتى هو الوارثون لى والقائمون من امتى، اللهم مَن أطاعهم فثبّته ومن نصرهم فانصره، ومن خالف أمرى وأقام إماماً لم اقه وترك إماماً أقمته ونصبته فاحرمه جنتك، والعنه على لسان أنبيآئك، أتعرف هذاالقول يا أبابكر؟ قال: لا! ثم قال له عمر: أسكت فلست من أهل المشورة، فقال: بل أُسكت أنت يابن الخطاب، فانك تنطق بغير لسانك وتفوه بغير فوك، وانك لجبان فى الحرب ما وجدنا لك فى قريش فخراً».

٢٠ـ أبان سعيد بن العاص، تأخّر هو وأخوه خالد عن بيعة أبى بكر، فقال لبنى هاشم: انكم لطوال الشجر، طيّبوا الثمر ونحن تبع لكم.

٢١ـ عمرو بن سعيد بن العاص، فانه امتنع عن بيعة أبى بكر كأخويه: خالد وأبان.

٢٢ـ أنس بن الحارث، من كبار الصحابة، وقد قتل مع الامام الحسين بن على عليهما السلام.

٢٣ـ أبو قتادة الأنصارى اسمه الحارث (الحرث) بن ربعى، حارس النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة بدر يعبّر عنه بفارس النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة، وشهد مع على عليه السلام مشاهده كلها.

٢٤ـ كعب بن عمرو بن عباد شهد بدراً والعقبة، وهو آسر العباس بن عبدالمطلب يوم بدر وهو الذى انتزع راية المشركين يوم بدر وكانت بيد عزيز بن عمير، وشهد صفين مع علىّ عليه السلام.

٢٥ـ عمير بن قرة الليثى شهد مع علىّ عليه السلام صفين، وكان شديداً على معاوية وأهل الشام، حتّى حلف معاوية إن ظفر به ليذيبن الرصاص فى أُذنيه.

٢٦ـ أبوعمرة الأنصارى شهد العقبة وبدراً وشهد مع على بن أبيطالب عليه السلام صفين وكان يقاتل وهو صائم.

٢٧ـ قيس بن سعد بن عبادة وهو من المنكرين على أبى بكر وهم اثنى عشر رجلاً وقال: يا معشر قريش قد علم خياركم أن أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحق بمكانه فى سبق سابقة وحسن عنآء، وقد جعل الله هذا الأمر لعلىّ بمحضر منك وسماع اذ نيك فلا ترجعوا ضلالاً فتنقلبوا خاسرين. وهو شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مشاهده كلها وكان حامل الراية يوم الفتح وشهد مع علىّ عليه السلام صفين والجمل.

٢٨ـ عبدالله بن بديل، وأنّه كان رسول النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى

اليمن، وهو ممن شهد أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوم الغدير: «من كنت مولاه فعلى مولاه...» وهو قتل وأخوه بصفّين.

٢٩ـ قيس بن المكشوح وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسى فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهد مع علىّ عليه السلام صفين ومعه راية بجيلة وقتل بها.

٣٠ـ يزيد بن حويرث الأنصارى شهد احداً وما بعدها، وشهد صفين مع علىّ عليه السلام.

٣١ـ حارثة بن النعمان الأنصارى شهد بدراً واحداً وما بعدهما من المشاهد، وذكر هو أنه رأى جبرئيل عليه السلام دفعتين على صورة دحية الكلبى: اولاهما: حين خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى بنى قريظة. والثانية: حين رجع من حنين. وهو شهد مع أميرالمؤمنين عليه السلام القتال.

٣٢ـ جبلة بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى البياضى شهد بدراً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد صفين مع على عليه السلام.

٣٣ـ الحارث بن عمر الخزرجى شهد احداً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد صفين مع على عليه السلام.

٣٤ـ ربعى بن عمر الأنصارى شهد بدراً مع النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد صفين مع أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣٥ـ أبو طلحة زيدبن سهل الأنصارى كان أحد النقبآء شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان من الرماة وهو الذى حفر لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لحداً، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة» وكان من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣٦ـ أبو فضالة الأنصارى شهد بدراً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد صفين مع على بن أبيطالب عليه السلام.

٣٧ـ أبو محمد الأنصارى شهد بدراً مع النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد

صفين مع أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣٨ـ أبو ليلى الأنصارى شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُحداً وما بعدها، وشهد مع عليّ عليه السلام مشاهده كلها.

٣٩ـ جبلة بن عمر الأنصارى الساعدى كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم شهد صفين مع أميرالمؤمنين على عليه السلام.

٤٠ـ بلال بن رباح الحبشى مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومؤذّنه شهد بدراً ولم يبايع أبابكر وتوفى بدمشق فى الطاعون سنة (١٨) وقد ورد: أن بلالاً أبى أن يبايع أبابكر، وأن عمر أخذ بتلابيبه، وقال له: يا بلال هذا جزآء أبى بكر منك أن أعتقك، فلا تجيئ تبايعه؟ فقال: إن كان أبوبكر أعتقني لله فليدعنى لله، وإن كان اعتقني لغير ذلك فها أناذا، وأما بيعته فما كنت أُبايع مَن لم يستخلفه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والذى استخلفه بيعته فى أعناقنا إلى يوم القيامة، فقال عمر: لا أباًلك لا تقم معنا، فارتحل إلى الشام».

وغيرهم من الصحابة الكرام المؤمنين الصادقين الذين تشيّعوا لأميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم واتبعوا علياً عليه السلام وناصروه قولاً وعملاً كلّما يجدون فرصة لذلك، ذكرهم حملة آثار العامة فى أسفارهم كابن الأثير فى (اسد الغابة) وابن أبى حاتم فى (الجرح والتعديل) وابن حجر فى (الإصابة) و ابن سعد فى (الطبقات) وابن عبدالبر القرطبي فى (الاستيعاب) وغيرها من كتب الرجال والتاريخ... وقد كفانى مؤنة ذلك علمآء الشيعة، راجع «الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة) للسيّد على خان صاحب (السلافة) وغيرها من الكتب الجليلة النفيسة مثل (طراز اللغة) الذى هو من أنفس ما كتب فى اللغة، وراجع (معجم رجال الحديث) للسيد الخوئى، وقد جآء فيه تفصيل (١٥٦٧٦) نفراً من طبقات الرواة من الصحابة والتابعين...

وفى رجال البرقى: قال فى تكوّن الشيعة فى زمان رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم: «إن أصحاب علىّ أميرالمؤمنين عليه السلام ينقسمون إلى الأصحاب ثم الأصفيآء ثم الأوليآء ثم شرطة الخميس... ويجعل من الأصفيآء: سلمان الفارسى والمقداد وأبوذر وعمار وأبوليلى وشبير وأبوسنان وأبوعمرة وأبوسعيد الخدرى وأبوبرزة وجابربن عبدالله والبرآء بن عارب، وعرفة الأزدى...»

وقد كانوا هؤلآء من أصحاب النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين تشيّعوا لعلىّ بن أبيطالب عليه السلام فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتزموا بتأييده عليه السلام يوم السقيفة.

نعم! كان هناك نفر من الصحابة الكاذبين الذين لفظهم الاسلام ولم يتمكّن من قلوبهم الايمان كما أشارت إليهم آيات صدر البحث، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً» الحجرات: ١٤) وقال: «يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون»: آل عمران: ١٦٧) وقال: «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» المائدة: ٤١) وهم الذين كانوا يؤذون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم ويؤذون أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وعصواالله تعالى وخالفوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأحدثوا من بعده ما استوجبوا فيه عذاب الله تعالى وقد أشار إليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله على ما:

فى مسند أحمد (ج ٥ ص ٢٣١) باسناده: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا ربى أصحابى، فيقول: تدرى ما أحدثوا بعدك».

وفى صحيح الترمذى (ج ٢ ص ٦٨) باسناده: عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ويؤخذ بأصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى، فيقال: إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فانهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول

كما قال العبد الصالح: «إن تعذّبهم فانهم عبادك» وغير ذلك من الروايات الواردة عن طريق العامة لست فى المقام بصدد بيانها فانشدكم بالله أيّها المسلمون الأحرار! فمن أحدث ومَن ارتدّ على عقبه بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما استوجب به عذاب الله تعالى؟ أهو على بن أبيطالب عليه السلام وسلمان الفارسى و أبوذر الغفارى ومقداد وعمار ومن إليهم من كبار الصحابة الصادقين؟! أم هو أبوبكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمروبن العاص والمغيرةبن شعبة و أذنابهم؟ وقد كان قائدهم أبوبكر يقول بمرّات: ليتنى ليتنى...!!! وكان يقول صاحبه عمر: كانت بيعة أبى بكر فلتة... وإلى غير ذلك من الأقاويل...

ونحن الشيعة الإمامية الاثنى عشريّة نقتدى بهدى الصحابة الكرام المؤمنين الصادقين ونبرأ إلى الله جل وعلا من الصحابة الكاذبين المنافقين الذين «مردوا على النفاق» التوبة: ١٠١) من الذين كانوا «يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم» التوبة: ٦١) من الذين «اتخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله إنهم سآء ما كانوا يعملون» المنافقون: ٢) و من الذين «يخادعون الله ـ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» النسآء: ١٤٢-١٤٣) ومن الذين «يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً» آل‌عمران: ١٧٤) ومن الذين خالفوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و أحدثوا من بعده ما احدثوا...!!!

فنحن فى تمييز الصحابة لا نتعدى حدود القرآن الكريم و الروايات الواردة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، ولا نقول بعد التهم أجمع، فالمؤمنون الصادقون منهم عندنا هم المؤمنون الصادقون رضوان الله تعالى عليهم، و المنافقون المتخلّفون الكاذبون منهم قال الله تعالى «اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» البقرة: ١٥٩)

«الشيعة وطبقات التابعين وتابعيهم»

قال الله عزوجل: «قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى» يوسف: ١٠٨)

وقال: «وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣)

وقال: «قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبّع أمّن لا يهدّى إلّا أن يُهدىٰ فما لكم كيف تحكمون» يونس: ٣٥)

وقال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله - إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين - قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً» آل‌عمران: ٣١ و ٦٨ و ٩٥)

وقال: «فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه اولئك هم المفلحون - فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» الأعراف: ١٥٧-١٥٨)

وقال: «ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم - ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشآء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم» محمد صلّى الله عليه وآله و سلّم: (٣ و ٢٩ - ٣٠)

وقال: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشّر

عباد الذين يستعمون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب» الزمر: ١٨)

وقال: «ومَن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً» النسآء: ١٢٥)

وقال: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم» الصافات: ٨٣-٨٤)

وقال: «قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤)

وقال: «يا أيّها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» الأنفال: ٦٤)

وقال: «والسلام على مَن اتبع الهدى» طه: ٤٧)

أقول: ولا يخفى على القارئ المتأمل الخبير المنصف: أنا أوردنا الآيات الكريمة في المقام على نهج لا يحتاج إلى تفسير وبيان غير نفساها، لأن بعضها يفسّر بعضاً، ولكن لنا أن نتساءل:

١ـ مَن اتبع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومَن خالفه في حياته وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ عليّ بن أبيطالب وشيعته عليه السلام من كبار الصحابة الصادقين كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد وعمار بن ياسر ومَن إليهم من أعيان الصحابة وأجلآئهم؟ أم أبوبكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأضرابهم؟.

٢ـ من كان على صراط مستقيم أمره الله جل وعلا به؟ على بن أبيطالب عليه السلام وشيعته؟ أم أبوبكر وأذنابه؟!

٣ـ مَن كان أحق أن يتبع؟ على بن أبيطالب وأهل بيت الوحي المعصومون؟ أم أبوبكر وأضرابه؟!

٤ـ مَن كان أولى الناس بابراهيم عليه السلام؟ على بن أبيطالب عليه السلام

وشيعته؟ أم أبوبكر وأشباهه؟!

٥ـ مَن آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حقاً وعزّره ونصره واتبع النور الذى معه وما خالفه صلّى الله عليه وآله وسلّم طرفة عين؟ على بن أبيطالب عليه السلام وشيعته؟ أم أبوبكر وضريبه عمربن الخطاب ومَن إليهما؟

٦ـ مَن اتبع الباطل وما أسخط الله تعالى؟ من كره رضوان الله جل وعلا؟ من أحبط الله عزوجل عمله؟ من كان فى قلبه ضغن؟ ومَن يعرف مرض قلبه فى لحن قوله؟ على بن أبيطالب عليه السلام وأتباعه؟ أم أبوبكر وأمثاله؟

٧ـ مَن اجتنب الطاغوت واتبع أحسن القول؟ على بن أبيطالب عليه السلام وشيعته؟ أم أبوبكر وأذنابه؟

٨ـ مَن أحسن ديناً وأسلم وجهه لله تعالى؟ على بن أبيطالب عليه السلام أم أبوبكر؟

٩ـ مَن حَسْبُهُ الله جل وعلا؟ على بن أبيطالب عليه السلام؟ أم أبوبكر؟

١٠ـ ومَن عليه سلام الله عزوجل لاتباعه الهدى؟ على بن أبيطالب عليه السلام؟ أم أبوبكر؟؟؟

وغير ذلك من الأسئلة المهمّة تركناها روماً للاختصار. فعلى القارئ الخبير الحرّ المنصف سليم القلب، أن يتدبّر فيها ويبيّنها ولا يخاف لومة لائم.

ومن البديهى! أن على بن أبيطالب عليه السلام وأبابكر كان أحدهما على الحق والآخر على الباطل، فمَن مع الحق ومَن مع الباطل؟

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «علىّ مع الحق والحق معه يدور حيثما دار».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلىّ عليه السلام فى قوله تعالى: «اولئك هم خيرالبرية» البينة: ٧): أنت وشيعتك، وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلىّ عليه السلام: «إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيّين».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن هذا (يعنى علياً) وشيعته هم الفآئزون يوم

القيامة».

وقال أبوبكر: «إن لى شيطاناً يعتريني فان استقمت فأعينونى وإن زغت فقوّمونى».

وقال أبوبكر: «أقيلونى فلست بخيركم وعلىّ فيكم».

وقال أبوبكر فى مرض موته: «ليتنى كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه».

وقال بديله عمربن الخطاب: «كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه».

وإلى نحو ذلک كلها وارد عن طريق العامة: «فاقض ما أنت قاض» طه: ٧٢)

والأمر الثالث: من الامور الثلاثة المتقدمة: ان التابعين وتابعيهم بعد كبار الصحابة الصادقين الذين تشيّعوا لعلى بن أبيطالب وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين تجاوز عدد هؤلآء التابعين وتابعيهم الآلاف، وهم ذوو الفضائل الأخلاقية والكمالات النفسانية، ومنهم الذين سبقوا غيرهم فى تصنيف الكتب الكثيرة فى العلوم والفنون المختلفة الاسلامية، لا يسع المقام ـ ونحن على جناح الإختصار ـ بذكر واحد من الألف. فضلاً عن جميعها، فمن أراد معرفتهم ومعرفة آثارهم فليراجع «أعيان الشيعة» للعلامة الكبير السيد محسن الأمين العاملى و «طبقات أعلام الشيعة» و «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» للعلامة المجاهد الحاج آقا بزرگ تهرانى، و «تأسيس الشيعة» لآية الله السيد حسن الصدر و «معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة» للمرجع الدينى السيد أبوالقاسم الخوئى، و «المراجعات» للمجاهد الكبير السيد شرف الدين الموسوى و «الامام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة» للمحقق الخبير أسد حيدر، وغيرها من كتب الرجال والتاريخ والحديث...

ونختم البحث ـ روماً للاختصار ـ بذكر ما جآء فى (الجزء الثانى من تاريخ اليعقوبى ـ احمدبن أبى يعقوب الكاتب المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ):

«ولمّا توفّى الحسن وبلغ الشيعة ذلك، إجتمعوا بالكوفة فى دار سليمان بن

صُرَد، وفيهم بنو جعدة هبيرة، فكتبوا إلى الحسين بن علىّ عليه‌السلام يعزونه على مصابه بالحسن: «بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علىّ من شيعته وشيعة أبيه أميرالمؤمنين سلام عليك، فانا نحمد إليك الله الذى لا إله إلاّهو. أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علىّ يوم ولد و يوم يموت ويوم يبعث حياً... ما أعظم ما أُصيب به هذه الامة، وأنت وهذه الشيعة خاصّة بهلاك ابن الوصىّ وابن بنت النبى علم الهدى ونور البلاد... فاصبر رحمك الله على ما أصابك، ان ذلك من عزم الامور، فان فيك خلفاً ممّن كان قبلك... ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السآئرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك، شرح الله صدرك ورفع ذكرك واعظم أجرك وغفر ذنبك وردّ عليك حقك».

وما جآء فى (الكامل- الجزء الثالث: ص ٣٣٩- فى واقعة خروج المختار إلى الكوفة: «إن المختار قال لابن الزبير وهو عنده: إنّى لأعلم قوماً لو أن لهم رجلاً له فقه، وعلم بما يأتى ويذر لاستخرج لك منهم جنداً نقاتل بهم أهل الشام، قال: مَن هم؟ قال: شيعة علىّ بالكوفة...»

﴿الشيعة والرافضة﴾

قال الله تعالى: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون» الصافات: ٨٣-٨٥)

ان الله عزوجل بيّن فى الآيات الثلاث حقيقة الشيعة بأنّها مركبة من أمرين:

أحدهما- المثبت وهو التوحيد والولآء. ثانيهما- المنفى وهو رفض الشرك وإظهار البرآءة ممن ليس له الولاية وإن كان أباً أو قومه، ومن فقد أحد الأمرين فليس بشيعة فالرفض جزء داخل فى حقيقة الشيعة لا ينفك عنها وقد كان إبراهيم عليه السلام شيعياً رافضياً قبلنا بآلاف عام ولنا فيه اسوة حسنة فلا تغفل واغتنم جداً.

وقد أشار تعالى إلى هذين الأمرين فى كثير من الآيات القرآنية منها:

قال عزوجل: «لا إكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» البقرة: ٢٥٦)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آبآءكم وإخوانكم أوليآء إن استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولّهم منكم فاولئك هم الظالمون» التوبة: ٢٣)

وقال في كون إبراهيم شيعيّاً رافضياً: «وإنَّ من شيعته لإبراهيم إذ جآء ربّه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون...» الصّافّات: ٨٣-٩٩).

وقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة -قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى

تؤمنوا بالله وحده ـ يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم » الممتحنة: ١ و ٤ و ١٣)

وقال: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبآءهم أو أبنآءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أُولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون» المجادلة: ٢٢) وغيرها من الآيات الكريمة...

وقد نبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على الأمرين بقوله فى على بن أبيطالب عليه السلام بخمّ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...»

وقال أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى قوله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» الأحزاب: ٤) يحبّ بهذا قوماً وبالآخر عدوّهم، وقال له رجل: إنّى أتولّاك وأتولّى فلاناً وفلاناً؟ فقال عليه السلام: أنت اليوم أعور فانظر تعمى أو تبصر» وقال السيد الحميرى رضوان الله تعالى عليه فيه شعراً:

أتانا رجل جلف وقد وافي على المنبر
فقال الرّجل الداخل قولاً بعضه منكر
لقد حبّب لى الكل في سرّى وما أظهر
فقال الطهر أنت اليوم فيما قد بدا أعور
فإمّا أن ترى تعمى وإمّا أن ترى تبصر
وما للمرء من قلبين ذا صافي وذا أكدر

وقال الامام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم» الأنعام: ٨٢): آمنوا بما جآء به محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يلبسوه بظلم أى لم يخلطوه بولاية فلان وفلان» أى بولاية أبى بكر وعمر.

وقال الامام الصادق عليه السلام: «مَن أحبّ كافراً فهو كافر».

وقال الامام الصادق عليه السلام: «مَن جالس لنا عآئباً أو مدح لنا قالياً، أو وصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدوّاً أو عادى لنا وليّاً فقد كفر

بالذى أنزل السبع المثانى».

فلا تتكوّن الشيعة إلّا بالرفض كما كان عليه إبراهيم عليه السلام فليس الرفض خارجاً عن حقيقة الشيعة وقد كان ابتداء بروز الرفض فى الاسلام من صاحب الشريعة نفسه صلّى الله عليه وآله وسلّم حين بروز الفتنة عنده فى مرض وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا طلب يومئذ دواةً وكتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده فمنعه عمربن الخطاب، وقال: «إن هذا الرجل ليهجر» فتنازع الأصحاب الحاضرون عنده صلّى الله عليه وآله وسلّم فمنهم من وافق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخالف عمر، ومنهم مَن خالف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتبع عمربن الخطاب، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ووقعت الغوغاء وضجر رسول الله فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «دعونى، قوموا عنّى، وأبعدوا» فطردهم ورفضهم، ورفضهم الموافقون للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من كبار الصحابة الصادقين، ولمّا رفض هؤلآء الصحابة الكبار الصادقون بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتنة السقيفة السخيفة بنى ساعة ووليداتها الشومة غير المشروعة، سمّوا بالرافضة.

قال الامام السابع موسى بن جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبى الهيثم ابن التيهان والمقداد وعمّار وأبى ذر وسلمان: «هؤلآء رفضوا الناس ووالفوا علياً» فسمّاهم بنوا اميّة الرافضة.

نعم! الشيعة فى حقيقتها أن ترفض الجبت والطاغوت، أن ترفض الصحابة الكاذبين، أن ترفض الشر والجناية، أن ترفض الظلم والخيانة، أن ترفض الباطل والضلالة، أن ترفض البغى والغواية، أن ترفض الخلفآء الطاغية أن ترفض الخلافة الغاصبة، أن ترفض السقيفة السخيفة المدسوسة، أن ترفض وليدات السخيفة المشومة غير المشروعة، أن ترفض البيعة الفلتة، وأن ترفض الأحاديث الموضوعة والأخبار المختلقة...

فى روضة الكافى: باسناده عن محمدبن سليمان عن أبيه قال: كنت عند أبى

عبدالله عليه السلام: إذ دخل عليه أبو بصير وقدحفره النفس، فلمّا أخذ مجلسه قال له أبو عبدالله عليه السلام: «يا أبا محمد ما هذا النفس العالى؟ فقال: جعلت فداك يابن رسول الله كبرت سنّى ودقّ عظمى واقترب أجلى مع أنّنى لست أدرى ما أرد عليه من أمر آخرتى؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد وإنك لتقول هذا؟ قال: جعلت فداك فكيف لا أقول؟ فقال: يا أبا محمد أما علمت أن الله تعالى يكرم الشباب منكم، ويستحيى من الكهول؟

قال: قلت: جعلت فداك فكيف يكرم الشاب، ويستحيى من الكهول؟ فقال: يكرم الشاب أن يعذّبهم ويستحيى من الكهول أن يحاسبهم، قال: قلت: جعلت فداك هذا لنا خاصّة أم لأهل التوحيد؟ قال: فقال: لا والله إلّا لكم خاصّة دون العالم (العامّة خ) قال: قلت: جعلت فداك فانا نبزنا نبزاً إنكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلّت له الولاة دمآئنا فى حديث رواه لهم فقهآئهم، قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: الرافضة؟ قال: قلت: نعم، قال: لا والله ماهم سمّوكم ولكنّ الله سمّاكم به، أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بنى إسرائيل رفضوا فرعون وقومه، لمّا استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى صلّى الله عليه لمّا استبان لهم هداه، فسُمّوا فى عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون، وكانوا أشدّ أهل ذلك العسكر عبادة، وأشدّهم حباً لموسى وهارون وذرّيتهما عليهما السلام، فأوحى الله عزوجل إلى موسى! أن أثبت لهم هذا الإسم فى التوراة، فانّى سمّيتهم به، ونحلتهم إيّاه فاثبت موسى صلّى الله عليه الإسم لهم، ثم ذخرالله عزّوجل لكم هذا الإسم حتى نحلكموه.

يا أبا محمد رفضوا الخير، ورفضتم الشرّ، افترق الناس كل فرقة وتشعّبوا كل شعبة، فانشعبتم مع أهل بيت نبيّكم صلّى الله عليه وآله وسلّم وذهبتم حيث ذهبوا، واخترتم من اختارالله لكم وأُردتم من أرادالله، فأبشروا ثم أبشروا فأنتم والله المرحومون، المتقبّل من محسنكم، والمتجاوزعن مسيئكم، من لم يأت الله عز وجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبّل منه حسنة، ولم يتجاوز له عن سيئة...» الحديث.

وفى تفسير الامام الحسن العسكرى عليه السّلام : «و قيل الصّادق عليه السّلام : إنّ عمّاراً الدّهنى شهد اليوم عند إبن أبى ليلى قاضى الكوفة بشهادة فقال له القاضي: قم يا عمّار فقد عرفناك لا تقبل شهادتك لانّك رافضي، فقام عمّار وقد ارتعدت فرآئصه و استفرغه البكآء فقال له ابن أبى ليلى: أنت رجل من أهل العلم والحديث، إن كان يسؤك أن يقال لك: رافضيٌّ فتبرّأمن الرّفض فأنت من إخواننا؟

فقال له عمّار: يا هذا ما ذهبت والله حيث ذهبت، ولكن بكيت عليك وعليّ، أما بكآئى على نفسى فانك نسبتنى إلى رتبة شريفة لست من أهلها، زعمتَ أنّى رافضىّ ويحك لقد حدّثنى الصادق عليه السلام أن أوّل من سمّى الرفضة (الرافضة خ) السحرة الذين لمّا شاهدوا آية موسى فى عصاه آمنوا به واتبعوه ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسمّاهم فرعون الرافضة لما رفضوا دينه، فالرافضى كل مَن رفض جميع ماكره الله، وفعل كل ما أمره الله فأين فى هذا الزمان مثل هذا؟

وإنما بكيت على نفسى خشيت أن يطلع الله عزوجل على قلبى وقد تلقّبت هذا الإسم الشريف على نفسى، فيعاتبنى ربّى عزوجل ويقول: يا عمّار أكنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك بى مقصّراً فى الدرجات إن سامحنى، وموجباً لشديد العقاب علىّ إن ناقشنى، إلّا أن يتداركنى موالىّ بشفاعتهم، وأما بكآئى عليك فلعظم كذبك فى تسميتى بغير إسمى وشفقتى الشديدة عليك من عذاب الله أن صرّفت أشرف الأسمآء إلىّ، وإن جعلته من أرذلها كيف يصبر بذلك على عذاب كلمتك هذه؟

فقال الصادق عليه السلام: لو أن على عمّار من الذنوب ما هو أعظم من السموات والأرضين لمحيت عنه بهذه الكلمات، وإنّها لتزيد فى حسناته عند ربه عزّوجل حتّى يجعل كل خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرّة».

وفى أمالى الطوسى قدس سره: باسناده عن محمدبن سليمان الديلمى عن أبيه

قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له: «يا سماعة مَن شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، قال: فغضب حتى احمرّت وجنتاه ثم استوى جالساً وكان متكئاً، فقال: يا سماعة مَن شرّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شر الناس عند الناس لأنهم سمّونا كفّاراً ورافضة، فنظر إليّ ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنّة، وسيق بهم إلى النار؟ فينظرون إليكم ويقولون: «ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» ص: ٦٢)

يا سماعة بن مهران إنه مَن أسآء منكم إسآءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنُشَفّع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا فى الدرجات واكمدوا عدوّكم بالورع».

قوله عليه السلام: «وأكمدوا» من الكمدة ـ بالضم ـ والكمد ـ بالفتح والتحريك: تغيّر اللون وذهاب صفآئه، والحزن الشديد، ومرض القلب منه.

فى اصول الكافى: باسناده عن على بن عقبة عن أبيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام ـ فى حديث ـ: «ذروا الناس فان الناس أخذوا عن الناس، وإنكم أخذتم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى عليه السلام ولا سواء ...» الحديث.

أقول: أى ارفضوا معتقدات العامة، فانهم أخذوا دينهم بالأخبار الموضوعة والأحاديث المختلقة من النواصب الاجرآء، والمعاندين العملاء، وانكم أخذتم دينكم عن الله جل وعلا بالآيات المحكمات وعن رسول الله وأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين بالأخبار المتواترة والروايات المستفيضة والأحاديث الصحيحة فليس مأخذ دينكم ومأخذ دينهم سوآء.

وذلك ان الشيعة لا يقبلون الروايات من دون التحقيق حول رجال السند ورواة الحديث، فاذا عرفوا الرجال والرواة ووجدوهم أهل الايمان والورع والتقوى والصدق والعدالة فيقبلونها، وإلّا فيضربونها على الجدار، بخلاف العامة فانهم يقولون بعدالة كل من سمّى بصحابىّ كائناً من كان، ظالماً ومظلوماً، صالحاً وفاسداً،

وقاتلاً ومقتولاً ...

ويقبلون الروايات من كل مَن لقّب بالصحابى أو التابعى، من غير فرق بين الصادقين والناكثين، بين المتقين والقاسطين، وبين المؤمنين والمارقين ...

فى كتاب (لماذا اخترت مذهب الشيعة: ص ١٦) قال الشيخ محمد مرعى الأمين الانطاكى بعد استبصاره ـ وقد كان قاضى قضاة العامة ـ: «ثبت عندى بالأدلة القوية والبراهين القاطعة والحجج الدامغة الرصينة الواضحة التى هى كالشمس الساطعة فى ضاحية النهار ليست دونها سحاب، أحقّيّة مذهب أهل البيت عليهم سلام الله، وانه هو المذهب الحق الذى أخذه الشيعة عن أئمة أهل البيت عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن جبرئيل عن الرب الجليل، وليس فيه دخيل ولن يرضون عنه بديلاً حتى يلقون الرب الجليل، وأخذه الثقاة عن الثقاة من يوم البعثة إلى يوم البعث لا يختلف آخرهم عن آخرهم.

مع أن الوحى نزل فى بينهم وأهل البيت أدرى وأعرف بما فى البيت من غيرهم، فجدير بالعاقل المتدبر أن لا يترك ما صحّ لديه من الأدلة منهم، ويأخذ من الأجانب الدخلاء، وان كثيراً من الآيات الواردة فى الذكر الحكيم والقرآن المجيد الدالة على مدّعينا... وان كثيراً من الأحاديث المأثورة والأخبار الواردة عن النبى الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم الدالة على ذلك وقد ذكره الفريقان (السنة والشيعة) فى كتبهم ...».

ثم قال هذا المجاهد الكبير الانطاكى فى كتابه (ص ١٨٥ـ١٨٧) ما لفظه: «فالأمل كل الأمل والرجاء كل الرجآء أن ينقاد إخواننا السنة إلى الحق ويدعوا الطعن على اخوانهم الشيعة إذ أنهم سلكوا سبيل آل بيت النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم سوآء بسوآء لم يعزجوا عنهم إلى غيرهم ولم يحيدوا عنهم قيد شعرة ولا ينسبون إليهم الأكاذيب الشنيعة والمفتريات الرذيلة والأقاويل المفتعلة ولا يلصقون بهم التهم الباطلة كما فعله بعضهم: «كابن تيمية وابن حزم وابن الحجر وأحمد أمين المصرى وموسى جارالله ومحمد ثابت المصرى والحفناوى والجبهان» وكالشيخ نوح الذى

أفتى بكفر الشيعة الأبرار وقتلهم وسبي نسآئهم واسترقاق ذراريهم ونهب أموالهم تابوا أم لم يتوبوا وغير هؤلآء ممن سلك طريقهم الفاسد من بعض حثالات الامويين وأذناب المروانيين» «نعوذ برب العرش من فئة بغة علينا» ظلماً وعدواناً جهلاً أو تجاهلاً مأجورين أو متبرعين.

وأيضاً نأمل من إخواننا السنة أن يأتوا فى كتبهم بالحقائق عن الشيعة ويدعوا المسبّة، وكل ما لا يرضى الله ولا يسجلوا فى كتبهم ما لا يوجد فى مؤلفات الشيعة ولا يكون من اصول مذهبهم، فان العصر عصر نور وقد ثبتت الحقائق لدى الجميع وأخذ الناس من مختلف الأديان والمذاهب يدخلون فى مذهب التشيّع أفواجاً أفواجاً... وإنما أتيت بهذه النصيحة الثمنية لعلمى بما فى مؤلفات القوم من المطاعن الغليظة الشنيعة والشتم المقدع مما تمجها النفوس السليمة ويتقذرها الأحرار.

ويشهد الله وكفى به شهيداً انى كنت قبل الأخذ بمذهب آل البيت عليهم السلام أنصح دائماً زملائى الاشاوش العلمآء الأعاظم فى (القاهرة ودمشق وحلب ومكة المعظمة والمدينة المنوّرة) وغيرها خصوصاً أصحاب القلم وأرباب التأليف عن الطعن فى هذه الفرقة الآخذة بمذهب أهل البيت قائلاً: الأجد ربكم أيها الإخوة الردّ عليهم بالتى هى أحسن وذلك بأدلة عقلية او نقلية لا بالشتم والتهم وهو أليق بالآداب الاسلامية التى أتى بها الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد قال الله فى كتابه: «وجادلهم بالتى هى أحسن» ألا ترون إلى ما في مؤلفات لشيعة من الحجج ما يثبت مدّعاهم، ويمسكون عن السبّ والشتم والتهم الباطلة بل يدعون لكم بقولهم: «أصلح الله إخواننا» هذه أخلاقهم التى استقوها عن أئمتهم، وتلك كتبهم قد ملأت أرض الله الواسعة، فعليكم بمراجعتها والردّ عليها إن وجدتم إلى ذلك سبيلاً.

على أنّني عثرت على كثير من مؤلفات الشيعة فوجدت الأمر على خلاف ما يقال فيهم، ولعمر الله انهم فرقة مسلمة وطائفة مؤمنة بكل ما جآء عن الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الأحكام الخمسة مستمرين عليها من يوم البعثة إلى يوم البعث غير انى لم أجد لهم ذنباً سوى عدم تقديم غير أهل البيت على أهل البيت عليهم السلام».

ثم نقل عن الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي قول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقال الشافعي أيضاً:

إذا في مجلس ذكروا علياً وشبليه وفاطمة الزكية

هربت إلى المهيمن من اناس يرون الرفض حب الفاطمية

على آل الرّسول صلاة ربي ولعنتهم لتلك الجاهلية

نعم: ليست تلك الأكاذيب والتمويهات، وتلك الأراجيف والمفتريات... من هؤلآء الأراذل والأوباش، ومن هؤلآء الأجرآء وعبيد الدنيا كابن تيمية وأذنابه بعجيبة ولا جديدة ولا غير مترقّبة لنا، فانّهم أتباع من أهان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وخالفه في حياته، وأحرق بيت الوحي بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وضرب بنته الطاهرة بضعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأسقط جنينها، وماتت شهيدة وساخطة عليه، ومَن هتك حرمة نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم وجعل الحبل في عنق إمامنا فمن البلادة أن نترقّب أن يحفظ هو وأذنابه حرمتنا!

فمن كان عدوّ الخالق، فكيف يمكن أن يكون صديق المخلوق، وإن الشيطان عدوّ المخلصين، فلا يحبّهم أبداً وإن تظاهر للإغوآء والإضلال... فمادمنا نحن شيعة مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه‌السّلام فهؤلاء الأوباش والأراذل عدوّنا، ونحن عدوّهم، فان الحق والباطل لا يتحدان، وإن الخير والشر لا يقترنان، وإن النور والظلمة لا يجتمعان، وإن إمام الهدى وإمام الضلالة لا يتفقان...

ونحن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية لن نحزن عن تلك الأقاويل المزخرفة والمفتريات الكذبة من هؤلآء الببغاء السفلة والسفهآء الجهلة إذ يترشح من الإنآء ما فيه والكذب دليل على خباثة الكاذب... ولعنة الله على الكاذبين...

وما علينا إلّا أن نبيّن الحق والباطل، الايمان والكفر، الخير والشر، الصلاح والفساد، والطاعة والطغيان... «فمن شآء فليؤمن ومن شآءفليكفر» الكهف: ٢٩)

وليس تعيير ابن تيمية أجير النفاق والضلالة، وعميل الكفر والغواية ووليد الشيطان و خبيث الولادة... وأذنابه تعييراً علينا شيعة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب و أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بل إنّما هو تعيير على إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام شيعة نوح عليه السلام شيخ المرسلين من اولى العزم وتعيير على الله جل وعلا إذ قال: «وإن من شيعته لابراهيم اذجاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون» الصافات: ٨٣-٨٥) وتعيير على جميع الأنبياء والمرسلين والأوصيآء والمقربين والصلحآء والمتقين، وعلى نظام الكون ونواميس الوجود كله قال الله عزوجل: «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب» آل عمران: ١٧٨-١٧٩)

وقال: «وذرالذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكّر به ـ ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» الأنعام: ٧٠ و ٩١)

وقال: «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» الحجر: ٣)

وقال: «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» المعارج: ٤٢-٤٤)

وقال حكاية عن مقالة الأتباع الجهلة والزعمآء الفجره حين استقرّوا فى مكان ضيّق من النار: «ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدّهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار» ص: ٦٢-٦٣)

نعم: ولو أن الشيعة رفضت موالاة أهل بيت نبيّهم صلوات الله عليهم أجمعين واتبعوا معاوية بن أبى سفيان ويزيد ومروان الحكم وعمروبن العاص وشمربن ذى الجوشن والحجاج وأضرابهم... لما كانوا رافضيّة عند العامة ولا مشركين ولا مجوساً ولا نجساً...

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم» البقرة: ١٢)

فى كتاب الامام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: ـ فى غلوّ الغالين فى حب معاوية ـ قال: «وهنا يحدّثنا المقدّسى عن دخوله جامع واسط واستماعه لقصاص يقصّ على الناس حديثاً عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن الله يدنى معاوية يوم القيامة، فيجلسه إلى جنبه ثم يجلوه على الخلآئق كالعروس. قال المقدسى: فقلت له: بماذا؟ بمحاربته علياً رضى الله عنه؟ كذبت يا ضال، فصاح: خذوا هذا الرافضى، فأقبل الناس علىّ، فعرفنى بعض الكتبة فكر كرهم عنّى».

أقول: نعم ان الشيعة الإمامية الاثنى عشرية هم الرافضة الذين يرفضون تلك الأباطيل والخرافات، والأكاذيب والمفتريات... هم يرفضون أئمة الزيغ والضلال، ويرفضون ولاة الجور والفساد...

اللهم وفّقنى على رفض كل الجبت والطاغوت وأتباعهما، والبرآءة منهم فى الدنيا والآخرة فانّ لى فى إبراهيم خليلك عليه السلام اسوة حسنة فانّه كان شيعياً رافضياً رفض كل الجبت والطاغوت وأتباعهما وتبرّأ منهم لقولك فيه عليه السلام: «وإن من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ما ذا تعبدون أ إفكاً آلهة دون الله تريدون ـ فراغ عليهم ضرباً باليمين» الصافات: ٨٣-٩٣)

وقولك فيه عليه السلام: «قد كانت لكم اسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤)

﴿كلام قاضي قضاة العامة وغيره حول الرافضة﴾

قال الله عزوجل: «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الأنفال: ٧-٨)

قال قاضي قضاة العامة الشيخ محمد مرعى الأمين الأنطاكي بعد استبصاره في كتابه: «لماذا اخترت مذهب الشيعة: ص ٢٧١-٢٧٢): «أيها المسلمون رحمكم الله أني أوجّه لكم نصيحة خالصة لوجه الله لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الدين النصيحة» والمسلم العاقل ينبغي له انه إذا قدمت له نصيحة يقبلها، وإن كانت من جهة مخالفه أيضاً لماورد: «خذ النصيحة ولو من أفواه الكافرين» فكيف بنا ونحن إخوة لكم في الدين وتجمعنا كلمة: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» ثم قال: «فما هذا التقاطع وشهادة أئمتكم (الأئمة الأربعة) في حق أميرالمؤمنين وأهل بيته الطاهرين الميامين عليهم السلام دالة دلالة واضحة على أحقّيتهم على مَن سواهم، فما يضيرك أيّها المسلم لو أنك أخذت بمذهب الحق مذهب آل البيت عليهم السلام الذى جآء به عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فان كانت المذاهب الأربعة منجية فهذا المذهب الحق أنجى وانجى والسلام على من اتبع الهدى».

وقال الدكتور محمد التيجاني السماوي في كتابه (مع الصادقين: ص ١٢٦) بعد استبصاره: «أما إختلاف السنّة والشيعة في هذه المسئلة (السنة النبوية) فقد يكون لسببين رئيسيّين:

أحدهما- عدم صحّة الحديث عند الشيعة إذا كان أحد الرواة من المطعون في

عدالته ولو كان من الصحابة، إذ أن الشيعة لا يقولون بعدالة الصحابة أجمعين كما هو الحال عند أهل السنّة والجماعة، أضف إلى ذلك أنهم يرفضون الحديث إذا تعارض مع رواية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فهم يقدّمون رواية هؤلآء على غيرهم مهما عَلَت مرتبتهم، ولهم فى ذلك أدلّة من القرآن والسنّة ثابتة حتى عند خصومهم...

أما السبب الثانى: فى الاختلاف بينهما فهو ناتجٌ عن مفهوم الحديث نفسه إذ قد يفسّره أهل السنة والجماعة على غير تفسير الشيعة كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إختلاف امتى رحمة» إذ يفسّره أهل السنّة والجماعة بأن فى اختلاف المذاهب الأربعة فى الامور الفقهية رحمة للمسلمين.

بينما يفسّره الشيعة بالسفر إلى بعضهم البعض والإعتنآء بأخذ العلم ونحوه من الفوآئد، أو قد يكون الإختلاف بين الشيعة وأهل السنة ليس فى مفهوم الحديث النبوى وإنما فى الشخص أو الأشخاص المعنييّن بهذا الحديث وذلك كقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عليكم بسنّتى وسنّة الخلفآء الراشدين من بعدى».

فاهل السنة يعنون به الخلفاء الأربعة، أما الشيعة فيعنون به الأئمة الإثنى عشر إبتداء من على بن أبيطالب وإنتهاء بالمهدى محمدبن الحسن العسكرى عليهم السلام.

أو كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخلفآء من بعدى اثنى عشر كلّهم من قريش».

فالشيعة يعنون به الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام بينما لا يجد أهل السنة والجماعة تفسيراً شافياً لهذا الحديث، وقد اختلفوا حتّى فى الأحداث التاريخية التى تتعلّق بالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم كما هو الحال فى يوم مولده الشريف إذ يحتفل أهل السنة بالمولد النبوى الشريف يوم الثانى عشر من ربيع الأوّل فى حين يحتفل الشيعة فى اليوم السابع عشر من نفس الشهر ولعمرى إن هذا الاختلاف والسنّة النبوية أمر طبيعىّ لا مفرّ منه إذا لم يكن هناك مرجع يرجع إليه الجميع ويكون حكمه نافذاً، ورأيه مقبولاً لدى الجميع كما كان الرسول صلّى الله عليه وآله

وسلّم حيث كان يقطع دابر الخلاف، ويحسم النزاع ويحكم بما أراه الله فيسلّمون ولو كان فى أنفسهم حرج، وإنّ وجود مثل هذا الشخص ضرورىّ فى حياة الامّة وعلى طول مداها! هكذا يحكم العقل، ولا يمكن أن يغفل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك وهو يعلم بأن امّته ستتأوّل كلام الله من بعده فكان لزاماً عليه أن يحضّر لها معلّماً قادراً ليقودها إلى الجادّة إذا ما حاولت الإنحراف عن الصراط المستقيم، وقد هيّأ بالفعل لامّته قائداً عظيماً بذل كل جهوده فى تربيته وتعليمه منذ وُلِدَ إلى أن بلغ الكمال وصار منه بمنزلة هارون من موسى، فأوكل إليه هذه المهمّة النبيلة بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«أنا أقاتلهم على تنزيل القرآن وأنت تقاتلهم على تأويله».

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: ابن‌حجر العسقلانى فى (الإصابة: ج ١ ص ٢٥) والخوارزمى فى (المناقب: ص ٩٩) والقندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة: ص ٢٣٣) والگنجى الشافعى فى (كفاية الطالب: ص ٣٣٩) والهندى فى (منتخب كنزالعمال: ج ٥ ص ٣٦) وغيرهم.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنت يا علىّ تبيّن لامتى ما اختلفوا فيه من بعدى».

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: الحاكم فى (المستدرك: ج ٣ ص ١٢٢) وابن‌عساكر فى (تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٤٨٨) والخوارزمى فى (المناقب: ص ٢٣٦) والمناوى فى (كنوز الحقائق: ص ٢٠٣) والهندى فى (كنزالعمال: ج ٥ ص ٣٣) والقندوزى فى (ينابيع المودة: ص ١٨٢) فاذا كان القرآن وهو كتاب الله العزيز يتطلّب من يقاتل فى سبيل تفسيره وتوضيحه لأنه كتاب صامت لا ينطق، وهو حمّال أوجهٍ متعدّدة وفيه الظاهر والباطن فكيف بالأحاديث النبوية؟!

وإذا كان الأمر كذلك فى الكتاب والسنّة، فلا يمكن للرسول صلّى الله عليه وآله

وسلّم أن يترك لامّته ثقلين صامتين أبكمين لا يتورّع الذين فى قلوبهم زيغ أن يتأوّلوهما لغرض، ويتّبعوا ما تشابه منهما ابتغآء الفتنة وابتغآء الدنيا ويكونوا سبباً لضلالة من يأتى بعدهم، لأنهم أحسنوا الظّنّ بهم واعتقدوا بعدالتهم ويوم القيامة يندمون فيصدق فيهم قوله تعالى: «يوم تقلّب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبرآئنا فأضلّونا السبيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً» الأحزاب: ٦٦-٦٨)

«كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون» الأعراف: ٣٨)

وهل كانت الضلالة إلّا من ذلك؟ فليس هناك امّة لم يبعث الله فيهم رسولاً أوضح لهم السبل وأنار لهم الطريق، ولكنّهم بعد نبيّهم راحوا يحرّفون ويتأوّلون ويبدّلون كلام الله! فهل يتصوّر عاقل أن رسول الله عيسى عليه السلام قال للنصارى بانه إله؟ حاشا وكلاّ «ما قلت لهم إلّا ما أمرتنى به» المائدة: ١١٧)

ولكن الأهواء والأطماع وحبّ الدنيا هو الذى جرّ النصارى لذلك ألم يبشرهم عيسى عليه السلام بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ ومن قبله موسى كذلك، ولكنّهم تأوّلوا إسم محمد وأحمد «بالمنقذ» وهم حتى الآن ينتظرونه وهل كانت امّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم على مذاهب وفرق متعددة إلى «ثلاث وسبعين كلها في النار إلّا فرقة واحدة» إلّا بسبب التأويل، وها نحن نعيش اليوم بين هذه الفرق هل هناك فرقة واحدة تنسب لنفسها الضلالة؟ أو بتعبير آخر: هل هناك فرقة واحدة تدّعى أنها خالفت كتاب الله وسنّة رسوله؟ بالعكس كل فرقة تقول بأنها هى المتمسكة بالكتاب والسنّة فما هو الحلّ إذاً؟؟

أكان يغيب الحلّ من رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بالأحرى عن الله؟ أستغفرالله إنه لطيف بعباده ويحبّ لهم الخير فلابدّ أن يضع لهم حَلاً ليهلك من هلك عن بيّنة، وليس فى شأنه سبحانه إهمال مخلوقاته وتركهم بدون هداية، اللهم

إلّا إذا اعتقدنا بأنه هو الذى أرادهم الإختلاف و الفرقة و الضلالة ليزجّ بهم فى ناره وهو إعتقاد باطل فاسد، استغفره وأتوب إليه من هذا القول الذى لا يليق بجلال الله وحكمته وعدالته.

فقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنه ترك كتاب الله وسنّة نبيّه ليس هو الحلّ المعقول لقضيّتنا، بل يزيدنا تعقيداً وتأويلاً ولا يقطع دابر المشاغبين والمنحرفين، ألا تراهم عند ما خرجوا على إمامهم رفعوا شعار: «ليس الحكم لك يا علىّ وإنما الحكم لله؟» إنّه شعار برّاق يأخذ بلبّ السامع فيخال القائل به حريصاً على تطبيق أحكام الله، ورافضاً لأحكام غيره من البشر، ولكن الحقيقة ليست كذلك. قال الله تعالى: «ومن الناس مَن يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدّ الخصام» البقرة: ٢٠٤)

نعم كثيراً ما نغترّ بالشعارات البرّاقة ولا نعرف ماذا تخفى ورآئها، ولكن الإمام علياً عليه السلام يعرف ذلك لانه باب مدينة العلم، فأجابهم: «إنها كلمة حق يراد بها باطل».

نعم كثيرةً هى كلمات الحق التى يراد بها الباطل، كيف ذلك؟ عند ما يقول الخوارج للإمام علىّ عليه السلام: «الحكم لله ليس لك يا علىّ» فهل سيظهر الله على الأرض ويفصل بينهم فيما اختلفوا فيه؟ أم انهم يعلمون ان حكم الله فى القرآن، ولكنّ علياً تأوّله حسب رأيه؟ فما هى حجّتهم ومن يقول بأنهم هم الذين تأوّلوا حكم الله، والحال أنّه اعلم منهم وأصدق وأسبق للإسلام وهل الإسلام غيره؟

إذن هو شعار برّاق ليموهوا به على بسطآء العقول، فيكسبوا تأييدهم ليستعينوا بهم على حربه وكسب المعركة لصالحهم كما يقع اليوم، فالزمان زمان والرجال رجال، والدّهاء والمكر لا ينقطع بل يزداد وينموا لأن دهاة هذا العصر يستفيدون من تجارب الأوّلين، فكم من كلمة حق يراد بها باطل فى يومنا هذا؟ شعارات برّاقة كالذى يرفعها الوهّابيون فى وجه المسلمين وهو: «التوحيد وعدم الشرك» فَمن مِن المسلمين لا يوافق عليه؟ وكتسمية فرقة من المسلمين أنفسهم: «بأهل السنة

والجماعة» فَمن من المسلمين لا يوافق أن يكون مع الجماعة التى تتبع سنّة النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وكشعار البعثيين: «امّة عربية واحدة ذات رسالة واحدة» فَمن مِنَ المسلمين لا يغترّ بهذا الشعار، قبل أن يعرف خفايا حزب البعث ومؤسسه النصرانى ميشال عفلق؟

لك الله يا على بن أبيطالب إنّ حكمتك بقيت وستبقى مدويّة على مسمع الدهر فكم من كلمة حق يراد بها الباطل، صعد أحد العلماء إلى منصّة الخطابة وصاح بأعلى صوته: «من قال بأننى شيعىّ نقول له: أنت كافر، ومن قال بأنّنى سنّى نقول له: أنت كافر، نحن لا نريد شيعة ولا سنّة، وإنما نريد إسلاماً فقط».

إنها كلمة حق يراد بها باطل، فأىّ إسلام يريده هذا العالم؟ وفى عالمنا اليوم إسلام متعدّد، بل وحتى فى القرن الأوّل كان الاسلام متعدّداً، فهناك إسلام علىّ عليه السلام وإسلام معاوية وكلاهما له أتباع ومؤيّدون حتى وصل الأمر إلى القتال وهناك اسلام الحسين عليه السلام وإسلام يزيد الذى قتل أهل البيت عليهم السّلام باسم الاسلام وادّعى أن الحسين عليه السلام خرج عن الاسلام بخروجه عليه، وهناك إسلام أئمة أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم، وإسلام الحكّام وشعوبهم، وعلى مرّ التاريخ نجد إختلافاً بين المسلمين، وهناك إسلام متسامح كما يسمّيه الغرب لأن أتباعه ألقوا بالمودّة لليهود والنصارى، وأصبحوا يركعون للقوّتين العظيمتين، وهناك اسلام متشدّد يسمّيه الغرب إسلام التعصّب والتحجّر أو مجانين الله.

وبعد كل هذا لم يبق معنا مجال للتصديق بحديث «كتاب الله وسنّتى» للأسباب التى ذكرتُ.

وتبقى الحقيقة ناصعة جليّة فى الحديث الثانى الذى أجمع عليه المسلمون وهو: «كتاب الله وعترتى أهل بيتى» لأن هذا الحديث يحلّ كل المشكلات، فلا يبقى إختلاف فى تأويل أيّة آية من القرآن أو فى تصحيح وتفسير أىّ حديث نبوى شريف إذا ما رجعنا إلى أهل البيت الذين أمرنا بالرجوع إليهم، وخصوصاً إذا علمنا بأن هؤلآء الذين عيّنهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هم أهل لذلك، ولا يشكّ أحد

من المسلمين فى غزارة علمهم وفى زهدهم وتقواهم، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم وأورثهم علم الكتاب، فلا يخالفونه ولا يختلفون فيه بل لا يفارقونه حتّى قيام الساعة قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود من السمآء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى فانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

رواه جماعة كثيرة من أعلام العامة...

فنهم: أحمد بن حنبل فى (المسند: ج ٥ ص ١٢٢) والحاكم فى (المستدرك: ج ٣ ص ١٤٨) والهندى فى (منتخب كنزالعمال: ج ١ ص ١٥٤) والسيوطى فى تفسير (الدر المنثور: ج ٢ ص ٦٠) والهيتمى فى (مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٢) والقندوزى فى (ينابيع المودة: ص ١٨٣) وغيرهم تركناهم روماً للاختصار.

ثم قال الدكتور التيجانى ما لفظه: «ولأكون مع الصادقين يجب علىّ قول الحق لا تأخذنى فى ذلك لومة لائم وهد فى رضاالله سبحانه وإرضآء ضميرى قبل رضا الناس عنّى: والحقيقة فى هذا البحث هى فى جانب الشيعة الذين اتبعوا وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى عترته، وقدموهم على أنفسهم وجعلوهم أئمتهم، يتقرّبون إلى الله بحبّهم والإقتدآء بهم فهنيئاً لهم بالفوز فى الدنيا وفى الآخرة حيث يحشر المرءمن أحبّ، فكيف بمن أحبّهم واقتدى بهداهم».

وقال الدكتور محمد التيجانى السماوى بعد استبصاره فى كتابه: «ثم اهتديت: ص ١٣١-١٣٣» بعد أن ذكر كثيراً من كتب العامة والشيعة أنه قرأها تحقيقاً للحق: «وقرأت الكثير حتى إقتنعت بأن الشيعة الإمامية على حقّ، فتشيّعت وركبت على بركة الله سفينة أهل البيت عليهم السلام وتمسّكت بحبل ولآئهم لأنى وجدت بحمدالله البديل عن بعض الصحابة الذين ثبت عندى أنهم إرتدّوا على أعقابهم القهقرى، ولم ينج منهم إلّا القليل وأبدلتهم بأئمة اهل البيت النبوى الذى أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وافترض مودتهم على الناس أجمعين».

ثم قال: «فالشيعة ليس كما يدّعى بعض علمآئنا بأنهم الفرس والمجوس الذين

حطّم عمر كبريائهم ومجدهم وعظمتهم فى حرب القادسية ولذلك يبغضونه ويكرهونه! وأجبت هؤلآء الجاهلين بأنّ التشيّع لأهل البيت النبوى لا يختصّ بالفرس بل الشيعة فى العراق وفى الحجاز وفى سوريا ولبنان وكل هؤلآء عرب كما يوجد الشيعة فى الباكستان والهند وفى آفريقيا وآمريكيا، وكل هؤلآء ليسوا من العرب ولا من الفرس، ولو اقتصرنا على شيعة ايران فان الحجّة تكون أبلغ إذ أنّنى وجدت الفرس يقولون بامامة الأئمة الاثنى عشر وكلهم من العرب من قريش من بنى هاشم عترة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلو كان الفرس متعصّبين ويكرهون العرب كما يدّعى البعض لأتخذوا سلمان الفارسى إماماً لهم لأنّه منهم وهو صحابى جليل عرف قدره كل من الشيعة والسنّة على حدّ سوآء.

بينما وجدت أهل السنة والجماعة ينقطعون فى الإمامة إلى الفرس فأغلب أئمتهم من الفرس كأبى حنيفة والإمام النسآئى والترمذى والبخارى ومسلم وابن ماجة والرازى والإمام الغزالى وابن سينا والفارابى وغيرهم كثيرون يضيق بهم المقام، فان كان الشيعة من الفرس يرفضون عمربن الخطاب لأنه حطّم كبريائهم وعظمتهم، فما ذا نفسّر رفض الشيعة له من العرب وغير الفرس فهذه دعوى لا تقوم على دليل، وإنّما رفض هؤلآء عمر للدّور الذى قام به فى إبعاد أميرالمؤمنين وسيّد الوصيين على بن أبيطالب عليه السلام عن الخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وما سبّب ذلك من فتن ومحن وقلا قل وانحلال لهذه الامّة، ويكفى أن يزاح الحجاب عن أىّ باحث حرّ وتكشف له الحقيقة حتى يرفضه بدون عداوة سابقة».

ثم قال: «والحق أن الشيعة سوآء كانوا من الفرس أم من العرب أم من غير هؤلآء قد خضعوا للنصوص القرآنية والنصوص النبوية واتبعوا إمام الهدى وأولاده مصابيح الدجى ولم يرضوا بغيرهم رغم سياسة الترغيب والترهيب الّتى قادها الامويون ومن بعد هم العبّاسيون طيلة سبعة قرون تتبعوا خلالها الشيعة تحت كل حجر ومدر وقتلوهم وشرّ دوهم ومنعوهم العطآء ومحو آثارهم وأثاروا حولهم الإشاعات والدعايات التى تنفّر الناس منهم وبقيت هذه الآثار حتى اليوم، ولكن

الشيعة ثبتوا وصمدوا وصبروا وتمسّكوا بالحق لا تأخذهم فى الله لومة لائم، وهم يدفعون حتى اليوم ثمن هذاالصمود وإنّى أتحدّى أىّ عالم من علمآئنا أن يجلس مع علمآئهم ويجادلهم، فلا يخرج إلّا مستبصراً بالهدى الذى هم عليه.

نعم وجدت البديل والحمد لله الذى هدانى لهذا وما كنت لأهتدى لو لا أن هدانى الله، الحمد لله والشكر له على أن دلّنى على الفرقة الناجية التى كنت أبحث عنها بلهف ولم يبق عندى أىّ شك فى أن المتمسّك بعلىّ وأهل البيت عليهم السلام قد تمسّك بالعروة الوثق لا انفصام لها، والنصوص النبوية على ذلك كثيرة أجمع عليها المسلمون، والعقل وحده خير دليل لمن ألق السمع وهو شهيد، فعلىّ كان أعلم الصحابة وأشجعهم على الاطلاق وذلك باجماع الامّة، وهذا وحده كاف للدلالة على أحقّيته عليه السلام للخلافة دون غيره، قال الله تعالى: «وقال لهم نبيّهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشآء والله واسع عليم» البقرة: ٢٤٧)

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن علياً منّى وأنا منه وهو ولىّ كل مؤمن من بعدى» رواه جماعة من أعلام العامّة:

فنهم: الحاكم فى (المستدرك: ج ٣ ص ١١٠) والترمذى فى (صحيحه: ج ٥ ص ٢٩٦) والنسآئى فى (الخصائص: ص ٨٧) وغيرهم...

ثم قال: «نعم وجدت البديل بحمد الله، وصرت أقتدى بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأميرالمؤمنين وسيّد الوصيين وقآئد الغرّ المحجّلين أسدالله الغالب الإمام على بن أبيطالب عليه السلام وبسيّدى شباب أهل الجنة وريحانتى النبى من هذه الامة الإمام أبى محمد الحسن الزكى والإمام أبى عبدالله الحسين، وببضعة المصطفى سلالة النبوة وأُمّ الأئمة معدن الرسالة ومن يغضب لغضبها رب العزّة والجلالة سيّدة النسآء فاطمة الزهراء سلام الله عليها وأبدلت الإمام مالك باستاذ الأئمة ومعلّم الامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وتمسّكت بالأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين أئمة

المسلمين وأوليآء الله الصالحين.

وأبدلت الصحابة المنقلبين على أعقابهم أمثال معاوية وعمروبن العاص والمغيرة ابن شعبة وأبي هريرة وعكرمة وكعب الأحبار وغيرهم بالصحابة الشاكرين الذين لم ينقضوا عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أمثال عماربن ياسر وسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأُبيّ بن كعب وغيرهم، والحمد لله على هذا الاستبصار وأبدلت علمآء قومى الذين جمّدوا عقولنا واتبع كثير منهم السلاطين والحكّام فى كل زمان بعلمآء الشيعة الأبرار الذين ما أغلقوا يوماً باب الإجتهاد ولا وهنوا ولا استكانوا للأُمرآء والسلاطين الظالمين.

نعم أبدلت أفكاراً متحجّرة متعصّبة تؤمن بالتناقضات بأفكار نيّرة متحرّرة ومتفتّحة تؤمن بالدليل والحجّة والبرهان، وكما يقال فى عصرنا الحاضر: «غسلت دماغى من أوساخ رانت عليها طوال ثلاثين عاماً، أضاليل بنى امية وطهّرته بعقيدة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً لما تبقى من حياتى اللهم أحينا على ملّتهم وأمتنا على سنّتهم واحشرنا معهم فقد قال نبيك صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يُحشر المرء مع مَن أحب».

ولله درّ من قال:

عقد الإمامة في الإيمان مندرج — والرفض دين قوم ماله عوج
ما في عداوة من عادى الوصيّ على — من كان مولى له إثم ولا حرج
الله شرّفنى إذ كنت عبدهم — وحبّهم بدمى واللحم ج
دين الولى والبر الا أبتغى بدلاً — ولا إلى غيره ما عشقت أنعرج

ونعم ما قال العلامة الشيخ محمد مرعى الأمين الانطاكى ـ بعد استبصاره ـ في أخذ الحق ورفض الباطل:

لماذا اخترت مذهب آل طه — وحاربت الأقارب في ولاها
وعفت ديار آبآئى وأهلى — وعيشاً كان ممتلئاً رفاها
لأنّي قد رأيت الحقّ نصّاً — ورب البيت لم يألف سواها

فمذهب التشيّع وهو فخر		لمن رام الحقيقة وامتطاها
وهو ينجو بيوم الحشر فرد		مشى في غير مذهب آل طه

«آراء في مراحل التشيّع و تطوراته»

قال الله تعالى: «قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّى إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتّبع أكثرهم إلّا ظنّاً إن الظّنّ لا يغنى من الحق شيئاً» يونس: ٣٥-٣٦)

واعلم أن هناك نظرات عديدة كلّها مردودة عندنا إذ لا تبتنى أكثرها على دليل قاطع غير نفسها، على أن دليل الآراء بدون برهان، هو نفسها، ولكنّها نشير إلى أهمّها، إطّلاعاً عليها:

١ـ فى مقدّمة (تاريخ صدر الاسلام: ص ٧٢) قد قسّم التشيّع إلى قسمين:

أحدهماـ روحىّ بدأ في عهد النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلمّ.

ثانيهاـ سياسى حدث بعد مقتل الإمام أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه السلام.

وقد استدل لذلك بأن التشيّع بمعناه البسيط دون باقى خواصّه الاصطلاحية قد استعمل فى صحيفة التحكيم التى نصت على شيعة لعلىّ عليه السلام وشيعة لمعاوية مما يعطى معنى المشايعة والمناصرة دون باقى الصفات، والأبعاد السياسية التى حدثت بعد ذلك.

٢ـ فى كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع ـ ولاصلة بينهما قط ـ) قال: «إن التشيّع مرّ بثلاث مراحل تتصل المرحلة الاولى بظهور الاسلام من حيث ان علياً عليه السلام كان يمثل جوهرالاسلام، وقد التقى معه جماعة من المسلمين الأوائل: كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى وابن السوداء المعروف ـ بعماربن ياسرـ وغيرهم

ممّن دخلوا الاسلام وتشربوا مبادئه، وانصهروا بها فأحبّوه وتابعوه وكان بعد الرسول مثلهم الأعلى الذى يمثل جوهر الإسلام من جميع نواحيه، ولم يكن تشيّعهم له يومذاك يعد وهذه الناحية.

وتتصل المرحلة الثانية من مراحل التشيّع كحركة سياسيّة بمصرع عثمان بن عفان حين تولّىٰ على عليه السلام الخلافة واقترنت خلافته بتلك الأحداث الجسام والحروب الدامية التى رافقت سنى خلافته كلّها.

أما المرحلة الثالثة وهى تبلور تلك الحركة على حدّ تعبيره بمحتواها وما تحمله فى طياتها وإعطائها إسم الشيعة فكان بعد مقتل الحسين عليه السلام . انتهى كلامه.

أقول: ومن مجموع ذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل كما يدّعى هو: أن التشيّع كان تكتلاً إسلامياً ظهرت نزعته فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتبلور اتجاهه السياسى بعد مقتل عثمان يوم بويع على عليه السلام بالخلافة، واستقلّ بمحتواه وبالاصطلاح الدال عليه بعد مقتل الحسين عليه السلام.

٣- فى كتاب (الشيعة فى الميزان: ص ٩٦-١١١) قد قسّم الدعوة إلى التشيّع باعتبار الأدلة التى كان يعتمدها الدعاة إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأوّل: يبدو بوفاة النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وينتهى بانتهآء العصر الاموى، لأنه ظهر أن دعاة التشيّع ورواده فى الدور الأوّل اهتموا قبل كل شئ بالدعوة إلى الولآء لأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين والايمان بأنهم أحق الناس جميعاً فى خلافة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وميراثه فى الحكم والسلطان، وأن الدعاة اعتمدوا على نصوص الكتاب والسنّة وأخلاق النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والتشيّع منذ يومه الأوّل إلى آخر يوم يسير مع الإسلام جنباً إلى جنب.

الدور الثانى: يبدو بعهد الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أى بأوّل العهد العباسى إلى عصر الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه وهو دور الحضارة والحركة الفكرية، فقد ظهر فيه مذهب التشيّع، وتميّز عن غيره اصولاً وفروعاً وقد أصبح للشيعة فقههم المستقل، وآراؤهم الواضحة فى كل ما يتصل بالعقيدة من

قريب أو بعيد.

الدور الثالث: يبدو بالشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه وينتهى هذه الدور بالعلاّمة الحلّى (المتوفى: ٧٢٦ هـ) الذى وضع أجوبة الشبهات ونقضها بشتّى أنواعها فى وضعها النهائى، ولم يدع فيها زيادة لمن جآء بعده فهو دور الدفاع وردّ العاديات...

٤- وفى رأى بعض المحققين أن التشيّع لعلى عليه السلام بمعناه الروحى زرعت بدرته فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ونمت قبل تولّيه الخلافة لأدلّة كثيرة...

منها: ورود الروايات الكثيرة فيها.

ومنها: وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام بالإمامة والخلافة منها ما رواه الطبرى فى (الكامل: ج ٢ ص ٩٣) أن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مجلس ضمّ جماعة من بنى هاشم بمكة (يوم الانذار) فقال مشيراً لعليّ بن أبيطالب عليه السلام: «إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...» وقد أضاف الطبرى إلى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال الحديث المذكور قبل هجرته إلى المدينة، ويعنى بذلك ان النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أشار بالدرجة الاولى إلى المدلول الدينى لامامة على بن أبيطالب عليه السلام للمسلمين لأن الدولة الاسلامية حينذاك لم تقم بعد.

وأما بيعة «غدير خم» فالروايات عن الفريقين فيها متواترة بل مستفيضة كما أن الروايات فى الوصية متواترة مستفيضة: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّ على أميرالمؤمنين عليه السلام بالإمامة بعده واستخلفه على امته بألفاظ مخصوصة نقلها الفريقان:

منها: قوله عليه السلام: «سلموا على عليّ بامرة المؤمنين» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم مشيراً إليه عليه السلام وآخذاً بيده: «هذا خليفتى فيكم من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا» وغيرهما...

ومن الأدلّة: اختصاص عدد كثير من كبار الصحابة بعلى بن أبيطالب

عليه السلام و اعترافهم بالولآء له عليه السلام خلال حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفى حكم الخلفاء الثلاثة الغاصبين، وفى الفتنة التى قتل بها عثمان قال الفضل بن العباس فى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

وكان ولى العهد بعد محمّد — عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
عليّ وليّ الله أظهر دينه — وأنت مع الأشقين فيما تحاربه

ولا يخفى أنّ فى كلمة «ولىّ» دلالة دينية، وأن تقوم دليلاً على اعتراف الفضل بوجود صفات روحية لدى الإمام على عليه السلام لا توجد لدى غيره من الصحابة.

ومنها: وجود عدد من شيعة علىّ عليه السلام يقولون بآرآئه الفقهية فى حياته، ومن المعلوم أن القول بآرآء فقهية لإمام معيّن خير دليل على الإعتراف بامامته، ثم إنّ أباذر وسلمان كانا يقولان بالآرآء المذكورة قبل أن يتولّى علىّ بن أبيطالب عليه السلام رئاسة المسلمين السياسية لأنهما لم يدركا خلافته، فهما والحالة هذه من أشهر المعتقدين بالتشيّع الروحى لأميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

ومن الأدلة: على ظهور التشيّع السياسى فى خلافة علىّ عليه السلام هو أنّ اصطلاح (شيعة علىّ عليه السلام) أى أنصاره بقى شائع الاستعمال، وكان الاصطلاح المذكور يعنى الحزب أو المناصرين، وذات مرّة دخل علىّ عليه السلام على عائشة فى البصرة ومعه شيعته من همدان ولعل ذلك يعود إلى أن علياً بويع خليفة للمسلمين بما فيهم شيعته، وكان الذين أسهموا فى حروبه مع خصوصه يتكوّنون من شيعته ومن غيرهم، ويضاف إلى ذلك أن علياً عليه السلام أثنآء خلافته كان يستعمل غالباً كلمة «مسلمين» بدلاً من «شيعة» حين يخاطب أنصاره وذلك لوجود مسلمين بينهم من غير شيعته عليه السلام.

٥ ـ فى مقدمة تاريخ الامامية رآى بعض المتجددين من المتأخرين: «أن التشيّع لا يمكن أن يتجزأ إلّا إذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مستقبل بحاجة إلى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية

للتجربة الاسلامية معاً، وقد كان هناك ولآء واسع النطاق للامام على عليه السلام فى صفوف المسلمين بـاعتباره الشخص الجديد بمواصلة دور الخلفآء الثلاثة الغاصبين فى الحكم، وهذا الولآء هو الذى جآء به إلى السلطة عقيب مقتل عثمان ولكن هذا الولآء ليس تشيعاً روحياً ولا سياسياً، وإنما التشيّع الرّوحي و السياسى داخل اطاره فلا يمكن أن نعتبره مثالاً على التشيّع المجزّأ.

كما أن الإمام كان يتمتّع بولآء روحى وفكرى من عدد من كبار الصحابة فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان من قبيل سلمان وأبى ذر وعمار وغيرهم ولكن هذا لا يعنى أيضاً تشيّعاً روحياً منفصلاً عن الجانب السياسى بل انه تعبير عن ايمان اولئك الصحابة بقيادة الامام على عليه السلام للدعوة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكريّاً وسياسياً، وقد انعكس ايمانهم بالجانب الفكرى من هذه القيادة بالولآء الروحى المتقدّم وانعكس ايمانهم بالجانب السياسى منها بمعارضتهم لخلافة أبى بكر وللاتجاه الذى أدّى إلى صرف السلطة عن الإمام علىّ عليه السلام إلى غيره» وغير ذلك من الأقاويل والآرآء، فى تطوّرات التشيّع ومراحله...

أقول: ولكن الحق والصواب أن الإمامة هى علّة مبقية ومستمرّة للرسالة التى هى العلة المحدثة، وبعبارة اخرى: ان الإمامة كالروح بالنسبة إلى الرسالة التى هى كالجسم بالنسبة إلى الإمامة ملازمة لها مادامت الحياة للانسان باقية، كما أن القوّة المجرية ملازمة للقوّة المقنّنة حيث إن التقنين بدون ملاحظة التنفيذ والإجرآء عبث ولغو، وإلى ذلك المعنى أشار جل وعلا بقوله: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧).

وإنّما التشيّع بمحتواه الشيعى، وبما لهذه الكلمة من دلالة عند المحققين الخبرآء الذين هم طيب الولادة وقلب سليم، أصيل أصالة الاسلام، وجزء من محتواه، وليس هو كغيره من الطوآئف والأحزاب السياسيّة، والفِرق الطارئة التى كانت وليدة ظروف وأحداث معيّنة كما أحصتها المؤلفات فى الفرق الإسلامية ومجاميع

التأريخ وهو يعنى فيما يعنيه اختيار على بن أبيطالب عليه السلام لكمال الدين الاسلامى وتمام الرسالة المحمدية صلّى الله عليه وآله وسلّم وتبليغها من جانب، ولقيادة الأُمّة بعد النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تمام المسيرة التى قطع منها أشواطاً بعيدة لبنآء الاسلام، وقد كانت بذرة التشيّع الاولى يوم هتف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بكلمة التوحيد: «قولوا: لا إله إلّا الله تفلحوا» هتف فيهم قائلاً: «هذا ـ على بن أبيطالب عليه السلام ـ خليفتى فيكم من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا» وظل طيلة حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم يستغل الفرص والمناسبات ليؤكّد هذا الأمر وينوه بفضل علىّ عليه السلام ومقامه الرفيع حتى لا يدع مجالاً أو حجة لطامع فيها.

«الإمامة عند الشيعة منصوصة من اللّه تعالى و رسوله»
صلّى الله عليه وآله وسلّم

قال الله عزوجل: «وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمّهنّ قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيّتى قال لا ينال عهدى الظالمين» البقرة: ١٢٤)

فى صحيح مسلم (ج ٦ ص ٣- باب الخلافة فى قريش) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يزال أمرالناس ماضياً ما وليّهم إثنا عشر رجلاً كلهم من قريش».

وفى ينابيع المودة: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يكون بعدى اثنى عشر خليفة كلهم من بنى هاشم».

وفى نهج البلاغة: قال على بن أبيطالب عليه السلام: «إن الأئمة من قريش غُرِسُوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم».

يدور البحث فى المقام حول أمرين: **الأول:** النص من الله عزوجل على الإمامة والمراد بها هى الإمامة الكبرى أعنى الولاية والقيادة والخلافة والحكم.

وقد صرّح جل وعلا بأنّ الإمامة منصب إلهى يعطيه الله تعالى لمن يشآء من عباده لقوله: «إنّى جاعلك للناس إماماً» كما صرّح بأنّ الإمامة هى عهد من الله عزوجل لا ينال إلّا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله تعالى لهذا الغرض لانتفآئه عمّن تلبّس بالظلم الذين لا يستحقّون عهده تعالى وقال: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتآء الزكاة وكانوا لنا عابدين» الأنبيآء: ٧٣) وقال: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا

بآياتنا يوقنون» السجدة: ٢٤) وقال: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» القصص: ٥) وغيرها من الآيات النازلة فى شأن أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

ويمكن أن يتوهّم بعض البسطآء: أنّ مدلول الآيات المذكورة يفهم منها بأن الإمامة المقصودة هنا هى النبوّة والرسالة، وهذا خطأ فى المفهوم العام للإمامة لأنّ كل رسول هو نبى وإمام، وليس كل إمام رسول أو نبىّ، فلا تدع الآية الكريمة مجالاً للشك بأن الإمامة منصب إلهى كالنبوّة والرسالة يجعله الله عزوجل حيث يشآء، وهو عهد الله الذى نفاه عن الظالمين...

وعلى هذا الأساس تقول الشيعة الإمامية الإثنى عشرية: إن الإمامة هى أصل من اصول الدين الإسلامى لما لها من الأهميّة الكبرى والخطورة العظمى وهى قيادة خير امّة اخرجت للناس، وما تقوم عليه القيادة من فضآئل عديدة كاملة، وخصآئص فريدة من العلم والحكمة، من الحلم والعصمة، من الزهد والنزاهة، من التقوى والعفّة ومن الصلاح والشجاعة، وما إليها من الفضآئل الأخلاقية والكمالات النفسانية...

فالإمامة عند الشيعة ـ على ما صرّح فى القرآن الكريم ـ منصب إلهى كالنبوّة والرسالة يعهد به الله جل وعلا إلى من يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير ألا وهو قيادة العالم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما أنّ غير علىّ بن أبيطالب عليه السلام من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أشركوا فترة ما قبل الاسلام، فانّهم بذلك يصبحون من الظالمين، فلا يستحقّون عهدالله عزوجل لهم بالإمامة والخلافة، فبقى الإمام على بن أبيطالب عليه السلام استحق وحده دون سآئر الصحابة عهدالله تعالى بالإمامة لأنه لم يعبد إلّا الله، وقد كرّم الله تعالى وجهه دون الصحابة لأنه لم يسجد لصنم قطّ.

فى نهج البلاغة: قال الإمام على بن أبيطالب عليه السلام: «اللّهمّ إنّى أوّل من أناب، وسمع وأجاب لم يسبقنى إلّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصلاة».

وفيه: قال الامام عليه السلام: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّى لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعةً قطّ».

وإذا قيل: إن الاسلام يجبّ ما قبله؟ قلنا: نعم ولكن يبقى الفرق كبيراً بين من كان مشركاً على خلاف الفطرة وتاب، ومن كان باقياً على فطرة التوحيد نقيّاً خالصاً لم يعرف إلّا الله جل وعلا.

فى نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «فانّى وُلِدتُ على الفطرة وسبقت إلى الايمان والهجرة».

وعلى هذا كان الإمام على بن أبيطالب عليه السلام إماماً للمسلمين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم باختيار الله تعالى له، وبامامته عليه السلام قد أكمل تعالى دينه الإسلام، وأتمّ نعمته على المؤمنين، وقد أوحى إلى رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمره بأن ينصبه علماً للناس بقوله عزوجل: «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧) وقد نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودلّ الامّة عليه عليه السلام بعد حجّة الوداع فى غدير خم، فبايعوه عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهنؤه.

فى ينابيع المودّة ـ فى الباب الثلاثين: ص ١٠٤ ـ فى تفسير قوله تعالى: «قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» الرعد: ٤٣) قال القندوزى الحنفى: «قال بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيآئه وأشرف رسله، وأكرم خلقه بمنّه وتحينه وفضله العظيم بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيآئه وعباده بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «لتؤمننّ به ولتنصرنّه» آل‌عمران: ٨١) ولمّا فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصاً على بنى هاشم بقوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» ورهطك المخلصين إقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لابد أن يكون رجلاً من بنى هاشم بعد النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنه

أقربه من سآئر قريش، وأن يكون إسلامه أوّلاً ليكون واقفاً أسرار الرسالة، وبدء الوحى، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزّهاً من أعمال الجاهليّة ليكون متخلّقاً بأخلاقه ومؤدّباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده، فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلّا فى علىّ عليه السلام ».

الأمر الثانى: النصّ من الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم على الإمامة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بروايات متواترة، وأحاديث مستفيضة، وأخبار صحيحة وحسنة من الصحابة والتابعين عن النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن الإمام بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام والأئمة الأحد عشر من ولده صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم تر العامّة خلافها، فصارت الإمامة بعد النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلى بن أبيطالب عليه السلام باجماع الفريقين على ما ورد فى مآخذهم المعتبرة.

وقد كانت مهمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات شقّين: ١ـ تلقّى الوحى. ٢ـ تنفيذه. وقد تمّ الأوّل فى حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم وبقى الثانى، فلابد من شخص أن ينفذ الوحى بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الذى ينصبه النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمر الله تعالى إماماً للناس من بعده للقيام بتنفيذ الوحى الذى كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقوم به، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّما يتلقّى الأحكام منه مع تسديد إلهىّ، فالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم مبلّغ عن الله تعالى والإمام مبلّغ عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم والإمامة متسلسلة فى اثنى عشر كل سابق ينصّ على اللاحق، ويشترطون أن يكون معصوماً كالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الخطأ والخطيئة وإلّا زالت الثقة به.

وإنّ كريمة قوله تعالى: «إنى جاعلك للناس إماماً ...» صريحة فى لزوم العصمة فى الإمام لمن تدبّرها جيّداً، وأن يكون أفضل أهل زمانه فى كل فضيلة، وأعلمهم

بكل علم، لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية النفوس وتهذيبها بالعلم وصالح الأعمال: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون» البقرة: ١٥١)

والناقص لا يكون مكمّلاً والفاقد لا يكون معطياً، فالإمام فى الكمالات دون النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفوق البشر.

فالإمامة هى باختيار الله عزوجل ونصب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وحى يوحى به إليه، وهذا مما يتماشى تماماً فى أحكام الاسلام وتشريعاته كلها لقوله تعالى: «وربك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨) فكما أن الله عزوجل يختار مَن يشآء من عباده للنبوّة والرسالة ويؤيّده بالمعجزة التى هى كنصّ من الله تعالى، فكذلك يختار للإمامة من يشآء ويأمر نبيّه بالنصّ عليه.

فى ينابيع المودة: فى (الباب الخامس عشر: ص ٧٩) عن بريدة قال: «قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لكل نبيّ وصيّ ووارث، وإن علياً وصييّ ووارثى».

وفيه: عن امسلمة قالت: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن الله اختار من كل نبي وصيّاً وعليّ ووصيى فى عترتى وأهل بيتى وامّتى بعدى».

وعلى هذا الأساس فان الشيعة سلّموا أمرهم لله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يبق منهم من يدّع الخلافة لنفسه أو يطمع فيها، لا بالنصّ ولا بالإختيار أوّلاً لأن النصّ ينفى الإختيار والاستبداد والشورى، وثانياً لأن النصّ قد وقع من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أشخاص معدودين ومعيّنين بأسمآئهم، فلا يتطاول إليها منهم متطاول وإن فعل فهو فاسق خارج عن الدّين.

فى فرائد السمطين - فى السمط الثانى - للحموينى: بإسناده عن جابربن عبدالله الأنصارى قال: «دخلت على مولاتى فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقدّامها لوح يكاد ضوؤه يغشى الأبصار، فيه إثنا عشر إسماً ثلاثة فى ظاهره وثلاثة فى باطنه، وثلاثة أسمآء فى آخره وثلاثة أسمآء فى طرفه، فعددتها فاذاً هى اثنى عشر إسماً، فقلت: أسمآء مَن هذا؟ قالت: هذه أسمآء الأوصياء أوّلهم ابن عمّى

وأحد عشر من ولدي، آخرهم القآئم عليهم السلام، قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً فى ثلاثة مواضع، وعلياً علياً علياً علياً فى أربعة مواضع».

وفي إكمال الدين: باسناده عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة الثمالى (البطائنى خ) عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبآئه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حدّثني جبرئيل عن ربّ العزّة جل جلاله أنه قال: من علم أنه لا إله إلّا أنا وحدى وأنّ محمداً عبدى ورسولى، وأنّ على بن أبيطالب خليفتى، وأنّ الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتى ونجّيته من النار بعفوى، وأبحت له جوارى، وأوجبت له كرامتى وأتممت عليه نعمتى وجعلته من خاصّتى وخالصتى، إن نادانى لبّيته، وإن دعانى أجبته، وإن سئلنى أعطيته وإن سكت ابتدأته، وإن أسآء رحمته، وإن فرّمنّى دعوته، وإن رجع إلىّ قبلته، وإن قرع بابى فتحته.

ومن لم يشهد أن لا إله إلّا أنا وحدى أو شهد ولم يشهد أنّ محمداً عبدى ورسولى أو شهد بذلك ولم يشهد أن على بن أبيطالب خليفتى أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتى وصغّر عظمتى، وكفّر بآياتى وكتبى، إن قصدنى حجبته، وإن سئلنى حرمته، وإن نادانى لم أسمع ندآئه، وإن دعانى لم أسمع دعآءه، وإن رجانى خيّبته، وذلك جزآؤه منّى وما أنا بظّلام للعبيد».

ولقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة: أن لكل نبيّ من الأنبيآء الماضين وصياً معيّناً من قبل الله تعالى، ولا يجوز لنبيّ أن يموت ولم يوص لأحد ويترك شرعه مهملاً تتجاذبه الآرآء وتتلاعبه الأهوآء... وكذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكيف لا يوصى وهو خاتم الرسل، ودينه أكمل الأديان، وكتابه الخالد؟؟؟!!!

ألا ترى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد استوزر علياً عليه السلام يوم الإنذار ويوم الغدير وغيرهما من المواقف والمناسبات العديدة المسجلة فى كتب التواريخ

والسير والأحاديث وحتى فى مرض موته دعا القوم لأن يكتب كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً فخالفه عمربن الخطاب ومنع من الكتابة وقال: «إنّ هذا الرجل ليهجر» وقال: «حسبنا كتاب الله» وأهان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أهان، أو لا يعلم الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن الكتاب بينهم؟!

ولو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ترك الوصاية لكان مخالفاً لمن قبله من الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد كان تعيين الوصى من الله تعالى ونصبه واجباً على الأنبيآء عليهم السلام ولذلك نصبوا أوصيآئهم فى حياتهم بأمر الله تعالى لامن عند أنفسهم لأن النبي والوصيّ والإمام لا يجوز إختياره لأحد لقصورهم عن معرفة من هولها أهل، فاختيار النبي والوصى والإمام موكول إلى الله جل وعلا وحده لا لغيره لأنه تعالى وحده هو العالم بالسرآئر وما تكنّ فى الصدور لقوله جل وعلا: «وربك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة ـ وربك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون» القصص: ٦٨-٦٩) وهو الذى يرسل الرسل إلى الامم لا يتوقف أمرهم على إرضاء الناس وكذلك أمر الوصاية لانها ركن من أركان الدين كالرسالة، والله عزوجل لا يدع فروع دينه إلى المؤمنين والمؤمنات تتجاذبه أهوائهم كل يجرّ إلى قرصه إذ قال: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» الأحزاب: ٣٦) لأنهم غير معصومين، فضلا عن غيرهم من المنافقين وعبيد الدنيا، فاذا كان هكذا أمر فروع الدين، فكيف يدع الله سبحانه أمر الوصاية وهى ركن من أركان الدين، وأصل من اصوله كالنبوة إلى الامّة إطلاقاً، وليس للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها إلّا نصب الإمام علماً للناس لا اختياره: «يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧)

فرأى بعض السفلة وعبيد الأهوآء بأن الإمامة تتعيّن من أحد الطريقين طولياً: **الأوّل:** بالنص **والثاني:** بانتخاب الجماعة وإختيار الامة رأى على خلاف كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وعلى خلاف العقل السليم وإجماع الامة الصالحة.

فيالله وللصحيفة المسودّة المشومة! فيالله وللسقيفة السخيفة! فيالله وللشورى المنحطّة!!!

ولقد كانت بيعة أبى بكر إستبدادية مطلقة كما اعترف بها عمربن الخطاب قائد السقيفة السخيفة إذ قال: «كانت بيعة أبى بكر فلتة» إذا اجتمعت الثلاثة: أبوبكربن أبى قحافة وعمربن الخطاب وأبو عبيدة الجرّاح المستأجر فى السقيفة السخيفة، فتداهنوا، ثم أعلنوا بيعة الامّة والجماعة، فأرادوا بأنفسهم الثلاثة، الامة والجماعة! وما كان غيرهم امّة ولا جماعة! فيكون كل جماعة وامة هكذا عند العامة! وهل هذا إلّا إستبداد وكذب محض... فتأمّل وانصف إن كنت حرّاً طيّب الولادة، وإلّا فلن نترقب منك الإنصاف إذ قال الله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسوآء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» يس: ٩-١٠)

﴿جملة اصول مذهب الشيعة وفروعه﴾

قال الله تعالى: «قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى»
يوسف: ١٠٨)

نحن شيعة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين نأخذ اصول ديننا وفروعه من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الواردة عن طريق أئمتنا المعصومين عليهم السلام أو المؤيّدة بأفعالهم أو أقوالهم أو تقريراتهم مع استضآئتنا بنور العقل السليم وقد وردت جملة اصول مذهبنا وفروعه عن أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله لا يسع مقام الإختصار بذكر جميعها فنشير إلى ما ورد عن الإمام الثامن على بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة والثنآء:

فى **تحف العقول**: ـ باب ما روى عن الإمام الرضا عليه السلام وجوابه عليه السلام للمأمون فى جوامع الشريعة لمآ سئله عليه السلام جمع ذلك ـ روى أن المأمون بعث الفضل بن ذاالرياستين إلى الرضا عليه السلام فقال له: إنّى أحبّ أن تجمع لى من الحلال والحرام والفرآئض والسنن فانك حجّة الله على خلقه ومعدن العلم، فدعا الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس وقال عليه السلام للفضل: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«حسبنا شهادة أن لا إله إلّا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، قيّوماً سميعاً بصيراً قوياً قائماً باقياً نوراً عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور، خلق كل شئ، ليس كمثله شئ لا شبه له ولا ضدّ ولاندّ ولا كفو، وأن

محمداً عبده ورسوله وأمينه وصفوته من خلقه، سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبيّ بعده ولا تبديل لملّته ولا تغيير، وأن جميع ما جآء به محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه هو الحق المبين، نصدق به وبجميع مَن مضى قبله من رسل الله وأنبيآئه وحججه، ونصدّق بكتابه الصادق: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وأنه كتابه المهمين على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه و منسوخه، وأخباره، لا يقدر واحد من المخلوقين أن يأتي بمثله.

وأن الدليل والحجة من بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّ أميرالمؤمنين والقآئم بامور المسلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيّه، والذى كان منه بمنزلة هارون من موسى، عليّ بن أبيطالب عليه السلام أميرالمؤمنين وإمام المتقين وقآئد الغرّ المحجّلين، يعسوب المؤمنين وأفضل الوصيّين بعد النبيّين، وبعده الحسن والحسين عليهما السلام واحداً بعد واحد إلى يومنا هذا عترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعلمهم بالكتاب والسنّة وأعدلهم بالقضيّة، وأولاهم بالإمامة فى كل عصر وزمان، وأنهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجّة على أهل الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وأن كل من خالفهم ضالّ مضلّ، تارك للحق والهدى، وأنهم المعبّرون عن القرآن، الناطقون عن الرسول بالبيان، مَن مات لا يعرفهم ولا يتولّاهم بأسمائهم وأسمآء آبآئهم مات ميتة جاهليّة.

وأنّ مِن دينهم الورع والعفّة والصدق والصلاح والإجتهاد وأدآء الأمانة إلى البرّ والفاجر، وطول السجود، والقيام بالليل، واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار، وبذل المعروف، وكفّ الأذى وبسط الوجه والنصيحة والرحمة للمؤمنين، والوضوء كما أمرالله فى كتابه: غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين، واحد فريضة، واثنان اسباغ، ومن زاد أثم ولم يؤجر، ولا ينقض الوضوء إلّا الريح والبول والغائط والنوم والجنابة، ومن مسح على الخفّين فقد خالف الله ورسوله وكتابه، ولم يجز عنه وضوئه، وذلك أن عليّاً عليه السلام

خالف القوم فى المسح على الخفّين فقال له عمر: رأيت النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم يمسح، فقال على عليه السلام: قبل نزول سورة المآئدة أو بعدها؟ قال: لا أدرى، قال على عليه السلام: لكننى أدرى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يمسح على خفّيه مذ نزلت سورة المائدة.

والإغتسال من الجنابة والإحتلام والحيض وغسل من غسل الميت فرض، والغسل يوم الجمعة، والعيدين ودخول مكّة والمدينة، وغسل الزيارة وغسل الاحرام ويوم عرفة وأوّل ليلة من شهر رمضان، وليلة تسع عشرة منه وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين منه سُنّة.

وصلاة الفريضة: الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشآء الآخرة أربع ركعات، والفجر ركعتان، فذلك سبع عشرة ركعة، والسُنّة أربع وثلاثون ركعة: منها ثمان قبل الظهر، وثمان بعدها، وأربع بعد المغرب وركعتان من جلوس بعد العشآء الآخرة ـ تعدّ بواحدة ـ وثمان فى السحر والوتر ثلاث ركعات وركعتان بعد الوتر، والصلاة فى أوّل الأوقات، وفضل الجماعة على الفرد بكل ركعة ألفى ركعة، ولا تصلّ خلف فاجر، ولا تقتدى إلّا بأهل الولاية، ولا تصلّ فى جلود الميتة، ولا جلود السباع، والتقصير فى أربع فراسخ، بريد ذاهباً وبريد جائياً، إثنى عشر ميلاً، وإذا قصرت أفطرت، والقنوت فى أربع صلوات، فى الغداة والمغرب والعتمة، ويوم الجمعة، وصلاة الظهر، وكل القنوت قبل الركوع وبعد القراءة والصلاة على الميّت خمس تكبيرات، وليس فى صلاة الجنآئز تسليم لأن التسليم فى الركوع والسجود وليس لصلاة الجنازة ركوع ولا سجود، ويربع قبر الميّت، ولا يسنم والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة مع فاتحة الكتاب.

والزكاة المفروضة من كل مأتى درهم خمسة دراهم، ولا تجب فيما دون ذلك، وفيما زاد فى كل أربعين درهم درهماً ولا تجب فيما دون الأربعيات شئ، ولا تجب حتى يحول الحول، ولا تعطى إلّا أهل الولاية والمعرفة، وفى كل عشرين ديناراً

نصف دينار، والخمس من جميع المال مرّة واحدة، والعشر من الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وكل شئ يخرج من الأرض من الحبوب إذا بلغت خمسة أوسق، ففيه العشر إن كان يسق سيحاً، وإن كان يسق بالدوالى ففيه نصف العشر للمعسر والموسر، وتخرج من الحبوب القبضة والقبضتان لأن الله لا يكلّف نفساً إلّا وسعها ولا يكلّف العبد فوق طاقته، والوسق ستون صاعاً والصّاع ستة أرطال وهو أربعة أمداد، والمدّرطلان وربع برطل العراق، وقال الصادق عليه السلام: هو تسعة أرطال بالعراق، وستّة أرطال بالمدنى، وزكاة الفطر فريضة على رأس كل صغير أو كبير حرّ أو عبد من الحنطة نصف صاع، ومن التمر والزبيب صاع، ولا يجوز أن تعطى غير أهل الولاية لأنها فريضة.

وأكثر الحيض عشرة أيام وأقلّه ثلاثة أيام، والمستحاضة تغتسل وتصلّى والحآئض تترك الصلاة ولا تقضى، وتترك الصيام وتقضيه.

ويصام شهر رمضان لرؤيته ويفطر لرؤيته، ولا يجوز التراويح فى جماعة وصوم ثلاثة أيام فى كل شهر سنّة من كل عشرة أيام: يوم خميس من العشر الأوّل، والأربعآء من العشر الأوسط، والخميس من العشر الآخر، وصوم شعبان حسن وهو سنّة وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شعبان شهرى وشهر رمضان شهرالله» وإن قضيت فأت شهر رمضان متفرّقاً أجزأك .

وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، والسبيل زاد وراحلة، ولا يجوز الحج إلّا متمتّعاً ولا يجوز الإفراد والقران الذى تعمله العامة، والإحرام دون الميقات لا يجوز قال الله: «وأتموا الحج والعمرة لله» ولا يجوز فى النسك الخصى لأنه ناقص ويجوز الموجوه.

والجهاد مع إمام عادل، ومَن قاتل فقُتِل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد، ولا يحلّ قتل أحد من الكفار فى دار التقية إلّا قاتل أو باغ، وذلك إذا لم تحذر على نفسك ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم، والتقية فى دار التقية واجبة، ولا حنث على مَن حلف تقية يدفع بها ظلماً عن نفسه.

والطلاق بالسنّة على ما ذكرالله جل وعزّ وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يكون طلاق بغير سنّة وكل طلاق يخالف الكتاب فليس بطلاق، وكل نكاح يخالف السنة فليس بنكاح، ولا تجمع بين أكثر من أربع حرآئر، وإذا طلقت المرأة ثلاث مرات للسنّة لم تحل له حتّى تنكح زوجاً غيره وقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «اتقوا المطلقات ثلاثاً فانهنّ ذوات أزواج».

والصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فى كل المواطن عند الرياح والعطاس وغير ذلك، وحبّ أوليآء الله وأوليآئهم، وبغض أعدائه (أعدآئهم خ) والبرآءة منهم ومن أئمتهم، وبر الوالدين وإن كانا مشركين فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً لأن الله يقول: «اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما» قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «ما صاموا لهم ولا صلّوا ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم ثم قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: من أطاع مخلوقاً فى غير طاعة الله جل وعزّ فقد كفر واتخذ إلهاً من دون الله».

وذكاة الجنين ذكاة امّه وذنوب الأنبيآء صغار موهوبة لهم بالنبوّة، والفرآئض على ما أمرالله لاعول فيها ولا يرث مع الوالدين والولد أحد إلّا الزوج والمرأة، وذوالسهم أحق ممّن لا سهم له، وليست العصبة من دين الله، والعقيقة عن المولود الذكر والانثى يوم السابع، ويحلق رأسه يوم السابع، ويسمّى يوم السابع، ويتصدّق بوزن شعره ذهباً أو فضّة يوم السابع.

وأن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ولا تقل بالجبر ولا بالتفويض، ولا يأخذ الله عزوجل البرئ بجرم السقيم، ولا يعذّب الله الأبنآء والأطفال بذنوب الآبآء، وانه قال: «ولا تزر وازرة وزر اخرى» «وأن ليس للانسان إلّا ما سعى» والله يغفر ولا يظلم ولا يفرض الله على العباد طاعة من يعلم أنه يظلمهم ويغويهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفى من عباده مَن يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان من دونه، وأن الاسلام غير الايمان، وكل مؤمن مسلم، وليس

كل مسلم مؤمناً، لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يقتل النفس التى حرّم الله بغير الحق وهو مؤمن، وأصحاب الحدود لا مؤمنين ولا كافرين.

وأن الله لا يدخل النار مؤمناً، وقد وعده الجنة والخلود فيها، ومن وجبت له النار بنفاق أو فسق أو كبيرة من الكبآئر لم يبعث مع المؤمنين ولا منهم، ولا تحيط جهنّم إلّا بالكافرين، وكل إثم دخل صاحبه بلزومه النار فهو فاسق ومن أشرك أو كفر أو نافق أو أتى كبيرة من الكبائر والشفاعة جائزة للمستشفعين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان واجب.

والايمان أدآء الفرآئض واجتناب المحارم، والايمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، والتكبير فى الأضحى خلف عشر صلوات يبتدئ من صلاة الظهر من يوم النحر وفى الفطر فى خمس صلوات يبتدئ بصلاة المغرب من ليلة الفطر، والنفسآء تقعد عشرين يوماً لا أكثر منها، فان طهرت قبل ذلك صلّت وإلّا فالى عشرين يوماً، ثمّ تغتسل وتصلّى وتعمل عمل المستحاضة.

ويؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير، والبعث بعد الموت والحساب والميزان والصراط والبرآءة من أئمة الضلال وأتباعهم، والموالاة لأوليآء الله وتحريم الخمر قليلها وكثيرها وكل مسكر خمر، وكلّما أسكر كثيره فقليله حرام، والمضطر لا يشرب الخمر فانها تقتله، وتحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير، وتحريم الطحال فانه دم، والبحرى والطافى والمار ماهى والزمير، وكل شئ لا يكون له قشور، ومن الطير ما لا تكون له قانصة ومن البيض كلّما اختلف طرفاه فحلال أكله، وماستوى طرفاه فحرام أكله واجتناب الكبآئر، وهى قتل النفس التى حرّم الله وشرب الخمر وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل مال اليتامى ظلماً وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وما اهلّ به لغير الله من غير ضرورة به.

وأكل الربا والسحت بعد البيّنة والميسر والبخس فى الميزان والمكيال، وقذف المحصنات والزنا واللواط والشهادات الزور، واليأس من روح الله والأمن من مكر الله

والقنوط من رحمة الله ومعاونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس وحبس الحقوق من غير عسر والكبر والكفر والإسراف والتبذير، والخيانة وكتمان الشهادة والملاهى التى تصدّ عن ذكرالله مثل الغنآء وضرب الأوتار والاصرار على الصغائر من الذنوب، فهذا اصول الدين. والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبيه وآله وسلّم تسليماً».

﴿تواتر مذهب الشيعة عن أهل بيت الوحي﴾

صلوات الله عليهم أجمعين

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «والله ما أسمعهم الرسول شيئاً إلّا وها أناذا اليوم مسمعكموه».

وفيه: قال الإمام علي عليه السلام: «تالله لقد عُلِّمتُ تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضيآء الأمر، ألا وإنّ شرآئع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضلّ وندم».

وفيه: قال الإمام علي عليه السلام: «إنّما مثلي بينكم مَثَلُ السراج في الظلمة ليستضيئ به من ولجها، فاسمعوا أيّها الناس وعوا، وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا».

ولا يخفى على ذي مسكة وطيب ولادة أن الشيعة الإمامية الاثني عشر إنقطعوا خلفاً عن سلف في اصول الدين وفروعه إلى أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فرأيهم في الاصول والفروع وفي سآئر ما يؤخذ من الكتاب والسنّة وفيما يتعلق بهما من العلوم والفنون تبع لرأى أهل بيت الوحي عليهم السلام، لانهم كانوا أزمّة الحق وأعلام الدين، وألسنة الصدق، وكانوا هم شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن الكريم، ووردوهم وُرود الهيم العطاش، فلا يعولون في شئ من ذلك إلّا عليهم، ولا يرجعون فيه إلّا إليهم.

فالشيعة لا يدينون الله جل وعلا ولا يتقرّبون إليه تعالى إلّا بمذهب أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، لا يجدون عنه حولاً، ولا يرتضون بدلاً على ذلك، ولقد مضى سلفهم الصالح من زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة التسعة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام إلى زماننا هذا وإلى يوم القيامة، ولقد اخذ الفروع والاصول عن كل واحد منهم جمّ غفير من ثقات الشيعة وحفاظهم وافر، وعدد من أهل الورع والأمانة والضبط والإتقان يربو على التواتر، فرووا ذلك لمن بعدهم على سبيل التواتر القطعى، ومَن بعدهم رواه لمن بعده على هذا النهج، وهكذا كان الأمر فى كل خلف وجيل، إلى أن انتهى إلينا كالشمس الضاحية ليس دونها حجاب.

فنحن الشيعة الإمامة الاثنى عشرية اليوم فى الفروع والاصول على ما كان عليه أئمتنا من أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، روينا بقضنا وقضيضنا مذهبهم عن جميع آبآئنا، وروى جميع آبآئنا ذلك عن جميع آبآئهم، وهكذا كانت الحال فى جميع الأجيال إلى زمن النقيّين العسكريين، إلى الرضايين الجواديين، إلى الكاظمين الصادقين، إلى العابدين الباقرين، إلى السبطين الشهيدين، إلى أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وإلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فلا يسع المقام ونحن على جناح الإختصار بذكر مَن صحب أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله من سلف الشيعة الذين سمعوا أحكام الدين منهم وحملوا علوم الاسلام منهم حتّى قوّى بهم الايمان الذين قال الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه السلام فيهم:

فى نهج البلاغة: «أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذوالشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأُبردوا برؤسهم إلى الفجرة؟

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكآء ثم قال عليه السلام:

أوّهْ على إخوانى الذين قرؤا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفَرْض فأقاموه، أحيَوا

السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه».

فحسبك ما خرج من أقلام أعلامهم من المؤلفات الممتعة التى لا يمكن استيفآء عدّها فى هذا الإملآء، وقد اقتبسوها من نور أئمة الهدى من أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، واغترفوها من بحورهم، سمعوها من أفواههم، وأخذوهامن شفاههم، فهى ديوان علمهم، وعنوان حكمهم، الفت على عهدهم، فكانت مرجع الشيعة من بعدهم، وبها ظهر إمتياز مذهب أهل بيت الوحى عليهم السلام على غيره من سائر المذاهب وفرق المسلمين، فانا لا نعرف أنّ أحداً من أتباع رؤسآء المذاهب الأربعة ومقلّديهم مثلاً ألّف على عهدهم كتاباً فى أحد مذاهبهم، وإنّما ألّف الناس على مذاهبهم، فأكثروا بعد انقضآء زمنهم.

وذلك حيث تقرّر حصر التقليد فيهم، وقصر الرئاسة فى الفروع عليهم، وكانوا أيام حياتهم كسآئر من عاصرهم من الفقهآء والمحدّثين من أنفسهم، ولم يكن لهم إمتياز على من كان فى طبقتهم، ولذلك لم يكن على عهدهم من يهتمّ بتدوين أقوالهم وآرآئهم... إهتمام الشيعة بتدوين أقوال ائمتها المعصومين عليهم السلام - على رأيها - فان الشيعة من أوّل نشأتها لا تبيح الرجوع فى الدين إلى غير أئمتّهم، ولذلك عكفت هذا العكوف عليهم، وانقطعت فى أخذ معالم الدين إليهم، وقد بذلت الوسع والطاقة فى تدوين كل ماشا فهوها به، واستفرغت الهمم والعزآئم فى ذلك بما لا مزيد عليه، حفظاً للعلم الذى لا يصحّ على رأى الشيعة عندالله سواه تبعاً لمولاهم أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

فى نهج البلاغة: قال عليه السلام: «فانظر أيّها السآئل فمادلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه، ولا فى سنّة النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وأئمة الهدى أثره فكِل علمه إلى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك».

وحسبك - مما كتبوه أيام الامام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام - تلك الاصول الأربع مأة، وهى أربعمأة مصنَّف لأربع مأة مصنِّف كتب من

فتاوى الامام الصادق عليه السلام على عهده ولأصحاب الإمام الصادق عليه السلام غيرها هو اضعاف اضعافها فراجع فى محله.

مع أن الآيات الكريمة والروايات المتواترة والعقل السليم كلها يحكم على كل إنسان أن يأخذ بمذهب أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله لانهم كانوا موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحى والتنزيل، فانقطعت الشيعة إليهم فى اصول دينهم وفروعه، وفى الأخذ بمعارف الكتاب والسنة، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب، نزولاً على حكم الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة، وتعبّداً بسنّة سيد الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا أظنّ أن أحداً من أعلام العامّة ينكر تفضيل أهل بيت الوحى عليهم السلام على غيرهم من كبار الصحابة وصغارهم مع إعترافهم بأنّ اهل بيت الوحى عليهم السلام هم سفن نجاة الامّة وباب حطتها، وأمانها من الإختلاف فى الدين وأعلام هدايتها، وهم ثقل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبقيته فى امّته، وقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم: «فلا تقدموهم فتهلكوا» «ولا تقصروا عنهم فتهلكوا» «ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم» أخرجه الطبرانى فى حديث الثقلين ونقله عنه ابن حجر فى تفسير الآية الرابعة: «وقفوهم انهم مسئولون» من الآيات التى أوردها فى (الباب ١١ من صواعقه ص ٨٩) وقد دان كبار الصحابة بمذهب أهل بيت الوحى عليهم السلام من عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى بن أبيطالب عليه السلام وتبعهم كبار التابعين على ذلك بلا فترة بينهم إلى الآن.

ولا أظنّ أن تخالط أحداً منهم شبهة فى أهل بيت الوحى عليهم السلام أو تلابسه غمّة فى تقديمهم على مَن سواهم إذ آذن أمرهم بالجلآء، فأربوا على الأكفآء وتميّزوا عن النظرآء، فانهم وحدهم حملوا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علوم الأنبيآء والمرسلين من الأولين والآخرين، وعقلوا عن سيد المرسلين أحكام الدنيا والدين، ولذا قرنهم بمحكم الكتاب الكريم، وجعلهم قدوة لأُولي الألباب، وسفناً للنجاة إذا طغت لجج النفاق، وأماناً للامّة من الإختلاف اذا عصفت عواصف الشقاق،

وباب حطّة يغفر لمن دخلها، والعروة الوثقى لا انفصام لها.

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منصوبة فاين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟! وهم أزمّة الحق وأعلام الدينَ وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ورِدوهم ورود الهيم العطاش، أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنه يموت من مات منّا وليس بميّت، ويبلى مَن بلى منّا وليس ببال» فلا تقولوا بما لا تعرفون، فان أكثر الحق فيما تنكرون، وأعذروا مَن لا حجّة لكم عليه، وأناهو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم راية الايمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام وألبستكم العافية من عدلى وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى، وأريتكم كرآئم الأخلاق من نفسى، فلا تستعملوا الرأى فيما لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل إليه الفكر».

قوله عليه السلام: «الثقل الأكبر» هو القرآن الكريم، و «الثقل الأصغر» هو ولداه: الحسن والحسين والأئمة التسع من ولد الحسين عليهم السلام.

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «وإنّى لعلى بيّنة من ربّى ومنهاج من نبيّى، وإنّى لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً، انظروا أهل بيت نبيّكم فألزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم فى رِدىً، فان لَبَدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

وفيه: قال الامام على عليه السلام ـ فى أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله ـ: «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَمِ منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعآئم الاسلام وولآئج الاعتصام، بهم عاد الحق فى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سِماع ورِواية، فان رواة العلم كثير، ورعاته قليل».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السلام ـ فيهم عليهم السلام: «عترته خير العتر، واسرته خير الأُسر، وشجرته خير الشجر، نبتت فى حرم، وبسقت فى كرم، لها فروع طوال، وثمرة لا تنال».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّى سارقاً، فيهم كرآئم القرآن، وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رآئد أهله، وليُحضر عقله».

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله فانهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدّين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه ومَوْئل حِكَمِه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم أقام انحنآء ظَهره وأذهب ارتعاد فرآئصه».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «بنا اهتديتم فى الظلمآء، وتسنّمتم العليآء وبنا انفجرتم عن السّرار وُقِرَ سَمْعٌ لم يفقه الواعية».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «أيّها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ وامتاحوا من صفوعين قد رُوِّقَتْ من الكَدَر، عبادالله لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا إلى أهوآئكم، فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرفٍ هارٍ، ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع لرأيٍ يُحدثه بعد رأى، يريد أن يُلصِقَ ما لا يلتصق، ويُقرّب ما لا يتقارب».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «نحن شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة وعدوّنا

ومبغضنا ينتظر السطوة».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا؟ كَذِباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إنّ الأئمة من قريش غُرِسوا فى هذا البطن من هاشم: لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم» وقال عليه السلام فيمن خالفهم: «آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً».

وفى صواعق المحرقة ـ فى آخر باب خصوصياتهم: ص ١٤٢) قال الامام على عليه السلام: «نحن النجبآء، وافراطنا افراط الأنبيآء، وحزبنا حزب الله عزوجل والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوّى بيننا وبين عدوّنا فليس منّا».

وفيه: فى (أواخر باب وصية النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى أهل بيته عليهم السلام ص ١٣٧): «وخطب الإمام المجتبى أبو محمد الحسن السبط سيد شباب أهل الجنّة فقال: «اتقواالله فينا فإنّا امراؤكم» الخطبة.

وفيه: فى (الفصل الأوّل من الباب ١١ ص ٩٠ فى تفسير الآية الخامسة: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» وكان الإمام أبو محمد على بن الحسين زيدالعابدين وسيّد الساجدين عليه السلام إذا تلا قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا اتقواالله وكونوا مع الصادقين» يدعوا الله عزوجل دعآء طويلاً، يشتمل على طلب اللحقوق بدرجة الصادقين، والدرجات العالية، ويتضمّن وصف المحن وما انتحتله المبتدعة لأئمة الدين والشجرة النبوية، ثم يقول: «وذهب آخرون إلى التقصير فى أمرنا، واحتجّوا بمتشابه القرآن، فتأوّلوا بآرآئهم، واتهموا مأثور الخبر فينا ـ فإلى مَن يفزع خلف هذه الامّة وقد درست أعلام هذه الملّة، ودانت الامة بالفرقة والإختلاف، يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: «ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جآءهم البينات» فمَن الموثوق به على إبلاغ الحجّة وتأويل الحكم إلّا أعدال الكتاب وأبنآء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق

سدى من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وبرأهم من الآفات، وافترض مودّتهم فى الكتاب».

وإلى غير ذلك من النصوص المأثورة عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام التى تمثل مذهب الشيعة وتواترها عنهم عليهم السلام.

«الشيعة والسنّة النبويّة»

قال الله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا اطيعواالله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ـ ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهدآء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله» النسآء: ٥٩ و ٦٩ و ٨٠)

فى نهج البلاغة: قال مولى المُوَحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبى‌قحافة، وانه ليعلم أن محلّى منها محل القطب من الرحىٰ، ينحدر عنّى السيل ولا يرقى إلىّ الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتإى بين أن أصول بيدٍ جذّآء أو أصبر على طخية عميآء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجىٰ، فصبرت وفى العين قذىً وفى الحلق شجاً أرىٰ تراثى نهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ـ فيا عجباً بينا هو يستقيلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها فى حوزة خشنآء، يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم، فمُنِىَ الناس لعمرالله بخبط وشماس وتلوّنٍ واعتراض، فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم أنّى أحدهم، فيالله وللشورى...»

أقول: ولم يرو لنا أحد من المحدّثين وأصحاب الرواية، والمحققين وأصحاب

الدراية من الشيعة وأصحاب السير والتواريخ من العامة أنّ هذا الكلام ليس من كلام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ولا يرتاب أحد منهم أنّ هذا جآء لبيان ماهيّة خلافة الخلفآء الثلاثة: أبى بكربن أبى قحافة وعمربن الخطاب وعثمان بن عفان،ومن البديهى أنه ليس ورآء الحق والباطل شئ، فإذاً نتساءل كل مَن كان حرّاً ذامسكة ولا نعبأ باجرآء المستعمرين وخبيث الولادة فنذرهم فى طغيانهم يعمعون:

١ـ أكان على بن أبيطالب عليه السلام فى كلامه هذا صادقاً أم كاذباً، حقاً أم باطلاً، مطيعاً لأمرالله تعالى أم عاصياً؟؟؟

٢ـ أكان هؤلآء الثلاثة اولى الأمر الذين كان يجب على علىّ بن أبيطالب عليه السلام والمؤمنين إطاعتهم، فخالف علىّ عليه السلام وكبار الصحابة كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار ومَن إليهم من الصحابة الصادقين، أمر الله تعالى وعصوه؟ ولماذا قال عليه السّلام فيهم هذا الكلام؟

٣ـ إذا كان على بن أبيطالب عليه السلام والذين معه من أعيان الصحابة مطيعين لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان علىّ عليه السلام اولى الأمر تطيعه الشيعة بأمرالله تعالى فما شأن هؤلاء الثلاثة الذين تطيعهم العامة حتى اليوم؟

٤ـ أكانت إطاعة الغاصبين العصاة والظالمين البغاة هى اتباع السنّة؟!

٥ـ أولم تعلم العامة أن هؤلآء الثلاثة وأذنابهم قد خالفوا أوامرالله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حياته وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

٦ـ هل تكون قصّة التخلّف عن إمارة اسامة، وقضيّة وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتابته فى مرض موته صلّى الله عليه وآله وسلّم وإهانة عمربن الخطاب وما إليها من القصص التى اسودّت وجوه التأريخ مخفيّة على العامة؟!

٧ـ لو كانت إطاعة الطغاة هى السنّة لكان جميع العصاة من جميع الملل حتى منكرى التوحيد أهل السنّة؟

٨ـ أو لم تكن هذه السنّة المختلقة كلمة حق يراد بها الباطل؟

٩- أو لم تكن كلمة السنّة هذه كلمة خديعة ماكرة لفّظ بها هؤلآء الطغاة لمحو السنّة؟

١٠- أو لم تكن السنّة منهم لتخدير الأفكار وتحميق عوام النّاس؟ تكن كلمة السنّة على خلاف حقيقة السنّة؟ إسم الكتاب (حسبنا كتاب الله) على خلاف واقع الكتاب؟ ولفظ الإسلام على خلاف أصل الإسلام؟؟؟

في نهج البلاغة: قال الامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «عليكم بطاعة من لا تُعذرون بجهالته».

ولعمرى أن علمآء العامة القدمآء والمتأخرين يعلمون ـ ولكن العلل تمنعهم من الإقرار والبيان، وإن كان بعضهم إعترفوا وأعلنوا ـ أن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية هم الذين أطاعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم واولى الأمر منهم، وأخذوا بالسنّة السنيّة والطريقة النبويّة التى جآء بها سيّد الأنبيآء والمرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يحيدوا عنها قيد شعرة أبداً من يوم إعلان الدعوة إلى الآن، وما بعد اليوم، وهم وحدهم متمسّكون بالعروة الوثقى، وسالكون صراط السنّة المستقيم، وآخذون عن أهل بيت الوحى الذين هم معصومون عن الخطأ والخطيئة، سنّة متبعة لا ريب فيها، ولا ارتياب قيمة لاعوج فيها ولا اعوجاج، لأنهم لا يأخذون برواية إلّا من طريق أئمّتهم المعصومين بسندهم الموثوق عن إمام معصوم عن إمام مثله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن جبرئيل عليه السلام عن الله جل وعلا.

ولم يرو لنا أصحاب الرواية والدراية، والسير والتواريخ أنّ أحداً من الأئمة الاثنى عشر أخذ من صحابيٍّ أو تابعيٍّ أو غيره، فقد أخذ الناس العلم عنهم، ولم يأخذوه عن أحد، وقد كانوا هم مستحفظين علم الله تعالى، يصونون مَصونه ويفجّرون عيونه...

قال الإمام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام: «عجباً للناس يقولون: أخذوا علمهم كله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعلموا به واهتدوا ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به ونحن أهله وذريته! فى منازلنا انزل الوحى

ومن عندنا خرج العلم إلى الناس أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟!».

وقال الإمام الخامس محمد بن عليّ الباقر عليه السلام: «لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا ولكنّا نحدّثهم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يكنز هؤلآء ذهبهم وفضّتهم».

وقال الامام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين، وحديث أميرالمؤمنين حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحديث رسول الله قول الله».

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام في ـ أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله ـ: «هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق».

وفيه: قال الإمام علي عليه السّلام: «أيّها الناس إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمرالله فيه».

وفيه: قال الامام علي عليه السلام: «فاذا حُكِمَ بالصدق في كتاب الله فنحن أحقّ الناس به وإن حُكِمَ بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنحن أولاهم به».

وقال الامام الصادق عليه السلام: «من حَدَّث عنّا بحديث فنحن مسائلوه عنه يوماً، فان صدق علينا فانما يصدق على الله وعلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإن كذب علينا فانما يكذب على الله و رسوله صلّى الله عليه و آله وسلّم، لأنا إذا حدّثنا لا نقول: قال فلان وفلان، إنما نقول: قال الله وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم».

ولذلك لا تعمل الشيعة بأيّ حديث ورد عن أيّ محدث، أو رواية رُوِيَتْ عن أيّ راوٍ إلّا إذا كانت موافقة للروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي

المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين يصحّحها القرآن الكريم عند عرضها عليه ، لأنّهم يعلمون علم اليقين ما حدث فى عصر بنى اميّة خصوصاً فى زمن الطاغية: «معاوية» ، العصر الذى صار فيه الحديث متجراً يُعطى الراوى اجرة على حسب ما يكون وقع حديثه فى النفوس، وتأثيره فيها مدحاً أو قدحاً كما فى رواية رواها ثقات معاوية: «الأُمنآء على الدين ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية» وكرواية جعله كاتب الوحى! وقد كان معاوية وأبوه من طلقآء فتح مكة، عام الثمانية من الهجرة، ثم ما قام معاوية بالمدينة بعدها حتّى توفّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ! فمن أين كان معاوية يكتب الوحى؟ أقبل البعثة أم بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وكرواية أنه خال المؤمنين، وكحديث يوم فتح مكة: «من دخل دار أبى سفيان كان آمناً» كأنّ بيته صار حرماً كحرم البيت الحرام وصاحبه من الطلقآء؟!

والخطب الأفظع انه كثرت الروايات فى ذمّ الإمام على أميرالمؤمنين عليه السلام وشتمه وشتم آله عليهم السلام على سبعين ألف منبر، وكيفيّة الشتم جآء فى كثير من مصادر العامة، غير أنّ قلمنا لم يطاوعنا في تسجيل اللفظ بعينه والمشتكى إلى الله المنتقم الجبّار.

أفيشتم مثل الإمام أميرالمؤمنين وأهل بيته الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد جهم الله عزوجل فى قرآنه المبين اوصى الله تعالى بهم فى قوله جل وعلا: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى» الشورى: ٢٣) وقد أوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهم فى رواية امّ سلمة وغيرها على ما رواها العامة فى أسفارهم: «من سبّ علياً فقد سبّنى، ومن سبّنى فقد سبّ الله، ومَن سبّ الله أكبّه الله على منخريه فى النار»؟

أفيقال لمثل معاوية ومن حذا حذوه مسلم أيها العامة؟ فلا وربك لا حظّ لهم من الاسلام إلّا ظاهراً، وليتهم بقوا على ما كانوا عليه من الشرك والكفر لا تسع نطاق الاسلام أكثر مما هو عليه الآن.

ولتلك الروايات الموضوعة من أُجرآء الخلفآء الثلاثة وعملاء معاوية، لا تقبل

الشيعة رواية عن مثل هؤلآء الرواة الوضّاعين الدساسين الدجّالين كأبى هريرة وانس بن مالك والمغيرةبن شعبة وأضرابهم، وقد سمّوا هؤلآء الطغاة الغاصبين أنفسهم ومَن إليهم بأهل السنة لمحو السنة وتخدير الأفكار وتحميق عوام الناس وكيداً لشيعة الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

ولعمرى أنّ الشيعة فى الحقيقة وفى الواقع هم أهل سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فانهم أخذوا السنّة من منبعها العذبة الصافية استقاها المحدّثون الأبرار والرواة الأخيار وقد كانوا هم يأخذون الحديث والسنّة النبوية عن أئمتهم وسادتهم وقادتهم، ويتلقّون منهم كمن يتلق عن سيّد الأنبيآء والمرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّهم يعتقدون أنّ ما عندهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من غير تصرف وإجتهاد منهم، ولذا كانوايأخذون منهم مسلمين من دون شك ولا اعتراض ويسئلونهم عن كل شئ يحتاجون إليه فكان حديثهم المروىّ يجمع كل شئ.

وهذا هوالامام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام قد كان يجتمع عنده كثير من الفطاحل والنوابغ والجهابذة، وقد بلغوا من الكثرة ما يفوق حدّ الإحصآء حتى أنّ أبا الحسن الوشاء قال لبعض أهل الكوفة: «أدركت فى هذا المسجد يعنى «مسجد الكوفة» أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين كل يقول: حدّثنى جعفربن محمد».

ولقد أخذ العلوم عن الإمام الصادق عليه السلام كثير من العظمآء والنوابغ، وناهيك عن منزله المبارك فى المدينة والكوفة والحيرة، وأين ما حلّ كانت كجامعة كبرى تموج بالعلماء والفقهاء والحكمآء والنوابغ فى العلوم والفنون المختلفة، يلقى عليهم ويملى لهم من فيض علمه المستقىٰ عن الوحى المحمّدى صلّى الله عليه وآله وسلّم من أحكام التشريع وأسرار الحكم والكون من سآئر العلوم كالفلك والطب والرياضيات والكيميآء والطبيعيات إلى غير ذلك من أنواع العلوم التى لا توجد عند غيره ممّا يعسر تعدادها، فقد كانت الشيعة تأخذ منه لإعتقادهم بامامته وعصمته، وذلك بالنصّ العام والخاصّ الوارد فى حقّه، وأما سآئر الفِرق فتخضع له إكباراً

لقدسيته وإعظاماً لجلالة قدره، ولما وجدوا عنده من المزايا الفاضلة والمواهب الإلهيّة والمؤهلات والمقدرة والكفاءات...

﴿الشيعة والمذهب الجعفرى﴾

قال الله عزوجل: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» البقرة: ٢٥٦)

ومن البيّن أنّ مذهب الشيعة الإماميّة الإثنى عشرية هو المذهب الجعفرى وهو مذهب أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهو أقدم المذاهب نشأة وأقواها عاملاً، يستمد تعاليمه من الينبوع الاسلامى الفيّاض: القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد غرس النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بذرته الاولى ووجّه الناس إليه بتعاليمه وإرشاداته، وقد عمل به فى زمن الصحابة الكرام وقام بنشره جماعة من كبارهم كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد وعماربن ياسر وأبى أيوب الأنصارى وجابربن عبدالله الأنصارى وأبى سعيد الخدرى ومن إليهم من كبار الصحابة...

فتأريخ نشأة مذهب الإمام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام هو أسبق من جميع المذاهب الطارئة إذ لم يكن الإمام الصادق عليه السلام هو الواضع لحجره الأساس والغارس لبذرته الاولى وإنّما كان الواضع لحجره الأوّل والغارس لبذرته هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ وضع منهاجه ونظامه، وحثّ الناس على الإنتهآء إليه، إذ قرن عترته الطاهرة بكتاب الله العزيز بأمرالله تعالى إذ قال له: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعراء: ٢١٤) فى أوائل البعثة، وقال له: «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ يا أيّها

الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧)
فجعل اللهتعالى كمال الدين وتمام النعمة وروح الرسالة مرتبطاً وثيقاً بهذا المذهب، ولذلك نادى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتى».

أخرجه الترمذى والنسآئى عن جابر، ونقله عنهما الهندى فى أول باب الاعتصام بالكتاب والسنة من (كنز العمال: ج ١ ص ٤٤)

ونادى: «إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدى: كتاب الله حبل ممدود من السمآء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

أخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم وهو الحديث (٨٧٤) من أحاديث (كنزالعمال: ج ١ ص ٤٤).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السمآء والأرض أو ما بين السمآء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وأنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

أخرجه احمد بن حنبل من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين: أحدهما فى (مسنده: ج ٥ ص ١٨٢) والثانى (مسنده: ج ٥ ص ١٨٩) وأخرجه الطبرانى فى (الكبير) عن زيد بن ثابت أيضاً وهوالحديث (٨٧٣) من أحاديث (كنزالعمال: ج ١ ص ٤٤).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

أخرجه الحاكم فى (المستدرك ـ الجزء الثالث: ص ١٤٨).

ولمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمّمن فقال: «كأنى دُعيتُ فأجبت، إنّى قد تركت فيكم الثقلين،

أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، ثم قال: إن الله عزوجل مولاى وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علىّ، فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» الحديث بطوله.

أخرجه الحاكم فى (المستدرك :ج ٣ ص ١٠٩) عن زيد بن أرقم ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقد أورد تلك الروايات جملة كثيرة من حملة أسفار العامة فى مآخذهم المعتبرة عندهم عن طرق كثيرة...

والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة، وقد صدع بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مواقف له شتّى: تارة بعد انصرافه من الطائف، واخرى يوم عرفة فى حجة الوداع، وثالثة يوم غدير خم ورابعة على منبره فى المدينة، وخامسة فى حجرته المباركة فى مرضه، والحجرة غاصّة بأصحابه، إذ قال: «أيّها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً،فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنّى مخلف فيكم كتاب الله عزوجل وعترتى أهل بيتى، ثم أخذ بيد علىّ فرفعها، فقال: هذا علىّ مع القرآن والقرآن مع علىّ لا يفترقان حتّى يردا علىّ الحوض».

رواه ابن حجر فى (الصواعق المحرقة ـ بعد الأربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة فى أواخر الفصل: ٢ من الباب: ٩ ص ٧٥) وغير ذلك من المواقف العديدة... وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام العامة، حتى قال ابن حجر بعد ذكر حديث الثقلين: «ثم اعلم أن لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» قال: «ومرّ له طرق مبسوطة فى حادى عشر الشبه، وفى بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفى اخرى انه قاله بالمدينة فى مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفى اخرى انه قال ذلك بغدير خم، وفى اخرى أنه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كمامرّ» قال: «ولا تنافى إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز

والعترة الطاهرة» إلى آخر كلامه.

وحسب أئمة العترة الطاهرة أن يكونوا عند الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمنزلة القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكفى بذلك حجة تأخذ بالأعناق إلى التعبّد بمذهبهم، فان المسلم لا يرتضى بكتاب الله بدلاً، فكيف يبتغى عن أعداله حولاً، مع أن المفهوم من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتى» إنما هو ضلال من لم يستمسك بهما معاً، ويؤيد ذلك قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حديث الثقلين عند الطبرانى: «فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم» وقال ابن حجر فى (الصواعق: باب وصية النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأهل بيته عليهم السلام: ص ١٣٥) فى قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فلا تقدموهما فتهلكوا...»: «دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية كان مقدماً على غيره».

ومما يأخذ بالأعناق إلى مذهب أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله ويدعو المؤمن إلى الانقطاع فى الدين الاسلامى إليهم عليهم السلام قول النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» أخرجه الحاكم فى (المستدرك: ج ٣ ص ١٥١) عن أبى ذر الغفارى.

ولا يخفى ان المراد بتشبيه أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين بسفينة نوح عليه السلام: أنّ من لجأ إليهم فى الدين فأخذ اصوله وفروعه عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومن تخلّف عنهم كان كمن آوى (يوم الطوفان) إلى جبل ليعصمه من أمر الله تعالى غير ان ذاك غرق فى المآء، وهذا فى الحميم.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لامّتى من الإختلاف (فى الدين) فاذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب ابليس» أخرجه الحاكم فى (المستدرك: ج ٣ ص ١٤٩) عن ابن عباس ثم قال: هذا حديث صحيح الأسناد.

هذا غاية ما فى الوسع من إلزام الامة باتباع أهل بيت الوحى عليهم السلام، وردعها عن مخالفتهم، وما أظن فى لغات البشر كلها أدلّ من هذا الحديث على ذلك.

فقد صرّح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى كثير من تعاليمه بلزوم اتباع اهل بيته، والأخذ عنهم، وقد كانت نشأة المذهب الجعفرى هى نشأة الدين الاسلامى جنباً إلى جنبه فى عهد صاحب الرسالة كله، وكان رئيسه الأوّل هو الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وهو أقضى الامّة وأعلمهم وقد كان هو نفس محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وملازماً له فى جميع أوقاته منذ ولادته إلى وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

فى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام: «وقد علمتم موضعى من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره و أنا وليد، يضمّنى إلى صدره ـ إلى أن قال ـ أرى نور الوحى والرسالة وأشمّ ريح النبوّة ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحى عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرىٰ إلّا أنك لست بنبىّ و لكنّك لوزير وإنك لعلى خير».

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «وإن الكتاب لمعى ما فارقته مذ صحبته».

وقال عليه السلام: «ربّاني صغيراً وآخاني كبيراً» وأخذ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم العلم، ويتلقّى التشريع العملى، فهو عليه السلام صاحبه صلّى الله عليه وآله وسلّم فى سفره وحضره، ويقيم أنّى أقام، ويرحل أنّى ارتحل، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو بنفسه معلّم على بن أبيطالب عليه السلام ومربّيه، وكان على عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وامينه على سرّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان له من الكفاءة والاستعداد ما جعله الله تعالى مرجعاً لامّة نبيّه صلّى الله

عليه وآله وسلّم فى جميع شئون حياتهم، وإماماً هادياً لهم، وقد عوّل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليه فى جميع شئونه لإ تصافه بصفات الإمامة، وإنكار ذلك مكابرة ومغالطة وإنكار ضرورة، لا حاجة لنا إلى البحث، ورحم الله المتنبى إذ قال:

وتركت مدحى للوصىّ تعمّداً إذ كان نوراً مستطيلاً كاملاً
وإذا استطال الشئ قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

ولمّا انتقل الإمام على بن أبيطالب عليه السلام إلى جوار ربه تزعّم الحركة العلمية، وترأس مدرسة مذهب الشيعة الإمام الثانى الحسن بن علىّ عليهما السلام سبط النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وريحانته، فكان عليه السلام عالماً لآمال الامّة ومرجعاً لدينهم، ولكن الظروف القاسية والحوادث المتتابعة فى عهد معاوية بن أبى سفيان عليها الهاوية والنيران لم تسمح للمدرسة أن تتقدّم على الوجه المطلوب، وسارت بخطئ ثقيلة لأنها قابلت جور معاوية بكل ما لديها من قوّة فى إعلان الغضب عليه، وقد قابلها بقسوة لا تعرف الرحمة، وشدة لا تعرف الهوادة، حتى تريق دمآء المنتمين إليها، وتهدم دورهم، كل ذلك فى سبيل الدعوة إلى الاصلاح. وجآء دور سيد الأحرار الحسين بن على عليهما السلام وهو أعظم الأدوار وأهمّها، وقد عظمت شوكة معاوية وامتدّ سلطانه، وكثر بطشه وفتكه، وقد كان يتلاعب بالاحكام ويحرّف الكلم عن مواضعه، واتخذ إلهه هواه، وأخذ يتتبع رجال الفكر وخيار الامّة، ويقتلهم تحت كل حجر ومدر، ومهّد الأمر لإبنه يزيد ـ وهو الفاسق الذى لا يختلف إثنان فى إجرامه وكفره ـ فأصبح خليفة للمسلمين، وإماماً يتربع على عرش الخلافة الاسلامية، وهو الفاسق المستهتر الذى أباح الخمر والزنا، وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات وعقد حلقات الشرب ومجلس الحكم، وألبس الكلاب والقرود جلاجل من ذهب و مئات من المسلمين صرعى الجوع والحرمان...

وقد أصبحت الامّة الإسلامية فى حالة سيّئة لم يسهل إحتمالها على نفوسهم، فعمّ التأثر جميع البلاد، حتى لم يجد الامام الحسين بن علىّ عليهما السلام طريقاً للسكوت، فنهض منتصراً للحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حتى أُريق فى ذلك

دمه، واستبيح حرمه، فكانت نهضته صرخة داوية ترددها الأجيال من بعده، وتلقي عليهم دروس التضحية والتفانى فى سبيل إنقاذ الامّة من براثن الظلمة، وكانت منهجاً لثورات إصلاحية مرّت عليها الأجيال من بعده اقتدآءً به وعملاً بدروسه القيّمة، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

ومن بعده عليه السّلام انتقلت رئاسة مذهب الشيعة إلى ولده سيّد الساجدين زيد العابدين الإمام علىّ بن الحسين عليهما السلام وهو أورع أهل زمانه وأتقاهم وأعلم الامة وأقضاهم، وقد اشتدت الرقابة عليه عليه السلام من قبل الأمويين الباغين بصورة لا مجال لأحد أن يتظاهر بالإنتمآء لمذهب العترة الطاهرة عليهم السلام إلّا من طريق المخاطرة والمغامرة، ومع هذه الشدّة وتلك الرقابة فقد كان سيرها محسوساً وكفاحها متواصلاً، وخرّجت عدداً وافراً من علمآء الأُمّة الذين أصبحوا مرجعاً للأحكام ومصدراً للأحاديث...

وهكذا كان عهد ولده الإمام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام من بعده فى بدء الأمر، ولكن ما ان دب الضعف والفشل فى جسم الدولة الاموية، حتى بعث النشاط فى مدرسة أهل بيت الوحى عليهم السلام، فقام الإمام الباقر عليه السلام بواجبه، ونشر معالم الاسلام وأحيى مآثر السنّة، فكانت حلقة درسه فى مسجد النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومسجد مكة: «ابن ماحل» هى أعظم حلقات الدروس، ولمّا جآء عصر الإمام الصادق عليه السلام وكان أزهر العصور إتسع فيه نطاق الحركة الفكرية والعلمية ونشأت المدارس الإسلامية، وكان فى كل بلد عالم يرجع إليه، وكانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام فى المدينة جامعة إسلامية كبرى، تشدّ إليها الرحال، وترسل إليها البعاث من سآئر الأقطار الاسلامية لإنتهال العلم، إذ وجدوا عنده عليه السلام ضالّتهم المنشودة وغايتهم المطلوبة، ولم يحفظ التاريخ لنا أنه سئل عن شئ فأجاب: بلا أدرى، أو أنّ مناظراً أفحمه، بل كان هو المتفوّق فى كل علم، والمحلّق فى كل مناظرة، واشتهر عنه أنه كان يقول: «سلونى قبل أن تفقدونى فانه لا يحدّثكم أحد بمثل حديثى».

وكيف لا يكون الإمام الصادق عليه السلام كذلك؟ وهو وارث علم جدّه أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام الذى يقول:

فى نهج البلاغة: «فاسئلونى قبل أن تفقدونى فوالذى نفسى بيده لا تسئلونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ولاعن فئة تهدى مأة أو تضلّ مأة إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسآئقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها ومَن يُقتَل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «أيّها الناس سلونى قبل أن تفقدونى فلأنا بطرق السمآء أعلم منّى بطرق الأرض».

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه ألا إنّ فيه علم ما يأتى والحديث عن الماضى، ودوآء دآئكم ونظم ما بينكم».

ولم يستطع أحد أن يقول ذلك إلّا أُفحِمَ، والإمام علىّ عليه السلام هو باب مدينة علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة العلم وعلىّ بابها».

وفى نهج البلاغة: قال الإمام على عليه السلام: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمِّيَ سارقاً».

فالإمام الصادق عليه السلام كان يروى عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين بن على، عن أبيه على بن أبيطالب عليه السلام وهذا الإسناد هو المعروف بالسلسلة الذهبية وهو أصحّ الأسانيد وأقواها.

فى الملل والنحل (ج ١ ص ١٦٦) للشهرستانى قال ـ فى ترجمة أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ: «وهو ذو علم غزير فى الدين، وأدب كامل فى الحكمة، وزهد بالغ فى الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ثم دخل العراق وأقام بها مدّة».

فمذهب الشيعة هو مذهب أهل بيت الوحى ومذهب حفيد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جعفربن محمد الصادق صلوات الله عليهم أجمعين فإنّه سلسلة ذهبية متراصّة حلقاتها بعضها ببعض لا تنفصم إذ قال الله عزوجل: «لا إكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغىّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» وقد جآء فى حديث معتبر مأثورعن الامام علىّ عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «نحن العروة الوثقى» وقد جآئت رواية اخرى: «نحن الصراط المستقيم، نحن السبيل إلى الله» وغير ذلك من الروايات الواردة فى المقام تركناها للاختصار.

﴿سيرة الإمام الصادق عليه السلام﴾

وعوامل إنتشار مذهب الشيعة فى زمانه

قال الله تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ـ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به» النسآء: ٥٨ـ٦٠)

ومن المعلوم بما سبق آنفاً أنّ المذهب الجعفرى هو مذهب أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين، وأمّا إختصاصه بالإمام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام فإنّه كانت الفترة التى عاشها الإمام الصادق عليه السلام فترة محنة تمربها الامّة، الفترة بين شيخوخة الدولة الاموية وزوالها، وطفولة الدولة العباسيّة وقوامها، ولا أظن أن يخفى لأحد من المطلعين بتأريخ الاسلام أنّ الحكم الاموى ـ بعد الخلفاء الثلاثة الغاصبين الذين هم بذروا الحكم الاموى وخاصّة يوم الخميس والسّقيفة السخيفة ـ كان حكماً جائراً، إذ ابتعدت السلطة الاموية عن اصول الاسلام وفروعه، فكانت نهاية الحكم الاموى كبداية قيامه، إذ صبغت بالدم نهايته كما كانت بدايته كأسبقها من شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهرآء سلام الله عليها بعد وفاة أبيها بمدة قليلة إلى شهادة أصدق الناس أبى ذر الغفارى بالربذة جدّاً. وبعد زوال السلطة الأموية قامت دولة بنى العباس، و هى تلبس بدواً لباس الدين، وترفع شعار الدعوة لمناصرة آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والانتقام من أعدآئهم، وهى تحاول أن تكسب ودّ المسلمين، إلى أن تكشفت سياسة بنى العباس، وزال القناع عن وجه حكمهم، فاعتبر الناس عهدهم إمتداداً لحكم بنى امية الجآئر.

فاصبح المسلمون المظلومون فى معترك عصيب... تحركت فى جوانحهم الثورة وتاقت نفوسهم لتحقيق الإصلاح والنجاة من الظلم والاستبداد، ومن البغى والإفساد... وقد كان البيت العلوى هو محطّ آمال الامّة، فساندهم رجال الدين، وانضوى بعض الفقهآء تحت رايتهم، وفى هذه الفترة برزت شخصية الإمام الصادق عليه السلام وفى ذلك المعترك الرهيب اتسع المجال له عليه السلام أن يحمل للامّة مبادئ الاسلام العالية، وينشر التعاليم النبوية التى استقاها عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويبثّ الأحكام الإلهية عند رفع تلك الرقابة التى جعلها الامويون للحيلولة بين الامّة المسلمة وبين أهل بيت الوحى عليهم السلام، ويرفع صوت الإنكار على الظلم والطاغين، على الكفر والباغين، وعلى البغى والمستكبرين... فيدعو الامّة للاصلاح والعمل بكلّ جهد.

فاشتهر فى هذه الفترة ذكر جعفربن محمد الصادق عليه السلام واتسعت أمامه حرّية القول والعمل، وحريّة النقض والإبرام فى شأن الحقائق الدينية من جهة، والمشتبهات والموضوعات على غير أساس صحيح من الأحاديث والسنّة من جهة اخرى، فقد شارك الامّة فى محنتها إذ امتزجت مشاعره بمشاعر الأفراد، وتوجهت إليه الأنظار وانضمّ إليه رجال الفكر ودعاة الإصلاح، وازدحم طلاّب العلم على أبواب مدرسته، وكثرت الهجرة إليها لأنه عليه السلام يعرف كيف يبدأ الدعوة؟ وكيف يداوى النفوس من الأمراض النفسية والاجتماعيّة، فكانت دعوته سليمة على أساس العقل والفطرة تهدف لتنوير الرأى العام والحضّ والتمسك بالقرآن الكريم وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما فيهما من العلوم والمعارف والحكم والأسرار... وقد توسعت آفاق دعوته كما انتشر دعاته من تلامذته فى كل مكان فأصبحت مدرسته منهلاً لرجال الامّة، ومصدراً لعلوم الاسلام ومعارفه...

ولذلك نسب مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية إليه عليه السّلام، لأن كل ما ذهب الإمام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السلام إلى تصويبه والوثوق لصحته من الاصول والفروع، ومن المعارف والحِكَم... أصبح بجملته يُسمّى مذهب

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ولا يخفى على مَن له أدنى معرفة بهذا المذهب وهو مذهب أهل بيت الوحى عليهم السلام: أنّه لم يكن كسآئر المذاهب الإسلامية فى تطوّر نشأته وعوامل انتشاره إذ لم يلق تشجيعاً من دولة أو تأييداً من سلطة، بل الأمر بالعكس إذ كان عرضة لمقاومة السلطة وهدفاً لسهام الإتّهام بكل ما لا يليق به، وقد صمد المذهب الذى هو روح الإسلام أمام تلك الحوادث متمسكاً بمبادئ أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ممتثلاً وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى آله حتى انتشر على وجه البسيطة بقوته الروحية، فامتاز هذا المذهب عن غيره باستقلاله عن مقوّمات المادّة ومؤازرة السلطة، واستطاع بمؤهلاته الذاتية إخضاع الزمن، اجتياز العقبات التى تقف فى طريق نشره...

ولعمرى! ان هذا المذهب الجعفرى لولا حقانيته وحقيقته، لو لا فيض من القدسية فى مبادئه، لولا قوة روحية فى تعاليمه، ولولا عناية ـ قبل كل شئ ـ من الخالق الحكيم رحمة بهذا الخلق المتعوس، لقضت عليه السلطات بمحاولتها القضآء عليه، ولكن ذهبت تلك المحاولات ضدّ المذهب دون جدوى، فكان نصيبها الفشل ونصيبه النجاح.

ولم يكن المذهب الجعفرى وهو مذهب أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله وروح الدين الاسلامى كسآئر المذاهب الطارئة فى تطوّر نشأته وعوامل إنتشاره إذ لم يلق تشجيعاً من دولة ولا تأييداً من سلطة، وإنّما الأمر بالعكس إذ كان عرضة لمقاومة السلطة، وهدفاً لسهام الإتهام بكل ما لا يليق به، وقد صمد هذا المذهب أمام تلك الحوادث متمسكاً بمبادى أهل بيت الوحى عليهم السلام ممتثلاً وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى آله حتى انتشر على وجه البسيطة بقوته الروحيّة وحقّانيته، فامتاز من سائر المذاهب المختلقة باستقلاله عن مقوّمات المادّة وموازرة السلطة، واستطاع بمؤهلاته الذاتية إخضاع الزمن، اجتياز العقبات التى تقف فى طريق نشره.

ومن المعلوم: أن سآئر المذاهب المتكوّنة بعد قرون من الهجرة النبوية و العوامل الرئيسة لنشرها إنما هو تدخّل السلطة وتشجيع الدولة و الأمرآء الجبابرة و الحكام الظلمة... إذ كان تكوّن تلك المذاهب لتكون مستخدمة للسلطات و الدول الباغية، ولذلك كانت تأخذ على عاتقها نشر ما ترتضيه منها، وليلتزم الناس التمسك بها دون غيرها، وكان علمآء تلك المذاهب حتّى اليوم أُجرآء الأُمرآء وعملاء الدول الذين يعارضون بقدرتهم المذهب الذى لا يقيم لهم حقاً، ويقول: لابدّ وأن تكون الدولة مستخدمة للديانة لا العكس. ولذلك كان طابع مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الذى طبعت عليه ومنهجها الذى اختصّت به ـ من بين سآئر المدارس الاسلامية الخالية عن روح الاسلام ـ هو استقلالها الروحى و الاقتصادى، وعدم خضوعها لنظام السلطة، ولم تفسح المجال لولاة الأمر بأىّ إسم كان بأن يتدخّلوا فى شئونها أو تكون لهم يد فى توجيهها وتطبيق نظامها، لذلك لم يتسنّ لذوى السلطة إستخدامها فى مصالحهم الخاصّة، أو تتعاون معهم فى شئون الدولة.

ومن المستحيل ذلك ـ وإن بذلوا جهدهم فى تحقيقه ـ فهى لا تزال منذ نشأتها الأُولى تحارب الظالمين ولا تركن إليهم، كما لا تربطها وإياهم روابط الالفة، ولم يحصل بينها وبينهم إنسجام وبهذا النهج الذى سارت عليه، والطابع الذى اختصّت به، أصبحت عرضة للخطر، فكان النزاع بينها وبين الدولة يشتدّ والعدآء يتضخم، فلا الدولة تتنازل، فتكسب ودّها وتسعد بمعاونتها مادامت تريد إستخدام المدرسة، ولا المدرسة فى إمكانها أن تتنازل لإرادة الدولة، فتؤازرها وتسير بخدمتها وتتعاون معها، وكيف يكون ذلك ؟! وهى منذ نشأتها الاولى ترتبط بالثقلين: كتاب الله وعترة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهما متلازمان متكاتفان لن يفترقا فى أدآء واجبها لإرشاد الامّة وهدايتها، فإن القرآن الكريم ينهى عن معاونة الظالمين والركون إليهم ويقول:

«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أوليآء ثم لا تنصرون» هود: ١١٣)

ويقول: «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أن الله شديد العقاب» الأنفال: ٢٥)

ويقول: «وما كنت متّخذ المضلّين عضداً» الكهف: ٥١)

ويقول: «قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين» القصص: ١٧)

ومن الواضح أن مبدأ العدالة ـ وهو من أعظم مبادئ الشريعة الاسلامية ـ أصبح فى عهد اولئك الولاة الظلمة الغاصبة لا يعمل به، فهم جبابرة باغية لا يصلحون لمركز الولاية على المسلمين، وليس لهم كفائة على التحلّى بصفات الخلافة الالهية فى الأرض، ولا قدرة لهم على تنفيذ أحكام الاسلام بين الناس، فهم لا يصلحون للولاية ولا تجب طاعتهم بحال، وإنّ فى مؤازرتهم والمعاونة معهم خروجاً عن أمر الله جل وعلا ومخالفة لكتابه إذ يقول:

«ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به» النسآء: ٦٠)

ويقول: «ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلآء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً» النسآء: ٥١ـ٥٢)

وبذلك لا تكون ملازمة بين أهل بيت الوحى المعصومين عليهم السلام وبين الكتاب إن داهنوا الظلمة أو ركنوا إليهم، وأهل البيت عليهم السلام كتاب الله الناطق، فسياسة أهل بيت الوحى عليهم السلام هى سياسة الدين الاسلامى نفسها تقضى بحرمة معاونة الظالمين وعدم الركون إليهم، ومنهجهم فى توجيه الامّة لا يتعدى حدود ما أمر الله تعالى به، فهم عليهم صلوات الله والقرآن الكريم يسيرون جنباً إلى جنب سوآءً بسوآءٍ فى أداء الرسالة ومهمّة التبليغ، وهم أئمة للعدل وحماة للدين، ودعاة للصلاح والاصلاح، للحق والهدى وللكمال والفلاح... وقد برهنوا على أعمالهم بما كانوا يتحلّون به من مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، وشدّة محافظتهم على كيان الاسلام ونواميس الشريعة المحمدية صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولقد إتضح

لكل مَن له أدنى معرفة بسيرتهم مالا حاجة لنا إلى إطالة البحث فيه.

كيف لا؟ وفى:

نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «وما أخذ الله على العلمآء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم».

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «رحم الله امرأً رآى حقاً فأعان عليه، أو رآى جوراً فردّه و كان عوناً بالحق على صاحبه».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام ـ فى وصيته للحسنين عليهما السلام ـ: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

وفيه: قال الإمام على عليه السلام: «فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضى بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

وقد صحّ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «ما احبّ أن أعقد لهم ـ أى الظلمة ـ عقدة أو وكيت لهم وكآء، ولا مدة بقلم، إن الظلمة وأعوان الظلمة يوم القيامة فى سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد».

وقد كان الإمام الصادق عليه السلام ينهى عن المرافعة إلى حكّامهم، ولا يرى لزوم ما يقضون به، لأن حكمهم غير نافذ كما كان يشتدّ على العلماء الذين يسيرون فى ركاب الدولة ويأمر بالابتعاد عنهم حيث يقول: «الفقهآء امنآء الرسل، فاذا رأيتم الفقهآء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم».

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن اناساً من امتى يستفقهون فى الدين ويقرؤون القرآن ويقولون: نأتى الامرآء فنصيب من دنياهم ونعتز لهم بديننا، ولا يكون كذلك كما لايجتنى من القتاد إلّا الشوك لا يجتنى من قربهم إلّا خطايا».

وقد حاول المنصور الدوانيقى أن يستميل الإمام الصادق عليه السلام فى عدّة مرّات ولكنّها محاولة فاشلة لم يزل يبتعد عنه، ويعلن غضبه عليه، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم، كما أعلم مقاطعته له فكتب المنصور إليه: «لولا تغشانا كما تغشانا سائر

الناس» فأجابه الإمام الصادق عليه السلام: «ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت فى نعمة فنهنّيك عليها، ولا تعدها نقمة فنغريك بها فِلمَ نغشاك ؟!!»

فكتب إليه المنصور ثانية: «تصحبنا لتنصحنا» فأجابه الإمام عليه السلام: «من أراد الدنيا فلا ينصحك ومن أراد الآخرة فلا يصحبك».

وبهذا يتجلى موقف الإمام الصادق عليه السلام من حكّام عصره وابتعاده عنهم، وهو النهج الذى أمر أتباعه أن ينهجوه وقد أبدى ذلك فى كثير من مواقفه وأعلن للامّة وجوب مقاطعة الظالمين و حرمة المعاونة معهم ليحد من نشاطهم فى هضم حقوق الناس، واستيلائهم على مقدراتهم، واستبدادهم فى الامور و جورهم فى الحكم.

وقد كانت محاولة المنصور لجلب شخصية الإمام الصادق عليه السلام إليه وطلب الاتصال به هى تضييق دآئرة المقاطعة التى أعلنها الإمام عليه السلام والتى سار عليها كثير من الناس، وقد عرف المنصور بالشدّة والقسوة وعدم مبالاته فى إراقة الدمآء بغير حق، وكان يقتل على الظنّة والتهمة، ويحاسب من يتّهمه بالإنكار عليه أشد المحاسبة، ولا يلين فى شئ من ذلك كما لا يتورّع فى ارتكاب ما حرّمه الله عز وجل.

والمنصور على ما فيه من البغى والجناية من الظلم والخيانة، ومن سوء المعاملة للرعية كان يتمنّى أن يكون فى دولته مثل الحجاج بن يوسف، ذلك السفاح المستهتر، فكان يقول: «والله لوددت أنّي وجدت مثل الحجاج بن يوسف، حتى أستكفيه أمرى وأنزله أحد الحرمين».

ومعنى ذلك أنه كان يتمنّى أن يقضى على أهمّ مصدر للتشريع الإسلامى، فيضع السيف فى حملة الحديث ورجال العلم والدين، ويملأ السجون من الصلحآء ويصبغ وجه الأرض من دمآء الأبريآء، كما ورد من جناياته وقسوته وسوء سيرته، وما كان يلقى الامام الصادق عليه السلام منه فى سبيل الدعوة إلى الله جل وعلا.

وقد كانت مدرسة الامام الصادق عليه السلام بعيدة عن التأثّر بآرآء الحكّام الذين

يفرضون إرادتهم على العلم والعلمآء ويحاولون أن تكون لهم السلطة الدينية إلى جانب السلطة التنفيذيّة، ممّا يؤدّى إلى الفوضى الكاملة فى الحكم عند ما يستغلون الدين، ويتخذون من رجاله وسيلة لاشتغال الناس عن مؤاخذتهم، ويدينون لهم بالطاعة الكاملة ويحلّ الايمان بتقديسهم محل الايمان بالله!! أمّا مدرسة الإمام الصادق عليه السلام فإنّ الصراع بينها وبين الدولة كان على أشدّه والعدآء بالغاً نهايته، الأمر الذى جعل المدرسة عرضة للخطر ولكنّها رغم ذلك صمدت لتلك الهجمات التى توجّهها الدولة لتمحوها من صفحة الوجود.

وقد تحملت بطش الجبارين وعسف الظالمين، فأدت رسالتها على أكمل وجه، وكان منها النتاج الصالح الذى يفيض على الامّة خيراً وبركة، ويطفح بالعلم والحكمة والعرفان، وخرّجت عدداً وافراً من رجال العلم، وحملة الحديث، ولم تكن كل تلك المعارضات من قبل ولاة الجور لتعوقها عن مواصلة كفاحها فى الدعوة إلى الحق والهدى، إلى الخير والفلاح، إلى العدل والصلاح، إلى المساواة والأخوّة الإسلامية العامة، إلى المدنيّة الصحيحة والحضارة الراقية، وإلى محاربة أهل الأهواء والبدع والضلالات... ويتضح ذلك من تعاليم أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم ـ زعمآء هذه المدرسة ـ وسيرتهم العادلة، وشدّة إهتمامهم بتوجيه الامّة نحو دينهم الذى يتكفل لهم بالخير والسعادة وبالكمال والعزّة، ويدعوهم إلى الأهداف الكريمة، والغايات السامية والأغراض الشريفة، وإلى المثل العليا بتطبيق نظامه على جميع الطبقات...

﴿صمود مذهب الشيعة أمام الحكّام﴾

قال الله عزوجل: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرعظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل‌عمران: ١٧٢-١٧٣)

وقال: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ١١٢)

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

«أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق، أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذوالشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأُبرِدَ برؤسهم إلى الفجرة؟!».

وما يستفاد من الكتاب والسنّة النبوية الواردة عن طريق أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله أنّ من حقيقة الاسلام هى الصمود أمام الكفار والمشركين، أمام الفجّار والمستكبرين أمام البغات والمجرمين، أمام الحكّام والظالمين، وأمام السلطات والجائرين... ومن البداهة أن المسلمين ما كانوا فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا بعده حتى اليوم كلهم على هذه الحقيقة، فإنّ كثيراً منهم لفظهم الاسلام، وهم لا يريدون أن يدركوا حقيقة الاسلام، إذ أرادوا بالدين متاع الدنيا وزخارفها، ولذلك يتلاعبون بالدين ويشترون به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون

وقد كانوا يخضعون أمام السلطات، ويخيفون غيرهم منها، والأمر مستمر إلى الآن.

ومن المسلمين وهم كبار الصحابة كسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى والمقداد وعماربن ياسر ومَن إليهم من الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم الذين أدركوا حقيقة الاسلام وكانوا يرون أنّ روح الاسلام هى الولاية لأهل بيت النبوّة التى عليها مذهب الشيعة إلى يوم القيامة، فانهم وجدوا عياناً أنّ الدين الاسلامى هو الذى درّ عليهم بضروع الخيرات وصبّ عليهم شآبيب البركات، وأذلّ لهم ملك الأكاسرة والقياصرة، ووضع فى أيديهم مفاتيح خزائن الشرق والغرب، ولم تكن العرب لتحلم ببعضها فضلاً عن كلها فى المنام، فضلاً عن تأتى بتحقيقها الأيام...

وذلك مما يبعث لهم أشدّ الرغبات فى الدين وإدراك حقيقته وتعلّم أحكامه ومعارفه، والسير على مناهجه ومفاهيمه فى الشئون المختلفة: الفردية والإجتماعية... وقد كان كبار الصحابة والتابعين ومَن إليهم من المؤمنين الصادقين من بعدهم يجدون ذلك كله فى عهد الرسالة وبعده عند أهل بيت النبوة، فدانوا لهم واعتقدوا بامامتهم وأنهم خلفآء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حقاً وسدنة شريعته ومبلّغوا أحكامه إلى امّته وقد سمّوا شيعة أهل بيت الوحى عليهم السلام فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فى روضات الجنّات: قال أبو حاتم الرازى: «إن أوّل إسم ظهر فى الاسلام هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة هم: أبوذر وسلمان وعمار والمقداد حتى آن أوان صفّين فاشتهر بين موالى علىّ رضى الله عنه».

وهم ومن إليهم لا يرون شأناً للذين لفظهم الاسلام الذين كانوا يتخلّفون عن أوامر الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حياته وبعد وفاته، وقد تسمّوا بعض هؤلآء المتخلّفين بأميرالمؤمنين وخليفة المسلمين، وقد كانت هذه العقيدة الايمانية والعاطفة الإلهية بالنسبة إلى أهل بيت النبوّة عليهم السلام، والصمود أمام المتخلّفين البغاة كشعلة نار فى نفوس الشيعة تدفعهم إلى ركوب الأخطار، وإلقآء أنفسهم على المشانق، وتقديم أعناقهم أضاحى للحق وقرابين للدين.

فانظر إلى أبي ذر الغفارى وعمار بن ياسر و أبى الهيثم مالك بن تيهان وخزيمة بن ثابت الأنصارى وحجر بن عدى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، ورشيد الهجرى وميثم التمار وعبدالله بن عفيف الأزدى ومن إليهم من التابعين وتابعيهم و المؤمنين الصادقين...

كيف نطحوا صخرة الجور و الفساد و البغى و الضلال... وما كسرت رؤسهم حتى كسروها وفضحوها و أعلنوا للملأ بمخازيها، فهل تلك الإقدامات و التضحية من اولئك الشجعان كانت لطمع مال او لنيل جاه ومقام عند أهل بيت الوحى عليهم السلام أو خوفاً منهم؟! كلاّ إنما كانت عقيدة حق وغريزة ايمان وصخرة يقين، ونتاج درك حقيقة الاسلام.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء و الله واسع عليم إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً» المائدة: ٥٤-٥٧)

ثم انظر إلى فطاحل الشعرآء فى القرن الأوّل و الثانى مع شدّة إطماعهم عند حكّام زمانهم وإخافتهم منهم وتهديداتهم وقسوتهم... ومع ذلك كله لم يمنعهم عظيم الطمع والإخافة و التهديد و القسوة و الغوغآء... - و الشاعر مادّى غالباً - و السلطة من خلفهم و السيوف مشهورة على رؤوسهم ان جاهروا بالحق ونصروه وجاهدوا الباطل وفضحوه...

فخذ من الفرزدق، و الكميت، و السيد الحميرى، ودعبل الخزاعى، وديك الجنّ، وأبى تمام و البحترى إلى الأمير أبى فراس الحمدانى صاحب الشافية:

الدّين مخترم والحقّ مهتضم وفيئ آل رسول الله مقتسم

إلى آخر القصيدة، فراجعها و انظر وتدبّر و اغتنم ما فيها جدّاً.

بل لكل واحد من نوابغ شعرآء تلك العصور القصآئد الرنّانة، و المقاطيع العبقرية فى مدح أهل بيت الوحى عليهم صلوات الله، و التشنيع على ولاة الجور و الطغيان، على حكّام البغى و العصيان، وعلى امرآء الظلم و العدوان... وإظهار الولآء لأهل بيت النبوة عليهم السلام و إبراز البرآءة من أهل الخيانة و الجناية...

وكان دعبل الخزاعى رحمة الله تعالى عليه يقول: «إنّي احمل خشبتى على ظهرى منذ أربعين سنة فلم أجد مَن يصلبنى عليها».

وقد كان دعبل يهجو هارون الرشيد و الأمين و المأمون و المعتصم، ويمدح الإمام الصادق وموسى بن جعفر وعلىّ بن موسى الرضا عليهم آلاف التحية و الثنآء وأشعاره بذلك مشهورة وفى كتب الأدب و التأريخ مسطورة.

هذا كله فى أيام الخلفآء الثلاثة الغاصبين وقوّة بنى امية وبنى العباس وشدة بأسهم وسطوتهم وغاية بغيهم وقسوتهم... فانظر ماذا يصنع الحق و اليقين ودرك حقيقة الإسلام بنفوس المسلمين، واعرف هنالك حق الشجاعة و الصلابة، حق الشهامة و الاستقامة، حق البسالة و المفاداة وحق التضحية فى سبيل الدين.

ومن الواضح أنّ درك حقيقة الإسلام هو الموجب لصلابة الشيعة وانفصال مذهبهم عن ولاة الجور، وعدم تأثره بآرآء الحكام... لأنه يستقى من ينبوع لم يكدر صفوه التعليم الاستعمارى بما فرضه على العلم و العلماء المستأجرين.

فكما أن إجتهاد رؤسآء المتخلّفين حتى فى عهد الرسالة وبعدها ـ وإجتهاد من انسلك مسالكهم إلى قرون ـ مقابل النصوص، بأنهم كانوا يؤثرون مصالحهم الفردية السياسية على النصوص المتقنة فى مصالح الامّة المسلمة، أحصاها العلامة الكبير السيد شرف الدين مأة مورد من موارد اجتهادهم مقابل النصوص فى كتابه النفيس: «النصّ و الإجتهاد» من مقترحات ولاة الجوة وتشريع السياسة الشيطانية، كان إغلاق باب الإجتهاد بعد تكوّن المذاهب الأربعة كذلك. وإن كنت لا أقول: هذا إجتهاد، مقابل النص، بل أقول على يقين وبرهان: كان هذا استبداداً رغم الكتاب و السنة باسمهما عليهما.

ومهما يكن من أمرٍ عند القارئ، لم يلتزم مذهب الشيعة ولن يلتزم أبداً بالاجتهاد مقابل النصوص ـ أو بكلمة الصواب: الاستبداد رغم الكتاب والسنّة باسمهما عليهما ـ ولم يخضع بعد، ولن يخضع أبداً لذلك النظام ـ أى غلق باب الإجتهاد ـ الجآئر الذى يفضى مؤدّاه إلى الجمود الفكرى، وتحميق الناس، وتحجير العقل وانحطاط المسلمين، وردّ نعمة أنعم الله تعالى بها على هذه الامّة.

ومن البيّن أنّ عدم الإلتزام والخضوع بما تفرضه ولاة الجور هو خروج عن الطاعة، وذلك يستوجب العقاب والمقاومة، وقد عُرِفَ معتنقوا مذهب أهل بيت الوحى عليهم السلام بأنهم لا يرون لزوم طاعة اولئك الحكّام الجابرة والطواغيت الذين تربّعوا على عرش الخلافة من دون حق، فلم يؤازروهم، ولم يتعاونوا معهم إقتدآءً بأئمتهم، واتباعاً لأمر الله جل وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مقاطعة الظلمة وحرمة المعاونة معهم.

قال الله تعالى: «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به» النسآء: ٦٠)

وإن الطبقة الحاكمة تعدّ من لا يؤازرها ويتعاون معها خصماً يجب القضآء عليه، لأن عدم التعاون مع الدولة هو عدم الإعتراف بأهليتها للحكم، وانتقاد لسيرتها، ولذلك اتجهت قوّة الدولة لمعارضة مذهب أهل بيت الوحى عليهم السلام واتهام منتحليه بسوء العقيدة والخروج عن الإسلام، فسلكوا فى تحقيق ذلك تلك الطرق الخداعة، واسندوا إلى الشيعة ما ليس من عقآئدهم، واوعزوا إلى الوعّاظ الأُجرآء فى المساجد، والقصّاص العملاء فى الطرقات، وإلى العلماء المرتزقة الذين يطلبون ودّ السلطان طلباً لمنفعة، واستدراراً لنعمة، وحيازة لصلة الملوك ليقوموا بكل ما يأمرونهم به من مخالفة الحق باتهام الشيعة: بأنهم يكفّرون جميع الصحابة ـ كيف؟ وقد كان كبار الصحابة كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار... معروفين بالشيعة فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكانوا هم يكفّرون أنفسهم؟! والكاذب ناسٍ ولعنة الله على الكاذبين ـ وبأنهم لا يعلمون القرآن... وما إليها من الأكاذيب

والمفتريات... وألزموهم بأن يذكروا تلك الأكاذيب محفوفة بشواهد يتقبّلها السذج وعوام الناس، حتى تمكنت فى نفوسهم ولهجت بها ألسنتهم كأنّها حقيقة لا تقبل أىّ جدل ونقاش، وبدون تفكير وتدبّر انتشرت فى ذلك المجتمع السآئر فى ركاب الدولة الباغية فكرة بغض الشيعة، ولذلك سمّى أتباع هؤلآء الطواغيت بالعامة، اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلاً.

قال الله تعالى: «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩)

وأنّىٰ لذلك المجتمع أن يظفر بالتفكير الحرّ وتحكيم العقل، وقد فرضت السلطة عليهم تلك الإفتعالات بقوّة قاهرة، لا يستطيعون لها دفعاً، ولا يجدون عن الإذعان لها سبيلاً، والناس مع القوّة عند ضعف الايمان، ولكن الحق لابدّ أن يظهر مهما طال الزمن وادلهمت الخطوب...

وعلى أىّ حال فليس من العسير أن يقف المتتبع على بواعث تلك الإفتعالات التى أوجدتها عوامل السياسة وقوّة الإرهاب، وسلطة الاستبداد التى شوّهت الحقيقة، وغيّرت مجرى الواقع، وإن الوقوف أمام ذلك التيار أمر لا يتحمّله إلّا رجال الفكر وحاملوا ثقل العقيدة الإسلامية، وصفوة القول أن مذهب الشيعة مع صموده أمام السلطات الجائرة قد انتشر على وجه البسيطة، ولم تقف أمامه تلك المحاولات التى بذلها ولاة الجور وأعوانهم فى محوه والوقوف أمام انتشاره، ولم تقض عليه كما قضت على بقيّة المذاهب التى لا يروقها انتشارها كما لم تقف أمامه المجازر والفظائع السود التى يقوم بها خصومه.

﴿الشيعة هم أنصار دين اللّه تعالى﴾

قال الله عزوجل: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحبّ كل خوّان كفور أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقويّ عزيز ألّذين إن مكّنّا هم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور» الحج: ٣٨-٤١)

ولا أظنّ أنّ نبيّاً من الأنبيآء ولا رسولاً من المرسلين، ولا وصيّاً من الأوصيآء ولا شيعة من أشياعهم أُوذِىَ بمثل ما أُوذى محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وشيعتهم من جانب أُمّته، بحيث لو أوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المؤذين كراراً بايذآئه وايذآء أوصيآئه وايذآء شيعتهم لَما كانوا قادرين على زيادة ما فعلوه، وإلى ذلك أشار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «ما أُوذى نبىّ بمثل ما أُوذيتُ».

كما لا أظنّ أن يخفى على أحد من المحققين الأحرار، والمتدبّرين الخبرآء فى نشأة مذهب التشيّع منذ نشأة دعوة الإسلام جنباً إلى جنب سوآء بسوآء، وفى الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والمنتمين إلى الاسلام، وما جرى فى عهد صاحب الرسالة وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الآن: أنه لولا الشيعة لما كان بعد النبىّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم - بقليل من الزمن - للقرآن إسم ولا للاسلام رسم، ولا

للرسالة أثر ـ فضلاً عن اليوم ـ لأن الذين لفظهم الاسلام وانتحلوا إليه لعلل وأغراض... ينقلبون على أعقابهم المشركين، كيف لا؟ وقد كانوا يسعون فى عهد الرسالة فى إطفآء نورها ومحو آثارها وهدم أساسها... إذ كانوا يتخلّفون عن أوامرالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم علناً ويعصون الله عز و جل و نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حياة صاحب الرسالة.

وقصّة قتل المارق، وإمارة اسامة بن زيد، ووصيّة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فى مرض موته وغيرها من تخلّفات المؤذين غير خفيّة على مَن له طيب ولادة وأدنى مسكة، ثم إنحراف مسير الخلافة إلى غير محلّها بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإحراق بيت الوحى وقتل أهل بيته وشيعتهم وسبى ذراريه صلّى الله عليه وآله وسلّم ونصب أموالهم وهضم حقوقهم، وسبّهم على منابر صاحبها، والبدع وما إليها من الخيانات والجنايات... كل ذلك بإسم الاسلام والصحابة على الإسلام، فلولا الشيعة الذين هم كبار الصحابة والتابعين وتابعيهم... إلى الآن لما كان اليوم مسلم على وجه البسيطة، ولا يسمع أحد إسم الاسلام وصاحب الرسالة.

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فيهم: «هم والله ربّوا الإسلام كما يربّى الفَلُوُّ مع غِنآئهم بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط».

وفى شرح ابن أبى الحديد: قال: «وقد تقدّم القول فى مدح الأنصا ، ولولم يكن إلّا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقِلّون عند الطمع» ولولم يكن إلّا ما قاله لعامر ابن الطُفيل فيهم لمّا قال له: «لأغزونّك فى كذا وكذا من الخيل» يتوعّده فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يكفى الله ذلك وأبنآء قيلة» لكان فخراً لهم، وهذا عظيم جدّاً وفوق العظيم، ولا ريب أنهم الذين أيّد الله بهم الدين، وأظهر بهم الاسلام بعد خفآئه، ولولا هم لعجز المهاجرون عن حرب قريش والعرب، وعن حماية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولولا مدينتهم لم

يكن للاسلام ظهر يلجئون عليه، ويكفيهم فخراً يوم حمرآء الأسد، يوم خرج بهم رسول الله إلى قريش بعد انكسار أصحابه، وقَتْلِ مَن قُتِلَ منهم، وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية، ودمآؤهم تسيل، وانهم مع ذلك كالأُسْد الغِراث تتواثب على فرآئسها، وكم لهم من يوم أغرّ محجّل! وقالت الأنصار: لولا على بن أبيطالب عليه السلام فى المهاجرين لأبينا أن يُذكر المهاجرون معنا أو أن يُقرنوا بنا، ولكن ربّ واحد كألف بل كألوف».

وفى نهج البلاغة: قال الإمام على بن أبيطالب عليه السلام فى مدح شيعته بعد فراغه من حرب الجمل: «أنتم الأنصار على الحق والإخوان فى الدين والجُنَنُ يوم البأس، والبطانة دون الناس».

وفيه: قال الامام علىّ عليه السلام ـ فى شيعته الآتين ـ لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وَدِدْتُ أنّ أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدآئك فقال عليه السلام: «أهوى أخيك معنا؟ فقال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولقد شهِدَنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الايمان».

وأعلم أنّ الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى كثيرة فى أنّ الشيعة هم أنصارالله تعالى وأنصار لرسوله وأهل بيته عليهم السلام، ولولا هم لما قام الدين، نشير إلى نبذة منها ونحن على جناح الاختصار:

فى اصول الكافى: باسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى عن أبى جعفر الثانى عليه السلام عن أبيه عن جدّه صلوات الله عليهم قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً، فأمّا عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتى وشيعتنا، فأحبّوا أهل بيتى وشيعتهم وأنصارهم، فإنّه لما أسرى بى إلى السمآء الدنيا فنسبنى جبرئيل عليه السلام لأهل السمآء استودع الله حبّى وحبّ أهل بيتى وشيعتهم فى قلوب الملائكة، فهو

عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبنى إلى أهل الأرض فاستودع الله عزوجل حبّى وحبّ أهل بيتى وشيعتهم فى قلوب مؤمنى أُمّتى، فؤمنوا أُمّتى يحفظون وديعتى فى أهل بيتى إلى يوم القيامة، ألا فلو أنّ الرجل من أُمّتى عَبَدالله عزوجل عمره أيام الدنيا ثم لقى الله عزوجل مبغضاً لأهل بيتى وشيعتى ما فرّج الله صدره إلّا عن النفاق».

وفى روضة الكافى: باسناده عن أبى يحيى كوكب الدّم عن أبى‌عبدالله عليه‌السلام قال: «إنّ حوارى عيسى عليه‌السلام كانوا شيعته وإنّ شيعتنا حواريّونا وما كان حوارى عيسى بأطوع له من حوارينا وإنّما قال عيسى عليه‌السلام للحواريين: «مَن أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصارالله» فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم ينصرونا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذّبون ويشرّدون فى البلدان، جزاهم الله عنّا جزآء».

وفيه: «وقد قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «والله لو ضربت خيشوم محبّينا بالسيف ما أبغضونا، ووالله لو أدنيت إلى مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبّونا».

وفى فضآئل الشيعة للصدوق رضوان‌الله تعالى عليه باسناده عن محمدبن حمران عن أبيه عن أبى‌عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه‌السلام قال: «خرجت أنا وأبي ذات يوم إلى المسجد، فاذا هو بأناس من أصحابه بين القبر والمنبر، قال: فدنا منهم وسلّم عليهم، وقال: إنّى والله لأحبّ ريحكم وأرواحكم، فأعينوا على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والإجتهاد، من ائتمّ منكم بقوم فليعمل بعملهم، أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأوّلون والسابقون الآخرون، والسابقون فى الدنيا إلى محبتنا والسابقون فى الآخرة إلى الجنّة، ضمنت لكم الجنّة بضمان الله عزّوجل وضمان النبى صلّى‌الله عليه وآله وسلّم وأنتم الطيّبون ونسآؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء وكل مؤمن صديق بكم من مرّة قال

أميرالمؤمنين عليه السلام لقنبر: أبشروا وبشروا فوالله لقدمات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو ساخط على امّته إلّا الشيعة، ألا وإن لكل شئ شرفاً وشرف الدين الشيعة، ألا وإن لكل شئ سيّداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة، ألا وإن لكل شئ إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، ألا وإن لكل شئ شهوة وإن شهوة الدنيا سكنى شيعتنا فيها، والله لولا ما فى الأرض منكم ما استكمل أهل خلافكم طيّبات وما لهم فى الآخرة من نصيب، كل ناصب وإن تعبّد واجتهد منسوب إلى هذه الآية: «عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية».

وفيه: باسناده عن أبى بصير عن أبىعبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فى حديث ـ: «يا علىّ بشّر إخوانك بأن الله قد رضى عنهم إذ رضيك لهم قائداً ورضوابك وليّاً، يا على أنت أميرالمؤمنين وقآئد الغرّ المحجّلين، يا علىّ شيعتك المبهجون، ولولا أنّك وشيعتك ما قام لله دين، ولولا مَن في الأرض منكم لما انزلت السمآء قطرها، يا على لك كنز في الجنّة وأنت ذوقرنيها، شيعتك تعرف بحزب الله، يا على أنت وشيعتك القآئمون بالقسط، وخيرة الله من خلقه...» الحديث.

وفى الخصال: قال الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى إطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون بفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا اولئك منّا وإلينا».

وعيون الأخبار: عن الامام على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثنآء عن آبآئه عليهم السلام قال: «قال رسول الله: أنا وهذا ـ يعنى علياً ـ كهاتين، وضمّ بين أصبعيه وشيعتنا معنا ومَن أعان مظلوماً كذلك».

وفى بشارة المصطفى: بإسناده عن محمدبن عمران بن عبدالكريم عن أبيه عن جعفربن محمد عليه السلام قال: «دخل أبى المسجد فاذاً هو باناس من شيعتنا فدنا منهم فسلّم ثم قال لهم: «والله إنّي لأُحبّ ريحكم وأرواحكم، وإنّى لعلى دين الله، وما بين أحدكم وبين أن يغتبط بما هو فيه إلّا أن تبلغ نفسه ههنا ـ وأشار بيده إلى حنجرته ـ فأعينونا بورع واجتهاد ومن يأتمّ منكم بامام فليعمل بعمله، أنتم شرط الله

وأنتم أعوان الله وأنتم أنصارالله وأنتم السابقون الأوّلون والسابقون الآخرون وانتم السابقون فى الجنّة، قد ضمنّا لكم الجنان بضمان الله ورسوله كأنكم فى الجنّة تنافسون فى فضائل الدرجات...» الحديث.

وفى إرشاد القلوب: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من عباد الله، ومن والانا وائتمّ بنا وقبل منّا ما اوحى إلينا، وعلّمناه إياه وأطاع الله فينا، فقد والى الله، ونحن خير البرية، وولدنا منّا ومن أنفسنا وشيعتنا منّا، مَن آذاهم آذانا ومَن أكرمهم أكرمنا، ومَن أكرمنا كان من أهل الجنّة».

وفى بشارة المصطفى: باسناده عن أبى‌عبدالله عليه‌السلام عن آبآئه عليهم‌السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على منبره ـ فى حديث ـ: «يا علىّ اشتدّ غضب الله عزّوجل على مَن قلاهم ـ يعنى الشيعة ـ وبرئ منك ومنهم، واستبدل بك وبهم، ومال إلى عدوّك وتركك وشيعتك واختار الضلال ونصب الحرب لك ولشيعتك، وأبغضنا أهل البيت، وأبغض مَن والاك ونصرك واختارك وبذل مهجته وماله فينا يا علىّ اقرئهم منّى السلام مَن رآنى منهم ومَن لم يرنى، وأعلمهم أنّهم إخوانى الذين أشتاق إليهم، فليلقوا عملى إلى مَن لم يبلغ قرنى من أهل القرون من بعدى، وليتمسّكوا بحبل الله وليعتصموا به وليجتهدوا فى العمل، فانّا لا نخرجهم من هدى إلى ضلالة، وأخبرهم أنّ الله عزوجل راضٍ عنهم، وأنه يباهى ملائكته وينظر إليهم فى كل جمعة برحمته ويأمر الملائكة أن تستغفر لهم.

يا علىّ! لا ترغب عن نصرة قوم يبلغهم أو يسمعون أنّى احبّك فأحبّوك لحبّى إياك ودانوا الله عزّوجل بذلك، واعطوا صفو المودّة من قلوبهم، واختاروك على الآبآء والإخوة والأولاد وسلكوا طريقك، وقد حملوا على المكاره فينا فأبوا إلّا نصرنا، وبذلوا المهج فينا مع الأذى وسوء القول، وما يقاسونه من مضاضة ذلك.

فكن بهم رحيماً واقنع بهم، فانّ الله عزّوجلّ اختارهم بعلمه لنا من بين الخلق، وخلقهم من طينتنا واستودعهم سرّنا وألزم قلوبهم معرفة حقّنا، وشرح صدورهم

متمسّكين بحبلنا لا يؤثرون علينا مَن خالفنا مع ما يزول من الدنيا عنهم ـ وميل السلطان بالمكاره عليهم ـ أيّدهم الله وسلك بهم طريق الهدى فاعتصموا به، فالناس فى عمه الضلالة، متحيّرون فى الأهوآء، عموا عن الحجّة، وما جآء من عندالله عزوجل، فهم يصبحون ويمسون فى سخط الله، وشيعتك على منهاج الحق والإستقامة، لا يستأنسون إلى مَن خالفهم، وليست الدنيا منهم، وليسوا منها، اولئك مصابيح الدُجى اولئك مصابيح الدُجى».

وفى **تفسير الامام الحسن العسكرى** عليه السلام ـ فى حديث ـ قال على بن الحسين عليهما السلام: «وأن أصحاب محمد المؤمنين منهم أفضل صحابة المرسلين...» الحديث.

وفى **المعيار والموازنة** لأبى جعفر الإسكافى المعتزلى ـ المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ـ فى توصيف الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام شيعته لكميل بن زياد: «اولئك الأقلّون عدداً، والأعظمون عندالله قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيّناته، حتّى يؤدّوها إلى نظرآئهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، فباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعر منه المترفون، واستانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا أيام حياتهم، وقلوبهم معلّقة بالمحلّ الأعلى، ثم قال: يا كميل اطلبهم! قلت: يا أميرالمؤمنين وأين أطلبهم؟ قال: اطلبهم فى أطراف الأرض، تجدهم قد اتخذوا الأرض بساطاً والمآء طيباً واليقين زاداً والقرآن شعاراً...» الحديث.

وفى **غاية المرام**: باسناده عن الحسن بن راشد عن أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبآئه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «قال لى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على منبره: يا علىّ إن الله عزّوجل وهب لك حبّ المساكين والمستضعفين فى الأرض فرضيت بهم إخواناً ورضوابك إماماً، فطوبى لمن أحبّك وصدّق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، يا علىّ أنت أميرالمؤمنين وقآئد الغرّ المحجّلين، يا علىّ شيعتك المنتجبون، ولولا أنت وشيعتك ما قام لله

عزوجل دين، ولولا من فى الأرض منكم لما انزلت السمآء قطرها، يا علىّ لك كنز فى الجنّة وأنت ذو قرنيها، وشيعتك تعرف بحزب الله عزوجل».

«الشيعة هم حزب الله الفائزون»

قال الله عزوجل: «إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» المآئدة: ٥٥-٥٦)

وقد انتهت الروايات فى نزول الآية الاولى فى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام حدّ التواتر عن طريق أهل بيت الوحى عليهم السلام وعن أبى ذر الغفارى وعبدالله بن عباس وعماربن ياسر وجابربن عبدالله وأبى رافع وعبدالله بن سلام وغيرهم من الصحابة وأوردها حملة آثار العامة فى أسفارهم كاحمدبن حنبل وابن مردويه وأبى الشيخ فى مسانيدهم وفى كنزل العمال ومنتخبه وفى النور المشتغل لأبى نعيم الإصبهاني وأسباب النزول للواحدى والسيوطى وغيرها، وفى الكتب التفسيرية وقد أجمع على ذلك المفسرون من الفريقين.

فى خصائص الوحى المبين لإبن البطريق (المتوفى عام ٦٠٠) باسناده عن ابن‌عباس رضى الله عنه قال: «أقبل عبدالله بن سلام ومعه نفر من قومه ممّن آمن بالنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم حين نزلت: «إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا» الآية.

ثم إنّ النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج إلى المسجد والناس من بين قآئم وراكع، فبصر بسآئل فقال له النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم خاتم، فقال له النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَن أعطاكه؟ قال: ذلك

القآئم ـ وأومى إلى عليّ عليه السلام ـ فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: علىٰ أيّ حال أعطاكه؟ قال: أعطانيه وهو راكع، فكبّر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم قرأ: «ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا» الآية.

فاستأذن حسّان بن ثابت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول في ذلك شيئاً فأذن له فقال:

أبا حسن تفديك نفسي ومُهجتي	وكلّ بطيئ في الهوى ومسارع
أيذهب مدحي في المحبّين ضآئعاً	وما المدح في جنب الإله بضآئع
فأنت الّذي أعطيت مذكنت راكعاً	زكاة فَدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبينها في محكمات الشرائع

أقول: ولا أظن أن يخفى على من له قلب سليم أن المتوالى هو الشيعى لأنه يتولّى الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والذين آمنوا الذين نزلت فيهم هذه الآية.

وفى أقرب الموارد: «المتوالى واحد المتاولة وهم الشيعة سمّوا به لانّهم تولّوا علياً وأهل البيت» وقد سبق البحث تفصيلاً فى محله فراجع.

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة أنّ الشيعة هم حزب الله الغالبون الفآئزون فنشير إلى نبذة منها روماً للاختصار:

١ـ روى السيوطى الشافعى فى تفسير (الدُرّ المنثور: ج ٦ ص ٣٧٩ ط مصر) عن جابر بن عبدالله قال: «كنّا عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فأقبل عليّ فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفآئزون يوم القيامة».

رواه الشوكانى فى (تفسير فتح القدير: ج ٥ ص ٤٦٤ ط مصر) والحموينى فى (فرائد السمطين).

٢ـ روى الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية: ص ١١٣ ط بمبئى) عن عبدالله بن عباس قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليّ وشيعته هم الفآئزون يوم القيامة».

رواه القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودّة: ص ٢٥٧ ط اسلامبول) وأبو محمد الحسينى فى (انتهآء الأفهام: ص ١٩ ط نول كشور).

٣- روى الحافظ ابن شيرويه الديلمى فى (الفردوس) باسناده عن امّ سلمة قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: علىّ عليه السلام وشيعته هم الفآئزون يوم القيامة».

رواه المناوى فى (كنوز الحقائق: ص ٩٨ ط بولاق) والبدخشى فى (مفتاح النجا: ص ٦١) والقندوزى فى (ينابيع المودة: ص ١٨٠ و ٢٣٧)

٤- روى الديلمى فى (الفردوس) باسناده عن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: شيعة علىّ هم الفآئزون».

رواه المناوى فى (كنوز الحقائق: ص ٨٨ ط بولاق) وعبدالله الشافعى فى (المناقب: ص ١٨٧)

٥- روى سبط ابن الجوزى فى (التذكرة: ص ٥٩ ط الغرى) عن أبى سعيد الخدرى قال: «نظر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى على بن أبيطالب عليه السلام فقال: هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة». وغيرهم تركناهم للإختصار، ونشير إلى نبذة ما ورد عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين:

فى التوحيد: باسناده عن محمد بن الحنفيّة قال: حدّثنى أميرالمؤمنين عليه السلام: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة آخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، قلت: يا أميرالمؤمنين وما الحجزة؟ قال: الله أعظم من أن يوصف بحجزة أو غير ذلك، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم آخذ بأمرالله، ونحن آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم آخذون بأمر نبيّنا، وشيعتنا آخذون بأمرنا».

وفيه: عن عمّار عن أبى اليقظان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «يجئ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون

والله ما نزعم أنها حجزة الإزار ولكنّها أعظم من ذلك، يجئ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم آخذاً بدين الله ونجئ نحن آخذين بدين نبيّنا، ويجئ شيعتنا آخذين بديننا».

أقول: إن الأخذ بالحجزة كناية عن التمسّك بالسبب الذى جعلوه فى الدنيا بينهم وبين ربهم ونبيّهم وحججهم أى الأخذ بدينهم وطاعتهم ومتابعة أمرهم، فالأخذ بأمرالله تعالى هو الأخذ بدينه والعمل بما أمر به فيه، فيحتجّ يوم القيامة ويتمسّك بأنه عمل بما أمره الله تعالى به.

وفى فضائل الشيعة: باسناده عن عامر الجهنى قال: «دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المسجد ونحن جلوس وفينا أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ عليه السلام فى ناحية، فجآء النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فجلس إلى جانب عليّ عليه السلام فجعل ينظر يميناً وشمالاً ثم قال: إنّ عن يمين العرش وعن يسار العرش لرجالاً على منابر من نور تتلألأ وجوههم نوراً قال: فقام أبوبكر وقال: بأبى أنت و امّى يا رسول الله أنا منهم؟ قال: إجلس، ثم قام إليه عمر فقال مثل ذلك، فقال له: إجلس، فلمّا رآى ابن مسعود ما قال لهما النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قام حتى استوى قآئماً على قدميه، ثم قال: بأبى أنت وامّى يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم بصفتهم؟ قال: فضرب صلّى الله عليه وآله وسلّم على منكب عليّ عليه السلام ثم قال: هذا وشيعته هم الفآئزون».

وفى أمالى الصدوق: بإسناده عن سالم بن أبى الجعد قال: «سئل جابر بن عبدالله الأنصارى عن على بن أبيطالب عليه السلام؟ فقال: ذاك خير خلق الله من الأوّلين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، إن الله عزوجل لم يخلق خلقاً بعد النبيين والمرسلين أكرم عليه من على بن أبيطالب عليه السلام والأئمة من ولده بعده قلت: فما تقول فيمن يبغضه وينتقصه؟ فقال: لا يبغضه إلّا كافر ولا ينتقصه إلّا منافق، قلت: فما تقول فيمن يتولّاه ويتولّى الأئمة من ولده بعده؟ فقال: إنّ شيعة عليّ والأئمة من ولده هم الفائزون الآمنون يوم القيامة. ثم قال: ما ترون لو أن رجلاً خرج

يدعو الناس إلى ضلالة، مَن كان أقرب الناس منه؟ قالوا: شيعته وأنصاره قال: فلو أن رجلاً خرج يدعو الناس إلى هدىً، مَن كان أقرب الناس منه؟ قالوا: شيعته وأنصاره قال: فكذلك على بن أبيطالب عليه السلام بيده لوآء الحمد يوم القيامة، أقرب الناس منه شيعته وأنصاره».

وفيه: باسناده عن ابن عبّاس قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: يا عليّ شيعتك هم الفآئزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني ومن أهانني أدخله الله نار جهنّم خالداً فيها وبئس المصير، يا عليّ أنت منّي وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا فمن أحبّهم فقد أحبّنا، ومَن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومَن ودّهم فقد ودّنا.

يا عليّ إنّ شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب، يا عليّ أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشّرهم بذلك يا عليّ شيعتك شيعة الله وأنصارك أنصارالله وأولياؤك أوليآؤالله وحزبك حزب الله، يا عليّ سعد من تولّاك وشقي من عاداك، يا عليّ لك كنز في الجنّة وأنت ذوقرنيها» أي طرفي الجنّة وجانبيها. وقيل: اريد بذي قرنيها: الحسن والحسين عليهما السلام.

وفي كشف الغمة: من كتاب الحافظ عبدالعزيز: روى أنّه قال سلمان لعليّ عليه السلام: ما جئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنا عنده إلّا وضرب عضدي أو بين كتفي، وقال: يا سلمان هذا وحزبه المفلحون».

﴿قصّة إسمعيل ذبيح الله﴾

والدروس العلمية والعملية النافعة

قال الله جل وعلا: «وقال إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين ـ وفديناه بذبح عظيم» الصافات: ٩٩-١٠٧)

فى هذه القصّة الشجاعة بالفتك بالعادات المزرية بالإنسانية، والشجاعة فى اقتحام الأهوال... وقد قام بمثل ذلك نبيّنا محمد رسول الله وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وهم من نسل الذبيح إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام وفيها الصبر والصلابة، الحلم والإنائة، والايمان والإستقامة... وأن يستعدّ الإنسان لتسليم نفسه لله جل وعلا وحده كل وقت لا يبالى بما يصيبه من فقد أو ظلم أو هضم حق أو قتل... كل ذلك دروس علميّة وعمليّة نافعة لنا وتهيئة للمعالى...

ومن الواضح أن مسيرة الأنبيآء والمرسلين عليهم السلام على وجه البسيطة من أهمّ الفواعل فى ضبط حركة المجتمع الإنسانى وتوجيه الأفراد والجماعات... ودفع المسيرة التأريخية وفق تلك الضوابط... وباتجاه الخط المستقيم والمسار الواضح الذى جدير لكل إنسان أن يسير فيه: «اولئك الذين آتينا هم الكتاب والحكم والنبوّة ـ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ٨٩-٩٠ و١٥٣)

ومن المعلوم ـ بالضرورة ـ أن الإستذكار وتدارس العيّنات المشرقة الوضآئة فى تاريخ البشرية، وما انتجت من تجارب إنسانية غنيّة، ومنجزات حضارية متقدمة من شأنه أن يمنح فيوضاً من الدروس العلمية والعملية النافعة والزخم الحركى

للانسان أثنآء رحلة دأبه وجهاده فى هذه الحياة الدنيا، وأنّ سلوكيّة الأنبيآء والمرسلين عليهم السلام فى جوانبها الشخصية والإجتماعية والتبليغيّة عموماً باعتبارها تمثل ترجمة صحيحة لتعاليم رسالات السمآء ومبادئها، إنّما تشكل مصدراً ثميناً ثرا للمنهاج السوى للإنسان فى سلوكه وتعامله وتفاعله على كافّة الأصعدة داخل إطار المجتمع...

فالأنبيآء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ثبّتوا قيماً ومعايير تضبط العلاقات الإنسانية وتوجهها نحو ما يضمن الخير والسلامة، والفوز والسعادة، والفلاح والكمال للجميع، ونحو الشكل الذى يحقق رضاء الله جل وعلا ويتطابق مع إرادته فيما يتعلّق بالنمط الذى ينبغى أن يكون عليه الوجود الإنسانى من حيث علاقة الإنسان بربه الكريم، ومن حيث شكل الآلية الإجتماعية المتحركة داخل المجتمع والتى تتناول كافّة أبعاد الإنسان ومختلف انشطته المادية والمعنوية...

ونحن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية حينما نعيش فى ظلال سيرة نبىّ من الأنبيآء الكرام وخاتمهم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم من نسل هذا الذبيح اسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذى أسلم وأفدى نفسه لربه، فبذلك نال بالسيادة التى ما نال بها نبىّ ولا رسول قبله، فانما نعيش تجارب وعبراً ودروساً غزيرة العطآء، كثيرة البركة، وفيرة الثمر، وإنما نحيا أنواراً بها أضآء الله تعالى آفاق الحياة والأرض: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً» الأحزاب: ٤٥-٤٧)

ونحن نريد ههنا أن نذهب مع إبراهيم عليه السلام ذهاباً سريعاً من كوثى ربى - وهى قرية من قرى الكوفة قرب الشاطئ الغربى للفرات وُلد بها إبراهيم عليه السلام - إلى منى: مذبح إبنه إسمعيل لما فى هذه الحركة من القطاع المتماسكة من الأحداث والصراع، من المعاناة والمفاجآت ومن العطآء الحضارى البنّآء، حركة ندرس بها حياة الإنسان الكامل والكمال الإنسانى والصلاح والفلاح... ونعرف كيف تكون الطاعة لله وحده والتسليم لأمره والصلابة فى دينه، والصبر على القضآء، ونعرف

حقيقة الشيعة من سلامة القلب وهى الولاية لله تعالى والبرآئة من أعدآئه: «وإنّ من شيعته لإبراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون» الصافات: ٨٣-٨٥)

هذا هو إبراهيم عليه السلام أبو الأنبيآء داعية التوحيد ورسول الحنيفية السمحآء وَلِهَ بحبّ الله جل وعلا فتعشق تلك الحقيقة الكبرى، فملكت عليه وعيه وروحه وإحساسه، هام بها فراح يحملها رسالة وعقيدة وهدفاً يجوب الآفاق ويقطع الفيافى والقفار... رسولاً وداعياً وهادياً ومبشّراً ونذيراً يصدع بدعوته ويهجر أهله ووطنه ودنياه من أجل تلك المبادئ والقيم التى آمن بها وحملها، فلم تكن حياة إبراهيم عليه السلام ملكاً له ولم ير نفسه خادماً لدنياه، ولم يكن النعيم والاستقرار وخصب الرافدين ليستهوى قلبه وعقله، إذ كان يرى الدنيا ملكاً لنفسه، ولا يرى نفسه ملكاً لدنياه، وإنّما هو يرى نفسه ملكاً لدينه، ولذلك ظلّ مسلكاً لرسالته، أميناً وفيّاً لمبادئه، وقد كان إبراهيم عليه السلام كما وصفه ربه: «وإنّ من شيعته لابراهيم إذ جآء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون».

﴿إبراهيم و سلامة قلبه عليه السلام﴾

هذا هو إبراهيم عليه السلام أبو الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين شآء الله تعالى أن يولد وينمو ويترعرع فى أرض الرافدين (أرض العراق) فى ظل الوثنية والظلم وجبروت النمرود ملك بابل وطاغيتها المستبد، وُلد فيها على فطرة التوحيد، وتوحيد الفطرة، وقد جعله الله عزوجل مناراً استرشد به أنبيآء الله والمؤمنون بعده فى كل عصر، بل هو الامثولة الطيبة السامية التى جعلها الله تعالى لبنى الإنسان أجمعين.

ولعمرى! انا إذا أردنا أن نفهم حقيقة الشيعة لا نجد تعبيراً أدق وأفضل من وصفه بصفة صاحب القلب السليم، هذا القلب الذى كان آية فى العطف والرقّة وفى الحنان والسلامة من الحقد والعداوة، من البغض واللجاجة، من العناد لأهل التقوى والمغفرة، ومن الخصال النميمة... وكيف لا يحمل ابراهيم عليه السلام وهو شيعة شيخ الأنبيآء نوح عليه السلام أبو آدم الثانى، مثل هذا القلب وهو الداعى المجتمع والأفراد كلهم فى كل ظرف إلى سلامة القلب، القائل عن مصير الانسان يوم القيامة:

«يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم» الشعرآء: ٨٨-٨٩)

قول رائع لا ترتقى إلى سمّوه أيّة نظرية فلسفيّة، ولا يسمو عليه أىّ مذهب أخلاقىّ لأنّه يحدّد للانسان فى كل وقت ومكان، الغاية التى يجب على كل إنسان أن يضعوها نصب أعينهم فى سبيل السموّ الانسانى والسعادة الأبدية ألا وهى الإعتنآء بسلامة قلوبهم بولاية أصحاب الولاية التى هى ولاية الله جل وعلا،

وبالبرآءة من أعدآء الله: «إذ جآء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون».

إنّ موطن العظمة فى إبراهيم عليه السلام هو قلبه السليم المملؤ بالولاية لله تعالى، والبرآءة من أعدآئه، قلبه السليم الذى وسع الناس كلهم، لأنه نذر نفسه فى سبيل إسعادهم، سوآء أكانواهم أقرب الناس إليه نسباً أم كانوا لا يمتون إليه بصلة القربى، فهو حريص على ايصال الخير لهم، وتخليصهم عن الشرور والآثام... ومن عبادة الأصنام التى فشت فيهم، تلك العبادة التى كبلت عقولهم وجعلتهم فريسة للخرافات، تلك العبادة التى أرهقتهم بتكاليف خاسرة تنوء بها استعداداتهم كتقديم القرابين لها من طعام وشراب وذبآئح تذهب هدراً، تلك العبادة الّتي إنحططتهم وتلك العبادة التى لغضب الله الواحد الديان بسبب الإنصراف عن عبادته إلى عبادة جمادات لا تعى ولا تسمع.

فقلب ابراهيم السليم لا يطيق رؤية أبيه وقومه يتيهون فى الشرك والضلالة، وينغمسون فى عبادة الأصنام، فيسعى إلى هدايتهم بالعقل والمنطق، فبدأ دعوته، ينادى بعقيدة التوحيد، ويتحدّاهم: «أ إفكاً آلهة دون الله تريدون ـ والله خلقكم وما تعملون» الصافات: ٨٦-٩٦) وفى رأسهم جبروت إمبراطورية النمرود وكبريآئه الذى دعاه إلى أن يأمر شعبه بعبادته وتاليه الظلمة، فواجه إبراهيم عليه السلام الموقف الصعب ليرسم الطريق لطلائع الهدى وقادة الايمان، واجه الظلم والكفر والطغيان بالعزم الراسخ، بالارادة القوية، وبالصبر والصلابة، فضرب رأس الط وت وأثار فى النفوس روح العزم والقوّة والصلابة لإستئصال الوهن والضعف، وإذكاء جذوة الايمان، وروح التصدّى للطغيان والفساد...

وكعادة المسيرة البشرية، فإنّ الطلائع الحدية، والشخصيات القوية المتماسكة قليل أمثالها فى التاريخ، فكثيرون هم اولئك الذين يحسون بالظلم ويميزون ظلام الجاهلية ولكنّهم ضعاف جبنآء يحبّذون العيش وسط أسراب القطيع...

لقد كان ابراهيم عليه السلام قد تحدى قومه المشركين وفى رأسهم إمبراطورية عاتية

وسلطاناً رهيباً ليصنع الدرس فيرويه لنا القرآن الكريم: «إنّ إبراهيم كان امّة» النحل: ١٢٠)

«قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برؤا منكم ومما تعبدون من دون الله» الممتحنة: ٤)

إن فى حياة إبراهيم عليه السلام درساً غالياً لكل مؤمن فى العزم والإرادة، فى الصبر والصلابة، وفى الإقدام والشجاعة، والاستماتة فى سبيل المبدإ والعقيدة، إذ كان إبراهيم يقف وحده وجهاً لوجه أمام قومه الذين فشت فيهم عبادة الأصنام... وكان وحده يسفه معتقدات قومه المشركين، ويدعوهم بالحجّة والبرهان إلى ترك عبادتها، ولكن ما أشقّها دعوةً، فانه لا شئ أصعب على الإنسان من تغيير معتقداته الموروثة التى حلّت فى نفسه مكان التقديس والإجلال، ولا شئ يثير غضبه أكثر من تسفيه معتقداته، ولهذا كانت مهمّة إبراهيم عليه السلام شاقّة جدّاً تحتاج إلى عزم راسخ وإرادة قوية، وشجاعة وأناة وصبر وصلابة لتلقى نقمة قومه التى كانت أوّل بوادرها من أبيه ـ: عمّه ـ الذى قال له: «لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرنى مليّاً» مريم: ٤٦)

لم يجد إبراهيم عليه السلام من قومه آذاناً صاغية لدعوته، بل وجد إعراضاً وعداوة وهجراناً فلم يثنه ذلك عن قصده، ولم يدخل الوهن إلى قلبه السليم، بل شهر فى وجوه قومه سلاحاً أمضى وأقوى، سلاحاً يدمّر معتقداتهم، ويزلزل بنيان مقدساتهم، إنّه سلاح مقاومة الباطل باليد وهو أشدّ أثراً من مقاومة الباطل والضلالة والشرك والغواية بالقول الذى لم يجد معهم نفعاً، إنّه السلاح العملى الذى حطم به أصنامهم: «فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين» الصافات: ٩١-٩٣)

إن نتيجة هذا العمل واضحة للعيان: إما موته المحقق، وإما إقناع قومه بترك عبادة الأصنام... هذا اسلوب عملى إرتآه إبراهيم عليه السلام ليظهر لقومه أن معبوداتهم لا تستطيع الدفاع عن نفسها، فكيف تدافع عنهم أو تصيبهم بالخير والشرّ ـ كما يعتقدون ـ!! هذه طريقة فذة أراد أن يظهر بها إبراهيم عليه السلام لقومه أن

معبوداتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم، فعند ما سُئِلَ إبراهيم عليه السلام عن الفاعل أجاب: «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» الصافات: ٩٥-٩٦) «بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون» الأنبيآء: ٦٣)

لقد فجّر هذا العمل نقمة قومه، فحاكموه و أصدروا حكمهم عليه بالموت حرقاً: «قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم» الصافات: ٩٧)

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يجزع ولم يصب بانهيار يفقده وعيه، بل وقف أمام الجمع الهادر من قومه مطمئناً إلى مصيره تغمره الثقة بالله جل وعلا.

درس ما أجلّه لدعاة الإصلاح، يقوى نفوسهم، ويصهر مواطن التردد والخوف والوهن فيهم ليحيلها إلى نفوس أجر أو أقوى...

وقد أقام إبراهيم عليه السلام مدّة فى مولده (كوثى ربى) وتزوّج أثنآئها بابنة عمه سارة، وكان يدعو الناس بدون وهن ولا توقف إلى التوحيد وترك الأنداد، فأعرض الناس تحت ضغط الخوف والإرهاب والجهل وسطوة النمرود عن دعوة ابراهيم إلّا قليل منهم، وما أعرض عنها إلّا مَن سفه نفسه، فخف نفر ممّن شرح الله تعالى صدورهم للايمان، وآتاهم البصيرة النيرة والحسّ الروحى الشفاف لاستقبال الدعوة وحمل الأمانة رغم إرهاب النمرود وجبروته الطاغى، وكان ممن فتح الله تعالى قلبه للايمان لعقيدة الحق والهدى، وأيقظ حسّه لاستقبال دعوة التوحيد ونفخ فيه روح العزيمة والتحدى الشجاع زوجته سارة، فانها كانت أوّل من آمن بابراهيم عليه السلام وآمن له إبن أخيه - أو خالته - لوط، فآمنوا به وصدقوه واتبعوه وساروا معه حتّى نهاية الشوط.

ولمّا احتدم الصراع بين إبراهيم والنمرود الطاغى وعبدته السفلة، وأصرّوا واستكبروا وقرّروا حرق إبراهيم عليه السلام ومكافحة دعوته، والوقوف بوجهه، وضاق ذرعاً بموطنه، لم يبق أمامه عليه السلام إلّا هجر الفجّار والمشركين، والبغاة المتواطنين، والهجرة من بلدته هذه إلى الله جل وعلا رافعاً صوته بالقرار:

«إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين» الصافات: ٩٩).

﴿هجرة إبراهيم عليه السلام﴾

من أرض العراق إلى مصر

قال الله تعالى: «وقال إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين» الصافات: ٩٩)

وقد عزم إبراهيم عليه السلام على الهجرة من أرض العراق، وكان سببها العداوة الشديدة التى حصلت بين إبراهيم عليه السلام ومَن آمن معه وبين عبدة الأصنام الذين أبوا الاستجابة لدعوته، فتبرّأ إبراهيم عليه السلام منهم وأعرض عنهم، هذا الموقف الذى وقفه إبراهيم عليه السلام من قومه مدحه الله تعالى عليه فى القرآن الكريم وحثّ المؤمنين على الاقتدآء به: «قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضآء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤)

وهو أوّل من هاجر من الخلق، ومعه سارة زوجته وابنة عمه وابنة خالته ولوط إلى أرض الشام التى كان يُطلق عليها أرض كنعان، اتجه الجمع وراح يغذ السير ويقطع الفيافى والقفار عبر صحرآء العراق متجهاً إلى أرض الشام، أرض كنعان (فلسطين) فاستقرّ فيها إبراهيم عليه السلام وحطّ رحاله هناك ليبدأ الفصل الجديد، وليصنع أغنى فصول التاريخ فى حياة الانسان، بدأ الفصل الجديد فى أرض فلسطين، كفاح وهجرة وجدب ومعاناة، فليست الهجرة إلّا الهجر والمعاناة والإختبار، وليست هى إلّا التربية والإعداد والبنآء الإنسانى الذى يفك فيها الإنسان إرتباطه من الأهل والاحبّة والوطن، ويحكم علاقته وتعلّقه بالله جل وعلا فهى ليست التغرب وقطع المسافات والغياب عن الدار والبعد عن الأحبّه

وحسب، ولكنّها هجرة الروح والعقل والمشاعر...

فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبيآء عليهم السلام طوى فيافى الأرض وهجر أرض بابل، ولم يصحبه من الأهل إلّا سارة المؤمنة المهاجرة، فكانت أوّل النسآء المؤمنات افتتاحاً لدرب الهجرة فما كان إبراهيم عليه السلام ملوماً بحبّه لها وتعلّقه بها، فهى ابنة عمه وبنت خالته، ورفيقة جهاده وصاحبة هجرته، فلبث إبراهيم عليه السلام ومن معه فى أرض كنعان زمناً غير طويل، وشآء الله تعالى أن تمنع السمآء قطرها، وأن تجدب أرض الشام، وتنزل بها ضآئقة شديدة تهدّدها بالمجاعة، فنزح كثير من أهلها سعياً للرزق أو طلباً للكلأ والمرعى لقطعانهم، فيتوارى من أرضها الخصب والروآء، وكان أن نزح إبراهيم وقصد مصر ليقطع الدرب الطويل، فهو والقدر الموعود: ام اسمعيل، هاجر، على لقآء فى خط فى لوح القدر واحتجب فى ضمير الغيب.

وطأ إبراهيم عليه السلام أرض مصر، فوجد فيها ظالماً كما ترك فى أرض بابل الملك الظالم نمرود، وقد شآء الله عزوجل أن يطوى إبراهيم عليه السلام تلك الأيّام فى أرض النيل بعيداً عن أذى الطاغوت ثم عاد إبراهيم عليه السلام من مصر إلى فلسطين ومعه زوجه سارة وجارية مصرية تدعى هاجر تملكها سارة، فحطّ ابراهيم عليه السلام رحاله فى أرض الشام من جديد، وسكن هذه المرّة فى (بلدة السبع) فى فلسطين، وأسرج فيها مشعل النور والهدى، ورفع صوت التوحيد، وبنى مسجداً للذكر والدعوة والعبادة هناك ، واتخذ فيها بئراً معيناً للخصب والطهارة والحياة إلّا أن أهل هذه البلدة ما عرفوا قدر إبراهيم عليه السلام ولم يشكروا نعمة وجوده فيهم، فآذوه وضيّقوا عليه، فتركهم ورحل، ورحلت البركات وجفت البئر برحله عليه السلام وواصل إبراهيم عليه السلام مسيره حتى وصل بلدة (القِط أو القَط) بين الرملة وايليا فى الشام، ويعيش مع سارة وهاجر فى بيت واحد.

«هاجر امّ إسمعيل و ولادته عليهما السلام»

قال الله عزوجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «رب هب لى من الصالحين فبشّرناه بغلام حليم» الصافات: ١٠٠-١٠١)

مَن «هاجر»؟ هى أمة ضعيفة لا حول لها ولا طول، وهى من «أم العَرَب» يقال لها: «أم العريك» قرية كانت أمام «الفَرَما» مدينة بمصر من شرق تبعد عن ساحل بحر الروم بقدر ميلين، جآئت بها سارة: زوجة إبراهيم عليه السلام من مصر إلى أرض كنعان.

كان الشيب قد دبّ إلى إبراهيم عليه السلام و كانت سارة عجوزاً عقيماً يئست من أن تعطى زوجها ولداً، وهما ينظران فى أرجآء البيت، فيرانه أقفراً مجدباً من زهرات العمر وابتسامات الطفولة، و تخدمهما جارية مصرية هاجر تملكها سارة، وقد كانت نفس إبراهيم عليه السلام ترغب فى ولد، فدعا الله تعالى أن يهبه ولداً صالحاً: «رب هب لى من الصالحين» فاستجاب الله جل وعلا لابراهيم عليه السلام دعآئه، إذ وقع فى نفس سارة ما خطّ فى لوح القدر، فشعرت بما يجول فى خاطر زوجه إبراهيم عليه السلام فقالت له: إن الرّبّ حرّمنى الولد، فأرى أن تتزوّج جاريتى هاجر لعلّ الله أن يرزقك منها ولداً، فبدالها أن تهبه تلك الجارية المصرية، لعله يسكن إلى إحدى الراحتين! وعلّ الله أن يهب منها ذريّة النبوّة ويغمر أجوآء البيت ببراءة الطفولة، وحنان الابوّة الرطيب.

فزوّجها إبراهيم عليه السلام و الأمل الكبير يملأ قلبه، ويراود نفسه، الذرية الصالحة

التى تحمل مشعل التوحيد، وراية الكمال الإنسانى، وترفع لواء الإسلام لله الواحد القهّار، فتزوّج إبراهيم عليه السلام هاجر، وهو يتضرّع إلى الله عزوجل ويرفع يديه بقلب سليم، ونفس مشوقة إلى الولد والذرية الصالحة التى تعمر الأرض بالتسبيح وتحييها بالتقديس والصلاح: «رب هب لى من الصالحين» فاستجاب دعآئه، فبشره بغلام حليم، يحمل صفة أبيه: «فبشرناه بغلام حليم» كما وصف أباه من قبل: «إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب» هود: ٧٥)

وقد حملت «هاجر» بالجنين، الأمل والبشرى والوفآء... وتمرّ الأيام على هاجر فينمو جنينها وينمو معه الحلم والأمل... تتنامى معه مشاعر البشر والانتظار فى نفس الشيخ إبراهيم عليه السلام ويكبر الجنين وتظهر على هاجر علائم الحبالى وآثارها، فتخشى تحسّس سيّدتها الحديث الجديد، وتخاف إثارة غيرتها ومشاعر الخيبة ومخاوف العقم فى نفسها، فتتخذ لنفسها منطقاً (حزاماً) تتمنطق به لتخفى أثر الجنين وتخفى معالم اسمعيل فى رحاب مملكة الرحمة والحنان... ومرّت الأيّام واكتمل الجنين وظهرت آثاره من امّها هاجر، فهاج ذلك فى سارة ما فى فطرة حوّآء من غيرة، وخُيّل إليها أنّ أمتها هذه صارت تنظر إليها فى مباهاة، فأقبلت سارة على زوجها عاتبة شاكية تقول: «أنا دفعت إليك جاريتى، فلمّا حملت ترفعت عَلَىّ!»

فردّ عليها إبراهيم عليه السلام: ملاطفاً: «هى جاريتك تصنعين بها ما تشآئين».

لكن سارة لم تشأ أن تصنع شيئاً بل تجلدت للموقف، حتّى أذن الله تعالى للوليد البشرى أن يطلّ على عالم الدنيا، فيملأ صحرآء الشام بنظراته وتأملاته النبوية الشفافة التى كانت تواصل رحلتها إلى أعماق الحقيقة، وتستجلى آفاق الكون الفسيح ونواميس الوجود، وتقرأ فى صفحاته ندآء إبراهيم عليه السلام: «يا بنىّ إن الله إصطفى لكم الدين فلا تموتن إلّا وأنتم مسلمون» البقرة: ١٣٢)

فولدت له عليه السلام إسمعيل الذى وصفه (سفر التكوين ـ الفصل ١٧ آية ٢٠): «وأما إسمعيل فقد سمعت قولك فيه وهاء نذا أباركه وانميه واكثره جدّاً جدّاً ويلد اثنى عشر رئيساً وأجعله امّة عظيمة».

هذه بشارة الأئمة الاثنى عشر من أهل بيت الوحى عليهم السلام فإنّ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم من نسل إسمعيل ولم يتحقق هذا الوعد فى ذرية إسمعيل إلّا من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

أبصر اسمعيل عليه السلام ضيآء الشمس وعمر أبيه ست وثمانون عاماً، ولد إسمعيل فى بادية الشام أو فى مدينة (قطر أو قطر) بين الرملة وايليا، فاحيط مولده بالآمال والآلام، آمال إبراهيم وهاجر، وآلام سارة التى تملك الخوف قلبها ومشاعرها...

لقد أصبحت الجارية المصرية هاجر سيّدة البيت ووارثة النبوّة ومستودعة الذرية، ولم تكن مشاعر سارة ومخاوفها لتحتمل هذا الجوّ الجديد، فراحت تقسو على اسمعيل وهاجر، وتتعامل معهما بخشونة وجفوة... إذ نفد صبرها وغُلِبَ إحتمالها، حتى أقسمت ألّا يؤويها وجاريتها سقف بل قالت لابراهيم عليه السلام: «لا تساكني - تعنى هاجر - فى بلد».

﴿هجرة هاجر وإسمعيل من أرض الشام إلى وادي مكّة﴾

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» إبراهيم: ٣٧)

لمّا وُلِدَ اسمعيل من هاجر تغيّرت أجوآء بيت إبراهيم عليه السلام وخيمت عليه مشاعر الشحنآء والإضطراب العائلى، وأصبحت سارة لا تطيق هاجر ومولودها الجديد، لما أثار الحسرة والغيرة فى نفس سارة، فما عسى أن يكون؟ وما عسى أن يفعل رب أُسرة تتعرض اسرته لمثل هذا الوضع العجيب الذى يكاد أن يتلاشى؟ أنّ قصارى ما يمكن أن يكون هو أن يفرّد لزوجته بيتاً إلى جوار بيته أو فى منطقة قريبة من داره، ولكن الذى حدث لم يخطر على بال أحد ولم يفكر به إنسان أن تطلب سارة من ابراهيم عليه السلام إقصآئهما عن وجهها، ولا يسكنهما فى بلد تعيش فيه، لأن حياتها مع هاجر أصبحت لا تطاق، فما زالت بزوجها حتى انطلق ذات يوم ميمماً شطر الجنوب تتبعه «هاجر» وبين ذراعيها وليدها «إسمعيل» وهو يومئذ رضيع.

فأوحى الله جل وعلا إلى إبراهيم عليه السلام أن يستجيب إبراهيم عليه السلام لرغبة سارة لأمر يريده الله تعالى فيأخذ هاجر وإسمعيل ويذهب بهما إلى أرض الحجاز، ويلتمس لولده اسمعيل وامّه هاجر ملاذاً فى حمى بقايا البيت العتيق، «أوّل بيت وضع للناس للذى ببكّة مباركاً و هدى للعالمين» آل‌عمران: ٩٦) أوّل بيت عُبِدَ فيه الله عزوجل فى الأرض.

فاصغى إبراهيم عليه السلام إلى كلمة الله جل وعلا رغم ما فى نفسه من لوعة الفراق وحرارة الغربة فقد كان مطمئناً إلى رعاية الله تعالى، واثقاً من عطفه وحنانه، موقناً أن سيكون لهذا الرضيع شأن عظيم، فدعا إبراهيم عليه السلام هاجر وإسمعيل إلى الهجرة من أرض الشام والمسير إلى أرض الحجاز، فاستجابت هاجر لدعوته، فحملا متاع السفر، وليس بينهما سوى عينى إسمعيل ترنوان إلى الطريق، وتشيعان أرض الشام برضىً ووداعة، وتستقبلان باحة بيت الله العتيق، وقبلة الموحّدين، فقد شآء الله تعالى أن تكون تلك الأرض مدرج صباه ومراتع طفولته، وموضع تأمله فى الكون والوجود، ومسرح تاريخه وميدان نبوّته ودعوته وأرض مناسكه وعبادته...

فاصطحب إبراهيم عليه السلام الغلام الرضيع إسمعيل، وامّه هاجر، وسار ترشده إرادة الله تعالى، فسار الموكب المهاجر يطوى الأرض، ويفتح صفحات جديدة فى سجل التاريخ، وطال به السير، حتى وافى مكة، ووصل المكان الموعود، فأمره الله تعالى بالتوقف فيه، فى أرض مقفرة خلاء بعيدة عن العمران لا يكاد يلمّ بها سوى نفر من البد والرُّحّل، وقوم من العماليق كانوا يعيشون خارجها، ويتنقلون من حين إلى حين إلتماساً أو انتجاعاً لمرعى.

توقّف إبراهيم عليه السلام فى مكان سيبنى فيه بيت الله الحرام، فقال: أنزلى هنا يا هاجر أنت وطفلك الرضيع، واسكنى الأرض الحرام أنت وولدك إسمعيل!

وعند ربوة هناك حيث أطلال البيت العتيق ترك إبراهيم عليه السلام «هاجر» وولدها «إسمعيل» وترك لها جراب تمر، وسقآء فيه مآء، وأمرها أن تتخذ لها عريشاً، ثم همّ بالرجوع من حيث جآء... تلفتت هاجر سرحت بنظرها فى صعيد الأرض، لم تر أُنساً، ولم تسمع صوتاً، ولم تشاهد بشراً، فارتاعت من وحشة البرية، فتبعته ملتاعة، وتضرّعت إلى سيّدها إبراهيم عليه السلام ألّا يدعها وولدهما فى ذاك القفر المرهوب وقالت له: «إلى أين تذهب يا سيّدى إبراهيم؟ لمن تتركنا بهذا الوادى الموحش المقفر؟ مع مَن نقيم؟ كيف نحيى بهذا الوادى الّذى ليس فيه أُنس

و لا شئ؟ و كيف نعيش في هذا الوادى الجديب؟؟؟»

قالت له ذلك مراراً مستعطفة لكنه عليه السلام أشاح بوجهه عنها لا يلتفت ولا يجيب وهو يمضى فى سبيله، كأنّما كان يخشى أن تخونه عاطفته أمام الأُم الوالهة الحيرى، رحمة بابنه الوحيد المنبوذ مع امّه بالعرآء... وقد استولى الإحساس بالغربة والوحدة على هاجر، وشعرت بقسوة الصحرآء وجدب الوادى الغريب، وأحسّت أن الوادى ينظرها بعين التساؤل والاستغراب، لم ينزل إلى جنبها إبراهيم عليه السلام ولم يمكث معها فترة يؤانسها و يبدد من حولها وحشة البعد والانفراد، بل كان معها كصاحب طريق أو مودع يصحبها إلى ثنيات الوداع، حطت هاجر رحالها، واستقر بها النوى تحت شجرة فى وادى البيت الحرام بموضع زمزم.

بصحبتها صغيرها الرضيع إسمعيل عليه السلام ولم يكن معها من متاع السفر غير قربة مآء وطعام مسافر وإزار.. ألقت أزارها على شجرة من بين أشجار الوادى العقيمة، فاستظلت تحته، نظرها إبراهيم عليه السلام نظرات مودع، ثم همّ بالعودة... أحسّت هاجر دنوّ الفراق، وتصورت غياب الخليل وقد تركها وإسمعيل وحيدين يحوطهما بحر الرمال وحفيف الريح، وزئير الوادى الموحش الجديب، فتوجهت إليه بالخطاب تناديه باسمه وتستثير فى نفسه العطف والحنان... فلم تكن تعلم أنّ الذى أقدم عليه إبراهيم عليه السلام أمر إلهى وقضآء ربّانى يسير نحو هدف وغاية خطت بعناية الرحمن، وهو عليه السلام منصرف عنها ماضٍ فى سبيله لا يلوى على شئ حتّى إذا بلغ منعرج الوادى سمع صوتها الضارع يسئل فى لهفة: «يا إبراهيم! آللّٰه أمرك أن تدعنى وهذا الصبى الرضيع فى هذا البلد الموحش فى موضع ليس فيه انس ولا مآء ولا زرع؟»).

أحسّ إبراهيم عليه السلام فى نفسه اللوعة وقرأ فى عينيها قصيدة العتاب، فأراد أن يطمئنها أنه لم يقس ولم يجف عليها، ولم يضعها رخيصة فى هذا الوادى البعيد، فأجاب دون أن يلتفت إليها: «نعم! اللّه الذى أمرنى أن أضعكم فى هذا المكان هو يكفيكم» أراد ابراهيم عليه السلام أن يشعر هاجر: أن الذى حدث لم يكن خضوعاً

منه لضغط سارة، ولكنّه كان ينفذ قصّة محكمة من قصص التاريخ يجسدها على مسرح الشرق الكبير من أرض بابل إلى الشام، إلى مصر، ثم إلى الشام ثانية، ثم إلى أرض الحجاز ليقيم فى هذه الأرض رمز التوحيد (الكعبة) ويرفع نداء الايمان والكمال الإنسانى، ويصنع امة مسلمة تدين لله وحده.

لقد كان جواب إبراهيم عليه السلام مطمئناً، والأمل فى نفسها كبيراً، أحسّت هاجر أنّ عناية خاصّة تحوطها من لدن رب الرحمة والحنان، فقالت معبّرة عن ثقة وتوكّل صادق عميق واستسلام خاشع: «إذن فالله لا يضيعنا» وأطرقت صامتة، فلم تر «إبراهيم» ورجعت إلى المكان الذى وضعها إبراهيم عليه السلام فيه مع ولدها.

إنصرف إبراهيم عليه السلام بعد أن أدّى المهمّة الموكلّة إليه، وقلبه منفطر أسىً على فراق زوجته وولده، ولكنّه تسليم لإرادة ربه، فقفل راجعاً إلى زوجته «سارة» فى أرض الشام، وقلبه يتلفت إلى وديعته فى جوار بيت الله الحرام، وعيناه تشيعان هاجر واسمعيل، وصل جبل كدآء بذى طوى، فأراد أن يطمئنّ رغم الوعد والثقة بالله جل وعلا، ويؤدّى حق الزوجية لهاجر، وحق الابوّة والرعاية لاسمعيل، فالتفت إليهما، وقد رفع وجهه ويديه إلى السمآء وهو يبتهل إلى الله جل وعلا فى توسّل وضراعة ويدعوه بهذه الكلمات:

«ربنا إنّى أسكنت من ذريتى بواد...»

وقد كشف إبراهيم عليه السلام بكلماته هذه، السّرّ والعمق، وحلّ رمز الموقف والحدث الكبير فى دعآئه الواضح الصريح... أن إبراهيم عليه السلام ما فعل الذى فعله خضوعاً لضغط سارة أو إستجابة لمشاعر إمرأة تتضايق من تفوّق ضرّتها، بل كان ينفذ فصول قصّة، ويصنع ملحمة تاريخ قد خطّ بمشيئة الله جل وعلا، أتى باسمعيل ليكون بذرة التوحيد، وغرس النبوّة الخصبة فى الوادى الجديب لتقام الصلاة فى الأرض المقدّسة، وليرفع منار الحق والهدى من موضع البيت العتيق.

﴿نبع ماء زمزم ودوران طفولة إسمعيل حول البيت العتيق﴾

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» إبراهيم: ٣٧)

إنّ إبراهيم عليه السلام استودع إسمعيل وهاجر فى بيت ربه، ويمم وجهه صوب الشام وراح يستحث الخطى، وعيناهما تقفوان أثره حتى عجزا عن المسير معه، فعادا يَجولان فى أرجآء الأرض المحرّمة، فاستقرت هاجر واسمعيل فى ظل القدر... وأقبلت هاجر على ولدها تستمد منه الانس والعزآء، وكادت تنسى به محنة الرق ومأساة الهجر، وقد شغلت بالنظر إلى وجهه اللطيف الحبيب، فلم تشعر لأوّل الأمر بوحدتها الرهيبة فى البرية القفر، ولم تدرك حق الإدراك قسوة موقفها بالوادى الأجرد بين الصخور الكالحة والجبال الغبرآء...

حتى نفدت مؤنتها الضئيلة من مآء وطعام، وبدأ الظمأ يناوش الطفل الصغير الرضيع العزيز، أحسّت امه ذلك منه، فهبت مذعورة تبحث له عن مآء، فلمّا لم تجد مآءً بدالها أن تصعد إلى علٍ، فنظرت أىّ الجبال أدنى من الأرض، فاذاً «الصفا» قريب منها، فصعدت الصفا،فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر: هل ترى أحداً؟ وتسمّعت: هل تؤنس صوتاً؟ فلما لم تجد إلّا الوحشة والصمت، هبطت الوادى، وراحت تسعى مهرولة سعى المجهد تبحث عن مآء حتى بلغت المروة، وصعدت علّها ترى أثراً من حياة، ولا أثر، فغاب عنها إسمعيل، فخافت عليه، فاتجهت نحوه حتى بلغت الصفا، نظرت إلى إسمعيل فاطمئنت عليه ثم أعادت

شوطها تبحث عن المآء... وأجهدها السعى بين الصفا والمروة شوطاً بعد شوط بحثاً عن المآء حتى فعلت ذلك سبع مرّات، فلذلك سعى الناس بينهما بالحج ذُكراً من عمل هاجر سلام الله عليها.

وفى كل مرّة عينها لا تفارق موضع إسمعيل، حتى نال منها التعب والإعيآء فى نهاية شوطها السابع وهى تقف على المروة، فتهاوت على الأرض الصخرية مستسلمة لقضآء الله تعالى فيها وفى ولدها، لكنّها لم تلبث فى مكانها طويلاً، فلقد كان لُهاث ولدها الظامئ يمزق قلبها ويفرى كبدها، وكان مرآه والحياة تتسرب منه وتنطفى رويداً رويداً، أقسى من أن تحتمله اومتها، فجمعت كل مابقى لها من قوّة، وزحفت بعيداً عن ولدها المحتضر ثم غطت وجهها بلفاعها وهى تقول: «لا أنظر موت الولد...»

وأمسك الكون أنفاسه، ولم يبق من صوت سوى لُهاث المحتضر وأنين امّه، يتردد صداهما فى البلقع القفر، مختلطاً بعوآء وحوش الفلاة، وسُعار السباع الجآئعة المحومة على المكان... كأنّها ترقب الخفقة الأخيرة فى فريستها المنتظرة...

وفى نبع مآء زمزم آراء مختلفة:

أ: إذ كانت هاجر تنظر إلى اسمعيل فى نهاية شوطها السابع، وهى تقف على المروة رأت المآء قد سال من حوله، وانفجر ثدى الأرض ينبوعاً يروى عطش الصحراء، ويسيل عيناً تحكى قصّة الظمأ والرواء والحياة فى الوادى الجديب، كم كان فرح هاجر وسرورها حين رأت زمزم تفيض بالمآء من تحت قدميه وهو يدور ويناغى ينبوع الخصب والحياة وسط الجدب والجفاف العبوس ... هرعت هاجر لتجمع الرمل من حول الينبوع وتحجز المآء المنساب على صعيد الأرض، وتغترف منه، فتسق وليدها الرضيع اسمعيل. سمّى زمزم بعد أن زمزمته أى جمعته بما جعلت حوله من رمل.

ب: حوم طآئر على المكان ثم حطّ على بقعة هناك ، فظلّ ينقر فيها بمنقاره حتى انبثق مآء زمزم، فهرعت هاجر نحوها وهى تحسّ موجة دافقة من القوّة والحيوية قد

سرت فی کیانها، وأقبلت ترتوی، وتسق ولدها...

ج: لمّا أشرفت هاجر علی المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه - ترید نفسها - ثمّ تسمّعت فسمعت أیضاً، فقالت: قد أسمعت إن کان عندك غوث، فاذا هی بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو بجناحه حتی ظهر المآء، فجعلت تخوضه وتقول بیدها هکذا: زمزم، زمزم... وجعلت تغرف من المآء فی سقآئها وهو یفور بعد ما تغرف.

د: حین کانت هاجر فی شوطها السابع واقفة علی المروة، سمعت بکاء إسمعیل علیه السلام فاسرعت إلیه، ورأت ان اسمعیل علیه السلام کان یفحص الأرض بقدمیه أو بیدیه، فنبع المآء من تحتها، ولما رأت هذا المشهد المثیر، غمرها الفرح والسرور، ثم جعلت تغرف من المآء تسق ولدها وتروی نفسها.

ترك إبراهیم علیه السلام إبنه الرضیع إسمعیل فی جوار البیت العتیق، ولکنّه لم ینسه ولا یغفل عنه، ولا ینقطع عن ولده وعن مهوی قلبه وموضع کعبة توحیده، بل کان بین الفینة والفینة یزور الدیار.. وقد کان اسمعیل یشبّ فی أرجاء الحرم، وبدأت بوادر القوّة والفتوّة تظهر علیه، فراح یصلح النبل ویمارس الصید فی رحاب الحرم.

وذات مرّة قدم إبراهیم علیه السلام وهو یسرّ فی نفسه رؤیا رآها، رؤیا الابتلاء و الإختبار و اکتشاف الحقیقة والأسرار... لقد کان اختباراً من نوع خاص یتناسب وانکشاف حقائق التوحید، وأسرار الکعبة ونوامیس الوجود، ومعرفة النبوة، والرسالة والإمامة والولایة الحقة بالله تعالی، لقد ابتلی إبراهیم علیه السلام بذبح ولده، وابتلی اسمعیل باعارة جمجمته وفداء نفسه لله جل وعلا، انه اختبار من نوع فرید، لا یبتلی به ولا ینجح فیه إلّا اولئك الذین عرفوا الله عزوجل حق معرفته، الذین علموا أن الدنیا خلقت لهم، ولم یخلقوا هم للدنیا، فلم ینظروا للدنیا إلّا من خلال علاقتهم به عزوجل، ولم یرتبطوا بها إلّا من خلال ما یرضیه ویحقق إرادته.

وقف إبراهیم علیه السلام بجوار اسمعیل، وهو یراه یافعاً یمتلئ حیویة ونضارة،

يراه أنه بلغ مبلغ السعى معه، ويفيض حبّاً لأبيه وإحتراماً، وقف وهو يحمل السّرّ فى نفسه، يريد أن يبوح به إلى ولده الوفىّ، بعيداً عن امّه هاجر، تلك الام التى تحملت من الآلام والمشاق من أجل وحيدها إسمعيل مالم تتحمله أُمّ فى الدنيا... وما عسى إبراهيم عليه السلام أن ينقل إليها من خبر؟... طوى عنها سرّ الرؤيا، وأسر الكلمة إلى ولده وراح يحدثه بصدق وطمأنينة:

«يا بنى إنّى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى» الصافات: ١٠٢)

وقد كان اسمعيل يستمع إلى صوت أبيه، وهو يبلغ كلمة الله تعالى، وينقل إليه مشيئة القدر، وكان إسمعيل يعرف أن رؤيا الأنبيآء حق لأنها بمثابة الوحى من الله جل وعلا وانها حديث الغيب، ينفذ إلى عالم الشهادة، ولذلك تلقّاها إبراهيم عليه السلام أمراً فعزم على تنفيذه، ولم يثنه عن عزمه أنّ إسمعيل ابنه الوحيد، وانه أصبح فى سنّ الشيخوخة وليس له ولد إلّا إسمعيل، وكان يصغى إسمعيل إلى قول أبيه متأملاً:

«فانظر ماذا ترى» إنى اريد أن أجعلك قربان حبّ وطاعة لله عزوجل، أفترضى أن تكون...؟ أفينتصر حب الله تعالى فى نفسك على حبّك لها...؟ إنّ النبوة والرسالة وإنّ الإمامة والولاية يا إسمعيل باهضة الثمن، غالية المهر...

أجاب اسمعيل عليه السلام إجابة المفوّض لله جل وعلا، الواثق بعدله وحكمته، المطمئنّ إلى صدق أبيه، متلقّى رؤيا أبيه وحياً حتماً من الله تعالى لا يتخلّف ولذلك عبّر عنه بأمر الله تعالى: «إفعل ما تؤمر»، فما كان إسمعيل يرى فى الذبح إلّا السبق والعجالة للحاق بربه والفنآء بحبّه وقربه...

قد لا يستسيغ الناس مثل هذا الحبّ، ولا يستطيعون الجمع بين ألم السكّين ومعاناة الموت ومرارة الفقد، بين الحبّ والشوق، ولكن افق النبوّة والرسالة أرحب، وقلب الولى والإمام أوسع، ورؤى الموحّد الناظر بعين البصيرة أنفذ... ومن كان كذلك فلا يحجبه ألم الذبح، ولا منظر الدم والسكين عن الإستجابة للبدء برحلة الشوق للّحاق بالله جل وعلا، وقد جال إسمعيل عليه السلام فى افق

التوحيد والولاية، وتأمّل فى رؤيا أبيه فأجاب: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين»

ادنُ إلى مذبح الحب والقرب والشوق والابتلاء الصعب يا إسمعيل، سار الاثنان معاً إلى حيث أُمرا، وما عسى أن تصور ريشة الفنان أو يبدع الحرف والبيان، ليصف الموقف والساعة والرؤى والمشاعر.. أب رحيم يفيض قلبه حباً وحناناً يقود ولده إلى مذبح الموت ويطلب إليه أن يمارس هو نفسه التنفيذ والإنقياد والشيعة والإتباع والطاعة... هنا يا اسمعيل... عند شعب جبل ثبير، ننفذ المهمّة ونطل الدم المقدّس... توقفت الخطى، ووجبت الساعة ودنت لحظات الذبح المروع... إلتفت إسمعيل إلى أبيه ثم قال:

«يا أبتى! اشدد رباطى حتّى لا أضطرب، واكفف عنّى ثيابك حتى لا ينتضح من دمى شئ فتراه امّى، واشحذ شفرتك، واسرع مرّ السكّين على حلقى ليكون أهون علىّ فان الموت لشديد».

فقال له إبراهيم عليه السلام: «نعم العون أنت يا بنىّ على أمر الله».

ما كان إسمعيل عليه السلام لينسى وفآئه لهاجر، ولم يشأ ليروعها بدمه المقدّس، فخفق قلبه يذكر امّه الحنون، وعند لحظات الفراق تتراءى صور الأحبّة وذكريات الحبيب، لقد خلص الإثنان نجيا عند موقع يقرب من مسجد الخيف الآن ومن حولهما آفاق مكة وجبال الصمت وعيون الوادى تشهد المنظر الغريب، كل شئ بدا واجماً ترتسم على معالمه كلمات السؤال والاستغراب، عدا قلب إبراهيم السليم، وعينى إسمعيل الناظرتين ببصيرتهما النافذة، فقد أسلما للقدر وطرح إبراهيم عليه السلام ولده الوحيد على الأرض ليذبحه، دونما توقف أو اعتراض: «فلمّا أسلما وتلّه للجبين».

وتهادت شفرة إبراهيم عليه السلام فلمّا يكتب للخلود وفاء إبراهيم عليه السلام وينقش فى عينى التاريخ رؤى اسمعيل الفريدة فى عالم الإنسان، وشفة تردد آى التسبيح والثنآء وتناجى نحر الذبيح... سلام عليك فى الخالدين، نفذ الإبتلاء وأتمّ

إبراهيم واسمعيل عليهما السلام فروض الطاعة، وكشفا عن صدق السريرة واخلاص القصد والعبادة، ومعنى التسليم والطاعة، فهبطت كلمة الله عزوجل عفواً ورحمة بابراهيم وإسمعيل عليهما أفضل صلوات الله وأزكى تحياته ونودى:

«أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلآء المبين وفديناه بذبح عظيم».

فافتدى الله تعالى نبيّه بكبش عظيم، فحلّ رباط إسمعيل، وهو يسبّح بحمد الله عزوجل ويردّد آى الثنآء وانطلق إسمعيل عليه السلام يبدأ خطى الحياة من جديد وعاد لامّه، عاد يبنى الكعبة ويرفع كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ويبلّغ رسالات ربه، وعاد ليلد اثنى عشر رئيساً جعلهم الله تعالى امّة عظيمة:

«لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الألباب» يوسف: ١١١).

﴿كلمات مختلفة حول الذبيح﴾

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام: «رب هب لى من الصالحين فبشّرناه بغلام حليم ـ وفديناه بذبح عظيم» الصافات: ١٠٠ـ١٠٧)

وقد اختلفت الكلمات فى المقام: أكان هذا الذبيح هو إسمعيل بن إبراهيم أو أخاه اسحق عليهم السلام اختلافاً كثيرا قديماً وحديثاً، لدسّ اليهود العنيد فى هذه القصّة وتحريفهم الكلم عن مواضعه من جهة، إذ يرون أن الذبيح لو كان اسحق لكان لهم فيه فخر ولإلفات بعض المنافقين أنظارَ المسلمين والمؤمنين عن أهل بيت الوحى عليهم السلام من جهة اخرى إذ كانواهم من نسل إسمعيل عليه السلام كما يظهر من كلمات أعلام العامّة، فلابد لنا من الاشارة إليها، ثم إلى ما يستفاد من القرآن الكريم والروايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فى المقام على طريق الإختصار لرفع الاختلاف بتّاً إن شآء الله تعالى:

فى تفسير المراغى ـ وهو من أعلام العامة ـ قال: «ولكعب الأحبار ضَلْع فى هذه الأخبار وأمثالها التى تلقاها المسلمون عنه، وكان يحدّث بها عن الكتب القديمة وهى جامعة بين الغثّ والسمين ثقة بأن عمر ـ بن الخطاب ـ قد استمع منه، ومن ثَمَّ احتاج الثقات إلى تمحيصها وعزل جيّدها من بهرجها وصحيحها من سقيمها».

ثم قال: «ومن قائل إنه اسمعيل وهو الذى يساوقه صحيح النظر ونصوص القرآن ويؤيّده:

١ـ رواية ذلك عن ابن عباس، فقد روى عطاء ابن أبى رباح عنه أنه قال:

المُفدىٰ هو اسمعيل عليه‌السلام وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود.

ب- روى مجاهد عن ابن‌عمر أنه قال: الذبيح اسمعيل.

ج- أن ابن إسحق قال: سمعت محمدبن كعب القرظى يقول: إن الذى أمرالله ذبحه من ابنيه هو اسمعيل، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فانه بعد أن فرغ من قصّة المذبوح من إبنى إبراهيم قال: «وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين» وقال: «فبشّرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب» فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الموعد ما وعده، وما الذى أمر بذبحه إلّا اسمعيل. قال ابن اسحق سمعته يقول ذلك كثيراً».

ثم قال: «وعلى الجملة فظاهر نظم الآية والروايات التى يروونها يؤيد أنه اسمعيل ولكن اليهود حسدوا العرب على أن يكون أباهم هو الذى كان من أمر الله فيه ما كان ومن الفضل الذى ذكره‌الله له لصبره لما امر به، فجحدوا ذلك وزعموا أنه اسحاق لأنه أبوهم».

وفى التفسير المبين: قال: «وفى الإسرائيليات: أن الذبيح المُفدىٰ هو اسحق أبو الإسرائيليين، وصدّقهم بعض الشذاذ والشاذّ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب كما قال الإمام أميرالمؤمنين عليه‌السلام وقد جآء فى‌الحديث عن الرسول الأعظم صلّى‌الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» أى اسمعيل وعبدالله بن عبدالمطلب».

وفى التفسير القرآنى للقرآن - لعبدالكريم الخطيب من أعلام العامة- قال: «وهنا أمر نحبّ أن نقف عنده وهو: مَن الذبيح؟ إسمعيل؟ أم اسحق؟ وهو أمر ما كان يجوز أن نثير حوله جدلاً، إذ كان - فى رأينا- أوضح من أن يجادَل فيه وهو أن الذبيح -على يقين- هو إسمعيل عليه‌السلام ولكن أصابع اليهود قد لعبت فى هذا النسج المحكم، ونسجت حوله خيوطاً من الكذب والتضليل، كان لها تأثير فى تفكير بعض المسلمين الذين لهم مقامهم فى المسلمين ومكانتهم فى الإسلام، حتّى لقد وقف بعضهم موقف الشك والتوقّف... وحتّى لقد تجاوز بعضهم هذا، فرجّح القول بأن

الذبيح هو إسحق لا إسمعيل!!

ونحبّ أن ننبّه هنا إلى أنّنا لا نفاضل بين هذين النبيين الكريمين... فكلاهما فى مقامه العظيم عندالله وفى مكانه المكين من قلوب المسلمين جميعاً...

وإنّما الذى يدعونا إلى هذا هو حمل الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر هذا الحديث على غير ما ينطلق به مدلول ألفاظها، حتى تستجيب للقول الذى دسّه اليهود على المسلمين بأن إسحق هو الذبيح، وهذا ـ فى رأينا ـ عدوان على القرآن الكريم، يبلغ حدّ التبديل وتحريف الكلم عن مواضعه!

وقبل أن ننظر فى آيات الله التى تحدث بهذا الحديث يحسن أن نكشف عن وجه اليهود فى هذا المقام، وعن المدخل الذى دخلوا على المسلمين منه... وقبل أن نواجه اليهود بهذه الفرية التى افتروها، يحسن كذلك أن نذكر ما لليهود من جرأة على الكتاب الذى فى أيديهم وعلى العبث به، وإلقآء أهوآئهم وضلالاتهم عليه دون تحرّج أو تأثم... وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى فيهم: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله» البقرة: ٧٩) ويقول سبحانه فيهم أيضاً: «قل مَنْ أنزل الكتاب الذى جآء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً» الأنعام: ٩١)

فاليهود ـ كما وصفهم القرآن ـ قد بدّلوا كثيراً وحرّفوا كثيراً فى التوراة ولم يحترموا كلمة الله ولم يقفوا عند منطوقها أو مفهومها... وقد كادوا للاسلام بهذا كثيراً ورفعوا من التوراة كل ما كان فيها من دلائل وإشارات على بعثة النبى العربى، كما رفعوا منها كثيراً من الأحكام التى جآء الاسلام يُدينهم بها كما جآئت فى شريعتهم... ولم يقفوا عند هذا فى الكيد للإسلام... بل راحوا يدسّون على المسلمين أحاديث ينسبونها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقيمون لها سنداً ينتظم فى سلسلته عدداً من الصحابة والتابعين، وتابعى التابعين وخاصّة من كثرت روايات الحديث عنهم كأبى هريرة...».

ثم قال: «وأكثر من هذا فان بعضاً من اليهود دخل الإسلام لاعن عقيدة ولكن

ليكيد له... وقد كشف بعضهم عن ظاهر، إنخدع به المسلمون. بما رأوا فيهم من مظاهر الاستقامة والزهد والغيرة على الدّين، حتّى اطمأنّوا إليهم وقبلوا كل ما يأتى من جهتهم... وحسبنا أن نذكر هنا بولس «الرسول» الذى كان من أشدّ اليهود عداوة للمسيح عليه‌السلام وملاحقةً له بالأذى هو وأتباعه... ثم رآى ان يكيد للمسيحيّة كيداً أبلغ من هذا، فدخل فى دين المسيحيّة ثم ما لبث أن أخذ مكان القيادة فيها، وأصبح الداعية الأوّل بعد المسيح... وبهذا أمكنه أن يحدث ما أحدث فى المسيحيّة من تثليث، لم يكن أحد من أتباع المسيح وحوارييه يعرف شيئاً عنه... حتى أن الأناجيل الأربعة المعتمدة الآن ـ على رغم ما حدث فيها من تحريف ـ لم تجئ فيها إشارة واحدة إلى الوهية المسيح وإلى جعله أحد الأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القدس...».

ثم قال: «نقول هذا النقيم منه شاهداً على أن هذا النصّ الذى جآء فى التوراة عن أن إسحق هو الذبيح ـ هذا النصّ هو من مفتريات اليهود على الله ومن تبديلهم لكلمات الله... ومثل كل جرم، فى أنه لابد أن يترك على جريمته أثراً ينمّ عنه، وشاهداً يشهد عليه مهما اجتهد فى أخذ الحذر والحيطة، ومهما بلغ من مكر وخبث ودهآءٍ، فقد ترك اليهود على هذا النصّ الذى حرّفوه ما يشير بأكثر من إصبع، وينطق بأكثر من فم بأنهم كاذبون مفترون!

تقول التوراة التى فى أيدى اليهود: (فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين): «وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا ابراهيم فقال هأنذا... فقال: خذ إبنك وحيدك الذى تحبّه إسحق، واذهب إلى أرض المريّا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال التى أقول لك...»

والتلفيق واضح فى هذا النصّ، لا يحتاج الكشف عن زيفه إلى إجتهاد، إذ يكاد يكون الحكم على زيفه نصّاً منطوقاً... وإنه لا إجتهاد مع النصّ... فاذا كان إسحق هو الإبن الوحيد لإبراهيم، فلا داعى لأن يحدّده الله له بالاسم، فيقول له: «إبنك وحيدك الذى تحبّه اسحق» وكان يكفى أن يقال له: ابنك أو وحيدك أو

اسحق...

ومن جهة اخرى فان التوراة تذكر أنه قد ولد لإبراهيم إبن من زوجه هاجر، إسمه اسمعيل و انه ولد قبل اسحق بأربعة عشر عاماً... فكيف يكون اسحق هو الإبن الوحيد لابراهيم؟

وهل إسمعيل ليس ابناً لابراهيم حتّى يكون إسحق هو الإبن الوحيد له؟ ولو قالت التوراة هذا لما كان هناك تضارب فى أقوالها... ولكن التوراة تقول عن اسمعيل إنه ابن إبراهيم. تقول التوراة: «فولدت هاجر لأبرام (إبراهيم) إبناً ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل» (الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين).

وإذا كنّا نعذر اليهود فى هذا التقوّل على الله إذا كان ذلك طبيعة فيهم وشأناً غالباً عليهم، وإذا كانوا إنّما يبغون بهذا مصلحة خاصّة لهم، وكيداً للاسلام وتلبيساً على المسلمين... وإذا كنّا نعذر العلمآء والدارسين من غير المسلمين أن يأخذوا بما فى التوراة ممّا يخالف القرآن الكريم وأن يرجّحوا نصوصها على نصوص القرآن ـ فانّنا لا نجد وجهاً للعذر فيما كان من بعض المسلمين ـ وفيهم العلمآء الأعلام ـ من التوقف فى نصوص القرآن، إزآء هذا النصّ الذى جآءت به التوراة أو الأخذ به، وإقامة تأويل الآيات القرآنية عليه... إنّ ذلك ـ كما قلنا ـ يكاد يكون تبديلاً لآيات الله وتحريفاً للكلم عن مواضعه...».

ثم قال: «ومن عجب أن نجد عالماً فقيهاً مفسّراً كابن جرير الطبرى، يرجّح القول بأن إسحق هوالذبيح، ومن عجب أيضاً أن نجد عالماً جليلاً كابن عياض يذهب إلى هذا المذهب ويقول به فى كتابه: «الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى» و من عجب ـ ولا عجب ـ أن نرى رجلاً كالجاحظ يجعل هذه المقولة من المسلّمات عنده، فيتحدّث فى كتابه: «البيان والتبيين» عن إسحق، ويضيف إليه تلك الصفة، وهى أنه الذبيح».

ثم قال: «وفى تفسير ابن كثير مقولات كثيرة فى هذا المقام، تضاف إلى صحابة

رسول الله لتقع من النفوس موقع القبول والتسليم... وقد فضحها إبن كثير وكشف عن المصدر الذى جاءت منه... يقول إبن كثير: «وهذه الأقوال كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم فى الدولة العمريّة، جعل يحدث عمر ـ ابن الخطاب ـ عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر، فترخص الناس فى استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثّها وسمينها، وليس لهذه الامّة حاجة إلى حرف واحد مما عنده».

أقول: فتدبّر أيّها القارى الخبير الحرّ المنصف فيما أوردنا من جملة كلمات بعض أعلام العامة فى المقام، ومن إسلام كعب الأحبار اليهودى الجاسوس فى عهد عمربن الخطاب واختلاطه معه وصيرورته استاذاً لعمربن الخطاب واستماعه لتلك الأحاديث الكاذبة والمفتريات منه، مع أن عمر كان ينهى عن كتابة سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم لئلا تختلط بالكتاب على ما هو مضبوط فى كتب العامة ثم اقض ما أنت قاض.

فى تفسير الجامع لأحكام القرآن ـ فى تفسير سورة «ص» فى قوله تعالى: «واذكر عبدنا أيوب...»: ٤١) قال القرطبي ما لفظه: «و الاسرائيليات مرفوضة عند العلمآء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها أُذ نيك، فانها لا تعطى فكرك إلّا خيالاً ولا تزيد فؤادك إلّا خبالاً وفي الصحيح واللفظ للبخارى أن ابن‌عباس قال: يا معشر المسلمين! تسئلون أهل الكتاب، وكتابكم الذى انزل على نبيّكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤنه محضاً لم يُشب، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيّروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا: «هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً» ولا ينهاكم ما جآءكم من العلم عن مسئلتهم فلا والله مار أينا رجلاً منهم يسئلكم عن الذى أنزل عليكم، وقد أنكر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم فى حديث الموطأ على عمر قرائته التوراة» انتهى كلامه وهو من أعلام العامة فتدبّر جيّداً ثم اقض.

وفى تفسير الطبرى: «عن أبى هريرة عن كعب الأحبار: أن الذى أمر إبراهيم بذبحه من إبنيه إسحق».

وفى: مع الأنبيآء فى القرآن الكريم لعفيف عبدالفتّاح طبّاره ـ وهو من أعلام العامة ـ قال: «القرآن ينص على أن الذبيح هو اسمعيل لأنه ذكر قصّة الذبيح ثم بشّر الله إبراهيم بولد آخر إسمه إسحق: «وبشّرناه باسحق نبياً من الصالحين» فالإتيان بالبشرى باسحق بعد ذكر قصّة الذبح صريح فى أنّ إسحق غير الغلام الذى ابتلى ابراهيم بذبحه.

أما اليهود فيدّعون أن الذبيح هو إسحق، فسفر التكوين ـ الفصل ٢٢ آية ٢ ـ يذكر الذبيح ويستهل ذلك بذكر هويته بما قاله الرب لابراهيم: «خذ إبنك وحيدك الذى تحبّه اسحق واذهب إلى أرض مورية».

وقد ردّ ابن كثير على هذا الإدّعآء فقال (فى البداية والنهاية، ج ١ ص ١٥٩):

«فلفظ اسحق هنا مقحمة... لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر وإنّما ذاك هو اسماعيل، وإنما حمل اليهود على هذا حسد العرب، فان اسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز والذين منهم رسول الله، واسحق والد يعقوب وهو إسرائيل الذى ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجرّوا هذا الشرف إليهم فحرّفوا كلام الله وزادوا فيه».

وفى التبيان: قال: «واختلفوا فى الذبيح فقال ابن‌عباس وعبدالله بن عمر ومحمد بن كعب القرظى وسعيد ابن المسيّب والحسن فى إحدى الروايتين عنه والشعبي: انه كان إسمعيل وهو الظاهر فى روايات أصحابنا، ويقويه قوله بعد هذه القصّة وتمامها: «وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين» فدلّ على أن الذبيح كان اسمعيل.

ومن قال: إنه بشر بنبوّة إسحق دون مولده، فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضى البشارة باسحق دون نبوّته، ويدل أيضاً عليه قوله: «فبشرناها باسحق ومن ورآء اسحق يعقوب» ولم يذكر اسمعيل، فدلّ على أنه كان مولوداً قبله وأيضاً فانه بشّره باسحق وانه سيولد يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك» وقد روى عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم انه قال: «أنَا ابن الذبيحين» ولا خلاف أنه كان من ولد اسمعيل والذبيح الآخر هو عبدالله أبوه.

وفى تفسير الصافى ـ بعد ذكر الحديث: ان الذبيح هو اسمعيل عليه السلام ـ قال: «ويؤيد هذا أن البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب فلا يناسب الأمر بذبحه مراهقاً».

وفى المجمع: ـ على طريق الإختصار ـ: «واختلف العلمآء فى الذبيح على قولين: أحدهما ـ أنه إسحق، والقول الآخر: أنه إسمعيل. ثم قال: إلّا أن الأظهر فى الروايات انه اسمعيل ويعضده قوله بعد قصّة الذبح: «وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين» ومن قال: إنه بشر بنبوّة اسحق فقد ترك الظاهر ولأنه قال فى موضع آخر: «فبشّرناه باسحق ومن ورآء اسحق يعقوب» فبشّره باسحق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشّره بذريّة إسحق ثم يأمره بذبح اسحق مع ذلك، وقد صحّ عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» ولا خلاف أنه من ولد اسمعيل والذبيح الآخر هو عبدالله أبوه.

وحجّة من قال: إنّه اسحق: أن أهل الكتابين ـ أى اليهود والنصارى ـ أجمعوا على ذلك. وجوابه: ان إجماعهم ليس بحجّة وقولهم غير مقبول.

وروى محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى قال: كنت عند عمر بن عبدالعزيز فسئلنى عن الذبيح؟ فقلت: إسمعيل. واستدللت بقوله: «وبشّرناه باسحق نبيّاً من الصالحين» فأرسل إلى رجل بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمآء اليهود فسئله عمر بن عبدالعزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: إسمعيل ثم قال: والله يا أميرالمؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان من أمرالله فيه ما كان، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن إسحق أبوهم.

وقال الأصمعى: سئلت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح: إسحق أم اسمعيل؟ فقال: يا أصمعى أين ذهب عنك عقلك؟ ومتى كان اسحق بمكة؟ وإنما كان بمكة اسمعيل وهو بنى البيت مع أبيه والمنحَر بمكّة لا شك فيه.

وفى متشابه القرآن ومختلفه لابن شهرآشوب المازندرانى رضوان الله تعالى عليه قال:

«والمنحر بمكة يعنى مسجد الكبش وهو بالمزدلفة، وقال ابن عباس كان قرنا الكبش معلّقين فيها ولم يزالا فيها إلى أن حرق الحجاج البيت».

وفى تفسير القمى: قال: «وقد اختلفوا فى اسحق وإسمعيل وقد روت العامّة خبرين مختلفين فى إسمعيل وإسحق».

أقول: ولا يخفى على القارئ الخبير أنّ القمىّ رضوان الله تعالى كان من أقدم قدمآء المفسرين، وهو يقول: إن منشأ الاختلاف فى الذبيح ما روته العامّة المتأثّرة من أمثال كعب الاحبار اليهودى الجاسوس استاذ عمر بن الخطاب وأبى هريرة ومَن إليهما...

في التفسير القرآني للقرآن (ج ١٢ ص ١٠١٥ ط دارالفكر العربى مطبعة السنة المحمدية): «وهذا القول ـ أى القول بأن إسحق هو الذبيح ـ متلقّى من أهل الكتاب (يعنى اليهود) مع أنه باطل بنصّ كتابهم، فإنّ فيه: «إن الله أمر إبراهيم أن يذبح إبنه بكره» ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أنّ اسماعيل هو بكر أولاده».

وفيه: «والذى غرّ أصحاب هذا القول ـ أى القول بأن الذبيح هو إسحق ـ أن فى التوراة التى بأيديهم: «ادع ابنك اسحق» وهذه زيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله: «ادع ابنك ووحيدك» ولكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف، وأحبّوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم، ويختاروه لأنفسهم دون العرب وأبى الله أن يجعل هذا إلّا لأهله».

﴿بيان الأدلّة القاطعة على أنّ إسمعيل هو ذبيح اللّه﴾

قال الله تعالى: «فبشّرناه بغلام حليم فلمّا بلغ معه السعى قال يابنىّ إنّى أرى فى المنام أنّى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين فلمّا أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلآء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين و بشّرناه باسحق نبيّاً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريّتهما محسن وظالم لنفسه مبين» الصافات: ١٠١-١١٣)

وما يستفاد من الآيات الكريمة القرآنية و الروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين على أن الذبيح هو إسمعيل بن إبراهيم عليهما صلوات الله امور كثيرة نشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

الاول: أنّ اسمعيل عليه السلام كان دعوة مستجابة من الله عزوجل لأبيه إبراهيم عليه السلام إذ قال: «ربّ هب لى من الصالحين» الصافات: ١٠٠) فبشّره الله تعالى بقوله: «فبشّرناه بغلام حليم» وأما إسحق فقد كان بشرى غير منتظرة بشّر الله تعالى بها سارة إمرأة إبراهيم عليه السلام على يأس من أن يكون لها ولد لقوله جل وعلا: «وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب قالت ويلتى أ ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشئ عجيب» هود: ٧١-٧٢) فلو أراد إبراهيم عليه السلام أن يقدّم ابناً من أبنآئه قرباناً لله تعالى لكان الحق يقتضيه أن يقدم الولد

الذى طلبه واستجاب الله تعالى له فيه لا أن يقدّم الإبن الذى وهب الله عزوجل إيّاه إمرأته اليآئسة العقيمة، إنّ ذلك مما يدخل الضيم على هذه الهبة العظيمة من الله الواهب المنّان.

إن تسئل: إن القرآن الكريم يذكر أنّ الله تعالى بشّر إبراهيم باسحق فى قوله: «وبشّرناه باسحق نبيّاً من الصالحين» الصافات: ١١٢)؟

تجيب عنه: إن البشرى قد كانت لامرأته سارة بالولد، فانّها فى الوقت نفسه بشرى له عليه السلام أيضاً، وقد خصّت هى بالبشرى إذ كانت سارة ولا ولد لها على حين كان لابراهيم عليه السلام ولد من إمرأته «هاجر» وهو إسمعيل عليه السلام.

الثانى: إن إبراهيم عليه السلام لـمّا أراد الهجرة من بلد الشرك والطغيان إلى بلد يستطيع فيه أن يعبدالله تعالى وحده ويدعوالناس إلى التوحيد والعبادة لله وحده إذ قال: «إنّى ذاهب إلى ربّى سيهدين» الصافات: ٩٩) طلب من الله عزوجل ولداً ليستأنس به فى غربته فقال: «رب هب لى من الصالحين» وهذا السئوال إنما يحسن إذا لم يكن له ولد، إذ لو كان له ولد واحد لما طلب الولد الواحد، فان طلب الحاصل محال، وقوله: «هب لى من الصالحين» لا يفيد إلّا طلب الواحد فان كلمة «من» للتبعيض، وأقلّ درجاته هو الواحد، فلا يفيد قوله: «من الصالحين» إلّا طلب الولد الواحد، فثبت ان هذا السئوال لا يحسن إلّا عند فقدان الولد أصلاً، فوقع السئوال على طلب الولد الأوّل، وقد أجمع الناس على أنّ اسمعيل كان متقدّماً وجوداً على اسحق، فالمطلوب بهذا الدعآء هو اسمعيل قطعاً مع أن الله عزوجل ذكر عقيبه قصّة الذبح، فوجب أن يكون الذبيح هو اسمعيل.

الثالث: إنّ الله جل وعلا وصف الذبيح بالحلم فى قوله: «فبشّرناه بغلام حليم» فلا يكون أحد أحلم ممّن أسلم نفسه للذبح، بل وقد حثّ أباه على امتثال ما امر به طاعة لربه...

ولمّا ذكر إسحق وصفه بالعلم فى قوله تعالى: «وبشّروه بغلام عليم» الذاريات: ٢٨) مع أن إبراهيم وسارة بُشِّرا باسحق على الكبر واليأس من الولد، وهذا بخلاف

اسمعيل فانه وُلِدَ قبل ذلك كما تصرّح بذلك التوراة.

الرابع: ان الله تعالى بشّر سارة باسحق، ومن صلبه بيعقوب إذ قال حكاية عن الملائكة إذ قالوا لابراهيم عليه السلام لمّا أتوه بالبشرى: «لا تخف انا ارسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها باسحق ومن ورآء إسحق يعقوب» هود: ٧٠-٧١) فكيف يبشّرها الله سبحانه بأن يكون لها ولد وفى صلبه ولد، ثم يأمر بذبح ولدها؟ ولا ريب أن يعقوب عليه السلام كان داخلاً فى البشارة، فتتناول البشارة: إسحق ويعقوب فى لفظ واحد، وهذا ظاهر الكلام وسياقه... فعلم أن اسحق لم يؤمر بذبحه، إذ لو كان الذبيح اسحق لكان خلفاً للوعد فى يعقوب لو وقع الذبح قبل ولادة يعقوب، ولو كان ذبح اسحق بعد ولادة يعقوب لكان أيضاً باطلاً لقوله تعالى: «فلمّا بلغ معه السعى قال يا بنى إلى أرى فى المنام أنى أذبحك» يدل على أن ذلك الإبن لمّا قدر على السعى وهو سن قبل البلوغ أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وهذه تنافى وقوع هذه القصّة فى زمان آخر، فثبت أن الذبيح لم يكن إسحق.

وبعبارة اخرى: إن البشرى التى تلقّتها سارة فى مواجهة إبراهيم عليه السلام كانت بأن يولد لها ولد وهو إسحق، وأن يولد لاسحق ولد وهو يعقوب، وهذا يقطع بأنّ اسحق لا يموت حتى يولد له يعقوب، وهذا يقطع أيضاً بأن لا يكون اسحق هو القربان الذى يتقرّب به إبراهيم عليه السلام إلى ربه، إذ لابدّ - بحكم هذه البشرى - أن يعيش اسحق حتى يبلغ مبلغ الرجال، ويتزوّج ويولد له، فى حين أنّ الذى يُذبح - عادة - يكون غلاماً حدثاً، وهذا ما كان فى شأن الولد الذى قدّمه إبراهيم عليه السلام للذبح كما قال الله تعالى: «فلمّا بلغ معه السعى» وهذا سنّ من لم يبلغ الحلم.

الخامس: إن الله عزوجل وصف اسمعيل بالصبر دون إسحق فى قوله تعالى: «وإسمعيل وإدريس وذاالكفل كل من الصابرين» الأنبيآء: ٨٥) ووصفه بصدق الوعد فى قوله جل وعلا: «واذكر فى الكتاب اسمعيل إنه كان صادق الوعد» مريم: ٥٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به إذ قال لأبيه: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» الصافات: ١٠٢) وقال فى بنآء الكعبة

«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل» البقرة: ١٢٧)

هذا على حين لم يُجْرِ القرآن الكريم ذكراً خاصاً لإسحق، وإنما كان دآئماً فى سباق الحديث عن ذرية أبيه من الأنبيآء... فاختصاص اسمعيل بهذا الذكر المنفرد، ووصفه بتلك الصفة التى هى من ألزم الصفات لمن يدخل فى هذا البلاء المبين، ويخرج منه سليماً معافىً يقطع بأنه عليه السلام الذبيح.

أكان إسمعيل يعين أباه فى رفع قواعد الكعبة، ويذبح إسحق بالشام؟ إذ لم يكن إسحق بمكّة!.

عن الأصمعى أنه قال: سئلت أبا عمروبن العلاء عن الذبيح: أكان هو اسمعيل أم اسحق؟ فقال: أبوعمرو: يا أُصيمع! أين ذهب عقلك؟ ومتى كان إسحق بمكّة؟ وإنما كان اسمعيل بمكّة، وهو الذى بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكّة. وكان إسحق بالشام وكان لاسمعيل مقام بمكة، ولو كان الذبيح إسحق لكان الذبح يقع ببيت المقدس! وكذلك السعى ورمى الجمار حيث كانت سارة وولدها بالشام! ومن الدليل على ذلك: أنّ قرنى الكبش كان ميراثاً لولد إسمعيل عن أبيهم، وكانا معلّقين بالكعبة إلى أن احترق البيت فى أيام الزبير والحجّاج لعنة الله عليهما.

نعم ما قال الشاعر أبوسعيد الضرير إذ سُئلَ عن الذبيح:

إن الذبيح هُديتَ إسمعيل	نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خصّ الإله نبيّنا	وأتى به (وآبآئه خ) التفسير والتّأويل
إن كنتَ امّته فلاتَنكر له	شرفاً به (له خ) قد خصّه التّفضيل

والسادس: إنّ الله عزّوجل بشّر إبراهيم عليه السلام بعد قصّة الذبح باسحق يكون نبياً فى قوله تعالى: «وبشّرناه باسحق نبياً» الصافات: ١١٢) فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً، وأنّ هذه البشارة من الله تعالى له، شكراً على صبره على ما امر به» وجزآء له على طاعته لله تعالى فى ذبح ولده البكر، فكان زمن إسحق متأخّراً عن زمن الذبيح تماماً كما يتأخّر الثواب على العمل عن نفس العمل، وقد كانت البشارة لسارة باسحق وبولده يعقوب فى آنٍ واحد، فكيف كان يامر تعالى رسوله

إبراهيم عليه‌السلام بذبح اسحق، بعد ان بشّربه وبنسله؟ وماذا تقول سارة عند ما تسمع الأمر بذبح وليدها بعد أن سمعت البشارة به وبولده؟! وهذا ظاهر جدّاً فى أن المبشّر به غير الأوّل، بل هو كالنصّ فيه.

إن تسئل: إن البشارة الثانية وقعت على نبوته، لـمّا صبر الأب على ما أُمِرَبه وأسلم الولد لأمر ربه، جازاه الله تعالى على ذلك بأن أعطاه النبوّة.

نجيب عنه: ان البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده وأن يكون نبياً، ولهذا نُصب «نبياً» على الحال المقدر أى مقدّراً نبوّته، فلا يمكن إخراج البشارة من أن تقع على الأرض، ثم تُخَصّ بالحال الجارية مجرى الفضيلة، هذا محال من الكلام، بل إذا وقعت البشارة على نبوّته، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى.

والسابع: ان المخاطب فى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه‌السلام: «إنى أذبحك» هو إسمعيل لأنه الذى وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة باسحق بعد ذلك معطوفة على البشارة بهذا الغلام، مع أن البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه، فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً.

والثامن: ان قوله تعالى: «فبشّرناه بغلام حليم» يدل بصراحة على أن المبشَّر به والساعى والذبيح والصبر والإسلام... فى الآيات الكريمة صفات لموصوف واحد وهو الولد البِكر لإبراهيم، وهو إسماعيل باتفاق المسلمين وأهل الكتابين كما جآء فى التوراة (الإصحاح ١٦ الآية ١٥ من سِفر التكوين) ما نصّه: «وكان إبرام إبن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لابرام» أى إبراهيم، وإذا عطفنا على هذا ما جآء فى التوراة من السفر المذكور (الاصحاح: ١٧ آية: ١٧) وما بعدها إنّ الله لمّا بشر إبراهيم باسحق من سارة سقط على وجهه، وقال فى قلبه: «هل يولد لى وأنا ابن‌مأة سنة وسارة بنت تسعين» إذا جمعنا بين الآيتين تكون حصيلتها أنّ إسمعيل هو الولد البكر، وانه يكبر على إسحق بأربعة عشر عاماً، ولا ريب فى أن البكر هو الذبيح، وهو إسمعيل لا إسحق عليهما‌السلام.

والتاسع: ان قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه‌السلام: «ربنا إنى أسكنت من

ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم» إبراهيم: ٣٧) يدل على أن الذبيح هو اسمعيل، فان المسلمين وغيرهم اتفقوا على أن إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر واسمعيل عند البيت العتيق فى أرض الحجاز، ويدل على أن إسمعيل سكن مكة: (سفر التكوين- الاصحاح ٢٥- الآية: ١٨) ونصّها فى الترجمة العربية: «وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر، حينما تجئ نحو آشور أمام جميع إخوته نزل» حويلة: هى خولان، وخولان: قبيلة يمانية تسكن سراة اليمن مما يلى الحجاز، وهذا دليل على أن مكة تشملها مساكن إسمعيل وبنيه...

والعاشر: ان قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسمعيل وإسحق» إبراهيم: ٣٩) يدل على أن اسمعيل هو الولد البكر الذى أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبحه لمّا بلغ معه السعى.

وغير ذلك من الأدلة على أن الذبيح هو إسمعيل ابن إبراهيم عليهما أفضل صلوات وأزكى تحياته، تركناها للاختصار.

﴿بحث روائى حول الذبيح إسمعيل﴾

فى الكافى: باسناده عن أبان ابن عثمان عن أبى بصير أنه سمع أبا جعفر و أبا عبدالله عليهما السلام يذكران أنه لمّا « كان يوم التروية قال جبرئيل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام: تروّ من المآء فسمّيت التروية، ثم أتى منى فأباته بها، ثم غدابه إلى عرفات، فضرب خبآء بنمرة دون عرفة، فبنى مسجداً بأحجار بيض، وكان يعرف أثر مسجد إبراهيم حتى أدخل فى هذا المسجد الذى بنمرة حيث يصلّى الإمام يوم عرفة، فصلّى بها الظهر والعصر، ثم عمد به إلى عرفات، فقال: هذه عرفات فاعرف بها مناسكك واعترف بذنبك فسمّى عرفات، ثمّ أفاض إلى المزدلفة، فسميّت المزدلفة لأنّه إزدلف إليها، ثمّ قال على المشعر الحرام، فأمره الله أن يذبح إبنه، وقد رآى فيه شمايله وخلايقه، وأنس ما كان إليه، فلمّا أصبح أفاض من المشعر إلى منى فقال لامّه: زورى البيت أنت، واحتبس الغلام، فقال: يا بنىّ هات الحمار والسكين حتّى أقرب القربان.

فقال أبان: فقلت لأبى بصير: ما أراد بالحمار والسكّين؟ قال: أراد أن يذبحه ثمّ يحمله فيجهزه ويدفنه، قال: فجآء الغلام بالحمار والسكّين، فقال: يا أبت أين القربان؟ قال: ربك يعلم أين هو، يا بنىّ أنت والله هو، إن الله قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى؟ «قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» قال: فلمّا عزم على الذبح قال: يا أبت خمّر وجهي وشدّ وثاقي، قال: يا بنىّ الوثاق مع الذبح؟! والله لا أجمعهما عليك اليوم.

قال أبوجعفر عليه السلام: فطرح له قرطان الحمار ثم أضجعه عليه، وأخذ المدية فوضعها على حلقه، قال: فأقبل شيخ، فقال: ما تريد من هذا الغلام؟ قال: اريد أن أذبحه فقال: سبحان الله غلام لم يعص الله طرفة عين تذبحه؟ فقال: نعم إنّ الله قد أمرني بذبحه، فقال: بل ربك ينهاك عن ذبحه، وإنّما أمرك بهذا الشيطان في منامك قال: ويلك الكلام الذى سمعت هو الذى بلغ بي ما ترى لا والله لا أكلّمك ثم عزم على الذبح، فقال الشيخ: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك وإن ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم فمهلاً، فأبى أن يكلّمه.

قال أبوبصير: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فأضجعه عند الجمرة الوسطى ثم أخذ المدية فوضعها على حلقه، ثم رفع رأسه إلى السمآء ثم انتحى عليه، فقلّبها جبرئيل عليه السلام عن حلقه، فنظر إبراهيم فاذا هى مقلوبة فقلبها إبراهيم على خدّها وقلبها على قفاها ففعل ذلك مراراً ثم نودى من ميسرة مسجد الخيف: «يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا» واجترّ الغلام من تحته، وتناول جبرئيل الكبش من قلّة ثبير فوضعه تحته، وخرج الشيخ الخبيث حتّى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت، والبيت فى وسط الوادى، فقال: ما شيخ رأيته بمنى؟ فنعت نعت إبراهيم عليه السلام قالت: ذلك بعلي قال: فما وصيف رأيته معه؟ ونعت نعته قالت: ذاك إبنى، قال: فانّى رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت: كلاّ ما رأيت إبراهيم إلاّ أرحم الناس وكيف رأيته يذبح إبنه؟

قال: ورب السمآء والأرض، ورب هذه البنية لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت: لِمَ؟ قال: زعم أنّ ربه أمره بذبحه، قالت: فحقٌّ عليه أن يطيع ربّه قال: فلمّا قضت مناسكها، فرقت أن يكون قد نزل فى ابنها شئ فكأنّى أنظر إليها مسرعة فى الوادى واضعة يدها على رأسها وهى تقول: ربّ لا تؤاخذنى بما عملت بأيّام إسماعيل، قال: فلمّا جآءت سارة (هاجر ظ) فأخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فاذاً أثر السكين خدوشاً فى حلقه، ففزعت واشتكت وكان بدؤ مرضها الذى هلكت فيه».

قوله عليه السلام: «بنمرة» النمرة: الجبل الذى عليه أنصاب الحرم بعرفات عن يمينك إذا خرجت منها إلى الموقف و «قرطان» القرطان: البرذعة وهى الحلس الذى يلق تحت الرجل للحمار و غيره ويقال له بالفارسية: «پالان» و «جآئت سارة» فلعل كلمة سارة بدل «هاجر» من إشتباه النسّاخ أو الدّسّ فى الرواية، إذ ما كانت سارة ام اسمعيل وما كانت بمكة. و «ثبير» ـ كشريف ـ: إسم جبل بمكّة.

وذكر أبان عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: «أراد أن يذبحه فى الموضع الذى حملت امّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند الجمرة الوسطى، فلم يزل مضربهم يتوارثون به كابر عن كابر، حتّى كان آخر من ارتحل منه على بن الحسين عليهما السلام فى شئ كان بين بنى هاشم وبين بنى اميّة فارتحل فضرب بالعرين» أى الفنآء والساحة.

وفى تفسير القمي: باسناده عن معاوية بن عمّار عن أبى عبدالله عليه السلام: «إن إبراهيم أتاه جبرئيل عليه السلام عند زوال الشمس من يوم التروية، فقال: يا إبراهيم إرتو من المآء لك ولأهلك، ولم يكن بين مكة وعرفات مآء فسمّيت التروية لذلك، فذهب به حتى إنتهى به إلى منى، فصلّى بها الظهر والعصر والعشائين والفجر حتّى إذا بزغت الشمس خرج إلى عرفات، فنزل بنمرة وهى بطن عرفة، فلمّا زالت الشمس خرج، وقد اغتسل فصلّى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وصلّى فى موضع المسجد الذى بعرفات، وقد كانت ثَمَّ أحجار بيض، فادخلت فى المسجد الذى بنى، ثم مضى به إلى الموقف فقال: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فلذلك سميّت عرفة، وأقام به حتّى غربت الشمس، ثم أفاض به، فقال:

يا إبراهيم إزدلف إلى المشعر الحرام، فسمّيت المزدلفة وأتى المشعر الحرام، فصلّى به المغرب والعشآء الآخرة بأذان واحد وإقامتين، ثم بات بها حتى إذا صلّى بها صلاة الصبح أراه الموقف، ثم أفاض إلى منى فأمره فرمى جمرة العقبة، وعندها ظهر له ابليس ثم أمره الله بالذبح، وإن إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو قزح فرآى فى النوم أنه يذبح ابنه وقد كان حجّ بوالدته

وأهله، فلمّا انتهى إلى منى، رمى جمرة العقبة هو وأهله ومرّت سارة (هاجر ظ) إلى البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى، فاستشار إبنه وقال كما حكى الله: «يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنّى أذبحك فانظر ما ذا ترى».

فقال الغلام كما حكى الله عزوجل عنه: إمض لما أمرك الله به: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» وسلّما لأمر الله عزوجل وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أُريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين؟ فقال إبراهيم: إن الله أمرنى بذلك، فقال: ربك ينهاك عن ذلك، وإنّما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: ان الذى بلغنى هذا المبلغ هو الذى أمرنى به، والكلام الذى وقع فى أُذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلّا الشيطان، فقال إبراهيم عليه السلام: لا والله ولا أُكلّمك، ثم عزم على الذبح، فقال: يا إبراهيم إنك امام يقتدى بك وانك ان ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره فى الذبح فلمّا أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: يا أبتاه خمّر وجهى وشدّ وثاقى، فقال إبراهيم:

يا بنىّ الوثاق مع الذبح؟ لا والله لا أجمعهما عليك اليوم، فرمى له بقرطان الحمار ثم أضجعه عليه وأخذ المدية، فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السمآء، ثم اجترّ عليه المدية فقلّب جبرئيل المدية على قفاها واجترّ الكبش من قبل ثبير، وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام، ونودى من ميسرة مسجد الخيف: «أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إنّ هذا لهو البلاء المبين» قال: ولحق إبليس بامّ الغلام حين نظرت إلى الكعبة فى وسط الوادى بحذآء البيت، فقال لها: ما شيخ رأيته؟ قالت: إنّ ذاك بعلى، قال: فوصيف رأيته معه؟ قالت: ذاك إبنى قال: فانّى رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه؟

فقالت: كذبت إنّ إبراهيم أرحم الناس كيف يذبح إبنه؟ قال: فورب السمآء والأرض ورب هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية فقالت: ولِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت: فحقّ له أن يطيع ربه، فوقع فى نفسها انه قد أمر فى ابنها

بـأمر، فلمّا قضت مناسكها أسرعت فى الوادى راجعة إلى منى واضعة يدها على رأسها، تقول: يا رب لا تؤاخذنى بما عملت بامّ اسمعيل، قلت: فأين أراد أن يذبحه؟ قال: عند الجمرة الوسطى قال: ونزل الكبش على الجبل الذى عن يمين مسجد منى نزل من السمآء، وكان يأكل فى سواد ويمشى فى سواد اقرن، قلت: ما كان لونه؟ قال: كان أملح أغبر».

قوله عليه السلام: «عرفة» كهمزة: واد بحذاء عرفات، و «قزح» ـ بالضم فالفتح ـ: القرن الذى يقف الإمام عنده بالمزدلفة عن يمين الإمام وهو الموضع الذى كانت توقد فيه النيران فى الجاهلية. و «أملح أغبر» الأملح: الذى خالط بياض لونه سواد، والأغبر: ما لونه الغبرة.

وفى المجمع: وعن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: «سئلته عن كبش إبراهيم عليه السلام ما كان لونه؟ قال: «أملح أقرن، ونزل من السمآء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى، وكان يمشى فى سواد ويأكل فى سواد، وينظر فى سواد، ويبعر فى سواد، ويبول فى سواد».

وفى الدر المنثور: عن ابن‌عباس قال: «لمّا امر إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم عليه السلام ثم ذهب به جبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات ثم تلّه للجبين، وعلى اسمعيل عليه السلام قميص أبيض، فقال: يا أبت ليس لى ثوب تكفنّى فيه غيره فاخلعه حتّى تكفنّى فيه، فعالجه ليخلعه، فنودى من خلفه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا فالتفت فاذاً كبش أبيض أعين أقرن فذبحه».

وفى فروع الكافى: باسناده عن العلاء عن محمد قال: «سئلت أبا جعفر عليه السلام أين أراد إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه؟ قال: على الجمرة الوسطى وسئلته عن كبش إبراهيم عليه السلام: ما كانه لونه؟ وأين نزل؟ فقال: أملح وكان أقرن، ونزل من السمآء على الجبل الأيمن من مسجد منى، وكان يمشى فى سواد،

ويأكل فى سواد، وينظر ويبعر ويبول فى سواد».
وفى أمالى الشيخ الطوسى: باسناده عن سليمان ابن يزيد عن الرضا عن آبآئه عن علىّ عليهم السلام قال: «الذبيح إسمعيل».

وقد وقع فى بعض الروايات أن الذبيح إسحق عليه السلام وهو مطروح بمخالفة الكتاب والروايات الصحيحة... وقال الصدوق رحمه الله فى الجمع بين الروايات: «وكان الذبيح اسمعيل لكن اسحق لمّا ولد بعد ذلك تمنّى أن يكون هو الذى أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمرالله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه، فينال بذلك درجته فى الثواب، فعلم الله عزّوجل ذلك من قلبه فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً لتمنّيه لذلك».

أقول: وهذا بعيد جدّاً لما ذكرناه آنفاً من دسّ كعب الأحبار اليهودى وتلميذه عمر بن الخطاب وأبي هريرة وأمثالهم فى القصّة فتأمل جيداً ولا تغفل.

وفى البحار: ـ فى باب زيارة الإمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام المختصّة بالأيام والليالى ـ ما روى عن أبى محمد الحسن بن العسكرى عن أبيه صلوات الله عليهما وذكر أنه عليه السلام زارها يوم الغدير فى السّنة التى أشخصه المعتصم ـ: «وأنت يا سيّد الأوصيآء من جميع الخلق، فما أعمه من ظلمك عن الحق، ثم أقرضوك سهم ذوى القربى مكراً أو حادوه عن أهله جوراً، فلمّا آل الأمر إليك أجريتهم على ما أجر يا رغبة عنها بما عندالله لك، فأشبهت مِحنتك بها محن الأنبيآء عند الوحدة وعدم الأنصار وأشبهت فى البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذ أجبت كما أجاب، وأطعت كما أطاع إسمعيل صابراً محتسباً، إذ قال له: «يا بنىّ إنّى أرىٰ فى المنام أنّى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شآء الله من الصابرين» وكذلك أنت لمّا أباتك النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمرك أن تضجع فى مرقده واقياً له بنفسك أسرعت إلى إجابته مطيعاً

ولنفسك على القتل موطّناً، فشكر الله تعالى طاعتك وأبان عن جميل فعلك بقوله جلّ ذكره: «ومن الناس مَن يشرى نفسه ابتغآء مرضاة الله» البقرة: ٢٠٧)

تمّت سورة «الصافات»

سبحان ربك رب العزّ عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين و أفضل صلوات الله و أزكى تحياته على محمد و آله الطاهرين.

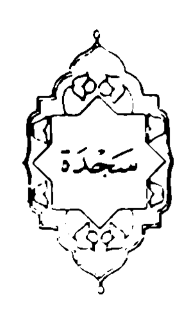
سُورَةُ صٓ

سُورَةُ صٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا

مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾
ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ
مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ
ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ
خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ
وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ
مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ
۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ
﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ



عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ

فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ

﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ

أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾

رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا

سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ

لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾

فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ

كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا

عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ

مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾
قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى **الصّدوق** رحمة الله تعالى عليه في كتاب (ثواب الأعمال) بإسناده عن عمرو بن جبير العرزمي عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «من قرأ سورة «ص» في ليلة الجمعة أعطى من خير الدّنيا والآخرة مالم يعط أحد من الناس إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، وأدخله الله الجنّة، وكلّ من أحبّ من أهل بيته، حتّى خادمه الّذي يخدمه، وإن لم يكن في حدّ عياله ولا في حدّ من يشفع فيه».

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والجوامع، والسيّد البحراني في البرهان، والحويزي في نور الثّقلين، والشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشّيعة، والمجلسي في البحار، والكفعمي في المصباح والديلمي في أعلام الدّين، وغيرهم...

إلاّ أنّ في المجمع «وإن كان ليس» بدل «وإن لم يكن» وفي آخر الرّواية: «وامنه الله يوم الفزع الأكبر» وفي جوامع الجامع إلى قوله عليه السّلام: «أهل بيته» وفي المصباح إلى قوله عليه السّلام: «خادمه» وفي الأعلام إلى قوله عليه السّلام: «يخدمه» وفي وسائل الشّيعة «من يشفع له» بدل «من يشفع فيه» وفي المجمع كذلك.

نعم: من قرأ سورة «ص» ليلة الجمعة متدبّراً فيما جآء فيها من القصص والأُنبآء، وفي مآل أمر الأبرار والمتّقين، وفي وخامة أمر الفجّار والمفسدين، فآمن وتذكّر واتقى كان له ولمن يتعلّق به حسن مآب، وهي تقول: «ص والقرآن ذى الذكر. أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار

كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب هذا ذكر وإن للمتّقين لحسن مآب - وإنّ للطّاغين لشرّ مآب - إن هو إلاّ ذكر للعالمين ولتعلمنّ نبأه بعد حين» ص: ١و٢٨- ٢٩ و٤٩ و٥٥ و٨٧- ٨٨) فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي المجمع: ابيّ بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ سورة«ص» أعطى من الأجر بوزن كل جبل سخّره الله لداود حسنات، وعصمه الله أن يصرّ على ذنب صغيراً أو كبيراً».

أقول: كلّ ذلك لمن قرأها وعمل بها، كيف لا وهي تقول: «وإنّ للمتقين لحسن مآب جنّات عدن مفتحة لهم الأبواب متّكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ماتوعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٤٩-٥٤)

وفي البرهان: روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ هذه السّورة فكان له من الأجر وزن كلّ جبل سخّره الله لداود عشر مرّات، وعصمه الله أن يصرّ على ذنب صغير أو كبير، ومن كتبها وجعلها تحت قاضٍ أو والٍ لم يقف الأمر في يده أكثر من ثلاثة أيّام وظهرت عيوبه وعزل وأنفض من حوله».

وفيه: قال الصّادق عليه السّلام: «من كتبها وجعلها في إنآء زجاج وأخرقه وجعلها في موضع قاضٍ أو موضع شرطة لم يقم عليه ثلاثة أيّام إلّا وقد ظهرت عيوبه، وتنفض النّاس بقدره، ولا ينفذ له أمر بعد ذلك، ويبقى في ضيق وشدّة بإذن الله تعالى».

أقول: لا يبعد أن يكون من خواصّ هذه السّورة مع إجتماع شرائط التأثير ما جآء في هاتين الرّوايتين لوسلّمنا هما.

وفي المصباح: - عن خواصّ القرآن- قوله تعالى: «أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» مَن أكثر تلاوة هذه الآية وهو يحفر بئراً حسن نبعها».

اقول: إنّ الكلام فيها هو الكلام فيما قبلها من الرّوايتين الأخيرتين.

﴿الغرض﴾

واعلم أنّ هدف سورة«ص» هو التّقرير لكون الوحى السّماوي النّازل على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكراً، وحكمة نزوله عليه صلى الله عليه وآله وسلّم ومهّمته وعموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم مع بيان مواقف زعمآء الكفّار والمشركين، والفجّار والمفسدين، ومعارضتهم للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وحملة عليهم وتذكير لهم بأمثالهم من الأقوام السّابقين الهالكين وبيان عواقب وخيمة لهم.

وفيها سلسلة متعددة الحلقات في قصص الأنبيآء دون أقوامهم في معرض التّسلية والتّذكير والتنويه، وقدذكر بعضها بإجمال، وبعضهم بشيْ من التفصيل حسب ما اقتضته حكمة التّنزيل.

وفي خلالها مواعظ وتلقينات بليغة جليلة مستمرّة المدى، منها تقبيح المماراة في الحق والهدى إندفاعاً ورآء الهوى، وإعتداداً بالنّفس وتعمّداً للشّقاق والمعارضة، ومنها تقبيح التّمسّك بالتّقاليد الموروثة على علاتها، ومنها ايجاب مقابلة كلّ فكرة أو دعوة جديدة بالتّدبّر والتّروي وإتباع مايكون فيه حق وخير وصلاح مهما كان مغايراً للقديم.

«ص والقرآن ذي الذكر۔ أانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب۔ هذاذكر۔ إن يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين قل ماأسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين إن هو إلاّ ذكر للعالمين ولتعلمنّ نبأه بعد حين».

﴿النّزول﴾

سورة «ص» مكّيّة نزلت بعد سورة «القمر» وقبل سورة «الأعراف» وهي السّورة الثّامنة والثّلاثون نزولاً ومصحفاً معاً، وتشتمل على (٨٨) آية، سبقت عليها: (٧٤٠) آية نزولاً و(٣٩٧٠) آية مصحفاً على التحقيق ومشتملة على (٧٨٢) كلمة وقيل: (٧٣٢) كلمة، وعلى (٣٠٩٩) حرفاً وقيل: (٣٠٢٩) حرفاً وقيل (٣٠٦٧) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

في أُصول الكافي: بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أقبل أبوجهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب، فقالوا: إنّ إبن أخيك قدآذانا وآذىٰ آلهتنا فادعه ومره فليكفّ عن آلهتنا ونكفّ عن إلهه، قال: فبعث أبوطالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فدعاه فلمّا دخل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لم ير في البيت إلاّ مشركاً، فقال: السّلام على من اتبع الهدى ثمّ جلس فخبّره أبوطالب بما جآؤوابه، فقال: أو هل لهم في كلمة خيراً لهم من هذا يسودون بها العرب ويطاؤن أعناقهم؛ فقال: أبوجهل نعم وما هذه الكلمة؟ فقال: تقولون: «لا إله الاّ الله» قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هراباً وهم يقولون: ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلاّ إختلاق» فأنزل الله تعالى في قولهم: «ص والقرآن ذي الذكر-إلى قوله: إلاّ اختلاق»[٢].

أقول: قوله: «لم يرفي البيت الإّمشركاً» يعني لم ير غير أبي طالب عليه السّلام في البيت إلّا مشركاً، كيف لم يكن أبوطالب عليه السّلام مؤمناً موحّداً وهو يقول على ما جآء:

في تفسير الكشّاف (ج ٢ ص ١٤): «انّ قريشاً اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم **سوءً وقتله، فقال أبوطالب** عليه السّلام:

والله لن يَصِلوا إليك بجمعهم حتّى أوَسَّدَ في التّراب دفينا!
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة وأبشر بذاك وقرّ منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
وعرضت دينا لامحالة أنه من خير أديان البريّة دينا

قوله عليه السّلام: «لن يصلوا» كناية عن نفي المضرّة على وجه أبلغ، و«اوسّد» كناية عن الموت فيجعل له وسادة تحت رأسه في رمسه، أي لا يستطيعون هؤلاء المشركون أن يضرّوك شيئاً ما دمتُ حيّاً، و«دفيناً»: مدفوناً، «فاصدع بأمرك» أي أجهر بأمرك وادع الناس إلى التوحيد وترك الأنداد، و«غضاضة» أي ليس من امرك منقصة وما عليك مذلّة، و«أبشر» أي أفرح وأبشر بذلك و«أميناً» فيما تدعو النّاس إليه من التوحيد وترك الأنداد...

وقال أبوطالب عليه السّلام في أشعاره:

ولقد علمتُ بأنّ دين محمّد من خير أديان البريّة ديناً

أو من كان هذا بيانه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودينه فهو مشرك؟ العياذ بالله.

في وسائل الشّيعة: بالإسناد عن الصّادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب وأن يدوّن، وقال: تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله وفيه علم كثير»

نعم: وقدكان ذنب أبي طالب عليه السلام أنه كان أباً لعليّ عليه السلام وهذا ذنب لايغفر له عند أعدآئه ولولم يكن أباً لعليّ عليه السّلام لكان أقوى ايماناً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عندهم كما أنّ لولا وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام يوم الخميس لما أهانه صلى الله عليه وآله وسلّم عمر بن الخطاب: «إن هذا الرجل ليهجر» ولولا فاطمة الزهرآء سلام الله عليها زوجة عليّ عليه السّلام لما أحرق عمر بن الخطاب دارها، وما ضربها، وما أسقط جنينها وما ماتت شهيدة، ولولا الحسن المجتبى إبن عليّ عليه السّلام لما

صار مسموماً، ولولا الحسين سبط المصطفى إبن عليّ عليه السّلام لما قُتِلَ بكربلاء مظلوماً وما اسرى أهل بيته عليهم أفضل صلوات الله وأزكى تحياته، ولولم نكن شيعة على بن أبيطالب عليه السّلام لما كنّا مجوساً ولا كافراً ولا نجساً، بل لو كنّا شيعة معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية والنيران لكنّا أقوى ايماناً من كل المؤمنين عندهم، ولكنهم لا يعلمون أن من مفاخرنا الشيعة أن يكونوا هم أعدائنا، ما داموا هم أعدآء عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أظهر واعداوتهم أم لا.

كيف كان آبوطالب عليه السّلام مشركاً بعد الرّسالة، وقد كان قبلها موحّداً يعرف صاحبها؛!

في تفسير روح المعاني للآلوسي (ج ١٨ ص ٤٦) في تفسير قوله تعالى: «أم لم يعرفوا رسولهم». المؤمنون: ٦٩)

قال: معناه: «بل ألم يعرفوه صلى الله عليه وآله وسلّم بالأمانة والصّدق وحسن الأخلاق إلى غير ذلك من الكمالات اللائقة بالأنبيآء عليهم السّلام؟».

ثم قال الآلوسي: «وقد صحّ أنّ أبا طالب يوم نكاح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم خطب بمحضر رؤسآء مضر وقريش فقال: «الحمد لله الّذي جعلنا من ذريّة إبراهيم وزرع إسمعيل، وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على النّاس، ثمّ إنّ إبن أخي هذا محمّد بن عبدالله لا يوزن برجل إلّا رجح به، فان كان في المال قل: فان المال ظل زآئل وأمر حائل ومحمّد من قدعرفتم قرابته، وقدخطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصّداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهووالله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل»

ثمّ قال الآلوسي: «وفي هذا دليل واضح على أنّهم عرفوه صلى الله عليه آله وسلّم بغاية الكمال وإلّا لأنكروا قول أبي طالب عليه السلام فيه صلى الله عليه وآله وسلّم ما قال».

أقول: وقدسبق منّا البحث في ايمان أبيطالب عليه السّلام مستقصىً في تفسير سورة «القصص» فراجع.

في تفسير القمّي: قال: نزلت بمكّة لمّا أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الدعوة بمكّة إجتمعت قريش إلى أبي طالب عليه السّلام فقالو: يا أبا طالب ان ابن أخيك قدسفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا (شبّا نناخ) وفرّق جماعتنا، فان كان الّذي يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالاً حتّى يكون أغنى رجل في قريش ونملّكه (تملّكه خ) علينا، فأخبر أبوطالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: لووضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته، ولكن يعطونى كلمة يملكون بها العرب، ويدين (تدين خ) لهم بها العجم ويكونون ملوكاً في الجنّة، فقال لهم أبوطالب عليه السّلام ذلك فقالوا: نعم وعشر كلمات، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّى رسول الله» فقالوا: ندع ثلاث مأة وستّين إلهاً ونعبد إلهاً واحداً ؟!

فأنزل الله سبحانه: «بل عجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب إلى قوله ـ إلاّ اختلاق» أى تخليط «ءأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شكّ من ذكري ـ إلى قوله ـ من الأحزاب» يعني الّذين تحزّبوا عليه يوم الأحزاب.

وفي المجمع قال المفسّرون: «إنّ أشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأبوجهل وابيّ واميّة ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن الحارث أتوا أبا طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وقدأتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فانّه سفّه أحلامنا وشتم آلهتنا، فدعا أبوطالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسئلونك، فقال: ماذا يسئلونني ؟قالوا: دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك، فقال صلى الله عليه وآله وسلّم:أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم ؟فقال أبوجهل: لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: قولوا: لا إله إلّا الله فقاموا وقالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» فنزلت هذه الآيات...».

وفيه: وروى أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم استعبر ثمّ قال: يا عمّ والله لووضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ماتركت هذا القول حتى أنفذه أو أُقتل دونه،

فقال له أبوطالب: أمض لأمرك فوالله لا أخذ لك أبداً.

وفي الدّر المنثور: عن ابن عباس قال: «لمّا مرض أبوطالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبوجهل فقالوا: إنّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلوبعثت إليه فنهيته فبعث إليه فجآء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فدخل البيت وبينهم وبين ابي طالب قدر مجلس، فخشى أبوجهل إن جلس إلى أبي طالب أن يكون أرق عليه، فوثب، فجلس في ذلك المجلس فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مجلساً قرب عمّه فجلس عند الباب، فقال له أبوطالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنّك تشتم آلهتهم وتقول وتقول، قال: وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا عمّ إنّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم كلمة واحدة: نعم وأبيك عشراً قالوا فما هى؟ قال صلى الله عليه وآله وسلّم: «لا إله إلاّ الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشئ عجاب» فنزل فيهم: «ص والقرآن ذي الذّكر بل الذين كفروا في عزّة وشقاق -إلى قوله- بل لمّا يذوقوا عذاب».

وفي تفسير القميّ: باسناده عن عبد الرحمن بن كثير قال: سئلت الصادق عليه السّلام عن قوله: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال: أمير المؤمنين وأصحابه «كالمفسدين في الأرض» قال: حبتر وزريق وأصحابهما «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته» فآياته أمير المؤمنين والأئمة عليهم السّلام «وليذكّر اولوالألباب» الباقية وكان أمير المؤمنين عليه السّلام يفتخر بها ويقول: «ماأعطي أحد قبلي ولا بعدي مثل ما اعطيت».

أقول: قوله عليه السّلام: «حبتر وزريق» كناية عن الأوّل والثاني. وهذه الألفاظ كنايات عن الثلاثة...

وفي شواهد التّنزيل للحاكم الحسكانى عن ابن عباس قال: «وأما قوله: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الآية» نزلت هذه الآية في ثلاثة من

المسلمين، وهم المتقون الذين عملوا الصالحات، وفي ثلاثة من المشركين وهم المفسدون الفجّار، فأما الثلاثة من المسلمين فهم علي بن أبيطالب عليه السّلام وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وهم الذين بارزوا يوم بدر، فقتل عليّ الوليد، وقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة».

وفيه: عن عليّ عليه السّلام في قوله: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار» قال: نزلت في حمزة وعليّ وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

﴿القراءة﴾

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: «لَيْكَةَ» بفتح اللاّم بدون ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها، وبفتح التآء غير منصرف، وقرأحفص وعاصم «أصحاب لئْيكة» بسكون اللاّم وصلاً بما قبلها بدون الألف، وبهمزة مفتوحة بعد اللاّم والياء السّاكنة وكسر التآء، وقرأ الباقون «الأيكة» بهمزة الوصل وسكون اللام بعدها همزة مفتوحة وجرّ التآء.

وقرأحمزة وخلف وكسائى: «فواق» بضمّ الفآء وقرأ الباقون بفتحها، وهما لغتان مثل قَصاص الشعر وقُصاصه وهو من الإفاقة، وهو قدر ما بين الحلبتين أو بين الرضعتين. وقيل: بينهما فرق، فبالفتح يكون بمعنى الراحة، وبالضّمّ بمعنى المهلة والإنتظار.

وقرأحفص وعاصم: «ولي نعجة» بفتح يآء التكلم، وقرأ الباقون باسكانها.

وقرأ أبوجعفر «لتدبروا» بالتآء وتخفيف الدال وقرأ الباقون باليآء وتشديد الدال من باب التفعّل على إدغام التآء في الدال.

وقرأ أبوجعفر ونافع وابن كثير وأبوعمرو: «إنّي أحببت» بفتح ياء التكلم، وقرء الباقون باسكانه، وقرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو: «من بعدي» بفتح يآء التكلم والباقون باسكانها، وقرأ حمزة «مسني الشيطان» بسكون اليآء والباقون بفتحها، وقرأ أبوجعفر: «بنصب» بضمّتين، فانه اتبع الصاد ما قبله، والباقون بضمّ النون وسكون الصاد، وفي «نصب» أربع لغات، بضمّ النون والصاد، وفتحهما، وفتح النون وضمّها مع سكون

الصاد، وقرأ عاصم وحمزة: «عذاب» بالكسر منوناً، والباقون بالضّمّ.

وقرأ ابن كثير: «واذكر عبدنا ابراهيم...» على التوحيد على أنّ «ابراهيم» وحده عطف بيان للعبد فخصّ به إبراهيم بكونه عبداً له كما خصّه بالخلّة أو لفظ «عبد» جنس يقع على القليل والكثير، وقرأ الباقون «عبادنا» على الجمع، على أن المذكورين عطف بيان للعباد، وقرأ أبوجعفر ونافع: «بخالصة ذكرى» على الإضافة، والباقون بتنوين «خالصة» ونصب «ذكرى» محلاً على المفعول أى أعنى أو يكون معمول خالصة، أو رفعاً باضمار هي ذكرى، وقرأ ابن كثير وأبوعمرو: «ما يوعدون على الغيبة والباقون «توعدون» على الخطاب.

وقرأ حمزة وحفص: «غسّاق» بالتشديد للمبالغة، والباقون بالتخفيف، وقرأ أبوعمرو: «أُخَر» بضمّ الهمزة جمع «أُخرى» وقرأ الباقون «آخر» بفتحها وألف بعدها على التوحيد.

وقرأ حمزة وأبوعمرو: «من الأشرار اتخذنا هم» بحذف الألف وصلاً، وبكسر الألف إذا ابتدؤا، وقرأ الباقون بقطع الألف وفتحها وصلاً ووقفاً على الاستفهام، وسقطت ألف الوصل لأنه قداستغني عنها، وقرء أبوجعفر ونافع وحمزه «سخرياً» بضمّ السّين والباقون بكسرها. وقرأحفص: «ما كان لي» بفتح اليآء، والباقون باسكانها.

وقرأ أبوجعفر: «إن يوحى إليّ إلّا إنّما» بكسر الألف في «إنما» على الحكاية والإخبار لأن الوحي إخبار فكانّه قال: إن يقال لي إلاّ إنّما أنا نذير مبين. أو أن «إنما» في موضع نصب بمعنى إلاّ لأنّما، وقرأ الباقون: «أنّما» بالفتح لكونها في موضع رفع لانها إسم لما لم يسمّ فاعله كأنه قال: مايوحى إليّ إلّا الإنذار.

وقرأ أبوجعفر ونافع: «لعنتي» بفتح اليآء والباقون باسكانها، وقرأ نافع: «المخلصين» بفتح اللام والباقون بكسرها، وقرأ حمزة وعاصم: «فالحقّ» بالرفع، خبراً لمحذوف أي أنا الحق، أو مبتداء لمحذوف أي فالحق منّي كقوله تعالى: «الحق من ربك» البقرة: ١٤٧) وقرأ الباقون بالنصب بفعل مقدّر يدل انتصاب الحق التالي عليه، أو منصوب على التشبيه بالقسم، فيكون الناصب له ما ينصب القسم.

﴿الوقف والوصل﴾

«ص ج» لإحتمال أن يكون فعل أمر من صاد يصاد فهو صاد أو يكون من حروف الهجآء اريد بها الرّمز بين الله تعالى ورسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم و «ذي الذكر ط» لحرف الإضراب التّالي، و«منهم ز» لتصريح ذكر الكافرين مع إمكان الإكتفآء بالضمير، وقداتفقت الجملتان، و «كذّاب ج» لمكان الاستفهام التالي واتحاد العامل، و «واحداً ج» كما سبق و «آلهتكم ج» كالسابق و «الآخرة ج» لما مرّ، و «إختلاق ج» كما سبق.

و «من بيننا ط» لاضراب التالي، و «من ذكري ج» لعطف الجملتين المختلفتين و الإبتدآء بالتهديد، و «عذاب ط» لأنّ «أم» بمعنى ألف استفهام انكار، و «الوهاب ج» لأن «أم» تصلح إبتدآء إنكار، و «ما بينهما قف» فيستحبّ الوقف من غير حرج في الوصل و «الأولاد لا» للعطف التالي، و «الأيكة ط» لتمام الكلام وعطف التالي، و «عقاب ع» علامة انتهآء الركوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين.

و «ذا الأيد ج» للابتدآء ب «إن» ولاحتمال التعليل، و «الإشراق لا» لعطف الطير» على «الجبال» و «محشورة ط» لتمام الكلام وابتدآء التّالي، و «الخصم م» لأن «إذ» ليس ظرفاً لقوله تعالى: «أتاك» ولتناهي الاستفهام إلى الأمر أي اذكر إذ تسوروا «المحراب لا» لأنّ «اذ» بدل من الاولى، و «لا تخف ج» لحق الحذف أي نحن خصمان مع اتحاد المعقول، و «أخي قف» و «واحدة قف» كالسابق، و «نعاجه

ج» لاحتمال العطف والاستيناف التالي، و«ما هم ط» لتمام الكلام واستئناف التالي، و«ذلك ط» كالسابق، و«فيضلّك عن سبيل الله ط» لما مرّ.

و«يوم الحساب ع» كالسابق، و«باطلاً ط» لتمام الكلام واستئناف التالي، و«كفروا ج» للابتدآء بالتهديد مع فآء التعقيب، و«من النار ط» لأن «أم» لاستفهام إنكار، و«في الأرض ز» لتصريح ذكر «المتّقين» وهم المؤمنون، مع إمكان الإكتفآء بالضمير، وقداتفقت الجملتان و«سليمان ط» لفعل المدح التالي، و«العبد ط» لتمام الكلام واستئناف التالي، و«أوّاب لا» ولكن الأصحّ هو الوقف، والتقدير: اذكر إذ ... فانّ أوبه غير مقيّد بل مطلق، و«الجياد لا» للعطف، و«عن ذكر ربّي ج» لاحتمال أنّ «حتّى» للابتداء وأن تكون لإنتهآء الحبّ أي آثرت حب الخير «حتى توارت بالحجاب قف» لحق الحذف تقديره: قال: «ردّوها عليّ ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«من بعدي ج» لاحتمال أن يكون التقدير: فانك ...

و«أصاب لا» لعطف التالي، و«غوّاص لا» كالسابق، و«حسن مآب ع» لماسبق، و«أيّوب م» لمكان الظرف: «اذ» المتعلّق بما قبله، إلّا إذا جُعِلَ «إذ» بدلاً لمحذوف، و«عذاب ط» لتقدير القول أي فأرسلنا إليه جبرئيل فقال له: «اركض برجلك ج» لأن «هذا» مبتداء مع أنه من تمام القول، و«لا تحنث ط» لتمام الكلام وابتداء التالي، و«صابراً ط» لفعل المدح التالي، و«العبد ط» لتمام الكلام واستئناف التالي، و«الدارج» للآية مع العطف و«الأخيار ط» لتمام الكلام وابتدآء التالي.

و«ذا الكفل ط» كالسابق، و«الأخبار ط» كما مرّ، و«ذكر ط» لما سبق، و«لحسن مآب لا» لأنّ «جنات عدن» بدل أو عطف بيان، و«الأبواب ج» لإحتمال أن عامل «متكئين» محذوف أي يتنعمون متّكئين، وإن جعل حالاً من مفتحة فهي مقدرة لأنّ الإتكاء لا يكون في حال فتح الأبواب، و«نفاد ج» لاحتمال كون «هذا» في موضع لأمر محذوف أي خذ أو فافهم هذا، وأن يكون هذا مبتداء

لخبر محذوف أي هذا بيان جزآء المتقين أو الأمر هذا و «للشرّ مآب لا» لان «جهنّم» بدل أو عطف بيان، و «جهنم ج» لأن ما بعدها يصلح حالاً واستئنافاً، و «يصلونها ج» لمكان الفاء، وفعل الذم التاليين.

و «هذا لا» لأن خبره: «حميم» فقوله: «فليذوقوه» إعتراض، و «غسّاق لا» للعطف، و «أزواج ط» للآية واستئناف التالي، و «معكم ج» لا تصال المعنى مع الإبتداء بما في معنى الدعآء و «لا مرحباً بهم ج» كالسابق، و «لا مرحباً بكم ط» لتمام الكلام واستئناف التالي، و «قدّمتموه لناج» لمكان الفاء وفعل الذم، و «الأشرار ط» لمن قرأ بكسر الهمزة التالية: «إتخذناهم» لاحتمال إضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرية صفة أو حالاً، ومن صرّح بالاستفهام فوقفه مطلق، و «أهل النارع» كالمتقدم، و «منذرق» أي قال بعض العلمآء بالوقف، و «القهّار ج» لأن ما بعده يصلح بدلاً وخبراً لمحذوف أي هو القهّار.

و «عظيم ط» لأن ما بعده وصف، و «أجمعون لا» لمكان الإستثنآء التّالي، و «ابليس ط» لتمام الاستثنآء، ولكنّه بعيد لاحتمال الوصف التالي، و «بيديّ ط» لاستفهام التالي، و «منه ط» لأنّ ما بعده جواب سئوال كأنه علل الخيرية، و «رجيم ج» والوصل أولى لا تصال «لعنتي» به، و «من المنظرين لا» لتعلق الظرف التالي به، و «أجمعين لا» للاستثنآء التالي، و «فالحق ز» على قراءة الرّفع أي فهذا الحقّ مع اتّحاد المقول، و «أقول ج» لاحتمال أنّ ما بعده قسم مستأنف أو بدل من قوله: «والحق» و «أجمعين ج» لتمام الكلام مع إبليس، ووحدة السّياق فتأمّل جيّداً.

﴿اللغة﴾

١٠٤ ـ النّوص ومناص ـ ١٥٧٩

ناص فلان إلى كذا ينوص نَوْصاً ونويصاً ونياصة ونوصاناً ومناصاً ومنيصاً ـ من باب نصر أجوف واويّ نحو قال ـ: إلتجأ إليه ونهض، وناص الشيئ جذبه وناص للحركة :تهيّأ وناص الرجل: تحرّك وذهب. يقال: فلان لايقدر على أن ينوص: يتحرّك لشيئ. وما به نَويصٌ: أي قوّة وحراك . يقال: ومابنوص فلان لحاجتي: أي لايتحرّك ·المناص ـ مصدر ميمي ـ الملجأ والمفرّ والمهرب. تقول: «مالك من مناص» أي من منجى.

قال الله عزّوجلّ: «ولات حين مناص» ص: ٣) أي ليس الحين حين فرار من الهلاك والدمار إذ لاملجأ ولامنجا ولامهرب ولامفرّ لهم يومئذ، ولا الوقت وقت تأخير وفرار أوليس حين نجاة وسلامة من الهلاك . ويقال أيضاً: ناص من المكروه: نجى منه. فالمناص: النجاة والسلامة.

وناص عنه ينوص: إرتدّو تأخّر وفرّ وراغ وتنحّى عنه وفارقه ونجى. وناص فلاناً: فاته وسبقه. وناص عن قِرْنه: فرّ وراغ، وناص عن الشّي ء : عدل عنه، وناص إلى الشي ء: مال إليه ورغب فيه.

النائص: الرافع رأسه نافراً. والنَوْص ـ بالفتح ـ: مصدر. والنوص: الحمار الوحشي لأنّه لايزال نائصاً أي رافعاً رأسه يتردّد كالنافر الجامح. النَوْصة: المرّة

والغسلة بالمآء وغيره. والمُنَوَّص ـ كمعظّم ـ: الملطّخ.

ناوصه مناوصة ـ من باب المفاعلة ـ: ناوشه ومارسه، ومنه المَثَل: ناوص الحرّة ثمّ سالمها: جابدها ومارسها.

أناصه إناصة ـ من باب الإفعال ـ: أراده.

إنتاصت الشمس انتياصاً: غابت.

إستناصه إستناصة: حرّكه واستخفّه، فذهب به في حاجته. استناص الفرس: تحرّك للجرى. واستناص الرجل: شمخ برأسه وتأخّر.

٤٧ ـ القطّ ـ ١٢٣٩

قطّ الشّئ يقطّه قطّاً وقططاً وقطاطة وقطوطاً ـ من باب نصر وعلم نحو مدّ وبرّ ـ: قطعه مطلقاً أو قطعه قطعاً عرضياً. وأصل القِطّ: الشّئ المقطوع عرضاً كما أن القِدّ هو المقطوع طولاً.

وفي الحديث: «كانت ضربات عليّ عليه السّلام أبكاراً إذا اعتلى قدّو إذا اعترض قطّ» وفي حديث آخر: «كان إذ اعلا قدّو إذا توسّط قطّ» أي إذ اعلا قِرْنه بالسيف قدّه بنصفين طولاً كما يُقَدُّ السير، وإذا أصاب وسطه قطعه عرضاً نصفين وأبانه.

القِطّ: القطع عامّة وقيل: قطع الشئ الصلب كالحقّة ونحوها تقطّها على حذو مسبور كما يقطّ الإنسان قصبة على عظم. وقيل: هو القطع عرضاً. ويأتي القِطّ لمعان:

أحدها ـ الجزء أو القطعة من الشئ. **ثانيها** ـ النصيب لأنه الجزء الخاص بالفرد أو الجماعة. **ثالثها** ـ الصحيفة لأنّها قطعة من الورق. **رابعها** ـ مايكتب في الصحيفة على سبيل المجاز المرسل وذلك باطلاق المحل، وإرادة الحال.

القِطّ: الصحيفة وهو إسم للمكتوب والمكتوب فيه، ثمّ قديسمّى المكتوب بذلك كما يسمّى الكلام كتاباً وإن لم يكن مكتوباً. القِطّ ـ بالكسر ـ: الحساب. القِطّ:

الكتاب والصّك بالجائزة يكتب للانسان فيه شيئ يصل إليه. والجمع: قطوط وهي الجوآئز والأرزاق، سمّيت قطوطاً لأنها كانت تخرج مكتوبة في رقاع وصكاك مقطوعة، وبيعها غير جآئز ما لم يتحصّل ما فيها في ملك مَن كتبت له معلومة مقبوضة. يقال: «خذوا القطوط» أي خطوط الجوآئز وكتاب المحاسبة. ويقال: خُذ قطّاً من العامل.

القِطّ: النّصيب المفروض كأنّه قُطّ أي أُفرِزَ لأنه قطعة من الشيئ تقول: لي قِطّ من ذلك أي نصيب. والقِطّ: الصحيفة للانسان بصلة يوصل بها. القطّ: القسط من الشيئ لأنه قطعة منه من قطّه: إذا قطعه، ويقال لصحيفة الجآئزة: قطّ لأنها قطعة من القرطاس قال الله تعالى: «وقالوا ربنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب» ص: ١٦) أي عجّل لنا صحيفتنا أو هي كتاب المحاسبة. والجمع: قطوط وقطائط. يقال: جآئت الخيل قطآئط: قطيعاً قطيعاً. وقيل: جماعات في تفرقة.

وقَطّ السِّعْرُ أي علا، وسِعْرٌ قطّ: غالٍ، وسِعْرٌ مقطوط: غالٍ. وقطّ القلم: قطع رأسه عرضاً في بريه.وقطّ حافراً الدابة: نحته وسوّاه. القَطّ: القصير الجعد من الشّعر. رجل قطّ الشعر: قصيره جعده. جمعه: قطاط وأقطاط.وفي حديث الملاعنة: «إن جآئت به جعداً قططاً فهو لفلان» القَطَط: الشّديد الجعودة.

والقطط: شعر الزّنجي. يقال: رجل قطط وشعر قطط وامرأة قطط والجمع قططون وقططات.

القِطّ: ساعة من اللّيل. يقال: مضى قطّ من اللّيل أي ساعة. وما ُ ته قط. عبارة عن مدّ الزمان المقطوع به. وفي الحديث: «ما فعلته إمرأة قطّ إلّا عوفيت» يقال: ما فعلت ذلك قطّ أي في الزمان الماضي.

وقطّ على ثلاثة أوجه: احدها ـ أن يكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى، وهذه بفتح القاف وتشديد الطآء مضمومة في أفصح اللغات، وتختصّ بالنّفي. يقال: «ما فعلته قطّ» معناه ما فعلته فيما انقطع من عمري. و بُنيت لتضمّنها معنى مذ وإلى. إذ المعنى: مذ أن خلقت إلى الآن. وقد تكسر على أصل إلتقآء الساكنين،

فيقال: قَطِ. وقد تتبع قافه طاؤه في الضمّ، فيقال: قُطُ. وقد تخفّف طاؤه مع ضمّها أو اسكانها، فيقال: قُطُ وقُطْ.

ثانيها- أن تكون بمعنى حسب وهذه مفتوحة القاف، ساكنة الطآء. يقال: قطى وقطك وقَطْ زيدٍ دِرْهَمٌ كما يقال: حسبي وحسبك وحسب زيد درهم إلّا أنّها مبنيّة، وحسب معربة.

ثالثها- أن تكون إسم فعل بمعنى يكفي. فيقال: قطني بنون الوقاية على الوجه الثاني حفظاً للبنآء على السكون كما يجوز في لدن. فاذا كان إسم فعل بمعنى يكفي فتزادنون الوقاية فيقال: قطني أي حسبي.

قَطُّ: إسم فعل بمعنى إنته. وكثيراً ما تصدر بالفآء تنزيلاً للفظ منزلة جزآء شرط محذر. وإن كانت كلمة قط بمعنى حسب فهو مفتوحة ساكنة الطآء تقول: ما رأيته إلّا مرّة واحدة فقط. فاذا أضفت قلت: قطك هذا الشيئ أي حسبك وقطني وقطي وقط. وقطاط - كقطام -: حسب والقِطاط - بالكسر -: المثل الذي يُحذى عليه، والقطاط: حرف الجبل والصخرة كأنّما قُطَّ قطاً والجمع: أقطّة. القَطُّ - أيضاً -: دعآء القطاة ويخفف أي ان القطاة تدعى بأن يقال لها: قَطْ قَطْ. والقطّ: إسم من هذا الدّعآء. الأقط: الذي سقطت أسنانه. ورجل أقطّ وامرأة قطّاء: إذا أكلا على أسنانهما حتّى تنسحق. القطّاط - فعّال للمبالغة -: صانع الحُقَق. القِطّ: السّنور والانثى: القِطّة، والجمع: قطاط وقططة. القِطّة: الشقيقة من البطّيخ وغيره. يقال: هات قطّة من البطيخ. المِقطّ والمِقطّة - بكسرهما -: عظيم يقط الكاتب عليه أقلامه. ومَقَطُّ الفرس: منقطع أضلاعه.

٥٨ - النّعج والنّعجة - ١٥٣٣

نعج الرّجل ينعج نَعْجاً ونُعُوجاً - من باب علم ونصر -: إذا أكل لحم ضأن فأتخم منه بأن ثقل على قلبه فهو نَعِجٌ. والنعج: ثقل القلب من أكل لحم الضّأن.

ونعج اللون: خلص بياضه. يقال: جمل ناعج. ونعجت الناقة في سيرها: أسرعت.

ونَعِجَ البعير نَعَجاً ـ نحو علم ـ: سَمِنَ. والنَّعَج: السمن. يقال: قدنَعِجَ هذا بعدي أي سَمِنَ. والنَعَج: أن يربو وينتفخ. وجمل ناعج: حسن اللون مُكَرَّمٌ. النواعج والناعجات من الإبل: البيض الكريمة.

النّعجة: الانثى من الضّأن والظّبأ والبقر الوحشيّ والشّاة الجبليّ، وجمعها نعاج ونعجات.

قال الله عزوجلّ: «قال ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه» ص: ٢٤).

النعج: الإبيضاض الخالص. وأرض ناعجة: مستوية سهلة مكرمة للنبات تنبت الرُمثَ. الناعجة: المرأة البيضآء والمرآة المحسنة. والناقة البيضآء والسريعة والّتي يُصاد عليها نعاج الوحشيّ و، هي المهرية جمعها: نواعج. والعرب تكنّي عن المرأة بالنعجة والشاة.إبل نواعج: سراع. والمرأة الناعجة: حسنة اللون. ويوم ناعجة: من أيّام العرب.

وأنعج الرّجلُ: سمنت نعاجه. النّاعجات: الخفاف من الإبل. وقيل: الحسان الألوان. مَنْعِج: موضع كان فيه يوم لبني يربوع على بني كلاب.

٣٥ ـ الصفن ـ ٨٦٥

صَفَنَ الرّجل قدميه يصفن صَفْناً وصُفُوناً ـ من باب ضرب ـ: صف قدميه. أصل الصفن: الجمع، ويستعمل في معنى الصّف لإلتقآء المعنيين، فيقال: صفن صفوناً: صف قدميه، ومن هذا قيل: صفنت الدابة: قامت على ثلاث وثنت سنبك الرابعة. وصفن الفرس: قام على ثلاث قوائم، وطرف حافر الرابعة.

قال الله عزوجل: «الصافنات الجياد» ص: ٣١).

الصّافن من الخيل الّذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه، وقديفعل

ذلك برجله وهي علامة الفراهة. الصفن: الجمع بين الشيئين ضامّاً بعضهما إلى بعضٍ وفي الحديث: «أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم عوّذ علياً عليه السّلام حين ركب وصفن ثيابه في سرجه» أي جمعها فيه. وصفن الرجل بقدمه الأرض: ضربها به. وفي الحديث: « إذا رفع رأسه من الركوع قُمنا خلفه صفوناً » كل صافٍ قدميه قائماً فهو صافن. والجمع صُفون كقاعد وقعود. وفي الحديث: «فلمّا دنا القوم صافنّا هم» أي واقفنا هم وقمنا حذآءهم. وفي الحديث: «نهى عن صلاة الصّافن» أي الّذي يجمع بين قدميه.وصفن الطآئر الحشيش والورق صَفْناً: نضّده لفراخه.

الصّافن: عِرْقٌ في باطن الصلب يجمع نياط القلب. الصافن: عِرْقٌ في أسفل الساق يُفصَد. جمعه: صافنات وصوافن وصُفون. والصَفْن: وعآء يجمع الخصية والسفرة والشقشقة. والصَفَن ـ محركة ـ: وعاء الخصية، والصَفَن: ما فيه السنبلة من الزّرع وبيت ينضّده الزنبور ونحوه لنفسه أو لفراخه. والصَفَنة: المرّة والسفرة والشقشقة، والصَفَن: جلدة بيض الانسان أي جلدة الانثيين. والجمع: أصفان.

الصُفْن ـ بالضمّ ـ: شيء كالركوة يتوضّأ فيه وفي حديث مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «ألحقني بالصُّفْن» أي بالركوة.

والصُفْن: خريطة لطعام الرّاعي وزنّاده وأداته ومايحتاج إليه، ووعآء من أدمٍ مثل السّفرة يستقى به. الصُفْن: كالسّفرة بين العيبة والقِربة يكون فيها المتاع. والصَفْنَة: دلو صغير لها حلقة واحدة، فاذا عظمت فاسمها: الصُفْن والجمع: أصفُن.

صفّين: موضع قرب الرقة على شاطئ الفرات، موضع كانت به وقعة عظيمة بين إمام الأبرار والأخيار أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته، وبين قآئد الأشرار والفجّار أمير الفاسقين معاوية بن أبي سفيان عليه وعلى أتباعه الهاوية والنيران.

الصّافن: عِرق ينغمس في الذّراع في عصب الوظيف، والصافنان: عرقان في الرجلين. والصافن: عِرق في باطن الصلب طولاً متصل به نياط القلب، ويسمّى الأكحل. وصافَنَ المآء بين القوم: قسّمه بينهم بالحصص. تصافن القوم المآء: إذا

كانوا في سفر فقلّ عندهم فاقتسموه على الحصاة. وصفّن الزّنبور: عمل الصَفَن.

تصافن القوم المآء: تقاسموه بالحصص. وذلك بأن توضع حصاة أسفل الإنآءو يُصَبّ فيه قدرما يغمرها من المآء فيشرب الواحد ثمّ يصبّ أيضاً كذلك، فيشرب الآخر وهلم جرّاً فينال كلّ واحد مثل نصيب صاحبه يستعملون ذلك في الأسفارعند قلّة المآء وهو من الصَفْن.

٢٥ ـ الرخآء والرخوة ـ ٥٥٣

رَخُوَ الشّيْ يرخو رَخاوة ورُخاوة ـ واويّ من باب كرم ـ: صار رِخْواً. ورَخِيَ الرجل يَرخىٰ رَخاً ورَخآءً ورُخآءً ـ من باب علم نحو رضى ـ: اتسع عيشه فهو راخٍ ورخيّ أي واسع العيش. وفي الحديث: «اذكر الله في الرخآء يذكرك في الشدّة» وفي الحديث: «المؤمن شكور عند الرخآء» وأراد بالرخآء: سعة العيش ولينه، ويقابله الشدّة. يقال: زيد رخيّ البال أي في نعمة وخصب. وفي الحديث: «فليكْثر الدعآء عند الرخآء» أي سعة العيش. ورَخِيَ فلان: كان في نعمة وسعة عيش وهو رخيّ البال إذا كان ناعم الحال. والاسم: الرَخآء.وفي الحديث: «ليس كل الناس مُرْخىً عليه» أي مُوَسَّعاً عليه في رزقه ومعيشته.

رخا يرخو رخآء ـ من باب نصر نحو دعا ـ: لان وسهل. الرّخاء ـ بالفتح ـ: سعة العيش والرُخآء ـ بالضمّ ـ: الريح الليّنة طيّبة الهبوب، السريعة الّتى لاتزعزع شيئاً ولاتحرّكه.

قال الله تعالى: «فسخّرنا له الرّيح تجري بأمره رخآء حيث أصاب» ص:٣٦)
وقد كانت الريح مطيعة لسليمان بن داود عليهما السلام إذا أراد أن تعصف، عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخت.

ومنه: أرخيتَ السَّتْرَ. وعن إرخآء السّتر استعيرَ إرخآء سِرحان. وفرس مرخاة: واسع الجري من خيل مراخٍ. وقدأرخيتُه: خليته رِخواً. رِخو السير كريح الرخآء. الرِّخو

ـ مثلّثة الرّآء ـ الهش من كلّ شيء وهو الشّيء الّذي فيه رخاوة. والرّخوة ـ بالكسر والضّم ـ: الإسترخآء. يقال: فيه رخوة. فرس رخوة: سهلة مسترسلة. الأُرخية ـ بالضّمّ ـ: ما ارخي من شئ. جمعها: أراخي. يقال: هذه ارخية المرخاة الدابّة التي تسير بالإرخآء. وقيل: الكثيرة الإرخآء، جمعها: مراخ. وأتان مرخاة: كثير الإرخآء.

وحروف الرّخوة ثلاثة عشر حرفاً: التاء والحاء والخاء والدال والزاء والطاء والصاد والضاد والعين والفاء والسين والشين والهاء. والحرف الرخو هو الّذي يجري فيه الصّوت، ألا ترى أنك تقول: المسّ والرش والسّح وما إليها، فتجد الصوت جارياً مع السّين والشّين والحاء.

راخاه يراخيه مراخاة ورِخآءً ـ من باب المفاعلة ـ: باعده. كقوله: «خلت الفرار يراخي الأجل» وجعله رخواً. يقال: «راخى العقدة وراخى خناقه ورباقه» بمعنى ارخاه إذا نفّس عنه. وراخت المرأة: حان ولادها. المراخاة: أن يراخي رباطاً ورِباقاً ومنه: «راخ الاخوان في الله» من المراخات وهي ضدّ التّشدّد ومنه: «لاتملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فانّه أرخى لبالها وأدم لحسنها وجمالها، فإنّ المرأة ريحانة ليست بقهرمانة».

أرخاه إرخآء: جعله رخواً. يقال: أرخى العقدة وأرخى عمامته: أمِنَ واطمأن، وأرخى الفرس وأرخى له: طوّل له من حبله، وأرخى الستر أسدله، وأرخى الشئ بين كتفيه: أسدله وأرسله. يقال: أرخى السّتر على معايبه، وأرخى دابّته: ساربها بالإرخآء أي خلاّها وشهوتها في العدو غير متعب لها. وأرخى الفرس: عدا شديداً. وأرخى الناقة: استرخى صلاها. وأرخى زمام ناقته: خلاف جذبه. كقوله: «فقلت لها سيري وأرخى زمامه».

تراخى عنه تراخياً ـ من باب التفاعل ـ: تباعد وتقاعس وتباطأ. وتراخى السمآء: أبطأ المطر. وتراخى الأمر: إمتدّ زمانه. وفي الأمر تراخٍ أي فسحة. تراخي عن حاجته: فَتَرَ. التّراخي: التّقاعد عن الشّيء. إرتخى إرتخآءً: صار رخواً.

إسترخى إسترخآءً: صار رخواً. استرخى به حاله: سهلت وحسنت بعد الضيق

والشدّة. وفي الحديث: «استرخيا عنّي» أي انبسطا وإتّسعا. ويقال: استرخى به الخطيب أي أرخاه خطبه ونعمه وجعله في رخآء وسعة.

٨٣ ـ أيّوب ـ ٨٣

وقدأفردنا كلمة «أيّوب» لأمرين: أحدهما ـ لإختلاف كلمات الادبآء واللغويين في مادّتها، فقال بعضهم: أصلها من «اوب» آب يؤوب أوباً ـ واويّ من باب نصر نحو قال يقول ـ وقال الآخرون: أصلها من «اى ب» آب يئيب أيبة وإيبة ـ يائيّ من باب ضرب نحو باع يبيع ـ مع اتحادهم بأنهما بمعنى رجع.

ثانيهما ـ لعلميّته. قالوا: إن أيّوب كان رومياً من أولاد عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السّلام وهو أوّل من سمّى بهذا الإسم من العرب جدّ عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بني إمرئ القيس بن زيد مناة بن تميم.

في معاني الأخبار: ـ في باب معاني أسمآء الأنبيآء والرسل عليهم السّلام ـ: «ومعنى أيّوب» من آب يؤوب وهو أنّه يرجع إلى العافية والنعمة والأهل والمال والولد بعد البلاء».

قال الله تعالى: «واذكر عبدنا أيّوب ـ و وهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لاولي الألباب» ص: ٤١-٤٣).

٧٦ـ الحنث ـ ٣٦٤

حنث الرّجل يحنث حِنْثاً وحَنْثاً ـ من باب علم ـ: مال من حق إلى باطل. وحنث الرجل في يمينه: أثم ولم يفِ بموجبها فهو حانث. ومنه: «على فلان يمين قدحنث فيها».

قال الله تعالى: «وخذ بيدك ضِغثاً فاضرب به ولا تحنث» ص: ٤٤).

الحِنْث: الذنب المؤثم. وقدسمّي اليمين الغموس حِنْثاً لذلك.

قال الله تعالى: «وكانوا يصرّون على الحنث العظيم» الواقعة: ٤٦).

الحنث: الخلف في اليمين ومنه الحديث «إن علياً عليه السّلام كره أن يطعم الرجل في كفّارة اليمين قبل الحنث» ومنه: «من حلف وحنث فعليه الكفّارة» والحنث في اليمين: نقضها والنكث فيها، والحنث: الخُلْف في اليمين.

وقيل: حَنِثَ في يمينه: إذا لم يف بها، وعُبِّرَ بالحِنْثُ عن البلوغ لمّا كان الإنسان عنده يؤخذ بما يرتكبه خلافاً لما كان قبله، فقيل: بلغ فلان الحنث أي الإدراك والبلوغ أو بلغ مبلغاً جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية. «وغلام لم يدرك الحنث» أي لم يجر عليه القلم. ومنه: «مَن لم يدرك الحنث ما حكمه في الآخرة؟».

وفي الحديث: «اليمين حِنْث أو مندمة» أي الحالف إمّا يندم على ما حلف عليه، أو يحنث فتلزمه الكفّارة. الحِنث: أن يقول الإنسان غير الحق. الحِنث: الذنب العظيم والإثم الكبير. الحِنث: الرجوع في اليمين. والحِنث: الميل من باطل إلى حق ومن حق إلى باطل. يقال: قد حنثت أي مِلتُ إلى هواك عليّ، وقدحنثتُ مع الحقّ على هواك. جمع الحنث: أحناث. ومنه: «وعليه أحناث كثيرة».

أحنثه: جعله يحنث. المحنث: الشيْ الّذي يختلف الناس فيه.

المحانث: مواقع الإثم. وفي الحديث: «يكثر فيهم أولاد الحنث» أي أولاد الزنا من الحنث بمعنى المعصية.

تحنّث من كذا: تأثم منه. تحنّث:تعبّد. وفي الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يخلو بغار حرآء فيتحنّث فيه» أي يتعبّد فيه.

والمتحنّث: النّافض عن نفسه الحنث نحو المتحرّج والمتأثّم.

﴿النحو﴾

١ ـ (ص والقرآن ذي الذكر)

في موضع «ص» وجوه: **أحدها ـ** النّصب على تقدير حرف القسم كقولك: اللهَ لأفعلنّ. **ثانيها ـ** النّصب على الإغراء. **ثالثها ـ** أن يكون أمراً من المصاداة وهي المقابلة ومعناه: صاد القرآن بعملك أي قابله أو بمعنى أُتل. **رابعها ـ** أن يكون أعمل حرف القسم مع الحذف كقولك: اللهِ لأفعلنّ. وأعمل الحرف مع الحذف لكثرة حذفه في القسم.

وفي الواو وجهان: أحدهما ـ للعطف على القسم وهو «ص» على أن «ص» حرف صار إسماً لهذه السّورة و علماً عليها، فيكون مقسماً به، و«القرآن» معطوف عليه، فيكون المقسم به: «ص» و«القرآن» معاً. **ثانيهما ـ** للقسم، و«القرآن» مجرور بها، متعلّق بمحذوف أي اقسم، و «ذي» مجرور، اضيف إلى «الذكر» نعت للقرآن، وجملة القسم إبتدائيّة لا محلّ لها.

وفي جواب القسم وجوه: **أحدها ـ** محذوف أي لقد جآءكم الحق وظهر الأمر أو لتبعثن ونحوه. لأن حذف الجواب في مثل هذا أبلغ، فان ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كلّ وجه فيعمّ. **ثانيها ـ** هوقوله تعالى: «ص» لأنّ معناه حق أو صدق فهي جواب القسم كقولك: حقاً والله أو صدقاً والله أو نزل والله أو وجب والله. **ثالثها ـ** محذوف أي لما كان الأمر كما يقول كفار مكّة من تعدّد الآلهة. رابعها محذوف وهو: «إنك لمن المرسلين». **خامسها ـ** هو معنى قوله تعالى: «بل الذين

كفروا» أي وحق القرآن لقد خالف الكفّار وتكبّروا عن الإيمان. لأن «بل» نفي لأمر سبق، وإثبات لغيره.

سادسهاـ أن يكون جواب القسم ما ختمت به سورة الصافات وهو قوله تعالى: «سبحان ربك رب العزّة ـ إلى آخر السورة» فتقدّم الجواب على القسم. **سابعها**ـ هو قوله تعالى: «كم أهلكنا» على حذف اللاّم أي والقرآن لكم أهلكنا كما حذفت اللام من قوله تعالى: «قد أفلح من زكّاها» أي لقد أفلح. وهو بعيد لأن «كم» في موضع نصب بـ «أهلكنا» **ثامنها**ـ هو معنى هذه الجملة أي لقد أهلكنا كثيراً من القرون. **تاسعها**ـ هو قوله تعالى: «إن كلّ إلاّ كذّب الرّسل» ص: ١٤) **عاشرها**ـ هو قوله تعالى: «إن هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٥٤) **الحادي عشر**ـ هو قوله تعالى: «إن ذلك لحق» ص: ٦٤) وهذا بعيد لأن بينهما كلاماً طويلاً يمنع من كونه جواباً كالسابق فتامل جيّداً ولا تغفل.

٢ـ (بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق)

«بل» حرف إضراب، و«الذين» موصولة في موضع رفع على الإبتدآء، و«كفروا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، صلة الموصول لامحل لها، و«في عزّة» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء، و«شقاق» عطف على «عزّة» وجملة المبتداء والخبر مستأنفة لامحل لها.

٣ـ (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فناد واولات حين مناص)

«كم» خبرية، كناية عن كثير، في موضع نصب، مفعول به مقدم لـ «أهلكنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الإفعال، و«من قبلهم» متعلق بـ «أهلكنا» و«من قرن» تمييز لـ «كم» والجملة مستأنفة لامحل لها، والفاء للعطف، و«نادوا» فعل ماض لجمع المذكر الغآئب، من باب المفاعلة، مبنيّ على الضّمّ المقدّر على الألف المحذوفة لإلتقآء الساكنين، وضمير الفاعل راجع إلى القرون أو الامم أو مجموع الامة، والجملة لامحل لها، معطوفة على «أهلكنا».

الواو للحال، و«لات» أصلها «لا» ثم الحقت لها التآء الزآئدة كما في «ثمّة»

و«ربّة» لتأكيد النفي وتقويته، وهي تعمل عمل «ليس» عند سيبويه من جهة أنها نفي، ولاتعمل إلّا في «حين» خاصّة لضعف الشبه عن منزلة «ما» إذ كانت «ما» تشبه بـ «ليس» من جهة النفي والحال، و«حين» خبر «لات» عند سيبويه، وإسمها محذوف أي ليس الحين حين هرب. ولا يقال: هو مضمر لأن الحروف لا يضمر فيها، و«لات» عملت عمل «إنّ» لدى الأخفش، و«حين» إسمها، وخبرها محذوف أي لا حين مناص لهم أو حينهم لأن «لا» تعمل في باب النفى لدى الأخفش، و«حين» اضيف إلى «مناص» مصدر ميمّي على وزن مفعل، وفيه إعلال أصله: منوص ـ بفتح الواو بعد نون ساكنة ـ نقلت الفتحة إلى النون، وسكّنت الواو، فلما انفتح ما قبل الواو قلبت ألفاً، وجملة «لات حين مناص» حالية في موضع نصب.

٤ ـ (وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب)

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ الاستئناف والمعنى: ومن جهلهم أنهم أظهروا التعجّب من أن جآءهم منذر منهم. **ثانيهما** ـ العطف، و«عجبوا» فعل ماضٍ لجمع المذكر الغائب، و«أن» حرف مصدريّ، و«جآء» فعل ماضٍ، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«منذر» إسم فاعل من باب الإفعال، فاعل لـ «جآء» و«منهم» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «منذر» وجملة: «أن جآءهم...» بعد إنسباكها إلى المصدر في موضع نصب بنزع الخافض: «من» متعلق بـ «عجبوا» والجملة لامحل لها، معطوفة على «نادوا».

«وقال الكافرون» الواو للعطف، والجملة لامحل لها، معطوفة على «نادوا» و«هذا» مبتداء و«ساحر» خبره و«كذّاب» للمبالغة، نعت لـ «ساحر» أو خبرثان لـ «هذا» والجملة في موضع نصب، مقول القول.

٥ ـ (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشئ عجاب)

إستفهام إنكار وتعجيب، و«جعل» فعل ماضٍ بمعنى «صيّر» و«الآلهة» جمع الإله، مفعول أوّل، و«إلهاً» مفعول ثان، و«واحداً» نعت لـ «إلهاً» وفي الجملة

وجوه: **أحدها-** مستأنفة في حيّز القول لامحل لها. **ثانيها-** مستأنفة بيانية لامحل لها. **ثالثها-** تعليلية لامحل لها. و«إن» حرف تأكيد مشبّهة بالفعل، و«هذا» في موضع نصب، إسمها، و«لشيئ» اللام للتوكيد، و«شيئ» إسمها، و«عجاب» للمبالغة نعت لـ «شيئ» والكلام في هذه الجملة هو الكلام فيما قبلها من الوجوه الثلاثة.

٦- (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيئ يراد)

الواو للعطف، و«انطلق» فعل ماضٍ من باب الإنفعال، و«الملأ» فاعل الفعل، و«منهم» متعلق بمحذوف وهو الحال من «الملأ» وفي «أنْ» وجهان:**أحدهما-** حرف تفسير.**ثانيهما-** حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ بـ «باء» محذوفة، متعلق بـ «إنطلق» والجملة معطوفة على «قال الكافرون» لامحل لها، و«امشوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب والجملة على الوجه الاوّل لامحلّ لها، قيل «أن امشوا» أي إمشوا لأنّ المعنىٰ إنطلقوا في القول. وقيل: هو الانطلاق حقيقة والتّقدير: انطلقو قائلين إمشوا، و«اصبروا» فعل امر، معطوفة على «امشوا» و «على آلهتكم» متعلق بـ «اصبروا» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لامحل لها، و «يراد»فعل مضارع، مبنيّ للمفعول في موضع رفع، نعت لـ «شيئ».

٧- (ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق)

«ما» نافية، و«سمعنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير، و«بهذا» متعلّق بـ «سمعنا» و«في الملّة» وجهان:**أحدهما-** متعلق بـ «سمعنا» **ثانيهما-** متعلق بمحذوف وهو حال من «هذا» فالتقدير: ماسمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة، و«الآخرة» نعت لـ «الملّة» والجملة مستأنفة في حيّز إعتراضهم لامحل لها، و«إن» حرف نفى لم تعمل عمل ليس لمكان حرف الإستثناء بعدها، و«هذا» مبتداء و«إلاّ» حرف إستثنآء و«إختلاق» مصدر قياسيّ من باب الافتعال، خبر المبتداء والجملة المنفية مستأنفة بيانية أوتعليليّة لامحل لها.

٨- (أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لمآ يذوقوا عذاب)

بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما وتركه. وقد جآئت الهمزة

المفتوحة التي بعدها همزة مضمومة من كلمة واحدة في أربعة مواضع من القرآن الكريم: ١ـ قوله تعالى: «أأُنبّئكم بخير من ذلكم» آل عمران: ١٥) ٢ـ قوله عزوجل: «أأنزل عليه الذكر من بيننا» ص:٨) ٣ـ قوله سبحانه: «أأُشهِدوا» الزخرف:١٩) على قرآءة. ٤ـ قوله جلّ وعلا: «أألقي الذكر عليه من بيننا» القمر: ٢٥).

إستفهام إنكار تعجّبي، و«أُنزل» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول من باب الإفعال، و«عليه» متعلق بـ«انزل» والضمير راجع إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم و«الذكر» نائب الفاعل، و«من بيننا» متعلق بمحذوف وهو حال من ضمير «عليه» والجملة مستأنفة في حيّز الإعتراض لا محلّ لها، و«بل» للاضراب الإنتقالي في الموضعين، و«هم» في موضع رفع، مبتدآء و«في شك» متعلق بمحذوف، خبره و«من ذكري» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«شك» وقيل: متعلق بـ«شك» واليآء للتكلم وحده والجملة مستأنفة لامحل لها.

و«لمّا» حرف نفي وقلب وجزم بمعنى «لم» و«ما» زائدة على قولٍ كقوله تعالى: «عما قليل» المؤمنون: ٤٠) و«فبما نقضهم ميثاقهم» النسآء: ١٥٥) و«يذوقوا» فعل مضارع مجزوم بـ«لمّا» بحذف نون الرفع، و«عذاب» مفعول به، على حذف ياء التكلم المضاف إليه لرعاية الفواصل، والجملة مستأنفة لامحل لها.

٩ـ (أم عندهم خزآئن رحمة ربّك العزيز الوهّاب)

«أم» منقطعة بمعنى «بل» والهمزة، و«عند» ظرف منصوب، أُضيف إلى ضمير «هم» متعلق بمحذوف، خبر مقدّم، و«خزآئن» جمع خزينة، لمنتهى الجموع، اضيف إلى «رحمة» اضيفت إلى «رب» اضيف إلى كاف الخطاب، مبتداء مؤخّر، و«العزيز» نعت لـ«ربّك» و«الوهّاب» للمبالغة، نعت ثان لـ«ربّك» والجملة مستأنفة لامحلّ لها.

١٠ـ (أم لهم ملك السّموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب)

«أم» كالسابقة، و«لهم» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«ملك» مبتداء مؤخّر، أُضيف إلى «السموات» جمع السمآء، و«الأرض» عطف على «السموات»

والجملة مستأنفة لامحلّ لها. «ومابينهما» الواو للعطف، و«ما» إسم موصول، في موضع جرّ، معطوف على «السموات» و«بينهما» ظرف منصوب، متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول. والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«ليرتقوا» فعل مضارع لجمع المذكر المغائب من باب الافتعال، واللام للأمر، والفعل مجزوم بلام الأمر على قول، وبحرف شرط مقدّر على قول آخر، وعلامة الجزم حذف نون الرفع، أي إن زعموا ما يقولون أو يدّعونه فليرتقوا، و«في الأسباب» جمع السبب متعلق بـ «يرتقوا».

١١ـ (جند ما هنا لك مهزوم من الأحزاب)

في «جند» وجهان: أحدهما ـ خبر لمبتداء محذوف أي هم جند. ثانيهما ـ مبتداء خبره «مهزوم» وفي «ما» وجوه: **أحدها** ـ نكرة تفيد العموم أي هم جند ما. **ثانيها** ـ أن تكون للتّنكير استخفافاً بهم وتهويناً وتحقيرا لشأنهم. **ثالثها** ـ نعت لـ «جند» على سبيل التحقير. **رابعها** ـ نعت لـ «جند» على سبيل التعظيم للهزء بهم. **خامسها** ـ زائدة للتحقير جارية مجرى الصفة أي هم جند من الجنود أو جندهنا لك. وفي «هنالك» وجوه: **أحدها** ـ ظرف مكان ملغى، إسم إشارة في موضع نصب، متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «جند» أي جند ثابت أو كآئن هنا لك. **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «جند». **ثالثها** ـ نعت لـ «جند» **رابعها** ـ متعلق بـ «مهزوم» أي جند مهزوم في هنا لك المكان **خامسها** ـ نعت لـ «مهزوم».

و«هنا لك» للمكان البعيد، و«هناك» للمتوسّط بين القريب والبعيد، و«هنا» للقريب. وفي «مهزوم» وجهان: **أحدهما** ـ إسم مفعول نعت لـ «جند». ثانيهما خبر لـ «جند». وفي «من الأحزاب» جمع الحزب وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، نعت لـ «جندما» **ثانيهما** ـ متعلق بمحذوف، بيان لـ «جندما». والجملة على أي وجه من الوجوه تعليلية لامحلّ لها.

١٢ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد)

«كذّبت» فعل ماضٍ من باب التفعيل، دخلت فيه التآء لتأنيث الجماعة، و«قبلهم» ظرف منصوب متعلق بـ «كذّبت» و«قوم» فاعل الفعل، اضيف إلى

«نوح» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«عاد» عطف على «قوم نوح» ويجوز أن يقف على «نوح» فيكون عاد مبتداءً، وما بعده معطوف عليه، ويكون «اولئك الأحزاب» خبراً عن الجميع، ويجوز أن يكون الخبر قوله: «إن كلّ إلّا كذّب الرسل» ويجوز أن يكون «اولئك الأحزاب» إبتداء ويقف على قوم لوط. و«ذوالأوتاد» جمع الوتد، نعت لـ «فرعون».

١٣ـ (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب)

الواوات الثلاث للعطف، وفي «اولئك الأحزاب» وجوه. **أحدها**ـ «اولئك» مبتداء و«الأحزاب» خبره والجملة مستأنفة لامحل لها. **ثانيها**ـ أن يكون «عاد» أو «ثمود» أو «قوم لوط» مبتداء و«اولئك» خبره و«الأحزاب» صفة لـ «اولئك». **ثالثها**ـ أن يكون «اولئك» بدلاً من مجموع المعطوفات والمعطوف اليه، و«الأحزاب» جمع قلّة للحزب، نعت لـ «اولئك».

١٤ـ (إن كلّ إلّا كذّب الرسل فحقّ عقاب)

«إن» نافية بمعنى «ما» و«كل» مبتداء، ابتدأ بالنكرة لأنها تفيد العموم أو لاعتمادها على النفى، و«إلّا» أداة حصر للاستثنآء، و«كذّب» فعل ماضٍ من باب التفعيل، فاعله ضمير مستتر راجع إلى «كل» و«الرسل» جمع الرسول، مفعول به، وجملة «كذّب الرسل» في موضع رفع، خبر لـ «كل» وجملة: «إن كل إلّا كذّب الرسل» مستأنفة بيانية لامحل لها. ويجوز أن تكون في موضع رفع، خبراً لـ «اولئك» إذا اعرب «الأحزاب» بدلاً من الإشارة، «فحق» الفآء للعطف والفعل ماضٍ، على حذف الظرف المتعلق عليه، و«عقاب» فاعل الفعل، على حذف يآء التكلم تدل عليها كسرة البآء أي فحق عليهم عقابي. والجملة في موضع رفع، معطوفة على «كذّب».

١٥ـ (وما ينظر هؤلاء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق)

الواو للعطف، و«ما» نافية، و«ينظر» فعل مضارع، و«هؤلآء» في موضع رفع، فاعل الفعل، و«إلّا» أداة حصر، و«صيحة» مفعول به، و«واحدة» صفة لـ «صيحة»

والجملة معطوفة على «إن كل إلّا كذّب الرسل» لامحل لها، و«ما» الثانية كالاولى، و«لها» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«من فواق» «من» زآئدة، و«فواق» مجرور لفظاً، ومرفوع محلاً، مبتدأ مؤخّر، و الجملة في موضع نصب، نعت ثان لـ «صيحة» أو حال من «صيحة» لأنّه وصف.

في «فواق» وجوه: **أحدها**- إسم مصدر من أفاق كالجواب من أجاب. وزنه: فَعال بفتح الفآء. **ثانيها**- إسم بمعنى الزمن الذي يكون قدره بين حلبتين. وجآء في الحديث «العيادة قدر فواق ناقة». **ثالثها**- بمعنى الرجوع، جمعه: أفواق وجمع الجمع: أفاويق.

١٦- (وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب)

الواو للإستئناف، و«قالوا» فعل ماض لجمع المذكر الغآئب، أجوف واوي، معتلّ العين، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«ربنا» منادى مضاف، منصوب أي يا ربّنا، و«عجّل» فعل أمر من باب التفعيل، و«لنا» متعلق بـ «عجّل» والجملة جواب الندآء، وجملة الندآء وجوابه في موضع نصب، مقول القول، و«قطّنا» مفعول به، و«قبل» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ «عجّل» اضيف إلى «يوم» اضيف إلى «الحساب».

١٧- (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذاالأيد إنّه أوّاب)

«اصبر» فعل أمر، خطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مستأنفة لا محلّ لها، و«على» متعلّق بـ «اصبر» و«ما» حرف مصدرى، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ، متعلّق بـ «اصبر» أو إسم موصول في موضع جرّ، والعآئد محذوف أي يقولونه. والواو للعطف، و«اذكر» فعل أمر، معطوف على «اصبر» لا محلّ لها، و«عبدنا» مفعول به، و«داود» عطف بيان أو بدل من «عبدنا» و«ذا» بمعنى الصاحب، أضيف إلى «الأيد» جمع اليد بمعنى القوّة، نعت لـ «داود» و«إنّه» حرف توكيد والضمير في موضع نصب، إسمها، و«أوّاب» للمبالغة خبرها، والجملة المؤكّدة تعليلية لقوله: «ذاالأيد» لا محلّ لها.

١٨ـ (إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق).

«إنّا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«سخّرنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب التفعيل، في موضع رفع، خبر لـ «إن» وضميرا التكلم مع الغير للتعظيم، و«الجبال» مفعول به، والجملة المؤكّدة مستأنفة في معرض قصّة داود عليه السّلام لا محل لها، و«معه» ظرف منصوب متعلق بـ «يسبّحن» فعل مضارع لجمع المؤنث الغائب باعتبار جمع «الجبال» في موضع نصب، على الحال من «الجبال» و«بالعشيّ» متعلق بـ «يسبّحن» و«الاشراق» عطف على «العشيّ».

١٩ـ (والطّير محشورة كلّ له أوّاب)

الواو عاطفة، و«الطير» معطوف على «الجبال» و«محشورة» إسم مفعول، منصوب على الحال من «الطير»، و«كل» مبتدأ، ابتدأ بالنكرة لإفادتها العموم، أي كل من الجبال والطير، و«له» متعلق بـ «أوّاب» والضمير راجع إلى الله تعالى، ويجوز أن يعود على داود عليه السّلام أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود عليه السّلام مسبّح، و«أوّاب» مبالغة، خبر لـ «كل» والجملة مستأنفة لا محل لها.

٢٠ـ (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

الواوات الثلاث للعطف، و«شددنا» فعل ماضٍ ـ ثلاثياً ـ للتكلم مع الغير تعظيماً، و«ملكه» مفعول به، والجملة في موضع رفع، معطوفة على «سخّرنا الجبال» و«آتيناه» فعل ماض كالسابق من باب الإفعال، والضمير مفعول به الأوّل، و«الحكمة» مفعول ثانٍ، و«فصل الخطاب» عطف على «الحكمة» وجملة: «آتيناه» في موضع رفع، معطوفة على: «سخّرنا الجبال».

٢١ـ (وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب)

الواو عاطفة، و«هل» حرف استفهام للتشويق، و«أتاك» الفعل ماضٍ ـ ثلاثياً ـ وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به و«نبؤا» فاعل الفعل، اضيف إلى «الخصم» والجملة معطوفة على «اصبر» لا محل لها، و«إذ» ظرف للزمن الماضي، متعلق بـ «نبأ الخصم» وقيل «إذ» بمعنى «لمّا» أي لمّا تسوّروا ... و«تسوروا» فعل

ماضٍ لجمع المذكر الغآئب من باب التفعّل، وصيغة الجمع بعد لفظ «الخصم» لأنّ الخصم مصدر كالخصومة يصلح للواحد والإثنين والجمع والمذكّر والمؤنث، فجمع الفعل حملاً على معنى «الخصم» إذ اريد به القوم الّذين إستقرّ فيهم الخصومة، و«المحراب» مفعول به، وجملة: «تسوروا ...» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها.

٢٢ـ (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سوآء الصراط)

في «إذ» وجوه: **أحدها**ـ في موضع نصب، بدل من «إذ» الاولى. **ثانيها**ـ ظرف متعلق بـ «تسوروا» **ثالثها**ـ ان التسور في زمان غير زمان الدخول و«دخلوا» فعل ماضٍ لجمع المذكر الغآئب، و«على داود» متعلق بـ «دخلوا» و«داود» غير منصرف للعلميّة والعجمة، والجملة:«دخلوا» في موضع جرّ لاضافة «إذ» اليها، «ففزع» الفآء عاطفة والفعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «داود» و«منهم» متعلق بـ «فزع» والجملة في موضع جرّ معطوفة على «دخلوا» و«قالوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، وضمآئر الجمع تعود على «الخصم» وجملة «قالوا» مستأنفة بيانية لامحل لها، و«لا» ناهية جازمة، و«تخف» فعل مضارع، مفرد مذكر مخاطب، مجزوم بحذف لام الفعل، والجملة في موضع نصب، مقول القول.

«خصمان» تثنية خَصْم، خبر لمبتداء محذوف أي نحن خصمان، والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها أو هي تعليل لنهى الخوف، و«بغى» فعل ماضٍ، و«بعضنا» فاعل الفعل، و«على بعض» متعلق بـ «بغى» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «خصمان» و«فاحكم» الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، والفعل، فعل أمر لمذكر مخاطب، و«بيننا» ظرف منصوب متعلق بـ «احكم» و«بالحق» متعلق بمحذوف وهو حال من فاعل «احكم» والجملة في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن سمعت قصّتنا فاحكم. «ولاتشطط» الواو عاطفة، و«لا» ناهية، والفعل مضارع، مجزوم بحرف النهى من باب الإفعال، والجملة معطوفة على «احكم» من عطف النّهي على الأمر،«واهدنا» الواو للعطف والفعل فعل أمر، و«نا» ضمير وصل

للتكلّم مع الغير في موضع نصب، مفعول به، و«إلى سواء» متعلق بـ «اهدنا» اضيف إلى «الصراط» والجملة معطوفة على «احكم».

٢٣ـ (إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هذا» إسم إشارة في موضع نصب، إسم «إنّ» و«أخ» المضاف إلى ياء التكلم، خبرها، وعلامة الرفع هى الضمّة المقدّرة على ما قبل اليآء، والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لامحل لها، أو هى مقولة لقول مقدّر أي قال أحدهما إنّ هذا أخي. ويجوز أن يكون «أخي» بدلاً من «هذا» وخبر «إن جملة: «له تسع ...» و«له» متعلّق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«تسع» مبتداء مؤخّر «وتسعون» عطف على «تسع» و«نعجة» منصوب على التّميز والجملة: «له تسع ...» في موضع رفع، خبرثان لـ «إنّ» على الوجه الأوّل.

«ولى» الواو عاطفة، و«لى» متعلق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«نعجة» مبتداء مؤخر، و«واحدة» نعت لـ «نعجة» وقيل:توكيد، والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «له تسع ...» و... «فقال» الفآء للعطف، والفعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «أخي» والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «له تسع ...» أو على جملة: «لي نعجة ...» و«أكفلنيها» الفعل فعل أمر من باب الإفعال، والنون للوقاية، والياء للتكلم وحده في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«ها» مفعول ثانٍ، والجملة في موضع نصب، مقول القول، والواو في «وعزّني» عاطفة، والفعل ماضٍ، والنون للوقاية، والياء للتكلم وحده في موضع نصب، مفعول به، و «في الخطاب» متعلق بـ «عزّني» والجملة في موضوع رفع، معطوفة على جملة «قال».

وفي لفظ «الخطاب» وجهان: **أحدهما**ـ أن يكون مصدراً من خاطب خطاباً نحو ضارب ضراباً **ثانيهما**ـ أن يكون مصدراً من خطب المرأة خطاباً نحو كتب كتاباً.

٢٤ـ (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطآء ليبغي بعضهم

على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «داود» والجملة مستأنفة لا محل لها، و«لقد» اللام لام قسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«ظلمك» الفعل ماضٍ فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «أخي» وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة جواب لقسم مقدّر لا محل لها، وأما جملة القسم المقدرة مع جوابها ففي موضع نصب، مقول القول. أي قال داود عليه السلام: اقسم أن أخاك ظلمك بطلبه إضافة نعجتك الواحدة إلى نعاجه التسع والتسعين.

«بسؤال» متعلق بـ «ظلمك» و«سؤال» مصدر أُضيف الى المفعول الثاني: «نعجتك» وحذف الفاعل والمفعول الأوّل. تقديره: بسؤاله إياك نعجتك. فحذفت الهآء التي هي فاعل في المعنى، وحذف المفعول الأوّل، واضيف المصدر إلى المفعول الثاني. و«إلى نعاجه» جمع نعجة، متعلق بفعل دلّ عليه السؤال تقدير: ليضمّها إلى نعاجه أو ضمن السؤال معنى الإضافة كأنه قيل: باضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه الطلب.

«وإن» الواو عاطفة، و«كثيراً» إسمها، و«من الخلطآء» جمع الخليط كالشريف والشرفآء، متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «كثيراً» واللام في «ليبغي» للتوكيد، والفعل مضارع، و«بعضهم» فاعل الفعل، و«على بعض» متعلق بـ «يبغي» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول، أو معطوفة على جملة جواب القسم فلا محل لها.

«إلّا» أداة حصر، إستثنآء من الجنس، والمستثنى منه بعضهم، و«الذين» موصولة في موضع نصب على الإستثنآء المتصل، و«آمنوا» فعل ماضٍ لجمع المذكر الغآئب من باب الإفعال، والجملة صلة الموصول لا محل لها، و«عملوا» عطف على «آمنوا» و«الصالحات» جمع الصالحة، مفعول بها، والجملة لا محل لها، «وقليل» الواو إعتراضيّة و«ما» زائدة لتأكيد القلّة، و«هم» ضمير منفصل مبتداء مؤخّر،

و«قليل» خبر مقدّم، والجملة اعتراضية لامحل لها. وقيل: التقدير: هم قليل منهم. وقيل: «ما» موصولة بمعنى الذي أي وقليل الذين هم كذلك.

«وظنّ» الواو عاطفة، و«ظنّ» فعل ماضٍ، و«داود» فاعله، والجملة معطوفة على «قال» لامحل لها، و«أنّما» حرف توكيد، لغت عن العمل لمكان «ما» الكافّة، وفي «فتنّاه» وجهان: **أحدهما**ـ بتشديد النون على إضافة الفعل إلى الله تعالى. **ثانيهما**ـ بالتخفيف على إضافته إلى الملكين. الفعل ماضٍ للتكلم مع الغير، وضميرالوصل: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والفعل مؤوّل بالمصدر، سادّ مسدّ مفعولي «ظنّ». «فاستغفر» الفآء للعطف، والفعل ماضٍ من باب الاستفعال، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «داود» و«ربه» مفعول به، والجملة معطوفة على «ظنّ» لامحل لها، و«خرّ» فعل ماضٍ، و«راكعاً» إسم فاعل، حال من فاعل «خرّ» والجملة معطوفة على «استغفر» لامحل لها، و«أناب» فعل ماضٍ من باب الإفعال، معطوف على «استغفر» لامحل لها.

٢٥ـ (فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)

الفاء عاطفة، و«غفرنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير، و«له» متعلق بـ «غفرنا» والجملة معطوفة على «استغفر» لامحل لها، وفي «ذلك» وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، مفعول به لـ «غفرنا». **ثانيهما**ـ في موضع رفع على إضمار مبتداء تقديره: الأمر ذلك. والواوان للعطف، و«إنّ» حرف توكيد، و«له» متعلق بمحذوف وهو خبر لـ «إنّ» و«عندنا» ظرف منصوب متعلق بالخبر، ويجوز أن يكون متعلقاً بحال من «زلفى» واللام في «لزلفى» للتّوكيد، و«زلفىٰ» منصوب إسم لـ «إنّ» وعلامة النصب، هي الفتحة المقدرة. وفي الجملة وجوه: **أحدها**ـ معطوفة على جملة «غفرنا». **ثانيها**ـ أن تكون الجملة حالية. **ثالثها**ـ مستأنفة لتقرير مضمون ما سبق و«حسن» معطوف على «زلفى» أُضيف إلى «حسن».

٢٦ـ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم

الحساب)

«يا» حرف ندآء و«داود» منادى، وفي جملة النداء وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة في معرض قصّة داود عليه السلام لا محل لها. **ثانيهما**ـ في موضع نصب، مقولة لقول محذوف والمحذوف هو حال من فاعل: «غفرنا» أي غفرنا له قآئلين: يا داود! و«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و«جعلنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«خليفة» مفعول ثانٍ، و«في الأرض» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «خليفة» والجملة المؤكّدة جواب الندآء لا محلّ لها.

«فاحكم» الفآء لربط المسبّب بالسبب، والفعل فعل أمر، خطاب لداود، و«بين» ظرف منصوب، متعلق بـ «احكم» اضيف إلى «الناس» و«بالحق» متعلّق بمحذوف وهو حال من فاعل «احكم» وفي الجملة وجهان:**أحدهما**ـ معطوفة على استئناف مقدّر أي تنبّه فاحكم. فلا محل لها. **ثانيهما**ـ في موضع جزم، جواباً لشرط مقدّر أي إن تصدّيت للحكم فاحكم ... بالحق.

«ولا تتّبع» الواو عاطفة، و«لا» ناهية جازمة، و«تتبع» مجزوم بحرف النهي وحرّك الفعل بالكسر لإلتقآء الساكنين، و«الهوى» مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «احكم» فالكلام في إعرابها، هو الكلام في إعرابها.

«فيضلّك» الفآء سببيّة، والفعل مضارع من باب الإفعال، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاء لوقوع الفعل بعد النهي: «لا تتبع» وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والفعل: «يضلّ» بعد إنسباكه إلى المصدر في موضع رفع، معطوف على مصدر مأخوذ من النهى السابق أي: لا يكن منك اتباع الهوى، فاضلال منه عن سبيل الله. ويجوز أن يكون «يضل» مجزوماً، عطفاً على النهي، وفتحت اللام لالتقآء الساكنين، والكسرة هنا ثقيلة لمكان كاف الخطاب المفتوحة، و«عن سبيل الله» متعلق بـ «يضلك».

«إنّ» حرف توكيد، و«الذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«يضلّون»

فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محل لها، و«عن سبيل الله» متعلّق بـ «يضلّون» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لا محل لها، و«لهم» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«شديد» نعت لـ «عذاب» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و«بما» البآء سببيّة و«ما» حرف مصدريّ غير زمانيّ والزماني نحو: «ما دمت حياً» مريم: ٣١) و«نسوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر في موضع جرّ بالبآء، متعلق بـ «عذاب» و«يوم» مفعول به لـ «نسوا» أُضيف إلى «الحساب» ويجوز أن يكون «يوم الحساب» ظرفاً متعلّقاً بـ «عذاب» ومفعول «نسوا» مقدّر.

٢٧ـ (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

الواو للاستئناف، و«ما» نافية، و«خلقنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً، و«السمآء» مفعول به، «والأرض» معطوف على «السمآء» والجملة مستأنفة لا محل لها.وقيل: الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها بحسب المعنى كأنّه قيل «ولا تتبع الهوى» لأنه يكون سبباً لضلالك، ولأنه تعالى لم يخلق العالم لأجل اتباع الهوى وهو الباطل، بل خلقه للتوحيد ومتابعة الشرع. هذا ولكن الآية التالية لا تلائم هذا المعنى.

«وما» الواو عاطفة، و«ما» إسم موصول في موضع نصب، معطوف على «السمآء» و «بينهما» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف وهو صلة الموصول لا محل لها، و«باطلاً» مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته أي خلقاً باطلاً. ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي ذوى باطل، و«ذلك» إسم إشارة في موضع رفع، مبتداء، و«ظنّ» خبره، اضيف إلى «الذين» و«كفروا» صلة الموصول لا محل لها، «فويل» الفآء عاطفة، و«ويل» مبتداء ووجه الابتدآء بالنكرة هو الدعآء، و«للذين» متعلق بمحذوف، وهو خبر المبتداء، و«من النار» متعلق بمحذوف، وقيل: بـ «ويل».

٢٨ـ (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين

كالفجّار)

«أم» في الموضعين للانقطاع بمعنى «بل» والهمزة للانكار، و«نجعل» فعل مضارع للتكلم مع الغير، و«الذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به أوّل، والباقي ظاهر، و«كالمفسدين» متعلق بمحذوف، مفعول ثانٍ، و«في الأرض» متعلّق بـ «مفسدين» إسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإفعال، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«المتقين» إسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإفتعال، و«الفجّار» جمع الفاجر إسم فاعل من «فجر» ثلاثياً.

٢٩ـ (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولواالألباب)

«كتاب» خبر لمبتداء محذوف أي هذا القرآن كتاب، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«أنزلنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، صفة لـ «كتاب»، و«إليك» متعلّق بـ «أنزلنا» وفي «مبارك» وجوه: **أحدها**ـ خبرثان للمبتدآء المحذوف: «هذا». **ثانيها**ـ خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هو مبارك. والجملة حال من «كتاب» لأنه وصف والعامل فيها الإشارة. **ثالثها**ـ نعت لـ «كتاب» تقديره: كتاب مبارك أنزلناه إليك.

«ليدّبّروا» اللاّم تعليليّة، والفعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب التّفعّل أصله: يتدبّروا، فقلبت تآء التفعل دالاً، فادغمت الدال المنقلبة في الدال الأصيلة، والفعل منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللام، وعلامة النصب هي حذف نون الرفع، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر في موضع جرّ بـ «اللام» متعلق بـ «أنزلنا» و«آياته» جمع آية، مفعول بها، و«ليتذكّر» فعل مضارع للمفرد المذكر الغائب من باب التفعل، من غير انقلاب تآئه دالاً، والفعل منصوب بـ «أن» مضمرة، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ باللام، متعلق بـ «أنزلنا» لأنه معطوف على المصدر المؤوّل الأوّل، و«اولوا» ملحق بجمع المذكر فاعل لـ «ليتذكّر» اضيف إلى «الألباب» جمع اللّب من جموع القلّة.

٣٠- (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب)

في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة. **ثانيهما**- استئنافية. و«وهبنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً، و«لداود» متعلق بـ «وهبنا» و«سليمان» مفعول به، والجملة إما معطوفة على «فغفرنا له» وإما مستأنفة لامحل لها، و«نعم» من أفعال المدح، و«العبد» فاعل الفعل، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: سليمان أو داود عليهما السّلام. والجملة اعتراضية لامحل لها، وجملة: «انّه أوّاب» تعليلية لامحلّ لها.

٣١- (إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد)

في «إذ» وجوه: **أحدها**- إسم ظرفيّ مبنيّ في موضع نصب، مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر. **ثانيها**- ظرف متعلّق بـ «أوّاب». **ثالثها**- أن يكون متعلّقاً بقوله: «نعم العبد» أي نعم العبد حين عُرِضَ عليه ، و«عرض» فعل ماضٍ، مبني للمفعول، و«عليه» متعلق بـ «عرض» و«بالعشيّ» متعلق بـ «عرض». وفي «الصافنات» وجهان: **أحدهما**- جمع الصافنة. **ثانيهما**: جمع الصافن نابت مناب الفاعل، وفي «الجياد» وجهان: **أحدهما**- بدل من «الصافنات». **ثانيهما**- عطف بيان على «الصافنات». وفي «الجياد» أيضاً وجوه: **أحدها**- جمع الجواد، فتحرّكت الواو وانكسر ما قبلها، قلبت ياءً فصار الجياد. **ثانيها**- جمع جائد. **ثالثها**- جمع جيّد بمعنى الحسن. رابعها- جميع جيد وهو العنق. وجملة: «عرض عليه» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها.

٣٢- (فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتّى تورات بالحجاب)

الفاء عاطفة، «قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «سليمان» والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة: «عرض عليه» و«إنّي» حرف توكيد مع إسمها، و«أحببت» فعل ماضٍ للتكلم وحده من باب الإفعال، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، وفي «حب الخير» وجوه: **أحدها**- أن «حُبَّ» مفعول مطلق، مصدر «حَبّ» ثلاثياً، أضيف إلى

«الخير». **ثانيها-** أنّه إسم مصدر ناب عن مصدر وهو إحباب. **ثالثها-** أنّه مفعول به، عامله: «أحببت» لتضمّنه معنى: «آثرت» أو «أردت» أو «أخرت» لا أني أحببت حباً. **رابعها-** أنّه مفعول له، اضيف إلى المفعول أي لأجل حب الخير معرضاً عن ذكر ربّي. **خامسها-** أنّه مصدر أُضيف إلى المفعول أي أحببت الخير حباً فألهاني عن ذكر ربّي.

وفي «عن ذكر ربي» وجوه: **أحدها-** ان «عن» بمعنى «على» فيكون «أحببت» بمعنى: استحببت. والظرف متعلّق بمحذوف وهو حال من فاعل «أحببت» أي لا هياً أو منصرفاً عن ذكر ربي، واضيف «ذكر» إلى «رب» اضيف إلى ياء التكلم وحده. **ثانيها-** أن «عن ...» في موضع نصب على الحال، و«ذكر» مصدر مضاف إلى المفعول أي معرضاً عن ذكر ربّي. **ثالثها-** أنّ «ذكر» مصدر اضيف إلى الفاعل أي عما ذكرني ربي حيث أمرني في التوراة باقامة الصلاة أو عن أن يذكرني ربي.

«حتّى» حرف جرّ للغاية، و«توارت» فعل ماضٍ من باب التفاعل، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الشمس، ولم يجر لها ذكر، فاضمرت قبل الذكر لدلالة الحال عليها كقوله تعالى: «كل من عليها فان» الرحمن: ٢٦) أراد بها الأرض، وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الحال عليها، أو دلّ على الشمس، ذكر الإشراق في قصّة داود عليه السّلام والفعل صلة لموصول حرفي: «أن» المضمر بعد «حتّى» والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر، مجرور بحرف الغاية و«بالحجاب» متعلق بـ «توارت» لتضمّنه معنى استترت.

٣٣- (ردّوها عليّ فطفق مسْحاً بالسوق والأعناق)

«ردّوها» الفعل فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، وضمير التأنيث في موضع نصب، مفعول بها، راجع إلى «الشمس» والجملة مستأنفة في حيّز القول السابق لا محل لها، و«عليّ» متعلق بـ «ردّوها» والفاء عاطفة، و«طفق» فعل ماضٍ من أفعال المقاربة، وإسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى «سليمان» وفي «مسحاً» وجهان:

أحدهماـ أنه مصدر سماعيّ لفعل: «مسح» مفعول مطلق لفعل محذوف أي يمسح مسحاً. **ثانيهما**ـ مصدر في موضع الحال، والجملة: «فطفق...» معطوفة على مقدّر مستأنف أى فردّوها فطفق مسحاً، وجملة «يمسح» مسحاً في موضع نصب، خبر لـ «طفق».

وفي «بالسوق» جمع الساق وجوه: **أحدها**ـ أنه متعلق بـ «يمسح» المقدّر. **ثانيها**ـ متعلّق بالمصدر: «مسحاً» ومفعول «مسحاً» محذوف أي يده. **ثالثها**ـ متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «مسحاً» أي مسحاً واقعاً بالسوق. «والأعناق» جمع العنق معطوف على «السّوق».

٣٤ـ (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثمّ أناب)

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ للعطف. **ثانيهما**ـ للاستئناف. واللام لام قسم مقدّر و«قد» حرف تحقيق، و«فتنّا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً من فتن ثلاثيّ، و«سليمان» مفعول به، والجملة جواب للقسم المقدّر لامحل لها، وجملة القسم المقدّرة معطوفة على المستأنفة في بدء القصّة أو الجملة مستأنفة في معرض القصّة. «وألقينا» الواو عاطفة، والفعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الإفعال، و«على كرسيّه» متعلّق بـ «ألقينا» والجملة معطوفة على جملة جواب القسم لامحل لها.

وفي «جسداً» وجهان: **أحدهما**ـ مفعول به. **ثانيهما**ـ حال من المفعول المقدّر أي ألقيناه جسداً. و«ثمّ» حرف عطف للتراخي، و«أناب» فعل ماضٍ من باب الإفعال، والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدّرة أى فخرج سليمانُ فانكره قومه ...ثم أناب.

٣٥ـ (قال ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي إنّك أنت الوهّاب)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «سليمان» والجملة مستأنفة لامحل لها، و«رب» منادى مضاف منصوب، وعلامة النصب هي الفتحة المقدّرة على ما قبل اليآء المحذوفة للتخفيف، والياء مضاف إليه، وحرف الندآء أيضاً محذوفة، و«اغفر» فعل أمر، و«لى» متعلّق بـ «إغفر» والجملة جواب النّدآء

لا محلّ لها وجملة النّدآء وجوابها معاً في موضع نصب، مقول القول، «وهب» الواو عاطفة و«هب» فعل أمر و«لي» متعلّق بـ «هب» والجملة معطوفة على «اغفر» لا محل لها، «ملكاً» مفعول به، و«لا» حرف نفي، و«ينبغي» فعل مضارع من باب الانفعال، والجملة في موضع نصب، نعت لـ «ملكاً» و«لأحد» متعلّق بـ «ينبغي» و«من بعدي» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «أحد».

«إنك» حرف توكيد مع إسمها، وفي «أنت» وجهان: **أحدهما**ـ ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء، و«الوهّاب» خبره والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» **ثانيهما**ـ ضمير فصل، تأكيد للضمير المتصل: إسم «إنّ» استعير لمحل النصب. و«الوهاب» للمبالغة خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكدة تعليلية لا محلّ لها.

٣٦ـ (فسخّرنا له الرّيح تجري بأمره رخآءً حيث أصاب)

الفاء عاطفة، والفعل فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً من باب التفعيل، و«له» متعلّق بـ «سخّرنا» و«الريح» مفعول به، والجملة معطوفة على «قال» في الآية السابقة لا محل لها، و«تجري» فعل مضارع لمفرد مؤنّث غائب، باعتبار تأنيث «الريح» مجازاً و«بامره» متعلّق بمحذوف وهو حال من فاعل «تجري» والجملة في موضع نصب، حال من «الريح» و«رخآء» صفة مشبهة، حال منصوبة من «الريح» ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في «تجري» فهو حال من حال لأن «تجري» في موضع نصب، بكونه حالاً من «الريح».

«حيث» ظرف مكان، مبنيّ على الضّمّ في موضع نصب، متعلق بـ «تجري» ويجوز أن تكون متعلّقاً بـ «سخّرنا» و«أصاب» فعل ماضٍ لمفرد مذكر غآئب من باب الإفعال معتلّ العين. أصله: أصوب، فنقلت فتحة الواو إلى الصاد، فانقلبت الواو المفتوحة قبلها ألفاً، وفاعل الفعل، ضمير مستتر فيه راجع إلى «سليمان».

٣٧ـ (والشياطين كلّ بنّآء وغوّاص)

الواو عاطفة و«الشياطين» جمع الشيطان من منتهى الجموع، معطوف على «الريح» و«كل» بدل من «الشياطين» بعض من «كل» اضيف إلى «بنّآء»

مبالغة إسم فاعل من «بنى» ثلاثياً، و«غوّاص» مبالغة من إسم فاعل من «غاص» معطوف على «بنآء».

٣٨ـ (وآخرين مقرّنين في الأصفاد)

الواو عاطفة، وفي «آخرين» جمع آخر وجهان: **أحدهما** ـ معطوف على «الشياطين». **ثانيهما** ـ معطوف على «كل» فداخل في حكم البدل، و«مقرّنين» جمع مقرّن إسم مفعول من باب التفعيل، نعت لـ «آخرين» و«في الأصفاد» جمع صفاد متعلّق بـ «مقرّنين».

٣٩ـ (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)

«هذا» مبتداء، و«عطآؤنا» خبره وفي الجملة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة بيانية لمضمون ما سبق، فلا محل لها. **ثانيهما** ـ مقولة لقول مقدّر أي قلنا له: هذا عطآؤنا فالجملة في موضع نصب. والقول المقدّر مستأنفة لا محل لها. و«فامنن» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«امنن» فعل أمر ـ ثلاثياً ـ في موضع جزم، جواب لشرط مقدّر أي إن أردت أن تمنن فامنن، و«أو» عاطفة للتخيير، و«أمسك» فعل أمر من باب الإفعال، معطوفة على «امنن» وفي «بغير حساب» وجوه: **أحدها** ـ متعلق بمحذوف، وهو حال من «عطآؤنا» أي هذا عطاؤنا واسعاً بغير حساب. **ثانيها** ـ حال من فاعل «امنن». **ثالثها** ـ حال من فاعل «أمسك». **رابعها**: متعلّق بـ «عطاؤنا».

٤٠ـ (وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب)

وقدسبق إعراب الآية الكريمة في آية: ٢٥) من هذه السورة والجملة المؤكّدة في موضع نصب، حال من فاعل «سخّرنا».

٤١ـ (واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب)

الواو للاستئناف، وتحتمل العطف، و«اذكر» فعل أمر و«عبدنا» مفعول به وفي «أيوب» وجهان: **أحدهما** ـ عطف بيان على «عبدنا». **ثانيهما** ـ بدل بعض من «عبدنا». وفي الجملة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة لا محل لها. **ثانيهما** ـ معطوفة على جملة: «اذكر إن عرض عليه ...» المقدّرة في الآية: ٣١) من هذه السورة.

وفي «إذ» وجوه: **أحدها**ـ ظرف في موضع نصب، بدل إشتمال من «عبدنا». **ثانيها**ـ بدل إشتمال من «أيّوب» أي زمان بلائه. **ثالثها**ـ ظرف لمعمول آخر.

و«نادى» فعل ماضٍ من باب المفاعلة، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «عبدنا» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليه، و«ربه» مفعول به، و«أني» حرف توكيد مع إسمها، فتحت الهمزة لوقوعها بعد النداء وتقديره: دعاه بأنّي «مسّني» فعل ماضٍ والنون للوقاية، واليآء للتكلم وحده في موضع نصب، مفعول به، و«الشيطان» فاعل الفعل، والجملة في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد، و«بنصب» متعلق بـ «مسّني» و«عذاب» معطوف على «نصب».

٤٢ـ (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

«اركض» فعل أمر، خطاب لـ «أيّوب» و«برجلك» متعلق بـ «اركض» لتضمّنه معنى «إضرب» والجملة في موضع نصب، مقول لقول مقدر أي فاستجبنا له وقلنا: «اركض ...» و«هذا» مبتداء، و«مغتسل» إسم مفعول من باب الإفتعال، خبر المبتداء، ولايبعد أن يكون إسم مكان، و«بارد» نعت لـ «مغتسل» و«شراب» معطوف على «بارد» والجملة: «هذا مغتسل ...» في موضع نصب، مقول لقول مقدّر آخر أي فقلنا له: هذا مغتسل ... وبين القولين كلام مقدّر أي فضرب الأرض، فنبعت عين ماء فقلنا...

٤٣ـ (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لاولى الألباب)

الواوات الثلاث عاطفة، و«وهبنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير تعظيماً، و«له» متعلق بـ «وهبنا» والضمير راجع إلى «أيّوب» و«أهله» مفعول به، والجملة معطوفة على جملة مقدّرة مستأنفة لامحل لها أي: كشفنا ما به ووهبنا له... و«مثلهم» معطوف على «أهله» و«معهم» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف وهو حال من «مثلهم» وفي «رحمة» وجهان: **أحدهما**ـ منصوب على المصدر لأن الموهبة بمعنى الرحمة. **ثانيهما**ـ مفعول لأجله أي فعلنا ذلك به لرحمتنا إيّاه. و«منا» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «رحمة» وفي «ذكرى» وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، معطوفة

على «رحمة».**ثانيهما**- في موضع رفع على تقدير: وهي ذكرى. و«الاولى» متعلق بـ «ذكرى» اضيف إلى «الألباب».

٤٤- (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أوّاب)

الواوان للعطف، و«خذ» فعل أمر، على حذف فاء الفعل وألف الوصل للأمر، وفي «بيدك» وجهان: **أحدهما**- متعلق بـ «خذ».**ثانيهما**- متعلق بمحذوف وهو حال من «ضغثاً» وهو مفعول به. وفي الجملة: «خذ...» وجهان: **أحدهما**- في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي قلنا له: خذ... وجملة القول المقدرة معطوفة على جملة «وهبنا» لا محلّ لها. **ثانيهما**- معطوفة على «اركض» لا محلّ لها أيضاً.

«فاضرب» الفآء عاطفة و«اضرب» فعل أمر، و«به» متعلق بـ «اضرب» والجملة في موضع نصب، معطوفة على «خذ» و«لا» ناهية جازمة، و«تحنث» فعل مضارع لمفرد مذكّر مخاطب، مجزوم بحرف النهي، والجملة في موضع نصب، معطوفة على «إضرب» و«إنّا» حرف توكيد مع إسمها، و«وجدنا» فعل ماض للتكلم مع الغير تعظيماً، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«صابراً» مفعول به ثانٍ والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إن» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية أو تعليلية لا محلّ لها، والباقي ظاهر مما تقدّم في الآية: ٣٠) من هذه السّورة ولم يذكر المخصوص بالمدح وهو «أيوب» لجرى ذكره.

٤٥- (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب اولى الأيدي والأبصار)

في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة، و«اذكر» معطوف على «اذكر» السابق. **ثانيهما**- مستأنفة لا محلّ لمدخولها، و«عباد» جمع عبد مفعول به، اضيف إلى «نا» ضمير التكلم مع الغير، وفي «إبراهيم» وجوه: **أحدها**- أنه وما بعده عطف بيان على «عبادنا» **ثانيها**- أنه بدل من «عبادنا» ثالثها- أنه منصوب باضمار أعنى و«اسحق ويعقوب» معطوفان عليه، و«اولى» اضيف إلى «الأيدى» جمع اليد، نعت للأسمآء الثلاثه، و«الأبصار» جمع البصر معطوف على الأيدي».

٤٦- (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)

«أخلصنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير، والضمير: «هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد، وفي الجملة المؤكدة وجوه: **أحدها**ـ مستأنفة بيانية لامحلّ لها. **ثانيها**ـ تعليلة لقوله: «اولى الأيدي والأبصار». **ثالثها**ـ تعليلية لقوله: «عبادنا». **رابعها**ـ تعليلية لقوله: «اذكر» و«بخالصة» البآء سببية، متعلق بـ «أخلصنا» أي بسبب إخلاصهم او بسبب الخلوص لهم.

وفي «ذكرى» وجوه: **أحدها**ـ في موضع جرّ، بدلاً من «بخالصة» تقديره: إنا أخلصناهم بذكر الدار. **ثانيها**ـ في موضع نصب، مفعول به لـ «خالصة» على أنها مصدر يعمل عمل فعله بمعنى الإخلاص كالعافية والعاقبة. **ثالثها**ـ في موضع نصب، على إضمار أعني. **رابعها**ـ في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هي ذكرى والجملة في موضع جرّ نعت لـ«خالصة» **خامسها**ـ في موضع رفع، فاعل خالصة أي أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكر الدار، و«ذكرى» اضيف إلى «الدار» من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي بذكرهم الدار الآخرة أو ظرف إذا كان المراد بالدّار الدّنيا.

٤٧ـ (وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)

الواو عاطفة و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«هم» في موضع نصب، إسمها، و«عندنا» ظرف منصوب، متعلّق بـ «المصطفين» جمع المصطفى، إسم مفعول من باب الإفتعال، وفيه إعلال بحذف الألف لإلتقآئها ساكنة مع اليآء الساكنة، وتركت الفتحة على الفآء دلالة على أن الألف هى المحذوفة، فوزنه المفتعين... وفيه ابدال تآء الإفتعال طآءً لمجيئها بعد الصاد أصله المصتفين، و«لمن المصطفين» اللام للتأكيد، و«من المصطفين» متعلق بمحذوف وهو خبر لـ «إنّ» و«الأخيار» جمع خيّر صفة مشبّهة نعت لـ «المصطفين» والجملة المؤكّدة معطوفة على جملة «إنا أخلصناهم...»

٤٨ـ (واذكر إسمعيل واليسع وذاالكفل وكلّ من الأخيار)

في الواو وجهان متقدمان، و«إسمعيل» غير منصرف للعلمية والعجمة،

و«اليسع» غير منصرف كاسمعيل، والكلام في الجملة هو الكلام في الجملة الاولى من الآية: ٤٥) من هذه السورة، و«كل» مبتداء أي وكلهم على حذف المضاف إليه، و«من الأخيار» متعلق بمحذوف، وهو خبر المبتدآء، والجملة معطوفة على المستأنفة المتقدّمة لامحل لها.

٤٩ـ (هذا ذكر وإنّ للمتقين لحسن مآب)

«هذا» مبتداء و«ذكر» خبره والجملة مستأنفة لامحل لها، والواو استئنافية، و«للمتقين» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «إنّ» واللام في «لحسن مآب» للتوكيد و«حسن» اضيف إلى «مآب» إسم لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحل لها.

٥٠ـ (جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب)

في «جنات» جمع جنة، اضيفت إلى «عدن» وجوه: **أحدها**ـ أنها منصوبة محلاً، عطف بيان على «حسن مآب» وإن كانت مكسورة لفظاً لمكان الألف والتآء للجمع المؤنث. **ثانيها**ـ بدل من «حسن مآب». **ثالثها**ـ منصوب على المدح. **رابعها**ـ بدل من «مآب». وفي «مفتّحة» وجهان: **أحدهما**ـ إسم مفعول من باب التفعيل، حال، من «جنات عدن» لاختصاصها بالإضافة، والعامل فيها مافي «المتقين» من معنى الفعل، والرابط مقدّر أي منها. **ثانيها**ـ صفة لها لأنّ في «مفتحة» ضمير عائد إلى «جنات» وتقديره: جنّات عدن مفتحة هي، و«لهم» متعلّق بـ «مفتحة».

وفي «الأبواب» جمع الباب وجهان: **أحدها**ـ نائب فاعل لإسم المفعول: «مفتحة». **ثانيهما**ـ بدل من ضمير مستتر في «مفتحة» على تقدير الأبواب منها، عند البصريين وعلى تقدير أبوابها على رأى الكوفيين، فصاحب الحال ضمير مقدر عند البصريين، والألف واللام القائمة مقامه عند الكوفيين، وهذا البدل بدل بعض من الكل لااشتمال لانك تقول: فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها كقوله تعالى: «وفتحت السمآء فكانت أبواباً» النبأ: ١٩).

٥١ـ (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)

في «متكئين» جمع متّكئ، إسم فاعل من باب الإفتعال وجوه: **أحدها**:

منصوب، حال من الضمير في «لهم» والعامل «مفتحة» **ثانيها**ـ حال من «المتقين» لانه قدا خبر عنهم قبل الحال. **ثالثها**ـ حال من الضمير في «يدعون» وقد تقدّم على العامل فيه. و«فيها» متعلق بـ «متكئين» وفي «يدعون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، وجوه: **أحدها**ـ في موضع نصب، حال من الضمير في «متكئين» **ثانيها**ـ حال ثانية من الضمير في «لهم» **ثالثها**ـ مستأنفة بيانية لا محل لها. و«فيها» متعلق بـ «يدعون» و«بفاكهة» متعلق بـ «يدعون» و«كثيرة» نعت لـ «فاكهة» و«شراب» معطوف على «فاكهة».

٥٢ـ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب)

الواو عاطفة، و«عندهم» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدم، وضمير الجمع راجع إلى «المتقين» و«قاصرات» مبتداء مؤخّر، اضيف إلى «الطرف» و«قاصرات» صفة قائمة مقام الموصوف، والتقدير: وعنده أزواج قاصرات الطرف، وفي «أتراب» جمع ترب صفة مشبهة وجهان: **أحدهما**ـ نعت لـ «قاصرات» لان قاصرات نكرة وإن كانت مضافة إلى المعرفة: «الطرف» **ثانيهما**ـ بدل من «قاصرات» والجملة معطوفة على جملة «يدعون» تأخذ محلها من الإعراب.

٥٣ـ (هذا ما توعدون ليوم الحساب)

«هذا» مبتداء، و«ما» إسم موصول في موضع رفع، خبره و«توعدون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول، والجملة: «هذا ما توعدون» في موضع نصب، مقولة لقول مقدّر أي قيل أو يقال لهم: و«ليوم» اضيف إلى «الحساب» متعلّق بـ «توعدون».

٥٤ـ (إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد)

«إن» حرف تأكيد، و«هذا» في موضع نصب، إسمها، واللام للتأكيد، و«رزقنا» خبرها، والجملة مستأنفة لا محل لها، و«ما» نافية مهملة، و«له» متعلق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«نفاد» مصدر سماعي، مجرور لفظاً بـ «من» زائدة، مرفوع محلاً، مبتدأ مؤخّر، وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، حال من

الرزق، والعامل الإشارة أي ان هذا لرزقنا باقياً أو دائماً. **ثانيهما**ـ خبر ثانٍ لـ «إن» أي دائم.

٥٥ـ (هذا وإنّ للطّاغين لشرّ مآب)

وفي «هذا» وجوه: **أحدها**ـ مبتداء لخبر محذوف، تقديره: هذا المذكور ثابت للمتقين. **ثانيها**ـ تقدير: هذا امرهم. **ثالثها**ـ خبر لمبتداء محذوف تقديره: الأمر هذا. **رابعها**ـ توكيد لما قبله تقديره: إنّ هذا لرزقنا هذا. **خامسها**ـ بمعنى: «خذ» والجملة مستأنفة لامحل لها. والواو إستئنافية، و«إنّ» حرف توكيد، و«للطاغين»متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «إن» واللام في «لشرّ» لـلتوكيد ومدخولها إسم «إنّ» أُضيف إلى «مآب» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها.

٥٦ـ (جهنم يصلونها فبئس المهاد)

في «جهنم» وجوه: **أحدها**ـ بدل من «شر».**ثانيها**ـ عطف بيان على «شر».**ثالثها**ـ مفعول به لفعل مقدر أي يصلون جهنم فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فمن باب الاشتغال.

«يصلون» فعل مضارع لجمع المذكر الغآئب، في موضع نصب، حال من «جهنّم» العامل فيه الاستقرار في قوله تعالى: «للطاغين» وضمير التأنيث: «ها» في موضع نصب، مفعول بها، و«فبئس المهاد» الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي أي جهنم أو بئس ما مهدوا لأنفسهم، أو بئس الفراش لهم، أو بئس موضع المهاد، وفي موضع الجملة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع جزم، جواب الشرط المقدّر أي إن كان هذا حالها فبئس المهاد هي. **ثانيهما**ـ مستأنفة لامحلّ لها.

٥٧ـ (هذا فليذوقوه حميم وغسّاق)

في «هذا» وجوه: **أحدها**ـ مبتدأ، خبره «حميم» و«فليذوقوه» معترض بينهما كقولك: زيد فاعلم رجل عالم أو «فليذوقوه» خبر بعد خبر. تقديره: هذا حميم وغسّاق فليذوقوه. **ثانيها**ـ في موضع نصب، مفعول به لمحذوف يفسّره «يذوقوه» من

باب الإشتغال، ثم استأنف فقال: حميم أي هو حميم أو منه حميم ومنه غسّاق. **ثالثها**ـ مبتداء، خبره محذوف أي هذا عذاب و«حميم» خبر لمبتداء مقدّر أي هو حميم أو خبر ثانٍ لـ «هذا» أو بدل من «هذا». **رابعها**ـ مبتداء و«فليذوقوه» خبره كقولك: زيد اضربه، ودخلت الفآء للتنبيه الذي في «هذا». **خامسها**ـ أن يكون «هذا» مخصوصاً بالذمّ أي بئس المهاد هذا المذكور. **سادسها**ـ خبر لمبتداء محذوف، تقديره: الأمر هذا.

على أيّ وجه من الوجوه انّ الجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٥٨ـ (وآخر من شكله أزواج)

وفي «آخر» وجوه: **أحدها**ـ خبر لمبتداء محذوف أى وهذا آخر من جنس الحميم والغسّاق. **ثانيها**ـ مبتداء و«من شكله» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «آخر» ولذلك حسن الإبتدآء بالنكرة لما وُصِفت والهاء في «شكله» تعود على المعنى: وآخر من شكل ما ذكرنا من شكل هذا العذاب وجنسه، أو راجع إلى الشراب الشامل للحميم والغسّاق أو راجع إلى الغسّاق و«أزواج» خبر لـ «آخر». **ثالثها**ـ نعت لمحذوف وهو المبتداء، والخبر محذوف تقديره: ولهم عذاب آخر من ضرب ما تقدّم. **رابعها**ـ مبتداء و«أزواج» مبتداء ثانٍ و«من شكله» خبره والجملة خبر لـ «آخر». **خامسها**ـ مبتداء، والخبر مضمر دلّ عليه: «هذا فليذوقوه...» لأن فيه دليلاً على أنه لهم، فكأنه قال: ولهم آخر، ويكون «من شكله أزواج» نعت لـ «آخر» فالمبتداء متخصّص بالصّفة، وأزواج مرفوع بالرفع.

وفي «أزواج» جمع زوج وجوه: **أحدها**ـ نعت لـ «آخر». **ثانيها**ـ صفة للثلاثة المذكورة وهي: حميم وغسّاق وشئ آخر من شكله، والمجموع خبر لـ «هذا» أو خبر لـ «هو» المقدّر. **ثالثها**ـ مبتداء ثانٍ و«من شكله» خبره والجملة خبر لـ «آخر» ولا يحسن أن تكون «أزواج» خبراً عن «آخر» لأن الجمع لا يكون خبراً عن الواحد.

٥٩ـ (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنّهم صالوا النار)

«هذا» مبتداء و«فوج» خبره و«مقتحم» إسم فاعل من باب الإفتعال نعت

لـ «فوج» وفي «معكم» وجوه: **أحدها**ـ ظرف منصوب متعلّق بمحذوف وهو حال من الضمير في «مقتحم»،**ثانيها**ـ حال من «فوج» لأنه قد وصف. **ثالثها**ـ نعت ثانٍ على «فوج». والجملة: «هذا...» في موضع نصب، مقولة لقول مقدّر أي يقال لهم: هذا فوج مقتحم معكم. و«لا» نافية وفي «مرحباً» وجوه: **أحدها**ـ مصدر ميمي، وإسم مكان، مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أتيتم أو لا يسمعون مرحباً.**ثانيها**ـ منصوب على المصدر مفعول مطلق لفعل محذوف أي أتوا رحباً أو رحبوا رحباً. **ثالثها**ـ حال من «فوج» أي مقولاً له: لا مرحباً، و«بهم» متعلق بمحذوف، وهو نعت لـ «مرحباً» أو متعلق بـ «مرحباً» وفي الجملة: «لا مرحباً بهم» وجوه: **أحدها**ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ جملة دعائية منهم على أتباعهم لا محلّ لها.**ثالثها**ـ في موضع رفع، نعت ثالث لـ «فوج».**رابعها**ـ إعتراضية لا محلّ لها. **خامسها**ـ في موضع نصب، حال من «فوج». **سادسها**ـ في موضع نصب، مقولة لقول مقدّر، وجملة القول حال أي مقولاً في حقهم لا مرحباً بهم.

«إن» حرف توكيد، و«هم» في موضع نصب، إسمها، و«صالوا» جمع صال، إسم فاعل لجمع المذكر، فيه إعلال بالحذف، حذفت لامه لالتقائها ساكنة مع واو علامة الرفع أصله: «صاليو» وذلك بعد تسكينه ونقل حركته إلى الحرف الذي قبله، وزنه فاعو، اضيف إلى «النار» خبر لـ «إن» والجملة تعليلية لا محلّ لها.

٦٠ـ (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار)

«قالوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، مستأنفة لا محل لها، و«بل» للإضراب، و«أنتم» مبتداء، وجملة: «لا مرحباً بكم» مثل «لا مرحباً بهم» في الآية السابقة في موضع نصب، مقولة لقول مقدّر أي أنتم أحق بالحق بالقول: لا مرحباً بكم. فخبر «أنتم» مقدر، وجملة: «أنتم لا مرحباً بكم» مستأنفة لا محل لها.

«انتم» الثاني مبتداء، و«قدّمتموه» الفعل: «قدّمتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب والواو زيدت من إشباع حركة الميم، وضمير الغائب: «ه» في موضع نصب، مفعول به راجع إلى العذاب المقدر أو إلى الصلى و«لنا» متعلّق

بـ «قدمتموه» والجملة في موضع رفع، خبر لـ «أنتم» وجملة: «أنتم...» تعليلية لامحل لها.

«فبئس القرار» نحو «فبئس المهاد» في الآية:٥٦) من هذه السورة مفردات وجملاً.

٦١ـ (قالوا ربّنا مَن قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار)

«قالوا» كالبدل من «قالوا» المتقدّم، و«ربّنا» منادى على حذف حرف الندآء، و«من قدم» جواب الندآء لامحل له، وجملة النداء وجوابه في موضع نصب، مقولة القول. وفي «مَن» وجوه: **أحدها**ـ موصول بمعنى الذي، في موضع رفع، مبتداء، و«فزده» خبره. **ثانيها**ـ إسم موصول، في موضع نصب، أي فزد مَن قدّم... **ثالثها**ـ إسم إستفهام بمعنى التعظيم، فيكون مبتدأ و«قدّم» خبره ثمّ استأنف. **رابعها**ـ إسم شرط في موضع رفع، مبتداء و«قدّم» فعل ماضٍ في موضع رفع، خبره، و«لنا» متعلّق بـ «قدم» والفآء في «فزد» للجزآء و«زد» فعل أمر والضمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جزم، جواب الشرط مقترن بالفآء، و«عذاباً» مفعول به ثانٍ، و«ضعفاً» نعت لـ «عذاباً» على تقدير: ذا ضعف ومثل أي ضعفين من العذاب أو بمعنى مضاعفاً.

و«في النار» وجوه: **أحدها**ـ ظرف متعلّق بـ «زد».**ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف وهو حال من الهاء في «فزده» أي زده كائناً في النار. **ثالثها**ـ نعت ثانٍ لـ «عذاباً» **رابعها**ـ حال من «عذاباً» لأنه قدوُصِفَ.

٦٢ـ (وقالوا ما لنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار)

في «وقالوا» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة.**ثانيهما**ـ معطوفة على «قالوا» في الآية السابقة لامحل لها، و«ما» إسم إستفهام، مبنىّ في موضع رفع، مبتداء، و«لنا» متعلق بمحذوف وهو خبر لـ «ما» والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«لا» نافية، و«نرى» فعل مضارع للتكلم مع الغير، و«رجالاً» مفعول به، والجملة في موضع نصب، حال من ضمير «لنا» و«كنّا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من أفعال

الناقصة مع إسمها و«نعدّ» فعل مضارع للتكلم مع الغير، و«هم» في موضع نصب، مفعول به والجملة في موضع نصب خبرها والجملة «كنّا»... في موضع نصب، نعت لـ «رجالاً» وفي «من الأشرار» جمع الشرير صفة مشبهة من شرّ ثلاثياً وجهان: **أحدهما**ـ متعلق بـ «نعدّ». **ثانيهما**ـ متعلق بمحذوف وهو مفعول ثانٍ لـ «نعدّ».

٦٣ـ (أتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار)

الهمزة مفتوحة للاستفهام، على حذف همزةالوصل المكسورة لدخول همزة الإستفهام فيها لئلاّ يلتبس الإستفهام بالخبر، و«اتخذها» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الافتعال بقلب الألف: فاعل الفعل تاءً، وإدغام التآء الاولى في تآء الافتعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«سخرياً» مفعول به ثانٍ، واليآء للنسب. والجملة مستأنفة في حيّز القول لامحل لها، وفي «أم» وجوه: **أحدها**ـ منقطعه. **ثانيها**ـ عاطفة متصلة **ثالثها**ـ هي للتسوية إذ قطعت الهمزة. **رابعها**ـ هي بمعنى «بل» إذا وصلت الهمزة. و«زاغت» فعل ماض، تأنيثه باعتبار جماعة فاعله: «الأبصار» و عنهم» متعلق بـ «زاغت» واللام في «الأبصار» عوض عن الضمير أي أبصارنا. والجملة معطوفة على «اتخذناهم» لا محل لها.

٦٤ـ (إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النّار)

«إنّ» حرف توكيد، و«ذلك» في موضع نصب، إسمها، واللام للتأكيد و«حق» خبرها والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، و«تخاصم» مصدر قياسي من باب التفاعل، أُضيف إلى «أهل» اضيف إلى «النار» خبر لمبتدإٍ محذوف، تقديرهُ: هو تخاصم... والجملة مستأنفة بيانية لامحلّ لها ويجوز أن يكون بدلاً من «حق» أي إنّ ذلك لتخاصم وأن يكون خبراً بعد خبر لـ «إنّ» وأن يكون في موضع نصب، بدلاً من «ذلك».

٦٥ـ (قل إنّما أنا منذر وما من إله إلاّ الله الواحد القهار)

«قل» فعل أمر، الجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، مكفوف عن العمل بـ «ما» كافة، و«أنا» مبتداء و«منذر» إسم فاعل من باب

الإفعال، خبره، والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«ما» نافية، و«إله» مجرور لفظاً بـ «من» زائدة، مرفوع محلاً مبتداء، و«إلّا» من أداة الحصر، و«الله» خبره والجملة في موضع نصب، معطوفة على مقولة القول، و«الواحد القهار» نعتان للفظ الجلالة: «الله».

٦٦ـ (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار)

«رب» نعت ثالث لـ «الله» اضيف إلى «السموات» ويجوز أن يكون «رب السموات» خبراً لمبتدإ محذوف أي هو رب السموات وأن يكون بدلاً، وأن يكون مبتدأ والخبر: «العزيز» و«الأرض» معطوف على «السموات» و«ما» إسم موصول في ما جرّ، معطوف على «السموات» و«بينهما» ظرف منصوب، متعلق بمحذوف وهو الصلة، و«العزيز» نعت رابع و«الغفار» مبالغة إسم فاعل، نعت خامس لـ «الله».

٦٧ـ (قل هو نبؤاً عظيم)

«قل» فعل أمر، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«هو» مبتداء و«نبؤا» خبره والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«عظيم» نعت لـ «نبؤا»

٦٨ـ (أنتم عنه معرضون)

«أنتم» مبتداء و«عنه» متعلّق بـ «معرضون» وهو خبر المبتداء والجملة في موضع رفع، نعت ثانٍ لـ «نبؤا». وضمير «عنه» راجع إلى القرآن على مايفيد ظاهر السياق.

٦٩ـ (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون)

«ما» نافية، و«كان» فعل ناقص، و«لي» متعلق بمحذوف وهو خبر «كان» و«علم» مجرور لفظاً بـ «من» زائدة، مرفوع محلاً، إسم «كان» و«بالملأ» متعلق بـ «علم» و«الأعلى» نعت لـ «الملأ» والجملة مستأنفة بيانية لا محل لها، و«إذ» ظرف للزمان الماضي، متعلق بمقدر، هو مضاف إلى «الملأ الأعلى» أي علم بكلام الملأ الأعلى، و«يختصمون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال،

في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليه.

٧٠- (إن يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين)

«إن» نافية، و«يوحى» فعل مضارع للمفرد المذكر، مبنيّ للمفعول، و«إليّ» متعلق بـ«يوحى» و«إلاّ» أداة حصر و«أنما» كافة ومكفوفة، و«أنا» مبتداء و«نذير» خبره، و«مبين» نعت لـ«نذير» وفي الجملة: «أنّما...» وجهان: **أحدهما-** في موضع نصب، بتقدير حذف حرف الجرّ أي بأنما أنا نذير مبين. فـ«إلى» قام مقام الفاعل لـ«يوحى». **ثانيهما-** بعد إنسباكها إلى المصدر في موضع رفع، نائب الفاعل لـ«يوحى» والجملة: «إن يوحى...» مستأنفة لا محل لها.

٧١- (إذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين)

في «إذ» وجوه: **أحدها-** ظرف للزمن الماضي، بدل من الظرف في قوله تعالى: «إذ يختصمون». **ثانيها-** ظرف إسمي في موضع نصب، مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر. **ثالثها-** متعلق بما تعلّق به قوله: «إذ يختصمون» فاعترض بينهما كلام. فالمعنى: ما كان لي مِن علم بالملأ الأعلى حين يختصمون، حين قال... «قال» فعل ماضٍ و«ربك» فاعل الفعل، و«للملائكة» متعلّق بـ«قال» والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها، و«إني» حرف توكيد مع إسمها، و«خالق» خبرها، و«بشراً» مفعول به لإسم الفاعل: «خالق» و«من طين» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ«بشراً» و يجوز أن يكون متعلقاً بـ«خالق» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقولة القول.

٧٢- (فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

الفاء عاطفة و«إذا» ظرف للمستقبل، يتضمّن معنى الشرط، و«سوّيت» فعل ماضٍ للتكلم وحده من باب التفعيل، والضمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جرّ مضاف إليه: «إذا» تردّ الماضي إلى المستقبل لأنها تشبه الحروف الشرطية، وجوابها كجوابه أي خلقته وأتممته. و«نفخت» معطوف على «سوّيته» و«فيه» متعلّق بـ«نفخت» و«من روحي» متعلق بـ«نفخت» والفآء رابطة لجواب الشرط، و«له» متعلق بـ«قعوا» لتضمّنه معنى: «اسجدوا» ويجوز أن

يكون متعلقاً بـ «ساجدين» حال منصوبة من فاعل «قعوا» فيه إعلال بالحذف، فهو معتل مثال من وقع، تحذف فاؤه في المضارع والأمر، والجملة: «فقعوا» جواب شرط غير لازم لا محل لها.

٧٣ـ (فسجد الملائكة كلّهم أجمعون)

الفآء عاطفة، و«سجد» فعل ماضٍ، و«الملائكة» فاعل الفعل، و«كلهم» توكيد معنويّ للملائكة، و«أجمعون» توكيد معنويّ ثانٍ. والجملة معطوفة على استئناف مقدّر لا محلّ لها، أي فخلقه فسوّاه فنفخ فيه الروح فسجد الملائكة.

٧٤ـ (إلّا ابليس استكبرو كان من الكافرين)

«إلّا» حرف استثنآء، و«إبليس» منصوب على الاستثنآء المنقطع او المتصل بحسب تفسير معنى «إبليس» و«استكبر» فعل ماضٍ من باب الاستفعال مستأنفة بيانية لامحل لها، و«كان» فعل ناقص، إسمه ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبليس» و«من الكافرين» متعلق بمحذوف وهو خبر «كان» والجملة معطوفة على «استكبر» لا محل لها.

٧٥ـ (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«يا» حرف ندآء و«إبليس» منادى، و«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«منعك» فعل ماضٍ، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبره و«أن تسجد» بعد إنسباكه إلى المصدر في موضع جرّ بـ «من» محذوفة، متعلق بـ «منعك» أي ما منعك من السجود وجملة «ما منعك أن تسجد» جواب النداء لامحل لها، وجملة النداء وجوابه في موضع نصب، مقولة القول، ويجوز أن تكون جملة النداء اعتراضية، وجملة «ما منعك» مقولة القول.

«لما» اللام جارّة، ومجرورها موصولة، متعلق بـ «تسجد» و«خلقت» صلة الموصول والعائد محذوف، و«بيديّ» متعلق بمحذوف، هو حال من فاعل «خلقت» وجملة: «خلقت...» لامحل لها، و«استكبرت» الهمزة للاستفهام التوبيخي على

حذف ألف الوصل، والجملة مستأنفة لا محل لها في حيّز القول، و«أم» متصلة عاطفة و«من العالمين» متعلق بمحذوف، هو خبر لـ «كنت» والجملة معطوفة على جملة: «استكبرت» لا محل لها.

٧٦ـ (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «ابليس»، والجملة مستأنفة بيانية لا محلّ لها، و«أنا» مبتداء و«خير» خبره، و«منه» متعلق بـ «خير» والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«خلقتني» مستأنفة بيانية أو تعليلية لا محل لها، و«من نار» متعلق بـ «خلقتني» وجملة «خلقته» معطوفة على «خلقتني» و«من طين» متعلق بـ «خلقته».

٧٧ـ (قال فاخرج منها فإنك رجيم)

«قال» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، والجملة مستأنفة لا محل لها، والفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي لما أبيت السجود واستكبرت فاخرج، وجملة الشرط وجوابه في موضع نصب، مقولة القول، و«منها» متعلق بـ «اخرج» وضمير التأنيث: «ها» راجع إلى «الجنّة» وإن لم يجر ذكرها في المقام لدلالة سياق الكلام عليها، و«فانك رجيم» الفآء تعليلية، والجملة المؤكّدة تعليلية لا محل لها.

٧٨ـ (وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدّين)

الواو عاطفة، و«عليك» متعلق بمحذوف، هو خبر «إنّ» و«لعنتي» إسمها، و«إلى يوم» اضيف إلى «الدين» متعلق بـ «لعنتي» والجملة معطوفة على جملة: «إنك رجيم» لا محل لها.

٧٩ـ (قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون)

فاعل «قال» ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبليس» والجملة مستأنفة لا محل لها، و«رب» منادى مضاف، حذفت حرف النداء، منصوب، وعلامة النصب هي الفتحة المقدرة على ما قبل اليآء المحذوفة تخفيفاً، وجملة النداء وجوابه في موضع

نصب، مقولة القول، ويجوز أن تكون جملة النـدآء إعتراضية، وجملة الشرط وجوابه مقولة القـول، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«أنظرني» فعل أمر من باب الإفعال، والنون للوقاية، واليآء للتكلم وحده في موضع نصب، مفعول به، وجملة: «فانظرني» في موضع جزم، جواب شرط مقدر أي إنّ جعلتني رجيماً فأنظرني... و«إلى يوم» متعلّق بـ «انظرني» و«يوم» اضيف إلى «يبعثون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب مبني للمفعول، واو الجمع نابت مناب الفاعل، والفعل في موضع جرّ لاضافة «يوم» إليه.

٨٠ـ (قال فانك من المنظرين)

فاعل «قال» ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، والجملة مستأنفة بيانية لا محل لها، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«من المنظرين» جمع المنظر، إسم مفعول من باب الإفعال، متعلق بمحذوف، هو خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع جزم، جواب لشرط مقدر أي إن رغبت الإنظار فانك من المنظرين، وجملة الشرط وجوابه في موضع نصب، مقولة القول.

٨١ـ (إلى يوم الوقت المعلوم)

«إلى يوم» متعلق بـ «المنظرين» اضيف «يوم» إلى «الوقت» و«المعلوم» نعت لـ «الوقت».

٨٢ـ (قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين)

فاعل «قال» ضمير مستتر فيه، راجع إلى «إبليس» والجملة مستأنفة لا محل لها، والفآء لتعلق ترتيب الجملة على الإنظار، والبآء للقسم، و«عزّة» مجرور بالبآء، متعلق بمحذوف تقديره: أُقسم بعزّة... فاضيف «عزّة» إلى كاف الخطاب. وجملة اقسم بعزّتك في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف، تقديره: أنا اقسم... والجملة الإسمية جواب لشرط مقدر أي إن أنظرتني فأنا اقسم... وجملة الشرط وجوابه مقولة القول.

«لاغوينّهم» اللام للقسم، والفعل مضارع للتكلم وحده من باب الإفعال، مؤكّد

بنون الثقيلة، وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، وجملة «اغوينّهم» جواب القسم لامحل لها أي اقسم لاغوينّهم... و«أجمعين» توكيد لضمير المفعول في «لاغوينّهم» أو حال منصوبة وعلامة النصب، هي اليآء.

٨٣- (إلاّ عبادك منهم المخلصين)

«إلاّ» للإستثنآء، و«عبادك» جمع عبد، منصوب على الإستثنآء المنقطع أو المتّصل و«منهم» متعلّق بـ «المخلصين» جمع المخلص، إسم مفعول من باب الإفعال.

ولا يخفى أن كثيراً من النحاة يأبون هذا التّعليق من تقديم معمول الصلة على الموصول ولكنّ الأسلوب القرآني لا يمنع ذلك وهو المعيار: إذ يعطف الرّأي على القرآن ولا يعطف القرآن على الرأى أبداً فتدبّر جيّداً ولا تغفل فانّ المقام مزلّة الأقدام ...

٨٤- (قال فالحقّ والحقّ أقول)

فاعل «قال» ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله عزّوجلّ، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والفآء في «فالحقّ» رابطة لجواب شرط مقدّر أو لترتيب ما بعده على ما قبله. وفي «الحقّ» الأوّل على قراءة الرّفع وجوه: **أحدها-** مبتداء، محذوف الخبر. تقديره: فالحقّ منّي كما قال تعالى: «الحقّ من ربّك» البقرة: ١٤٧). **ثانيها-** تقديره: فالحقّ قسمي. **ثالثها-** إنّ جملة القسم وجوابه، خبره. **رابعها-** خبر لمبتداء محذوف تقديره: أنا الحقّ أو فقولي الحقّ لأملئنّ. **خامسها-** خبر لما ذكر. **سادسها-** تقديره: هذا هو الحقّ. **سابعها-** الفاء بدل من واو القسم أي اقسم بالحقّ. **ثامنها-** تقديره: فالحقّ أنا لقوله تعالى: «ثم ردّوا إلى الله مولا هم الحقّ» الأنعام: ٦٢).

وعلى قراءة النصب ففيه وجهان: **أحدهما-** منصوب على الإغرآء أي اتبعوا الحقّ واسمعوا الحقّ أو الزموا الحقّ. **ثانيهما-** منصوب على القسم كقولك: الله لأفعلنّ. فُنِصبَ الحق بعد حذف الجار ودلّ على أنه قسم قوله تعالى: «لأملئنّ جهنّم» فالأصل: أُقسم بالحق لأملئنّ. فانتصب- بعد إسقاط الخافض- باقسم محذوفاً.

وان الجملة على أيّ وجه من الوجوه في موضع جزم، جواب لشرط مقدّر أي إن غووا بك فالحق... وجملة الشرط وجوابه في موضع نصب، مقولة القول.

«والحق أقول» الواو إعتراضية، و«الحق» مفعول به مقدّم للإختصاص.تقديره: وأقول الحقّ. والجملة معترضة بين القسم وجوابه.

٨٥- (لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين)

اللاّم للقسم المقدّر، و«أملأنّ» فعل مضارع للتّكلّم وحده مؤكّدة بنون الثّقيلة، و«جهنّم» مفعول به، و«منك» متعلّق بـ «أملأنّ» والجملة جواب للقسم المقدّر، وجملة القسم المقدّر في موضع نصب، بدل من «الحقّ» مفعول «أقول» أو مستأنفة بيانية لامحلّ لها. و«ممّن» متعلّق بـ «أملئنّ» و«مَن» موصولة، و«تبعك» الفعل ماضٍ وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، صلة الموصول، و«منهم» متعلّق بمحذوف وهو حال من العآئد، وجملة: «تبعك منهم» صلة الموصول لامحلّ لها، و«أجمعين» توكيد معنوي للضمير في «منك» وماعطف عليه أو توكيد للمضمر في «منهم».

٨٦- (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين)

«قل» فعل أمر، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«ما» نافية، و«أسئلكم» الفعل مضارع للتّكلّم وحده وكاف خطاب الجمع في موضع نصب، مفعول به، و«عليه» متعلّق بـ «أجر» مجرور لفظاً بـ «من» زآئدة، منصوب محلاً، مفعول به ثان، والجملة في موضع نصب، مقولة القول، والواو عاطفة و«ما» نافية عاملة عمل ليس أو مهملة، والضمير: «أنا» مبتداء، و«من المتكلّفين» جمع المتكلّف، إسم فاعل من باب التفعّل، متعلّق بمحذوف، هو خبر «أنا».

٨٧- (إن هو إلّا ذكر للعالمين)

«إن» نافية و«هو» مبتداء، و«إلّا» للحصر، و«ذكر» خبر المبتداء، و«للعالمين» جمع العالم، متعلّق بـ «ذكر» أو متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ «ذكر» وجملة «إن هو...» مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها.

٨٨ـ (ولتعلمنّ نبأه بعد حين)

الواو عاطفة، واللاّم للقسم المقدّر أي والله «لتعلمنّ» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مؤكّد بنون الثقيلة، وأصله: «لتعلمون» فلمّا إتصلت به نون الثّقيلة أوجبت بناؤه لأنها اكدت الفعلية، فردّته إلى أصله في البنآء، فحذفت نون الرفع، فالتقت الواو والنون الاولى من نون الثقيلة، فاجتمع ساكنان، فحذفت الواو لالتقآئهما، فبقيت الضمّة قبلها تدلّ عليها، ومعنى: «لتعلمن» لتعرفنّ ولهذا تعدّى إلى مفعول واحد. وقيل: إلى اثنين وهما: «نبأه بعد حين» والجملة جواب للقسم المقدّر لا محلّ لها، وجملة القسم المقدّرة معطوفة على جملة: «إن هو إلاّ ذكر» لا محلّ لها.

«نبأه» مفعول به، و«بعد» ظرف زمان، منصوب، متعلق بـ«تعلمنّ» ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف، هو مفعول به ثان لـ«تعلمنّ» إذا كان العلم على بابه، فينصب مفعولين، والله عزّوجلّ هو أعلم.

﴿البيان﴾

١ـ (ص والقرآن ذي الذكر)

«ص» حرف من نوع الحروف المنفردة الّتي بدأت ثلاث سور من السور القرآنية كسورتي: «ق» و«ن» بحرف واحد، على خلاف تسع سور بدئت بحرفين كسور: «طه» و«النمل» و«يس» و«غافر» و«فصّلت» و«الزخرف» و«الدخان» و«الجاثية» و«الأحقاف» وثلاث عشرة سورة بدئت بثلاثة أحرف كسور: «البقرة» و«آل عمران» و«يونس» و«هود» و«يوسف» و«إبراهيم» و«الحجر» و«الشعرآء» و«القصص» و«العنكبوت» و«الرّوم» و«لقمان» و«السجدة» وسورتين بدئتا بأربعة حروف كسورتي: «الأعراف» و«الرعد» وسورتين بدئتا بخمسة حروف كسورتي: «مريم» و«الشورى» للاسترعآء. وقدأعقبه القسم بالقرآن الّذي فيه التذكير والذّكرى أو ذي الشّأن والرّفعة والشّرف كقوله تعالى: «وانه لذكر لك ولقومك» الزخرف:٤٤) وهذا هو الاسلوب الّذي جرى عليه النظم القرآني في معظم مطالع السّور المماثلة... جملة قسميّة، جوابها محذوف لدلالة السّياق عليه، أي انّه لحقّ، فانّ القسم في المقام في معرض توكيد صدق النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وكذب الكفّار وقبح موقف الإستكبار الّذي يقفونه على حذف الجواب كأنّه قال: «والقرآن ذي الذّكر» لقد جآء الحقّ وظهر الأمر، وقدحذف الجواب لأنّ الحذف في مثل المقام أبلغ، فانّ ذكره يقصر المعنى على وجه، وحذفه يصرفه إلى كلّ وجه فيعمّ.

٢ـ (بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق)

إضراب عن ذلك كأنّه قيل: لا ريب في هذا القرآن قطعاً، ولكن ليس عدم إذعان الكفرة له، ولا عدم ايمان الفجرة به لشائبة ريب فيه، بل هم في استكبار وحميّة شديدة جاهلية وتكبّر عن الايمان بالله جل وعلا، وشقاق بعيد وخلاف وعداوة وعناد ولجاج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ولذلك لا يذعنون له، ففي الآية الكريمة تقرير لموقف زعمآء مشركي مكّة وكفّار العرب من النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ودعوته، وما بدا منهم من استكبار عنها ومشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وحرصهم على مخالفته وفي تنكير «عزّة وشقاق» دلالة على شدّتهما وتفاقمهما. وفي الآية الكريمة إخبار بأن الله عزّوجلّ قدمكّن هؤلآء الكافرين كغيرهم وأعطاهم القوّة ليقووا بها على العبادات وصالح الأعمال، فتقووا ـ بسوء إختيارهم ـ بها على المعاصي والآثام، وعلى دفع الحقّ الّذي أتاهم، وصاروا في شق غير شق رسولهم الذي جآءهم من قبل ربهم لخيرهم وسعادتهم، ولنجاتهم وفلاحهم،ولا يبعد أنّ وصف المشركين الكفرة بالعزّة هو في مقابل قوله عزّوجلّ في آخر سورة «الصافات»: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون» ولكن العزّ التي تكون لهؤلآء الفجرة هي عزة باطلة واهية مدّعاة، هي عزّة غرور وحماقة، وعزّة جهل وسفاهة... عزّة يخيل لمدّعيها أنه واحد هذه الدنيا ومالك أمرها، وهذا ما يشير إليه قوله جلّ وعلا في شأن مدّعى هذه العزّة الكاذبة: «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم» البقرة:٢٠٦)

فعزّة الكفرة الفجرة هى من هذه العزّة التي تملأ كيان صاحبه مروراً وكبراً وتعالياً... وفي حرف الجرّ: «في» الّذي يفيد الظرفية، إشارة إلى أنّ هذه العزّة الواهية الكاذبة، مستولية على أهلها، مغطية على أبصارهم، فلا يرون على صفحة مرآتها إلّا أنفسهم، في هذا الثّوب الزآئف الّذي لبسوه، والشقاق الّذي فيه الكفرة الفجرة هو منازعتهم لله تعالى في عزّته، وإستكبارهم عن الإستجابة لله عزّوجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعن اتباع الحق.

٣ـ (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناصٍ)

وعيد لذوي العزّة الكاذبة والشّقاق الخاطئة وتخويف وتحذير على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب مَن قبلهم من الكافرين المستكبرين، وتندد بهم وتذكرهم وتنبّههم بالأقوام الماضين الكثيرين الّذين أهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم وطغيانهم بسبب بغيهم وعدوانهم، وبسبب جرمهم وإستكبارهم، فنادوا واستغاثوا فلم يكن لهم مهرب ولا مغيث. و «كم» هنا خبرية تفيد الكثرة.

ففي الآية الكريمة إخبار باهلاك امم كثيرة قبل هؤلآء الكفرة إذ عصوا وطغوا واستكبروا فلما نزل بهم العذاب نادوا واستغاثوا ولم ينفعهم الندآء والاستغاثة لإضاعة الفرصة وفوت الأوان وحلول البأس، إذ ليس وقت نزول العذاب وإحاطة العقاب، وقت فرار وهرب.

٤ـ (وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب)

حكاية عن شرّ صنيع كفّار العرب وسوء مقالة مشركي مكّة في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وما جآءهم به، حكاية عن جهلهم في جهالتهم، وعن غفلتهم في غفلتهم، وحكاية عن إنحطاط أفكارهم وعن أباطيلهم المتفرّعة على ما حكى من إستكبارهم وشقاقهم إذ أظهروا التعجّب من أن جآءهم منذر من أنفسهم، وقد كانوا يتخذون الأصنام المنحوتة بأيديهم آلهة لهم يعبدونها، ويعجبون من أن يكون البشر من جنسهم رسولاً من الله تعالى فينكرون رسالته!

وقوله تعالى: «وقال الكافرون» تشنيع عليهم بالكفر والطّغيان والبغى والعدوان بوضع الظّاهر: «الكافرون» موضع الضمير: «هم» غضباً عليهم وذمّاً لهم، وإشعاراً بأنّ كفرهم جسّرهم على هذا القول الشنيع واستغراب الرسالة للبشر، واستغراب إختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من دونهم بالوحى، إذ لا يتجاسر على ما مثل ما يتقوّلونه إلّا المتوغّلون في الكفر والفجور، والمنهمكون في البغى والفسوق... «اولئك الكافرون حقاً» النسآء: ١٥١) وهل ترى كفراً أعظم، وعداوةً أشد، وجهلاً أفظع من أن يسمّوا مَن صدّقه الله عزوجل بوحيه ساحراً كاذباً، فيرموه بالسحر ويتّهموه

بالكذب، ويتعجّبوا من التوحيد وهو الحقّ الّذي لا يصحّ غيره، ولا يتعجّبوا من الشّرك وهو الباطل الّذي لا وجه لصحته قطّ.

وفي قوله تعالى حكاية عنهم: «هذا ساحر كذّاب» دلالة على أنّ القرآن الكريم كان عندهم من امور الخارق للعادة، وأنهم لمّا عجزوا عن الإيتان بمثله أشاروا بـ «هذا» إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرمونه بالسّحر ويتهمونه بالكذب، وهذا دأب كل باغٍ وعنود، وكل طاغٍ ولجوج لأنّهم إذا عجزوا عن معارضة الحقّ نسبوه إلى ما شآؤا وهذا دليل قاطع على نهاية العجز والذلّة...

٥ - (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشئ عجاب)

تقرير لسوء مقالة مشركي مكّة الّذين قالوا هذا القول الشّنيع المنكر في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم «هذا ساحر كذّاب» على طريق الإستفهام الإنكارى التّعجيبي الّذي يدل على نهاية إنحطاط تفكيرهم وغاية جهلهم في جهالتهم إذ تعجّبوا من دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم إلى توحيد الله جل وعلا ورفض ما يعبدون من دونه آلهة... انّها دعوة غير معقولة ولا مقبولة عندهم... إذ كيف تكون الآلهة العديدة إلهاً واحداً ؟ وكيف ينزل كلّ إله منها عن سلطانه؟ إنّ شيخ القبيلة أو زعيم الجماعة لا يقبل أن ينزل عن مكانه من الرئاسة لزعيم آخر، ولو كان هذا معقولاً ومقبولاً لكانت العرب مثلاً تحت زعيم واحد! فاذا كان هذا غير ممكن في مجتمع القبآئل، فكيف يمكن هذا في مجتمع الآلهة؟ «إن هذا لشئ عجاب» أي مثير للعجب الّذي ليس ورآئه عجب!

٦ - (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشئ يراد)

بيان لمقالة رؤسآء المشركين بعضهم لبعض حينما أرادوا الخروج من مجلسهم الّذي كانوا فيه عند أبي طالب عليه السّلام بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأفحمهم، وعجزوا عن معارضة منطق الحقّ، فلم يطل العجب منهم بل اعطوا ظهورهم لمّا سمعوا من كلام الله جلّ وعلا، وواجهوا لصلابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في رسالته، وتنادوا: أن اخرجوا من هذا المجلس الّذي لا فآئدة لنا، وامشوا واصبروا

مستمرّين على عبادة آلهتكم وتمسّكوا بها، ولا تصغوا لقول محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فإنّ الذّي سمعتموه من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانّما هو كيد من كيده يريد به حاجةً في نفسه!

وقوله تعالى حكاية عنهم: «إنّ هذا لشيئ يراد» تعليل للأمر بالخروج من هذا المجلس لئلا يتأثّروا من كلام الله تعالى، أو تعليل لوجوب الإمتثال بالأمر بالصبر أي ان هذا الشيئ الّذي شاهدناه من محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من أمر التّوحيد ورفض آلهتنا وإبطال أمرها ومن تصلّبه صلى الله عليه وآله وسلّم في رسالته لشيئ يراد أي من ناحيته صلى الله عليه وآله وسلّم إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلو يه ولا عاطف يثنيه، فلا مجرّد قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو إمتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه، فاصبروا على عبادة آلهتكم وتحملوا ماتسمعونه في حقها من القدح، أو وجه ثالث لاثبات نسبتهم الكذب: «كذاب» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

٧ـ (ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق)

وجه ثالث من الوجوه الّتي تشبثوا لإثبات نسبتهم الكذب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «إن هذا إلّا اختلاق» تأكيد لهذه النسبة الكاذبة الشنيعة أي ما هذا إلّا كذب اختلقه من عنده لا حقيقة له، وليس له مستند من دين سماوي كما لا مستند له من عقلنا.

ولا يخفى على الأديب الأريب ما بين الإختلاق والإفتراء من الفرق، حيث ان الإختلاق هو تقدير الكذب والإخبار به لأن أصل إختلق: قدر، وان الافتراء هو القطع على الكذب والإخبار به لأنّ أصل إفترى: قطع.

٨ـ (أ أنزل عليه الذّكر من بيننا بل هم في شكّ من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب)

تقرير لوجه رابع من الوجوه الأربعة التي تشبّث مشركوا مكّة لصدق نسبتهم الكذب: «كذّاب» إلى رسول الله وصحّة إستبعادهم نزول الوحي إليه صلى الله عليه

وآله وسلّم على طريق الإستفهام الإنكارى بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم يكذب فيما يدّعيه من نزول الوحي عليه، إذ لامرجح عند محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم يترجح به علينا فينزل عليه الذّكر دوننا فهو كذّاب في نزول الوحى عليه من هذه الجهة أيضاً فأنكروا إختصاص محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم فى الشرف والرئاسة، فى الجاه والمال و فى حطام الدنيا فيما يزعمون لقولهم: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١).

وبعبارة اخرى: أنّ زعمآء مشركي مكّة إذا اطمأنّوا إلى هذا القول السّخيف، وإلى هذا المنطق السّقيم الذّي أقاموا منه الحجّة الباطلة على كذب النبيّ المعصوم صلى الله عليه وآله وسلّم ودعوته أن تكون الآلهة العديدة إلهاً واحداً، راحوا ينظرون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ذاته مع صرف النظر عن محتوى رسالته، بعد أن أظهروا بطلانها- بزعمهم- فرأوا أنّه على فرض التّسليم بصدق ما جآئهم به- أنّه ليس أهلاً لأنّ يتلقّى من الله هذا الذكر السّماوي والوحي الإلهي، وفيهم مَن هو أكثر مالاً وجاهاً، وولداً... فكيف اختارته السمآء دونهم؟ وأين عين السمآء عن هؤلآء السّادة منهم وهذا مايشير إليه قوله عزوجل على لسانهم: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم».

في قوله تعالى: «أ انزل عليه الذّكر من بيننا» وما قبله من المقالات دلالة على أنّ مناط تكذيبهم ليس إلّا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي.

وفي تقديم متعلق الفعل: «عليه» على فاعله: «الذكر» إشارة إلى أن إنكارهم للقرآن هنا ليس منظوراً إليه منهم بقدر إنكارهم لاختيار الرسول لهذا الأمر، وترك زعمائهم ورجالاتهم... ولهذا جآء. **قوله تعالى:** «بل هم في شك من ذكري» إضراباً على إنكارهم لشخص الرسول صلّى الله عليه وآله وسّلم فيهم فإن الأمر ليس أمر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم وإنما هو أمر ماأرسلَ به، والّذي كان أولى بالنظر فيه وإلى مواقع الصدق منه، وإلى محامله من الحقّ والهدى ومن الخير والفلاح... إن ذلك هو الذي كان ينبغي النظر إليه

والوقوف عنده والتعرّف عليه، ثمّ قبوله أو التوقف فيه، ثم إذ كان لهم نظر في حامل الرسالة بعد هذا، فليكن نظراً قآئماً من ورآء النظر فيما يحمل إليهم... ولكنّهم قلبوا الأوضاع، فنظروا إلى الرسول بمعزل عن هذا الذي يحمله إليهم، فلم يروا فيه إلّا واحداً منهم...

ثمّ إنّهم إذ نظروا إليه في هذا الوضع، لم ينظروا إلى القيم الإنسانية العالية الّتي يشتمل عليها كيانه من مكارم الأخلاق وصفآء الروح وعظمة النفس... فكل هذا لاحساب له في موازينهم الّتي يزنون بها الرّجال، تلك الموازين الّتي لا يقام وزن الرّجال فيها إلّا بكثرة المال والأولاد وبالجاه... ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم إذا وُزِنَ بهذا الميزان المادّي لا يكاد يقام له وزن، ولوأنه كان في ميزان الروح والنفس والعقل يرجّح العالمين جميعاً...

وانهم ليسوا في شكّ من الرّسول فحسب، بل إنهم كانوا في شكٍّ من الرسالة الّتي يحملها إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وفي القرآن الكريم الذي يتلوه عليهم، وإنهم كما نظروا إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ووزنوه بهذا الميزان الفاسد، بهذا المعيار الباطل، وبهذا المقياس الكاسد... نظروا إلى ذكر الله تعالى و وزنوه بميزانهم المضطرب المختلّ، فقالوا عنه: هو سحر، هو شعر، هو إختلاق، هو كذب، هو مفترىً وهو من أساطير الأوّلين وما إليها من المقولات الشنيعة التي قالوها في كلام الله جل وعلا.

وفي إضافة الذكر إلى الله تعالى: «من ذكرى» إشارة إلى أن حكم هؤلاء المشركين على القرآن الكريم وتكذيبهم له ليس حكماً على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا تكذيباً له، بل هو حكم على الله جل وعلا وتكذيب لله تعالى، فإن هذا القرآن قرآنه، وهذا الكلام كلامه... وإذن فان حسابهم ليس بينهم وبين محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإنّما حسابهم بينهم وبين الله عزّوجلّ.

فالإضراب في قوله تعالى: «بل هم في شكّ» إضراب عن جميع الوجوه الأربعة المتشبّثة لاثبات الكذب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في مدّعاه من نزول الوحي

عليه صلى الله عليه وآله وسلّم بذكر سبب هذه النسبة الزائفة وإنكار الوحي وهو الشكّ في أمر التّوحيد والوحي وفي أمر الرسالة- كما يدل عليه تنكير «شكّ» - لميلهم إلى التقليد العمى عن آبآئهم المشركين بأنهم ما كانوا يقولون ما قالوا عن اعتقاد ويقين به لأنهم كانوا يعلمون أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم كان صدوقاً فيما بينهم،وإنّما شكّوا فيما انزل عليه هل هو من عند الله أم لا، وليس شكّهم فيه من جهة خفآء دلالة آية النّبوّة وقصورها عن إفادة اليقين، كما أن شكّهم في التوحيد ليس من جهة خفآء أدلة التوحيد وقصورها عن إفادة اليقين، بل لتعلّق قلوبهم بما عندهم من الباطل والميل إلى حطام الدنيا، ولزومهم التّقليد الأعمى يصرفهم عن النظر في دلالة الآيات الالهية المعجزة فشكّوا في الذّكر مع كونه آية معجزة لا ريب فيها.

قوله تعالى: «بل لـمّا يذوقوا عذاب» إضراب عن الإضراب أي إضراب عن مجموع الكلام السابقين: حديث الحَسَد الذي كان يغلي به صدورهم لمجيئ النّبوّة إليه صلى الله عليه وآله وسلّم من بينهم وهو السبب لهذا الشك ظاهراً: «أأنزل عليه الذكر من بيننا» وحديث الشك: «بل هم في شكّ» فسيزول الحسد والشّكّ معاً حين مجيئ العذاب، فليس إنكارهم وعدم ايمانهم بالذكر عن شك منهم فيه، بل لأنّهم لحسدهم بمن جآء به، لا يعترفون بحقّيته، ولو لم يكن هناك شك اصلاً وإن كان الحسد موجباً للشك قطعاً، فهم لا يعترفون به حتى يذوقوا عذابي، لأنّهم لم يذوقوا العذاب على الشّرك إلى الآن، فمتى ذاقوه زال عنهم ما بهم من الحسد والشك، فعندئذ يضطرّون إلى التّصديق ويعترفون بحقّيته كما فعل غيرهم، وإن لم ينفعهم التّصديق حينئذ.

مع أنّ قوله تعالى: «بل لمّا يذوقوا عذاب» إضراب على الحديث إليهم بمنطق الحقّ، وإنهآء لهذا الموقف معهم، إذ لا تجدي معهم حجة، ولا هم يريدون التنبّه عن جهلهم وغفلتهم وإذن فليذوقوا العذاب الذي يسوقه الله جل وعلا إليهم، بعد أن كفروا وتركوا هذه الرحمة المهداة لهم، وفي الجملة تهديد لهم بعذاب واقع لم يذوقوا طعمه بعد، وأنه آت لا ريب فيه.

٩- (أم عندهم خزآئن رحمة ربّك العزيز الوهّاب)

جواب عن إنكار المشركين رسالة رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعن شبهتهم فيها بوجه آخر، وتهكّم بهم، وتحديهم بأسلوب استنكارى ساخر، إذا كان عندهم خزآئن رحمة الله حتى يكونوا مطمئنين، ووجه إتّصال هذا الكلام بما تقدّم هو اتصال الإنكار لما قالوا فيه، أي ذلك ليس إليهم ولا شأن لهم فيه، وإنّما هو إلى مَن يملك نظام الكون ونواميس الوجود، فالكلام: «أم عندهم...» في موقع الإضراب، ناظر إلى قولهم: «أأُنزل عليه الذكر من بيننا» أي بل أعندهم خزآئن رحمة ربّك التي ينفق منها مَن يشآء حتّى يمنعوك منها، بل إنما هي لله جلّ وعلا وحده وهو: «أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) «والله يختصّ برحمته من يشآء» البقرة: ١٠٥)

فإلى أن يقع العذاب المرسل إلى هؤلآء المشركين، فلينظروا في هذه القضيّة، وليجيبوا منها على هذا السّؤال: أعندهم خزآئن رحمة الله حتّى يتصرّفوا في هذه الرّحمة كما يشاؤن، فيسوقوها إلى مَن شاؤا ويصرفوها عمّن شاؤا؟ وإذا كانت رحمتنا قدشآءت لها إرادتنا أن تجيئ إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وأن تجعله الرّسول المصطفى لرسالة السمآء من بينهم، فهل في مقدورهم أن يتحكموا في إرادتنا وأن يصرفوا هذه الرحمة عنه صلى الله عليه وآله وسلّم وأن يسوقوها إلى الرّجل الّذي هم يختارونه منهم؟

«وربّك يخلق ما يشآء ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨)

أليس اختيارهم مَن يشآؤن للرسالة والنبوّة والإمامة مصادمة لمشيئة الله جلّ وعلا، وتحدّياً لإرادته؟ «أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» الزخرف: ٣٢) أفهم يقسمون فيما بينهم رحمة الله تعالى فيما أفاء عليهم من نعم، فأغنى وأقنى ومنح ومنع؟؟؟

قوله تعالى: «ربّك» في إضافة الرب المنبئ عن التربية والتّبليغ إلى الكمال إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلّم تشريف له ولطف به صلى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله تعالى: «العزيز» في وصفه تعالى بالعزّة تأييد لمحصّل الجملة، وإشارة إلى أنّ

مشيئة الله عزّوجلّ لاتغلب وأن إرادته لاتنازع: «ألا له الخلق والأمر» الأعراف: ٥٤) فليس عندهم شيُ من خزآئن رحمته لأنه عزيز منيع جانبه لا يداخل في أمره أحد ولا لهم أن يصرفوا رحمته عن أحد لأنه تعالى وهّاب كثير الهبات... ففي وصفه تعالى بـ «الوهّاب» إشارة اخرى إلى أنّ هباته وعطاياه جلّ وعلا كثيرة لاتنفدو أنه ليس لهم ـ وتلك هي هبات الله الشاملة وعطاياه الغامرة ـ أن يحسدوا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم على ما أعطاه الله عزوجلّ، فإنّ لهم من هذا العطاء شيئاً كثيراً لوأرادوا أن ينالوا منه... فهذا الخير الّذي بين يديه هو خير مسوق إليهم، وهذه الرّحمة الّتي وضعها الله بين يديه هي لهم:

قال الله عزوجلّ: «أو تقولوا لوأنّا انزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جآءهم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة» الأنعام: ١٥٧).

وقال: «هذا بصائر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » الأعراف: ٢٠٣).

وقال: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبيآء: ١٠٧).

فليس أمر الرسالة بأيديهم، وإنّما هو بيد الخالق الحكيم العليم بكلّ شيْ، فعليهم أن يُردوا مواردها ويستقوا من ينابيعها فإنّها رحمة السمآء إلى النّاس جمعياً...

١٠ـ (أم لهم ملك السّموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب)

تخصيص بعد التّعميم لأنّ هذا العالم: «السموات والأرض وما بينهما» جزء يسير من خزآئنه، وتعجيز لهم لأن هذه الأشيآء بعض خزآئن الله جلّ وعلا، فاذا كانوا عاجزين عن البعض، فعن الكلّ أولى، وتحدّي لهذا المدّعى الّذي يدّعونه فيما تنطق به حالهم من تكبّرو استعلاء، واعتراض على ما لله عزّوجلّ من تصريف في ملكه، فيعطى ويحرم، ويغني ويفقر، ويعزّويذلّ... فان كان لهم مع سلطان الله تعالى سلطان، فليمدّوا أسبابهم إلى السمآء وليرتقوا إليها وليقوموا على سلطانها، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: «قل لوكان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً» الاسراء: ٤٢).

وترشيح لما سبق أي بل ألهؤلاءالمشركين ملك تلك العوالم العلوية،وهذه الأجرام

السفلية حتّى يشاركوا الله سبحانه في تصريفها، ويتكلّموا في الامور الربانية ويتحكموا عن التدابير الإلهيّة الّتي يستأثر بها رب العزّة والكبريآء، ويكون لهم ما شاؤا من إعطآء وحرمان، ومن منح ومنع... «فليرتقوا في الأسباب» جواب للشرط المحذوف أي إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج الّتي يتوصل بها إلى العرش حتّى يستووا عليه، ويدبّروا أمر العالم، وينزلوا الوحى إلى مَن يختارون ويستصوبون...

قوله تعالى: «فليرتقوا إلى الأسباب» إرتقآء إلى ما هو أشدّ في الإنكار، فأمرهم أمر تهكّم بهم ما لا غاية ورآئه بارتقآء الأسباب، وتحدّ لهم.

وإن لم يكن لهم ذلك أو شئ منه، فليقفوا عند حدّهم، وليأخذوا بالأسباب الّتي في أيديهم... تلك الأسباب الّتي لوأحسنوا استخدامها لامتلأت أيديهم من فضل الله وإحسانه... فما لهم إذن يتطلعون إلى السمآء وأسبابها، ويعترضون على أحكامها ومقدّراتها وبين أيديهم الأسباب القريبة الّتي ينالون بها الخير من قريب؟ وما بالهم لا يتخذون طريقهم إلى كتاب الله وينظرون بعقولهم في آياته وكلماته؟ إنّهم لوفعلوا لأصابوا كلّ خير، ولظفروا بالسعادة في الدّنيا والآخرة... ولكنهم في ضلال يعمهون... إنهم ينظرون إلى مقادير السمآء، ولن يصلوا وإنّهم يعمون عمّا في أيديهم فلم ينالوا شيئاً، وذلك هو الخسران المبين.

ولا يخفى على الأديب الأريب البياني أن الآيات الكريمة: «بل هم في شك من ذكرى- فليرتقوا في الأسباب» قوية نافذة في ردّها وإنذارها، وفي تنديدها وتحدّيها وتهكّمها...

١١- (جندما هنا لك مهزوم من الأحزاب)

وعد من الله تعالى بنصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلّم وغلبته على المشركين، وإخبار وتوكيد بهزيمة فريق من الأحزاب في النهاية، والمقصودهم حزب المكذّبين، بأنّهم مغلوبون في الوقائع التي ستكون بينك وبينهم بجند من جند الله تعالى، فأنّى لهم التدبير في نظام الكون ونواميس الوجود، والتدبير في الامور الغيبيّة والتدخّل في أمر

الرسالة والولاية والإمامة، والتصرف في الخزآئن الربانية؟

وقدأضرب تعالى عن ذكرهم إهانة لهم واستخفافاً بهم، وفي وصفهم بالجند إشارة إلى أنهم في حرب مع الله جل وعلا ومع جندالله تعالى، هذا هوماتشير إليه الآية الكريمة من قريب إلى موقف هؤلآء المشركين.

و«ما» زائدة للاستعظام، جارية مجرى الصّفة أي هم جند من الجنود، ثم خصّص الوصف بقوله: «من الأحزاب» أي ما هم إلّا جند من الكفّار المتحزّبين على رسل الله وإن كان عددهم كثيراً، ولكنّهم مهزوم مكسور عمّا قليل فلاتبال بهم. فتكون لفظة «ما» للتنكير، تحقيراً لهم، واستخفافاً بهم، وتهويناً لشأنهم أي هم جماعة من تلك الجماعات التي تجتمع على الضلال، وتتحزّب على الباطل في كل زمان ومكان... ومن هؤلآء الاحزاب قوم نوح وعاد وفرعون... الّذين تشير إليهم الآيتان التاليتان...

فلا يبعد أن تكون لفظة «هنا لك» إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الإنتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لأمرليس من أهله: «لست هنا لك» فالمراد انهم مغلوبون أينما كانوا، فالكلام مسوق لتحقير أمرهم رغماً لمايشعر به ظاهر كلامهم من التعزّز والإعجاب بأنفسهم، ويدل على ذلك تنكير «جند» وتتميمه بلفظة «ما» والإشارة إلى مكانتهم بـ «هنا لك» الدال على البعيد، وعدّهم «من الأحزاب» المتحزّبين على رسل الله تعالى الذين قطع الله عزوجلّ دابر الماضين منهم كما سيذكر، ولذلك عدّ هذا الجند مهزوماً قبل إنهزامهم، فهم مهزومون كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزّبين على الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام قبلك، واولئك قهروا واهلكوا فكذلك نهلك هؤلآء.

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر أن الآيات الكريمة الإحدى عشر تنطوى تلقينات جليلة مستمرّة المدى: **منها:** تقبيح المماراة في الحق، اندفاعاً ورآء الهوى، واعتداداً بالنفس، وتعمّداً للشقاق والمعارضة. **ومنها:** تقبيح التمسّك بالتّقاليد الموروثة على علاتها... **ومنها:** ايجاب مقابلة كلّ فكرة أو دعوة جديدة بالتدبّر

والتروّي واتباع ما يكون فيه حق وهدى، وخير وصلاح مهما كان مغايراً للقديم.

١٢- (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أمرين: **أحدهما-** تعزية وتسلية ومواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بما لقيه الأنبيآء والمرسلون عليهم السّلام من قبله صلى الله عليه وآله وسلّم من تكذيب أقوامهم بهم، فليس النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بدعاً فيما ناله من قومه من أذى وضرّ.. فكأنه تعالى يقول: إن هؤلآء المشركين من قومك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم هم جند من الأحزاب المتقدّمين الذين تحزّبوا على الأنبيآء والمرسلين، وقد كان اولئك أقوى من هؤلآء فأهلكنا هم لتكذيبهم رسلنا.

ثانيهما- تقرير مضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الكفرة والطغاة الفجرة والبغاة الفسقة الذين هؤلآء المشركون جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب، وتمثيل حالهم بحال ستّة أقوام من الامم المكذّبة الذين كذّبوا رسلهم، وما آل إليه أمرهم ليكون ذكرى وتخويفاً وتهديداً لهؤلآء المشركين من قومه صلى الله عليه وآله وسلّم أن يلقوا هذا المصير المشئوم الّذي لقيه المكذّبون برسل الله، فيرعووا عن غيّهم ويثوبوا إلى رشدهم.

لعلّ «ذوالأوتاد» كناية عن جموع كثيرة يشتدّ بهم الملك كما يشتدّ البنآء بالأوتاد لأن أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب بأوتاد، ثم استعير لثبات العزّ والسلطة والملك... والمراد هو وصف فرعون بالشّدة والقوّة ونفاذ الأمر ليعلم أنّه تعالى أهلك من كان هذه صفته، فكيف بمن هو دونه؟.

١٣- (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة اولئك الأحزاب)

إنّ الاسلوب في ذكر الأقوام السّتة هنا أسلوب إنذار وتذكير، وهو الغرض الجوهري في القصص القرآنية على ما بيّنّاه تفصيلاً في هذا التّفسير فراجع.

ولا يخفى على الأديب البياني أنّ في عطف «عاد» على «قوم» لا على «نوح» إشارة إلى أن المكذّبين هم «عاد» وهم قوم هود لا قوم عاد إذ كانت نسبة الأقوام هنا إلى أنبيآئهم وما كان عاد نبيّاً، وكذلك الشأن في «ثمود» وهم قوم صالح عليه

السّلام وأمّا عطف «فرعون» على «عاد» فلأنه: أوّلا: ما كان فرعون نبياً حتى يضاف إليه القوم في هذا المقام، ثم إنّ قوم فرعون ما كانوا من قوم موسى عليه السّلام وهم بنوإسرائيل حتّى يضافوا إليه. وثانياً: لوأُضيف القوم إلى فرعون لأشعر هذا بأنّه غير داخل معهم في التّكذيب، وهذا غير مراد. وثالثاً: تسليط فعل التّكذيب على فرعون، يشعر بأنّه كان هو الكيان المكذّب، الّذي احتوى قومه جميعاً في كيانه هذا.

قوله تعالى: «اولئك الأحزاب» من ذكر الإشارة إلى الأقوام الستة المكذّبين، وأنهم الأحزاب الذين جآء ذكرهم في قوله تعالى: «جندما هنا لك مهزوم من الأحزاب» نعلم أنّ مشركي مكّة كانوا حزباً من هؤلآء الأحزاب، وهم جماعة من تلك الجماعات أي هم الأحزاب حقاً أي حزب الشيطان كما يقال: هم هم. وتقول: فلان هو الرجل.فالمشركون هم من الأحزاب الّذين إجتمعوا على الكفر والطغيان، على الضلال والعصيان، على البغي والعدوان، وعلى التكذيب برسل الله وأنبيآئه، وهؤلآء جميعاً ـ ومنهم هؤلآء المشركون ـ محكوم عليهم بالهزيمة والخذلان، وهذا مايشير إليه قوله تعالى:

١٤ـ (إن كلّ إلّا كذّب الرّسل فحقّ عقاب)

بيان لسبب إنهزام الأحزاب وعقابهم إنّ الله تعالى ذكر تكذيب الأحزاب رسلهم أوّلاً في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثمّ أسند التكذيب إلى جميعهم بالجملة الاستثنائية **أوّلاً:** لبيان أنّ كلّ واحد من الأحزاب كذّب جميع الرّسل لأنّ كلهم على دعوة واحدة وهي دعوة التّوحيد: كلمة التّوحيد وتوحيد الكلمة، فمن كذّب برسول من رسل الله تعالى فهو مكذّب برسل الله كلّهم لأنّ الحقّ الّذي معهم واحد، والدين الّذي يدعون إليه واحد.

وثانياًـ لبيان أنّ كيان أهل الضلال واحد أيضاً لا اختلاف بين أوّلهم وآخرهم... فالطريق الّذي سار عليه أوّلهم من الكفر بالله عزّوجلّ والتّكذيب بالرّسل عليهم السّلام هو نفس الطريق الّذي سلكه وسار عليه كل مشرك ضالّ...

قوله تعالى: «فحق عقاب» إشارة إلى مآل أمر المكذّبين وتبعات طغيانهم في الحياة

الدّنيا من الهزيمة والخذلان، والهلاك والدمار، وتمهيد لما يعقبه.

١٥ـ (وماينظر هؤلآء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق)

شروع ببيان عقاب مشركي مكّة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الّذين اخبر فيما سبق بأنّهم جند حقير شأنهم، مهزوم عن قريب، فان ذلك مما يوجب إنتظار السّامع وترقّبه إلى بيانه قطعاً، وفي الإشارة إليهم بـ «هؤلآء» تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم، وانهم هم المقصودون في هذا المقام بهذا الحكم المشار إليهم به... وان الآية الكريمة تهديد لهم بأنّهم ـ وقدأهلك الله تعالى أمثالهم من المكذّبين الضالّين، وأنزل بهم العذاب الّذي يستحقونه ـ لن يُمهلوا طويلاً حتّى يأتيهم العذاب وهو حين يأتي لايدع لهم لحظة من الزمن يستردون فيها أنفاسهم... إنها صيحة واحدة تخمد أنفاسهم بعدها...

١٦ـ (وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب)

حكاية عمّا قال هؤلآء المشركون عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى يوم القيامة، وذلك انّ الله تعالى وعد لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيهم ألاّ يأخذهم بما اخذ به المكذّبين قبلهم من عذاب الدّنيا فهم لم يقبلوا هذا الاحسان من الله عزّوجلّ، بل ردّوه في قحة وتحدٍّ واستهزآء وسخرية وتهكّم «وقالوا ربنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب» وتصدير دعائهم بالندآء المذكور: «ربنا» للإمعان في الإستهزآء، كأنّهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والإبتهال، وفي قولهم : «قطنا» القط: النّصيب والحظ ، وهذه الكلمة استعمال منهم للعذاب قبل يوم القيامة، إستهزآءً بحديث يوم الحساب، والوعيد بالعذاب فيه كما أنّ في قولهم : «قبل يوم الحساب» مع أنّهم يكذبون به، استهزآء وسخرية ومبالغة منهم في التّكذيب بهذا اليوم، يوم الحساب الّذي يُوعِدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم به، وهو غير واقع في تصوّرهم.

١٧ـ (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب)

خطاب موجّه إلى النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم يأمره بتحمل مايقول مشركوا مكة في أمر التّوحيد والوحى والرّسالة والمعاد، ومايقولون من منكر القول،

والصبر عليه، وبذكر عبدالله داود عليه السّلام الّذي آتاه الله القوّة والملك والحكمة وفصل الخطاب، وسخّر له الجبال والطير يسبّحن معه وكل طائع منقادله، وهو مع ذلك أوّاب مطيع لله تعالى وفي ذكر قصّة داود عليه السّلام لهم تهويل لأمر المعصية في أعين المشركين وتنبيه لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي... وفي وصف «داود» بالعبد وإضافته إلى ضمير الجمع للتّعظيم، إشارة إلى عبوديته الصّحيحة الجامعة لكمالات الممكنات، وإظهار لشرفه بهذه الإضافة.

ففي ذكره في هذا المقام ما يجد فيه الرّوحَ الأنس، لما يتمثّل له صلى الله عليه وآله وسلّم من سيرته عليه السّلام الّتي يقصّها الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والأيد هنا هي القوة، وليست هي قوة جسدية فحسب، بل هي قوّة روحية ونفسية أيضاً تشتمل على طاقات عظيمة من الصبر على المكاره وإحتمال الشدائد، ومن الصلابة في الدّين، والاستقامة على طريقه.

وقوله تعالى: «انه أوّاب» تعليل لما قبله بأنّ هذه القوّة الخارقة المعنوية والجسمية كانت حاصلة لداود عليه السّلام لكثرة رجوعه إلى الله تعالى وإلى طاعته.

١٨ـ(إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير قوّة داود عليه السّلام بذكر مايختص به عليه السّلام من معجزاته... وإن الجبال هي أبرز وجوه ما على الأرض من عوالم كانت تستجيب له عليه السّلام وتأنّم به وتسبّح لله جلّ وعلا معه، وفي تقديم «معه» على متعلّقه: «يسبّحن» عناية بتبعيّة الجبال لداود عليه السّلام واقتدائها به في التّسبيح من أوّل النهار إلى آخره تمام اليوم أو في وقتي العشي والاشراق، و«يسبّحن» بيان لكيفيّة التسخير، وفي ايثار المضارع دلالة على التجدد وهو من معجزات داود عليه السّلام إذ يسمع النّاس تسبيح الجبال.

إن تسئل: لِمَ قال تعالى: «يسبحن» ولم يقل: «تسبّح» **؟ وما معنى تسبيح الجبال ؟**

تجيب: لمّا كان التّسبيح من شأن مَن يعقل، شبّه الجبال به فقال: «يسبحن» وأما معنى التّسبيح فسيأتي في «تحقيق في الأقوال» من هذا التفسير فانتظر.

قوله تعالى: «بالعشي والاشراق» في تخصيص هذين الوقتين بالذّكر دلالة على إختصاصهما بمزيد شرف العبادة فيهما، فإنّ لفضيلة الأزمنة والأمكنة أثراً في فضيلة ما يقع فيهما من العبادات...

١٩- (والطّير محشورة كلّ له أوّاب)

في تنزيل «الجبال والطّير» منزلة العقلآء المطيعين لأمره عزّوجلّ المذعنين لحكمه إشعار بأنه ما من حيوان وجماد، وما من صامت وناطق إلّا وهو منقاد لمشيئته، غير ممتنع عن إرادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة.شأنه تعالى وكمال كبريآء سلطانه ما لا يخفى على اولى الألباب... ولعلّ إختيار الجبال والطير من بين الكائنات كلها لأن الجبال هي أبرز وجوه الأرض، فهى أشبه بالسلطان القآئم عليها، والطيور هي ملوك الجوّ الّتي تبسط سلطانها في الفضآء، وهي أبرز ما يحلّق في أجوآئها من ذوات الأجنحة كالذباب والبعوض وغيره، تحشر إليه بقدرة الله تعالى من كل صوب، وكأنّها بعض جنوده من البشر تسبّح لله معه وتردد ما يسبح به...

قال أهل البيان: «قوله تعالى: «محشورة» في مقابلة قوله: «يسبّحن» ولكنه اختير الفعل في أحد الموضعين، والإسم في الآخر لأنّه اريد في الأوّل الدلالة على حدوث التّسبيح من الجبال شيئاً بعد شيءٍ، وحالاً بعد حالٍ حتّى كأن السامع يتصوّرها بتلك الحالة، وأما الحاشر فهو الله جلّ وعلا، وحشر الطيور من النواحي المختلفة جملة واحدة أدل على القدرة لله عزّوجلّ».

قوله تعالى: «كل له أوّاب» مستأنف مسوق لتاكيد ما سبق من تسخير الجبال والطير لداود عليه السّلام أو مسوق لتقرير مضمون ما قبله مصرح بمافهم منه إجمالاً من تسبيح الطير بأن كلاً من الجبال والطير مطيع مرجاع إلى أمره يسبّح لله تعالى تبعاً لداود عليه السّلام لأن الرجوع إلى أمره لأجل تسبيحه رجوع إلى الله عزّوجلّ وفي صيغة المبالغة: «أوّاب» دلالة على مداومة التسبيح أي كلّ واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود عليه السّلام رجّاع إلى الله تعالى فانّ التّسبيح من مصاديق الرجوع إلى الله جلّ وعلا.

٢٠- (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

بيان لثلاث أدلّة من علائم قوّة داود عليه السّلام الأربعة: الظّاهرة المادية، والباطنة المعنوية، فاثنان منها ظاهرة مادية وهما: تسخير الجبال والطّير: «كلّ له أوّاب» وتشديد الملك بالعَدَد والعُدَد، وتشديد الملك من الإستعارة بالكناية لأنّ المراد به تقوية الملك وتحكيم اساسه بالعِدّة والعُدّة والخزآئن وما إليها مما يتقوّى الملك به ظاهراً، واثنان آخران منه باطنة معنوية وهما ايتآء الحكمة وحسن التّدبير والسياسة وفصل الخطاب، وما إليها مما يتقوّى به قواعد الملك الحقّ باطناً. ولا يخفى على القاري الخبيرالمتدبر أنّ أكثر الملك في كلّ ظرف، خالٍ عن الإثنين الأخيرين اللذين يدور عليهما سعادة الإنسان، وكمال الجوامع البشرية وخيرهم وصلاحهم وفلاحهم في كلّ ظرف.

٢١- (وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب)

خطاب من الله تعالى لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إخباراً له بما كان من قصّة داود عليه السّلام من الحكم بين الخصمين على طريق إستفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما في حيّزه ايذاناً بأنه من الأخبار البديعة والأنبآء العجيبة الّتي حقّها أن تشيع فيما بين كل حاضر وبادٍ، وفي «تسوّروا» دلالة على أن الداخلين على داود عليه السّلام من غير باب كانوا جماعة وهم المدّعي والمدّعىٰ عليه ومَن معهما من الشهود والناظرين.

٢٢- (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سوآء الصراط)

تقرير لبناء الخصم البديع الذي كان امتحاناً ربّانياً لداود عليه السّلام و«قالوا» مستأنف وقع جواباً عن سئوال نشأ من حكاية فزعه عليه السّلام كأنّه قيل: فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزع داود عليه السّلام؟ فقيل: قالوا - إزالة لفزعه-: لا تخف نحن خصمان. وهو نهى عن الفزع بالنهى عن سببه الّذي هو الخوف، وقدفزع داود عليه السّلام منهم لأمور:

أحدهاـ أنهم دخلوا عليه في غير الوقت الّذي يحضر فيه الخصوم.

ثانيهاـ أنهم دخلوا عليه في وقت الحجاب إذ كان داود عليه السّلام يجزئ زماناً يوماً للعبادة ويوماً للقضآء ويوماً للوعظ والإرشاد وإبلاغ الرسالة، ويوماً للاشتغال بخاصّته وقد كان ذلك اليوم يوم عبادته في محرابه.

ثالثهاـ أنهم دخلوا عليه من أعلى الحآئط مفاجأة.

رابعهاـ أنهم دخلوا عليه بغير إذنه عليه السّلام وغير ذلك.

ولا يخفى أنّ الفرق بين الفزع والخوف: أن الفزع هو مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هده ونحوهما وهو إنزعاج القلب بتوقّع مكروه عاجل وتقول: فزعت منه فتعديه بمن وخفته فتعديه بنفسه، فمعنى خفته أي نفسه خوفي ومعنى فزعت منه أي هو ابتداء فزعي لأنّ «من» لابتدآء الغاية.

وقال الرّاغب: الفزع إنقباض ونفار يعتري الإنسان من الشّئ المخيف، وهو من جنس الجزع ولا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه.

وقال بعض المعاصرين: إن الخشية تأثير القلب بحيث يستتبع الإضطراب والقلق وهي رذيلة مذمومة إلّا الخشية من الله سبحانه، ولذا كان الأنبيآء عليهم السّلام لا يخشون غيره قال تعالى: «ولا يخشون أحداً إلّا الله» الأحزاب: ٣٩)

وأنّ الخوف هو التّأثير عن المكروه في مقام العمل بتهيئة ما يتحرّز به من الشّرّ ويدفع به المكروه لا في مقام الإدراك فليس برذيلة مذمومة لذاته، بل هو حسن فيما يحسن الاتّقآء قال تعالى خطاباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم «وإمّا تخافنّ من قوم خيانة» الأنفال: ٥٨)

وإذا كان الفزع هو الإنقباض والنفار الحاصل من الشّئ المخوف كان أمراً راجعاً إلى مقام العمل دون الإدراك فلم يكن رذيلة بذاته، بل كان فضيلة عند تحقّق مكروه ينبغي التحرّز منه فلاضير في نسبته إلى داود عليه السّلام في قوله: «ففزع منهم» وهو من الأنبيآء الّذين لا يخشون إلّا الله.

٢٣ـ (إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في

الخطاب)

تفصيل لموضع الخصومة الّتي أخبروا عن وقوعها إجمالاً، على طريق بيان مقالة أحد الخصمين لصاحبه.

إن تسئل: كيف قالت الملائكة لمّا دخلوا على داود عليه السّلام «خصمان بغى بعضنا على بعضٍ» والملائكة لا يوجد منهم بغى ولا ظلم؟ وكيف قال بعضهم: «إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة» ولم يكن كما قال؟

تجيب عنه: انهم قالوا ذلك على سبيل الفرض والتصوير للمسئلة، ومثل ذلك لا يعدّ كذباً كما تقول في تصوير المسائل: لزيد أربعون شاة ولعمرو أربعون شاةً وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليهما الحول كما يجب فيها من الزّكاة.

٢٤ـ (قال لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيراً من الخلطآء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وقليل ما هم وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب)

تقرير لما حكم داود عليه السّلام بين المتخاصمين قبل أن يسمع كلام المدّعى عليه للمدّعي، وقبل أن يطلب البيّنة من المدّعي، ويستجوب المدّعى عليه، وقد أراد بحكمه: إن كان الأمر كما ذكرت.

قوله تعالى حكاية عن داود عليه السّلام: «وإن كثيراً من الخلطآء...» حكم استطرادىّ على أنّ أكثر الخلطآء موسوم بسمة البغى والاعتدآء والظلم وأكل المال بالباطل إلّا المؤمنين، وانهم لقليل في كلّ زمان ومكان... و«ما» في : «وقليل ما هم» مزيدة لابهام وفيه تعجيب من قلتهم وترغيب في اختيار الخلطآء الصلحآء، وتحذير عن الخلطآء الأشقياء، وفيه تسلية للمظلوم عمّا جرى عليه من خليطه، وإنّ له في أكثر الخلطآء اسوة.

وقوله تعالى: «وظنّ داود...» بيان لما ظنّ داود عليه السّلام أنّ الخصم دخلوا عليه للاغتيال ولذلك فزع، ولما عرف أنهم الملائكة، وأن ذلك كان امتحاناً ربانياً استغفر ربّه عمّا ظنّه فلا بأس عليه.

إن تسئل: لماذا تسرّع داود عليه السّلام في القضآء إذ قال للمدّعي: «لقد ظلمك» قبل أن يطلب منه البيّنة وقبل أن يسئل المدّعى عليه ويسمع منه حجّته؟ وما معنى قوله في آخر الآية حكاية عن داود: «ثمّ إستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب» والإستغفار لا يكون إلّا عن ذنب، والذّنب لا يجوز على الانبيآء عليهم السّلام؟ وما حكمة هذه المحاكة؟

تجيب عنه بأجوبة:

منهاـ أنّ داود عليه السّلام لم يتسرّع في القضآء وما قضى إلّا بعد إعتراف المدّعى عليه، ولكنّه لم يحك في القرآن الكريم لأنّه معلوم، وقد روى: أن المدّعى عليه قال لداود عليه السّلام: أنا اريدها لأكمل نعاجي بها فقال داود للمدّعى عندئذ: «لقد ظلمك» وأما الاستغفار من داود النّبيّ المعصوم عليه السّلام فما كان من ذنب، لا في الحال ولا فيما سلف كما توهّمه بعضهم، بل على سبيل الانقطاع إلى الله جل وعلا والخضوع له، والتذلل والعبادة والسجود، قد يفعله الناس كثيراً عند النعم التي تتجدد عليهم وتنزل عليهم شكراً للمنعم وكذلك قد يسبّحون و يستغفرون الله تعظيماً وشكراً وعبادة.

مع أنّ الاستغفار ليس مقصورً في الذنب، وقد جآء في الدّعآء بعد زيارة عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التحيّة والثنآء ثلاثة عشر نوعاً من الاستغفار: استغفار حيآء ورجآء، إستغفار إنابة ورغبة، إستغفار رهبة وطاعة، إستغفار ايمان وإقرار، إستغفار إخلاص وتقوى، إستغفار توكّل وذلّة، وإستغفار عامل لله تعالى، هارب منه إليه جلّ وعلا... فراجع واغتنم جدّاً.

وأما حكمة هذه المحاكمة البديعة والقصّة فكانت إمتحاناً ربانياً لداود عليه السّلام إذ صرّح بقوله: «وظن داود أنّما فتنّاه» ودرساً للقضاة في كل ظرف كيف يحكمون بين الناس، وإنّ منصب القضاوة منصب النّبوّة أفهم يليقون لهذا المنصب أم لا.

ومنهاـ أن هؤلآء الخصم الدّاخلين على داود عليه السّلام كانوا ملائكة أرسلهم الله تعالى إليه ليمتحنه وقد تمثّلوا له في صورة رجال من الإنس، وهو المستفاد من الآيات

الكريمة وصريح الرّوايات الواردة في المقام. فالواقعة تمثّل، تمثّل فيه الملائكة في صورة متخاصمين لأحدهما نعجة واحدة يسئلها آخر له تسع وتسعون نعجة، وسئلوه القضآء فقال لصاحب النّعجة الواحدة: «لقد ظلمك» وكان قوله عليه السّلام ـ لوكان قضآءً منجّزاً ـ حكماً منه في ظرف التّمثّل كما لوكان رآهم فيما يرى النّآئم فقال لهم: ما قال وحكم فيهم بما حكم.

ومن المعلوم أن لا تكليف في ظرف التّمثّل كما لا تكليف في عالم الرّؤيا، وإنّما التّكليف في عالمنا المشهود وهو عالم المادّة، ولم تقع الواقعة فيه، ولا كان هناك متخاصمان ولا نعجة ولا نعاج إلّا في ظرف التمثّل فكانت خطيئة داود عليه السّلام في هذا الظرف من التّمثّل ولا تكليف هناك كخطيئة آدم عليه السّلام في الجنّة من أكل الشّجرة قبل الهبوط إلى الأرض وتشريع الشرائع وجعل التّكاليف وإستغفاره وتوبته مما صدر منه كاستغفار آدم وتوبته مما صدر منه، وقدصرّح الله تعالى بخلافته في كلامه كما صرّح بخلافة آدم عليه السّلام في كلامه. فتأمّل جيّداً.

٢٥ـ (فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب)

بيان لما إستجاب تعالى لدعآء داود عليه السّلام أي قبلنا منه وكتبنا له الثّواب عليه، فأخرج الجزاء على لفظ المجازى عليه. وتنكير «زلفى ـ مآب» للتفخيم.

٢٦ـ (يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير خلافة داود عليه السّلام على تقدير: لمّا وجدناه لائقاً للخلافة بالامتحان قلنا له: «يا داود...» نصّ على خلافته عن الله عزّوجلّ في الحكم على الخليقة على ميزان الحقّ لا على ما تشتهيه نفسه، وفيه دلالة على أنّ ولاية الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام كانت محدودة على مدار الحقّ لا كيفما يشآؤون، وإن لم يشآؤا ولا يحكمون غير الحقّ وإن من شأن هذه الخلافة أن يحاكي الخليفة من استخلفه في صفاته وأعماله، فعلى خليفة الله في الأرض أن يتخلّق

بأخلاق الله تعالى ويفعل مايريده الله جلّ وعلا، ويحكم ويقضي بما يقضي به الله تعالى: «والله يقضي بالحق» غافر: ٢٠) ويسلك سبيل الله ولا يتعدّاها، **ولذلك فرّع على** جعل خلافته قوله: «فاحكم بين الناس بالحق» وعطف عليه **قوله**: «ولا تتبع الهوى» تأكيداً لما سلف بالنهي عن ضدّه، وإرشاداً لمايقتضيه منصب النّبوة، وتنبيهاً لمن هو دونه من قضاة الفقهآء لسلوك هذا الطّريق القويم.

فالمراد بجعل خلافته عليه السّلام إخراجها من القوّة إلى الفعل في حقّه لا مجرّد الخلافة الشأنية توهمها بعض المتفسّرين، لأن الله عزّوجلّ أكمله عليه السّلام في صفاته وآتاه الملك يحكم بين الناس.

قوله تعالى: «فيضلّك عن سبيل الله» تفريع على اتّباع الهوى، فمنشأ الضّلالة إتّباع الهوى.

وقوله تعالى: «إنّ الّذين يضلون عن سبيل الله» تعليل للنّهى عن اتباع الهوى بأنه يلازم نسيان يوم الحساب ببيان غآئلته، وإظهار «سبيل الله» موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه.

وقوله تعالى: «لهم عذاب شديد» تقرير لوخامة عواقب اتباع الهوى في القضآء للقاضي المضلّ الضّالّ وللمجتمع البشري من الضلال ونسيان يوم الحساب وأشدّ العذاب، ويدل عليه تنكير الوصف والموصوف: «عذاب شديد».

٢٧- (وما خلقنا السّمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للذين كفروا من النّار)

مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من أمر البعث والحساب والجزآء أي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات العلوية والسّفلية على هذا النّظام البديع الّذي تحارفي فهمه العقول خلقاً باطلاً، فيخلو عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة، بل منطوياً على الحقّ المبين، والحكم البالغة، حيث خلقنا من بين ماخلقنا نفوساً أودعناها العقل والتّمييز بين الحقّ والباطل، بين الخير والشّرّ، بين الهدى والضّلال، بين النّافع والضارّ، ومكّنّاها من التّصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها، واستدفاع

مضارّها، وقدنصبنا للحق والهدى دلآئل آفاقية وأنفسيّة، ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها.

ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الألطاف، بل أرسلنا إليها رسلاً وأنزلنا عليها كتباً بيّنّا فيها كلّ دقيق وجليل، وأزحنا عللها بالكلّيّة، وعرضناها بالتّكليف للمنافع العظيمة، وأعددنا لها عاقبة وجزآءً على حسب أعمالها...

قوله تعالى: «ذلك ظن الذين كفروا» إشارة إلى نفي ما خلق ما ذكر باطلاً على سبيل بيان الظن الفاسد الّذي ظنّه الكافرون، وبهذا الظّن جحدوا آيات الله تعالى، أي أنّ الله عزّوجلّ ما خلق السّموات والأرض وما بينهما باطلاً ولكنّ الّذين كفروا لا يؤمنون بهذه الحقيقة، بل هم يعيشون في أوهام وظنون ورآء هذا الحقّ الّذي تنطق به آيات الله تعالى، إذ لو كانوا يؤمنون بالله تعالى لآمنوا بهذه الحقيقة ولا ستيقنوا أنّ الله تعالى هو الحق، وأنّ الحقّ لا يكون من صنعته إلّا ما هو حقّ، وأنهم إذا ظلموا لن يُتركوا وشأنهم، بل سيحاسبون و يعاقبون، وفي كفرهم بالله ظلم عظيم، يلقون عليه أشدّ العذاب وهذا ما يشير إليه.

قوله تعالى: «فو يل للذين كفروا من النّار» الفآء لافادة ترتّب ثبوت الو يل لهم على ظنّهم الباطل كما أنّ وضع الموصول موضع ضمير «هم» إشعار بما في حيّز الصّلة بعلّيّة كفرهم له، ولا تنافي بينهما لأنّ ظنّهم من باب كفرهم، ولفظة «من» في «من النّار» تعليلية كقوله تعالى: «فو يل لهم مما كتبت أيديهم» البقرة: ٧٩) تفيد علّيّة النّار لثبوت الو يل لهم صريحاً بعد الإشعار بعلّيّة ما يؤدّي إليها من ظنّهم وكفرهم أي فو يل لهم بسبب النّار المترتبة على ظنّهم وكفرهم.

٢٨ـ(أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار)

تقريع وتوبيخ وتسفيه لظنّ الكفّار الفجرة المطمئنّين بالدّنيا وحطامها، واللّاهين عن الآخرة وجزآئها، والمنحرفين عن الله تعالى وآياته... بأنّ الله خلق السّموات والأرض وما بينهما باطلاً... ببيان الغاية على وجه الإستفهام بأنّه لو بطل الجزآء كما زعم الكافرون

لاستوت حال الفريقين: المؤمن المتقي المصلح للأرض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسّياسة المدنية على مقتضى العقل والدّين، والمفسد الفاجر في الأرض بهدم النّواميس وتتبع الشّهوات وهتك الحرمات... ومن سوّى بينهم كان إلى السّفه أقرب منه إلى الحكمة، ولكن مقتضى العدل والحكمة ألاّ يساوي بين الطّائفتين السّائرين في خطّى المتعاكسين: طريق الحقّ والهدى وطريق الباطل والضّلالة، طريق الخير والسعادة، وسبيل الشّرّ والشّقاوة، طريق الصلاح والفلاح، وسبيل الفساد والخسران، وطريق النّور والكمال، وسبيل الظّلمة والإنحطاط...

فلفظة «أم» في «أم نجعل الّذين آمنوا...» منقطعة معناها «بل» للإضراب الإنتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزآء بما مرّ من نفي خلق العالم خالياً عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من إنكار التسوية بين الفريقين و نفيها على أبلغ وجه وآكده، وقوله تعالى: «أم نجعل المتّقين كالفجّار» إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم المحال الّذي هو التّسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه إستحالة، وهو التّسوية بين أتقيآء المؤمنين وأشقيآء الكافرين. وقيل: كأنّه تعالى أنكر التّسوية أوّلاً بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم ومن المحتمل أن يكون تكريراً للإنكار الأوّل بإعتبار وصفين آخرين يمنعان التّسوية من الحكيم الرّحيم.

٢٩-(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب)

في تنكير «كتاب» تنويه وتفخيم وتنبيه على أنّه كتاب لا يقدر قدره ولا يعرف حقيقته إلّا اولوا الألباب، وقد وردت كلمة «كتاب» في هذه السّورة هنا لأوّل مرّة، والأصل في معناها: الشّيئ المكتوب، وقد اطلقت في القرآن على القرآن الكريم، وعلى الكتب المنزلة وعلى أعمال النّاس وعلى علم الله تعالى أيضاً، ومن أمثلة إطلاقها على القرآن هذه الآية الكريمة، وبما أنّ القرآن الكريم لم يكن تامّاً حينما نزلت هذه الآية الّتي عنت كلمة «كتاب» فيها القرآن، فيمكن أن يقال: إنّ الكلمة تطلق على جميع القرآن كما تطلق على جزء منه، وإنّ شانها في هذا شأن كلمة القرآن تماماً إذ كانت تطلق على ما نزل من

القرآن قبل أن يتمّ تمامه مع كونها علماً على جميع محتويات المصحف منذ عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و بعده إلى يوم القيامة.

ولمّا كانت الآيات والفصول القرآنية توحى إلى النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وحياً فيتلوها على النّاس شفوياً و يأمر بتدوينها في الوقت نفسه، فإنّ الإشارة إليها بتعبير الكتاب يمكن أن تكون بإعتبار ما سوف يكون من أمرها بعد تبليغها قراءة وشفوياً، وإستعماله هذا التّعبير ينطوي على قرينة قوية بأنّ آيات القرآن وفصوله كانت تكتب على أثر وحيها.

إنّ الآية الكريمة بصدد تقرير حكمة نزول القرآن الكريم بأنّ الله جلّ وعلا أنزل كتابه المبارك على رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم ليتدبّر السّامعون آياته، وليتذكر به ذو والعقول الواعية ويهتدوا و ينطوي في هذا دعوة إلى كلّ إنسان من كلّ جنس ولون ودين وطبقة ولسان من المسلمين وغيرهم... و بصدد تقرير إمكانية كلّ إنسان أن يتدبّر آياته، وإيجاب على كلّ إنسان أيضاً أن يفعل ذلك.

وهكذا يؤذن الله تعالى النّاس كلّهم أنّه إنّما أنزل كتابه على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ليتدبّروا آياته، مؤكّداً أنّ اولي الألباب الّذين يتدبرون آيات هذا الكتاب المبارك تدبّر الواعي الراغب في الحق العازف عن المكابرة والعناد البريئ عن الزيغ، المتجنب إتّباع المتشابهات ابتغآء الفتنة، وهؤلآء ذو و القعول السليمة الواعية يتذكّرون و يجدون فيه أفضل وأكمل نظام إنساني وإجتماعي ضامن لسعادة الدارين، وفي هذا من روعة وجلال ما لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٣٠ ـ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب)

عطف قصّة الإبن على قصّة الأب، حديث سليمان على حديث داود عليهما السّلام هذه حلقة ثانية من السّلسلة يتجلّى فيها قصد التّنويه باخلاص سليمان وإنابته إلى الله تعالى وكثرة طاعته وتسبيحه لله جلّ وعلا في أكثر أوقاته، وذكره تعالى في جميع مهمّاته عليه السّلام إعتقاداً منه بأن كل شيئ من الخير لا يتمّ إلّا باعانته وتوفيقه ومدح الله تعالى وثنآئه عليه عليه السّلام وإمتحان الله سبحانه له عليه السّلام على عظم ملكه وسلطانه، وما كان من مدد الله جلّ وعلا له عليه السّلام بالقوّة وشموله إيّاه بالعناية والتكريم بسبب ذلك. وإن سليمان عليه السّلام هو هبة من

هبات الله العظمية، وعطآء من عطاياه الجليلة المسوقة إلى عبد من عباده المصطفين الأخيار.

قوله تعالى: «نعم العبد» مدح وثنآء عظيم من المولى جلّ وعلا، على سليمان عليه السّلام وعلى داود عليه السّلام أيضاً، إذ كان الإبن هبةً له من ربّه.

وقوله تعالى: «إنّه أوّاب» تعليل لهذا المدح العظيم، وإشارة إلى أنّه عليه السّلام كان كثير الأوب والرّجوع بالذكر والتّسبيح والطاعة إلى الله تعالى، وأنّه مع الملك العظيم الّذي جعله الله عزّوجلّ بين يديه، كان على صلة وثيقة بربّه، فلم يقطعه الملك عن ذكر ربّه بحالٍ بل إنه كلّما كانت له نظرة إلى ملكه كانت له إلى ربه نظرات... وقد وصف الله عزّوجلّ الإبن بما وصف الأب به: «انه أوّاب» تنبيهاً على أن الإبن كان شبيهاً بالأب في الفضيلة والكمال، وإشارةً إلى أنّهما على درجة واحدة من الإتصال بربهم والرّجوع إليه في كلّ حالٍ، مع الإشارة الاخرى إلى أنّ سليمان عليه السّلام سيقع منه ما وقع لأبيه من فتنة وابتلآء ثم من استغفار منه، وقبول من الله تعالى، وعطآء جزيل عظيم بعد هذا من ربّ العالمين.

٣١-(إذ عرض عليه بالعشيّ الصّافنات الجياد)

تقرير حال من أحوال سليمان عليه السّلام الّتي استحق بها المدح والثّنآء بأنّه أوّاب أي ومن أوبه عليه السّلام إلى الله تعالى ورجوعه إليه في كلّ حال، موقفه هذا الّذي كان منه حين عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. و «الصافنات» فاعل «عرض» تأخيرها عن المجرورين للتشويق إلى المؤخّر.

إن تسئل: فما الفرق بين «الصّافنات» وبين «الجياد» فهل هنّ إلّا الخيل؟

تجيب: إنّ الصّافنات هي الخيل الّتي تقف على ثلاث قوآئم، وقد وضعت طرف السنبك الرابع على الأرض، وهذا من علامات الكرم والأصالة في الخيل، وهذه من الصفات المحمودة في الخيل بأنّها إذا استوقفت سكنت مطمئنّة في مواقفها على أحسن الأشكال، وأما ذوات الحافر الاخرى كالحمير والبغال والخيل غير الكريمة، فانّها تقف على قوائمها الأربعة، متمكّنة من الأرض على سوآء...

وأمّا الجياد فاسم غلب على الّذكر من الخيل السّريعة المشى الواسعة الخطو، أصله من الجودة كأنّها تجود بالركض. وقد وُصِفَتْ خيل سليمان عليه السّلام بوصفين ممدوحين: واقفة

وجارية، فانّها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنّة في مواقفها مع كونها مهيّأة للسّير في كلّ حال، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها، سابقة على غيرها... وهذه هي صفة مرغوبة في الخيل تدلّ على قدرتها على الجرى السّريع حيثما أراد صاحبها، ولا يكاد يكون ذلك إلّا في العراب الخلّص.

٣٢ـ(فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتّى توارت بالحجاب)

الخير: الكلمة بمعنى متع الحياة، وهي كناية عن حبّ سليمان للخيل الجياد، وقد سمّى الخيل خيراً لتعلّق المنافع والخير الكثير بها كما جآء في الحديث عن النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة».

قوله تعالى: «حتّى توارت بالحجاب» كناية عن غروب الشّمس غير المذكورة كقوله تعالى: «حتّى إذا بلغت الحلقوم» أي بلغت النفس الحلقوم. ولم يتقدّم للنفس ذكر. فتركت الشمس لدلالة السّامع عليها بما ذكر مما يرتبط بها ويتعلّق بذكرها. وهذا من باب الإضمار قبل الذكر وهذا مما لا خلاف في جوازه. فقد شبّه غروب الشّمس بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليه. والمراد بتواريها بالحجاب غروبها واستتارها تحت حجاب الافق.

٣٣ـ (ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسّوق والأعناق)

خطاب سليمان بن داود عليهما السّلام للملائكة تضرّع منه إلى الله تعالى أن يردّ الشمس ليصلّي هو ومَن معه في وقتها، فلمّا ردّت الشمس، فصلّى سليمان عليه السّلام ومن معه في وقتها وليس في القصّة قدح على سليمان عليه السّلام بل تكريم من الله عزّوجلّ له عليه السّلام أن يردّ له الشّمس ليصلّي في وقتها، وتعظيم لأمر الصلاة، وتفخيم لشأنه عليه السّلام بأنه كان يأمر الملائكة بما يريد فالفاء في «فطفق» فصيحة تفصح عن جملة قدحذفت ثقةً بدلالة الحال عليها، وايذاناً بغاية سرعة الامتثال بالأمر أي فردّوها عليه عليه السّلام فأخذ يمسح ساقيه وعنقه مسحاً...

٣٤ـ (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثمّ أناب)

بيان ـ على طريق القسم ـ لابتلآء سليمان عليه السّلام بما ابتلى به على اختلاف

أقوال المفسّرين فيه قديماً و حديثاً سيأتي ذكرها إن شآء الله تعالى في تحقيق الأقوال فانتظر.

٣٥ـ (قال ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنّك أنت الوهّاب)

تقرير لإنابة سليمان بن داود عليهما السّلام وتذلله وخضوعه وتضرّعه إلى ربّه، وإنابته هي طلب المغفرة من الله تعالى لنفسه وهو الأصل في الإنابة، ولهذا لم يفصل بين الفعلين: «أناب» و«قال» بفاصلٍ ما، من حرف عطف أو نحوه كما فصل بحرف العطف بين الاستغفار وطلب الملك العظيم الّذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده مع أنّه عليه السّلام قدّم المغفرة على طلب الملك كما هو دأب الصالحين تقديماً لأمر الدين على أمر الدنيا، ولأن الاستغفار يجر الرزق فان الإنسان قلّما ينفك عن ترك الاولى فاذا زال عنه شؤم ذلك ببركة الإستغفار انفتح عليه أبواب الخيرات... ففي تقديم الاستغفار على استيهاب الملك جرى على عادة الأنبيآء عليهم السّلام والصلحاء في تقديم الإستغفار على السؤال و درس ثمين لغيرهم في كلّ ظرف.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمل أنّ سليمان قرن في إنابته إلى الله جلّ وعلا ـ قرن طلب المغفرة بهبة هذا الملك الّذي لا يكون لأحد من بعده! وفي هذا ما يشير في وضوح إلى أنّ ما طلبه من أن يهب الله تعالى له هذا الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ـ فيه إشارة واضحة إلى أنّ هذا هو ما يصحح إنابته إلى ربّه، ويجعلها إنابة سليمة، خالية من كلّ معوق يعوقها عن الله عزّوجلّ!

فكيف هذا؟ وهل بهذا الملك العظيم الّذي لا يملكه أحد من بعده يكون أقرب إلى الله تعالى منه وهو على كرسيّ ملكه الّذي هبت عليه منه ريح الفتنة؟ وهل كان ما كان منه من إشتغال ـ أكثر مما ينبغي ـ عن ذكر ربّه إلّا من الملك وسلطان الملك وما يحف به من شهوات؟ فكيف يكون طلب هذا الملك الذي لم يكن لأحد غيره ـ إنابة ورجوعاً إلى الله جل وعلا، وتخففاً من الاشتغال بالملك؟

إن تسئل: إنّ قول سليمان عليه السّلام: «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» يدل على أنّ فيه عليه السّلام ضنّاً ومنافسة وحسداً وبخلاً، فان فيه إشتراط أن لا يؤتى

مثل ما اوتيه من الملك لأحد من العالمين غيره، إذ لم يقنع بمسئلة الملك حتّى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه، وهذا أشبه بالبخل والحسد بنعم الله تعالى على عباده بما يضرّ سليمان عليه السّلام، وهذا مما لا يليق بشأن المعصوم عليه السّلام؟ ثم إنّه كيف سئل الله تعالى الدّنيا وطلبها منه تعالى مع كونها مذمومة عندالله جل وعلا وحقيرةً لدى الأنبياء عليهم السّلام؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: أنّ سليمان عليه السّلام سئله تعالى ملكاً يختصّ به، ولم يسئله أن يمنع غيره عن مثل ماآتاه ويحرمه، ففرق بين أن يسئل ملكاً إختصاصياً وأن يسئل الإختصاص بملك اوتيه مع جواز لنا أن نسئل الله تعالى: «اللهم وفّقني لخدمة دينك ونشر مذهب ولاية أهل بيت نبيّك مالا يساويني فيه أحد» او نقول: «اللهمّ اجعلني أيسر أهل زماني وارزقني مالا يساوي فيه غيري إذا علمت أن ذلك أصلح لي وانه أدعى إلى ماتريده منّي» لكان هذا الدعآء حسناً جميلاً وهو غير منسوب إلى بخل ولا حسد.

ومنهاـ أنّ سليمان كان ناشئاً في بيت الملك والنّبوّة ووارثاً لها، فأراد أن يطلب من ربّه معجزة، فطلب ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة بالغة حدّ الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على نبوّته ظاهراً للمبعوث إليهم، ومن شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضته ولاسيّما امّته الّذين بعث إليهم، ولهذا قال بعضهم: أراد غيري ممن بعث إليهم ولم يرد مَن بعدها إلى يوم القيامة.

ومنها: وقدثبت أنّ الأنبيآء عليهم السّلام لا يسئلون إلّا ما يؤذن لهم في مسئلته لاسيّما إذا كانت المسئلة ظاهراً يعرفها قومهم، ولا يبعد أن يكون الله تعالى أعلم سليمان عليه السّلام أن يسئله ملكاً لا ينبغي لغيره كان أصلح له في الدّين واستكثار من الطاعات وأعلمه أنّ غيره لوسئل ذلك لم يجب إليه إذ لاصلاح له فيه، وهذا غير منسوب إلى بخل، فاقتضت الحكمة الإلهية تخصيص هذا النوع الخاصّ من الملك به، فألهمه أن يسئله تخصيصه به.

ومنها: أن سليمان عليه السّلام قصد بذلك عظم الملك وسعته كما تقول لفلان: ما

ليس لأحد مثله من الفضل أو من المال، وتريد بذلك عظم فضله أو أمواله وإن كان في الناس أمثاله...

ومنها: أنّ سليمان عليه السّلام سئل ملك الآخرة وثواب الجنّة فيكون معنى قوله: «لاينبغي لأحد من بعدي» لايستحقّه بعد وصولي إليه أحد من حيث لايصلح أن يعمل مايستحقّ به ذلك لانقطاع التّكليف.

ومنها: أنّه عليه السّلام التمس معجزة تختصّ به كما أنّ موسى عليه السلام يختصّ باليد البيضآء والعصا، واختصّ صالح عليه السّلام بالنّاقة، واختص عيسى عليه السّلام بإحيآء الموتى وشفآء المرضى ...وغيرها من الأجوبة الكثيرة الّتي لانرى فائدة لذكرها.

وأمّا الدّنيا وطلبها فليست مذمومة إطلاقاً، وانّها مذمومة إذا كان الانسان في خدمتها! إذا كان الإنسان لها، ولاتكون الدّنيا له! إذا كانت مضرّة لدين الإنسان وآخرته، إذا جُعِلَت وسيلة إستثمار وإستعمار وإستغلال وإستعباد ...إذا رآى الانسان الدّنيا كمالاً له، وإذا كان طلب الدّنيا للدنيا...

وأمّا إذا كانت الدّنيا للإنسان وفي خدمته، إذا كانت مزرعة لآخرته، إذا كان طلب الدّنيا للآخرة، إذا كانت لاصلاح معاده، إذا رآها الانسان ظرفاً لكماله، إذا قوّى بها الدّين، إذا كانت وسيلة لأدآء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه، وترتيب منازل خلقه، وإقامة حدوده، والمحافظة على رسومه وتعظيم شعآئره وظهور عبادته ولزوم طاعته، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه... فليست الدّنيا هذه مذمومة أبداً.

وقوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السّلام: «إنّك أنت الوهّاب» تعليل للمغفرة والهبة معاً أي إنّك أنت الكثير المواهب والعطايا... فأجب طلبي وحقّق رجآئي؟

٣٦ـ (فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخآءً حيث أصابَ)

تفريع على سؤاله الملك، وتقرير لإجابته تعالى لما طلبه سليمان عليه السّلام منه تعالى، وقداستجاب له من غير مهلة، دعآء فاجابة. وقوله تعالى: «تجري بأمره رخآء...» بيان لكيفيّة التسخير لها أو تسخيرها له وهذا نوع أوّل من أنواع نعمه تعالى

الّتي تختصّ بالمُلك الخاص به عليه السّلام.

إن تسئل: لماذا وصف الله عزّوجلّ الريح بالعاصف في قوله: «ولسليمان الريح عاصفة» الأنبيآء: ٨١) و وصفها هنا بالرخآء وهو اللين والسهولة ؟

تجيب عنه: لا يبعد أنّ الله تعالى جعلها عاصفة تارة، ورخآء اخرى بحسب ما أراد سليمان عليه السّلام من السّرعة والإبطآء فانها تختلف بإختلاف الأحوال والأوقات... فانها كانت بكلتا الحالين بحسب الحاجة إليها، فتشتدّ حين الحلّ، وتلين حين السير أو هي طيبة في نفسها ولكنّها عاصفة بالإضافة إلى الرياح المعهودة.

٣٧ـ(والشّياطين كلّ بنّآء وغوّاصٍ)

بيان لنوع ثانٍ من أنواع نعمه تعالى على سليمان عليه السّلام الّتي تختصّ بالملك الخاص بسليمان عليه السّلام لم يوتها أحد غيره بعده.

٣٨ـ(وآخرين مقرّنين في الأصفاد)

تقرير نوع ثالث من أنواع النّعم الخاصّة بالملك الخاص، إذ نفذ تعالى حكم سليمان عليه السّلام في الجن والإنس وغيرهما من الموجودات المرئية وغيرها...

٣٩ـ(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)

حكاية لما خوطب به سليمان بن داود عليهما السّلام مبيّنة لعظم شأن ما اوتي من الملك وانه مفوّض إليه تفويضاً كلّيّاً، وتقرير لما أباح تعالى لسليمان عليه السّلام أن يتصرّف في هذا الملك العظيم الخالص به كما شآء دون رقيب ولا حسيب أي قلنا له: هذا عطاؤنا الخاص بك أعطيناكه من الملك العجيب والمال والبسطة والتسلّط على ما لم يسلّط عليه غيرك والسيطرة على بعض القوى الكونية من دون قهر و استبداد في الملك الّذي لا ينبغي لأحد من بعدك الظهور بالمجموع على طريق التّصرف فيه.

قوله تعالى: «عطاؤنا» في الإضافة تعظيم، يعني عطاؤنا جمّ كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر، فاعط منه ما شئت ومَن شئت أو أمسك ما شئت ومَن شئت مفوّضاً إليك زمام التّصرّف فيه على الاطلاق.

٤٠ـ(وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)

تقرير لما لسليمان عليه السّلام في الدّار الآخرة إثر بيان ما كان له من الملك العظيم الخاص به في الحياة الدّنيا، فليس عطاؤنا إيّاه مقصوراً في النّعم الدّنيو ية، فانّ له عليه السّلام عندنا لقربى في الآخرة مع ماله من هذا الملك في الدنيا، وحسن مآب وهو الجنّة كما قصّة أبيه داود عليه السّلام فثوابه ومآل أمره كف ثواب أبيه ومآل أمره كما أن سيرته كانت سيرة أبيه في الملك والعدل والعمل على مقتضى العقل والشرع.

٤١ ـ (واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشّيطان بنصب وعذاب)

عطف على «اذكر عبدنا داود» ص: ١٧) وعدم تصدير قصّة سليمان عليه السّلام بهذا العنوان لكمال الإتّصال بين الإبن: سليمان، و بين الأب: داود عليهما السّلام وهذه حلقة ثالثة من السلسلة، وهي استمرار للسياق والموضوع والهدف وهو الموعظة والتّذكير والدّعوة إلى التأسيّ والإعتبار.

وإنّ الخطاب موجّه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كما وجّه إليه صلى الله عليه وآله وسلّم في أوّل السّلسلة، وهنا لك أمرله صلى الله عليه وآله وسلّم بالصبر على ما يقول الكفار: «اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود» ص: ١٧) وهنا أمرله صلى الله عليه وآله وسلّم بالتّذكّر بما وقع لأيّوب ما كان منه، والخطاب متضمّن أمر ذكر ذلك لكلّ سامع في كلّ ظرف وتذكيرهم به بطبيعة الحال أي واذكر لقومك قصّة أيّوب عليه السّلام وهو عبد من عبادنا الصّالحين ونبيّ من أنبيآئنا المقرّبين.

وان الّذي يُدعى النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم إلى تذكّره والوقوف على موضع العبرة والعظة منه، من أمر أيّوب عليه السّلام هو ضراعته لربّه ولجوؤه إليه فيما مسّه من ضُرٍّ... وإن أيّوب عليه السّلام إنّما وقف على حدود هذا الأدب النّبويّ الرّفيع، إذ رفع إلى الله جلّ وعلا شكواه ممّا به، ولا يسئله تعالى العافية ولا كشف الضّرّ عنه، فذلك إلى الله تعالى حسب مشيئته وإرادته في عبده، فقد يكون هذا البلاء خيراً له من العافية، وانه كبشر يشكو إلى ربه ما يجد من آلام، ويفوّض الأمر إلى الله جلّ وعلا فيما يريد بعبده ولو أنه استطاع ألاّ يشكو لفعل، لأن الله عزّوجلّ أعلم بحاله، ولكنّها أنّات موجوع وزفرات محموم: «اني مسّني الشّيطان بنصب وعذاب» تقرير دعآء منه، من غير سئوال عافية ولا كشف سوء عنه، ولم يصرّح بما يريده، و يشكو إليه

تواضعاً وتذلّلاً، ولكن ندآئه تعالى بلفظ ربّي يشعر بأنه يناديه لحاجة.

إن تسئل: أيكون للشّيطان سبيل على الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمقرّبين؟ وما هو الوجه في إبتلاء أيّوب بما إبتلاه الله تعالى به؟

تجيب عنه بأجوبة:

أما عن الأوّل: فلا سلطان للشّيطان على المخلصين بنصّ القرآن الكريم: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتّبعك من الغاوين» الحجر: ٤٢) «قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢-٨٣) فضلاً عن الأنبياء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وأما السبيل أي الوسوسة بدون إغواء فلا دليل لنا على نفيه: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشّيطان في امنيّته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثمّ يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشّيطان فتنة للّذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم» الحج: ٥٢-٥٣)

وأمّا عن الثّاني: فمنها -أنّ العذاب وإن أُسنِدَ ظاهراً إلى الشّيطان، ولكن لا يراد منه المعنى الحقيقي للعذاب لقوله تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» الاسراء: ٦٥) ولا يبعد أن يكون الشّيطان يوسوس لأيّوب عليه السّلام بأن الله قد فعل بك ما فعل وأنت على طاعته، فتعوّذ أيّوب عليه السّلام منه وشكاه إلى الله تعالى، وعلى هذا تكون نسبة العذاب إليه مجازاً.

ومنها: أن يكون استناد النّصب والعذاب إلى الشّيطان بنحو من السّببيّة والتّأثير كما يظهر من الرّوايات، ولا ينافي إستناد المرض ونحوه إلى الشيطان استناده أيضاً إلى بعض الأسباب العادية الطبيعيّة لأنّ السّببين ليسا عرضيين متدافعين بل أحدهما في طول الآخر، ولا دليل على امتناع وقوع هذا النوع من التأثير للشيطان في الانسان وقد قال الله عزّوجلّ: «إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشّيطان» المآئدة: ٩٠)

وأمّا وجه إبتلاء أيّوب عليه السّلام بما ابتلاه الله تعالى به، فهو من الأمراض والمحن النّازلة بأيّوب عليه السّلام لم تكن إلّا إختباراً وامتحاناً وتعريضاً للثّواب بالصبر عليها، والعوض العظيم النّفيس إزآئها وهذه سنّته جلّ وعلا في أصفيآئه وأوليآئه...

٤٢ -(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

تقرير لاستجابة دعآء أيوب عليه السّلام فأجاب الحق جلّ وعلا ما سئله أيّوب عليه السّلام ولم يفصل بين السئوال والجواب فاصل للإشارة إلى أنّ الإجابة كانت متصلة بالسئوال والطلب من غير تراخٍ... فما هو إلّا أن سئل حتّى وجد ما طلب حاضراً، وهذا ما يشير إلى أنّ أيّوب عليه السّلام صبر زمناً طويلاً لا يشكو، فلمّا شكى أزال الله تعالى شكاته...

وفي سياق الأمر دلالة على أنّ أيّوب عليه السّلام ما كان قادراً على القيام والمشي بقدميه وكان مصاباً في سآئر بدنه، فأبرء الله تعالى ما في رجليه من ضرّ وأظهر له عيناً هناك، وأمره أن يغتسل منها و يشرب حتّى يبرء ظاهر بدنه و باطنه.

وفي الآية الكريمة إيمآء إلى نوع المرض الّذي ابتلى به أيّوب، وأنه من الأمراض الجلدية والمعدية معاً، كما أنّ في ذلك ايمآءً إلى أنّ المآء كان من المياه الكبريتية ذات الفائدة الناجحة في تلك الأمراض وهي كما تفيد بالإستعمال الظّاهري تفيد بالشّرب أيضاً.

٤٣ - (ووهبنا له وأهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لأولى الألباب)

إخبار من الله تعالى بما مَنّ على أيّوب عليه السّلام زيادة على صلاح جسمه وزوال ألمه، معطوف على مقدّر مترتّب على آخر يقتضيه القول المقدّر آنفاً كأنّه قيل: فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضرّ في ظاهر جسمه و باطنه و وهبنا له أهله الّذين كانوا قد نفروا منه، وتخلّوا عنه أثنآء محنته، وفي التّعبير بالهبة عن عودة أهله وغير أهله إليه إشارة إلى أنّ هذا التّحوّل في حال «أيّوب» من تلك العزلة الموحشة بينه و بين أهله وغير أهله إلى إقبال القريب والبعيد عليه، وتودّدهم له، إنّما كان هبة من هبات الله تعالى له، ورحمة من رحماته على هذا العبد الّذي ابتُلي هذا الإبتلاء العظيم، فصبر راضياً بأمر الله تعالى وقضآئه، وفي ذلك ذكرى وموعظة لاولى الألباب الّذين يأخذون العبر من الأحداث الّتي تمرّ بهم أو بالنّاس من حولهم...

٤٤ - (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب)

تقرير لما رخّص تعالى لأيّوب عليه السّلام في تحلّة يمينه بأن يأخذ حُزمة صغيرة من حشيش أو قش أو ريحان أو سنبلة أو قضبان، فيضرب بها ضربة واحدة بها ليتحقّق البرّ في يمينه رحمة به و بها لحسن خدمتها له وقيامها بواجباته المنزلية أثنآء مرضه، وفي سياق الآية الكريمة تلويح

إلى ذلك، وإنّما طوى ذكر المرأة وسبب الحلف تأدّباً ورعايةً لجانبه.

إنّ الآية الكريمة: «وخذ بيدك» معطوفة على قوله تعالى: «و وهبنا له أهله...» الّذي هوإعتراض بين الآيتين اللّتين يحملان خطاباً من الله عزّوجلّ إلى «أيوب» فالأمر الموجّه من الله جلّ وعلا إلى «أيوب» هو: «اركض برجلك ـ وخذ بيدك ...» وقدجآء قوله تعالى: «ووهبنا له أهله...» بين الأمرين ـ إشارة إلى أنّ هذه الأوامر ليست تكليفيّة كما هو الشأن في الأمر، وإنما هي دعوة إلى تناول هذا العطآء الكريم من ربّ كريم إلى عبده الصابر الشكور، فهذان الأمران يحملان هبات من عند الله تعالى كما يحمل الخبر في قوله عزّوجلّ: «و وهبنا له أهله...» فإنّ قوله تعالى: «اركض برجلك» يحمل إليه الشفآء والعافية، وقوله تعالى: «وخذ بيدك» يحمل إليه الوفآء بيمينه، و يدفع عنه الحرج، إذ كان قد حلف وهو في حال مرضه أن يضرب إمرأته، مأة سوط على أمر خرجت به عن رأيه، وكان من لطف الله تعالى به و بإمرأته أن جعل تحلّة يمينه بأن يضربها بعرجون يحمل مأة أو أكثر من الشّماريخ!!

ولقد إحتوت قصّة أيّوب عليه السّلام عظة وعبرة وتلقينات بليغة فيها تسلية للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ولكلّ مسلم في ظروف الدعوة كما فيها تلقين مستمر المدى في كلّ ظرف، فاذا كان أناس من خلق الله تعالى كفروا وتكبّروا وشاقوا واعتزّوا بالمال والولد، بالجاه والمقام، و بالزخارف وحطام الدّنيا... فهناك عباد الله تعالى مخلصون كلّ الإخلاص له في حالتي قوتهم وضعفهم، في فقرهم وغناهم، في حزنهم وسرورهم، وفي صحّتهم ومرضهم... مثل أيّوب الّذي كان واسع الثروة متمتّعاً برغد الحياة فشكر ولم تبطره النعمة، ولمّا ابتلى بالمحن الشّديدة صبر ولم تسخطه النقمة، فاستحقّ المزيد من ... الله تعالى وعنايته وتداركه بالفرج واليُسر بعد الضيق والعُسر، وإنّ من واجب المسلمين التمسّك بالله جلّ وعلا والإخلاص والشكر له في حال اليُسر والصبر على حال العُسر...

وقوله تعالى: «إنا وجدناه صابراً» تعليل لقوله: «اذكر» أو لقوله: «عبدنا» أي لتسميته عبداً وإضافته إليه تعالى، وعلى أيّ تقدير، فالجملة إخبار عن حال أيّوب عليه السّلام وعظم منزلته.

إن تسئل: لماذا قال الله جلّ وعلا في وصف أيّوب عليه السّلام «إنا وجدناه صابراً» مع أنّ

الصّبر هوترك الشكوى من ألم البلوى على ما قيل، وهوعليه السّلام قد شكى إلى الله تعالى ما به واسترحمه؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: إنّ الشكوى إلى الله عزّوجلّ لا تنافي الصّبر، ولا تسمّى جزعاً لما فيها من إظهار التضرّع والخضوع والتذلّل والعبودية لله تعالى، والإفتقار إليه، ويؤيّده قول يعقوب عليه السّلام: «إنّما أشكوا بثّي وحزني إلى الله» يوسف: ٨٦) مع قوله تعالى فيه: «فصبر جميل» يوسف: ٨٣).

وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب، ولأنّ أصبر النّاس على البلآء لا يخلو من تمنّي العافية وطلبها، فاذا صحّ أن يسمّى صابراً مع تمنّي العافية وطلب الشفآء فليسمّ صابراً مع اللجآء إلى الله تعالى والدعآء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الأطبّآء... وقولهم: الصّبر ترك الشّكوى يعني إلى العباد فيما لا يجوز.

منها: أنّ أيوب عليه السّلام كان يطلب الشّفآء من الله تعالى بعد ما لم يبق منه إلاّ قلبه ولسانه خيفةً على قومه أن يفتنهم الشيطان بما كان يوسوس إليهم به، ويقول: إنّه لو كان أيّوب نبيّاً لما ابتلى بمثل ما ابتلى به ولدعا الله تعالى بكشف ضرّه.

وقوله تعالى: «نعم العبد إنّه أوّاب» مدح وثنآء عظيم من الله تعالى لأيّوب عليه السّلام.

٤٥ - (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب اولى الأيدي والأبصار)

عطف قصّة على قصّة، عطف حديث ثلاثة أنبيآء على حديث ثلاثة منهم عليهم السّلام، هذه حلقة رابعة من السلسلة تذكر فيها ثلاثة رسل من المرسلين... وإنّ الخطاب فيها موجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإلى المسلمين بالتّبعيّة بتذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السّلام ودعوة النّاس إلى التأسي بهم والإعتبار بما نالوه من حسن المآب والكرامة الرّبّانية...

أي واذكر أيّها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم - وأنت تدعو نفسك إلى الصبر على ما تكره من قومك - اذكر فيمن تذكر من عبادنا الصالحين: إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهؤلآء من ذوي الأيدي العاملة في كلّ مجال للخير والإحسان، ومن ذوي الأبصار الكاشفة عمّا في هذا الوجود من بعض جلال الله تعالى وعظمته وعلمه وقدرته وتدبيره وحكمته... إنهم لم يؤتوا

ملكاً وإنّما أُوتوا نبوّةً وهم لهذا إنّما يعملون بأيديهم، و يسعون في تحصيل معاشهم بأنفسهم، لا يملكون سلطاناً يعمل لهم العاملون فيه، ثم إنّ لهم إلى جانب هذه الأيدي العاملة في الحياة الدّنيا أبصاراً عاملة في التدبّر في ملكوت السّموات والأرض، والتّسبيح لله جلّ وعلا وحمده.

ولعلّ قرن تعالى «إبراهيم وإسحق و يعقوب» دون إسمعيل في مقام واحد قد قصد به الإشارة إلى كونهم هم الأصل لسلسلة أنبيآء بني إسرآئيل في حين لم يكن اسمعيل اصلاً لها، و يؤيّد هذا أنّه حينما إقتضت حكمة التّنزيل وسياقه ذكر أُبوّة إبراهيم لاسمعيل واخوّة إسحق له أيضاً.

قوله تعالى: «اولى الأيدي والأبصار» فيه من تعريض الجهلة البطالين أنّهم كالزّمنى والعماة وتوبيخهم على تركهم المجاهدة والتّأمّل مع تمكّنهم منهما ما لا يخفى.

وقد وصفهم الله تعالى بكونهم ذوي القوّة على العبادة والطاعة وأصحاب البصيرة في الدّين ومعرفة الحق، فيكون كونهم اولى الأيدي والأبصار كناية عن قوتهم في الطاعة وايصال الخير وتبصّرهم في إصابة الحقّ في الإعتقاد والعمل.

في تلخيص البيان للسّيّد الشريف الرّضي رضوان الله تعالى في قوله تعالى: «اولى الأيدي والأبصار» قال: «وهذه إستعارة والمراد بها والله أعلم اولى القوة (القوى خ) في العبادة والبصآئر في الطاعة، ولا يجوز أن يكون المراد بالأبصار ههنا الجوارح والحواس لأن سآئر الناس يشاركون الأنبيآء عليهم السّلام في خلق ذلك لهم ولا يحسن مدح الإنسان بأنّ له يداً وقدماً وعيناً وفماً، وإنّما يحسن أن يمدح بأنّ له نفساً شريفة وهمّة منيفة وأفعالاً جميلة وأخلاقاً محمودة. وقيل أيضاً: «اولى الأيدي» اولوا النعم في الدّين لأن ورود اليد بمعنى النعمة مشهور في كلامهم، فكأنّهم أسدوا إلى النّاس أيدياً بدعآئهم إلى الايمان وانفلاتهم من حبآئل الضلال».

٤٦ ـ (إنّا أخلصنا هم بخالصة ذكرى الدّار)

تعليل لما وصفهم به من فاضل الصفات وجليل المدح، تعليل لما وُصِفُوا به من شرف العبودية وعلوّ الرتبة في العلم والعمل، و بيان لقوله تعالى: «اولى الأيدي والأبصار» على طريق الإخبار عن أحوالهم... أي اننا جعلنا هم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة عظيمة

الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي: «بخالصة» فأخلصنا هم لعبادتنا، إذ أخلينا أيديهم من الملك والسلطان، فلم يشغلوا بتدبير ملكهم وحراسة سلطانهم عن ذكرنا وذكر لقآئنا، فنجّينا هم من الفتنة بمنجاة هي إقامتهم على تذكر الدّار الآخرة.

وقوله تعالى: «ذكرى الدّار» بيان للخالصة بعد إبهامها للتفخيم، أي تذكر للدار الآخرة دائماً فانّ خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها، وذلك لأن مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله تعالى والفوز بلقآئه، ولا يتسنى ذلك إلّا في الدار الآخرة، وفي اطلاق الدار إشعار بأنّها الدار الحقيقيّة، وأما الدّنيا فمعبر فحسب.

٤٧ ـ(وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)

بيان وصفين رفيعين: **أحدهما ـ** انهم لمن المختارين، فلهم عندنا مقام عظيم **ثانيهما ـ** هم الّذين جبلت نفوسهم على الخير فلا تطمح إلى الأذى ولا تميل إلى التباغض والتحاسد، ولا ترتكب الشرور والآثام...

إن تسئل: لماذا ذكر الله عزّوجلّ إبراهيم وإسحق و يعقوب عليهم السّلام متأخّراً عن ذكر داود وسليمان وأيّوب عليهم السّلام مع أنّ إبراهيم عليه السّلام هو الأب الأكبر لهم؟ فما سرّ هذا التّرتيب الّذي جآء عليه النظم القرآني هنا مخالفاً للترتيب الزمني؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها ـ أنّ داود وسليمان وأيّوب عليهم صلوات الله كانوا أصحاب دنيا عريضة إلى جانب النبوّة، إذ كان داود وسليمان ملكين يقومان على ملك عظيم، على حين كان أيّوب ذا ثراء كبير ومال و بنين كثير إلى جانب نبوّته أيضاً، وهذا الملك العظيم وذلك الثراء الكثير واولئك البنون العديدة كلها ابتلاء وفتنة حيثما وُجدت: «وظنّ داود أنّما فتنّاه ـ ولقد فتنّا سليمان» ص: ٢٤ـ ٣٤) «واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة» الأنفال: ٢٨) سوآء أكان ذلك مع الأنبيآء أم غيرهم، وهذا يقتضي ممّن يبتلى بها أن يكون على حذر دائم ومراقبة متصلة لنفسه في كل ما يأتي وما يذر من عمل... إنه في مواجهة الفتنة أبداً، فاذا لم يكن على حذر منه جرفه تيارها فكان من المغرقين...

ومنها ـ أنّ ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السّلام ما كانوا أصحاب مال أو سلطان ـ وإن كان

يعقوب ذوي بـنين ابتلى بهم ما ابـتلى ـ ولهـذا فقد خلصت نبوّتهم مـن عوائق الفـتن الدنيو ية، فأخلصوا الله تعالى وجودهم و وجوههم فلم تكن منهم زلّة أو هفوة. . .

ومـنهاـ أنّه في هذا الصـورة الّتي تفرّق بين الأنـبيآء الملوك أو أشباه الـملوك و بين الأنبيآء المخلصيـن للنبوّة ـ يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ـ أين منزلته التـي جعله الله فيها . . . فهو صلى الله عليه وآله وسلّم نبي خالص النّـبوّة لا تشغله الدّنيا ولا تعرض له بفتـنة من فتنها، ومن ثمّ فهو في عصمـة من نبوّته، فـلا يذكر غير الله، ولا يـلتفـت الى غير الرّسـالة الّتي في يـديه و يحـوطها و يرعاها و يحتمل الضرّ والأذى في سبيلها . . .

وغيرها من الأجوبة فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً فلا تغفل . .

٤٨ ـ ﴿واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار﴾

حلقة خامسة من السّـلسلة تذكر فيها ثلا ثة أنبيآء أيضاً من أنبياء الله عليهم السّلام وهم على شاكلة الثلا ثة السابقين: «إبراهيـم وإسحق و يعقوب» لم يكن لهم مع النبوّة ملك أو سلطان، فهم: «من الأخيـار» كما كانوا هـم «من الأخيار» وليس معنى هذا أن داود وسليمان وأيوب عليـهم السّلام ما كانـوا على هذا الوصـف الجلـيل، بل كانوا هـم أنبيآء الله تعالـى قبل أن يكونوا ملوكاً، ولكنّ الخيرية درجات، وأنبيآء الله تعالى في مقامهم العظيم هم درجات أيضاً: «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض» البقرة: ٢٥٣)

إن تسئل: لماذا ذكر الله عزوجـلّ إسمعيل واليسع وذا الكفل مجرّدين من تعبير: «عبادنا» الذي استعمل في ذكر الأنبيآء الآخرين؟ ولماذا لـم يقرن إسمعيل بابراهيم واسحق و يعقوب مع أنّه إبن إبراهيم مثل إسحق؟

تجيـب: أمّا عن الأوّل: إذا كانـوا هم «من الأخيار» كانوا مـن عباد الله تعالى، مع الـتنبيه إلى أننا لا نرى في هذا الـمقام قرينة مؤيدة لقصد دلالة التفضيل من قوله تعالى: «عبادنا» مع إمكان دخولهـم في «عبادنا» بـالعطف والله تعالـى هو أعلم. وأمّا الـجواب عن الثاني: فلعل قرن إبراهيم واسـحق و يعقوب في مقام واحد قد قصد به الإشارة إلى كونهم هم الأصل لسلسلة أنبيآء بني إسرائيل في حين لم يكـن إسمعيل أصلاً لها، و يؤيّد هذا أنّه حيـنما اقتضت حكمة الـتنزيل وسياقـه ذكـرت أُبوّة إبراهيم لاسمـعيل واخوّة إسحق له أيضاً ولا يـبعد أنّه فصّل ذكر

إسمعيل عن أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في البصر الذي هو المقصود بالتذكير.

٤٩ ـ (هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب)

لفظ «هذا» في المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة شديدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر، وذلك من فصل الخطاب الذي هو أحسن موقعاً من التخلّص، فانه انتقل من ذكر الأنبيآء عليهم السّلام إلى بيان ما أُعدّ لهم من النعيم بتوسّط لفظ «هذا» وناسب ما قبله لما بعده.

والجملة تعليل لما ذكر من حديث هؤلآء الأنبيآء التسعة عليهم السّلام بأنا ذكرنا حديثهم على طريقي التفصيل والإجمال لأنّ فيه ذكراً لمن يتذكّر، وموعظةً لمن يتعظ، وعبرة لمن يعتبر، فيكون بهذا من المؤمنين المتقين، فكان له بهذا حسن مآب لا رأته عين ولا سمعته اذن... ففي تنكير «مآب» تفخيم. **وفي قوله تعالى:** «وإن للمتقين...» من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم ما لا يخفى على أهل البيان.

٥٠ ـ (جنات عدن مفتّحة لهم الأبواب)

بيان لحسن مآب وتقرير لكمّها وكيفها ـ أي جنات عدن ـ وكون أبوابها «مفتحة» للمتقين كناية عن أنهم غير ممنوعين عن شيئ من النعم الموجودة فيها، فانّها مهيّأة لهم مخلوقة لأجلهم، وفي ذلك ايمآء إلى وصفها بالسعة وقرّة العيون فيها، ومشاهدة أحوالها التي تسرّ الناظرين، إذ فيها ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيجد المتقون جنات خلود وقد فتحت أبوابها لهم يدخلونها من أيّ باب شآؤا دون أن يحجبهم عنها حاجب ولم يقل: مفتوحة لأنّ أبواب الجنة تفتح للمتقين بالأمر لا بالمسّ أي يقال لها: انفتحى فتفتح وانغلقى فتغلق.

٥١ ـ (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)

كناية عن إستراحة المتقين في «جنات عدن» والراحة من السعي ورآء المطالب المعيشيّة... و«يدعون فيها...» مستأنف بياني سيق لبيان حالهم المتقين فيها وما يتنعّمون من نعيمها وأمنهم فيها، فهم لا يعملون عملاً في سبيل ما يريدون... بل إن كل شئ حاضرين أيديهم، وما عليهم إلّا أن يطلبوا فيجدوا ما طلبوا حاضراً فيأكلون ما يشآؤون ويشربون

ما يشتهون... وفي تخصيص الفاكهة والشراب بالذكر إشعار بأنّ مطاعمهم فيها لمحض التفكّه والتلذّذ دون التغذّي لأنّه ربّما يكون لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلّل فيها.

٥٢ ـ (وعندهم قاصرات الطّرف أتراب)

بيان لوصف أزواج المتّقين في «جنات عدن» أي لهم قرينات في السّنّ والفتوّة والجمال...

٥٣ ـ (هذا ما توعدون ليوم الحساب)

خطاب «للمتقين» وفي الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب لإظهار القرب منهم و الاشراف عليهم ليكمل نعمهم الصورية بهذه النعمة المعنوية أي هذه النعم الظاهرة الاخروية في جنات عدن من المساكن والمآكل والمشارب على أنواعها وأشكالها... وتلك الأزواج الجميلات العفيفات، الرفيقات الملازمات الوفيّات... كلها ما وعدناكم به أيّها المتقون، فتلقون كلها يوم الحساب والجزآء.

٥٤ ـ (إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد)

إخبار مؤكّد من الله جلّ وعلا للمتقين بأنّ هذا النعيم الخالد، هذا العطآء الكريم، وتلك الكرامة التي ذكرناها لكم آنفاً كلها دائم لا يزول، ومستمرّ لا ينقطع، فلا تحزنوا إن تلك النعم تدوم عليكم بلا امد لها، ولا ينقص منها على كثرة الواردين عليها، فتمام النعمة بدوامها... فالآية من تمام الخطاب الذي في الآية السابقة على ما يعطيه.

ولا يخفى على الاريب البياني أن الآيات الست: (٤٩-٥٤) بشرى بما للمتقين في الدّار الآخرة من حسن المنزل والنعيم والفواكه والأشربة الّتي لا تنفد، والنسآء الخفرات... ومع ما احتوته من حقيقة نعيم الآخرة فانّها تستهدف تطمين المتّقين وإثارة الرغبات فيما عند الله تعالى بالايمان والتقوى وصالح الأعمال... والدعوة إلى التأسيّ بعباده المخلصين الشاكرين الصابرين في كل حالاتهم...

٥٥ ـ (هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآب)

«هذا» في المقام للاقتضاب ـ أي الاقتطاع والارتجال ـ الذي يقرب من التخلّص لأنّ الآية السابقة كانت بصدد بيان حال المتقين، فتوسّط «هذا» بينه و بين ما بعده وهو بيّن حال

العصاة، فـ «هذا» إشارة إلى المتقين وأحوالهم في الجنّة أي هذا شأن، وشأن آخر هو شأن الطاغين، فلهم شرّ مآب وسوء منقلب... وهذا هو الوجه المقابل لأصحاب الجنّة.

قوله تعالى: «وإن للطاغين...» مستأنف بياني سيق لتقرير أضداد الفريق السابق، وهو ضدّ مآب المتقين، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم ـ كالسابق ـ ما لا يخفى على الأريب البياني، بأنّ الطغيان هو سبب شر مآب... وقد كافح القرآن الكريم الطغاة ونعتهم بأقبح الصفات وتوعّدهم بأقسى العقوبات...

وإن الآيات العشرة: (٥٥ـ٦٤) إستطرادية إلى ذكر مآل أمر الطاغين بالمقابلة لمآل أمر المتقين على ما جرى عليه النظم القرآني، وهي بذلك متصلة بالسياق على ما هو المتبادر، والوصف فيها قويّ رهيب، وقد استهدفت فيما استهدفته إثارة الرعب في قلوب الطغاة الجاحدين وقلوب البغاة الغاوين ليرعووا، والرغبة في قلوب أهل التقوى واليقين، وهي على هذا مستمرّة المتلقين، والوصف مستمدّ من مشاهد الحياة للتقريب والتمثيل والتأثير.. فلا تغفل.

٥٦ـ(جهنّم يصلونها فبئس المهاد)

تقرير لشرّ مآب الطاغين وأحوالهم فيه، وهذا عذاب سيلقونه في جهنّم التي هى المهاد الذي يجدون فيه متكأهم وراحتهم، إنّ لهم في دارهم هذه مهاداً ومتكأ كما أنّ للمتقين في دارهم مهاداً ومتكأ، ولكن شتّان ما بين راحة وراحة! ما بين مهاد ومهاد! ما بين متكأ ومتكأ! وشتّان ما بين حسن مآب وشر مآب!!! «المهاد» مستعار من فراش النائم، والمخصوص بالذّم محذوف لدلالة الكلام عليه أي بئس المهاد لهم جهنم لقوله تعالى: «لهم من جهنّم مهاد» الأعراف: ٤١).

وفي التّبيان: قال: «وإنما وصف جهنّم بأنها مهاد لما كانت عوضاً لهم عن المهاد فسمّيت باسمه كما قال: «فبشّرهم بعذاب أليم» آل عمران: ٢١).

٥٧ـ(هذا فليذوقوه حميم وغسّاق)

أمر تهكم وسخرية وإكراه على ذوق هذا العذاب، وهذا هو مقابل لقوله تعالى في المتقين: «يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» فأهل الجنّة يجدون ما يشتهونه حاضراً، وأمّا

أهل النار فيكرهون على طعم ثمار جهنم و يُسقون من شرابها لما طعم أهل الجنّة من أنواع فواكهها وشربوا من شرابها، وانّ أهل جهنم إذا لم يطلبوا طعاماً ولا شراباً، فهذا طعام وشراب حاضرين بين أيديهم: هذا حميم وغسّاق فليذوقوه!

قوله تعالى: «حميم وغسّاق» بيان لأنواع ما يذوقونه فلهم فيها مآء حارّ يشوي الوجوه لحرارته، ومآء بارد لا يستطاع شربه وإذا شرب تقبّض باطنه لبرودته! إن الله تعالى أمرهم بذواق الحميم والغسّاق لأنّ الذواق إبتدآء إدراك الطعم على طلبه بالفم، ولذلك يقال: ذقته فلم أجد له طعماً لما فيه من طلب إدراك الطعم بالفم، ومن طلب إدراك الشّيْ كان أشدّ إحساساً به.

٥٨ـ(وآخر من شكله أزواج)

تهديد شديد، ومبالغة في الوعيد، وإذا كان لأهل الجنة: «قاصرات الصرف أتراب» كان لأهل النار أزواج من شكل هذا الحميم والغسّاق، فعندهم إلى جانب هذا الطعام والشراب من الحميم والغسّاق أزواج مشكّلة على شاكلة هذا الحميم والغسّاق!

٥٩ـ(هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنّهم صالوا النّار)

حكاية عمّا يقال للرؤسآء الطاغين والزعمآء الباغين حين دخولهم النار، و يدخل عقيبهم فوج تبعهم في الكفر والضلال وفي البغى والطغيان... خطاب يخاطب به خزنة جهنم هؤلآء الطاغين، يشار به إلى التابعين السفلة الذين يدخلون النّار إثر المتبوعين فوجاً... وذلك ان الزعمآء الطاغين يدخلون النّار قبل أتباعهم فاذا أخذوا أماكنهم فيها دُفِع إليهم «فوج» أي فريق من أتباعهم يقتحمون على رؤسآئهم مكانهم الضيق الّذي هم فيه ليأخذوا لهم مكاناً.

إنّ أهل الجنّة يدخل عليهم الملائكة من كلّ باب، يؤنسونهم و يحيونهم قآئلين: «سلام عليكم» وإنّ الطاغين يدخلون النّار حين يعاتبهم خزنتها و يلاومونهم...

«لا مرحباً بهم» جواب الزعمآء الطاغين لمن يخاطبهم بقوله: «هذا فوج مقتحم بكم» ودعآء سوء من الزعمآء على أتباعهم... كلامهم في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجّراً من مقارنتهم وتنفر من مصاحبتهم، وفيه اخبار من الله تعالى

بانقطاع المودة بين الطغاة وأتباعهم وانّ المودة الّتي كانت بينهم ظاهراً تصير عداوة شديدة.
و «انّهم صالوا النّار» تعليل من ناحية القآئلين: «لا مرحباً بهم».

٦٠ ـ(قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار)

مستأنف، جواباً ورداً عن سؤال مقدّر أي قال الأتباع السّفلة عند سماعهم ما قاله الرؤسآء الفجرة في حقّهم: «لا مرحباً بهم» موجّهين خطابهم للرّؤسآء: «بل أنتم لا مرحباً بكم» «ولا كرامة لكم... بل أنتم أحق بما قلتم لنا. «أنتم قدّمتموه لنا» تعليل لقولهم: «بل أنتم لا مرحباً بكم» أي أنتم الّذين دفعتم بنا إلى هذا المصير المشئوم، تعليل لأحقيتهم بذلك أي أنتم قدّمتم هذا العذاب الشديد أو الصلى لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدّي إليه من العقائد الفاسدة والأعمال السيّئة وتزيينها في أعيننا وإغرآئنا عليها فلم نبا شرها من تلقآء أنفسنا.

«فبئس القرار» بئس المقرّ جهنم استقرّت بنا و بكم، قصدوا بذمّ جهنّم تغليظ جناية الرؤسآء عليهم.

٦١ ـ(قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النّار)

مقالة اخرى للأتباع الجهلة ذمّاً لرؤسآئهم الفجرة، ودعآءً على زعمآئهم الطاغية، وإعراضاً من التّابعين عن المتبوعين من خصومتهم، متضرّعين إلى الله تعالى فالأتباع عند هذا المكان الضيّق في النّار لا يقفون مع زعمآئهم، بل يدعون الله تعالى عليهم أن يقتصّ لهم منهم، وأن يضاعف لهم العذاب، إذ كانوا هم الّذين زيّنوا لهم الضلال الذي أوردهم هذا المورد، وهذا المكان من النّار.

٦٢ ـ(وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار)

بيان لمقالة أهل النّار بعد استقرارهم فيها من الأتباع الجهلة والزعمآء الفجرة... ومرادهم بالرجال الّذين كانوا يعدّونهم في الحياة الدّنيا من الأشرار هم المؤمنون المتقون الّذين هم يومئذ في الجنة يتنعّمون بأنواع نعيمها، فيطلبهم أهل النّار فلا يجدونهم فيها، فيقولون عندئذ ما يقولون... فهم في هذا التلاحي والتخاصم، في هذا العتاب والتلاوم، في هذا التقاول والمجاراة، وفي هذا التلاعن وتحميل كلّ فريق من الزعمآء الباغية والأتباع السفلة، مسئوليّة المصير السّيئ الذي صار إليه على الفريق الآخر، ينظرون في وجوه مَن حولهم من أهل

النّار، باحثين عن اناس كانوا يعرفونهم في الدّنيا، و يرونهم أهل سوء، وأنّهم أولى بالنار منهم...

٦٣ـ(أتّخذنا هم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار)

مستأنف بياني مسوق لتقرير مقالة اخرى من أهل النّار على سبيل التعجّب والتوبيخ لأنفسهم، وذلك أنهم لـمّا بحثوا عن أُناس كانوا يعدّونهم من الاشرار، فلم يجدوهم معهم في النّار قالوا ـ سآئلين عن السبب في عدم رؤيتهم إيّاهم ـ: أأتخذنا هم سخرياً وكنّا على خطأ في استهزائنا بهم، وسخريتنا منهم في الدّنيا، فهم كانوا ناجين لأنّهم مفقودون هنا؟ أم أنّنا كنّا على صواب في سخريتنا واستهزائنا، وانّهم على ما كنّا نقدّر، فهم موجودون معنا في النّار ولكن أبصارنا زاغت عنهم؟ لا ندري!

وفي هذا إنكار على أنفسهم وتأنيب لها على استسخارهم منهم في الدّنيا في «أم» وجهان: **أحدهما ـ** متّصلة والمعنى: ان الامرين فعلنا بهم: الإستسخار منهم أم الإزدرآء بهم وتحقيرهم، وان أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار كلّ واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لها. **ثانيهما ـ** منقطعة والمعنى أتخذنا هم سخرياً بل أزاغت عنهم أبصارنا. كقولك: «أزيد عندك أم عمرو؟» على معنى توبيخ أنفسهم على الإستسخار ثمّ الإضراب والإنتقال منه إلى التوبيخ على الإزدرآء والتّحقير.

٦٤ـ(إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النّار)

إشارة إلى ما حكى من تخاصم أهل النار وتلاعنهم من الأتباع الجهلة والزّعمآء الفجرة تأكيداً لوقوعه بالقَسَم لا محالة. والمعنى: انّي أُقسم أيّها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم أن هذا الّذي حدّثناك عنه، من التّخاصم والتّلاعن والتّلاحي والتّشاجر بين أهل النّار، وتساؤلهم عن الأخيار هو حقّ واقع لا ريب فيه، وهو ظهور ما استقرّ في نفوسهم في الدّنيا من ملكة التنازع والتشاجر في الحق، وظهور ما في كمون الانسان من التساؤل عن أهل الحقّ يوماً ما، فمن كذّب فلينتظر وسيرى.

قوله تعالى: «تخاصم أهل النّار» خبر مبتداء محذوف، والجملة بيان لـ «ذلك» وفي الإبهام أوّلاً والتّبيين ثانياً مزيد تقرير له.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتأمل أن في الآيات الستّ الأخيرة: (٥٩-٦٤) من الآيات العشرة إستطراداً آخر إلى ما ذكر ما يكون بين البغاة الظالمين، والطغاة المجرمين في النّار من حوار وتلاعن، من تشاتم وتخاصم، ومن عتاب وتلاوم، وتحميل كلّ فريق مسئوليّة المصير السّيّئ الّذي صار إليه على الفرق الآخر، وقد انتهت الحكاية بتقرير ربّاني بأنّ هذا الجدل والخصام بين أهل النّار واقع حقاً لا مرية فيه، واستهدفت هذه الحكاية تقريع الطاغين وإنذارهم...

وان الآيتين: (٦٢-٦٣) احتوتا حكاية ما يكون من تساؤل أهل النار عمّن كانوا يظنونهم أشراراً أو سقط متاع، ويعنون بهم على ما تلهمه الآيات الكريمة والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين الّذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين عليهم السّلام كعمار بن ياسر و بلال وصهيب وسلمان الفارسي وأمثالهم على ما ورد عن طريق العامة سيأتي ذكره إن شآء الله تعالى.

ويقول هؤلآء الطاغون: إنهم كانوا يستخدمون هؤلآء المؤمنين المتقين ويسخرونهم في حاجاتهم أو يتخذونهم هزؤاً، وينطوي في هذا تقريع لاذع يسمعه هؤلآء الطغاة الفسقة والبغاة الفجرة وخاصّة رؤسائهم الباغين، فالذين يسئلون عنهم كانوا من المتقين، وقد صاروا إلى أحسن منازل النعيم والتكريم.

وانّ كلمة الطاغين الّتي وصف بها أهل النار في مطلع الفصل الاستطرادي: «وإن للطاغين لشرّمآب» ص: ٥٥) جآئت لتشير إلى رؤسآئهم وقادتهم الباغية، وخاصة الذين كانوا بالإضافة إلى طغيانهم وظلمهم، إلى بغيهم وضلالتهم، إلى إنحرافهم وإغوآئهم، وإلى مكابرتهم ومنا وأتهم... يستكبرون على المؤمنين ويهزؤن بهم وينالونهم بالأذى والعدوان...

٦٥-(قل إنّما أنا منذر وما من إله إلاّ الله الواحد القهّار)

خطاب ربّاني للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بايذان النّاس بأنّه ليس إلاّ نذيراً يحذّر النّاس من شرّ المصير إذا انحرفوا وتمسّكوا بالضلال، وينبّههم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم هداهم وكمالهم، وصلاحهم وفلاحهم، ويدعوهم إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

وقوله تعالى: «إنما أنا منذر» يفيد القصر في كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم منذراً، ونفى سآئر الأغراض الّتي ربّما تتلبّس به الدّعوة بين النّاس من طلب مال أوجاه وما إليهما من حطام الدّنيا كما أشار إليه في قوله تعالى: «قل ما اسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» ص: ٨٦)

وقوله تعالى: «وما من إله إلّا الله» نفى لكلّ إله غير الله تعالى، وقوله: «الواحد القهّار» يدلّ على توحّده جلّ وعلا في وجوده وقهره على كلّ شيئ، وذلك أنّه عزّوجلّ واحد لا يماثله شيئ في وجوده ولا تناهى كماله الّذي هو عين وجوده الواجب، فهو الغنىّ بذاته وعلى الإطلاق، وغيره فقير على الإطلاق يحتاج إليه تعالى من كل جهة، ليس له من الوجود وآثار الوجود إلّا ما أنعم وأفاض، فهو عزّوجلّ القاهر لكل شيئ على ما يريده، وكلّ شيئ مقهور له، مطيع له فيما أراد، وخاضع له فيما شآء.

وفي صفة «القهار» دلالة على القهر الذي يقصم ظهور الطغاة الجبابرة، و يذلّ البغاة الفجرة، وفيه رهبة وتخويف لهم في كلّ ظرف.

٦٦-(ربّ السّموات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار)

بيان لقوله تعالى: «الواحد القهّار» أي الاله الواحد الذي يقهر كلّ شيئ لا شريك له في الوجود والايجاد، ولا في التّدبير والعبادة هو ربّ السموات... فانّ وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل على وجود الصانع الحكيم، وسعة علمه وكمال قدرته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود، حيث إنّ ربوبيته عامة لكل شيئ، وفي ذكر عنوان الربوبية إشعار بمدار الجزاء المذكور: «وإنّ للمتقين لحسن مآب... وإنّ للطاغين لشرّ مآب...» (٤٩-٦٤) وفي عنوان «القهار» بعد الوحدانية وفي عنواني: «العزيز الغفار» بعد التربية لاقتضاء الوحدانية والتربية الجزآء بما كسب.

وفي الآيتين الكريمتين من تقديم الوعد على الوعيد والخوف على الرجاء ما لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر.

٦٧-(قل هو نبأ عظيم)

هتاف آخر بالناس وتنبيههم إلى خطورة مهمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودعوته،

وتوعّدهم على مخالفته وترك العمل به ليرعووا عن غيّهم و يثوبوا إلى رشدهم... وتكرير الأمر بالقول: «قل» ايذان بأنّ المقول أمر جليل له شأن خطير لا بدّ من الإعتناء به أمراً وائتماراً.

والمعنى: قل أيّها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم للنّاس في كلّ ظرف ولهؤلاء الطاغين: إنّ ما أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً، ومن أنّ الله تعالى واحد لا شريك له، هذا خبر عظيم الفائدة لمن آمن واتقى فانّه ينقذكم ممّا أنتم فيه من الكفر والضلال، من البغي والفساد، ومن العداوة والطغيان...

٦٨ ـ (أنتم عنه معرضون)

خطاب تحقير وتوبيخ لكلّ مَن أعرض عن القرآن الكريم ولا يعمل به، ومن يستخف به ولا يعطيه أُذُناً مصغياً ولا يفتح له قلباً واعياً، مسلماً كان أم كافراً.

مستأنف ناعٍ عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنّهم لا يقدرون قدرة الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وجلالة قدره، وكونه موجباً للاقبال الكلّي عليه، وتلقّيه بحسن القبول، وإشارة إلى أنّ النّاس مع كونهم مارّين على منزل التّوحيد والهدى بحسب الطبع والفطرة، معرضون عنه بحسب الكسب والإرادة لآفة ومرض قد طرئت عليها ومنعت عن ظهورها كالسحاب التي تمنع عن نور الشمس وإضآئتها، وفيه تنبيه إلى ما هم فيه من الخطأ وشدّ خطلهم بالإعراض عن فطرة التوحيد علّهم يرجعون عن غيّهم.

٦٩ ـ (ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون)

مستأنف بياني سيق لتحقيق أنّه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التّفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة، فانّ ذلك حجّة بيّنة دالّة على أنّ ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سآئر أنبآئه أيضاً كذلك، فلا يكون له علم بما في الملإ الأعلى وما يكون بين يدي الله تعالى من جدل ومحاورات وخصومات... فان الإطلاع على كلام الملائكة وتقاولهم لا يحصل إلاّ بالوحي، فهذا النبأ العظيم الّذي حدّثتكم به ليس من عندي، وإنما هو من عند الله جلّ وعلا، ولكنكم لا تصدقون أنّي رسول الله، وأنّي أتلقّى ما يوحى به إليّ من آياته وكلماته... وفي الآية دلالة على رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفي لفظ الإختصام وايثار المضارع: «يختصمون» إشارة إلى الخصومة الّتي كانت بين الملائكة وابليس قبل أن يخلق آدم عليه السّلام واستمرارها بعده وإشارة إلى تطاول هذا اللعين وإلى موقفه من ربه موقف جدل وإختصام.

٧٠-(إن يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين)

مستأنف بيانيّ مسوق لتقرير ما هو مدار الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على طريق الحصر وتأكيد لقوله تعالى: «قل إنّما أنا منذر» ص: ٦٥) وبمنزلة التّعليل لقوله عزّوجلّ: «ما كان لي من علم بالملإ الأعلى...» وإعتراض وسط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريراً لثبوت علمه صلى الله عليه وآله وسلّم وتعييناً لسببه. والمعنى: انّي لم أكن أعلم ذلك لأن علمي ليس من تلقآء نفسي، وإنما هو بالوحي، ولا يُوحىٰ إليّ إلاّ ما يتعلّق بالإنذار فإنّي نذير كامل في باب التّبليغ والإرشاد.

ولا يخفى على الأريب البياني أنّ الآيات الست: (٦٥-٧٠) جآئت معقّبة على الآيات السابقة وهي والحال هذه متصلة بالسّياق، إذ جآئت على أثر بيان مصآئر المتّقين والطاغين داعية منذرة، مبيّنة لمهمة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وخطورتها العظيمة، وفيها صورة قوية للمقصد الرّباني في إرسال الرسل عليهم صلوات الله وفيها تنديد قوي لا ولى الّذين يعرضون عمّا يدعون إليه من توحيد الله جلّ وعلا والخضوع له، ونبذ كلّ شريك معه، وفيها توكيد لما تكرّر في القرآن الكريم من أنّ مهمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هي الإنذار والدعوة وتبليغ ما يوحى إليه.

وفي ذلك إشعار بأنّ للنّاس عقولاً وقابليات وقوى إختيارية، لا يحتاجو' معها في واقع الأمر إلّا إلى الدعوة والتّبليغ والإنذار والتّنبيه والتوضيح والتّحديد فان لم يستجيبوا بعد ذلك فلا يبقى على الله تعالى للنّاس حجة بعد الرّسل الّذين انيط بهم ذلك، على اعتبار أن العقل مهما بلغ يظلّ عاجزاً عن الوصول إلى معرفة كل واجب وتبين كل حدّ من واجبات الله تعالى وحدوده، و يظلّ هناك بعض الغوامض فيما يجب وما لا يجب، وفيما يجوز وما لا يجوز.

وأنّ الآيات الكريمة بعد تنطوي على صورة رآئعة نافذة لخلوص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإستغراقه في الله جلّ وعلا و وحيه وعمق ايمانه وشعوره بصدق رسالته، ونزول وحى الله

تعالى عليه وإعلان ما أمره الله عزّوجلّ باعلانه من ذلك، فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٧١ـ(إذقال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين)

شروع في تفصيل ما أجمل من الإختصام الّذي هوما جرى بينهم من التقاول: «إذ يختصمون» في الملإ الأعلى... ومن البيّن عدم ملابسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بشيئ من مبادئ الأنبآء المعهودة تعيّن أنه ليس إلّا بطريق الوحي حتماً، والتعرض لعنوان الربوبيّة: «ربّك» مع الإضافة إلى ضمير رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم لتشريفه، والايذان بأنّ وحي هذا النبأ إليه صلى الله عليه وآله وسلّم تربية وتأييد له صلى الله عليه وآله وسلّم والكاف وارد بإعتبار حال الآمر لكونه أدلّ على كونه وحياً منزلاً من عنده تعالى دون حال المأمور وإلّا لقيل: «ربّي» لأنّه داخل في حيّز الأمر.

قوله تعالى: «إنّي خالق» فيما سيأتي، وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه عزّوجلّ فاعل له البتّة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه. وذلك أنّ الله تعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم أنه سيخلق بشراً فلمّا خلقه أمرهم بالسجود له.

واعلم أنّ الآية الكريمة وما يليها من أربع عشرة آية تحتوي قصّه آدم عليه السّلام وسجود الملائكة له بأمر الله جلّ وعلا وتمرّد ابليس على هذا الأمر الرّبانى، وما كان من حوار بينه و بين الله عزّوجلّ، وان الآيات الكريمة لم تذكر إسم آدم عليه السّلام بصراحة ولكن قصّته في سور اخرى تحتويه فمنها قوله سبحانه: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا الآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى واستكبر» البقره: ٣٤)

وقد وردت قصّة آدم عليه السّلام وابليس في القرآن الكريم سبع مرّات لعلل وحكمٍ كثيرة:

منها: بقصد العظة والإعتبار وضرب المثل، والإشارة إلى ما في عصيان الله تعالى والتمرّد على أوامره من جريمة منكرة، وإلى أنّ الّذين يتمرّدون على الله عزّوجلّ ودعوته إنّما هم تبع لإبليس، ثم إلى ما في مسارعة الملائكة إلى تنفيذ أمر الله تعالى والخضوع له من المثل الحسن الّذي يتضمّن تقرير كون الذين يستجيبون إلى الله جلّ وعلا ودعوته هم سآئرون في الطّريق القويم الّذي سار فيه الملائكة.

ومنها: أنّ القصّة تستهدف تسلية النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين، فالّذين

لا يستجيبون إلى الدّعوة هم ذو والنيّات الخبيثة والقلوب المريضة المتكبرون المتعالون الّذين يجد فيهم ابليس مجالاً للوسوسة والإغوآء... ومصيرهم جميعاً إلى النّار، وأن طريق ابليس مسدود بالنّسبة لذوي النيّات الحسنة والقلوب السّليمة والرغبة الصادقة في الحق والهدى، الّذين يستجيبون إلى دعوة الله عزّوجلّ و يلتفون حول نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم وفي جملة «إلّا عبادك منهم المخلصين» من حكاية كلام ابليس تأييد لذلك.

وفي كلّ هذا تلقينات جليلة مستمرّة المدى من حيث التّبكيت بالمنحرفين وقرنهم بإبليس والتّنويه بالصّالحين المخلصين وقرنهم بالملائكة.

ومنها: أنّ القصّة تستهدف أمرين مهمّين بالنّسبة إلى عقآئد العرب في الملائكة:

أوّلهماـ توجيه العرب الّذين للملائكة في أذهانهم صورة فخمة إلى الإحتذآء بهم في إطاعة أمر الله تعالى واستجابة دعوته.

ثانيهماـ تفهيم العرب أنّ الملائكة الّذين يشركونهم مع الله سبحانه ليسوا إلّا عبيداً له تعالى يسجدون لمن خلقه من طين إستغراقاً في الخضوع له، وأنّ من كان هذا شأنه لا يجوز اتخاذه ربّاً أو شريكاً لله سبحانه، واعتقاد القدرة فيه على النفع والضّرّ والمنح والمنع. وهذا التوجيه يؤدّي إلى التساؤل عما إذا كان العرب يعرفون ما يرمز إليه تعبير إبليس الذي هو كلمة عربية فصحى، وعما إذا كانوا يعرفون كذلك قصّة آدم والملائكة وإبليس لأن إستحكام الحجّة عليهم والتأثر بالعظة والإعتبار منوطان بذلك وغيرها من الحكم والعلل حسب اختلاف الاسلوب اقتضآء السّياق أوردنا ها في قصّة آدم عليه السّلام تفصيلاً فراجع.

٧٢ـ (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

تنبيه على تكميل الإنسان بنفخ الروح فيه، وتسوية الإنسان هي تعديل أعضآئه بتركيب بعضها على بعض، وتتميمها صورة إنسان تام، ونفخ الروح فيه جعله ذا نفس حيّة إنسانية أي جعلت فيه الرّوح من غير سبب ولا واسطة. وإضافة الرّوح إلى الله تعالى إضافة تشريف وتكريم لآدم عليه السّلام وللملك كما تقول: بيت الله أي الرّوح الّذي أملكه ولا يملكه غيري، وايضاً الرّوح جوهر شريف قدسي يحيى به الإنسان

بنفوذه فيه.

وقوله تعالى: «فقعوا له ساجدين» أمر من الوقوع، متفرّع على التّسوية والنفخ أي لمّا سوّيت خلق آدم وأتممت أعضآئه وأكملت صورته وأعدلت سيرته أمرت الملائكة بالسّجود عليه إجلالاً وإعظاماً له، فامتثل الملائكة كلهم بلافصل، فسجدوا إمتثالاً لأمر الله وتكرمة وتبجيلاً لآدم عليه السّلام سوى إبليس أبى واستكبر.

إن السّجود لا يجوز لغير الله تعالى على وجه العبادة، وأما على وجه التكرمة والتّبجيل والتّحيّة فلا يأباه العقل والشرع إلّا أن يكون فيه مفسدة فينهاه الله تعالى عنه.

٧٣- (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)

أكّد بتأكيدين مبالغةً في التّعميم في السّجود، وتنبيهاً على سجود الملائكة كلهم له من غير استثنآء.

٧٤- (إلّا إبليس استكبرو كان من الكافرين)

إستثناء متّصل لما أنّه كان جنّياً مفرداً مغموراً بالوف من الملائكة، موصوفاً بصفاتهم فغلبوا عليه، ثمّ استثنى إستثنآء واحد منهم، فقوله تعالى: «استكبر» مبيّن لكيفيّة ترك السّجود المفهوم من الإستثنآء، فان تركه يحتمل أن يكون للتأمّل والتّروي، فبيّن أنّه كان بابآءٍ واستكبار، فصار من الكافرين بسبب إستكباره عن أمر الله واستنكافه عن المطاوعة. ومن المحتمل أن يكون من الملائكة جنس يتوالدون، وهو منهم. أو الإستثنآء منقطع، فيجوز إتصاله بما قبله أي ولكن إبليس استكبر.

٧٥- (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين)

سؤال توبيخ وعتاب لإبليس، وسؤال تقرير وتعريف للملائكة وللنّاس في كلّ ظرف أنه لاعذر له في الإمتناع عن السجود ولا الإستنكاف عن إمتثال أمر الله تعالى وإنّما قال: «بيديّ» على وجه تخصيص الإضافة لخلقه إليه تعالى. يقال: هذا ما كسبت يداه وهذا فعله بيده كما يقال: فعله بنفسه. وهذا تشريف وتكريم لآدم عليه السّلام فإنّ كلّ مخلوق حتى إبليس: «خلقتني من نار» تولّى الله جلّ وعلا خلقه.

وفي التثنية أشدّ مبالغة، وايمآء إلى نهاية الحكمة والتدبير، والاهتمام التام

بخلقه وصنعه، فان الإنسان إنّما يستعمل اليدين فيما يهتمّ به من العمل.

وقوله تعالى: «أستكبرت» بهمزة الإنكار وحذف همزة الوصل أي أتكبّرت الآن عن السجود من غير إستحقاق؟ أم كنت قبل الآن ممّن علا واختار التفوّق والترفّع عن طاعة الله تعالى، فتكون من زمرة المتكبّرين؟

٧٦ـ (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

تقرير لما خاصم إبليس ربّه، وما ادّعى أنّه خير من آدم، وما أجاب عنه أنّه كان من العالين، وكأنّه قال: حتّى لو كنت مساوياً لآدم في الشرف والفضل لقبح السجود له للزوم التّرجيح بلا مرجّح، فكيف يكون الحال إذا كنت خيراً منه.

إدّعاء من إبليس لشئ مستلزم لمنعه من السّجود على زعمه، وإشعار بأنه يدّعى الفضل على آدم، ولا يليق أن يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله تعالى حكاية عنه: «لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماٍء مسنون» الحجر: ٣٣)

قوله: «خلقتني من نار وخلقته من طين» تعليل لما ادّعاه، وتقرير لفضله على آدم بأنّ النّار اشرف من الطين وأفضل منه، لمافى النّار من النور، ولما يكون بها من الانضاح لأكثر ما يحتاج إليه، ومن الاحراق الذي يقع به الزجر من العقاب، ففضلي عليه بشرف عنصري الذي خلقت منه ألا ترى أنّ النار تغلب الطين وتحرقه؟

وبهذا دخلت عليه الشبهة، وظنّ أنه أفضل منه من حيث كان أصله أفضل من أصل آدم، **وكيف يجوز أن يفضل آدم عليه السّلام عليه، وهذا يدل على أن السجود لآدم كان** على وجه التفضيل له على جميع من امر بالسجود له، وإلّا لم يكن يمتنع من ذلك، فرآى دليل امتناعه عن السجدة لآدم، فضله عليه، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، فضلاً عن سجدة الفاضل للمفضول! وقد كان ابليس يرى الله جلّ وعلا حكيماً في خلقه وعدلاً في حكمه، وأنّ سجدة الفاضل للمفضول ممّا ينافي الحكمة والعدل الإلهي،فكأن إبليس رأى الله سبحانه خاطئاً في حكمته وظالماً في عدله!

إنّ إبليس أوّل مَن قاس وأخطأ فصار لعيناً مطروداً، انه غلط في ادّعآئه، وخطأ بأنه لم يكن فاضلاً حتى يلزم ذلك،أخطأ حيث خصّ الفضل بما من جهة المادّة

والعنصر وزلّ عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى: «لما خلقت بيديّ» وما من جهة الصورة كما نبّه عليه قوله تعالى: «ونفخت فيه من روحي» وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليه السّلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواصّ ليست لغيره: «وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ـ وعلّم آدم الأسمآء كلها» البقرة: ٣٠-٣١) تنبيهاً إلى أنّ الخليفة لابد أن يكون أعلم الموجودات حتى الملائكة.

مع أن الفضل ليس بالعنصر، إنّما الفضل بما في كمون العنصر كما ان السعادة والكمال بالولاية لا بالولادة، وحتى لوكان الفضل بالعنصر لكان الطين أفضل لأنه يطفئ النّار فإنّ الإطفآء أفضل من الإحراق، ولم يعلم إبليس أن في آدم عليه السّلام كرامة عظمى لاتكون في غيره، وبهذه الكرامة اختصّ بالسّجود، وهذه الكرامة تشمل لبني آدم بطبيعة الحال: «قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ ـ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر» الاسراء: ٦٢ و٧٠).

ومن أعجب العجآئب: أنّ إبليس اللعين لايجوّز ترجيح أحد المتساويين على الآخر، ولاتقديم المفضول على الفاضل على زعمه، ولاينكر الخالقية، ولاينكر الحكمة والعدل الإلهي ولاينكر المعاد، وأما أتباعه فيقدّمون المفضول على الفاضل، بل يرجّحون الجهل المحض على العلم المحض، وينكرون الخالق: «نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدّهر» الجاثية: ٢٤).

وينكرون الحكمة الإلهية والعدل الإلهي ويجحدون المعاد والحساب والجزآء... !!! أو ليس إبليس اللعين مع إبليسيّته خير ممن ينكر الخالقية، ينكر الوحدانية، ينكر الحكمة الإلهية، ينكر العدل الإلهي وينكر المعاد؟ أو ليس هو خير ممّن يقدّم المفضول على الفاضل ويرجّح الجهل على العلم؟؟؟ وكيف صار إبليس لعيناً مطروداً لقياسه مرّة واحدة؟ ولايكون مَن قاس في الشريعة الإسلامية ملعوناً مطروداً؟!

٧٧ـ (قال فاخرج منها فإنّك رجيم)

الفآء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللّعين من المخالفة للأمر الجليل وتعليلها بالأباطيل... و«فانّك رجيم» تعليل للأمر بالخروج أي مطرود من كلّ خير وكرامة.

٧٨ـ (وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدّين)

بيان لمطروديته من كلّ خير وكرامة، وتقييد اللعنة بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى: «وإن عليك اللعنة» الحجر: ٣٥) لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضاً من جهته تعالى، وانهم يدعون عليه بلعنة الله عزّوجلّ وإبعاده من الرّحمة.

قوله تعالى: «إلى يوم الدّين » في تقييد اللّعنة من حيث الزّمان إلى يوم الجزآء ايذان بأنّ اللعنة مع غاية فظاعتها ليست جزآءً لجنايته بل هي مكافأة له في الحياة الدنيا، وأما الآخرة فله العذاب المهين واللعن الأبدي، وتعريف باصراره على الكفر والإستكبار لأنّ اللعن منقطع حينئذ ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن أو المعنى: أنّ عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيام اقترن له باللعنة من أنواع العذاب ما ينسى عنده اللعنة فكأنها إنقطعت من باب: الجرح يسكنه الذي هو ألم.

٧٩ـ (قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون)

فيه دلالة على إصراره على كفره وإستكباره إلى يوم القيامة وإلّا لتاب واستغفر ودلالة على أنّه كان يعترف بالمعاد والحساب والجزآء، وعلى أنّ الملعون أراد ألاّ يموت. والفآء متعلّقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي قال إبليس: يا ربّ! إذا جعلتني رجيماً فأنظرني في مهلتي ولا تمتني «إلى يوم يبعثون» وفيه دلالة على أن للشيطان موتاً وفناًءً. «إلى يوم يبعثون» آدم وذريته للجزآء بعد فنآئهم فأراد أن يجد فسحة لإغوآئهم ما داموا أحيآءً. وأراد أن ينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث.

٨٠ـ٨١ـ (قال فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم)

فما أُجيبب الملعون إلى ما سئله: «إلى يوم يبعثون» بل أُخِرَ إلى الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه، آخر يوم يعصى فيه الناس ربهم وهو قبل يوم البعث فأُخِّرَ إليه تهاوناً فيه وإبتلاء العباد وإختبارهم إذ لولاه لما كان اختبار وابتلاء وقد كانت

الدّنيا دار ابتلاء، فحكم إبليس حكم ما خلق من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهى وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده. وفيه دلالة على الفصل الزمنى بين موت جميع الخلائق وموت إبليس، ويوم البعث.

٨٢- (قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين)

حكاية عما أراد إبليس بالناس بعد أن أُمهلَ إلى يومِ الوقت المعلوم، والفآء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار. وفيه تعريف إبليس وبيان موقفه للناس وتحذيرهم عنه، وإتمام الحجّة عليهم، وقطع أعذارهم لوأُغُووابه.

٨٣- (إلّا عبادك منهم المخلصين)

إستثناَء من هذا الوعيد الّذي توعّد به إبليس أبنآء آدم وهو كان يعلم بأنه لا يقدر على إغوآء عباد الله الصالحين الذين اتبعوا الحقّ والهدى باختيارهم، فأحسنوا نوايا هم وأصفوا قلوبهم وأطابوا أخلاقهم وزكّوا أنفسهم، وأخلصوا دينهم وعبادتهم لله تعالى، وكان يعرف أنّ المخلصين لا يتأثّرون بوسوسته ولا سلطان له عليهم، فان الإخلاص مانع عن تأثير الوسوسة في قلوب المخلصين.

فتأثر أولئك الغاوين، وعدم تأثر هؤلآء الصّالحين إنما هو بالإختيار وحرّية الإرادة والإستجابة سلباً وايجاباً من دون اجبار ولا إكراه.

٨٤- (قال فالحقّ والحقّ أقول)

حكاية عما أجاب تعالى به إبليس، والفآء لترتيب ما بعده على ما قبله.

وقوله تعالى: «والحق أقول» جملة معترضة تشير إلى حتميّة القضآء وتردّ على إبليس اللعين ما يلوّح إليه قوله: «أنا خير منه...» من كون قوله سبحانه وهو أمر بالسّجود غير حق، وتقديم «الحق» على «أقول» وتحليته باللام لإفادة الحصر.

٨٥- (لأملئنّ جهنّم منك وممن تبعك منهم أجمعين)

تهديد ووعيد على الضالّين المنحرفين عن الفطرة الذين اتبعوا إبليس، وفي هذا استخفاف بأمر الشيطان بما معه من كيد وغواية... وبالاضافة إلى ما مع الإنسان من عقل وعزم... فمن اعطى الشّيطان زمامه واتخذه ولياً فهو من حزب الشّيطان، يضاف

إليه. ويصير إلى المصير الّذي هو صآئر إليه، وهو بهذا غير جدير بأن يكون في ضيافة الله ومن حزب الله سبحانه، فيجب على كل إنسان التروّي في الإصغآء إلى وسوسته وإغوائه وفي أساليب الغواية... فليطلب كلّ إنسان السلامة لنفسه منها والنجاة من أن يكون من أهل النّار ولا نجاة منها إلّا بالإيمان بالله تعالى والتحذّر من عدوّه الشّيطان.

٨٦ـ (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين)

مستأنف بيانى سيق لرفع وصمة الحرص عن النّبيّ المعصوم صلى الله عليه وآله وسلّم ووعداً ووعيداً على السّامعين، على طريق الخطاب من الله تعالى الذي أُمِرَ بتوجيه الكلام للسامعين في كلّ ظرف كما أُمِرَ في الآيات السابقة بتوجيه الكلام إليهم: «قل إنما أنا منذر ـ إن يوحى إليّ إلّا أنّما أنا نذير مبين » ص: ٦٥ـ ٧٠) ردّاً على ما «عجبوا أن جاءهم منذر منهم» ص: ٤).

وقد جآءت الآية الكريمة وتاليها من الآيتين الكريمتين ختاماً قوياً للسّورة تستهدف توكيد الإنذار للكفّار وتوكيد صدق الرّسالة النّبوية وايذاناً بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إنّما هو منتدب لأدآء مهمّة، وليس مندفعاً فيها بالفضول ولا متصنّعاً ولا زائداً ولا منقصاً وليس متوخياً منها أجراً ولا منفعة.

فالمعنى: قل يا أيّها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم لكلّ سامع من كفار مكة وغيرهم في كلّ ظرف: إنّ إدّعائي الرّسالة إن كان كذباً فلا يخلو أن أكون طالباً للدنيا، وإن كنت طالباً للدّنيا كان يظهر منّي بالتلويح طلب مال منكم أو طلب إعتبار، وما ظهر منّي إلى الآن شيءٌ من ذلك أو معناه: قل لهم: لا أسئلكم عليه أجراً حتّى تتهموني بالطمع في أموالكم، فتعرضوا عنّي «وما أنا من المتكلّفين» ولو كنت كاذباً لكنت متكلفاً لا محالة، أو إخبار بأنّه لا يتكلّف في شيءٍ من اموره لا في لباسه ولا في غذآئه ولا في ضيافته ولا لأضيافه وأصحابه.

وفي الآية الكريمة دلالة على غاية الإجتهاد والإجتهاد في طلب هذا الدّين وذلك إنّ النظر إمّا إلى الداعي وإما إلى المدعوّ إليه، أما الداعي فلا يسئل أجراً على ما يدعو إليه وهو القرآن الكريم، ومن البيّن أنّ الكذّاب لا ينقطع طمعه عن حطام الدّنيا

من مال أو جاه... وأمّا المدعوّ إليه فقوله عزّوجلّ: «وما أنا من المتكلفين» الذين ينتحلون ما ليس عندهم ولا دليل على وجوده، بل العقل الصريح يشهد بصحّته فانّي أدعوكم إلى التوحيد أوّلاً ثمّ إلى عدله تعالى في نظام التكوين والتّشريع والجزآء إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ثانياً ثمّ إلى النّبوة الّتي هي واسطة بين الخالق والمخلوق في طريق الخير والهدى والسعادة والكمال ثالثاً ثمّ أدعوكم إلى يوم الحساب والجزآء رابعاً ثمّ إلى امنآء الله في أرضه يقوم به الدّين وهم علّة مبقية للإسلام خامساً وهذه أصول خمسة معتبرة في دين الإسلام يشهد بحسنها ولزومه بداهة العقول السليمة، ويحكم ببعدها عن الباطل كلّ من يرجع إلى محصول وهو المراد بقوله:

٨٧- (إن هو إلاّ ذكر للعالمين)

مستأنف بياني سيق لتقرير حقيقة الوحى على طريق القصر القلب بأنّ ما يبلغه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إنّما هو تذكّر وموعظة للعالمين، وليس ممّا تقوّله هؤلآء المعاندون، ولتقرير عموم الرسالة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّها ليست لمن خاطبهم من أهل بنيته فحسب، وإنّما هي لكافّة البشر في كلّ ظرف، وان هذا الوحى لا يختصّ بقوم دون قوم حتّى يؤخذ على تلاوته مال وعلى تعليمه أجر أو يُطلب فيه جاهاً واعتباراً، بل هو للجميع في جميع الأزمان... وتقرير ذلك في هذا الموقف أنفى للفضول والتكلّف وتوخّي الأجر والنفع ...

وانّ الآية الكريمة تنطوي ردّاً قويّاً على هؤلاء المعاندين الذين نسبوا السحر والكذب إلى النبيّ المعصوم صلى الله عليه وآله وسلّم:«وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب» ص: ٤) وتنطوي ما هو الحقّ في أمر القرآن الكريم دافعاً عنه إرتيابهم فيه بما يرمون به الجائي به من السحر والكذب وغيرهما بأنّ القرآن هو وحى سماوىّ هدى للعالمين، ومنبّه ومذكّر بهم، لا يمكن أن يصدر هذا من ساحر أو كاذب أو مجنون ردّاً على هذه التهمة الفاجرة الظالمة الّتي تنطق بها أفواه هؤلاء المعاندين وأضرابهم، وتثبيتاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في موقفه وإلفاتاً له إلى ما بين يديه من آيات القرآن الذي هو ذكر للعالمين كافّة، وحياة مجددة للنّاس جيلاً بعد جيل.

وأنّه لا ذكر ولا قدر لمن فاته الإتصال بهذا الكتاب، وتلقّى عنه، وقطع مسيرة الحياة تحت رايته، وإستجهالاً أن يسحر أويكذب... مَن جآء بمثله من الآداب والحكم والسنن، واصول العلوم والفنون كلها يحتاج إليه البشر في كلّ ظرف...

٨٨- (ولتعلمنّ نبأه بعد حين)

وعيد وتهديد للمعاندين وإنذار وتحدّ للجاحدين بما يلقون من ذلّ وهوان، ومن خزى وهزيمة في الحياة الدّنيا، ويوم يكشف لهم الغطآء عمّا حجبه العناد والضلال عنهم، ويومئذ يرون أنّهم كانوا في عمى وغواية، وأن ما فاتهم لا يمكن تداركه أبداً كل ذلك ليرعووا عن غيّهم وغوايتهم وعن بغيهم وضلالتهم...

ووعد وبشرى ربّانية للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم والذين معه صلى الله عليه وآله وسلّم بحسن مصير هذه الدعوة إلى العاقبة المحمودة والنجاح التام الذي سوف يعلمون نبأه ويشهدون حقيقته وذلك ليثبت المؤمنون على ما هم فيه من الايمان وصالح الأعمال، ومن دعوة الناس إلى الحق والهدى، وإلى الخير والصلاح، من دون مبالاة من المعاندين ولا خوف من مخالفتهم ودسائسهم...

﴿الإعجاز﴾

واعلم أنّ هذه السّورة المباركة كسآئر السّور القرآنية معجزة من وجوه كثيرة لا نستطيع بذكر جميعها، ونحن على جناح الإختصار في كل باب من أبواب البحث فى هذه التفسير فنشير إلى ما يسعه المقام:

منهاـ انّ الله تعالى ذكر هذا الحرف: «ص» من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز ثمّ أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه كأنه قال جلّ وعلا: اقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان انه لكلام معجز لن يستطيع الجّن والإنس أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وإن محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما جآءكم به لصادق.

ولا يخفي على المحققين الخبرآء أنّ القرآن الكريم كلّ كلمة من كلماته، وكل آية من آياته، وكلّ سورة من سوره معجزة كنفس مجموعه لفظاً ومعنى، أما اللفظ فانّه ركّب من حروف متحاورة بين النّاس، يركّب بها الإنسان كلماته من دون فرق في أصل مادّة الحروف، ولكن الفرق أن الإنسان لا يستطيع أن يركّب بها كلمة واحدة أو جملة واحدة تنطوي معانى الكلمات العديدة أو الجملات الكثيرة، كما أن الإنسان يستطيع أن يخيط من (٣) متراً لباساً من القبآء والسّروال، ولكنّه لا يستطيع أن يحيط من (٣) سانت متراً، لباساً كذلك، وهكذا البنّاء يستطيع أن يبنى بيتاً واحداً بأقلّ ما يحتاج إليه البيت من آجر، وجصّ وطين وما إليها عادة ولكنه لا يستطيع أن يبنى بيتاً واسعاً من عشرة آجر، ومنٍّ من الجصّ ورطلٍ من المآء وما إليها...

وأمّا المعنى فإنّه يبيّن ما يحتاج إليه البشر في كلّ ظرف إلى يوم القيامة لا يأنسه ولا يألفه إنسان في زمن نزول الوحى، وهذا معنًى من معانى إعجاز القرآن الكريم، فلو كان الإنسان قادراً عليه لما كان للإعجاز معنًى مع رعاية الإستحكام والسّداد في الخياطة والبنآء... فهذه الحروف الّتي ركّب بها القرآن الكريم من صنع الله تعالى وهو جلّ وعلا موجده من الحروف الهجآء الّتي يتألف من جنسها التعبير القرآنى وهي في متناول البشر، وأما القرآن الكريم فليس في متناولهم لأنّه من عندالله وهو متضمن صنعة الله تعالى الّتي لا يملك البشر الإيتان بمثلها لا في قرآن ولا في غير القرآن الكريم.

ومنهاـ أنّ الله عزّوجلّ وعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بالنصر والغلبة على مشركي مكة في قوله تعالى: «جند ما هنا لك مهزوم من الأحزاب» ص: ١١) وقد كانوا هم المتحزّبين على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والّذين اتّبعوه حقّاً، ولكن هؤلآء الأحزاب المتحرّبون مغلوبون في الوقايع الّتي ستكون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم و بينهم وسينتصر عليهم كما حدث في بدر وغيرها من المواقع...

وهذا خبر من الله جلّ وعلا لنبيّه وهو بمكّة، ولم يكن له يومئذ جند ـ أنّه سيهزم جند المشركين فجآء تأويله يوم بدر وغيره من المواقع ـ وهذه من أعظم المعجزات وأدلّ الدلائل على نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وصدق كتابه، وأنه من عندالله عزّوجلّ لا من عند البشر.

ومنها: ماجآء في هذه السّورة من القصص على طريقى الإجمال والتفصيل حسب مقتضى الحال، لا مجال لنا البحث فيها تفصيلا.

ولا يخفي على القارئ الخبير المتدبّر أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم نقل القصص لكشف أحوال الأشخاص والتمجيد أو التّنديد بأعمالهم، من دون أن يكونوا هم مقصودين لذاتهم من حيث انهم أشخاص تاريخيون...

وذلك أنّ العمل القصصي يدور حول محورين: **أحدهما**ـ الشخصيّة أيّ تكون الشخصية هى الفلك الّذي تدور حوله الأحداث... **ثانيهما**ـ الحدث أيّ تكون

الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات... وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث معاً، فيتبادلان نقطة الإرتكاز والتجمع مرّة بعد مرّة... ويلاحظ في القصص التاريخي غلبة الشخصية على الحدث، فيكون الشخص هو محور الحركة في القصّة وهو متعلّق الأحداث الجارية فيها، ويصدق هذا أيضاً على القصص المتخيّل، إذ كان الناس دآئماً يحبّون أن يروا أنفسهم في غيرهم، وأن يشهدوا الإنسان، وكيف يواجه الأحداث الّتي يواجهونها، وكيف يكون موقفه حيا لها... وذلك أنّ النّاس لايعنيهم الحدث من حيث هو، وإنّما يعنيهم إذا كان مما يقع في حياتهم، ويتصل بوجودهم، إذ هو لا يقوم في هذا الوضع إلّا بانسان أو في إنسان ومن هنا كان أبطال القصص التاريخي أو الخيالي ـ أشخاصاً لا أحداثاً، وقلّ أن يكون بطل القصّة ظاهرة من ظاهرات الطبيعة، أو كائناً من الكائنات غير الإنسان... فإن كان شيئاً من ذلك كان منظوراً إليه دائماً من خلال الإنسان، مؤثراً أو متأثراً بهذه الظاهرة أو هذا الكائن! حتى القصص الحيواني هو حيوانات تنطق بلسان إنسان، أو اناس تلبس جلود حيوانات!

وفي القصص القرآني نرى تدبيرا عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً متوازناً وبين الشخصية والحدث... فلاتجد موقفاً من المواقف تستأثر به الشخصيّة وحدها أو الحادثة وحدها... وإنّما تلتقى الشخصية الحادثة أو الحادثة مع الشخصية فيتخلّق من إجتماعهما مضمون، هو الّذي يصبح بطل الموقف، فتكون شخصيته أبرز شخوص القصّة ويكون صوته أندى الأصوات فيها، وأقواها سلطاناً على المشاهدين أو المستمعين!

فالأشخاص في القصص القرآني ـ أيّاً كانوا ـ ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث إنهم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم والتمجيد أو التنديد بأعمالهم... وإنما يعرض القرآن مايعرض من شخصيّات كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة أو الشريرة وفي صراعها مع الخير والشرّ وفي تجاوبها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار..

أنّ الشّخصية في القصّة القرآنية إنّما ينظر إليها بهذا الإعتبار الّذي تؤدّي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانيّة في قوتها أو ضعفها، في خيرها أو شرها، في شجاعتها أو جبنها، في صبرها أو ضجرها، في إستقامتها أو انحرافها، في صلابتها أو وهنها، في هداها أو ضلالها، في رشدها أو غيّها، في حكمتها أو سفاهتها، في سعادتها أو شقآئها وفي فلاحها أو خسرانها، وفي كمالها أو انحطاطها... وما إليها مما تندرج تحته عوالم الإنسانية، وتتشعّب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضطرب الحياة!

وكذلك الشأن في الأحداث الّتي يعرضها القرآن الكريم في قصصه... إنها ليست إلّا محاك إختبار تظهر فيها معادن الرّجال، وتختبر بها مواطن القوّة والضعف فيهم، ومنازع الإحسان والسوء منهم...

والّذي نريد أن نقف عنده هنا هو: ماذا كان من داود عليه السّلام فيما ابتلى به مما لُفِتَ رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم إلى أن يذكره في مقام الصبر والصلابة في مهمته، وأن يكون له صلى الله عليه وآله وسلّم من ذكره عظة وعبرة وتذكرة...؟

تحدّت الآيات العشرة: (١٧-٢٦) من هذه السّورة عن قصّة حدثت لداود عليه السّلام وتذكر أن خصمين دخلا عليه مجلسه في صورة غير مألوفة، إذ تسوّروا عليه السّور ولم يدخلا من المدّخل الطبيعي إليه... ففزع منهما وتوقّع الشّرّ من دخولهما على تلك الصّورة الّتي يقتحمان عليه فيها مجلسه إقتحاماً من غير استئذان، وهو المَلِك ذوالبأس والسلطان الّذي تقوم على حراسته الجنود والحجّاب... فبأيّ سلطان دخل عليه هذان الخصمان؟ وكيف نفذا؟ وأين عيون الجند والحرس؟ إن في ملكه إذن لخللاً، وإن في سلطانه لثغرة يمكن أن ينفذ منها الشّرّ إليه؟؟؟!!! ولكن سرعان ما يكشف الخصمان عن شخصيتهما، فيهدئان من رَوْعه ويقولان له: «لا تخف»!! ومِمّ يخاف وهو السّلطان ذوالبأس والقوّة؟ وهل هما إلّا بعض رعاياه؟ وهل يخاف الراعي من رعيته؟ وهو حصن أمنها وموطن سكنها؟ وإذا كان ثمّة خوف فهو خوف الرّعية من سلطانها لا خوف السلطان من رعيته!!! إن في هذا الأمر إذن لشيئاً.

ويمضى الخصمان يعرضان أمرهما:

«خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سوآء الصراط»!! ويزداد داود عجباً إلى عجب من هذا الأمر الصادر من الخصمين إليه: «احكم بيننا بالحق» هكذا بالأمر! وهل يحكم بغير الحق؟ وهل يتوقعان منه غير هذا؟ وإذا كانا يتوقعان غير ذلك، فهل لهما أن يصدرا إليه هذا الأمر؟ بل هل لهما أن يجهرا بما تحدثهما به نفسهما من جهته؟ إن في الأمر لأكثر من شيئ؟... ثم لايقف أمر الخصمين عند هذا الأمر الصريح لداود عليه السّلام بأن يكون عادلاً في حكمه بينهما، بل إنّه ليحذّر منهما بألاّ يشتط في الجور، إن كان لايملك أن يعدل أو لايحسن أن يقيم ميزان العدل مستقيماً... «ولاتشطط»!!!

تلك هي مقدّمات القضيّة... وأما القضيّة فلم يرض الخصمان أن يعرضا ها إلاّ بعد أن اشترطا لنفسهما على داود عليه السّلام أن يكون عادلاً في الحكومة بينهما، وألاّ يجور في الحكم... فان قبل منهما هذا الشرط، عرضا عليه أمرهما ورضياه حكما بينهما وإلاّ كان لهما شأن آخر معه... إنّ الأمر فيما يبدو هو محاكمة لداود عليه السّلام أكثر منه إحتكاماً اليه؟ وأعجب ما في الموقف هنا: إنّ الخصمين يتفقان على هذا الأمر، ويقفان موقفاً واحداً فيه، حتّى لكأنّ كلا منهما قدوقع في نفسه ما وقع في نفس صاحبه من إتهام لداود في عدله!... والقضيّة ـ كما سترى ـ واضحة لاتحتاج إلى نظر دقيق في التعرّف على وجه الحق فيها... إذ كان الظلم فيها صارخاً، يكاد يمسك بتلابيب أحدهما... فكيف يُساغ لهذا الظالم ذلك الظلم الصارخ أن يطلب العدل، وأن يتشدّد في طلبه؟ إن في القضيّة لأشيآء وأشيآء، تخرج بها عن مألوف ما يجرى بين الناس من قضايا وما يقع من خصومات...

فما القضيّة؟

إنّها قضيّة موجزة واضحة قدجمعها القرآن الكريم في كلمات لايستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثلها فيها: «إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب»!!!

هذه هي القضيـة: اخوان في النسب أو في الإنسانية ظاهراً ـ إذ كانا ملكين ـ لأحدهما تسع وتسعون نعجة وللآخر نعجة واحدة، ولا يقنع صاحب التسع والتسعين بما في يده بل يمدّ عينه إلى أخيه صاحب النعجة الواحدة، ثم لا يزال به حتى يسلبه نعجته، ويُخلي يديه من كل شيْ حتى يصبح هو صاحب مأة، فيكمل بتلك النعجة ما يراه نقصاً في تمام العدد، وإن تسعاً وتسعين عدد ناقص، ومأة عدد كامل، فلابدّ إذن أن يكمّل هذا العدد ولو كان بحرمان صاحب النّعجة الواحدة من نعجته!

وماذا يفعل صاحب القليل بقليله هذا؟ إنه لاغنآء له فيه، وإنّه ليسدّ خللاً فيما بين يدى صاحب الكثير ويكمل نقصاً واضحاً فيه، فماذا عليه لوضاع منه هذا القليل، ليوضع في موضعه الّذي ينتظره عنه صاحب الكثير؟ هكذا قدّر صاحب الكثير، وهكذا أمضى حكمه في صاحبه! والظلم واضح صريح في هذه القضيّة، لهذا بادر داود ببيان وجه الحق فيها، على حسب ما سمع من المدّعى، فقال معلّقاً على دعواه: «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطآء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم».

إنّ الأمر ـ فيما يبدو ـ ظلم صارخ وعدوان مبين

ولم يلتفت داود عليه السّلام إلى الظالم ولم يواجهه بالحكم الذي يقتضيه الموقف، بل عاش لحظاته تلك مع هذا المظلوم يواسيه ويخفف عنه مرارة الظلم الذي تجرعه من يد أخيه، فيقول له: «وإن كثيراً من الخلطآء ليبغى بعضهم على بعضٍ إلّا الذين آمنوا وعملو الطالحات وقليل منهم» فلستَ أنتَ يا صاحبي أوّل من ظلم معاشريه ومخالطيه... فما أكثر بغى الخلطآء بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و من هؤلآء الخلطآء... وقليل هم اولئك الذين لا يظلمون!

وهنا يبحث داود عليه السّلام عن هؤلآء القليل في النّاس، ويتفرّس في وجوههم، ثم يلتفت إلى نفسه، وهل هو واحد من هؤلآء القليل؟ وهنا يطلع عليه من صفحة أعماله ما يراه غير قائم على ميزان العدل، وسرعان ما يرى نفسه طرفاً في هذا القضيّة الّتي بين يديه، وأنه يأخذ موقف المُدّعى عليه فيها، وأنّ هذا المدّعي إنّما يقيم دعواه

عليه هو لاعلى هذا الشّخص الذي جآء به إليه... إنّ هذا الشّخص ما هو إلّا المرآة الّتي يرى فيها داود عليه السّلام نفسه!

ومن إعجاز القرآن الكريم في هذا أنّه لم يضع هذا المدّعى عليه موضع إتّهام، فلم يُسئل في هذا الإدّعآء المدّعى عليه به، ولم يوجّه إليه أيّ حديث، بل كان الحديث كله بين داود عليه السّلام وبين صاحب الدعوى... إذ يقول له معلّقاً على دعواه: «لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه» وكان الموقف يقتضي أن يقول للمدّعىٰ عليه: «لقد ظلمته بسئوال نعجته إلى نعاجك» فما جوابك على هذا؟!

لم يكن شيءٌ من هذا، بل لقد ذهب الخصمان دون أن يفصل بينهما فيما اختصما فيه، ويخليان مكانهما للخصمين اللذين هما أولى منهما بهذا الموقف داود عليه السّلام وخصمه الّذي تمثّل له في خطيئته إذ حكم للمدّعي على المدّعىٰ عليه من دون سئوال عن المدّعىٰ عليه وإن كان الأمر واضحاً عنده وقد كان المدّعىٰ عليه حاضراً لماذا لم يسئله؟!

وهنا يدرك داود عليه السّلام أن هذين الخصمين إنّما هما ابتلاء من الله عزّوجلّ له ليكشفا له عن أمر كان منه، فيه مشابه كثيرة من هذه القضيّة الّتي بين يديه، فيذكر هذا الأمر ويكون له من ذكره امتحان وابتلاء حيث يلتمس السبل في تخليص نفسه مما وقع فيه، فلايجد إلّا التوبة إلى الله جلّ وعلا والاستغفار لما فعله، وهو في ذلك المقام يتقلّب على جمر من الحسرة والندم، قد كربه الكرب، واشتدّ به الجزع على ما ضرّط في جنب الله تعالى، إنه أعرف بربه وبجلاله وعظمته، بعلمه وحكمته، بقدرته وتدبيره وبالنعم السابغة الّتي أضفاها عليه، ثم هو أعرف بما لله تعالى من غيرة على حرماته كما هو أعرف بما لله عزوجل لأوليائه على صغآئرهم، وهم في هذا المقام الكريم الّذي أنزلهم فيه...

ومن هنا كان داود عليه السّلام في فتنة قاسية وابتلاء عظيم بعد أن كشفت له تلك القضية عن حال من أحواله لايرضاه عنه ربّه، فغامت نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحُبَتْ، وقد ظلّ هكذا في كرب وبلآءٍ عظيمتين، يستغفر ربّه، ويذرف دموع النّدم

إلى أن تلقى إشارة السمآء بمغفرة الله تعالى له ورضوانه عنه وإحسانه إليه!!

ومنها- ما يمكن لنا البحث علمياً في المقام قوله تعالى: «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» ص: ٤٢) وإن اختلفت الآراء حول مرض أيّوب النّبيّ عليه السّلام ولم يحدّد نوع المرض بالذّات ولكنّ المهمّ أنّه اصيب بمرض جلديّ ومعدويّ، ولننظر إلى العلاج القرآني، لقد أمره الله عزّوجلّ أن يضرب برجله الأرض، فيخرج منها سآئل بارد فيغسل به جسمه لعلاج مرضه الجلديّ، ويشرب منه لعلاج مرضه المعدويّ فقال تعالى: «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» وهي آية قصيرة موجزة، معجزة في نظمها وألفاظها، وفي مفاهيمها ومبانيها... لتضمّنها حكماً بالغة وعديدة...

منها- حكمة السّعي بطلب الدوآء والأخذ بالأسباب: «اركض برجلك» إنّ الله تعالى قادر على شفآء نبيّه أيّوب عليه السّلام وشفاء كلّ مريض، بدون أن يضرب برجله الأرض، وبدون هذا السآئل، ولكن حكمته عزّوجلّ قضت ذلك، والمعجزة حاصلة سوآءً ثمّ الشفآء بخروج هذا السائل من الأرض أم بدونه.

ومنها- أنّ الحكمة البالغة والّتي تعتبر قاعدة للعلاج المثالي للأمراض الجلدية والّتي اشارت إليها الآية الكريمة هي إشراك العلاج الموضعي مع العلاج عن الطريق العام فقوله جلّ وعلا: «مغتسل بارد» إشارة إلى العلاج الموضعي «مثل المحآليل والكريمات...» بينما قوله: «وشراب» إشارة إلى العلاج بالطريق العام.

ومنها- تأثير درجة الحرارة على الشفآء فكثير من الأمراض الجلد- تتحسن على الحرارة المنخفضة والبرودة الموضعية: «مغتسل بارد».

ومنها- شعور أيّوب النّبيّ عليه السّلام بأنّ الله تعالى معه، وأنه قادر على شفآئه وتأييده بمعجزة يجعل نفس أيّوب عليه السّلام مطمئنّة هادئة الأعصاب، ولقد ثبت تأثير الحالة النفسية في شفآء الكثير من الأمراض وخاصّة الجلدية والمعديّة.

ومن وجوه إعجاز هذه السّورة: قوله تعالى: «قل هو نبؤا عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون» ص: ٦٧- ٦٩) وفي هذا بيان أنّ

محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أخبر عن قصّة آدم وغيره وذلك لا يمكن إلّا بالوحي السماوي والتأييد الإلهي، فقد قامت المعجزة على صدقه، فما بالهم أعرضوا عن التدبّر في القرآن الكريم ليعرفوا صدقه؟

ومنها ـ قوله عزّوجلّ: «إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» ص: ٧١-٧٢).

ولا يخفي على المحقّقين الخبرآء أنّ البُعد الإنساني «الرّوح» هو البُعد الّذي جعل من الطّين الرّخيص بشراً كريماً تسجد له الملائكة المكرمون، وهو بُعد الحياة الإنسانية ـ وليس الخلوية ـ الّذي يمنحه الحق جلّ وعلا للإنسان، وهو ما يزال في بطن امّه عند ما يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح وذلك بعد (١٢٠) يوماً أي بعد أربعة أشهر وقد بيّن ذلك ما ورد عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا مما تطابقه معطيات العلم الحديث، وإن لم يصل بعد إلى كيفيّة نفخ الروح في آدم عليه السّلام الّذي خلق من طين بدون السير في الصلب والرحم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ ابن أبيطالب عليه السّلام ـ في صفة خلق آدم عليه السّلام ـ: «ثمّ جمع سبحانه من حَزْنِ الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربةً سنّها بالمآء حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ منها صورة ذات أحنآء ووصول، وأعضآء وفصول، أجمدها حتّى استمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت لوقت معدودٍ وأجل معلوم ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يُجّيلها وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها ومعرفة يفرق بها بين الحقّ والباطل...»

ومنها ـ قوله تعالى: «ولتعلمنّ نبأه بعد حين» ص:٨٨) فإنّه إلى الإنذار والتهديد والوعيد والتحدّي للجاحدين يتضمّن بشرى ربّانية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين بحسن مصير هذه الدعوة إلى العاقبة المحمودة والنّجاح التام الّذي سوف يعلمون نبأه ويشهدون حقيقته، وهذه البشرى على هذا الوجه معجزة من معجزات القرآن الكريم الّتي تحققت بكلّ قوّة وسطوع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

وكثير من السامعين، ثمّ ظلت تتحقّق إلى الآن وإلى ماشآء الله تعالى بمن انضوى إليها ومايزال ينضوي من المجموعات البشرية العظيمة المنتشرة في كلّ أطراف الدنيا على اختلاف الألوان والأجناس واللغات والمستويات والنحل والأديان...

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول تسعة امور:

أحدهاـ سورتان من سور قرآنية يشتمل كل واحد منهما على (٨٨) آية: **الاولى:** سورة «القصص» **والثانية:** سورة «ص».

ثانيهاـ خمس سور ابتدأ كلّ واحد منها بعد مفاتيحها بالقسم بالقرآن الكريم لفظاً ومعنًى: ١ـ سورة «يس والقرآن الحكيم» ٢ـ سورة «ص القرآن ذي الذكر» ٣ـ سورة الزخرف (حم والكتاب المبين») ٤ـ سورة الدخان: «حم والكتاب المبين» ٥ـ سورة «ق والقرآن المجيد».

ثالثهاـ جآء قوله تعالى: «وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون» ص: ٤) بالواو وفي سورة «ق»: ٢): «فقال الكافرون» بالفآء لأنّ إتصاله بما قبله في هذه السّورة معنوىّ، وهو أنهم عجبوا من مجيئ المنذر منهم وقالوا: هذا المنذر «ساحر كذّاب» واتصاله في سورة «ق» معنوىّ ولفظىّ، وهو أنهم عجبوا «فقال الكافرون» لأن القول هناك شيئ عجيب وهو نتيجة العجب فاتصل الكلامان لفظاً ومعنى فراعى المطابقة والعجز والصدر، وختم بما بدأ به وهو النهاية في البلاغة.

رابعهاـ جآء قوله تعالى: «أأنزل عليه الذكر من بيننا» ص: ٨) وفي سورة القمر: «أألقى الذّكر عليه من بيننا» ص: ٢٥).

وذلك انّ ما في سورة «ص» حكاية عن كفّار قريش يجيبون محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم حين قرأ عليهم: «وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم»

النحل: ٤٤) فقالوا: «أأنزل عليه الذّكر من بيننا» وقداستعمل في سورة «القمر» الإلقاء مكان الإنزال في سورة «ص» لأنّ ما في سورة «القمر» حكاية عن قوم صالح، وكان يأتي الأنبيآء صحف مكتوبة وألواح مسطورة كما جآء إبراهيم وموسى عليهما السلام فلهذا قالوا: «أألقى الذكر عليه» مع أن لفظ الإلقآء يستعمل لما يستعمل له الإنزال. وقدّم الظرف: «عليه» ههنا لشدّة العناية ولزيادة غيظهم وحمقهم.

خامسهاـ قال الله تعالى: «كذّبت قبلهم قوم وعاد وفرعون ذوالأُوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة اولئك الأحزاب» ص: ١٢ـ ١٣) وقال: «كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرّسّ وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط» ق: ١٢ـ ١٣) وذلك أن سورة «ص» بنيت فواصلها على ردف أواخرها بالالف فقال: «الأسباب ـ الأحزاب ـ الأوتاد...» وسورة «ق» مبنيّة فواصلها على ردف أواخرها باليآء والواو إذ قال: «نضيد ـ الخروج ـ ثمود ـ لوط ـ وعيد ...»

ومثله في سورة الصّافات: «قاصرات الطرف عين» : ٤٨) وفي سورة «ص»: «قاصرات الطرف أتراب» : ص:٥٢) فالغرض هو التوفيق بالألفاظ مع وضوح المعاني فتدبر جيّداً.

سادسهاـ قال الله تعالى: «ومثلهم معهم رحمة منا» ص:٤٣) وقال: ومثلهم معهم رحمة «من عندنا» الأنبيآء: ٨٤) وذلك لأن الله عزّوجلّ ميّز أيوب النّبيّ عليه السّلام بحسن صبره على بلائه من بين أنبيآئه عليهم السّلام، فحيث قال لهم: «من عندنا» قال له: «منّا» و حيث لم يقل لهم: «من عندنا» قال له: «من عندنا» فخصّت هذه السّورة بقوله: «منّا» لما تقدّم في حقّهم «من عندنا» في مواضع، وخصّت سورة الأنبيآء بقوله: «من عندنا» لتفرّده بذلك.

سابعهاـ أنّ قصّة آدم عليه السّلام وإبليس اللعين قدوردت في القرآن الكريم سبع مرّات على طريقى الإجمال والتّفصيل في سبع سور: ١ـ البقرة: ٣٤ـ ٣٨) ٢ـ الأعراف: ١١ـ ٢٥) ٣ـ الحجر: ٢٦ـ ٤٤) ٤ـ الاسراء: ٦١ـ٦٥) ٥ـ الكهف: ٥٠) ٦ـ طه: ١١٥ـ١٢٣) ٧ـ ص: ٧١ـ٨٥)

ولا يخفي على المحققين الخبرآء أنّ محتويات القصّة متقاربة مع بعض الفروق من حيث البيان والتّلقين والتّوجيه، وبينها وبين قصص الأنبيآء واممهم من ناحية التّكرار ومن ناحية الأسلوب والسياق مماثلة، ولكن للقصّة في كلّ مرّة تأتي، غرض خاص يستفاد من السّياق، وينوط بهدف السّورة الّتي جائت فيها من التّنديد بالكفار ومواقفهم وتمرّدهم و طغيانهم وكبرهم وحسدهم وبغيهم وعنادهم، ولجاجهم وعداوتهم... وتربط ذلك بما كان من موقف إبليس واستحقاقه من أجل ذلك غضب الله تعالى، وبما كان من خضوع الملائكة لأمر الله تعالى ومسارعتهم إلى تنفيذه مع تقرير بدء خلق البشر، والإشارة إلى ما في عصيان الله والتمرّد على أوامره من جريمة منكرة، وإلى أنّ الّذين يتمرّدون على الله تعالى ودعوته إنّما هم تبع لإبليس، والذين يستجيبون لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم هم سآئرون في الطريق القويم الّذى سار فيه الملائكة.

وأنّ الّذين لا يستجيبون لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم هم ذووالنّيات الخبيثة والقلوب المريضة، المتكبرون المتعالون الّذين يجد فيهم إبليس مجالاً للوسوسة والإغوآء وعواقب امورهم وخيمة، ومصيرهم إلى النار، وأن طريق ابليس مسدود بالنسبة لذوي النّيات الحسنة والقلوب السليمة والرّغبة الصّادقة في الحقّ والهدى...

ثامنهاـ قال الله تعالى في هذه السّورة: «ما منعك أن تسجد» ص: ٧٥) وقال في سورة الأعراف: «ما منعك ألاّ تسجد»: ١٢) بزيادة «لا» لعلّ الزيادة هناك للتأكيد، ومثلها قوله تعالى: «لئلا يعلم أهل الكتاب» الحديد: ٢٩) أي ليعلم، فزيدت «لا» لتأكيد معنى الفعل وتحقيقه. كأنّه قيل هناك : ليتحقق علم أهل الكتاب. فالمعنى: وما منعك أن تحقق السّجود وتلزم به نفسك.

تاسعهاـ ان نشير في المقام إلى صيغ سبع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصآء في بحث اللغة ـ الصيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنية:

١ـ جآءت كلمة «منا ص» في القرآن الكريم مرّة واحدة: وهي في سورة ص: ٣)

٢ـ جآءت كلمة «قطّ» في القرآن الكريم مرّة واحدة: وهي في سورة ص: ١٦)

٣ـ جآءت كلمة «نعجة»على صيغها في القرآن الكريم أربع مرّات: كلها في سورة ص: ٢٣-٢٤)

٤ـ جآت كلمة «الصفن» بصيغة الجمع في القرآن الكريم مرّة واحدة: وهي في سورة ص: ٣١)

٥ـ جآء كلمة «الرخآء» في القرآن الكريم مرّة واحدة: وهي في سورة ص: ٣٦)

٦ـ جآء كلمة «أيّوب» في القرآن الكريم أربع مرّات: ١ـ سورة النسآء: ١٦٣) ٢ـ الأنعام: ٨٤) ٣ـ الانبيآء: ٨٣) ٤ـ سورة ص: ٤١)

٧ـ جآءت كلمة «الحنث» في القرآن الكريم مرتين: إحداهما ـ سورة ص: ٤٤) ثانيهما ـ سورة الواقعة: ٤٦).

﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السّور نفسها:

أمّا الاولى: فانّ هذه السّورة نزلت بعد سورة «القمر» فالتناسب بينهما واضح لمن تدبّر في غرضيهما، فعلى القارئ الخبير التدبّر.

وأما الثانية: فالتّناسب بين هذه السّورة وما قبلها مصحفاً فبامور:

أحدها ـ أنّ هذه السّورة جآئت كالمتمّمة لما قبلها من وجهين:

١ـ إنه ذكر في هذه السورة من قصص الأنبيآء عليهم السّلام ما لم يذكر فيما قبلها كداود وسليمان وأيّوب عليهم صلوات الله.

٢ـ إنّه بعد أن حكى فيما قبلها عن الكفّار أنّهم قالوا: «لو أنّ عندنا ذكراً من الأوّلين لكنّا عباد الله المخلصين» الصافات: ١٦٨ـ ١٦٩) وأنّهم كفروا بالذكر لما جآءهم، بدأ عز إسمه هذه السّورة بالقرآن ذي الذّكر وفصّل فيها ما أجمله هناك من كفرهم وطغيانهم، من بغيهم وعدوانهم، ومن إعراضهم، وعصيانهم...

فبدء هذه السّورة ردّ عليهم وعلى إدّعائهم فيما جآء في ختام ما قبلها، فكأنّه قال: إن كنتم صادقين فيما تدّعون فهذا هو القرآن ذوالذكر قدجآءهم، فلاعذر لكم بعده!

فماذا كان منهم؟ لقد كذبوا به «وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون

هذا ساحر كذّاب...» ص: ٤-٨)

ثانيها- انه لما اختتمت سورة «الصافات» بقوله تعالى: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون»: ١٧١-١٧٣) جاء في سورة «ص»: «جند ما هنا لك مهزوم من الأحزاب» : ١١) إخباراً بالغيب، وتهديداً ما سيحل بهؤلاء المعاندين الكفرة والمشركين الفجرة، وبما ينزل بهم من هزيمة، هم وما يجمعون من جنود الباطل الّذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين به، فقد صافح ختم سورة «الصافات» بدء سورة «ص» مصافحة لقآء، لا سلام مودّع.

ثالثها- انه لمّا جآء في سورة «الصافات» ذكر من دسيسة الشيطان في نظام العالم العلوي، وحفظه منها: «وحفظاً من كل شيطان مارد...» جآء في سورة «ص» ذكر من دسيسته في نظام العالم السفلي وهو نظام الإرادة والإختيار والإعتقاد والعمل، فلم يحفظ في هذه النظام من دسيسته إلّا المخلصون... وغيرها من التّناسب فعلى القاريْ الخبير التّدبر فلا يغفل.

رابعها- لمّا إختتمت سورة «الصافات» بقوله تعالى: «سبحانك ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون» : ١٨٠) وصف في مقابل عزّة الله تعالى، المشركين بالعزّة في أوّل سورة «ص»: «بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق» : ٢) ولكنّ العزّة الّتي لهؤلآء الكفرة الفجرة هي عزة باطلة مدّعاة هى عزّة غرور وحمق وجهل، تلك العزّة الّتي يخيل لمدّعيها أنّه واحد هذه الدّنيا ومالك أمرها، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في شأن مدّعي هذه العزّة الكاذبة: «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم» البقرة: ٢٠٦) فعزّة الكافرين هي من هذه العزّة الّتي تملأ كيان صاحبها غروراً وتعالياً...

وأما الثالثة: فلمّا بدئت السورة بالقسم بالقرآن الكريم لأنّه الذكر الذي جآءهم وقد كانوا هم يتمنّونه من قبل، أخبر بأنّ هؤلآء الكفرة الذين مكّنهم وأعطاهم القوّة ليتقوّوا بها على الايمان والعبادة فتقووا - بسوء اختيارهم- بها على الكفر والطغيان، فاستنكروا نزول القرآن على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأنّهم في تعزّز

وشقاق للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وهو السبب الحقيقي في كفرهم ثم أخبر تعالى ـ تخويفاً لهم ـ أنّه أهلك امماً كثيرة قبلهم لكفرهم وعصيانهم، فلمّا نزل بهم العذاب نادوا واستغاثوا ولم ينفعهم التصديق والندآء والاستغاثة حينئذ.

ثمّ حكى موقف زعمآء الكفّار من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ودعوته واختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بالوحى من دونهم، وحكى شرّ صنيعهم وسوء مقالتهم في حقّ النّبيّ المعصوم صلى الله عليه وآله وسلّم ونعتهم إيّاه بالسحر والكذب بأنّ هؤلآء الكفار: «عجبوا أن جآءهم منذر منهم...» : ٤)

ثمّ حكى ما بدا منهم من الإستكبار عن دعوته صلى الله عليه وآله وسلّم واستغراب للدعوة إلى وحدة الإله بخاصّة، على طريق بيان شبهتهم في إثبات كذبه من وجوه ثلاثة:

أحدها ـ «أجعل الآلهة إلهاً واحداً...» ودليلهم على إنكارهم التوحيد هو استبعادهم فحسب من دون برهان من عقل ولا نقل على ذلك ونعم ما قيل: دليل المنكر حرف النّفي: «لا»! ولمّا شاهد الزّعمآء صلابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في مهمّته، دعا بعضهم بعضاً، ودعوا كلهم مردتهم الجهلة إلى التفرّق من حول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وإلى الثّبات على عقائدهم التي ورثوها عن الآباء من الشرك وعبادة الأصنام، وعلّلوا الأمر بالتفرّق والصبر فقالوا: «إن هذا لشيئ يراد» : ٦)

ثانيها ـ أنهم قالوا ما ظنّوا أنّ فيه إبطالاً لدعواه صلى الله عليه وآله وسلّم: «ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة...» ولعلّهم خصّوا النّصرانية المتحرفة التي تقول بالتثليث لأنّها آخر الأديان المعروفة لديهم من أديان أهل الكتاب، ثمّ أكّدوا هذا الإنكار هم بقولهم: «إن هذا إلّا اختلاق» : ٧)

ثالثها ـ أنّهم أنكروا إختصاص محمد صلى الله عليه وآله وسلّم بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم في الشّرف والرئاسة فيما يزعمون إذ قالوا: «أأُنزل عليه الذّكر من بيننا...»

وفي هذه الآية الكريمة ـ مع كون صدرها بصدد بيان وجه ثالث من شبهتهم في

إثبات كذبه صلى الله عليه وآله وسلّم ـ إشارة إلى سببين طوليين لتكذيبهم الرّسالة على طريق الإضراب، مع الإشارة في صدرها إلى منشأ التّكذيب وهو الحسد المشتعل الموجب لقصور النظر على حطام الدّنيا، فالسبب الأوّل الناشئ عن الحسد الّذي لأجله تركوا الايمان بما كانوا يتمنّونه بل كذّبوه هو الشّك: «بل هم في شك من ذكرى» ثمّ ذكر سبباً آخر بقوله: «بل لمّا يذوقوا عذاب» : ٨) بأنهم لمّا يذوقوا عذابي فاغترّوا بطول المهلة، فلوذاقوه على ما هم عليه من الشّك والكفر لصدّقوا ماجآءهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلّم ولم يشكوا فيه بعد، ولكن لا ينفعهم التّصديق حينئذ ففي الآية ردّ على شبهتهم ببيان سببها.

ثمّ أجاب عن شبهتهم وردّ إنكار زعمآء المشركين رسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم على طريق التحدّي باسلوب إستنكارى ساخر: «أم عندهم خزائن...» : ٩) على أنّ النبوّة من جملة النعم المخزونة عنده تعالى يعطيها مَن يشآء من عباده فليس أمر النّبوة بأيديهم، ثمّ خصّص بعد التعميم، وارتقى إلى ما هو أشدّ في الإنكار: «أم لهم ملك السموات...» فان هذه الأشيآء بعض خزآئن الله تعالى، فاذا كانوا هم عاجزين عن البعض، فعن الكل أولى، فأمرهم أمر تهكّم بارتقآء الأسباب: «فليرتقوا...» ١٠) ثمّ حقّر أمرهم و وعد نبيّه بالنصر والغلبة عليهم، وهدّدهم بالكسر والهزيمة بقوله: «جند ما هنا لك...» : ١١) الآيات الخمس: (١٢ـ ١٧) متّصلة بالسّياق إتّصال تعقيب وتذكير وإنذار وهو الهدف الجوهري في القصص القرآنية، فتشير الآيات الثلاث: (١٢ـ ١٤) إلى ستة أقوام من الأنبيآء الماضين على سبيل الإجمال كذّبوا رسلهم حتّى حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أشارت الآية: ٣) إشارة خاطفة إليهم لماذا أهلكهم دون أن يجدوا لهم مغيثاً ولا مهرباً؟ فلمّا ذكر تعالى أحوال الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وذكر مواقف زعمآئهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودعوته ذكر أمثالهم ممّن تقدّمهم وعمل عملهم وانسلك مسالكهم من الكفر والتكذيب وما حاق بهم من العذاب لتكون ذكرى لاولئك المكذبين من قومه (ص) ليتعظوا فيرغبوا عن غيّهم و يثوبوا إلى رشدهم، ثمّ هدّد مشركي مكّة إثربيان عقاب أمثالهم :

«وما ينظر هؤلاء...» : ١٥) فلن يلبث مكذّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حتى تأخذهم الصيحة الّتي لافواق لهم بعدها ولا رجوع.

لما سمع المشركون هذا التّهديد، وأن هناك داراً اخرى يحاسبون عليها ويجازون على مايعملون أنكروه: «وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب» : ١٦) سخرية تهكماً واستخفافاً وتحدّياً، جواباً على ما أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من العذاب قبل الحساب، فطلبوا من الله تعالى أن يعجّل بعذابهم في الدنيا قبل الآخرة.

ولا يخفى أنّ زعمآء الكفرة تعجّبوا الشّبهات ثلاث تتعلّق بالتّوحيد إذ قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» وبالرسالة إذ قالوا: «أأنزل عليه الّذكر من بيننا» وبالمعاد إذ «قالو ربّنا عجّل لنا قطّنا...» إستهزاءً واستخفافاً !!!

إنّ الله تعالي لمّا ذكر من أخبار مشركي مكّة وشقاقهم ولجاجهم ومنا وأتهم، وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم، ومن غاية جهلهم وسفاهتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذ رموه بالسحر والكذب ورموا دعوته الحقة بالإختلاق، وانها ذريعة إلى التّقدّم والرئاسة، وأنه لامرجّح له عليهم حتّى يختصّ بالرّسالة والإنذار، ثمّ استهزائهم بالعذاب ويوم الحساب امر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بالصبر على سفاهتهم وأذاهم وسلاّه بكل ماسبق ذكره وأن لايزلزله هفواتهم ولا توهن عزمه بقوله تعالى: «اصبر على ما يقولون» :١٧)

ثمّ أخذ بذكر قصص تسعة من الأنبيآء الكرام على طريقى الإجمال والتّفصيل وهم: داود وسليمان وأيّوب وابراهيم واسحق ويعقوب واسمعيل واليسع وذوالكفل عليهم صلوات الله الّذين حدث لهم من المشاق والأذى مثل ما حدث له صلى الله عليه وآله وسلّم فصبروا حتّى فرّج الله تعالى عنهم وأحسن عاقبتهم ليتسلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بصبر مَن صبر منهم وليعلم أنّ له في الآخرة أضعاف ما اعطيه داود وغيره من الآنبيآء الّذين صبروا على إمتحان الله تعالى الصبر الجميل، وقد كانوا في كلّ امتحان يبادورن إليه تعالى منيبين مستغفرين، فاستحقوا برّه ورحمته وتكريمه والمزيد من نعمه ومنحه.

وقد بدأ بذكر داود وبعض قصصه عليه السّلام: «واذكر عبدنا داود...» : ١٧)

ولا يخفي أنّ المجامع الّتي اشير إليها في قصّة داود عليه السّلام ثلا ثة أنواع من الكلام:

النّوع الأوّل: تفصيل ما آتاه الله تعالى من الفضائل وهى على عشرة أصناف:

١ـ ذكر نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم إيّاه عليه السّلام ليقتدى به في الصبر وسائر اصول الأخلاق.

٢ـ تسميته عليه السّلام بالعبد: «عبدنا» مضافاً إلى ضمير جمع التكلم تعظيماً وإشعاراً بعبوديته الصحيحة الجامعة لكمالات الإنسانية، والتلفّظ باسمه العلم: «داود» تشريفاً له.

٣ـ وصفه بقوله تعالى: «ذاالأيد» والقوّة في الحروب والطّاعات والإجتناب عمّا لا يرضيه الله تعالى أو تنعّمه بنعمة لم ينعم بها غيره على كون «الأيد» بمعنى النّعم...

٤ـ إنه «أوّاب» كان كثير الرجوع في جميع الامور إلى الله جلّ وعلا، وراضٍ برضاء الله تعالى.

٥ـ تسبيح الجبال معه وتسخيرها له صباحاً ومسآءً.

٦ـ تسخير الطيور لداود عليه السّلام: «والطير محشورة» وتسبيحها معه يفهمه النّاس، دون تسبيح كلّ شيئ لا يفهمه النّاس: «وإمن شيئ إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤)

٧ـ رجوع كلّ ما تقدّم وغير ما تقدّم أيضاً إلى داود عليه السّلام لمكان «كلّ» في قوله تعالى: «كلّ له أوّاب»

٨ـ تقويته عليه السّلام بالملك والجنود والأعوان والامور المادية بعد ذكر الامور المعنوية فهو عليه السّلام كان جامعاً لقوتى المعنوية والمادّية...

٩ـ قوله تعالى: «و آتيناه الحكمة»

١٠ـ قوله عزّوجلّ: «فصل الخطاب» : ٢٠)

كلّ ذلك على التّرتيب الخاص والتّناسب بينها هو تناسب الأسباب مع

مسبباتها، فتدبّر جيّداً واغتنم جداً ولاتغفل.

وقال بعض المتقدمين: إن تسئل: ماوجُه المناسبة والإرتباط بين قوله تعالى: «إصبر على مايقولون» وبين قوله تعالى: «واذكر عبدنا داود»؟

تجيب: وجه المناسبة بينهما: أنّه امر أن يتقوّى على الصبر بذكر قوّة داود عليه السّلام على العبادة والطاعة. **الثاني:** أن المعنى: عرّفهم أن داود عليه السّلام مع كرامته وشهرة طاعته وعبادته الّتي منها صوم يوم دون يوم، وقيام نصف الليل كان شديد الخوف من عذابي لايزال باكياً مستغفراً فكيف حال هؤلاء الكفرة مع بطلان عقائدهم وفساد أعمالهم وطغيانهم؟!

النوع الثّاني: شرح الواقعة التي وقعت لداود عليه السّلام: «وهل أتاك نبؤا الخصم» : ۲۱-۲٥)

وذلك ان الله تعالى لـمّاعدّد نعمه الظاهرة والباطنة على داود عليه السّلام وآتاه الحكمة وفصل الخطاب أخذ بشرح نبأ عجيب من أنبآئه، مشوّقاً إليه السامع ومعجّباً له، بأن دخل عليه بعض ـ بصورة الإنسان ـ من طريق غير عادّي، فتظلّم بعضهم عنده: «خصمان بغى بعضنا على بعض» مع تقرير مقصودهم في الدّخول عليه بثلاث عبارات.

متلازمة: **إحداها ـ:** «فاحكم بيننا بالحقّ» أي بالعدل الّذي هو حكم الله تعالى فينا. **ثانيها ـ:** «ولاتشطط» وهو نهى عن الباطل بالزام الحق. **ثالثها ـ:** «واهدنا إلى سوآء الصراط» أي وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه.

ولمّا اخبروا عن وقوع الخصومة بينهم إجمالاً أخذوا بتفصيل ذلك فقال أحدهما مشيراً إلى الآخر: «إن هذا أخي...» ثمّ أشار إلى حكم داود عليه السّلام في الخصومة، مع بيان حكمة هذه الواقعة، والإشارة إلى أنّ منصب القضآء منصب خطير لايليق له إلّا المعصوم أو من يتلوتلو المعصوم. ولـمّا علم داود عليه السّلام أنّ هذه الواقعة كانت امتحاناً له، استغفر ربه... فمدحه الله تعالى وأثنى عليه.

النّوع الثّالث: هو إستخلاف الله عزّوجلّ داود عليه السّلام بعد الإمتحان، وإبراز

لياقته لذلك، تنبيهاً على أنّ الخلافة على أساس اللّياقة، فمن لم يكن أهلاً لها ونال بها فهو يفسد نفسه ويفسد المجتمع البشرى كأبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأضرابهم إذ نالوا بها فلتة فأفسدوا في الدّين وبذلك إنحطّ المسلمون حتّى اليوم.

لمّا تمّت قصّة إستخلاف داود عليه السّلام أشار تعالى إلى التّدبير والحكمة في نظام الكون ونواميس الوجود، بأنّها ليست واقعة على جزاف كما يزعم الكفار، وإنّما لها غاية صحيحة وحكمة بالغة على سبيل الإجمال بقوله عزّوجلّ: «وما خلقنا السمآء والأرض...» : ٢٧) وذلك انّ نظام الاجتماع والمدن والتكامل الإنسانى لمّا كان مرتبطاً على الخلافة الحقة إذ بها يمكن القيام بالعدل في المجتمع البشرى ناسب أن يذكر عدله وتدبيره وحكمته في نظام التكوين إذ لولاها لفسد الكون، فنظام التشريع في الصلاح تابع لنظام التّكوين، فلايمكن القيام في نظام التشريع بالعدل إلّا أن تكون الخلافة حقّة، وكان الخليفة منصوباً من قبل الله تعالى وأن يكون متخلّقاً بالأخلاق الله جلّ وعلا ويريه ويفعل ما يريده الله تعالى ويحكم ويقضي بما يقضي به الله تعالى «والله يقضي بالحقّ» ويسلك سبيل الله جلّ وعلا ولا يتعدّاها، ولذلك فرّع على جعل خلافته قوله تعالى: «فاحكم بين النّاس بالحق»

ثمّ ذكر أن مقتضي العدل الإلهي وحكمته ألاّ يساوي بين المؤمن والكافر، بين المخلص والمنافق، بين المصلح والمفسد، وبين المتّقي والفاجر...: «أم نجعل الذين آمنوا...»:٢٨) إذ لا يمكن أن يكون الفريقان في مركز واحد، وأن يعاملا معاملة واحدة أو أن يترك الصالحون المتقون والمفسدون الفجّار وشأنهم بدون حساب ولا جزآء إذ أن هذا يكون عبثاً وباطلاً في حين أنّ الله تعالى لم يخلق الكون عبثاً ولا باطلاً.

ثمّ أشار إلى حكمة نزول القرآن الكريم بأنّه تعالى أنزله ليتدبّر فيه السامعون في كل ظرف لأنه يرشد الإنسان إلى لزوم العدل والحكمة في نظام التّكوين والتشريع وفي الحساب والجزآء...

وبعبارة اخرى أنّ الآية: ٢٧) كانت بصدد بيان حقيقة هذا الوجود، وأنه قائم على ميزان الحقّ والعدل، وكانت الآية: ٢٨) تقرّر أنّ الّذين ينحرفون عن طريق الحقّ والعدل سيلقون سوء العذاب، وهذه الآية: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ...» :٢٩) تدعو كلّ إنسان إلى طريق الحقّ والعدل، وإلى النّجاة من الهلاك والدمار والعذاب والنّار، فمن أراد الحقّ والعدل والهدى والنّجاة فعليه التّدبّر في القرآن الكريم.

وقال بعضهم: يمكن أن يقال في وجه النّظم: أن العقلآء قالوا: من ابتلى بخصم جاهل مصرّ متعصّب، وجب عليه أن يقطع الكلام معه، ويخوض في كلام آخر أجنبيّ حتّى إذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبي أدرج في أثنآئه مقدّمة مناسبة للمطلوب الأوّل، فان ذلك المتعصّب قديسلم هذه المقدّمة، فاذ اسلمها فحينئذ يتمسّك بها في اثبات المطلوب الأوّل، فيصير الخصم ساكتاً مفحماً.

وإذا عرفت هذا فنقول: إنّ الكفّار ومشركى مكّة قدبلغوا في إنكار الحشر إلى حيث قالوا على سبيل الاستهزآء: «ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب» فقال جل وعلا: يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم «اصبر على ما يقولون» واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واخذ بكلام آخر أجنبيّ في الظاهر وهو قصّة داود عليه السّلام... فكلّ من سمع هذا قال: نعم ما فعل حيث أمره بالحكم الحق: «فاحكم بين النّاس بالحقّ» كأنّه قال: أيّها المكلف إني لاآمرك مع أني ربّ العالمين إلّا بالحقّ فهيهنا يقول الخصم: نعم ما فعل إذ لم يقض إلّا بالحقّ، فعندئذ يلتزم صحة القول بالحشر وإلّا لزم التسوية بين من أصلح واتقى ومن أفسدو فجر وذلك ضدّالحكمة، وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة في إلزام المنكرين وإفحامهم وصف القرآن بالبركة والإفادة والإرشاد لأنّ هذه اللطائف لاتستفاد إلّا منه.

لمّا تمّت قصّة داود عليه السّلام أخذ ببيان قصّة إبنه سليمان ومدحه بقوله تعالى: «ووهبنا لداود سليمان...» : ٣٠ـ ٤٠) تنبيهاً على أنّه كان شبيهاً بأبيه في الفضيلة والكمال، فلذلك استويا في جهة المدح والثواب: «نعم العبدـ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب» وقدأسبغ جلّ وعلا على سليمان عليه السّلام كأبيه من نعمه الظاهرة

والباطنة، وقدأتى عليه السّلام فيها بصالح الأعمال وحميدة الأخلاق، وقدصبر على طاعة الله تعالى وأعرض عن الشهوات... وما كان له عليه السّلام من الاخلاص والإنابة إلى الله عزّوجلّ وامتحان الله تعالى له على عظم ملكه وسلطانه، وماله من مد الله له بالقوّة وشموله إياه بالعناية والتكريم بسبب، فكان ثوابه كفؤ ثواب أبيه لأنّ سيرته سيرة أبيه.

إنّ الله تعالى لمّا بيّن قصّتي داود وسليمان عليهما السّلام اللذان أفاض الله تعالى عليهما أصناف الآلآء، وأنواع النعمآء، وامتحنهما بها أردف ذلك بذكر قصّة أيّوب عليه السّلام الّذي امتحنه بصنوف البلايا، فلم يكن داود وسليمان عليهما السّلام خارجين من طريق الحق والعدل والهدى وهما على كمال النعم، ولا أيّوب عليه السّلام وهو في غاية البلاء والمحن... فقال تعالى تسلية لنبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم: «واذكر عبدنا أيّوب ـ نعم العبد إنّه أوّاب» : ٤١ ـ ٤٤)

كأنّه تعالى قال: ياأيّها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم اصبر على سفاهة قومك وسوء مقالاتهم فيك، وعن جهلهم عن جهلهم، وغفلتهم عن غفلتهم، فإنّه ما كان في الحياة الدّنيا أكثر مالاً ونعمة وجاهاً وقدرة وعَدَداً وعُدَداً من داود وسليمان عليهما السّلام، ولم يكن أكثر بلآءً ومحنة من أيّوب عليه السّلام ومع ذلك لم يبق حالهما وحاله على نسق واحد، فالصبر مفتاح الفرج وإنّ مع العسر يُسراً.

كلّ ذلك إعتبار لنا بأنّا إذا كنّا قادرين ومتنعّمين بنعم كثيرة لن نصل إلى ما كان عليه داود وسليمان عليهما السّلام، وإذا كنّا مبتلين بالبلايا والمحن العديدة لن تصل إلى ما وصل بأيّوب عليه السّلام فلا ينبغي لنا في كلا الطرفين ان نخرج من طريق الحقّ والعدل والرّشاد، ولا نغترّ بكثرة المال والولد والجاه والنعم والقدرة والجاه وبالعِدّة والعُدّة، ولا نيأس من رحمة الله تعالى بالبلآء والمحن، فينبغي أن نصبر ونقتصد في كلتا الحالين: حال النعمة والنقمة، حال اليُسر والعسر، حال الغنى والفقر، حال القدرة والضعف، حال الصحّة والسقم، وحال الوجدان والفقدان... لمّا ذكر الله تعالى قصّة ثلاثٍ من الأنبيآء عليهم السّلام تفصيلاً حسب مقتضى الحال

أخذ بذكر ستٍّ من مشاهير أنبيائه عليهم السّلام إجمالاً وهم: إبراهيم وإسحق ويعقوب وإسمعيل واليسع وذوالكفل: «واذكر عبادنا ـ وكلّ من الأخيار»: ٤٥-٤٨) الّذين اصطفاهم الله تعالى ورفع أقدارهم وخصّهم ببرّه وتكريمه لما كانوا عليه من حسن الطاعة والبصيرة، من الصبر على أذى قومهم وسوء ضيعتهم ومن الاستقامة والصلابة في مهمتهم، ولم يكن لهم مع النّبوّة ملك ولا سلطان، لنقتدى بهم في صحيح عقائدهم، وكريم أخلاقهم وصالح أعمالهم، والصّلابة في دينهم.

إنّ الله تعالى لما ذكر قصص تسع من مشاهير الأنبيآء عليهم السّلام ومالقى كلّ منهم من أنواع البلآء والمحنة والأذى، وصبرهم وصلابتهم في مهماتهم... ذكرها على طريقى الإجمال والتّفصيل تثبيتاً لخاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلّم وهو باب من أبواب التّنزيل ونوع من أنواع القرآن الكريم أراد أن يذكر على عقيبه باباً آخر وهو ذكر جزآء المتقين من الجنة ونعيمها، جزآء الطاغين من جهنم وعذابها فقال: «هذا ذكر» : ٤٩)

وهذا عود إلى ما بدئت به السّورة من قوله عزّوجلّ: «والقرآن ذي الذكر» : ١) كأنّه قال: هذا ذكر ممّا إشتمل عليه القرآن المذكور في أوّل السّورة أي الّذي يتلى عليكم شرف وجميل تذكرون به، ثم قال: «وإن للمتقين...» كما يقول المصنف إذا فرغ من فصل من كتابه: هذا باب... ثمّ يأخذ بباب آخر. فهو فصل من الكلام يذكر فيه الله جلّ وعلا ما في الدار الآخرة للمتقين من الثواب وما للطاغين من العقاب، ثمّ بيّن هذا المآب: «جنّات عدن...» : ٥٠) ثمّ ذكر كيفية أحوالهم فيها وتنعّمهم بنعيمها من مساكنها ومآكلها ومشاربها: «متكئين فيها...» : ٥١) ثمّ وصف أزواجهم فيها: «وعندهم...» : ٥٢) ثمّ بيّن أنّ ذلك ممّا كانوا يوعدون به: «هذا ماتوعدون...» : ٥٣) ثمّ أخبر بدوام نعيم الجنّة: «إنّ هذا لرزقنا...» : ٥٤)

إنّ الله تعالى لمّا ذكر أحوال المتّقين في الجنّة وعاقبة أمرهم، أردف ذلك بذكر وخامة أمر الطاغين وأحوالهم في نار الجحيم بقوله: «هذا» : ٥٥) فصل آخر. وقدذكر مآل الطاغين بالمقابلة لمآل المتقين على ماجرى عليه النظم القرآني من اتيان

الوعيد عقب الوعيد، والترهيب إثر الترهيب ليكون المرء بين رجآء في الثواب، فيزداد في الطاعة وصالح الأعمال، وبين خوف من العقاب فينأى عن المعصية وفساد الأعمال... وهذه خير وسيلة لتهذيب الأخلاق وتأديب النّفوس الّتي ترقي بها إلى ذروة الكمال في دنياها وآخرتها... فقال: «وإن للطاغين لشرت مآب» : ٥٥)

ثمّ بيّن المآب الشر: جهنّم يصلونها...» : ٥٦) وهي مسكنهم، ثمّ ذكر مآكلهم ومشاربهم فيها: «هذا فليذوقوه...» :٥٧) ثمّ وصف أزواجهم: «وآخر من شكله أزواج» : ٥٨) ثمّ ذكر أحوالهم وما يكون بين الزعمآء الفجرة والأتباع السفلة في النّار من تخاصم وحوار وعتاب وتلاوم وتحميل كلّ فريق، مسئوليّة المصير السّيّئ الّذي صار إليه على الفريق الآخر: «هذا فوج مقتحم ...»:٥٩-٦١) ثمّ حكى عنهم مقالتهم الكاذبة في مخالفيهم المؤمنين، حين لايرونهم فيها، مع بيان السبب في عدم رؤيتهم: «إتّخذنا هم...» :٦٢-٦٣)

وقدختم الكلام بأنّ هذا التناجي ليكون يوم القيامة، وأنه حقّ لامرية فيه: «إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النّار» : ٦٤)

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن في أوّل السّورة أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم دعا مشركى مكّة وزعمآئهم إلى التّوحيد، وأقام الأدلّة على رسالته، ودعاهم إلى البعث والحساب والجزآء ولكن زعمآئهم نازعوه صلّى الله عليه وآله وسلّم وكذّبوه بسبب الحسد والكبر فكفروا به وقابلوه صلى الله عليه وآله وسلّم بالسفاهة وسوء المقالة: «إنه ساحر كذّاب» ثمّ صبّره على ذلك، وقصّ عليه قصص تسع من مشاهير الأنبيآء قبله صلى الله عليه وآله وسلّم بيّن فيها الخلافة الحقة لقيام العدل في نظام التشريع بها، كما أنّ نظام التكوين ويوم الحساب قائم بالعدل الإلهي سوآء بسوآءٍ عاد هنا إلى تقرير تلك الاصول الخمسة: التّوحيد والعدل والنّبوّة والخلافة والمعاد ثانياً إجمالاً: «قل إنّما انا منذر...» : ٦٥)

فلمّا ذكر مهمّة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بذكر أوّل ما يبلّغه للنّاس وهو التّوحيد فقال: «وما من إله إلّا الله» ثمّ وصفه بالوحدانيّة: «الواحد» لإبطال الشرك ،

وبالقهر: «القهار» رهبة وتخويفاً لهم على مخالفته صلّى الله عليه وآله وسلّم وترك العمل بـما جآءهم بـه، وقدّم «القـهـار» لمنـاسبتـه الإنذار وتقديـم الخوف عـلى لرجآء، ثمّ أردف القهـر بـالـلطف والتّـربـيـة اللّذين يـدلاّن عـلى الرّجآء فقـال: «ربّ السّموات والأرض...» ثمّ أكّد صفتي القهر واللطف بقوله: «العزيز» فانّه من عزّته يعذّب أهل الحسد والكبرفي الدّنيا ويدخلهم في النّار وبقوله: «الغفار» فانه لمغفرته يرحم أهل الايمان والـتّقوى ويدخـلهم فـي جنات عدن فينبغي أن يكون الإنسـان خائفاً من الله جلّ وعلا لكونه قهّاراً، وراجياً إليه لكونه غفاراً وهو قادر على ما يريد لكونه عزيزاً.

ثمّ أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم أن يجلي لهم حقيقة وظيفته ليرعووا عن غيّهم ويثوبوا إلـى رشادهم: «قل هو نبأ عظـيم» :٦٧) ثمّ أخبر تعالـى بأنهم معرضون عن هذا النبأ، مستـخفون به، فانهم لا يـعطونه آذاناً مصبغية ولا يـفتحون له قلوبـاً واعية، وهذا بنفسه خبر غيبيّ يثبت رسالته صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنتم عنه معرضون» :٦٨) وإلّا لآمـنـوا به صلى الله عليـه وآلـه وسلّم ولو ظاهـراً وأثـبـتوا كـذبه صلى الله عـليه وآله وسلّم ولم يؤمنوا وقد ثبت صدقه صلى الله عليه وآله وسلّم.

ثـمّ بيّن ان ذلك وحي سمـاويّ اوحى إليّ: «ما كان لي من عـلم بالملإ الأعلى إذ يختـصمـون» :٦٩) إذ لـولا الوحـى فمن أيـن يأتـيني الـعلـم بقصّة آدم والـملائـكة وابليس وقصّته قبلهم؟!

ثمّ صرّح بما عـليه مدار الوحـى فقال: «إن يوحى إلـيّ إلّا أنّما أنا نذيـر مبين» : ٧٠) ثمّ أخذ بذكر قصّة آدم عليه السّلام وما وقع فيه إبـليس من الرّجم واللعن حين حسد آدم واستكبر: «إذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً مـن طين- لأملأنّ جهـنّم منك وممن تبعك منـهم أجمعين» :٧١-٨٥) ليصير سماع القصّة زاجراً للسامعين عن هاتين الخصلتين الذميمتين ...وتنبيهاً على أن تلك الاصول الخمسة من لوازم خلق الإنسان ونظام التشريع، ولكن الشـيطان دسّ فيهـا إذ شكّ في اثـنين منـها: الخـلافة والعدل الإلهي!

وأمّا مشركوا العرب فكانوا أشد كـفراً وحسداً وإستكـباراً من أربابهـم الشّيطان إذ

أنكروا الاصول الخمسة كلها، ولذلك يتعجّب إبليس من كفر أتباعه جداً، وأمّا أذناب المشركين من العامّة الّذين انتحلوا الاسلام فأنكروا الإثنين اللذين أنكرهما إبليس قبلهم، وإن كانوا هم منكرى الاصول كلها واقعاً إذ ما آمنوا برسول صلى الله عليه وآله وسلّم طرفة عين أبداً أفمن تخلّف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حياته كامارة اسامة، وأهان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم محضره صلى الله عليه وآله وسلّم ويقول: «إن هذا الرّجل ليهجر» فهو مؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم؟! وهكذا مَن انسلك مسلكه...

وقدختمت السّورة بما يدل على الإحتياط والاجتهاد في الإعتقاد لأنّ النظر إمّا إلى الداعي وإمّا إلى المدعوّ إليه، أمّا الدّاعي فلا يسئل أجراً على مايدعو إليه وهو الوحى السماوي والذكر الحكيم، ومن المعلوم أنّ الكذّاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال ألبتة: «قل ما أسئلكم عليه من أجر» :٨٦) وأما المدعوّ إليه فقوله: «وما أنا من المتكلفين» الّذين ينتحلون ما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده، وإنّي أدعوكم إلى التّوحيد، تنزيهه عما لا يليق بساحة قدسه، ووصفه بنعوت الجمال والجلال أوّلاً وأدعوكم إلى عدله جلّ وعلا وحكمته في نظام الخلق والتّكوين، وفي نظام الحكم والتّشريع ثانياً.

وأدعوكم إلى الرسالة والنّبوّة للأنبيآء والمرسلين الّذين هم أصحاب الشريعة وعلل محدثة للشرائع السماوية ثالثاً، وأدعوكم إلى الخلافة والإمامة بعد الرّسل فانها علّة مبقية للنّبوة والرّسالة، فلابدّ منها في نظام التّشريع واستمراره إذ بها نظام الأمّة، و بها يمكن قيام الدّولة الحقة، وبها يقدر النّاس على التّفكير والتّفكير وصالح العمل وقيام العدل بين النّاس رابعاً، وأدعوكم إلى المعاد والحساب والجزآء ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والذين أسآؤا بما عملوا.

وأمّا مناسبة بدء السّورة بختامها فظاهرة إذ ابتدئت بقوله تعالى: «والقرآن ذي الذّكر» وختمت بقوله عزّوجلّ: «إنّ هو إلّا ذكر للعالمين» وما بينهما قوله جلّ وعلا: «أأنزل عليه الذكر- واذكر عبدنا داود- كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته

ولتذكر اولوالألباب ـ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربّي ـ واذكر عبدنا أيّوب ـ فقال إني أجبت حب الخير عن ذكر ربّي ـ واذكر عبدنا أيّوب ـ وذكرى لاولى الألباب ـ واذكر عبادنا إبراهيم... ـ ذكرى الدار ـ واذكر اسمعيل ـ هذا ذكر...» ٨و١٧و٢٩و٣٢و٤١و٤٣و٤٥و٤٦و٤٨و٤٩)

فيلتقى ختامها ببدئها، فقد بدأت بالقسم بالقرآن الكريم ذي الذّكر تعظيماً له وإلفاتاً إلى ما فيه من هدى و رحمة، وخُتِمَت بالتذكير بالنّبيّ الكريم وبرسالته صلى الله عليه وآله وسلّم وبالكتاب الّذي بين يديه وفي الختام توكيد لانذار الكفار وتوكيد لصدق الرّسالة النّبويّة، وايذان بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم إنما هو منتدب لأدآء مهمّة وليس مندفعاً فيها بالفضول، ولا متصنّعاً ولا زائداً ولا منقصاً، وليس متوخياً منها أجراً، ولا منفعة، وإنّ هذا الّذي يبلغه عن الله تعالى هو ذكر للعالمين جميعاً ولسوف يتحقّق مصداقه ومداه، فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «اصبر على ما يقولون» ص:١٧) قال: «وهذه منسوخة بآية السيف».

أقول: إنّ الجملة تصبير للنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ووعد محتم له وتأكيد بوقوع النصر ووعيد للمشركين فلانسخ وذلك أنّ الصبر على سفه الجاهلين من شيمة الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام فانهم لايزالون على الصبر مادام الجهل متحكماً في نفوس الامة فيرافقونهم حتى الوفاة، وان الصبر في سبيل أدآء الرسالة من أوّليّات واجب الرّسل عليهم صلوات الله فانّه أداة التبليغ الناجحة.

وفي النّاسخ والمنسوخ لابن العتائقي قال في قوله تعالى: «إنّما أنا منذر ـ إنما أنا نذير مبين ـ لتعلمن نبأه بعد حين» ص: ٦٥و٧٠و٨٨): نسخن بآية السيف»

أقول: إنّ الآيتين الاوليين بصدد تحديد مهمّة الرّسالة وهي الإنذار، وبصدد نفى المسئوليّة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم في خارج إطار التبليغ، وإثبات الإنذار لا يستدعى نفى ما عداه من الجهاد في سبيل الله تعالى وقتال المشركين فلا نسخ.

وأما الآية الأخيرة فتهديد لمشركى العرب بعذاب قريب، تمهيدٌ للسيف لانسخاً به.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

١ـ (ص والقرآن ذي الذّكر)

في «ص» أقوال: ١ـ عن الحسن: «صاد» بكسر الدّال من المصادة: المعارضة من صاديت فلاناً فـ «ص» أمر من ذلك، ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الجبال، ومنه: «فأنت له تصدّى» عبس:٦) أي تعرّض.

فالمعنى: صاد بعملك القرآن أي حادث القرآن وعارضه بعملك وقابله به أو أعرضه على عملك فانظر أين عملك من القرآن فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه...

٢ـ عن السدّي: «ص» حرف من حروف الهجآء. ٣ـ عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله سُئلا قالا: ما ندري ما «ص» ولا معناه. ٤ـ عن ابن عباس والسدي أيضاً وقتادة والضحاك: «ص» إسم من أسمآء الله الحسنى صادق أقسمه الله تعالى به. والمعنى: إنّي أنا الله الصادق اقسم بالقرآن ذي الذكران هذا الكلام معجز. ٥ـ عن ابن عباس وقتادة أيضاً: هو إسم من أسمآء القرآن أقسم الله تعالى به. والمعنى: كرّروا القرآن أيّها المؤمنون أو النّاس حتّى تعلموا الإيمان من الكفر والسنّة من البدعة، والحقّ من الباطل، والصدق من الكذب، والحلال من الحرام، والخير من الشرّ...

٦ـ عن الضحّاك: «ص» معناه صدق الله. ٧ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «ص» محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كما أنّ «يس» إسم من أسمآئه صلى الله عليه وآله وسلّم. ٨ـ قيل: معناه: وجب والله، نزل والله، وحق والله. و«ص» جواب لقوله: «والقرآن» ٩ـ عن

إبن عباس أيضاً: «ص» كان بحراً بمكّة، وقد كان عليه عرش الرحمن إذ لا ليل ولا نهار كما قال: «وكان عرشه على المآء» هود: ٧) ويحيي النّاس بالنفخة للبعث بهذا البحر أو بمآء هذا البحر. ١٠ـ عن سعيد بن جبير: «ص» بحر يحيي الله به الموتي بين النفختين. ١١ـ قيل: «ص» معناه صدق محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم في كل ما أخبر به عن الله وصادق في قوله وعمله.

١٢ـ قيل: أي صدّ الكفّار عن قبول هذا الدّين، وصرف أهل مكّة عن الحق والهدى فـ «ص» إشارة إلى صدّ مشركي مكّة وإعراضهم عن القرآن وعن الحقّ والهدى كقوله تعالى: «إنّ الّذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله» الحجّ: ٢٥)

١٣ـقيل: «ص» معناه: صرف أبوجهل عن الحقّ والهدى. ١٤ـقيل: أي صدّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم قلوب العباد. ١٥ـ قيل: آي صاد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قلوب الخلق واستمالها حتّى يؤمنوا به. ١٦ـ عن الحسن أيضاً: «ص» أي اتل القرآن وتعرّض لقرآئته. ١٧ـ قيل: «ص» إسم لهذه السّورة وعَلَم لها كما أنّ «يس» إسم وعلم لسورة «يس» أي هذه السّورة: «ص» هي الّتي أعجزت مشركى العرب بحق القرآن كما تخبر: هذا حاتم والله. تريد هذا هو المشهور بالسخآء والله. ١٨ـ قيل: «ص» هو المقسم به، و«القرآن» عطف عليه، فيكون المقسم به هو «ص» و«القرآن» معاً وكان «ص» ذا شأن جليل وجلال عظيم كشأن القرآن وجلاله.

١٩ـ قيل: «ص» إشارة إلى صبر تسعة من مشاهير الأنبياء عليهم السّلام جاء ذكرهم في هذه السّورة ليقتدى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في الصبر على مهمّته، وإشارة إلى أنواع الصبر: صبر الأشقيآء والمكذّبين على الشّرك والغواية، على الجهل والجناية، وعلى الكفر والمعصية... فانّ الضلالة لا تتم عند أهلها إلّا بالصبر عليها لقوله تعالى فيهم: «وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم» ص: ٦) وصبر الأنبيآء والمرسلين على التّوحيد ورسالتهم، فانها لا تكمل إلّا بالصّبر عليها، وعلى ايذاء الأشقيآء وشقاق الكافرين لقوله تعالى: «واصبر على ما يقولون ـ واذكر عبدنا داود ـ واذكر عبدنا أيّوب ـ إنا وجدناه صابراً ـ قل ما أسئلكم عليه أجراً وما أنا من

المتكلّفين» ص: ١٧ـ ٨٦) ولكن شتّان ما بين الصبرين!

٢٠ـ عن محمّد بن كعب: «ص» هو مفتاح أسمآء الله تعالى: صمد وصانع المصنوعات وصادق الوعد. ٢١ـ عن مجاهد: «ص» هو فاتحة السّورة. ٢٢ـ قيل: هو مما استأثر الله تعالى بعلمه. ٢٣ـ قيل: «ص» حرف من الحروف الّتي يراد بها تنبيه المخاطب للإصغآء إلى ما يريد بعده من الكلام لأهميته نحو: ألا، ويا، وينطق بأسمآئها، فيقال: «صاد» بالسّكون. ٢٤ـ قيل: «ص» إشارة مجملة إلى ما استقبل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنون قوله تعالى في آخر «الصافات»: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون...» أيّ سبّحنا بحمدك ربّنا وحق والقرآن ذي الذكر الّذي آمنّا به. ٢٥ـ قيل: «ص» معناه: المدينة والمساهلة لكونه مشتقّاً من المصاداة فكأنّه تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم: ليّن الأمر وسهّله على مشركي قومك كقوله تعالى: «خذ العفو وامر بالعرف» الأعراف: ١٩٩)

أقول: إنّ كلامنا في «ص» هو الكلام في سآئر مفاتيح السور القرآنية، رمز من الرموز بين الله جلّ وعلا ورسوله وأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينه وبين ما ورد في المقام سيأتي ذكره في البحث الروائي فانتظر.

وفي قوله تعالى: «ذي الذّكر» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي حصين والسدي: أي ذي الشّرف والرفعة والشأن الدالّة على حقيقته وصدقه. فمن آمن به كان له شرف في الدارين، مع كون القرآن شريفاً في نفسه لإعجازه وإشتماله على ما يشتمل عليه غيره. ٢ـ عن الضحاك وقتادة: أي ذي التّذكير والتذكّر ذكركم الله به أي فيه ذكركم كقوله تعالى: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم» الأنبيآء: ١٠) وقوله تعالى: «وانه لذكر لك وقومك» الزخرف: ٤٤) وذلك أنّ الله أتبع ذلك قوله: «بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق» فكان معلوماً بذلك أنّه إنّما أخبر عن القرآن أنّه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به، وأن الكفّار من الإيمان به في عزّة وشقاق.

٣ـ قيل: أي ذي الشهرة. ٤ـ قيل: أي ذي الموعظة والذُكر. ٥ـ قيل: أي ذي الهداية إلى الطريق لحياة أفضل لقوله تعالى: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هى أقوم»

الإسرآء: ٩) ٦ـ قيل: أي فيه ذكر ما يحتاج إليه الإنسان من أمر الدّين في كل ظرف. ٧ـ قيل: أي فيه ذكر أسمآء الله وتمجيده. ٨ـ قيل: أي ذي البيان والبرهان الّذي يؤدّي المتأمل فيه إلى الحق، ويهدي المتدبّر فيه إلى الرشد، الرادع عن الغيّ والفساد، وعن البغي والضلال... لأنّ فيه ذكر الأدلّة الّتي إذا تفكّر فيها العاقل عرف الحقّ عقلاً وشرعاً، ومن تمسّك بها سعد ومن عدل عنها شقى ومن عمل بها نجى ومن ترك العمل بها هلك.

٩ـ قيل: أي فيه بيان الأوّلين والآخرين. ١٠ـ عن الجبآئي: أي فيه ذكر الله وتوحيده وأسمآئه الحسنى وصفاته العليا، وفيه ذكر الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام وذكر أخبار الامم وذكر البعث والنشور والحساب والجزآء، وذكر ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع في كلّ ظرف من اموره الدينية والاخروية ومن الأحكام الفردية والاجتماعية لقوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شئ» الأنعام: ٣٨)

أقول: والتّعميم غير بعيد، فلكلّ وجه، من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٢ـ (بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق)

في قوله تعالى: «في عزّة» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس وقتادة: أي في تكبّر وامتناع عن قبول الحق، وحميّة جاهليّة. وذلك أنّ العزّة عند العرب: القهر والغلبة كما قالوا في أمثالهم: مَن عَزَّ بَزَّ يعني مَن غَلَبَ سلب ومنه: «وعزّني في الخطاب» ص: ٢٣) أي أراد غلبني. ٢ـ قيل: أي في ملكة واقتدار وقوة بتمكين الله تعالى إياهم. والمعني: إنّا مكّنّا هؤلآء الكافرين واعطيناهم القوة ليقووا بها على التّوحيد وانطاعة لنا، فتقووا ـ بسوء إختيارهم ـ بها على الشّرك والمعاصي، وعلى دفع الحقّ الّذي أتاهم، فصاروا في شق، غير شق رسولهم الذي جآءهم من قبل ربهم.

٣ـ عن مجاهد: أي معازين. ٤ـ قيل: العزّة هنا: الحميّة الجاهلية والتعصب الأعمى لدين الآبآء... ٥ـ عن ابن زيد: أي يعادون أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وكتابه. ٦ـ قيل: هذه العزّة في مقابل قوله تعالى في آخر «الصافات»: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون» فهذه العزّة لمشركي مكّة هي عزّة كاذبه باطلة

مدّعاة هي عزّة غرور وحمق وجهل، تلك العزّة الّتي يخيل لمدّعيها أنّه واحد هذه الدّنيا ومالك أمرها. وقيل: «في عزة» أي في غفلة عمّا يجب عليهم من النظر واتباع الحق.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السياق، من غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «شقاق»أقوال: ١ـ عن إبن عباس: أي في عداوة وعصيان ومخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك. ٢ـ عن قتادة: أي في فراق. ٣ـ قيل: أي في خلاف لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ٤ـ قيل: أي في إظهار خلاف ومباينة وهو من الشّقّ كأنّ هذا في شقّ وذلك في شقّ. ٥ـ عن ابن زيد: أي يخالفون أمر الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومنه يقال: شقّ فلان العصا: إذا خالف. ٦ـ قيل: أي في اختلاف. ٧ـ قيل: الشقاق: المنازعة.

٨ـ قيل: الشّقاق: المجادلة والمخالفة والتعادي وأصله من الشّقّ وهو الجانب، فكأنّ كلّ واحد من الفريقين في شقّ غير شقّ صاحبه. ٩ـ قيل: إنّ الشّقاق مأخوذ من فعل مايشقّ ويصعب، فكأنّ كلّ واحد من الفريقين يحرص على مايشقّ على صاحبه.

أقول: وعلى الثّامن أكثر المفسّرين وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر.

٣ـ (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص)

في قوله تعالى: «فنادوا أقوال: ١ـ قيل: أي فنادوا عند نزول العذاب بالويل كقولهم: «يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين» الأنبيآء: ١٤) ٢ـ قيل: أي فنادوا بالإستغاثة بالله عزّوجلّ حين رأوا العذاب. ٣ـ قيل: أي ضجّوا إلى ربهم ورفعوا أصواتهم بالدعآء واستغاثوا بالتوبة إلى الله جلّ وعلا حين نزل بهم بأس الله تعالى وعاينوا عذابه فراراً من عقابه وهرباً من أليم عذابه. ٤ـ عن ابن عباس: لمانزل بمشركي مكة العذاب ببدر قالوا: مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فأنزل الله: «ولات حين مناص» ٥ـ عن الكلبي: أي كانوا إذا قاتلوا فاضطرّوا قال بعضهم لبعض: مناص أي عليكم بالفرار والهزيمة والزحف، فلمّا أتا هم العذاب قالوا: مناص.

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسّرين، وفي معناه الثّاني.

وفي قوله تعالى: «ولات حين مناص» أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد والسّدي والضحاك: أي ليس الحين حين نزو وفرار من العذاب. ٢ـ قيل: أي ليس الوقت وقت تأخّر الأخذ والعذاب. ٣ـ عن ابن زيد: أي لا منجًى ولا مفرّ إذ حقّت عليهم كلمة العذاب، فتابوا في غير وقت التّوبة، واستقالوا في غير وقت الاستقالة. ٤ـ عن ابن عباس أيضاً: أي ليس حين مغاث. ٥ـ عن قتادة والحسن: أي ليس حين نداء إذ نادى القوم على غير حين ندآءٍ ينجي، فليس الوقت وقت ما ينادون به. ٦ـ عن الحسن أيضاً: أي نادوا بالتّوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل.

٧ـ قيل: أي لا خلاص لهم أي نادوا لطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص، بأنّ الملائكة أجابتهم قآئلين: «ولات حين مناص» أي ليس الحين حين خلاص ولا نجاة إذ فات وقتهما، قِفُوا فوقفوا حتّى أهلكهم الله. وعن ابن عباس أنه قال: وقد كانوا قبل ذلك إذا قاتلوا عدوّاً نادى بعضهم بعضاً: مناص، مناص يعنون حملة واحدة، فنجا مَن نجا، وهلك مَن هلك، وإذا غلب العدوّ عليهم كانوا يبدرون بعضهم بعضاً وينادون بعضهم بعضاً: مناصَ، مناصَ بنصب الصاد أي فراراً فراراً، فيفرّون من القتال، وهذه علامة كانت بينهم في القتال إذا أرادوا أن يحملوا على العدوّ أو يفرّوا من العدوّ، فلمّا أراد الله هلاكهم نادتهم الملائكة: «ولات حين مناص» أي ليس بحين حملة ولا فرار.

٨ـ قيل: أي هذه ساعة لا منجى لهم فيها ولا فوت. ٩ـ عن سعيد بن جبير: أي ليس بحين جزع. ١٠ـ عن محمّد بن كعب القرظي: أي نادوا بالتوحيد والعقاب حين مضت الدّنيا عنهم، فاستناصوا التّوبة حين زالت الدّنيا عنهم. ١١ـ عن عكرمة: أي ليس الحين حين انقلاب.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيّداً.

٤ـ (وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب)

في الآية الكريمة قولان: **أحدهما**ـ أنّ زعمآء مشركى مكّة قدعجبوا أن جآءهم رسول بشر من أنفسهم، فكذّبوه ورموه بالسحر واتهموه بالكذب ودعوا أتباعهم إلى الكفر وتكذيب النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم. **ثانيهما**ـ أنّ مشركي مكّة كلهم قدعجبوا ثمّ صاروا فريقين: فريق منهم لم يتلبّثوا كثيراً في عجبهم من الرّسول بشراً فرجعوا إلى عقولهم فآمنوا، وفريق قدظلّوا على عجبهم، مع كونهم يتمنّون أن يجيئهم رسول من أنفسهم فكانوا أهدى الامم، فلمّا جآءهم كفروا به بغياً وعناداً، فأصروا على كفرهم وشركهم وضلالتهم فرموه بالسحر واتهموه بالكذب.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق وما ورد في النّزول فتدبّر جيّداً.

٦ـ (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد)

في القائل و«أن امشوا» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: القائل هو أبوجهل بن هشام. وذلك ان رؤسآء مشركي مكّة كعتبة وشيبة إبني ربيعة ابن عبد شمس، وأُبيّ بن خلف والعاص بن وائل وأبي معيط وأبي جهل بن هشام واضرابهم... إجتمعوا عند أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ليحلّوا مشكلة دعوته إيّاهم إلى التّوحيد ورفض آلهتهم بنوع من الاستمالة وكلّموه في ذلك، فلمّا لم يجدوه موافقاً لهم في شئ من ذلك، انطلقوا من عنده بعد ما كبّتهم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وشاهدوا تصلّبه في الدين ويئسوا مما كانوا يرجوا منه بوساطة عمّه صلى الله عليه وآله وسلّم أبي طالب عليه السّلام قال لهم أبوجهل: قوموا من عند أبي طالب وامضوا على ما كنتم عليه من عبادة آلهتكم...

٢ـ قيل: أي يقول بعض هؤلآء الرؤسآء لبعضهم: امشوا أي قوموا واخرجوا من دار أبي طالب لأنّ مشكلتنا لاتحلّ عنده. ٣ـ عن مجاهد: قال عقبة بن أبي معيط لسآئر الزعمآء: اتركوا محمداً إذ لاتحلّ مشكلتنا معه. ٤ـ قيل: وانطلق الأشراف من قريش من عند أبي طالب، فقالوا لأتباعهم السفلة الّذين كانوا خارجي دار أبي طالب، منتظري خبر زعمآئهم في حلّ المشكلة: تفرّقوا واثبتوا على عبادة آلهتكم وتمسّكوا بها ٥ـ قيل: قال الوليد بن المغيرة للملإ من قريش نذهب مع طلاقة الوجه ـ وهي

سهولة وبشر خلاف العبوس- إلى أبي طالب لعلّنا ننصرف محمّداً عما يدّعيه بوساطة عمّه أبي طالب عليه السّلام فلمّا لم يجدوا فائدة قال الوليد لهم: امشوا. قيل: «امشوا» من غير أن يتلفظوا به. ٧- قيل: ليس المراد بالمشي السير، إنّما المراد المضيّ على الأمر. ٨- قيل: المشي هنا من مشت الماشية: إذ اكثر نسلها مشآءً، ومنه الماشية للتفاؤل. مشى الرّجل: إذا استغنى فيكون هذا دعآء لهم بالبركة.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السياق، وهو المؤيد بما ورد في التّزول من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «إنّ هذا لشيءٌ يُراد» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي إن هذا محمداً لشيءٌ يراد أن يهلك. ٢- قيل: إنّ هذا الذي جآء به محمّد ويقوله لشيءٌ يراد بأهل الأرض من زوال نعم قوم وغيرَ تنزل بهم. ٣- قيل: أي إنّ هذا المذكور من التّوحيد لشيءٌ يراد منّا. أي إن هذا الّذي يقوله محمد ويدعونا إليه من قول: «لا إله إلّا الله» لشيءٌ يريده منّا، يطلب به الإستعلاء علينا والرئاسة فينا، وأن نكون له فيه أتباعاً، ولكنّا لسنا مجيبيه إلى ذلك. ٤- قيل: أي إنّ هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيءٌ يراد بنا، فهو يريد أن نؤمن به فيكثر أصحابه... ٥- قيل: أي إنّ هذا فساد في الأرض، وعن قريب ينزل به الهلاك فنتخلّص منه.

٦- قيل: أي إن هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدّة لأنّهم كانوا يعتقدون في الأصنام أنهم لوتركوا عبادتها لأصابهم القحط والشدّة. ٧- قيل: أي إن هذا لشيءٌ من ريب الزمان ونوآئب الدّهر يراد بنا فلا مردّ له، ولا انفكاك لنا منه، فلا حيلة إلّا أن تمشوا وتصبروا. ٨- قيل: «إن هذا لشيءٌ يراد» كلمة تحذير أي إنّما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعاً، فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه إذ ليس غرض محمد صلى الله عليه وآله وسلّم من هذا القول تقرير الدين، ولكن غرضه أن يستولى علينا ويحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد. ٩- قيل: إنّ هذا الأمر وهو استعلاء محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لشيءٌ يراد أي حكم الله به وحكم بامضآئه وما أراد الله كونه فلا مردّ له ولا حيلة في دفعه، ولا ينفع فيه إلّا الصبر.

١٠- قيل: أي إنّ دينكم هذا لشئ يراد أن يؤخذ منكم فيغلب محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم عليكم. ١١- قيل: أي إنّ عبادة الأصنام لشئ نريده ونحتاج إليه. ١٢- قيل: إنّ هذا الاستعلاء والترفع لشئ يريده كلّ أحد وكلّ ذي همّة، فالذي يطلبه منكم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم - وإنّ مطلوبه لشيئ يراد - بالطبع وهو السّياسة والرئاسة والتّرفع على العرب والعجم لشئ يتمنّى ويريد كلّ أحد، وهو صلى الله عليه وآله وسلّم يودّ بتمام وجوده أن يعلو علينا، وإنّما جعل الدعوة ذريعة إليه، فهو نظير قول الملأ من قوم نوح عليه السّلام لعامّتهم: «ما هذا إلّا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم» المؤمنون: ٢٤)

١٣- قيل: إنّ هذا الذي شاهدناه من إصرار محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم على مايطلبه، وتصلّبه في دينه لشئ عظيم يراد من قبله. ١٤- قيل: إن الصّبر خُلق محمود يراد منّا في مثل هذا المورد إذ لا حيلة لنا في دفع أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلّم إلّا بالصبر وقدخفى عليهم لاستكبارهم: أنّ الصبر محمود إذا كان في حبس النفس على المحارم، وهؤلآء الجهّال اعتقدوا أنّ الحقّ في الصبر على آلهتهم ولم يعلموا أنّ ذلك كفر. ١٥- قيل: أى إنّ الصبر على آلهتكم والتمسّك بها هو الشئ المطلوب منكم. ١٦- قيل: أي يراد بالدّعوة النّبويّة مصلحة غير مصلحتنا وتحويلنا عن آلهتنا، فانصرفوا عنها و تمسّكوا بآلهتكم حتى لا تزالوا عنها. ١٧- قيل: أي إن هذا الذي سمعتموه من محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فانّما هو كيد من كيده يريد به حاجة في نفسه.

أقول: والثالث هو المؤيّد بظاهر السياق.

٧- (ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إنّ هذا إلّا اختلاق)

في «الملة الآخرة» أقوال: ١- عن ابن عباس ومجاهد والسّدي وقتادة ومقاتل والكلبي والقرظي: أي الملّة النصرانية، فقالت الزعمآء الفجرة لإغوآء الأتباع السفلة: لوكان هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصاري، وإنّما خصّوا النصرانية لأنّ ملة عيسى عليه السّلام هي آخر الملل المعروفة لديهم وأنّ النّصارى مثلّثة غير موحّدة لأنّهم

يقولون: ثالث ثلاثة فلوكان الله يأبى أن يكون معه آلهة لماقبل أن يكون المسيح او ام المسيح إلهين معه؟! فهذه المسيحية هي آخر الدّيانات السماوية... فهاهم اولآء يرون أتباع المسيحية ـ وهم أهل الكتاب ـ يجعلون لله إبناً وهو المسيح ويجعلونه إلهاً كما يجعلون امّه إلهاً، فكيف إذن يكون الإله إلهاً واحداً؟ وأين تذهب الوهيّة المسيح وام المسيح؟ ٢ـ عن مجاهد وقتادة أيضاً: «الملّة الآخرة» هي ملّة قريش أي: ماسمعنا بهذا في ديننا هذه ولا في زماننا هذا قطّ. فالمعنى: ماسمعنا بقول محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فيما أدركنا عليه آبائنا المتقدمين والمتأخرين.

٣ـ عن إبن زيد: «الملّة الآخرة» هي الدّين الآخر، فإنّ الملّة هنا الدّين. ٤ـ قيل: أي إنّا لم نسمع بعد من أهل الكتاب ولا الكهّان أنّه يحدث في الملّة الآخرة توحيد الله. فالتقدير: ماسمعنا بهذا كآئناً في الملّة الآخرة. فيكون الظرف: «في الملّة» حالاً من «هذا» لا متعلقاً بـ «سمعنا». ٥ـ عن الحسن: أي ماسمعنا أنّ هذا يكون في آخر الزمان. ٦ـ قيل: أي ماسمعنا من أهل الكتاب أنّ محمّداً رسول حق. ٧ـ عن ابن عباس أيضاً: الملّة الآخرة هي اليهودية والنصرانية أي نسمع من اليهود ولا النّصارى أن الإله واحد. لأنّ اليهود تقول: «عزير ابن الله» وتقول النّصارى: «المسيح ابن الله» التوبة: ٣٠)

٨ـ قيل: أي ماسمعنا في أي دين آخر غير ما ادّعيت به. ٩ـ قيل: «الملّة الآخرة» هي الملّة الّتي كانت متداولة بين الآخرين من الامم المعاصرين لهم أو المقارنة لعصرهم، قبال الملل الاولى الّتي تداولها الأوّلون... كأنّهم قالوا: ليس هذا من الملّة الآخرة يرتضيها أهل الدّنيا اليوم بل هي من أساطير الأوّلين.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين، ولكن الأخير هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمل جيداً. وفي «اختلاق» أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد والسدي: أي ما هذا القرآن إلّا كذب إختلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلّم من تلقآء نفسه، وتخرصه. يقال: خلق واختلق أي ابتدع، وخلق الله الخلق من هذا أي ابتدعهم على غير مثال. ٢ـ قيل: أي لاأساس له على الإطلاق. ٣ـ قيل أي تخليط.

أقول: والثّالث هو الأنسب بمعناه اللغوي وهو المرويّ، والمؤيد بالآيات الكريمة.

٨- (أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لمّا يذوقوا عذاب)

في قوله تعالى: «بل لمّا يذوقوا عذابي» أقوال: ١- قيل: أي لوذاقوا عذابي لأقبلوا على التّوحيد والطاعة لله وحده، وعلى ترك الشّرك والطاعة للآلهة، وعلى أداء المأمورات والإنتهآء عن المنهيات... ٢- قيل: أراد أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم كان يخوّفهم بالعذاب لوأصرّوا على الشّرك وتكذيب الرّسول وإنكارنزول الوحى عليه، ثمّ إنهم أصرّوا ولم ينزل عليهم العذاب الموعود، فصار ذلك سبباً لشكهم في صدق النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فلا جرم لا يزول الشّك عنهم إلّا بنزول العذاب عليهم، فلوذاقوا العذاب على ذلك على ذلك لعلموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذّبون حين لا ينفعهم علمهم حينئذ.

٣- قيل: أي ليس إنكارهم وعدم ايمانهم بالذّكر ناشٍ عن شّك منهم فيه، بل لأنّهم لعتوّهم واستكبارهم لا يعترفون بحقّيته، ولو لم يكن لهم شّك فيه، حتّى يذوقوا عذابي، فحينئذ يلجؤون إلى الإيمان به كما فعل غيرهم ولكن لا ينفعهم الإيمان حينئذ. ٤- قيل: إنّ سبب هذا الشّكّ هو الحسد لمجيئ النّبوّة إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من بينهم، فاذا ذاقوا العذاب زال عنهم الحسد والشّكّ معاً.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

١٠- (أم لهم ملك السّموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي هل لهؤلآء الزعمآء الفجرة ملك السّموات والأرض، ومقدرة عليها وعلى ما بينهما من الخلق والعجائب... فإن كان لهم مقدرة عليها، فليصعدوا في أبواب السّموات، فلينظروا أ أُنزلَ على محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم النّبوّة والكتاب أم لا؟ ٢- قيل: أي بل ألهم ملك هذه الأجرام العلوية والأجرام السفلية حتّى يتكلّموا في الشئون الغيبية، ويفكّروا في التدابير الإلهية الّتي يستأثر بهارب العزّة والكبريآء؟ فإن كان الأمر كذلك فليصعدوا في المعارج، ويتوصّلوا إلى

السموات وليدبّروا شئونها حتّى يظنّ صدق دعواهم، إذ لا سبيل إلى التّصرف فيها إلّا بذلك.

٣ـ قيل: أي ألهم ملك السّموات والأرض وما بينهما من الشّمس والقمر والنّجوم والهوآء والفضآء... فيتهيّأ لهم ان يمنعوا الله من مراده، فان ادّعوا ذلك فليصعدوا في أبواب السّموات وطرقها... وليمنعوا الملائكة من مراده، فإنّ ادّعوا ذلك فليصعدوا في أبواب السّموات وطرقها... وليمنعوا الملائكة من إنزال الوحى على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ولا ريب أن هذه الأشيآء بعض خزائن الله تعالى، وإذا كانوا عاجزين عن البعض، فعن الكل أولى. ٤ـ قيل: أي ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء من خزآئنه تعالى، وإن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج الّتي يتوصّل بها إلى عرش هذا الملك حتّى يستووا عليه ويدبّروا أمر هذا العالم، فينزلوا الوحى إلى من يستصوبون ٥ـ قيل: أي مَن أنتم؟ وماذا تملكون؟ حتّى تهبوا النّبوّة لمن تشآؤن، إن كان لكم الملك فاجلسوا على العرش ودبّروا الكون، وأنزلوا الوحى على من تشآؤن.

٦ـ قيل: أم لهؤلآء الزعمآء الفجرة الذين هم في عزّة وشقاق ملك السّموات والأرض وما بينهما، فإنّه لا يعازني ولا يشاقني إلّا مَن كان له ملك ذلك، وليس ذلك لأحد غيري فكيف يعازني ويشاقني من كان في ملكي وسلطاني.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

وفي «الأسباب» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة وابن زيد: أي طرق السمآء وأبوابها الّتي تنزل الملائكة منها. والمعنى: إن ادّعوا ملك السموات والأرض وما بينهما وانهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا إليها. ٢ـ عن الربيع بن أنس: الأسباب أدق من الشعر، وأحدّ من الحديد، وهو بكلّ مكان غير أنّه لا يُرىٰ. ٣ـ قيل: الأسباب هى وسائل العروج والصعود الموصلة إلى السمآء، فيأتوا بالوحى، فيخصّوا به من شآؤا وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو

وسيلة أو سلّم أو رحم أو قرابة أو طريق أو محجة أو غير ذلك. ومنه قيل: تسببت بكذا إلى كذا أي توصلت به إليه.

٤ـ قيل: الأسباب: الحيل أي فليحتالوا في أسباب توصلهم إلى السموات ليأتوا بالوحى إلى مَن اختاروا. ٥ـ قيل: الأسباب: المعارج والطرق الّتي يتوصّل بها إلى الاستيلاء على العرش. ٦ـ عن ابن عباس والضحاك: الأسباب هي السموات نفسها، لأنّها أسباب الحوادث السفلية... أي فليصعدوا سمآءً سمآءً إلى السمآء السّابعة.

٧ـ عن السّدي: في الأسباب أي في الفضل والدّين. ٨ـ عن أبي عبيدة: أي فليعلوا في أسباب القوّة إن ظنّوا أنّها مانعة. ٩ـ قيل: الأسباب: الحبال يعني إن وجدوا حبلاً أو سبباً يصعدون فيه إلى السمآء فليرتقوا. ١٠ـ قيل: أي فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج والطرق الّتي يتوسل بها إلي المقصود. ١١ـ قيل: إن الأسباب إشارة إلى أنّ الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواصّ أسباب حوادث العالم السفلى ١٢ـ قيل: الأسباب هي التسبّب بالعلل والحيل الّتي يحصل بها لهم المنع والصرف فالمعنى: فإنّ كان لهم أن يتصرّفوا في السّموات والأرض فيمنعوا نزول الوحى السّماوي إلى بشر أرضى فليتسبّوا الأسباب وليمنعوا من نزول الوحى إليك.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق من غيرتناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً فانّ التّأمل في كلام الخالق العليم أولى من التأمل في كلام المخلوق الجهول.

١١ـ (جندما هنا لك مهزوم من الأحزاب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة: قريش هم جند من الأحزاب، والأحزاب هم الكفار المتحزّبون على رسل الله تعالى من القرون الماضية.

وذلك انّ الله عزّوجلّ وعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم وهو بمكة يومئذ أنّه سيهزم جنداً من المشركين فجآء تأويلها يوم بدر. فـ «هنا لك» إشارة إلى يوم بدر وهو موضع

تحزّبهم لقتال محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فالمعنى: إنّ مشركي مكّة هم جند من أحزاب ابليس وأتباعه الذين مضوا قبل هؤلآء المشركين فأهلكهم الله تعالى بكفرهم بالله وتكذيبهم الأنبيآء عليهم السّلام، فهؤلآء المشركون مهزومون يوم بدر، ومكسورون عما قريب لأنّهم على طريقة اولئك الأحزاب الهالكة... كقوله تعالى حكاية عن جالوت: «فمن شرب منه فليس منّي ومن لم يطعمه فانّه منّي» البقرة: ٢٤٩) أي على ديني ومذهبي. فهزموا يوم بدر.

٢ـ عن ابن عباس: أي فريق قليل وجند حقير، يوم بدر مهزوم من كفار مكّة، عند ما أرادوا قتل النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر فقتلوا، فالمراد بالأحزاب: كفار مكة، والمراد بالجند: فريق قليل منهم. ٣ـ قيل: إنّ جنداً من مشركي مكّة تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وحاربوه يوم الأحزاب المعروفة بالخندق. فـ «هنا لك» إشارة إلى يوم الخندق وقدهُزِم المشركون فيه. والمعنى: وما حزّبوا من أحزاب على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين يوم الخندق، وظاهرهم اليهود على هذا الذي أرادوه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين من سوء فهم وما جمعوا، جمع هزيل لا قيمة له.

٤ـ قيل: أي زعماء مشركي مكة هم جند ما أقلاّء أذلآء منهزمون بمكّة في يوم فتحها وهي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات: «هذا ساحر كذّاب ـ إنّ هذا لشئ يراد» ص: ٤ـ ٧) فهم جند حقير من اولئك الأحزاب المتحزّبين على الرّسل الذين كذّبوهم وتحزّبوا عليهم، فحق عليهم عقابي. ٥ـ قيل: أي جند ما هنا لك مغلوب وممنوع عن أن يصعد إلى السمآء. ٦ـ قيل: إنّ «هنا لك» إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الإنتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنا لك. فلا تكترث يا أيّها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لما يقولون فيك ولا تبال بما يهذون.

٧ـ قيل: الأحزاب هم الذين أتوا المدينة وتحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. ٨ـ قيل: إنّ هؤلآء الزعمآء الفجرة جند لتلك الآلهة مهزومون، فهم لا يقدرون

على أن يدّعوا الشيْ من آلـهتهم ولا لأنفسهم شيئاً من خزائن رحمة الله تعالى ولا من ملك السموات والأرض. ٩ـ قيل: أي هؤلآء الذين يقولون هذه المقالة الشنيعة ويقسمون رحمة ربّك بحسب أهوآءهم ـ هم جند كثير من الكفار المتحزّبين على المؤمنين ـ مغلوبون في الوقائع التي ستكون بينك وبينهم، وستنتصر عليهم كما حدث في مصارع بدر وغيرها، فأنّى لهم تدبير الامور الغيبية الإلهية والتصرّف في الخزآئن الرّبانية. ١٠ـ قيل: أي هؤلآء الذين يقولون هذا القول: «ساحر كذاب» هم جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفّار الذين تحزّبوا على الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام، وأنت منصور عليهم، مظفر غالب، فهم جماعة من تلك الجماعات الّتي تجتمع على الكفر والضلال وعلى البغى والفساد، وتتحزّب على الباطل في كل زمان ومكان، ومن هؤلآء قوم نوح وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، فهؤلآء الأحزاب هم الّذين تشير إليهم الآيتان التاليتان... والهزيمة هي الخذلان وهزيمة هؤلآء الجند هي هزيمتهم في مواقع الحقّ، وخذلانهم في مجالي الخير، فهم لايعرفون حقاً، ولا ينالون خيراً، فستدور دائرة السّوء على جنود الشّرّ وأحزاب الضلالة لا محالة.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

١٢ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد)

في قوله تعالى: «ذوالأوتاد» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي صاحب الملك الدائم والعزّة الثابتة بأنّ قومه كانوا يزعمون عدم زوال الملك والعزّة من فرعون، بحيث كانت سحرته يقسمون بعزته: «وقالوا بعزّة فرعون إنا لنحن الغالبون» الشعراء: ٤٤)

وقال الشاعر: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ـ في ظلّ ملك ثابت الأوتاد

٢ـ عن مقاتل والسدي، والربيع بن أنس والكلبي: أي صاحب العذاب بالأوتاد. وإنّما سمّى ذا أوتاد لأنّه كان إذا غضب على أحد، وتده بأربعة أوتاد، يشدّ إليها يديه ورجليه، ويعذّبه، ورأسه على الأرض. وقيل: يمدّه مستلقياً بين أربعة أوتاد في الأرض، ويرسل عليه العقارب والحيات حتّى يموت. وقيل: كان يشبح المعذّب بين

أربع سوار، كلّ طرف من أطرافه إلى سارية، مضروب فيه وَتِدٌ من حديد، ويتركه حتى يموت. وقيل: كان يعذّب الناس على رؤس أخشاب أربعة. وقال السدي: إنّ فرعون كان يعذّب الناس بالأوتاد يعذّبهم بأربعة أوتاد ثمّ يرفع صخرة تمدّ بالحبال ثم تلقى عليه فتشدخه.

٣ـ عن ابن عباس أيضاً وقتادة وعطآء: كانت لفرعون أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها. وقال ابن عباس أيضاً: كانت له ملاعب يلعب له تحتها. وقيل: يلعب بها بين يديه. ٤ـ عن الضحّاك : أي ذوالبنيان، والبنيان أوتاد. وقد كان فرعون كثير البنيان. والمراد بالأوتاد: الأبنية المحكمة لا تنهدم، والقصور المرتفعة لا تخرب. وقال المبرّد: إنّ فرعون بنى أبنية طويلة صارت كالأوتاد لبقائها وثباتها. ٥ـ عن ابن عباس أيضاً: أي ذوالبنآء المحكم.

٦ـ عن الجبائي والقتيبي: أي ذوالجنود والجموع الكثيرة بمعنى أنهم يشدّون ملكة، ويقوّون أمره كما يقوّي الوتد البناء والشيئ. والعرب تقول: هو في عزّ ثابت الأوتاد أي ثابت دآئم. والأصل فيه أن بيوتهم إنّما تثبت بالأوتاد ثم استعير لثبات العزّ والملك. وقيل: سمّى ذا الأوتاد لكثرة جيوشه السآئرة في الأرض وكثرة أوتاد خيامهم، فعبّر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد... وكان فرعون كثيري العساكر، كثيري الأهبة، عظيمي النعمة، وكانوا يكثرون من الأوتاد لأجل الخيام فعرف بها.

٧ـ عن الضحاك أيضاً: أي ذوالقوّة والبطش وذوالملك الشديد. ٨ـ قيل: أوتاد فرعون هى تلك الأهرام التي أقامها فراعنة مصر، وسمّيت أوتاداً تشبيهاً بالجبال في الرسوخ في الأرض والعظم والعلوّ والإرتفاع، وقيل: كانت أوتاداً على الأرض كالجبال الّتي هى أوتاد الأرض: «والجبال أوتاداً» النبأ:٧) ٩ـ قيل: عمل الأوتاد التي أراد أن يصعد بها إلى السمآء.

أقول: ومعنى الثّاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٣ـ (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة اولئك الأحزاب)

في قوله تعالى: «اولئك الأحزاب» أقوال: ١ـ قيل: أي هؤلآء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزّبة على معاصي الله تعالى والكفر به الّذين منهم يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم مشركو قومك وهم مسلوك بهم سبيلهم. ٢ـ قيل: أي هم الموصوفون بالقوّة والكثرة كقولك: فلان هو الرّجل. ٣ـ قيل: أي هم الكفار حقاً.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

١٥ـ (وما ينظر هؤلآء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: أي وما ينظر هؤلآء المشركون بالله من قريش إلّا صيحة واحدة، وهي النفخة الاولى في الصّور مالها من فتور ولا انقطاع فيحلّ عندئذٍ بهم العذاب. ٢ـ عن ابن زيد: الصّيحة الواحدة هي العذاب نفسه أى ماينتظر مشركو مكّة إلّا عذاباً يهلكهم لا إفاقة لهم منه، فلايفيقون من العذاب. ٣ـ قيل: أي وماينتظر هؤلآء المذكورون من ستة أقوام الأنبيآء السابقة إلّا صيحة واحدة مالها من مهلة، بل ممتدّة حتّى يهلكوا. ٤ـ قيل: أي وماينتظر هؤلآء الذين كذّبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم إلّا صيحة واحدة تأتيهم بغتة لا رجوع لهم بعدها إلى الحياة الدنيا. أي ماينتظرون بعد ما اصيبوا بمصارع بدر وغيره إلّا صيحة القيامة. فالمراد أن عقوبة امّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بعذاب الإستئصال مؤخّرة إلى يوم القيامة، وعقوبة سآئر الامم معجّلة في الدنيا كما قال تعالى: «بل الساعة موعدهم والسّاعة أدهى وأمرّ» القمر:٤٦)

٥ـ قيل: أي وماينتظر أحياؤ المشركين الآن إلّا الصيحة الواحدة الّتي هي النفخة في الصّور كما قال تعالى: «ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون» يس: ٤٩-٥٠).

٦ـ قيل: أي وما ينتظر كفار آخر هذه الامّة الّذين انسلكوا مسالك هؤلآء المشركين إلاّ صيحة واحدة وهي نفخة القيامة، ليس بينها وبين عذابها فترة. ٧ـ قيل: الصيحة هي النفخة الثانية الّتي تقوم بها الساعة أي ماينتظر الكفار في كل زمان من جميع الامم من قومك المشركين واولئك الأحزاب جميعاً إلاّ تلك النفخة بدون توقف مقدار فواق، فاذا حلّ

هذا الميقات لايتأخّرون منه أبداً. ٨ـ قيل: الصيحة هنا هي صيحة الموت، وذلك ان مشركى العرب لم يهلكوا بعذاب من عندالله تعالى في الحياة الدّنيا كالامم السّابقة، إكراماً لرسول اللهصلیالله علیه وآله وسلّم لقوله تعالى: «وما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم» الأنفال: ٣٣) وصيحة الموت هذه هي بالنسبة للكافرين الذي يموت على كفره بلآء عظيم، إذ تقطعه عن الايمان الذي كان يمكن أن يكون منه قبل أن يموت، فاذا مات على الكفر استحال أن يكون في المؤمنين أبداً، وكانت الصيحة عليه بالموت هي المركب الذي يحمله إلى جهنم من دون مهلة. **أقول:** والثالث هو الأنسب بظاهر التّهديد للمشركين بالعذاب النازل على مكذبى الامم الماضية وإن كان الخامس غير بعيد و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «مالها من فواق» أقوال: ١ـ عن ابن زيد وقتادة: أي ما لتلك الصيحة من فتور ولا انقطاع كما يفتر المريض. ٢ـ عن قتادة أيضاً: أي ما للساعة من رجوع ولا ارتداد. ٣ـ عن الضحّاك: أي ما للصيحة مثنوية أي صرف وردّ. ٤ـ عن ابن عباس ومجاهد: أي ما لتلك الصيحة من ترداد ولا رجعة لأنّ الواحدة تكفي أمرهم فمالها من رجوع إلى الحالة الاولى، بل تبقي ممتدّة إلى أن يهلك كلهم. ٥ـ عن السدي: أي ما لهؤلآء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدّنيا. ٦ـ قيل: أي ولا من راحة ولا نظرة يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشيّ عليه، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصّحة أو سكون الدآء.

٧ـ قيل: أي ولا مهلة ولا فترة للصيحة فانّها ممتدّة لاتقطيع فيها، بل يمدّها ويديمها ويطوّ لها. ٨ـ قيل: ما لهذه الصيحة الواحدة من توقف، مقدار فواق، وهو زمان ما بين حلبتي الحالب، ورضعتي الراضع لأن الناقة تُحلب ثم تترك سُوَيعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثم تحلب. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «العيادة قدرفواق الناقة». ومنه الأفاويق: ما اجتمع في السمآء من مآءٍ فهو يمطر ساعة بعد ساعة. وقال الفرّآء: إذا ارتضعت البهيمة امّها ثمّ تركتها حتّى تنزل فتلك الإفاقة والفواق، ثمّ قيل لكلّ راحة وإنظار للإستراحة فواق. فالمعني: لا إفاقة لهم من سكرة الصيحة

ولا استراحة لهم من كربتها كما يفيق المريض من علته والسكران من نشوته. فالمراد أنّه لاراحة للمشركين منها، فجعل تعالى الراحة لها على طريق المجاز والإتساع.

٩ـ قيل: أي وما ينتظر هؤلآء المكذّبون من امّتك إلّا صيحة واحدة تقضي عليهم وتهلكهم مالهم مهلة يسيرة وهي عذاب الاستئصال. ١٠ـ قيل: الفواق: البرهة القصيرة من الزمن بين الجرعة والجرعة من المآء... يأخذ فيها الشارب نفسه، فلن يُمهلوا طويلاً حتّى يأتيهم العذاب وهو حين يأتي لا يدع لهم لحظة من الزمن يستردّون فيها أنفاسهم... إنها صيحة واحدة تخمد أنفاسهم بعدها...

أقول: والثامن هو الأنسب بظاهر السياق، وعليه أكثر المحققين من المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيداً.

١٦ـ (وقالوا ربّنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس والحسن: أي وقال كفّار مكة حين ذكر الله تعالى في كتابه: «فأما من اوتى كتابه بيمينه ـ وأما من اوتى كتابه وراء ظهره» الإنشقاق: ٧ـ ١٣) : «يا ربنا عجّل لنا كتابنا أي صحيفة أعمالنا حتى ننظر فيها فنعلم ما فيها قبل يوم القيامة والمعنى: أطلعنا على صحآئف أعمالنا في هذه الحياة الدنيا، وعجّل لنا باخبارنا عما في صحآئف أعمالنا قبل أن نحاسب يوم القيامة، وعن أبي العالية والكلبي ومقاتل: لمّا نزل: «وأما من اوتى كتابه بيمينه...» قالت قريش: زعمت يا محمّد! أنا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعجّل لنا كتبنا الّتي نقرؤها في الآخرة قالوا بذلك إستهزاءً منهم بهذا الوعيد وتكذيباً به. والقطّ: الصحيفة المكتوبة. قالوا ذلك إستهزآءً وسخرية من حديث يوم الحساب والوعيد بالعذاب فيه. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً ومجاهد وقتادة وعكرمة: أي عجّل لنا نصيبنا وقدّم لنا حظّنا من العذاب قبل يوم القيامة. قالوا ذلك على سبيل الإستهزآء والسخرية من التهديد والوعيد بالعذاب كالامم الماضية، فسئلوا ربهم تعجيل حظّهم من العذاب الذي أوعدهم في الدنيا والآخرة. والتعجيل هو فعل الشئ قبل أو انه الذي ينبغي أن يفعل فيه.

٣ـ عن عطآء: القائل هو النضرب بن الحرث ابن علقمة بن كلدة أخوبني عبد الدار وهو الذي سئل قال: «سئل سآئل بعذاب واقع» سئل بعذاب هو واقع به، فكان الذي سئل أن قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم» قال عطآء: لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله. قيل: القائل هو أبوجهل بن هشام وهو كان يقول: «اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم».

٤ـ عن نافع بن الأزرق: أي عجّل لنا جزآئنا قبل يوم الحساب. ٥ـ عن ابن عباس والحسن أيضاً: أي قال مشركو مكة: عجّل لنا نصيبنا من الجنّة لنتنعّم به في الدّنيا، الجنّة التي تعد المؤمنين بها. وعن السدي وسعيد بن جبير: أي أرنا حظّنا من النعيم في الجنّة حتّى نؤمن بما أنزلت إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم سئلوا أن يمثّل لهم أنصبآئهم ومنازلهم من الجنّة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يؤعدون به فيؤمنوا حينئذ به ويصدّقوه. ٦ـ عن اسمعيل بن أبي خالد: أي عجّل لنا أرزاقنا. ٧ـ قيل: أي عجّل لنا ما يكفينا من قولهم: قطني أي يكفيني. ٨ـ قيل: أي انهم سئلوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشرّ الذي وعد الله تعالى عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدّنيا إستهزآءً بوعيد الله. والقطّ هو الجوآئز والحظوظ... والقطّ أيضاً صحيفة الجآئزة ونحوها لأنّها قطعة من القرطاس. ٩ـ قيل: أي عجّل لنا نصيبنا من لذّاتنا العاجلة.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٧ـ (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب)

في قوله تعالى: «اصبر على ما يقولون» أقوال: ١ـ قيل: أي واصبر على ما أذى المشركين، وصُن نفسك أن نزّل فيما كلفت من مخابراتهم، فانّك مبتلى بذلك كما صبر سآئر الأنبيآء على ما ابتلاهم به ثم عدّهم وبدأ بداود، وذلك أنّه تمنّى منزلة آبآئه إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السّلام فأوحى الله تعالى إليه أنّهم وجدوها بالصبر على

البلايا فسئل الإبتلآء، وأنّ الدّنيا لاتنفكّ من الهموم والأحزان واستحقاق الدرجات بقدر الصبر على البليّات... ٢- قيل: أي اصبر وعظّم أثر أمر معصية الله تعالى في أعينهم بذكر قصّة داود عليه السّلام وما أورثته زلّته من البكآء الدائم والحزن الواصب. ٣- قيل: أي اصبر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم على ما يقولون فيك: «هذا ساحر كذّاب» وما يقولون فينا مستهزئين بوعيدنا: «ربّنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب» وما يضمرون من أضغان... فلكل امرئٍ عاقبة عمله فوبالها يعود عليهم، واحذر أن تهن في مصابرتهم وتحمّل أذاهم واصبر على ما يستهزؤن، واذكر لهم قصص الأنبيآء عليه السلام لتكون برهاناً على صحّة نبوّتك.

أقول: ولكل وجه، ولكن الأوجه الأنسب بظاهر السّياق هو الأخير.

وفي قوله تعالى: «ذا الأيد» أقوال: ١- عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: أي ذا القوّة في العمل لله تعالى وفي تسبيحه جلّ وعلا، والبطش الشديد في ذات الله سبحانه والصبر على طاعته، شديد القوّة في الدين والعبادة وفي الدعآء إلى الله تعالى وفقها في الإسلام إذ كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر. فالأيد: القوّة لقوله تعالى: «والسمآء بنينا ها بأيد» الذاريات:٤٧) أي بقوّة.

٢- قيل: أي ذا القوّة على الأعدآء وقهرهم في الحروب، وذلك لأنّ داود عليه السلام رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله. وذا القوّة على الطاعات وعن المعاصي، وقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشدّ الصّوم ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه. وعن الحسن: أي ذا القوّة في العبادة والبصر في الهدى وعن ثابت: ان داود عليه السلام كان يطيل الصّلاة من الليل فيركع الركعة ثمّ يرفع رأسه فينظر إلى أديم السمآء ثم يقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السمآء نظر العبيد إلى أربابها. ويقول: اللهم نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحيّ القيّوم الذي لاتأخذك سنة ولا نوم.

وكان قوياً في العمل إذ قال: إلهي أيّ رزق أطيب ؟ قال: ثمرة يدك يا داود، وأن لاتأكل بيت المال. وقيل: إنّه كان يصنع القفة من الخوص وهو على المنبر ثمّ

يرسل بها إلى السوق فيبيعها ثمّ يأكل بثمنها. وقيل: الأيد: القوّة وهي مأخوذة من اليد التي تتمثّل فيها قوّة الإنسان الجسدية، ثم إنّها ليست يداً واحدة بل أيدياً كثيرة، وإذن فهي قوّة خارقة، والقوّة هنا ليست قوّة جسدية ـ وحسب ـ بل هي قوّة روحية ونفسيّة أيضاً تشتمل على طاقات عظيمة من الصبر على المكاره واحتمال الشدائد... ٣ـ قيل: اليد هنا النعمة لأنّ الله عزّوجلّ أنعم على داود عليه السّلام ما لم ينعم على غيره. والمعنى: أنه كان ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة، وذلك انه كان يبيت كلّ ليلة حول محرابه اُلوف كثيرة من الرجال.

أقول: والتعميم هو المروىّ، والأقوال من قبيل بيان المصاديق من غير تناف بينها.

وفي قوله تعالى: «أوّاب» أقوال: ١ـ عن مجاهد وابن زيد: أي رجّاع مما يكرهه الله تعالى إلى مايرضاه، كثير رجوع عن كل مايكرهه الله إلى كل مايحبّه، وكثير الرجوع في الامور كلها إلى طاعة الله تعالى ومرضاته، ويفعلها لله وحده، فكان أهلاً ليقتدى به. ٢ـ عن مجاهد أيضاً: أي رجّاع عن الذنوب فانّه كلّما ذكر ذنبه أو خطر على قلبه استغفر منه. والأوّاب هو الرجل الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله.

٣ـ عن ابن عباس وقتادة: أي مطيع لله تعالى كثير الصلاة، مقبل إلى طاعة الله تعالى. الأوّاب: التوّاب الذي يؤب إلى طاعة الله ويرجع إليها. ٤ـ عن ابن عباس ومجاهد أيضاً وسعيد بن جبير والسدي: أي مسبّح منقاد مطيع لله تعالى وعن عمرو بن شرحبيل: الأوّاب: المسبّح بلغة الحبشية. ٥ـ عن ابن عباس أيضاً: الأوّاب: الموقن. ٦ـ قيل: الأوّاب: كثير الأوب، والاوب هو الرجوع إلى المكان الذي كان منه الذهاب... فهو رجوع بعد ذهاب، وقدغلب الأوب على المعنويات كما غلب الإياب على الماديات...

أقول: والمعاني متقارب.

١٨ـ (إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق)

في قوله تعالى: «إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن» أقوال: ١ـ عن ابن عباس

ومجاهد وقتادة وابن زيد ومقاتل والضحاك والحسن: كان داود عليه السّلام إذا ذكرالله تعالى ذكر معه الجبال، وكان هو يفقه تسبيح الجبال... وذلك انّ الله عزّوجلّ خلق في الجبال مثل صوت داود عليه السلام فيسبّح معه حيثما يسبّح لله تعالى كما أوجد الصّوت في الشجر، فتكلّم موسى عليه السلام. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «يسبّحن» أي يصلّين. ٣ـ قيل: أي الجبال حملت داود عليه السلام على التسبيح لله تعالى إذا تأمّل ما فيها من العظمة بأنّ داود عليه السلام إذا رآى خلقة الجبال وارتفاعها يعرف كمال قدرة الله عزّوجلّ وغاية حكمته وتدبيره في خلقه، فيذكر الله ويسبّحه، فالجبال توجب أن يذكر داود عليه السلام الله تعالى فهى له مذكّرات كما يذكّر المسبّح مسبّحاً آخر.

٤ـ عن محمد بن اسحق: أي اوتى داود عليه السلام من حسن الصّوت مايكون له في الجبال دوىّ حسن وماتصغى لحسنه الطير وتصوّت معه، فهذا تسبيح الجبال والطير. وذلك ان الله تعالى منح داود عليه السلام صوتاً عظيماً فكان يسبّح به عند شروق الشمس وغروبها، فتسبح به الجبال الراسيات وتقف له الطيور السارحات العاديات الرائحات وتجاوبه مسبّحة معه بأنواع اللغات... فكان تسبيحها تسبيح مقال إذ خلق تعالى فيها حياةً ونطقاً. ٥ـ قيل: إن السموات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم وغيرها كلها يسبّح لله عزوجل، وإن لايفقهه الإنسان، ولكن الله تعالى أفقه داود عليه السّلام تسبيح الجبال والطير، فكان هو عليه السّلام يدركه ويفقهه، فليس أصل التسبيح للجبال أمراً جديداً، وإن كان ظهوره أمراً جديداً كتكلّم بعض الحيوان.

٦ـ عن الجبائي: أي إنّ الله تعالى سخّر الجبال لداود عليه السلام فتسير معه حيثما سار، وسيرها معه تسبيحها لأنها دالّة على تنزيه الله عزّوجلّ عن شبه المخلوقين. فالمعنى: ان الجبال كانت تسير بأمر الله تعالى مع داود عليه السّلام حيث سار بالغداة والعشى، فسمّى الله عزّوجلّ ذلك تسبيحاً لما في ذلك من دلالته على قدرته تعالى وغناه من خلقه، وعلى صفاته الّتي لايشاركه فيها غيره. فالمراد من تسبيح الجبال هو أن لسان حالها يسبّح الله ويقدّسه لما فيها وعليها من دلآئل الوجود والوحدانية. وكان هذا معجزة لداود عليه السّلام إذ رآه الناس عرفوه ٧ـ قيل: تسبيح الجبال معه عليه السلام

هو تقديسها لله تعالى بحال تليق بها. ٨ـ قيل: إنّ المراد بتسبيح الجبال مع داود عليه السّلام: ما أعطاه الله تعالى من حسن الصّوت بقراءة الزبور فكان إذا قرأ الزبور أو رفع صوته بالتّسبيح بين الجبال ردّت الجبال عليه مثله من الصّدي، فسمّى الله تعالى ذلك تسبيحاً.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين، وفي معناه روايات سبق ذكرها في سورة «سبأ» فراجع.

وفي قوله تعالى: «بالعشي والإشراق» أقوال: ١ـ قيل: العشى: وقت غروب الشمس والإشراق: وقت طلوعها. ٢ـ قيل: العشى وقت أذان المغرب، والإشراق إذا أشرقت الشمس. فالاشراق هو ابيضاض الشمس بعد طلوعها. يقال: أشرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضآئت. فكان داود عليه السّلام يسبح إثر صلا ته عند طلوع الشمس و وقت غروبها. ٣ـ قيل: العشيّ وقت صلاة العشآء والإشراق وقت الضحى وهو أن تشرق الشمس و يتناهى ضوؤها و يصفو شعاعها وهو الوقت المتوسّط بين طلوع الشّمس وزوالها.

٤ـ قيل: العشى: الرواح والاشراق: الصباح. ٥ـ عن ابن عباس وابن زيد: العشيّ هو من وقت صلاة العصر إلى وقت صلاة المغرب، والإشراق هو حين تشرق الشمس أي تضيئ وهو وقت صلاة الضحى. ٦ـ قيل: العشيّ: وقت أذان المغرب، والإشراق هو الدخول في وقت الشروق، فيراد وقت صلاة الفجر لإنتهآئه بالشروق. ٧ـ قيل: العشيّ هو ما بين غروب الشمس إلى أذان المغرب، والإشراق هو ما بين الطلوعين: طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس، فكان داود يسبّح لله تعالى في هذين الوقتين، وتسبّح معه الجبال فيهما.

أقول: والأخير هو الأنسب بما ورد في فضل الوقتين من الروايات...

١٩ـ (والطّير محشورة كلّ له أوّاب)

في قوله تعالى: «والطير محشورة» أقوال: ١ـ عن قتادة أى مسخّرة لداود عليه السلام ٢ـ عن ابن عباس: أي مجموعة له عليه السلام بازعاج من كل ناحية. والمعنى:

وسخّرنا الطير مجموعة إليه عليه السلام لتسبّح الله تعالى معه عليه السلام ٣- قيل: أي وسخّرنا الريح لتحشر الطيور إليه لتسبّح معه. ٤- قيل: أي أمرنا الملائكة تحشر الطيور الّتي تبسط سلطانها في الجوّ إلى داود عليه السّلام من كلّ صوب، وكأنّها بعض جنوده تسبّح معه وتردّد وما يسبّح به.

أقول: وعلى الثّاني جمهور المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «كلّ له أوّاب» أقوال: ١- عن قتادة وابن زيد: أي وكلّ من أنواع الطيور لداود عليه السّلام رجّاع إلى طاعته وأمره. ٢- قيل: أي كلّ واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود عليه السّلام مسبّح مرجّع للتّسبيح مع المداومة على ذلك، رجّاع إلى مايريد، مطيع له بالتسبيح معه. وعن الجبائي أنه قال: لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق في الطيور من المعارف ماتفهم به أمر داود عليه السّلام ونهيه، فتطيعه فيما يريد منها، وإن لم تكن كاملة العقل مكلّفة. ٣- قيل: أي كلّ من داود عليه السلام والجبال والطير لله تعالى مسبّح رجّاع إلى فعله مرّة بعد مرّة، فالضمير في «له» راجع إلى الله تعالى.

٤- قيل: أي وسخّرنا لداود عليه السّلام الطير حال كونها محبوسة في الهوآء تسبّح بتسبيحه فاذا مرّ به الطير وهو سابح في الهوآء وسمعه يترنّم بقراءة الزبور يقف ويسبّح معه. وقيل: إنّ تأييد داود عليه السّلام في أصل جعله تعالى للجبال والطير لم يكن تسبيحاً، فانّ كلّ شيءٍ مسبّح لله تعالى إذ قال: «وإن من شيءٍ إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسرآء: ٤٤) بل في موافقة تسبيحها لتسبيحه وقرع تسبيحها أسماع الناس، وأنّه بلسان القال دون لسان الحال.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر سياق كون داود عليه السّلام ذا اليد.

٢٠- (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

في «الحكمه» أقوال: ١- عن السّدّي: النبوّة. ٢- عن ابن عباس: الفهم. ٣- عن مجاهد: الصواب. ٤- قيل: الحكمة هى الإصابة في الامور كلها... ٥- عن أبي العالية والجبائي: هي العلم بالله تعالى وشرائعه كلها... ٦- قيل: الحكمة هي

كمال العلم واتقان العمل والإصابة في الامور كلّها... ٧- عن مجاهد أيضاً: هي العدل. ٨- عن قتادة: هي العلم بالسنن كلّها... ٩- قيل: هي الفقه والعلم الموافق للعمل. ١٠- قيل: في الأصل بنآء نوع من الحكم، والمراد بها المعارف الحقة المتقنة الّتي تنفع الإنسان وتكمّله. ١١- قيل: الحكمة هي العلم بالزبور.

أقول: وعلى السادس أكثر المفسّرين وفي معناه أكثر الأقوال الاخر.

وفي قوله تعالى: «وفصل الخطاب» أقوال: ١- عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد والكلبي ومجاهد والحسن ومقاتل والسدي وقتادة: فصل الخطاب هو العلم بالقضآء وفصله، والفهم في القضآء وإصابته. ٢- عن مجاهد وقتادة: فصل الخطاب أي الأيمان والشهود بتكليف القاضي، المدّعي على البيّنة واليمين على مَن أنكر. وذلك انّ خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع إلّا بهذا. فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم بمعنى الصائم، ويندرج فيه جميع كلامه في الأقضية والحكومات وتدابير الملك والمشورات...

٣- قيل: فصل الخطاب هو معرفة اللغات كلّها... ٤- عن أبي موسى الأشعري والشّعبي: فصل الخطاب هو قول الرّجل: أما بعد. وإنّ داود عليه السّلام هو أوّل من قال ذلك في لغة غير العربية وأما في العربية فقيل: إنّ أوّل من قال: أما بعد في الجاهليّة هو سحبان بن وائل وهو أوّل مَن آمن بالبعث وأوّل من توكّأ عصا، وقدعمّر هو مأة وثمانين عاماً. ٥- عن ابن عباس أيضاً: فصل الخطاب هو بيان الكلام والبيان الشافي في كلّ قصد، والبيان الفاصل بين الحق والباطل ٦- قيل: هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وهو القدرة على ضبط المعاني، والتعبير عنها بأقصى الغايات حتّى يكون كاملاً مكمّلا فهماً مفهماً.

٧- قيل: الفصل بمعنى المفصول، ومعناه البيّن من الكلام المخلص الّذي لا يلتبس ولا يختلط بغيره ولا يشتبه على السامع، ومن ذلك أن لا يخطئ صاحبه مظانّ الفصل والوصل. ٨- قيل: هو تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره وتمييز حقه من باطله وينطبق على القضآء بين المتخاصمين في الخصام، وقطعه، والفصل

بين الحق والباطل، ففصل الخطاب هو الفصل المصيب في القضآء والمحاورة والخطب...

أقول: والثّاني والثّالث هما المرويان من غير تناف بينهما، ومن المصاديق بعض الأقوال الأُخر... فتدبّر جيّداً واغتنم جداً.

٢١ـ (وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب)

في «الخصم» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بالخصم هو المدّعي على غيره حقاً من الحقوق والمنازع له فيه، وإن كان معه لمدّعىٰ عليه، وقدذكر الخصم مفرداً لأنّه المدّعي الذي يقدّم على المنكر في رفع المخاصمة والشكاية عند الحاكم القاضي، وقدكان المدّعي والمدّعىٰ عليه ملكين بصورة الانسان وكان معهما شهود من الملائكة بصورة الانسان.

٢ـ قيل: أريد بالخصم في المقام، ملكان من الملائكة، وقدخرج في لفظ الواحد لأنه مصدر مثل الزور والسفر لايثنى ولايجمع، فيقع على الواحد والاثنين والجماعة. وقيل: «تسوّروا» وإن كانا إثنين حملاً على الخصم إذ كان بلفظ الجمع ومضارعاً له مثل الركب والصّحب وتقديره: للاثنين ذواخصم، وللجماعة ذووخصم.

أقول: إنّ القول ان الخصم لايثنى مردود بنفس الآية التالية: «خصمان بغى بعضنا على بعض».

٣ـ قيل: الخصم جماعة من المتخاصمين أو المتنازعين في قضيّة، ويستعمل للمفرد والتثنية والجمع، مذكّراً ومؤنّثاً قال الشاعر:

وخصمٌ عضابٌ ينفضون لحاهم كنفض البرازين العراب المخاليا

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «تسوّروا» أقوال: ١ـ قيل: أي أتى الملكان ومَن معهما من الشهود داودعليه السّلام من أعلى حائطه، ودخلوا منه إلى منزله، وإنّما جمعهم لأنّه أراد المدّعى والمدّعى عليه ومن معهما فنزلوا عليه عليه السّلام من فوق حائط منزله والتسوّر هو

الإرتقآء إلى أعلى السّور وهو الحائط الرّفيع كالتسنّم بمعنى الإرتقآء إلى سنام البعير. ٢ـ قيل: اريد بالجمع الفريقان من المتخاصمين، ونزلوا عليه من فوق محرابه. ٣ـ قيل: أي دخلوا عليه من سقف البيت الذي كان داود عليه السّلام يعبد فيه الله تعالى، من تسوّر فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها.

أقول: والثّالث هو المرويّ.

وفي «المحراب» أقوال: ١ـ عن يحيى بن سلام: المحراب هنا الغرفة الّتي كان يتعبّد فيها داود عليه السّلام ويشتغل بطاعة ربّه، فتسوّروا عليه فيها. ٢ـ عن أبي عبيدة: المحراب هو صدر المجلس، ومنه محراب المسجد، والمحراب مجلس الأشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه، ومنه سمّي المصلّى محراباً، وموضع القبلة محراباً، وكان محراب داود عليه السّلام مسجده حيث منعوا الدّخول عليه من الباب لشغله بالعبادة. وقد سمّي مكان الإعتكاف والعبادة محراباً لأنّه المكان الذي يحارب دونه لعزّته أو قداسته ولشرف صاحبه، أو يحارب فيه العابد نفسه الأمّارة بالسوء ويحارب فيه الشّيطان بالعبادة لله تعالى وحده.

٣ـ قيل: المحراب: العليّة الّتي كان يتعبّد فيها داود عليه السّلام. ٤ـ قيل: إنّ المراد من المحراب هو البيت الّذي كان داود عليه السّلام يدخل فيه وحده، ويشتغل بعبادة ربه، وسمى البيت محراباً لاشتماله على المحراب من باب تسمية الشيئ بأشرف أجزآئه... فانّ المحراب هو صدر البيت وأكرم مواضعه، ومنه سمّي محراب المسجد وهو مقام الإمام لإقامة الصّلاة. والمحراب: مأوى الأسد يقال: دخل فلان على الأسد في محرابه وغيله وعرينه. ٥ـ عن مجاهد: المحراب هو المسجد.

أقول: والرابع هو المرويّ.

٢٢ـ (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سوآء الصّراط)

في سبب الفزع: ففزع منهم» أقوال: ١ـ عن ابن جريج: كان الخصوم يدخلون على داود عليه السّلام من الباب عادة، فلمّا دخلوا عليه من غير الباب الذي كان يدخل

منه الخصوم، ونزلوا عليه من فوق الحآئط، ظنّ أنّهم أعدآء يريدون به سوءاً ودخلوا عليه للشّر، ففزع منهم لذلك. ٢ـ عن أبي الأحوص: لمّا دخل الخصمان على داود عليه السّلام وكلّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه فزع منهم داود عليه السّلام. ٣ـ قيل: أي فزع لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم، والحرس على الباب، وقد كان هذا وقت الإحتجاب، لأنه عليه السّلام كان يجزئ زمانه يوماً للعبادة ويوماً للقضآء ويوماً للوعظ والإرشاد ويوماً للإشتغال بخاصّته.

٤ـ قيل: إنّ ملكين ومن معهما طلبوا أن يدخلوا على داود عليه السّلام فمنعهم الحرس بالباب فتسوّروا عليه المحراب، فلم يشعر إلاّ وهم بين يديه جالسون، فزع داود عليه السّلام منهم لدخولهم عليه بدون إذنه. ٥ـ قيل: لمّا رآهم داود عليه السّلام على صورتهم المهيبة وجد في نفسه الرعب منهم.

أقول: ولكلّ وجه من غيرتناف بينها، فالتعميم غير بعيد.

وفي «خصمان» أقوال: ١ـ قيل: كانا إنسيين. ٢ـ قيل: كانا ملكين. قيل: كان أحدهما جبرئيل والآخر ميكائيل. ٣ـ قيل: كانا ملكين في صورة إنسيين بعثهما الله تعالى إلى داود عليه السّلام يوم عبادته، فمنعهما الحرس من الدّخول عليه، فتسوّروا عليه المحراب، فما شعر وهو في الصّلاة إلاّ وهما ومَن معهما من الملائكة الشهود في صورة الانسان، جالسين بين يديه. ٤ـ قيل: كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأمّ، فلمّا قضى داود بينهما بقضية، قال له ملك من الملائكة: فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود!

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وإنّ قولهم لداود عليه السّلام: «لا تخف- ولا تشطط» يدل على كونهم ملائكة وفي «ولا تشطط» أقوال: ١ـ عن قتادة أي لا تمل إلى الباطل. ٢ـ قيل: أي لا تجاوز الحدّ ولا تخطئ الحق. ٣ـ عن السدي: أي ولا تجر ولا تحف علينا في حكمك بيننا، ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه. ٤ـ عن الأخفش أي لا تسرف في حكمك. ٥ـ قيل: أي لا تفرط. ٦ـ عن ابن زيد أي لا تخالف الحقّ ولا تذهب إلى غيره. ٧ـ قيل: أي ولا تخالف بنا إلى

غيره. ٨ـ قيل: أي لاتبتعد ولاتنحرف عن الحقّ.

أقول: والمعاني متقارب، والأقوال من قبيل بيان المصاديق ولوازم المعنى لأنّ الشطط بمعنى مجاوزة القدر في كل شيْ. فتأمل جيّداً ولاتغفل.

وفي «إلى سوآء الصراط» أقوال: ١ـ عن قتادة أي إلى عدل الصراط وخيره. ٢ـ عن السدي أي إلى عدل القضآء. ٣ـ عن ابن زيد أي إلى الحقّ الذي هو الحق الطريق المستقيم. ٤ـ قيل: أي احملنا على الحق. ٥ـ قيل: أي إلى طريق الحق وهو طريق العدل والإنصاف في الحكم.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحققين من المفسّرين.

٢٣ـ (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)

في «أخي» أقوال: ١ـ عن عبدالله بن مسعود أي أخي على ديني وطريقتي ٢ـ قيل: أي أخي في الخلطة والألفة والشركة لقوله تعالى حكاية عن داود عليه السّلام: «وإنّ كثيراً من الخلطآء» ص: ٢٤) ٣ـ قيل: أي أخي على جهة النسب. ٤ـ قيل: أي صاحبي. ٥ـ قيل: أي أخي في النصيحة والصّداقة. ٦ـ قيل: أي اخوّة جنسيّة. فكل واحد من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين من المفسّرين.

وفي قوله: «أكفلنيها» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: أي أنزل عن هذه النعجة الواحدة لي وضمّها إلى نعاجي تسع وتسعين، فتصير هذه أيضاً نصيبي، فكانت لي المأة كلّها. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً وابن زيد: أي أعطيني هذه إمرأتك الواحدة وطلّقها لي وخلّ سبيلها حتى أنكحها فتكون لي مأة امرأة. وعن ابن عباس أيضاً: أي تحوّل لي عن هذه المرأة الواحدة. وقال الخليل: النعجة هي الانثى من الضّأن والبقر الوحشية والشاة الجبلية. والعرب تكنّي عن النسآء بالنعاج والظبأ والشاة. ٣ـ قيل: أي احملني على إمرأتك الواحدة. ٤ـ قيل: أي ضعها تحت يدى وكفالتي وتحت سلطتي، واجعلني ضامناً لأمرها ومنه قوله تعالى: «وكفّلها زكريا»

آل عمران: ٣٧)

أقول: والأوّل هو المروىّ.

وفي قوله: «وعزّني في الخطاب» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وقتادة وأبي عبيدة والضّحّاك: أي وصار أعزّ منّي في مخاطبته إيّاى لأنّه متى تكلم فهو أبين، وإن بطش كان أشدّ، وإذا دعا كان أكثر منّي فهو غلبني وقهرني في كل شئ وظلمني وفي المثل: «من عزّ بزّ» أي من غلب سلب. والإسم العزّة وهي القوّة والغلبة. ٢ـ عن ابن زيد: أي قهرني وذلك العزّ، والخطاب هو الكلام أي قهرني في الكلام والبيان والجدال، فانّه يأتي بحجاج لم أستطع ردّه، فكان أقوى منّي بياناً فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شئ لي. ٣ـ قيل: أي غلبني في سلطانه لأنّه لما سئله لم يستطع خلافه. ٤ـ قيل: أي شدّد عليّ.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه الأقوال الأُخر.

٢٤ـ (قال لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطآء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وقليل ما هم وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب)

في قوله تعالى: «قال لقد ظلمك...» أقوال: ١ـ قيل: أي قال داود عليه السّلام قبل أن يسمع كلام المدّعىٰ عليه للمدّعي: «لقد ظلمك» المدّعىٰ عليه «بسئوال نعجتك إلى نعاجه» فحكم داود عليه السّلام بعد استماع كلام أحد الخصمين، وقبل أن يسمع من الآخر لظاهر هذا القول. ٢ـ قيل: هذا قضآء تقديرىّ قبل استماع كلام المتخاصم الآخر، فانّ من الجآئز أن يكون عنده من القول ما يكشف عن كونه محقاً فيما يطلبه ويقترحه على صاحبه لكن صاحب النعجة الواحدة ألقى كلامه بوجه هيّج الرحمة والعطوفة منه عليه السّلام فبادر إلى هذا التصديق التقديري فقال: «لقد ظلمك...»

٣ـ قيل: قال داود عليه السّلام للمدّعي: إن كان الأمر على ما تدّعيه والله لقد ظلمك أخوك بسئواله إياك بضمّ نعجتك إلى نعاجه. وقيل: أراد لقد ظلمك إن كان

الأمر على ما تقول، فسكته بهذا وصبره إلى أن يسئل خصمه.

٤ـ قيل: أي قال داود عليه السّلام بعد أن أقرّ المدّعي عليه بما قال المدّعي: لقد ظلمك بطلبه منك إضافة نعجتك إلى نعاجه. فلم يقض داود عليه السّلام للآخر حتى اعترف صاحبه بذلك فقال: «لقد ظلمك...» بعد مراجعة الخصم الآخر وبعد اعترافه، وهذا معلوم من قرآئن الحال. ٥ـ قيل: كان من شرعهم التعويل على قول المدّعي عند سكوت المدّعى عليه إذا لم يظهر منه إنكار بالقول.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وهو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «وظنّ داود أنّما فتنّاه» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وقتادة والحسن: أي علم داود عليه السّلام أنّا اختبرناه وابتليناه بقصّة الخصم. ٢ـ قيل: أي ظنّ داود عليه السّلام ظناً قوياً أنّما امتحنّاه بتلك الحكومة هل تنبّه بها. ٣ـ عن على بن عيسى أي ظن داود عليه السّلام أنّا شددنا عليه في التعبّد. والمراد من الظن المعروف الّذي هو خلاف اليقين. ٤ـ قيل: أي أدرك وتيقّن داود عليه السّلام أنا أوقعناه في فتنة أي بليّة بمحبّته تلك المرأة. ٥ـ قيل: أي وظنّ داود عليه السّلام أن دخول الخصمين عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إبتلاء من الله تعالى لأجل أنّ يغتالوه فلم يقع ما كان قدظنّه فاستغفر ربّه من ذلك الظن إذ لم يقع ما كان قدظنّه. ٦ـ عن أبي عمرو والفرّآء: ظنّ هنا بمعنى أيقن. وذلك ان داود عليه السّلام لما قضى بين الخصمين في المسجد، نظر أحدهما إلى صاحبه فضحكا، فلم يفطن داود، فأحبّا أن يعرفهما، فصعدا إلى السمآء حيال وجهه، فأيقن داود عليه السّلام أنّ الله تعالى ابتلاه بذلك ونبّهه على ما ابتلاه لحكمه للمدّعي قبل أن يسئل المدّعى عليه.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحققين من المفسّرين وهو المؤيّد بالسياق وهو المرويّ.

في قوله تعالى: «فاستغفر ربّه» في الذنب الّذي استغفر منه أقوال: ١ـ قيل: إنّ داود عليه السّلام بعد أن حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع الآخر، فطن وتنبّه إلى أنّه

حكم له قبل أن يدلي الخصم الآخر بحجّته، فندم وطلب العفو من الله تعالى: «فاستغفر ربّه» فغفر له لأنّه غير قاصد ولا عامد. فكان موضع الخطيئة أنّه قال للمدّعي: «لقد ظلمك» من غير أن يسئل خصمه عن دعواه، وفي آداب القضآء ألاّ يحكم بشئ ولا يقول حتّى يسئل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به وهذا ترك الندب في ذلك فاستغفر ربه وخرّ راكعاً للسجود مصلّياً كأنّه أحرم بركعتى الإستغفار.

وقدأخبر الله تعالى عن داود عليه السّلام: أنّه سمع قول المتظلم من الخصمين، ولم يخبر عنه أنّه سئل الآخر، إنّما حكى أنّه ظلمه، فكان ظاهر ذلك أنّه رأى في المتكلم مخائل الضعف والهيضمة، فحمل أمره على أنّه مظلوم كما يقول، ودعاه ذلك إلى أن لا يسئل الخصم، فقال له مستعجلاً: «لقد ظلمك...» مع إمكان أنّه لوسئله لكان يقول: كانت لى مأة نعجة، ولا شيئ لهذا، فسرق منّي هذه النعجة، فلمّا وجدتها عنده قلت له: اردها، وما قلت له: «أكفلنيها» وعلم أنّي مرافعه إليك، فجرّني قبل أن أجرّه وجآءك متظلّماً من قبل أن أحضره لتظنّ أنّه هو المحق، وأنّي أنا الظالم.

ولمّا تكلّم داود عليه السّلام بما حملته العجلة عليه، علم أنّ الله تعالى خلاه ونفسه في ذلك الوقت وهو الفتنة الّتي ذكرناها، وأنّ ذلك لم يكن إلاّ عن تقصير منه، فاستغفر ربه وخرّ راكعاً لله عزّوجلّ شكراً على أن عصمه، بأن اقتصر على تظليم المشكو، ولم يزده على ذلك شيئاً من انتهار أو ضرب أو غيرهما مما يليق بمن تصوّر في القلب أنّه ظالم فغفر الله له.

٢ـ قيل: إنّ داود عليه السّلام لمّا ظنّ أنّ الخصم دخلوا عليه فجأة من غير الطريق المعتاد للإغتيال، ولذلك فزع، ولمّا عرف أنّهم ملائكة، وأن ذلك كان امتحاناً ربّانياً استغفر ربه عما ظنّه فلا بأس عليه. ٣ـ قيل: إنّ القوم لمّا دخلوا على داود عليه السّلام ظنّ أنهم قاصدون قتله مع أنّه كان سلطاناً شديد القوّة قدفزع منهم، ثم إنّه مع ذلك عفاعنهم دخل قلبه شيئ من العجب، فحمله على الإبتلاء فاستغفر ربّه من تلك الحالة، وأناب إلى الله تعالى واعترف بأن إقدامه على تلك الخلّة لم يكن إلاّ بتوفيق

من الله عزّوجلّ. ٤ـ قيل: كان إستغفاره شكراً للمنعم الذي وفّقه أن يحكم بين المتخاصمين بالعدل.

٥ـ قيل: إنّ داود عليه السّلام نظر إلى إمرأة اوريا حتى شبع منها، فكانت فتنة النظرة فاستغفر ربّه لذلك. ٦ـ عن أبي إسحق: لم يتعمّد داود النظر إلى المرأة لكنّه عاود النظر إليها فصارت الاولى له والثانية عليه. ٧ـ قيل: إنّ داود عليه السّلام أغزى زوجها في حملة التابوت، فاستغفر ربه لذلك. ٨ـ قيل: إنّ داود عليه السّلام نوىٰ إن مات زوجها أن يتزوّجها. ٩ـ قيل: إنّ أوريا كان خطب تلك المرأة، فلمّا غاب عنها، خطبها داود فزوّجت منه لجلالته، فاغتمّ لذلك اوريا، فعتب الله تعالى على داود عليه السّلام إذ لم يتركها لخاطبها، وقد كان عنده عليه السّلام تسع وتسعون إمرأة. ١٠ـ قيل: إن داود عليه السّلام لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من جنده، ثمّ تزوّج إمرأته، فعاتبه الله تعالى على ذلك لأنّ ذنوب الأنبيآء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله عزّوجلّ.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وإنّما الأقوال الستة الأخيرة مردودة بتّاً لأنّها من الإسرائيليات التي أوردها كعب الأحبار اليهودي الجاسوس، استاذ عمر بن الخطاب قطعاً، ذكرناها لردّها فلا أساس لها أصلاً مع ما فيها من الشناعة على قداسة الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «وخرّ راكعاً» أقوال: ١ـ قيل: أي صلّى لله تعالى ركعتين للإستغفار فخر راكعاً للسجود مصلياً كأنّه أحرم بركعتى الإستغفار ٢ـ قيل: أي سقط ساجداً لله عزّوجلّ، وقد يعبّر عن السّجود بالركوع. ٣ـ عن الحسن: إنّما قال: «وخرّ راكعاً» لأنّه لا يصير ساجداً حتّى يركع. ٤ـ عن مجاهد: مكث داود عليه السّلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلّا لصلاة مكتوبة يقيمها أو لحاجة لابدّ منها. ٥ـ قيل: إنّ المراد بالركوع هنا السجود، فانّ السجود هو الميل والركوع هو الإنحنآء وأحدهما يدخل على الآخر، ولكنّه قد يختصّ كلّ واحد بهيئته ثمّ جآء هذا على تسمية أحدهما

بالآخر، فسمّى السجود ركوعاً. وقيل: كان ركوعهم سجوداً، وقيل: بل كان سجودهم ركوعاً.

٦ـ عن مقاتل: أي فوقع من ركوعه ساجداً لله تعالى أي لمّا أحسّ بالأمر قام إلى الصّلاة ثمّ وقع من الركوع إلى السّجود لاشتمالها جميعاً على الإنحنآء. وقيل: إنّ المعنى: فخر بعد أن كان راكعاً أى سجد.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأخر.

٢٦ـ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحق ولاتتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)

في قوله تعالى: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض» أقوال: ١ـ قيل: أي صيّرناك خليفة في الأرض تدبر امور العباد من قبلنا بأمرنا. وذلك أنّ الخليفة هو المدبّر لامور من قِبَل غيره بدلاً من تدبيره. وفلان خليفة الله في أرضه معناه أنّه جعل إليه تدبير عباده بأمره. فداود عليه السّلام لمّا جعل الله تعالى إليه تدبير الخلق فكان بذلك خليفة. وفيه دلالة على مكانته الخاصّة عندالله وإصطفآئه في إقامة الدّين وتدبير أمر الناس فتخلفنا كما يقال: السلطان ظل اللّه في الأرض تدبر أمر أهلها. ٢ـ عن أبي مسلم: أي جعلناك خلف مَن مضى من الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام في دعوة النّاس إلى توحيد الله تعالى وعدله وفي بيان شرائعه وسياسة المدن. ٣ـ قيل: أي ملكناك لتأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والمرسلين والأوصيآء والأئمة الصالحين القآئمين بالحق، وبان يعلي قدرك بجعلك ملكاً نافذ الحكم، فاستخلفناك على الملك في الأرض والحكم بين أهلها مضافاً إلى النبوة. ٤ـ عن ابن عباس: أي إنا جعلناك نبياً ملكاً على بني إسرآئيل.

في الدر المنثور: إنّ عمر بن الخطاب سئل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: «ما الخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ما ندري، فقال سلمان رضى الله عنه: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسّوية، ويشفق عليهم شفقة الرّجل

على أهله، ويقضي بكتاب الله تعالى فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري» ولكنّه لم يقل في ذلك شيئاً. ولا يخفى أنّ كعب الأحبار كان يهودياً وأسلم في أواخر عهد أبي بكر للدسيسة في الإسلام، والجاسة والتفرقة بين المسلمين كما هو دأب اليهود العنيد في كل ظرف، وقد كان عمر بن الخطاب يستمع من كعب، الإسرائيليّات ويحرّص الناس في استماعها منه وكتابتها، مع أنّ عمر كان ينهى نهياً شديداً عن كتابة روايات الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم فتدبّر جيداً ولا تتبع أهوآء الأشرار...

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين من المفسّرين، وهذا هو معنى الخليفة عند سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه.

وفي قوله تعالى: «ولا تتبع الهوى» أقوال: ١ـ قيل: أي ولا تتّبع أهواء الناس في حكمك بينهم. ٢ـ قيل: أي ولا تتبع هوى نفسك في قضائك بين الناس.

٣ـ قيل: أي ولا تتبع أهواء الناس وهوى نفسك عما جاءك من الحق.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله تعالى: «فيضلّك عن سبيل الله» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي عن طاعة الله. ٢ـ قيل: أي عن الدلائل الدالة على توحيد الله. ٣ـ قيل: أي عن العمل بما أمرهم الله. ٤ـ قيل: أي عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله. ٥ـ قيل: أي عن طريق الجنة.

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر السياق وهو الشامل لغيره من الأقوال...

وفي قوله تعالى: «لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي لهم عذاب شديد بما تركوا العمل ليوم الحساب. ٢ـ قيل: أي بما تركوا الإيمان بيوم الحساب. ٣ـ قيل: أي تركوا العمل بالحق وتركوا سلوك طريق الله تعالى. ٤ـ قيل: أي تركوا أوامر الله تعالى ولم يعتنوا بها فصاروا كالناسين. ٥ـ عن عكرمة والسّدي: أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدّنيا. فيكون: «يوم» متعلّقاً بـ«عذاب شديد» ٦ـ عن الحسن: أي لهم عذاب شديد با

عراضهم عن ذكر يوم القيامة، فصاروا بمنزلة الناسي، فيكون الظرف: «يوم» متعلّقا بـ «نسوا».

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

٢٧ـ (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

في قوله تعالى: «باطلاً» أقوال: ١ـ قيل: أي ما لا غاية له. ٢ـ قيل: أي لَعِباً وعبثاً وجزافاً. ٣ـ قيل: أي تابعاً للهوى بأنّ الآية الكريمة عطف على ما قبلها بحسب المعنى، فكأنّه قيل: ولاتتبع الهوى لأنّه يكون سبباً لضلالك ولأنّه عزّوجلّ لم يخلق العالم لأجل إتباع الهوى وهو الباطل، بل خلقه ليعرفه الانسان ويعبده ثم يحشرهم يوم الحساب فيثيب المؤمنين، ويعذّب الكافرين. ٤ـ قيل: أي لا حكمة في خلق السمآء والأرض وما بينهما.

أقول: ولكلّ وجه والمآل واحد.

وفي قوله تعالى: «ذلك ظنّ الذين كفروا» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي كون خلق السمآء والأرض وما بينهما باطلاً ظن الذين كفروا بالبعث بعد الموت وجحدوا الجزآء الذي هو غاية التكليف. ٢ـ قيل: ذلك ظنّ الذين كفروا بالله تعالى وجحدوا حكمته. ٣ـ قيل: أي خلق العالم باطلاً لا غاية له ولا حكمة فيه وانتفآء يوم الحساب الّذي يظهر فيه ماينتجه حساب الامور ظن الذين كفروا بالبعث والحساب والجزآء.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى: «فويل» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي فشدّة العذاب. ٢ـ قيل: «ويل» وادٍ في جهنم. ٣ـ قيل: أي هلاك .

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

٣٠ـ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب)

في قوله تعالى: «أوّاب» أقوال: ١ـ عن ابن عباس والسدي: الأوّاب المسبّح قديكون التسبيح في الصّلاة وقديكون في الذكر. ٢ـ قيل: أي كثير الرجوع إلى طاعة

الله تعالى توّاب إليه مما يكرهه منه. ٣- قيل: أي كثير الذّكر والطاعة. ٤- عن قتادة: أي كان مطيعاً لله وكثير الصّلاة. ٥- قيل: أي سميع لله ومطيع له ٦- قيل: أي رجّاع إلى الله تعالى في امور دينه ابتغاء مرضاته. ٧- قيل: أي رجّاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات. ٨- عن ابن عباس أيضاً: أي مقبل الى الله وإلى طاعته وإلى طلب ثوابه. ٩- قيل: أي كثير الرجوع إلى الله بالتّوبة والذكر. ١٠- قيل: أي دائم الرجوع إلى الله تعالى.

أقول: والمعاني متقارب.

٣١- (إذ عرض عليه بالعشيّ الصّافنات الجياد)

في قوله تعالى: «بالعشيّ» أقوال: ١- عن ابن عباس أي بعد الظهر. ٢- قيل: أي ما بعد الزوال. ٣- قيل: أي في آخر النهار. ٤- قيل: هو نصف آخر من النّهار من بعد الزوال إلى آخر النهار.

أقول: والمعاني متقارب.

وفي قوله تعالى: «الصافنات الجياد» أقوال: ١- عن مجاهد والسّدي: الصافنات هي الخيل جمع صافنة وهي إذا قامت بثلاث قوائم ورفعت إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر. والجياد جمع جواد وهو السّابق. وقيل: جمع جود وهو السراع وهو الذي يسرع في جريه. وقيل: يجود بالركض كما يقال: مطر جود إذا كان مدراراً مثل سوط وسياط. والمعنى: أنّ الخيل إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت. قيل: كانت ألف فرس عرضت على سليمان بعد أن صلّى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدوّ، فعند بلوغ العرض منها تسعمأة غربت الشمس، ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ. وعن مقاتل: انّ سليمان ورث أباه داود عليه السّلام ألف فرس وكان أبوه قد أصاب ذلك من العمالقة. وعن الكلبي: غزا سليمان دمشق ونصيبين، فأصاب ألف فرس.

وعن الحسن والضّحاك: كانت خيلاً خرجت من البحر لها أحنجة وكان سليمان قد صلّى الصّلاة الاولى وقعد على كرسيّه، والخيل تعرض عليه حتّى غابت الشمس فقال: «إنّي أحببت حبّ الخير..» وعن ابن زيد: إنّ الشيطان أخرج لسليمان

الخيل من البحر من مروج البحر وكانت لها أجنحة، وقيل: كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة، وقيل: كانت مأة فرس. وقيل: كانت عشرين ألفاً.

٢ـ عن ابن عباس: الصافنات: الخيل العراب الخوالص. وصفها بالصفون لأنه لايكون في الهجن بل يكون في العراب الخلص. وقيل: الجياد جمع جيّد وهو العنق أي طويل الأعناق لأنّ طول أعناق الخيل من صفات فراهتها. ٣ـ عن قتادة: الصافنات الجياد: الخيل وصفونها: قيامها وبسطها قوآئمها... أي الخيل إذا صفن قيامها عقرها تطلع أعناقها وسوقها. كانت الخيل عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها سليمان عليه السّلام والصافن: الواقف من الخيل أو غيرها. والصافن هو الذي يجمع بين يديه وفي الحديث: «من سرّه أن يقوم الناس له صفوناً فليتبوّأ مقعده من النار» أي واقفين مثل خدم الجبابرة.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣٢ـ (فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتّى توارت بالحجاب)

في قوله: «حب الخير» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي إني أحببت حبّ المال والخيل أو الخير من المال. فإن العرب تسمّى الخيل والمال خيراً. ٢ـ عن السدي: أي أحببت حب الخيل. وعنه أيضاً: إني أحببت حب المال ومنه الخيل المعروضة. وفي الخبر: «إن الله تعالى عرض على آدم جميع الدواب وقيل له: إختر منها واحداً فاختار الفرس، فقيل له: إخترتَ عزّك ، فصار إسمه الخير من هذا الوجه وسمّى خيلاً لأنّها موسومة بالعزّ وسمّى فرساً لأنّه يفترس مساقات الجوّ إفتراس الأسد وثباناً ويقطعها كالإلتهام بيديه على كل شئ خبطاً وتناولاً، وسمّى عربياً لأنه جيئ به من بعد آدم لاسمعيل جزآء عن رفع قواعد البيت، واسمعيل عربىّ، فصارت له نِحلةً من الله فسمّى عربياً.

٣ـ عن سعيد بن جير: حب الخير أي حب المال الكثير، والخيل مال، والخير بمعنى المال الكثير كثير في التنزيل كقوله تعالى: «إن ترك خيراً» البقرة: ١٨٠) أي

المال الكثير. ٤ـ عن ابن عباس: أي إني اخترت المال على طاعة ربّي ثمّ أضاف الحبّ إلى الخير. ٥ـ قيل: أي أراد أحببت اتخاذ الخير لأنّ ذوات الخير لا تراد ولاتحبّ، فلابد من شئ يتعلّق بها. والمعنى: آثرت حب الخيل على ذكر ربي، فوضع الإستحباب موضع الايثار كقوله تعالى: «الذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة» إبراهيم: ٣) أي يؤثرون.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله: «عن ذكر ربي» أقوال: ١ـ عن السدي وقتادة أي اني احببت حب الخير حتّى سهوت عن ذكر ربي وأدآء فريضته وهى صلاة العصر. فالخيل شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها. وقيل: فاته أوّل الوقت. ٢ـ قيل: ما كان في ذلك الوقت، وقت صلاة الظهر ولا وقت صلاة العصر، بل كانت تلك الصّلاة نافلة فشغل عنها وعن الجبائي: لم يفته الفرض، وإنّما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل. ٣ـ قيل: أي آثرت حبّ الخير على ذكر ربّي. قيل: أي على طاعة ربّي. ٤ـ قيل: «ذكر ربي» كناية عن كتاب الله وهو التوراة فالمعنى: إني احببت الخيل عن كتاب الله.

أقول: والأوّل هو المرويّ.

وفي قوله: «حتى توارت بالحجاب» أقوال: ١ـ عن أبي مسلم وعلى بن عيسى: أي مازالت الخيل تعرض على سليمان ويأمر باعدآئها وسيرها إلى أن غابت عن بصره. فالمعنى: حتّى توارت الخيل بحجاب البُعد أي أنها شغلت فكره إلى تلك الحال فمازال يردّدها حتى غابت الخيل عن عينيه بسبب الغبار من جهة ولبعد المسافة من جهة اخرى. ثم قال: ردّوها عليّ. أي أمر الرائضين أن يردّوا الخيل عليه. فالمعنى: حتّى توارت الخيل عن نظره في المسابقة. ٢ـ عن عبدالله بن مسعود: أي قعد سليمان عليه السّلام يوماً بعد الظهر على كرسيّه، واستعرض الخيل، فلم يزل تعرض عليه حتّى غربت الشمس بحجاب الافق، فخاطب سليمان للملائكة ـ متضرّعاً إلى

الله تعالى -: ردّوا الشمس عليّ حتّى اصلّي صلاة العصر، فردّ الله تعالى عليه الشمس، فصلّى العصر وقتها. وقال ابن مسعود: توارت الشمس من ورآء ياقوته خضرآء، فخضرة السمآء منها. وقال ابن عباس: حتى توارت الشمس. بجبل قاف. والمراد بتوارى الشمس بالحجاب غروبها واستتارها تحت حجاب الافق.

٣- قيل: أي توارت الخيل بحجاب الليل، وغفل عن صلاة العصر أو عن وِرْدٍ من الذكر كان له وقت العشيّ. وسمّى اللّيل حجاباً لأنّه يستر ما فيه. وقيل: الحجاب: جبل أخضر محيط بالافق. وقيل: جبل دون قاف. ٤- قيل: إنّ سليمان عليه السّلام كان في صلاة فجيئ إليه بخيل لتعرض عليه قدغُنِمَتْ فأشار بيده لأنّه كان يصلّي حتّى توارت الخيل، وسترتها جُدُر الاصطبلات، فلمّا فرغ من صلاته قال: «ردّوها عليّ».

أقول: والثاني هو المروىّ عن أهل بيت الوحى المعصومين عليهم صلوات الله، ويؤيده السياق، إذا لولا ذلك لم يكن غرض ظاهر يترتّب على ذكر «العشي» في الآية السابقة، وأما الإضمار فيجوز إذ اجرى ذكر الشيئ أو دليل الذكر، وقدجرى ههنا دليل الذكر وهو قوله: «بالعشيّ» وقدذكر غير واحد من السلف والمفسّرين: أنّ سليمان بن داود عليه السلام اشتغل بعرض الخيل حتّى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً لما فيه من الحكم والأسرار لا يعلمها إلّا الأبرار.

٣٣- (ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)

في قوله: «ردّوها» أقوال: ١- عن السدي أي قال سليمان عليه السّلام لأصحابه: ردّوا الخيل عَليّ. ٢- قيل: قال لرآئضين: ردّوا الخيل عليّ. ٣- قيل: أي خاطب سليمان عليه السّلام للملائكة - متضرّعاً إلى الله -: ردّوا الشمس عليّ حتى أُصلّى العصر في وقتها، فردّ الله عزوجل عليه الشّمس فصلى العصر في وقتها.

أقول: والأخير هو المروىّ.

وفي قوله تعالى: «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» أقوال: ١- عن قتادة والحسن والسدي والكلبي ومقاتل وكعب الأحبار اليهودى الكذّاب: أي فاته الصّلاة استردّ

الخيل فأقبل يكشف عراقيبها ويضرب سوقها أي يعقرها ويضرب أعناقها بالسيف لأنّها كانت سبب فوت صلاته. المسح هو القطع من قولهم: مسح علاوته إذا ضرب عنقه، ولما قطع سليمان عليه السّلام أرجل الخيل وذبحها بالسيف تقرّباً لله وتصدّق بلحمها ـ حيث اشتغل بها عن الصّلاة ـ أبد له الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشآء.

وعن الحسن ومقاتل والكلبي وكعب: صلّي سليمان الصّلاة الاولى وقعد على كرسيّه، وهي تعرض عليه وكانت ألف فرس، فعرض عليه منها تسعمأة، فتنبّه لصلاة العصر، فاذاً الشمس قدغربت وفاتت الصّلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتمّ فقال: ردّوا الخيل عليّ فردّت فعقرها بالسيف قربة لله، وبقى منها مأة فما في أيدى الناس من الخيل العتاق اليوم، فهى من نسل تلك الخيل.

أقول: لاتسمّى العرب الضرب والقطع بالسيف مسحاً، ثمّ إنه لم يجر للسيف ذكر فيضاف إليه المسح.

٢ـ عن قتادة والحسن أيضاً وابن عباس وابن كيسان والزهري: أي جعل سليمان يمسح أعراف الخيل وعراقيبها بيده حباً لها وإكراماً منه لها، ولم يعذّب سليمان عليه السّلام حيواناً بالعرقبة ولم يهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنّه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولاذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. ٣ـ قيل: إنّ مسحه إيّاها وشمها بالكيّ وجعلها في سبيل الله. والكيّ على السّاق علاط، وعلى العنق وِثاق.

٤ـ عن أبي مسلم محمّد بن بحر: المسح هنا بمعنى الغَسْل أي غسل سليمان عليه السّلام قوائم الخيل وأعناقها وغسل أعرافها وعراقيبها إكراماً لها لأن المسح يعبّر به عن الغسل من قولهم: تمسحت للصلاة.

٥ـ قيل: أي انه عرقب الخيل لأنّها كانت أعزّ ماله وكفّر عن تفريطه في النافلة بذبحها والتصديق بلحمها على المساكين لقوله تعالى: «لن تنالوا البرحتّى تنفقوا مما تحبّون». ٦ـ قيل: أي شرع يمسح ساقيه وعنقه ويأمر أصحابه أن يمسحوا سوقهم وأعناقهم، وكان ذلك وضوءهم ثمّ صلّي وصلوا في وقتها.

أقول: والسادس هو المروي عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣٤ـ (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثمّ أناب)

في قوله تعالى: «ولقد فتنّا سليمان» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي ولقد ابتلينا سليمان بسلب ملكه أربعين يوماً بقدر ما عُبدَ في بيته الصنم مكان كل يوم يوماً وذلك انه تزوّج بامرأة عشقها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرّة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسمّاة بالأمينة على عادته، فجآءها جنّيّ في صورة سليمان فأخذه منها، فذهب ملكه أربعين يوماً عدد ما عبد الوثن في بيته وكان الشيطان يقضي بين الناس ويتمكّن من جمع ملكه إلّا نسآؤه.

٢ـ قيل: أي شددنا عليه المحنة وعاقبناه وسبب ذلك ما ورد عن ابن عباس أنه قال: إختصم إلى سليمان عليه السّلام فريقان: أحدهما من أهل جرادة إمرأة سليمان، وكان يحبّها فهوى أن يقع القضآء لهم، ثمّ قضى بينهما بالحقّ فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى وعن سعيد بن المسيّب: انّ سليمان عليه السّلام احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد، ولا ينصف مظلوماً من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي لم أستخلفك لتحتجب عن عبادي، ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم.

٣ـ قيل: إنّ هذه الفتنة الّتي فُتِنَ بها سليمان هي إشتغاله بالخيل وغفلته عن صلاة العصر حتى فاتته. قيل: فُتِنَ سليمان بعد ما ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة. ٤ـ قيل: أي ابتليناه بمرض عُضالٍ صار بسببه ملقّى على كرسيّه لشدّة وطأته عليه. ٥ـ عن كعب الأحبار اليهودى الكذّاب: ان سليمان عليه السّلام لما ظلم الخيل بالقتل من العقر والذبح بالسيف سلب ملكه وهذا فتنته. ٦ـ عن الحسن: انّ فتنته أنّه قارب بعض نسائه في شيئ من حيض أو غيره. ٧ـ قيل: إنّ سليمان أُمر ألاّ يتزوّج إمرأة إلّا من بني إسرائيل، فتزوّج إمرأة من غيرهم فعوقب على ذلك وهذا فتنته. ٨ـ قيل: إنّ سليمان لمّا أصاب ابنة ملك صيدون واسمها جرادة، أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت، فخوّفها، فقالت: اقتلني ولا أسلم، فتزوّجها وهى

مشركة، فكانت تعبد صنما لها من ياقوت أربعين يوماً في خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً وهذه فتنته. ٩ـ قيل: كان ذنبه أنه وطئ في ليلة واحدة عدّة كثيرة من جواريه حرصاً على كثرة الولد وهذه فتنته، ولم يطلب الولد من الله تعالى. ١٠ـ قيل: أي واقسم بالله تعالى انا اختبرنا سليمان بن داود عليه السّلام.

أقول: والأخير هو المروىّ.

وفي قوله تعالى: «وألقينا على كرسيّه جسداً» أقوال: ١ـ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد والسدي: أي أجلسنا على كرسيّ سليمان عليه السّلام شيطاناً متمثّلا بانسان كان على كرسيّه يقضي بين النّاس أربعين يوماً. إسمه صخر. وقيل: إسمه أصف وقيل: آصف وقيل: خنفيق وقيل: آصر وقيل: حبقيق وقيل: حيقيق ٢ـ قيل: أي وألقينا سليمان عليه السّلام على كرسيّه جسداً إذ منعناه من اتيان نسآئه... ٣ـ قيل: إنّ الجسد هو جَسَدُ وَلَدٍ وُلِدَ لسليمان عليه السّلام بعد أن ملك عشرين سنة، فلمّا وُلِدَ بعد ذلك إبن اجتمعت الشياطين، فقالوا: إن عاش له ابن لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والتسخير، فسبيلنا أن نقتله أو نخبله، فعلم سليمان عليه السّلام بذلك فأشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فأمر الريح حتى حملته إلى السحاب، وأمر السحاب أن يحفظه وغدا ابنه في السحاب خوفاً من مضرّة الشيطان، فما راعه إلّا أن القى جسده على كرسيّه ميتاً، فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشياطين فلم يشعر إلّا وقد القى على كرسيّه ميتاً تنبيهاً على أنّ الحذر لا ينفع عن القدر، فتنبّه على خطئه في أن لم يتوكّل فيه على ربّه فاستغفر ربّه وأناب.

٤ـ قيل: أي وألقينا على كرسى سليمان جسداً وهو شقٌّ وُلِدَ لسليمان إذ قبض روح هذا الوليد الشق وهو على كرسى سليمان أي جيئ به على كرسيه فوضع جسده في حجره وذلك أنّ أكثر ما وطئ سليمان جواريه طلباً للولد، فولد له نصف إنسان فهو كان الجسد الملقى على كرسيّه، جآئت به القابلة فألقته هناك . وان سليمان قال يوماً في مجلسه: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهنّ غلاماً يضرب

بالسيف في سبيل الله ولم يقل: إن شآء الله فطاف عليهن، فلم تحمل منهن إلاّ امرأة واحدة جائت بشق ولد و هذا هو المروي عن رسول الله (ص): «فوالّذي نفس محمّد (ص) بيده لوقال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً» فالجسد الذي القى على كرسّيه كان هذا ثم أناب إلى الله تعالى و فزع إلى الصّلاة والدعاء على وجه الانقطاع إليه جل وعلا.

٥- قيل: ابتلى سليمان عليه السّلام بمرض عُضال ألقى به على سريره كجسد بلا روح، فالجسد الملقى على كرسيه هو سليمان نفسه لمرض امتحنه الله تعالى به. فالمعنى: وألقينا سليمان على كرسيّه كجسد لا روح فيه من شدّة المرض. وقديوصف بالجسد، المريض المضني فيقال: فلان كالجسد الملقى. ٦- عن الجبائي إنّه وُلِدَ لسليمان عليه السّلام ولد ميت جسد بلا روح، فالقى على سريره. ٧- قيل: كان لسليمان عليه السّلام ولد شابّ يعجب به، فأماته الله تعالى فجأة اختباراً من الله جلّ وعلا لسليمان عليه السّلام. ٨- قيل: إنّ الله تعالى أمات ولده في حجره فوضعه على كرسيّه في حجره.

٩- قيل: إن الجسد هو آصف بن برخيا الصدّيق كاتب سليمان، وذلك أنّ سليمان لمّا فُتِنَ سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه، فأعاده إلى يده فسقط فأيقن بالفتنة فقال له آصف: إنك مفتون ولذلك لا يتماسك في يدك ، فَفِرّ إلى الله تعالى تآئباً من ذلك، وأنا أقوم مقامك في عالمك إلى أن يتوب الله عليك، ولك من حين فتنت أربعة عشر يوماً. ففرّ سليمان هارباً إلى ربه، وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وكان عنده علم من الكتاب وقام آصف في ملك سليمان وعياله يسير بسيره ويعمل بعمله، إلى أن رجع سليمان إلى منزله تآئباً إلى الله تعالى، وردّ الله عليه ملكه، فأقام آصف في مجلسه وجلس على كرسيّه وأخذ الخاتم.

١٠- قيل: إنّ في الجملة: «وألقينا على كرسيّه جسداً» إشارة إلى أنّ الله عزّوجلّ قدفتن سليمان بهذا المتاع الكثير الذي ساقه إليه، وأنّ هذا المتاع كان عبئاً ثقيلاً على «كرسيّه» أي سلطانه الذي كان ينبغي أن يكون مكان النبوّة فيه أبرز

وأظهر من مقام الملك، وهذا هو السّرّ في كلمة «جسداً» الذي يمثل المتاع الدنيوي الذي يضمّه هذا الملك، انّ كرسيّ سليمان عليه السّلام قدثقل فيه ميزان الملك، وكاد يجور على المكان الذي ينبغي أن يكون للنبوّة فيه الحظّ الأوفر والنصيب الأوفى!

١١ـ قيل: إنّ «جسداً» حال. تقديره: وألقينا سليمان على كرسيّه كائناً جسداً. وذلك ان روحه قدزايله في تلك الحال، فرآى ـ من عالم روحه ـ وجوده الجسدي قآئماً على كرسيّه، ملتصقاً به، وهذا ما يعرف في الروحية الحديثة باسم «الطرح الروحي» حيث تستطيع بعض الأرواح أن تنفصل عن أجسادها في حال اليقظة، فيرى الانسان بروحه عوالم كثيرة بعيدة، ويشهد من ورآء حجب المادّة الكثيفة ما يشهده عن قرب وعيان، ومما يشهده في حاله تلك، وجوده الجسدي. وقديرى سليمان عليه السّلام في حال من أحوال الطرح الروحي، ذاته الجسديّة على كرسيّ ملكه، على حين رآى ذاته الروحية بعيدة عن هذا الكرسى، فأنكر مقامه على هذا الكرسى وهو على تلك الحال الّتي انفصلت فيها أو كادت تنفصل عنه النّبوّة!

أقول: وعلى الثّالث جمهور المحققين من المفسّرين، وقال الشيخ الطبرسي رضوان الله تعالى عليه بعد ذكره: «وهو المروى عن أبي عبدالله عليه السّلام».

ولا يخفي على القارئ الخبير المتدبّر أن أكثر الأقوال المذكورة في المقام من الإسرائيليات والأراجيف والأباطيل الواردة من كعب الأحبار اليهودى الكذّاب الجاسوس استاذ عمر بن الخطاب، ولو لا تقيّدنا بذكر الأقوال إطلاقاً لما ذكرنا تلك الأقاويل!!!

ومن غير مرآءٍ أنّ الشيطان لا يتصوّر بصورة الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمقرّبين صلوات الله عليهم أجمعين وليس له سلطان على المخلصين فضلاً عن المعصومين عليهم السّلام قال الله عزّوجلّ: «انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون» النحل: ٩٩ـ١٠٠)

ولا تكون النبوّة في خاتم ولا يقدر الشيطان أن يقعد على سرير النبي سليمان عليه

السّلام والحكم بين عباد الله تعالى قال الله عزوجل: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في امنيّته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثمّ يحكم الله آياته والله عليم حكيم» الحج: ٥٢) وإلّا ارتفع الأمان عن الشرائع والأديان، فيغيّر الأحكام في زمن تشريعها!

وفي قوله تعالى: «ثمّ أناب» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس والضحّاك : أى ثمّ رجع وأقبل سليمان إلى ملكه وطاعة ربه وتاب من ذنبه بعد أيّام، فوصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيّه. ٢ـ قيل: أي رجع إلى الله تعالى وتاب لأنّه لم يقل: إن شآء الله وانّ الأنبيآء عليهم السّلام يحاسبون على ما لا يحاسب عليه غيرهم لشدّة قربهم من ربّهم. ٣ـ عن أبي مسلم أي رجع إلى حال الصحّة. وذلك انّ سليمان عليه السّلام دعا الله تعالى راجعاً إليه ومتوسّلاً أن يغفر له ويشفيه مما هو فيه، فرجع بَعدُ إلى حاله الاولى واستقامة الامور كما كان. ٤ـ قيل: إنّ سليمان عليه السلام لمّا علم أنّ رضى الله تعالى وصلاحه في فقدان ولده رجع عما كان حريصاً عليه من كثرة الأولاد، فرضى بما رضاه الله تعالى له عليه السّلام.

أقول: والرابع هو الأنسب بما اخترناه سابقاً فتدبر جيّداً ولا تغفل.

٣٥ـ (قال ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّاب)

في قوله: «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» أقوال: ١ـ قيل: أراد به أن يكون معجزة له، ومن شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضته ولا سيّما امّته الذين بُعِثَ سليمان إليهم، فأراد غيري ممّن بعثت إليهم، ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة كما يقول القآئل: أنا اطيعك ولا اطيع أحداً بعدك أي سواك . فسئله أن يكون ملكه معجزة لنبوّته يبين بها من غيره ممّن ليس بنبيّ. وليس فيه إشعار بالحسد ولا دلالة على الحرص على الدنيا كما توهّم بعض الناس، فانه عليه السّلام لم يطلبه حرصاً على الدنيا ولا نفاسة بها، وإنّما قصده أن يكون معجزة لرسالته.

٢ـ قيل: إنّ الله تعالى علم أنه لا يقوم غير مقامه بمصالح ذلك الملك، فاقتضت الحكمة تخصيصه به فألهمه سئواله. ٣ـ قيل: أراد به أنّ الإحتراز عن طيّبات الدنيا مع

القدرة عليها أشق من الإحتراز عنها حال عدم القدرة عليها، فكأنه قال: إلهي أعطني مُلكاً ومِلْكاً ومملكةً فآئقة على سآئر الممالك والملوك حتى أحترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكمل وأفضل، مع أن الملك إذ كان آية كان ثوابه على الصبر عنه غاية ونهاية.

٤ـ قيل: أراد سليمان عليه السّلام أن يظهر للخلق أن حصول الدنيا ومتاعها لا يمنع من خدمة المولى إذا رآى الإنسان الدنيا لنفسه، ولم يجعل نفسه للدنيا، إذ خلقت الدنيا للإنسان، ولم يخلق الإنسان للدنيا، وأنّ ملك سليمان عليه السّلام إذا كان عرضة للفنآء فالاولى بالعاقل أن يشتغل بالعبودية ولا يلتفت إلى الدّنيا وما فيها. ٥ـ قيل: إنّ سليمان عليه السّلام لمّا مرض ثم عاد إلى الصحّة عرف أنّ خيرات الدنيا زائلة منتقلة إلى الغير بارث ونحوه فطلب ملكاً لا يتصوّر انتقاله إلى الغير وهو ملك الدنيا والحكمة. وقيل: أي سئل ربه ملكاً لا يمكن أن ينتقل منه إلى غيره. ولن يكن له وارث فلم ينتقل ملكه بعده إلى غيره.

٦ـ قيل: إنّه أراد عظم الملك وسعته كما تقول لفلان: ما ليس لأحد من الفضل والمال والجاه والكمال... وربما كان للنّاس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده. ٧ـ عن قتادة والحسن: أي لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان، وقصده أن لا يسلّط عليه الشيطان مرّة اخرى. وقيل: أي لا ينبغي لأحد أن يسلبه عنّي في حياتي. ٨ـ قيل: أي لا تسلبنه كما سلبته في الدفعة الاولى. وقيل: أي لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته منّي فيما مضى من عمري.

٩ـ قيل: إنّ سئواله عليه السّلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليكون محلّة وكرامته من الله تعالى ظاهراً في خلق السموات والأرض، فانّ الأنبيآء عليهم السّلام لهم تنافس في المحلّ عنده فكل يحبّ أن تكون له خصوصيّة يستدل بها على محله عنده. ولهذا لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان: «وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» فردّه خاسئاً فلوأظهر أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية، وإن كان قادراً

على إظهاره فكانه صلى الله عليه وآله وسلّم كره أن يزاحمه في تلك الخصوصية بعد أن علم أنّه شيئ خصّ به.

١٠- قيل: إنّ سليمان عليه السّلام سئل ملكاً يختصّ به، ولم يسئل أن يمنع غيره عن مثل ماآتاه الله تعالى و يحرمه، ففرق بين أن يسئل ملكاً إختصاصياً وأن يئسل الإختصاص بملك اوتيه. ١١- قيل: إنه صلب ملكاً لامثيل له في الكيف والكم كتسخير الرياح والطير والجن والشياطين... فاستجاب تعالى لدعوته إذ قال: «فسخرناله الريح...» ١٢- قيل: أي طلب من الله تعالى ملكاً لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل النّاس، والمالكين بالغلبة والجور وإجبار الناس.

١٣- قيل: أي لن يعمر ملك في امّة نبيّ مضى قبله ما بلغ بذلك سليمان عليه السّلام من العمر في امّته. ١٤- قيل: إنّه سئل ملك الآخرة وثواب الجنّة الّذي لا يناله المستحق إلّا بعد انقطاع التكليف وزوال المحنة. والمعني: لا يستحقه بعد وصولي إليه أحد من حيث لا يصحّ أن يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف. ١٥- قيل سئل ذلك ليكون علامة دالة على قبول توبته، فأجاب الله تعالى دعائه وردّ عليه ملكه. ١٦- قيل: طلب عليه السّلام ملكاً هكذا ليكون نموذجاً بين الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام وحجّة على الملوك والسلاطين بأنّه مع تلك القدرة البالغة لم يظلم أحداً ولم يخرج من قنطرة العدالة ولم ينحرف عنها وبه يحاكم السلاطين والملوك والامراء في الدار الآخرة ١٧- قيل: إنّ سليمان عليه السّلام كان يعلم أنّ القدرة المادية والقوى الظاهرة علّة جزئية لها دخل في نشر الشريعة وأحكام الدين، وفي بيان المعارف الإلهية، ولاتكفى القوى المعنوية بأيّة مرتبة كانت، فطلب من الله تعالى القدرة المادية بعد أن اعطاه الله المعنوية ليضمّهما لاصلاح الجامعة وكمال الانسان وتبليغ الأحكام وبيان العقائد الحقّة، وبهما أحضر سرير بلقيس وأخضع رقاب الملأ. ١٨- قيل: أي اعطني ملكاً لا يقدر أحد أن يملكه بعدي.

١٩- قيل: إنّ سليمان عليه السّلام كان ناشئاً في بيت الملك والنّبوّة وارثاً لهما، فأراد أن يطلب من ربه عزّوجلّ معجزة فطلب بحسب إلفه ملكاً زائداً على المماك

زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على نبوّته، قاهراً للمبعوث إليهم، ولن تكون معجزة حتى تخرق العادة فذلك معنى قوله: «لا ينبغي لأحد من بعدي» فسئل ذلك ليكون علماً وآية لنبوّته ومعجزة دالة على رسالته، ودلالة على قبول توبته، فأجاب الله تعالى دعائه وردّ ملكه إليه وزاد فيه.

أقول: والثّاني عشر هو المروىّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣٦ـ (فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخآءً حيث أصاب)

في قوله تعالى: «بأمره» قولان: أحدهما ـ عن ابن عباس أى بأمر الله تعالى.

ثانيهما ـ قيل: أى بأمر سليمان.

أقول: وعلى الثاني جمهور المحققين من المفسرين وهو الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى: «رخآءً» أقوال: ١ـ قيل: الرخآء هى الريح التي ليست بالعاصفة ولا باللينة وسطاً، ليست بالعاصفة التي تؤذيه، ولا باللينة التي تشقّ عليه وتزعزع.

٢ـ عن ابن عباس والحسن والضحاك والسدي: أي مطيعة له تجري حيث يشآء.
٣ـ عن قتادة أي لينة ٤ـ عن قتادة والحسن أيضاً ومجاهد وابن جريج: أي طيّبة سريعة ليست بعاصفة ولا بطيئة ولا هينة. ٥ـ عن ابن زيد: أي لينة سهلة وهى رخاوة المرور: سهولته. ووصفت باللين لأنها إذا عصفت لم يتمكّن منها وإذا لانت أمكنت.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الاخر.

وفي قوله تعالى: «حيث أصاب» أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد والضحاك والسدي: أي حيث أراد سليمان عليه السّلام من النّواحي... انتهى عليها. وحقيقته حيث قصد. والمعنى: انه ينطاع له كيف أراد. وعن الحسن: كان يغد ومن ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل. وقيل: أصاب بمعنى أراد بلغة حمير. وعن قتادة: هو بلسان هجر. ٢ـ عن ابن العربي: أي أراد الصّواب

وأخطأ الجواب. ومنه الصواب: إدراك الحقّ بالميل إليه. ٣ـ قيل: أي حيثما قصد وهو مأخوذ من إصابة السهم الغرض المقصود. ٤ـ عن مجاهد أيضاً: أي حيث شآء.

أقول: والمعاني متقارب.

٣٨ـ (وآخرين مقرّنين في الأصفاد)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى وسخّرنا لسليمان عليه السّلام طائفة آخرين متمرّدين من شياطين الجن يقرن بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكفّ عن الفساد. فيشدّ بعضهم إلى بعض بأن يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لايمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمردهم. ٢ـ قيل: إنّ الأصفاد تمثيل لكفّ شرّهم وحبسهم حبساً يناسب أجسامهم النارية. ٣ـ عن السدي: الأصفاد: القيود فيجمع أرجلهم إلى أعناقهم. وقيل: الأصفاد جمع صفد وهو الغل الذي يجمع بين اليدين إلى العنق. ٤ـ قيل: أي مجموعين مربوطين في الأغلال، مشدودين مقيدين بالسلاسل.

٥ـ عن قتادة: أي وسخرناله مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد وقيود الحديد. ٦ـ عن السدي أيضاً: أي قرنهم في الأغلال. ٧ـ عن إبن عباس: أي قرنهم في وثاق. ٨ـ عن يحيى بن سلام: لايفعل ذلك إلّا بكفّارهم فاذا آمنوا أطلهم ولم يسخّرهم. ٩ـ قيل: الأصفاد جمع الصفد وهو القيد والعطآء لأنه إرتباط للمنعم عليه ومنه قول الامام على عليه السّلام: «من برّك فقد أسرك ومَن جفاك فقد أطلقك»

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الأُخر لأنواع العذاب.

٣٩ـ (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ أي هذا الملك الذي آتيناك عطاؤنا بك هو جمّ كثير لايدخل تحت الضبط والحصر، فأعط منه ما شئت أو أمسك فانّه لاينفد بالعطاء والإمساك ، فانّ العطآء والإمساك يستويان في عدم التأثير في عطائنا غير محدود في مقدار. فقوله: «بغير حساب» متعلق بـ «عطاؤنا» قيل: في الكلام تقديم وتأخير،

تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن منه على مَن شئت أو أمسك. وقيل: تقديره هذا فامنن أو أمسك، عطاؤنا بغير حساب.

٢ـ عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة: أي هذا عطاؤنا فأعط مَن شئت منه وامنع من شئت، لاحساب ولا حرج عليك يوم القيامة في المن والإمساك. المنّ هو الإحسان إلى مَن لا يستثيبه والمنّة هنا بمعنى العطآء والإعطاء. عن الحسن: إنّ الله لم يعط أحداً عطية إلّا جعل عليه فيها حساباً سوى سليمان عليه السّلام فانه أعطاه عطيّة هنيئة إن اعطى أجِرَ وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. فقوله: «بغير حساب» متعلق بالأمرين: «فامنن أو أمسك» معاً.

٣ـ قيل: أي هذا الملك الذي أعطيناكه لامثيل له قبلك ولا بعدك لا يكاد يقدر على حصره فأعط منه مَن شئت ما شئت وامنع منه من شئت، فان زمام التصرف فيه موضّ إليك فلاتحاسب على الإعطآء والإمساك منه، فكما أنّ عطاؤنا بدون حساب، فاعطاؤك منه وإمساكك أيضاً بدون حساب فقوله: «بغير حساب» متعلق بمجموع: عطاؤنا فامنن أو أمسك» فيكون أهنأ لك.

٤ـ عن قتادة أيضاً وابن عباس والسدي: أي هذا التسخير: تسخير الشياطين الذين سخّرناهم لك من الخدمة أو من الوثاق ممن كان منهم مقرّناً في الأصفاد عطاؤنا بك فامنن على مَن شئت منهم بالاطلاق فأعتق أو أمسك واحبس مَن شئت منهم بالوثاق، فاصنع بما شئت فأنت في سعة من ذلك فلاتحاسب أنت في إطلاق مَن أعتقت، ولا في حبس من أمسكت، فلاحرج ولاتأثم عليك في ذلك فالأمر أمرك.

٥ـ عن قتادة وابن عباس أيضاً: أي ما اوتيت من القوّة على الجماع هذا هو عطاؤنا فامنن أو أمسك، فجامع مَن شئت من نساءك وجواريك ما شئت بغير حساب واترك جماع من شئت منهنّ لاحساب عليك. قال ابن عباس: كان في ظَهر سليمان مآء مأة رجل، وكان له ثلاثمأة إمرأة وتسعمأة سرية وهذا عطاؤنا إياه. «فامنن» من المنيّ.

عن الزجاج في قوله: «بغير حساب» قال: أي بغير جزآء ولا ثواب أي أعطيناكه إعطاء تفضّل لا مجازاة فيه. وقيل: أي بغير منّة ولا قلّة: وقيل: أي بغير مقدار يجب عليك إخراجه من يدك ويكون بغير حساب.

أقول: والثالث هو المروي.

٤٠ـ (وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب)

في قوله تعالى: «حسن مآب» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي حسن مصير. ٢ـ عن أبي صالح: أي حسن مرجع. ٣ـ قيل: إنّ الزلفى والقربى وحسن المآب هي النعمة الباقية في الدار الآخرة. ٤ـ قيل: حسن مآب هو الجنة. ٥ـ قيل: أي حسن مآل في العاقبة.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

٤١ـ (واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب)

في قوله: «مسّني الشيطان بنصب» أقوال: ١ـ قيل: أي مسّني الشيطان ببلاء وشرّ. ٢ـ عن قتادة والسدي والضحاك: أي بعلّة نالته في جسدي وبعنآء وضرٍّ أُصبتُ بهما. قيل: إنّ أيوب عليه السّلام ابتلى سبع سنين وأشهراً ملقًى على كناسة لبني إسرائيل تختلف الدوّاب في جسده، ففرّج الله عنه، وعظّم له الأجر وأحسن عليه الثنآء. ٣ـ قيل: أي مسّني الشيطان بتعب ومشقّة ومكروه.

٤ـ عن مقاتل: أي بوسوسة إذ كان الشيطان يقول لأيوب عليه السّلام: طال مرضك ولا يرحمك ربك فالمراد بمسّ الشيطان هو الأحزان الحاصلة في قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء وإغرائه على الجزع والقنوط من روح الله. ٥ـ قيل: كان الشيطان يوسوس إلى أيّوب عليه السّلام بما يؤذونه به قومه فشكى ذلك إلى الله. وقيل: إنّ الشيطان كان يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال، وكيف زال عنه ذلك كله، وحصل فيما هو فيه من البليّة طمعاً أن يزلّه بذلك ويجد طريقاً إلى تضجّره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله. قيل: إنّه اشتدّ مرضه حتّى تجنّبه الناس فوسوس إليهم الشيطان أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا

امرأته التي تخدمه أن تدخل عليهم، فكان أيّوب يتأذى بذلك ويتألّم منه، ولم يشكّ الألم الذي كان من أمر الله تعالى.

فالمراد بانتساب النصب والعذاب إلى الشيطان إغراؤه الناس بوسوسته أن يتجنّبوا من الإقتراب منه، وابتعادهم عنه وطعنهم فيه: أن لو كان أيّوب نبيّاً لم تحط به البليّة من كل جانب، ولم يصر إلى ما صار إليه من العاقبة السوآى، وشماتتهم واستهزآؤهم به.

وقال بعض المحققين: لا يجوز أن يكون النبي عليه السّلام بصفة يستقذره الناس عليها لأنّ في ذلك تنفيراً ويمنعهم من لقائه والجلوس معه للإهتداء، لأنّ ذلك شرط من شروط النبوّة وأما المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك.

أقول: والثاني هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله.

وفي قوله: «عذاب» أقوال: ١ـ عن السدي والضحاك: هو ما ذهب من ماله وأهله. ٢ـ قيل: أي بمشقّة. ولا يراد من إسناد العذاب ظاهراً إلى الشيطان المعنى الحقيقي للعذاب لقوله تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» الاسراء: ٦٥) بل المراد أنّ الشيطان قد وسوس لأيّوب بأن الله تعالى قد فعل بك ما فعل وأنت على طاعته، فتعوّذ أيّوب منه وشكاه إلى الله تعالى، فعلى هذا تكون نسبة العذاب إليه مجازاً. ٣ـ عن ابن عباس: أي ألم مضرّ ومرض وبلاء. وقد نسب المسّ إلى الشيطان لأنّه بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله، فمسّه الله بالمرض لأجل ذلك. ٤ـ قيل: عذاب هو ألم ناجم من تعب وهو نصب.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٤٢ـ (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

في قوله تعالى: «أركض برجلك...» أقوال: ١ـ عن الكسائي: أي لمّا دعانا استجبنا له وقلنا له: إدفع برجلك الأرض بقوة، هذا ما تغتسل به وتشرب منه فبرأ باطنك وظاهرك ففعل وذهب منه الدآء والعنآء. ٢ـ عن قتادة والحسن ومقاتل وابن جريج: ركض أيّوب برجله اليمنى الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، وضرب بيده

اليمنى خلف ظهره فنبعت عين اخرى فشرب منها، فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله.

قال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية من قرى الشام، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى، فأذهب الله باطن دآئه. وقال الحسن: فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً ثمّ ركض برجله، فنبعت عين فشرب منها. وقال مقاتل: نبعت عين حارّة واغتسل فيها فخرج صحيحاً ثم نبعت عين اخرى فشرب منها مآءً عذباً. وقال مقاتل: مغتسل هو موضع يغتسل فيه. وقال إبن قتيبة: المغتسل إسم للمآء الذي يغتسل به. وقيل: تقدير الكلام: هذا مغتسل وشراب بارد.

٣ـ عن القتبي: أُمِرَ أيّوب بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل دآء في جسده. والمغتسل هو المآء الذي يغتسل به. الركض: الجرى والمراد به الضرب بالرجل على الأرض بقوّة حيث إنّ الرجل تخدّ الأرض وتضربها أثنآء الجرى. ٤ـ قيل: جآء ملك أيّوب عليه السّلام فأمره بأن يركض برجله الأرض، فخرج منها المآء فعاد أحسن ما كان وأطرأ. وقدكانت العين واحدة عذبة باردة. أي مآء بارد للشرب والإغتسال، اغتسل وشرب من تلك العين فأزال الله تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض...

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين)

٤٣ـ (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لاولى الألباب)

في قوله تعالى: «ووهبنا له أهله ومثلهم معهم» أقوال: ١ـ عن قتادة وابن جريج: أي جمعنا له أهله بعد أن تفرّقوا وتشتّتوا، إذغابوا عنه وتفرّقوا فجمع الله شملهم، ومثلهم معهم إذ أكثرنا نسلهم حتى صاروا ضعفا ما كانوا عليه، فرزقناه من الأولاد والأحفاد ضعف ما فقد منهم. وقال الحسن: ومثلهم معهم: أي من نسلهم. ٢ـ عن ابن عباس وابن مسعود ومقاتل والكلبي والحسن وقتادة: إنّ الله تعالى أحيى له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية وأحيى له أهله الذين ماتوا وهو في البليّة، فأحياهم كلهم فعاشوا معه. فردّ الله تعالى عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم،

وكذلك رد الله تعالى عليه أمواله زرعه ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها. وقال ابن مسعود: كان أهل أيّوب قدماتوا إلّا امرأته فأحيا هم الله عزوجل في أقل من طرف البصر وآتاه مثلهم معهم. قيل: والدليل على أنّ «وهبنا» بمعنى «أحيينا» قوله تعالى: «ومثلهم معهم» فانّ معناه: زدنا هم مرتين على ما كانوا بأنهم احيوا بعد موتهم ثمّ زدنا بما كانوا من الأعداد بأن أعطينا ولده الميّت والآخر. ٣ـ عن قتادة أيضاً: أحيا هم الله بأعيانهم وزاده مثلهم من أولاده. ٤ـ قيل: «ومثلهم معهم» أي من أولاد أولاده. ٥ـ قيل: كانوا مرضى فشفاهم الله تعالى. ٦ـ عن الحسن: أي وآتيناه أهله في الدنيا ومثلهم معهم في آلاخرة. وقال الحسن: لم يكونوا ماتوا ولكنهم غيبوا عنه فآتاه أهله ومثلهم معهم في آلاخرة. ٧ـعن مجاهد وعكرمة ونوف البكالي: أي قيل لأيّوب: إنّ أهلك لك في الجنة، فان شت آتيناك بهم وإن شت تركناهم لك في الجنّة وعوّضناك مثلهم؟ قال: لابل اتركهم لي في الجنّة فتركوا له في الجنّة وعوّض مثلهم في الدّنيا.

٨ـ قيل: أي وهبنا له أهله الذين كانوا قدنفروا منه وتخلّوا أثناء محنته، فلمّا لبس ثوب العافية وخرج من ضباب المحنة عاد إليه أهله وعاد إليه الغربآء فكانوا له مثل أهله تقرّباً إليه وتودّداً له إذ أفاض الله عزّوجل عليه من الخير ما جعل العيون تتطلع إليه، والآمال تتجه نحوه وهكذا الناس.

والناس مَن يلقَ خيراً قائلون له ـ ما يشتهي ولأمّ المحطئ الهَبَلُ

٩ـ قيل: إنّ الله تعالى أعطاه بكل امرأة إمرأتين وبكل ولد ولدين في دار الدنيا.

أقول: والثاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «وذكرى لاولى الألباب» أقوال: ١ـ قيل: أي ليتذكّر ويعتبر به ذووا الألباب فيعرفوا حسن عاقبة الصبر، حتى لوابتلوا بما ابتلى به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فازوانهم إذا سمعوا بذلك رغبوا في الصبر على البلآء ويقولون: إنّه قدأصاب من هو خير منّي، نبيّ من أنبياء الله عليهم صلوات الله وهو أيوب عليه السّلام

٢ـ قيل: إنّ أيّوب عليه السّلام بعد أن فرّج الله تعالى عنه، أطعم جميع أهل قريته سبعة أيام وأمرهم بأن يحمدوا الله ويشكروه تذكيراً لهم على ما أصابه من البلاء والفرج.

٣ـ قيل: أي موعظة وتذكيراً لـمَن جآء بعده في كل ظرف إلى يوم القيامة، تذكيراً لهم في الصبر على البلايا والشدآئد، وفي الإنقطاع إلى الله تعالى في المصائب والسرآء والضرّآء وفي التوكلّ على الله جلّ وعلا في كل حال، إذ لم يكن في عصر أيّوب أحد أكرم على الله تعالى منه، فابتلاه بالمحن العظيمة، فأحسن الصبر عليها فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ويعلم أنّ عاقبة الصبر محمودة.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمل جيداً ولا تغفل.

٤٤ـ (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب)

في قوله تعالى: «ضغثاً» أقوال: ١ـ قيل: الضغث أن يأخذ الحزمة من السّياط فيضرب بها الضربة الواحدة. ٢ـ قيل: الضغث: القبضة من الكبائس. ٣ـ عن ابن عباس: الضغث: القبضة من المرعى الطيّب. وعنه أيضاً: الضغث: الحزمة من حشيش أو قضبان. ٤ـ عن قتادة: الضغث: عود فيه تسعة وتسعون عوداً. والأصل تمام المأة. وعن سعيد بن مسيّب: إنّ أيّوب أخذ ضغثاً من ثمام وهو مأة عود. قيل: الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص. فضرب به كما أمره الله تعالى. قال مجاهد: هي لأيّوب خاصّة. وقال عطآء: هي للناس عامّة. ٥ـ عن الضحّاك: الضغث: جماعة من الشجر الرطب، وكانت لأيوب (ع) خاصّة وهي لنا عامة. وقد حلف، فأخذ من الشجر بعدد ما حلف عليه، فضرب به ضربة واحدة فبرت يمينه. وقيل: قبضة من سنبل فيها مأة سنبلة.

٦ـ عن ابن عباس أيضاً: الضغث مأة طاق من عيدان القت، فضرب به إمرأته لليمين التي حلف عليها ولا يجوز ذلك لأحد بعد أيّوب عليه السّلام إلّا الأنبيآء. ٧ـ قيل: الضغث هو العثكول الذي فيه مأة شمراخ. وقال ابن عباس أيضاً: الضغث هو إثكال النحل الجامع بشماريخه. ٨ـ قيل: الضغث هو ملأ الكف من الشماريخ. ٩ـ

قيل: الضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه. ١٠ـ عن عطآء: الضغث: القبضة من العيدان ونحوها رطباً. ١١ـ قيل: الضغث: قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس. ١٢ـ عن ابن عباس أيضاً: الضغث هو الأ ثل. ١٣ـ عن ابن زيد: الضغث واحد من الكلأ أو الريحان فيه أكثر من مأة عود، فضرب به دفعة واحدة، فذلك مأة ضربة. ١٤ـ قيل: أي عذقاً مشتملاً على مأة شمراخ.

أقول: والأخير هو المروي عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الاقوال الأُخر. وأما سبب الضرب فسيأتي بيانه إن شآء الله تعالى فانتظر.

٤٥ـ (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب اولى الأيدي والأبصار)

في قوله تعالى: «اولى الأيدي والأبصار» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي: الأيدي هنا هي ألقوة أي هم أصحاب القوّة في عبادة الله وطاعته وفي أمره، والأبصار أي أبصار القلوب والعقول السليمة وأصحاب الفقه في الدين وأصحاب البصيرة في الحق وأصحاب المعرفة في الدين وأسراره. ٢ـ عن أبي مسلم: أي اولى الأعمال الصالحة لأنّ اليد آلة لأكثر الأعمال... واولى العلم لأنّ البصر آلة لأقوى الإدراكات... فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر. ففيه تعريض بأنّ الذين لايعملون أعمال الآخرة فهم من حكم الزمنى الذين لايقدرون على أعمال جوارجهم، وبأنّ الذين لايتفكّرون أفكار ذوى العقول فهم في حكم الأعمى الذين لااستبصار بهم. فالمعني: انّ هؤلآء الأنبيآء هـ اولوا العلم والعمل، اولوا الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، فعبّر بالايدي عن الأعـ ـ لأنّ أكثرها تباشر بها، وبالأبصار عن المعارف لأنّها أقوى مباديها... قيل: لولاقرينة الأبصار لكان يحتمل أن الأيدي جمع اليد بمعنى النعمة. ٣ـ قيل: أي اولى الأيدي عندالله بالأعمال الصالحة، فجعل الله تعالى أعمالهم الصالحة التى عملوها في الدّنيا أيدياً لها عندالله تمثيلاً لها باليد تكون عند الرجل لاخر. ٤ـقيل: أي اولى النعم على عبادالله بالدعآء إلى الدين والأبصار جمع البصر وهو العقل. وقيل: الأيدي: جمع اليد وهي

النعمة أي هم أصحاب النعم الذين أنعم الله تعالى عليهم. وقيل: هم أصحاب النعم والإحسان لأنهم قدأحسنوا وقدّموا خيراً. وقيل: هم اولوا النعم في الدّين.

٥ـ قيل: أي هم ذووا الأيدى العاملة في كلّ مجال للخير والإحسان، وهم ذووا الأبصار الكاشفة عمّا في هذا الوجود من بعض جلال الله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره، إنّهم لم يُؤتُوا ملكاً وإنّما اوتوا نبوّة، وهم لهذا يعملون بأيديهم ويسعون في تحصيل معاشهم بأنفسهم لا يملكون سلطاناً يعمل لهم العاملون فيه، ثم إنّ لهم إلى جانب هذه الأيدى العاملة في الدنيا أبصاراً عاملة في التدبّر في ملكوت الله والتسبيح بحمده جلّ وعلا. ٦ـ قيل: الايدي هي القوّة الظاهرة المادية والأبصار هي القوة الباطنة المعنوية فاذا انضمتا تقيدان في الدين والدنيا معاً.

أقول: والأوّل هو المروى عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتامّل جيّداً واغتنم جداً.

٤٦ـ (إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدّار)

في الآية الكريمة: أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي أخلصوا ذلك وبذكرهم دار يوم القيامة. ٢ـ عن مجاهد: أي إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وهي الآخرة وليس لهم همّ ولا ذكر غيرها بأن خلصت لهم ذكر الآخرة. والخالصة بمعنى الخلوص، والذكرى بمعنى التذكير أي خلص لهم تذكير الآخرة إذ كانوا يتذكرونها بالتأهّب لها ويزهدون في الدّنيا. ٣ـ عن الضحاك وقتادة: أي لذكر الدار أخلصهم الله تعالى كانوا يدعون الناس إلى الآخرة وإلى الله تعالى. ٤ـ عن الحسن: أي بفضل أهل الجنّة. ٥ـ عن سعيد بن جبير: أي عقبى الدار. ٦ـ قيل: أي جعلناهم لنا خالصين بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكراها الجنة بحيث لا يشوبون ذكرها بشئ من هموم الدّنيا. ٧ـ قيل: أي كانوا هؤلآء الأنبياء عليهم السّلام اولى الأيدي والأبصار لأنّا أخلصناهم بخصلة خالصة غير مشوبة عظيمة الشأن هي ذكرى الدار الآخرة. إذ فسّر «خالصة» بذكر الدار شهادة لذكر الدار بالخلوص والصفا، وان الكدورة منتفية عنها.

فقوله تعالى: «إنا أخلصنا هم» تعليل لما في قوله تعالى: «اولى الأيدي والأبصار» وذلك لأن استغراق الإنسان في ذكرى الدار الآخرة وجوار رب العالمين وركوز همّه فيها يلازم كمال معرفته في جنب الله تعالى وإصابة نظره في حق الإعتقاد والتبصّر في سلوك سبيل العبودية والتخلّص عن الجمود على ظاهر الحياة الدنيا وزينتها كما هو شأن أبنائها قال تعالى: «فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» النجم: ٣٠)

٨- عن ابن زيد: أي بما خلص من ذكرى الدار على أنّهم لا يشوبون ذكر الدار بهمّ آخر، إنّما همّهم ذكرى الدار لا غير. وهذا على قرائة «بخالصة ذكري» على الإضافة. ومعنى ذكر الدار ذكرهم الآخرة دآئماً ونسيانهم إليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الدار الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبيآء عليهم السّلام فالمعنى: انا أخلصنا هم بأن يذكروا الدار الآخرة ويتأهّبوا لها ويرغبوا فيها ويرغّبوا الناس فيها. ٩- قيل: ذكرى الدار: الثنآء الجميل في الدّنيا ولسان الصّدق الذي ليس لغيرهم. قال الله تعالى: «وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً» مريم: ٥٠) والمعنى: أخلصنا هم بسبب هذه الخصلة: «اولى الأيدي والأبصار» وبأنهم من أهلها جعلنا هم مختصين بحلّة صافية عن المنقصات وهي الثنآء الجميل في الدنيا ولسان الصّدق الذي ليس لغيرهم.

١٠- عن مجاهد أيضاً والسدي: أي إنا أخلصنا هم بخالصة هي ذكرهم دار الآخرة وعملهم لها، إذ كانوا يعملون لله تعالى وللدار الآخرة ويذكّرون الناس به وبها ومن أجل ذلك اخترنا هم واصطفينا هم بذكر الآخرة واختصصنا هم بها. ١١- عن مجاهد أيضاً: أي إنّا أخلصنا هم بأن ذكرنا لهم الجنّة. ١٢- عن الجبائي وأبي مسلم: أي خصّصنا هم بالذّكر في الأعقاب من بين أهل الدنيا. فالمراد بالدار: الدّنيا. ١٣- عن ابن زيد: أي إنا أخلصنا هم بأفضل ما في الآخرة وخيرها فأعطينا هم إياه لقوله تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض» القصص: ٨٣) أي الجنّة ولقوله تعالى: «ولنعم دار المتقين» النحل: ٣٠) هذا كلّه الجنّة.

١٤- عن مجاهد: أي بخالصة أهل الدار. ١٥- قيل: أي إنا جعلناهم خالصين لطاعتنا، عاملين بأوامرنا، وتاركين نواهينا لاتصافهم بخصلة جليلة الشأن لايساويها غيرها من الخصال وهي تذكرهم الدار الآخرة فانها مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كلّ يأتون ومايذرون، فيكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله تعالى ليفوزوا بلقآء ربهم وينالوا رضوانه في جنّات النعيم. ١٦- قيل: أي إنا أخلصناهم لعبادتنا إذ أخلينا أيديهم من الملك والسلطان، فلم يشغلوا بتدبير ملكهم وحراسة سلطانهم عن ذكرنا وذكر لقآئنا، فنجّيناهم من الفتنة بمنجاة هى إقامتهم على تذكر الدار الآخرة.

أقول: والثّاني هو المروي عن أهل بيت الوحى صلوات عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعض معنًى.

٤٨- (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار)

في قوله تعالى: «ذا الكفل» أقوال: ١- عن ابن عباس: هو الذي كفل وضمن أشيآءً لقوم فوفاها ولذلك سمى ذا الكفل. ٢- قيل: إنّه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ولكنّه كفل مأة نبي من أنبيآء بني إسرائيل حين فرّوا إليه من القتل فآواهم وكفلهم، وكان يطعمهم حتّى نجاهم الله تعالى من القتل، ولذلك سمّى بذى الكفل. ٣- قيل: هو ابن عمّ اليسع. ٤- قيل: هو ابن أيّوب عليه السّلام وإسمه في الأصل «بشر» وقدبعثه الله بعد أيّوب عليه السّلام وقدسمّاه الله ذا الكفل لأنّه تكفّل ببعض الطاعات فوض بها.

٥- عن كعب الأحبار اليهودى الكذّاب: انّ ذا الكفل كان ملكاً جبّاراً فتاب وأناب إلى الله وكان إسمه كنعان. وقيل: إنّه عفا عن وطئ إمرأة استسلمت له لحاجتها لوجه الله. ٦- قيل: هو يوشع بن نون. ٧- عن الجبائي: ذوالكفل أي ذوالضعف من الثواب. ٨- عن أبي موسى الأشعري وقتادة ومجاهد: انه تكفّل بعمل صالح فسمّى به. وقيل: تكفّل لنبي بصوم النهار وقيام الليل. ٩- قيل: هو زكريا عليه السّلام لأنّه هو الذي كفّل مريم عليها السّلام كما قال تعالى: «وكفّلها زكريا» آل عمران: ٣٧)

١٠- قيل: إنّه كفل بعمل رجل صالح كان يصلّي كلّ يوم مأة صلاة. ١١- عن

ابن عباس أيضاً: هو إلياس النّبي عليه السّلام ١٢- قيل: إنّه كان نبياً ورسولاً بعد سليمان بن داود وكان يقضي بين النّاس كما كان يقضي داود بينهم، ولم يغضب قطّ إلّا لله تعالى وكان إسمه عدويا بن إدارين (إداريم خ). ١٣- قيل: هو اليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس، غير هذا اليسع الذي ذكر معه هنا. ١٤- عن الحسن: انه كان نبياً قبل إلياس.

أقول: والثّاني عشر هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٩- (هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب)

في قوله تعالى: «هذا ذكر» أقوال: ١- قيل: لمّا تمّ ذكر الصالحين ومالقى منهم من أنواع البلآء والمحن تثبيتاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواع القرآن أخذ بذكر باب آخر وهو ذكر جزآء المتقين والطاغين فقال: «هذا ذكر» ثم قال: «وإن للمتقين» كما يقول المصنف إذا فرغ من فصل من كتابه: هذا باب ثمّ يأخذ بباب آخر. فالمراد بالمتقين الجنس، فالأنبيآء عليهم السّلام داخلون في الحكم دخولاً أوّلياً. ٢- قيل: «هذا» إشارة إلى القرآن، والمراد بالذّكر مايشتمل عليه القرآن من الذّكر فيعود الكلام إلى مابدئت به السّورة: «والقرآن ذي الذكر» فهو فصل من الكلام يذكر فيه الله تعالى ما في الدار الآخرة من ثواب المتقين وعقاب الطاغين. فالمراد بالمتقين الذين يتلبّسون بالتقوى من هذا الأمة.

٣- قيل: «هذا» إشارة إلى ماتقدم من الآيات الناطقة بمحاسن هؤلآء الأنبيآء الكرام عليهم السّلام، وبيان لتتمّة صفاتهم أى هذا الذي قصصنا عليك من أحوال هؤلآء الانبيآء عليهم السّلام أو نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على أنبآء الأنبياء عليهم السّلام شرف لهم وذكر جميل وثنآء حسن يذكرون به في الدنيا أبداً، ولهم حسن مآب من ثواب الآخرة. وعلى هذا فالمراد بالمتقين نفس المذكورين من الأنبيآء عليهم السّلام بالخصوص، وقدعبّر عنهم بذلك مدحاً لهم بالتقوى التي هى الغاية القاصية من الكمال.

٤ـ قيل: أي هذا الذي تقدّم من حديث هؤلآء الأنبيآء عليهم السّلام هو ذكر لمن يتذكّر، وموعظة لمن يتعظ، وأراد أن يتقى الله، فيكون بهذا من المؤمنين المتقين. ٥ـ قيل: هذا مما ذكرنا لك من أوّل هذه السورة إلى هنا ذكر وشرف جميل تذكر به. ٦ـ عن ابن عباس: أي هذا ذكر الصالحين. ٧ـ قيل: أي في هذا القرآن خير الأوّلين والآخرين.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً فلاتغفل.

٥٠ـ (جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب)

في قوله تعالى: «عدن» أقوال: ١ـ قيل: عدن مصدر عَدَنَ بمعنى أقام إقامة دائمة فتكون جنّات عدن بمعنى جنات خلود. ٢ـ قيل «عدن» علم على إحدى الجنات. ٣ـ قيل: «عدن» بمعنى وسط الجنة. **أقول:** وعلى الأوّل أكثر المفسرين.

وفي قوله تعالى: «مفتّحة لهم الابواب» أقوال: ١ـ قيل: أي يجدون أبوابها مفتوحة حين يردونها، ولايحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها ودقّها حتى تفتح فيدخلونها من أى باب شآؤا دون أن يحجبهم عنها حاجب. ٢ـ قيل: تفتح أبواب الجنان للمتقين بالأمر لا بالمسّ، فلايحتاجون إلى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح، وتغلق بغير مغلاق، إذ يقال لها: انفتحى فتفتح، وانغلقى فتغلق ولذلك قال: مفتّحة ولم يقل: مفتوحة. ٣ـ قيل: أي معدّة لهم غير ممنوعين منها، وإن لم تكن أبوابها مفتوحة قبل مصيرهم إليها كما يقول الرّجل لغيره: متى نشطت لزيارتي فالباب مفتوح والوسادة مطروحة.

٤ـ قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالجنّاب إذا رأوا صاحب الجنّة فتحوا له أبوابها وحيّوه بالسلام فلايحتاجون إلى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح. ٥ـ قيل: أراد به وصف تلك المساكن بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل. ٦ـ قيل: تنفتح أبوابها من غير كلفة كأنّها مفتوحة قبل انفتاحها. ٧ـ قيل: كون الأبواب مفتحة لهم كناية عن أنّهم غير ممنوعين عن شيءٍ من النعم الموجودة فيها، فهى مهيّأة لهم مخلوقة لأجلهم.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحققين من المفسّرين.

٥١- (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)

في قوله تعالى: «يدعون» أقوال: ١- قيل: أي يتمنّون. ٢- قيل: أي يسئلون ٣- قيل: أي يتحكمون في ثمار الجنّة وشرابها، فاذا قالوا لشئ منها: أقبل حصل عندهم. ٤- قيل: أي يستدعون الفواكه للأكل والشراب للشرب. ٥- قيل: أى يشتهون.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تناف بينها.

٥٢- (وعندهم قاصرات الطرف أتراب)

في «أتراب» أقوال: ١- عن قتادة والسدي: أي « متحدات ومستويات في سنّ أزواجهن» فكلّ واحدة منهنّ ترب زوجها لا تكون أكبر ولا أنقص منه، فكلهنّ أسنان واحدة وعلى مقدار سنّ أزواجهنّ من دون زيادة ولا نقصان. فكلّما زادوا نوراً وبهآءً زدن حسناً وجمالاً. وفي اعتبار هذه الصفة فيهنّ وانهنّ تشابهن أزواجهنّ في الصفات والسنّ، وفي الحلية والجمال لأنّ الميل إليهنّ على السوية من غير توبيخ أحدهما الآخر.

٢- عن ابن عباس ومجاهد: أي أمثال وأشباه في الحسن والجمال والشباب، فلا يكون لواحدة على صاحبها فضل في ذلك، وإن كان سنهنّ مختلفة... ٣- قيل: إنّ كلهنّ على سن واحد، فهنّ مستويات في سنهنّ وميلادهن لا في سن أزواجهن، فهنّ لا يختلفن سناً أو جمالاً لأنهنّ متحدات... ٤- قيل: أي متواخيات لا يتباغضن ولا يتعادين ولا يتغايرن ولا يتحاسدن. وقال ابن عباس: هنّ من آدميات ولسن من حورعين، وإن كان لأزواجهن حورعين غيرهنّ. قيل: الأتراب جمع ترب وهي اللذّة. قال الفرآء: اشتقاقها من اللعب بالتراب ولا يقال إلّا في الاناث... وسمّين أتراباً لأنّ التراب مسّهنّ في وقت واحد. والسبب في اعتبار هذا الوصف أنّ التحابّ بين الأقران أثبت. قيل: أي لذّات بعضهنّ لبعض لا عجوز فيهنّ ولا صبيّة.

٥- قيل: أي إنّهنّ شواب لا عجوز ولا هرمة ولا صبيّة. وقيل: إنّهنّ بنات ثلاث وثلاثين. ٦- قيل: «أتراب» يعني الحور العين يقصر الطرف عنها والنظر من صفآئها. ٧- قيل: الأتراب جمع ترب بمعنى الرفيق الملازم أى هنّ رفيقات معهنّ وملازمات

لأزواجهنّ. ٨ـ قيل: إن «أتراب» كناية عن كونهنّ ذوات غنج ودلال.

أقول: وعلى الثالث أكثر المحقّقين من المفسّرين، من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

٥٣ـ (هذا ماتوعدون ليوم الحساب)

في «ليوم الحساب» قولان: ١ـ قيل: أي لأجل الحساب لأن الحساب علة الوصول إلى جزآء العمل. ٢ـ قيل: اللام للوقت أي ما وعدتم في الدنيا تعطونه في يوم الحساب.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٥٤ـ (إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد)

في قوله تعالى: «ماله من نفاد» قولان: ١ـ عن ابن عباس وقتادة: أي ليس له فنآء ولا انقطاع ولا نهاية كالبحار.. فلا ينقطع ولا ينتهى لأنه على سبيل الدّوام. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً والسدي: أي ليس لشيئ في الجنّة نفاد، فما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حياً، فرزق الجنّة ـ كالبئر والعين ـ كلّما اخذ منه شئ عاد مثله مكانه. ورزق الدنيا له نفاد.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات القرآنية...

٥٥ـ (هذا وإن للطاغين لشرّمآب)

في «هذا» أقوال: ١ـ قيل: أي الأمر هذا. ٢ـ قيل: إشارة إلى المتقين وأحوالهم في جنات عدن. أي هذا شأن وشأن آخر وهو شأن الطاغين. ٣ـ قيل: «هذا» إسم فعل أمر أي خذ هذا. ٤ـ قيل: تنبيه على ما يأتي ذكره، وإشارة إلى ما للطاغين من شر المآب.

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق وعليه أكثر المحققين من المفسّرين.

وفي «للطاغين» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: هم الذين طغوا على الله تعالى وكذّبوا رسله، وتجاوزوا حدود الله وخرجوا عن طاعته. فالطغيان هو الكفر لأنه تعالى يحكي عنهم أنّهم قالوا: «أتخذناهم سخرياً» ص:٦٣) والفاسق لا يتخذ المؤمن هزواً.

وانّ الطاغي إسم ذم والإسم المطلق محمول على الكامل، والكامل في الطغيان هو المشرك والكافر. ٢ـ عن الجبائي: الطاغين هنا هم أصحاب الكبآئر من أهل الايمان وغيرهم لأنّ كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى فقد طغى ومنه قوله تعالى: «إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق: ٦-٧)

٣ـ قيل: الطاغين هم ضدّ المتقين، فيشمل لكل من خالف أهل التقوى في الإعتقاد والعمل من الكافرين والمشركين والفاسقين والمنافقين وأصحاب الكبآئر بل أهل الصغآئر، والذين طغوا في معاصى الله. ٤ـ قيل: هم أبوجهل ومَن انسلك مسلكه من رؤس أهل الكفر والشرك والضلال والنفاق فيشمل الأوّل والثاني وبني امية وكل من انسلك مسالكهم في كل ظرف.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

٥٦ـ (جهنم يصلونها فبئس المهاد)

في قوله تعالى: «فبئس المهاد» أقوال: ١ـ قيل: أي فبئس ما مهّدوا لأنفسهم من نار جهنم وعذابها بكفرهم وطغيانهم وبظلمهم وعصيانهم. ٢ـ قيل: أي فبئس الفراش لهم جهنّم. ومنه مهد الصبى. وإنّما وصف جهنّم بأنها مهاد لما كانت عوضاً لهم عن المهاد، فسمّيت باسمه كما قال تعالى: «فبشّرهم بعذاب أليم» آل عمران: ٢١)

٣ـ قيل: أي فبئس موضع المهاد، على حذف المضاف. والمهاد: الفراش الموطأة تقول: مهّدت له تمهيداً كقولك: وطّأت له توطئة. ومنه مهد الصبيّ لأنّه يوطأ له.

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها.

٥٧ـ (هذا فليذوقوه حميم وغسّاق)

في «هذا» أقوال: ١ـ عن الفرّآء والزجاج: أي هذا حميم وغساق فليذوقوه ٢ـ قيل: أي هذا الجزآء للطاغين فليذوقوه. ٣ـ قيل: أي هذا العذاب. ٤ـ قيل: أي العذاب هذا. ٥ـ قيل: الأمر هذا. ٦ـ قيل: أى هذا العذاب المفهوم مما بعده.

أقول: والأخير هو الانسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى: «حميم وغساق» أقوال: ١- عن ابن عباس وابن مسعود والسدي: الحميم: المآء الحارّ، والغسّاق: المآء البارد الزمهرير. والمعنى: إنّ الطاغين يعذّبون بالشراب الحار الذي أغلى حتّى انتهت حرارته، ويعذّبون بالشراب البارد الذي انتهت برودته، فيبرده يحرق كما يحرق النار. ٢- قيل: الحميم: الهوآء الحارّة والغسّاق الهواء الباردة الزمهريرة التي لاتستطاع من بردها، ولذا قيل: الليل الغاسق لأنّه أبرد من النهار، فالحميم يحرق بحرّه والغسّاق يحرق ببرده والمعنى: الشديد البرودة. ٣- عن كعب الأحبار اليهودي: الغسّاق عين في جهنم يسيل إليها سمّ كل ذات حمة من حيّة وعقرب ونحوهما، فيستنقع فيؤتي بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقدسقط جلده ولحمه عن العظام حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبيه وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه.

٤- عن السدي: غسّاق هو ما يسيل من دموع الطاغين فتجمع في حياض النار فيسقونه مع الحميم. وابن زيد يقال: غسقت العين أي سال دمعها. ٥- عن ابن عمرو قتادة والزجاج: الغساق هو القيح الذي يسيل منهم فيجمع ويسقونه. وقال ابن عمر: الغساق هو القيح الغليظ لوأنّ قطرة منه تهراق في المغرب لانتنت أهل المشرق، ولوتهراق في المشرق لانتنت أهل المغرب. ٦- عن الحسن: هو عذاب لا يعلمه إلّا الله. وذلك انّ الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله تعالى: «فلاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة أعين» السجدة:١٧) وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة. ٧- قيل: إنّ الطاغين يسقون الحميم وما يسيل من صديدهم أي ما يسيل من جلودهم من الصديد والدّم. عن قتادة أيضاً: الغسّاق ما يسيل من بين جلده ولحمه وهو أنتن النتن. وعن أبي سعيد الخدري: أنّ النبّي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «لوأنّ دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

٨- عن مجاهد ومقاتل: الغسّاق هو الثلج البارد الذي قدانتهى برده. ٩- عن قتادة أيضاً: الغساق هو ما يسيل من فروج الزناة ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصّديد

والقيح والنتن. ١٠- عن محمد بن كعب: الغساق هو عصارة أهل النار. ١١- قيل: الغسّاق: الشديد الظلمة مأخوذ من الظلمة والسواد. والغسق أوّل ظلمة الليل، وقدغسق الليل يغسق إذا أظلم. ١٢- قيل: حيم: شديد الحرارة وغسّاق قيح شديد النتن. ١٣- قيل: الغسّاق واد في جهنم فيه ثلاثمأة وثلاثون قصراً وفي كلّ قصر ثلاث مأة بيت، في كل بيت أربعون زاوية، في كل زاوية شجاع في كل شجاع ثلاثمأة وثلاثون عقرباً في جمجمة (حمة خ) كل عقرب ثلاثمأة وثلاثون قلة من سمّ لوأنّ عقرباً منها نفحت سمّها على أهل جهنّم لوسعتهم سمّها.

١٤- عن أبي رزين: الغسّاق ما يسيل من صديدهم. ١٥- عن عطية: ما يسيل من جلودهم. ١٦- عن عبدالله بن بريدة: الغسّاق: المنتن وهو بالطخاوية.

أقول: وعلى الثاني عشر أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخَر.

٥٨- (وآخر من شكله أزواج)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس وابن زيد وقتادة والحسن: أي وآخر من نحو الحميم والغساق ألوان العذاب، فيدخلهم النار الأوّل فالأوّل، فكلّما دخلت امة لعنت اختها التي دخلت قبلها، فيقول الله لأوّل امة دخلت النار: هذا جماعة داخل معكم النار. وعن ابن مسعود والسدي: نحو الحميم والغسّاق هو الزمهرير. ٢- قيل: أي مذوقات أُخر من شكل هذا المذوق ومثله في الفظاعة والشدّة. ٣- قيل: أي مذوق أُخر من جنس هذا المذوق مما لم ير في الدنيا. ٤- قيل: أى وعذاب أُخر من مثل المذكور من الحميم والغساق أصناف أي عذابهم من أنواع مختلفة. ٥- قيل: أي مقترنات. ٦- عن قتادة أيضاً: أى زوج زوج من العذاب. ٦- عن ابن زيد: أى أزواج من العذاب في النار. ٧- قيل: أى وأُخر مثل الذائق أصناف وهم بنو العباس بعد بني اميّة ومَن قبلهم من الأوّل والثاني وأذنابهما ...

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق والتنكير.

٥٩- (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنّهم صالوا النار)

في قوله تعالى: «هذا فوج مقتحم معكم» أقوال: ١- قيل: أى يقول الطاغون

بعضهم مع بعض، وذلك إذا دخلت امّة ثم دخل الآخرون. والفوج الأوّل الرؤسآء المضلة والثاني الأتباع الجهلة الضالّة. وهذا خبر من الله تعالى وحكاية عن قيل الطاغين الذين كانوا قددخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم لامرحباً بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنّه قول واحد كما قيل: «يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون» الأعراف: ١١٠) فاتصل قول فرعون بقول ملائه. وهذا كما قال تعالى مخبراً عن أهل النار: «كلّما دخلت امّة لعنت اختها» الأعراف: ٣٨)

٢ـ قيل: الفوج الأوّل إبليس وأبناؤه، والفوج الثاني الطغاة من بني آدم.

٣ـ عن الحسن: الفوج الأوّل أولاد إبليس والثّاني بنوآدم أي يقال لبني إبليس بأمر الله تعالى: هذا جمع كثيف من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النّار ويلازمونها ويقاسون حرّها وأنتم معهم. ٤ـ قيل: إنّ «هذا فوج مقتحم معكم» كلام الخزنة لرؤسآء الكفرة فيما بين أتباعهم السفلة. ٥ـ عن إبن عباس: ان الآية كلها من كلام الخزنة. على حذف القول أي تقول خزنة النار للطاغين: هذا فوج وهم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الأتباع، فتقول الخزنة للقادة: هذا قطع من الناس وهم الأتباع، مقتحمون معكم في النار دخلوها كما دخلتم.

٦ـ قيل: يقول تعالى: هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيّها الطاغون النار. وذلك دخول امة من الامم الكافرة بعد امّة لامرحباً بهم. ٧ـ قيل: إنّ الفوج الأوّل قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر، والفوج الثاني أتباعهم ببدر. ٨ـ قيل: إنّها عامّة في كل تابع ومتبوع، في كل رئيس ومرؤس، وفي كل قادة ومردة من أهل الكفر والضلالة والبغى والجناية والظلم والخيانة. ٩ـ قيل: أي تقول خزنة النار لبني اميّة وهم في النار: هذا فوج مقتحم معكم وهم بنوالعباس، فيقول بنواميّة: لامرحباً ببني العباس لأنهم صالوا النار كما صلينا ها. ١٠ـ عن قتادة: أي الأتباع لرؤسائهم: هذا فوج... ١١ـ عن ابن عباس أيضاً: أي يقول أوّل الامة لآخر الامة: هذاجمع كثيف داخل معكم النار لاوسع الله عليهم انهم صالوا النار ولازموها، ونحن في

مكان ضيق من النار فكيف يدخلونها. وقال الفرّاء: هي الامّة بعد الامّة تدخل النار.

١٢ـ قيل: خطاب يخاطب بـه المتبوعون يشار به إلى التابعين الذين يدخلون النار مع المتبـوعين فوجـاً. ١٣ـ قـيل: إنّ القادة الطـاغـية يسبقـون إلـى النار، ويتـقـدّمون أتباعهم في الدخـول على النار، فانهـم كانوا قادتهم في الـكفر والضلالة، في البـغى والغواية، وفي الظـلم والجنايـة... فاذا أخذت القادة أمـاكنهم الضيـقة في جهنم يرد عليهم بين حين وحين مَن يصبّ عـليهم اللعنات من أتباعهم الجهلة، فيدخلون عليهم في مكـان قادتهم الضيـق الذي هم فيه لـيأخذوا لهم مكاناً، فـيلقا هم الـذين سبقوهم قائلين: «لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار»

أقول: والرابع والثامن هما الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تـعـالى: «لا مرحبـاً بـهـم» أقوال: ١ـ قيل: هـذا دعآء من القادة المضـلّة على أتـباعهم الضالـة وقوله: «انهم صـالوا النار» تعليل لاسـتيجابهـم اللعن. أي انهم صالوا الـنار كما صلـينا هـا فلا فـرح لنا فـي مشاركتهم إيّـانا. فالمعـني: لا نالـوا رحباً وسعة، انهم لازموا النـار كما لازمنا ها. ٢ـ قيل: إنّما قالوا ذلك ولم يصدر من الأ تباع ذنب في حق من قبلـهم لأنّ النار تكون مملـوّة منهم أو لأنّ عذابهم يضاعف بسببهم. ٣ـ قـيل: هـذا إخبـار لا دعآء أي وقد وردوا مـورداً لا رحـب فيـه ولا سعـة. والمعـنى: لا اتسعت لهم أما كنهم لأنّهم لا زموا النّار أو متّبعوها. فالقادة والرؤسآء المضلّة يقولون للأ تباع: لا مرحـباً بـهؤلآء إنّهم يدخـلون الـنّار مثلنـا فلا فـرح لنا في مشاركتهـم إيّانا، فيقول الأ تباع لهم: «بل أنتم لا مرحباً بكم».

٤ـ قيل: ان قوله: «انـهم صالوا النـار» من قول الملائـكة، متصل بقـولهم: «هذا فوج مقتحـم معكم» ٥ـ قيـل: أي يقول الأ تباع جواباً عن خزنة النار أو لمن يخاطبهم بقوله: «هذا فوج...»: «لا مرحباً بهم» لا سعة على رؤسآئنا في النار لأنهم صالوها، وذلك انّه يقال للأ تباع عند دخولهم النار مع أتباعهم: «هذا فوج» جمع داخل معكم النار بشدّة وصعوبة فيقول الأ تباع... ٦ـ قيل: «لا مرحباً بهم» من قول أهل النار كما قال: «كلمـا دخلت امـة لعنت اختها» ٧ـ قـيل: هم أتباع الرؤسآء في الضـلالة قيل

لهم: «لا مرحباً بهم».

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه الأقوال الأُخر.

٦١ـ (قالوا ربنا مَن قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار)

في قوله تعالى: «قالوا ربنا من قدّم لنا هذا» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي قال الأوّلون والآخرون من الطغاة وأتباعهم من بني آدم: يا ربنا من شرع لنا هذا الدين المختلق وسوّغ لنا هذا المسلك الباطل وسنّه يعنون إبليس فزده عذاباً ضعفاً في النار مما علينا. ٢ـ قيل: هذا قول بني امية وبني العباس وأتباعهم يعنون الأوّل والثاني فطلبوا زيادة العذاب كماً وكيفاً لهما لأنهما كانا مبدأ إنحراف مسير الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ومنشأ الاختلاف بين المسليمن، وسبب إنحطاط المسلمين حتى اليوم. ٣ـ قيل: هذا قول الرؤسآء الفجرة والقادة الطاغية والدعاة الفسقة وهم يعنون إبليس. ٤ـ قيل: أي قال الأوّل والآخر وهم يعنون ابليس وسائر الرؤسآء المتقدمين ٥ـ قيل: هذا قول الأتباع: مَن قدّم لنا هذا العذاب بدعائه إيانا إلى الكفر والمعاصي وإلى البغي والظلم...

أقول: والثاني هو المروي من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر فتأمل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «ضعفاً في النار» أقوال: ١ـ عن ابن مسعود: أي أفاعي وحيات. ٢ـ قيل: أي مضاعفاً ومعناه ذا ضعف وهو أن يزيد على عذابه، ضعفه أي مثل عذابه على كفره فيصير ضعفين كقوله تعالى: «ربّنا آتهم ضعفين من العذاب» عذاباً لضلالهم وعذاباً لإضلالهم إيانا ودعآئهم إيانا إلى ما هو الموجب لهذا العذاب، فصار ذلك ضعفاً. ٣ـ قيل: اريد بالضعف: العذاب الدائم أي عذاباً بعد عذاب من غير مهلة ولا انقطاع.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين.

٦٢ـ (وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد: أي قال هؤلآء الطاغون

الـذين سبق ذكرهم آنـفـاً وهـم أبوجهل والولـيـد بن المغيرة وذو وهـما: ما بالنا لانرى معنا في النار رجـالاً كنّا نعدّهم في الـدنيا من الأشرار وعنوا بـذلك فيما ذكر صهـيباً وخباباً وبلالاً وسـلمان وأباذر والمـقداد وعمّار ياسـر... ويقولون: أين سلمان وأبوذر؟ أين المقداد وعـمار ياسر؟ وأين بـلال وصهيب؟؟؟ كانوا هم في اعتقادنا أشراراً لأنّ دينهم على خلاف ديننا، وانهم من جملة الذين يفعلون الشر والقبيح ولا يفعلون خيراً.

٢ـ قيل: إنّ القآئلين هـم الأتباع السفلة والمرؤسون الجهلة. ٣ـ عن الكلبي: أي قال أهل النار مـن القادة الطغاة وأتباعهم الضالّة: كنّا نعدّهم من الأراذل لا خير فيهم ولا جدوى يعـنون فقرآء الـمسلمـين الذين لا يـؤبه بهـم، وذلك حين يـنظرون في النار فلا يرون مَـن كان يخالـفهم فـيها معـهم وهم الـمؤمنون. ٤ـ قـيل: أي يقول أعدآء آل مـحمد صلى الله عليه وآله وسلّم من أهل الـخلاف من رؤسآئهم الطاغيـة وقادتهم الظلمة ودعاتهم الفجرة وأتباعهم السفلة في كل ظرف إلى يوم القيامة ـ وهم في نار جهنم ـ: مـا بالنا لا نرى معـنـا في النار رجالاً كنّـا نعدّهم من الأشرار في الـدنيا، وقد كانوا هم يسمّون بشيعة أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السّلام ورافضة وإماميّة.

أقول: والأخـير هو الـمروى عن أهل بيـت الوحى المعصـومين صلوات الله عـليهم أجمعين.

٦٣ـ (أتخذنا هم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار)

في الآية الكريـمة أقوال: ١ـ عن مجـاهد والضحاك : أي أتخـذنا هم سخريـاً في الدنيـا فأخطأنا أم زاغـت عنهـم أبصارنا فلـم تعلـم مكانهـم ولا ندري أين هم؟ ٢ـ عن الحسن: كل ذلك قدفعلوا فانهم اتخذوهـم سخرياً وزاغت عنهـم أبصارهم في الدنيا محقرة لهم. ٣ـ عن قتادة: أي انهم يقولون لما لم يروهم في النار: أتخذنا هم هزؤاً في الدنيا فأخطأنا كأنّهم ليسوا فيـها أم عدلت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم مـعنا في النار فلا نراهم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين.

٦٤ـ (إنّ ذلك تخاصم أهل النار)

في قوله تعالى: «تخاصم أهل النار» أقوال: ١ـ قيل: أي تخاصم القادة الفجرة والأتباع الجهلة. وذلك انّ قول القادة للأتباع: «لا مرحباً بهم» وقول الأتباع للقادة: «لا مرحباً بكم» من باب الخصومة. ٢ـ قيل: أي مجادلة أهل النار بعضهم لبعض. ٣ـ قيل: أي هذا التساؤل من أهل النار عن الأخيار وتلاعن الأشرار واقع لا محالة. فيتخاصمون بينهم في المؤمنين الأبرار فيما كانوا يقولون في الدنيا، فشبّه ما يجري بينهم من التقاول بما يجري بين المتخاصمين فسمّاه تخاصماً.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٦٧ـ (قل هو نبؤا عظيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أي هذا القرآن الذي أنبأتكم به هو خبر جليل. ٢ـ قيل: أي هذا الذي أنبأتكم به من أنّ الله تعالى واحد لا شريك له وأنّي رسول منذر، ومن أمر القيامة نبأ عظيم الفائدة لكم فهو ينقذكم مما أنتم فيه من الكفر والضلال... لأن هذه المطالب كانت مذكورة في أوّل السورة ولأجلها سيق الكلام منجراً إلى ههنا. ٣ـ قيل: أي أمر الولاية والإمامة لأهل بيت النّبوة خبر عظيم اشير إليه في تخاصم أهل النار وفي قولهم: «مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار...».

٤ـ عن الحسن: أي خبر الحشر والقيامة خبر عظيم. والمعني: ما أُنذركم به من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة خبر عظيم القدر فلا ينبغي أن يستخفّ به. ٥ـ عن الزجاج: أي ما أنبأتكم به عن الله تعالى من قصص الأوّلين نبأ عظيم. ٦ـ قيل: أي القول بأنّ الله تعالى واحد، نبأ عظيم. فالضمير: «هو» راجع إلى ما ذكر من حديث الوحدانية في قوله تعالى: «وما من إله إلّا الله» ٧ـ قيل: أي القول بالنبوة التي تعدّونها كذباً وتعرضون عنها خبر عظيم. وقيل: إنّ معنى الآية: قل يا محمد لقومك الذين يكذّبونك فيما جئتهم به من عندالله من هذا القرآن، قائلين لك فيه: «إن هذا إلّا اختلاق» ص:٧) هو نبأ عظيم.

٨ـ قيل: أي ما أُنبئكم من بعد هذا من نباءِ آدم والملائكة وإبليس خبر عظيم. ٩ـ

قيل: أي ماحدثتهم به الآيتان السابقتان: (٦٥-٦٦) عن الله تعالى وعما يليق به من صفات الفردية والقهر والجلال والعزّة والمغفرة، فهذا نبأ عظيم يطلع على الناس بالهدى ويقيمهم على طريق الحق والهدى والخير والفلاح لواستقاموا عليه.

أقول: والثالث هو المروي عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من غير تناف بين القولين من حيث التفسير والتأويل لأنّ أهل بيت الوحى عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته هم القرآن الناطق.

٦٨ـ (أنتم عنه معرضون)

في الخطاب: «أنتم» أقوال: ١ـ قيل: خطاب لمشركي مكّة ومكذّبى الوحى والرسالة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. ٢ـ قيل: خطاب لطائفة من المسلمين الذين أعرضوا عن ولاية أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السّلام ٣ـ قيل: خطاب للطائفتين عن المسلمين الذين أعرض طائفة منهم عن القرآن الصامت وطائفة منهم أعرضوا عن القرآن الناطق.

أقول: والثالث هو المؤيد بالآيات الكريمة والروايات الواردة عن أهل بيت الوحى عليهم السّلام.

٦٩ـ (ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون)

في قوله: «بالملإ الأعلى» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وقتادة والسدي: هم جماعة الملائكة حين شوورا في خلق آدم عليه السّلام فاختصموا فيه. ومعنى الآية الكريمة: لو لم أكن رسولاً من الله تعالى إليكم لما كان لي من علم بالملائكة إذ يتكلّمون حين قالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها...» فكانت خصومتهم في شأن آدم عليه السّلام حين قال ربك للملائكة: إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها... وقدكانت في صورة المخاصمة والمناظرة وإلّا فالله جلّ وعلا لا يخاصم. فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى.

فاتصال الآية الكريمة بما قبلها وما بعدها: فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلّم قال: هذا النبأ العظيم الذي حدثتكم به ما كان من عندي، وإنّما هو من عندالله تعالى ولكنّكم لاتصدقون أنّي رسول الله وأنّي أتلقّى ما يوحى به إلى من آياته وكلماته... أنتم لاتصدّقون هذا وتستكثرون فضل الله عليّ وعلى أهل بيتي، أو تستكثرون أن يتصل الله سبحانه ببشر..

فاذا كان هذا ظنكم بربكم وهذا رأيكم في، فما قولكم في هذه الأخبار السماوية، وتلك الأحداث التي وقعت في العالم العلوي غير المنظور أو المسموع؟ ما قولكم في هذه الأخبار الّتي تحدّثكم بها آيات الله وكلماته؟ أ هي من عندي أيضاً؟ إنه «ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون» فأنا معكم على هذه الأرض، وهل كان لمن كان من عالم الأرض أن يتصل بالعالم العلوي، ويعلم ما يدور هناك إلّا إذا كان موصولاً بهذا العالم، مدعوّاً إليه من ربه.

٢ـ قيل: الملأ الأعلى هم أصحاب القصّة التي تذكر بعد ذلك، وهم الملائكة وآدم وإبليس لأنّهم كانوا في السمآء وكان التقاول بينهم. والمعنى: لولا الوحى السماوي فمن أين يأتيني العلم بقصّة خلق آدم وسجدة الملائكة وامتناع إبليس عن السجدة وذلك لا يتصوّر إلّا بتأييد إلهي، فقد قامت المعجزة على صدقه، فان الإطلاع على كلام الملائكة وتقاولهم لا يحصل إلّا بالوحى. ٣ـ عن ابن عباس أيضاً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: قال لي ربّي «أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا قال: إختصموا في الكفّارات والدرجات، فأما الكفّارات فاسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة، وأما الدرجات فافشآء السلام وإطعام الطعام والصّلاة بالليل والناس نيام» السبرات جمع السبرة: الغداة الباردة.

٤ـ قيل: هم الملائكة، ولكن الضمير في «يختصمون» راجع إلى فرقتين من المشركين: فرقة منهم قالوا: إنّ الملائكة بنات الله. وطائفة منهم قالوا: آلهة تعبد. ٥ـ قيل: الملأ الأعلى هيهنا قريش يعني إختصامهم فيما بينهم سرّاً فاطلع الله تعالى نبيّه على ذلك. ٦ـ قيل: هم الملائكة الذين كانوا يتقاولون فيما بينهم بالوحى. ٧ـ قيل:

إنّ الملأ الأعلى كناية عن الله تعالى وملائكته، إذ يتجادلون ويتماورون. والمعنى: لم يكن لي علم بما في الملإ الأعلى وما يكون بين يدى الله تعالى من جدل ومحاورات وخصومات ... قيل: كان إختصام الملائكة فيما كان طريقه الإجتهاد. وقيل: بل طريقه إستخراج الفائدة ولا يجوز أن يختصموا في دفع الحق.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٧٠ـ (إن يوحى إليّ إلّا أنّما أنا نذير مبين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا إذ لولا أنّ الله تعالى أخبرني به لم أكن أعلم ذلك ولم يمكنني إخباركم لأنّ علمي ليس من قبل نفسي وإنما هو بالوحى وما يوحى إليّ إلّا ما يتعلق بالإنذار البيّن الواضح، فانذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه بلغة تعلمونها. فالآية الكريمة تأكيد لقوله تعالى: «إنّما أنا منذر» ص:٦٥) وبمنزلة التعليل لقوله تعالى: «ما كان لي من علم بالملإ الأعلى»

٢ـ قيل: أي ما يوحى إليّ إلّا لأنّي نذير مبين، مخوّف من المعاصي، مظهر للحق لا لأن أكون جبّاراً ولا مُسَيْطراً. ٣ـ قيل: أي ما يوحى إليّ إلّا هذا وهو انّي نذير كامل في باب التبليغ ولا افرّط في ذلك. ٤ـ قيل: أي ما اوحى إليّ إلّا لأن انذر ولا اقصر. ٥ـ قيل: أي ما يوحى إليّ إلّا هذا القول وهو أن أقول لكم: إنّما أنا نذير مبين.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمل جيّداً ولا تغفل.

٧١ـ (إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين)

في قوله تعالى: «بشراً» أقوال: ١ـ قيل: سمّى البشر بشراً لكونه جسماً كثيفاً يلاقي ويباشر بخلاف الملائكة والجن. ٢ـ قيل: لكونه خلقاً بادى البشرة بلا صوف ولا شعر كالحيوان... فالبشر مأخوذ من البشرة وهي الجلدة الظاهرة. ٣ـ قيل: لظهور السرور والحزن على بشرته فالاسم: «بشر» كاشف على حاله.

أقول: ولكلٍ وجهٌ بدون تناف بينها.

۷۲ـ (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

في قوله تعالى: «فاذا سوّيته» أقوال: ١ـ قيل: أي فاذا صوّرته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية. ٢ـ قيل: أي فإذا سوّيت أجزآء بدنه بتعديل طبآئعه... ٣ـ قيل: أي فاذا مهّدت لإدامة حياته أسباباً ليعيش بها زمناً في الدنيا. ٤ـ قيل: أي فاذا تولّيت خلق آدم من دون سبب كالولادة التي تؤدّي إليها لأنّ الله تعالى شرّف آدم بهذه الحالة وكرّمه. ٥ـ قيل: أي فاذا جمعت خلقه وأتممته. ٦ـ قيل: أي فاذا سوّيت خلق هذا البشر وتمّمت أعضآئه وصورته، لأنّ تسوية الإنسان هي تعديل أعضآئه بتركيب بعضها على بعض، وتتميمها صورة إنسان تام.

٧ـ قيل: أي فاذا جعلت ذاته مستعداً لقبول الحق والباطل، لقبول الخير والشرّ، لقبول الايمان والكفر، ولقبول الهدى والضّلالة... على حدّ سوآء: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشمس:٧-٨) فهو على نقطة بين الخطّين المتعاكسين، مختار على انتخاب أحدهما، فاذا اختار طريق الحق والهدى فيفوق على الملائكة، وإذا سلك سبيل الباطل والضلال فينحط عن إبليس.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه الثاني والسابع فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «ونفخت فيه من روحي» أقوال: ١ـ عن الضحّاك : أي ونفخت فيه من قدرتي. ٢ـ قيل: أي فاذا كمّلت إستعداده أفضت عليه ما يحيي به من الروح التي هي من أمري: «يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً» الاسراء: ٨٥) فليس ثمّة نفخ ولا منفوخ بل هو تمثيل لإضافة ما به الحياة بالفعل على المادّة القابلة لها. ٣ـ قيل: أي ونفخت فيه من روحى التى خلقتها ولو بواسطة الملك. ٤ـ قيل: أي جعلت الروح فيه فأحييت بها وإضافة الروح إلى نفسه لشرفه و طهارته. ٥ـ قيل: أي أجريت فيه من روحي فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والإضافة للملك أي من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري، وإن كان جميع الأرواح من خلقه وهذا كقوله تعالى : «وطهّر بيتي للطائفين» الحج: ٢٦)

قيل: الروح جسم لطيف يحيي به الإنسان بنفوذه فيه. وقيل: جوهر شريف قدسيّ. ٦ـ قيل: أى فاذا سوّيت كالبده ونفخت فيه من خلقي لا يعلمه إلّا هو. ٧ـ قيل: أى ونفخت فيه من رحمتي. ٨ـ قيل: أى وتولّيت فعله من غير سبب ولا واسطة كالولادة المؤدّية إلى ذلك، فانّ الله شرّف آدم وكرّمه بهذه الحالة. ٩ـ قيل: أى جعلته ذات نفس حيّة إنسانية، وإضافة الروح إليه تشريفية.

أقول: والخامس هو المروى وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٧٣ـ (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)

في كيفية سجود الملائكة لآدم أقوال: ١ـ قيل: كأنّ هذا أمر للملائكة بوضع الجباه على الأرض كالسجود المعتاد في الصّلاة لأنّه الظاهر من السجود شرعاً وعرفاً.

فالمعنى: إنّ الملائكة تمثّلوا لآدم بشراً سوياً كما تمثل جبرئيل عليه السّلام لمريم عليه السّلام لقوله تعالى: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً» مريم: ١٧) وكان جبرئيل عليه السلام يتمثل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بصورة دحية الكلبي وكانت الملائكة يتمثّلون بصورة الإنسان لبعض الأنبيآء عليهم السّلام فمنهم إبراهيم عليه السّلام لقوله تعالى: «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون. قال فما خطبكم أيها المرسلون» الذاريات: ٢٤ـ٣١) ومنهم داود عليه السلام لقوله تعالى: «وهل أتاك نبؤا الخصم. فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب» ص: ٢١ـ ٢٣) وغيرهم من الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فتمثّلوا فسجدوا لآدم إمتثالاً لأمر الله تعالى كما نسجد على التربة المطهّرة المقدسة الحسينيّة عبادة لله تعالى وحده، ونسجد الكعبة والمصحف الشريف، فلو كانت السجدة على التربة الحسينية شركاً على ما زعمته العامة وخاصّة الوهّابيّون عملآء أعداء الاسلام، وأُجراء الأجانب... لكانت الملائكة أوّل المشركين بأمر الله سبحانه.

٢ـ قيل: كان آدم عليه السّلام كالقبلة للملائكة ومعنى لآدم أي إلى آدم كما يقال: صلّى للقبلة أي إلى القبلة. ٣ـ قيل: لم يكن السجود لآدم وضع الجبهة على

الأرض بل بمعنى التذلل والإنقياد أي اخضعوا لآدم وأقرّوا له بالفضل، فمعنى سجدوا: امتثلوا ما أُمروا به من التذلل والخضوع لديه.

٤ـ قيل: أي سجدوا له سجود تحية بالإنحنآء.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين من المفسرين وهو الأنسب بظاهر السياق.

٧٥ـ (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ أستكبرت أم كنت من العالين)

في قوله تعالى: «لما خلقت بيدىّ» أقوال: ١ـ عن أبي مسلم: إنّ اليد هنا عبارة عن القدرة. يقال: مالى بهذا الأمر يد أي قوّة وطاقة. فذكر اليدين لبيان أنّ في خلقه كمال القدرة. وقال تعالى: «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» البقرة: ٢٣٧) أي القوّة والقدرة وإنّ العرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوّة فقد تطلق لفظ اليدين عليهما وتثنية اليد لمجرّد التأكيد كقوله تعالى: «فارجع البصر كرّتين» الملك: ٣) ٢ـ قيل: إنّ اليد هنا هي النعمة والعناية الخاصّة لأنّ اليد كثيراً ما تطلق على النعمة والعناية الخاصة والمعنى: ما منعك أن تسجد لما خلقته بعنايتي ونعمتي. ٣ـ قيل: وفي الجملة نوع منّة على إبليس وإلّا فما سوى الله تعالى من الكون وما فيه خلق بقدرة الله تعالى وقوّته كأنّه قال: بنعمتي عليك وإحساني إليك قوّيت على الإستكبار والعصيان؟! قيل: إنّ الله تعالى خلق آدم فقال: «خلقت بيدى» لكيلا يتكبّر ابليس عنه فكأنّه قال: أتتكبّر عما عملت بيدى ولم أتكبّر أنا عنه. ٤ـ عن مجاهد والجبائي: أي تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة كأب وأمّ وإنّ ذكر اليد هنا للتأكيد، وليدلّ على عدم الواسطة كما في قوله تعالى: «مما عملت أيدينا» يس: ٧١) وتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه كقوله تعالى: «ويبقى وجه ربّك» الرحمن: ٢٧) أي ربّك. وهذا تشريف لآدم عليه السّلام فانّ كلّ مخلوق تولى الله تعالى خلقه كقوله تعالى: «ونفخت فيه من روحي» وتثنية اليد كناية عن الاهتمام التام بخلقه وصنعه، فانّ الإنسان إنّما يستعمل اليدين فيما يهتمّ به العمل. وقديقال في حق مَن جنى بلسانه وإن لم يكن له يد: هذا مما كسبت يداك. والحق فيه أنّ السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيئ بيديه إلّا إذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله

مجازاً عنها، وأنّ الانسان لما كان يباشر أكثر أعماله بيده غلّب العمل باليدين على سائر الأعمال التي بغيرهما حتّى قالوا في عمل القلب: هذا مما عملت يداك وقالوا لمن لايدى له: يداك .

وقيل: في تثنية اليد إشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل.

٥ـ قيل: إنّ اليدين هنا إشارة إلى صفتى اللطف والقهر وهما يشملان جميع الصفات، فلامخلوق إلّا وهو مظهر لإحدى الصفتين كالملك فانّه مظهر اللطف وكالشيطان فانه مظهر القهر إلّا الانسان فانّه مظهر لكلتيهما وبذلك استحق الخلافة ومسجودية الملائكة، ولهذا جآء في الأحاديث القدسيّة: «لاأجعل ذرية من خلقت بيدىّ كمن قلت له: كن فكان». ٦ـ قيل: ان التشبيه باليد في خلق الله تعالى دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقدرة والقوّة وإنما هما صفتان من صفات ذاته وهما صفتا الجلال والجمال. ٧ـ قيل: إنّ الله تعالى لما ركّب في فطرة آدم من كل إسم من أسمآئه لطيفة وهيّأه بتلك اللطائف للتحقّق بكلّ الأسماء الجمالية والجلالية: «وعلّم آدم الأسمآء كلها» البقرة: ٣١) عبّر عنهما باليدين هنا فان كل ماسواه مخلوق بيد واحدة لأنه إما مظهر صفة الجمال كملائكة الرحمة أو الجلال كملائكة العذاب والشيطان.

٨ـ قيل: اليدان هما من أسمآء الله تعالى المتقابلة كالفاعلة والقابلة سوآء كان التقابل بين الصفات مطلقاً باعتبار الفاعلية والقابلية أو كان بين الصفات الفعلية باعتبار الجلال والجمال. ٩ـ قيل: اريد باليدين: نعم الدنيا ونعم الآخرة ١٠ـ قيل: اريد باليدين: النعم الظاهرة والنعم الباطنة. ١١ـ قيل: اريد باليدين: نعم الدين ونعم الدنيا. ١٢ـ قيل: اريد باليدين مبدئا الجسم والروح بأنّ لآدم روحاً وجسماً أحدهما من عالم الأمر والآخر من عالم الخلق وأنّ أحدهما من عالم اللاهوت والآخر من عالم الناسوت. ١٣ـ قيل: اريد باليدين مبدئا الصورة والمعنى. ١٤ـ قيل: إنّ اليد إشارة إلى أنّه مصدر لأفعال ملكيّة، ومنشأ لأفعال بهيمية، والثانية كأنّها أثر الشمال، وكلتا يديه تعالى يمين.

أقول: إنّ الأوّل والثاني هما المروّيان عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «أستكبرت أم كنت من العالين» أقوال: ١ـ قيل: أي أطلبت الكبر من غير استحقاق؟ أم كنت ممّن علوت وفقت؟ فأجاب بأنّه كان من العالين إذ قال: «أنا خير منه» فكنت من قبل ذا علوّ وتكبّر على الربّ. ٢ـ قيل: أي أستكبرت الآن ـ حين أمرتك بالسجود لآدم ـ عن السجود، فتركته له إستكباراً عليه ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك كقوله تعالى: «وإنّ فرعون لعالٍ في الأرض» يونس: ٨٣) أو لم تزل منذ كنت من المستكبرين على ربك. ٣ـ قيل: أي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظّمت عن امتثال أمري؟ أم كنت من الذين تعلو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه.

٤ـ قيل: أي أستكبرت عن السجود أم كنت ترى نفسك من زمرة العالين الذين هم فوق الملائكة من الأرواح الذين هم غير الملائكة وما كانوا هم مأمورين بالسجود لآدم، فالعالون قوم من خلقه تعالى مستغرقون فى التوجه إلى ربّهم لا يشعرون بغيره.

٥ـ قيل: أرفعت نفسك فوق قدرها أم كنت ترى نفسك من الذين علت أقدارهم عن السجود لآدم وهم هؤلآء الأنوار الخمسة الطيّبة المكتوب أسمآؤهم في سرادق العرش وهم: «محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين» لأنّ الملائكة كلهم سجدوا لآدم لأجل هؤلآء الخمسة فكيف يسجدون هم لآدم عليه السلام.

٦ـ قيل: أتعظّمت بنفسك عن السجود لآدم؟ أم كنت ترى نفسك من زمرة العالين الذين لم يكونوا مأمورين بالسجود لآدم فكنت من المستحقين للترفع عن طاعة الله المتعالين عن ذلك. ٧ـ قيل: أي أستكبرت عن السجود لآدم عليه السّلام أم كنت من المخالفين لأمري. ٨ـ قيل: إنّ المراد بالعالين هم ملائكة السمآء وإنّ المأمورين بالسجود هم ملائكة الأرض.

أقول: والخامس هو المروىّ عن أهل بيت الوحى المعصومين عليهم أفضل

صلوات الله وأكمل تحياته.

٧٦ـ (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: إنّ إبليس أجاب ـ مقرّاً ـ بأنّه كان من المستكبرين حيث قال: «أنا خير منه» ٢ـ قيل: إنّ قوله: «خلقتني من نار وخلقته من طين» يدل على أنّه اعترف بأنه كان من العالين، إذ قدّم ذكر خلق نفسه على ذكر خلق آدم عليه السّلام وانّ هذا التقديم يدل على تعظّمه وترفّعه وتفوّقه.

٣ـ قيل: كأنّ إبليس قال: ما فعلت ذلك إستكباراً عليك ولا لأنّي كنت من العالين، بل فعلته من أجل أنّي أشرف منه لأنّي مخلوق من نار وهو مخلوق من طين، والنار خير من الطين، وفيه تلويح أن الأمر الإلهي إنّما يطاع إذا كان حقاً لا لذاته، وليس أمره بالسجود له حقاً، ويؤل إلى إنكار إطلاق ملكه تعالى وحكمته، وهو الأصل الذي ينتهي إليه كل معصية، فان المعصية إنما تقع بالخروج عن حكم عبوديته تعالى ومملوكيته، وبالإعراض عن كون تركها أولى من فعلها واقترافها.

وهذا تقريع من الله تعالى للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم وأبوا الإنقياد له واتباع ما جآءهم به من عندالله إستكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا: «أأنزل عليه الذكر من بيننا» «وهل هذا إلّا بشر مثلكم» فقصّ تعالى على المشركين قصّة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنّه خير منه من أجل أنه خلق من نار وخلق آدم من طين حتّى صار شيطاناً رجيماً، وحقت عليه من الله لعنته، محذرهم بذلك أن يستحقّوا باستكبارهم على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عندالله حسداً وتعظّماً من اللعن منه والسخط ما استحقه إبليس بتكبّره عن السجود لآدم عليه السّلام.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحققين من المفسّرين وإن كان لكلٍ وجهٌ والمآل واحداً فتدبّر جيداً ولا تغفل.

٧٧ـ (قال فاخرج منها فانك رجيم)

في قوله تعالى: «فاخرج منها» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي فاخرج من صورة

الملائكة. ٢ـ قيل: أي فاخرج من زمرة الملائكة. ٣ـ قيل: أي فاخرج من الجنّة. ٤ـ عن الحسن: أي فاخرج من السمآء. وقيل: من السموات. ٥ـ قيل: أي فاخرج من الخلقة التي افتخرت بها على آدم عليه السّلام فانسلخ منها، فغيّر الله تعالى خلقه، فاسودّ بعد ما كان أبيض، وقبح بعد أن كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً كما أنَ بني إسرائيل صاروا قردة خاسئين بعد ما كانوا إنساناً. ٦ـ قيل: أي فاخرج من الأرض. ٧ـ قيل: أي فاخرج من الملإ الأعلى.

أقول: والأخير هو المؤيّد بظاهر السياق، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «رجيم» أقوال: ١ـ عن قتادة والضحاك : أي لعين. ٢ـ قيل: أي مرجوم بالقول، مشتوم ملعون. ٣ـ قيل: أي مطرود من الخير، مُبعَدٌ عن الرحمة. ٤ـ قيل: أي مرجوم بالكواكب والشهب إن رجعت إليها بمثل الشهب التي ترجم به الشياطين. وأصل الرجيم: المرجوم وهو المرميّ بالحجر. ٥ـ قيل: أي مطرود من العالم العلوي يهوى إلى الأرض، وشهب من الأرض تصعد إلى السمآء وتتألق بين كواكبها ونجومها... ٦ـ قيل: أي يائس من رحمة الله تعالى.

أقول: والثالث هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

٨١ـ (إلى يوم الوقت المعلوم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس: هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الاولى حين يموت الخلائق كلهم فيشمل الموت اللعين أيضاً، وبين النفختين أربعمأة سنة أو أربعون سنة فيموت إبليس أربعين سنة ما بينهما. ٢ـ عن الحسن وأبي مسلم والجبائي: هو يوم القيامة بأنّ الله تعالى أنظره في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة. ٣ـ عن البلخي: هو الوقت الذي قدّر الله تعالى أجله فيه وهو معلوم لله عزوجل غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبيّن لأنّ في بيانه إغرآءً بالمعصية، فالوقت المعلوم هو الذي استأثر الله تعالى بعلمه ويجهله إبليس، فيموت إبليس ثم يبعث لقوله تعالى:

«كل من عليها فان» الرحمن: ٢٦) وذلك حين لايبقى على الأرض من بني آدم ديّار.
٤ـ قيل: هو زمن قيام المهدى الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيضرب يومئذ عنق ابليس وذلك اليوم الوقت المعلوم.

أقول: إنّ الأوّل والرابع مروّيان من غير تناف بينهما فتأمل جيداً ولا تغفل.

وفي إجابة دعآء إبليس أقوال: ١ـ عن الجبائي: انّه لايجوز لأنّ في إجابة دعآء الكافر تعظيماً له. ٢ـ عن إبن الأخشيد: انه يجوز لأنّ الإجابة كالنعمة في احتمالها أن يكون ثواباً وتعظيماً وأن يكون استصلاحاً ولفظاً ٣ـ قيل: كانت إجابة دعآئه جزآء عمله من العبادة قبل معصيته.

أقول: والأخير هو المروىّ.

٨٤ـ (قال فالحق والحق أقول)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي قال الله لابليس: فالحق يقول: أنا الحق، والحق يقول: و بالحق أقول. ٢ـعن مجاهد: أي فأنا الحق وأقول الحق. ٣ـقيل: أي فالحق قسمي أو يميني. والمراد بالحق إسمه جلّ وعلا الذي في قوله تعالى: «أنّ الله هو الحق المبين» النور: ٢٥)

٤ـ قيل: أي أُحِقُّ الحق أي أفعله. والمراد من الحق هو نقيض الباطل، فعظّمه الله تعالى باقسامه به. ٥ـ قيل: أي قال الله تعالى: إنك تفعل ذلك والحق أقول. ٦ـ قيل: أي فأُحقّ الحق وأقوله. ٧ـ قيل: أي لا أقول إلّا الحق وأقول الحق. فالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

أقول: وقدسبق منّا وجوه في البحث النحوي فراجع.

٨٦ـ (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين)

في قوله: ما أسئلكم عليه من أجر» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي لا أسئلكم على التوحيد والقرآن من جُعل ورزق. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً: أي ما أسئلكم على ما أدعوكم إليه من متاع الدّنيا وحطامها. ٣ـ قيل: أي ما أسئلكم على القرآن من أُجر تعطونيه. ٤ـ قيل: أي ما أسئلكم على تبليغ الرسالة. ٥ـ قيل: هو راجع إلى قوله

تعالى: «أأنزل عليه الذكر من بيننا» ص:٨) أيّ ما أسئلكم على هذا الذكر أجراً. ٦ـ قيل: أي على تبليغ الوحى والقرآن والدعآء إلى الله تعالى من مال تعطونيه. ٧ـ قيل: أي على هذا النبأ.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

وفي قوله: «وما أنا من المتكلّفين» أقوال: ١ـ عن ابن عباس أي من المختلقين لهذا القرآن من تلقآء نفسي، ولا من الّذين يتصنّعون ويتحلّون بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالي فأنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن فلست من المتقوّلين القرآن من تلقآء نفسي. ٢ـ قيل: أي لا ابلغ إلّا ما امرت به من دون زيادة ونقص. ٣ـ عن ابن زيد: أي لا أتكلّف ولا أتخرّص ما لم أومر به، فما أنا ممّن يتكلّف تخرّصه وافترائه، فتقولون: إن هذا إلّا إفك افتراه وإن هذا إلّا اختلاق.

٤ـ قيل: أي إنّي ما أتيتكم رسولاً من قبل نفسي ولم أتكلّف هذا الإيتان بل امرت به. ٥ـ قيل: أي لست ممّن يتعسّف في طب الأمر الّذي لا يقتضيه العقل ٦ـ قيل: أي من المدّعين معرفة ما ليس عندهم. ٧ـ قيل: المتكلّف الفضولي الّذي يحمل نفسه مهمّة لم يحمّلها.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تنافٍ بينها.

٨٧ـ (إن هو إلّا ذكر للعالمين)

في قوله تعالى: «إن هو إلّا ذكر» أقوال: ١ـ قيل: أي ما هذا القرآن الأموعظة للخلق أجمعين. ٢ـ قيل: أي ليس هذا القرآن إلّا شرفاً لكل ذي قلب سليم وطبع مستقيم، يشهد بصحّته وبُعده عن البطلان والفساد. ٣ـ قيل: أي ما هذا القرآن إلاّ ذكر للعالمين يهدى إلى ما هوأسلم وأقوم يتجه بالحياة إلى ما هوأنفع وأكمل. ٤ـ قيل: أي ما هذا القرآن إلاّ تذكير من الله تعالى للعالمين ذكرهم ربهم إرادة استنقاذهم من آمن به منهم من الهلكة. ٥ـ قيل: أي ليست هذه الرسالة المحمدية إلاّ ذكراً للعالمين. ٦ـ قيل: أي ليس كل واحد من الوحى و رسول الوحى ونبى الوحى إلاّ ذكراً للعالمين.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق وعليه أكثر المفسرين وفي معناه بعض

الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «للعالمين» أقوال: ١ـ قيل: أي عالم الجن وعالم الإنس على اختلاف جماعاتهم وشعوبهم واممهم وقبآئلهم وأزمانهم وألوانهم وألسنتهم... ٢ـ قيل: أي عالم الجن والإنس وذوي العقول غير الملائكة. ٣ـ قيل: هم والملائكة جميعاً. ٤ـ قيل: أي عالم الأرض وعالم السمآء، ولكل واحد منهما عوالم كالسموات السبع والأرضين السبع...

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين من المفسّرين.

٨٨ـ (ولتعلمن نبأه بعد حين)

في قوله تعالى: «ولتعلمنّ نبأه» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي لتعلمنّ أيّها المشركون خبر صدق القرآن وما فيه من الوعد والوعيد. فالخطاب لمشركي مكة.

٢ـ قيل: خطاب للامّة المسلمة أي والله لتعلمنّ أيّها المسلمون خبر صدق هذا القرآن ٣ـ قيل: خطاب للمكذبين بالقرآن من مشركي مكة وغيرهم في كل ظرف. أي سيتبيّن لكم عمّا قليل أيّها المكذّبون بالقرآن أنّه الحق الذي لا ريب فيه، وهذا في عهد الحضارة والروح العلمية الحديثة. ٤ـ قيل: خطاب للعالمين أي لتعلمنّ يا أهل العالم نبأ هذا الذكر أنّه من رب العالمين لكونه ذكراً للعالمين.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السياق.

وفي قوله تعالى: «بعد حين» أقوال: ١ـ عن ابن عباس أي علم المؤمنون خبر صدق القرآن بعد ايمانهم به. ٢ـ عن ابن عباس أيضاً ومجاهد وابن زيد وقتادة وعكرمة والزجاج: أي علم الكفار أنّ ما قال الله تعالى في القرآن هو الحق، ويعلمون صدق الحديث الذي كذّبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة، فانّ لكل نباءٍ مستقرّاً وهو الآخرة، يستقر فيها الحق، ويبطل فيها الباطل. ٣ـ قيل: أي حين البعث والنشور. ٤ـ عن الحسن: أي حين الموت، فيأتي الانسان الخبر اليقين أي خبر حقيقة القرآن وما أدعو إليه بعد حين أي عند الموت لأنّ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. فيأتي بني آدم الخبر اليقين مما كان يشكّ فيه لدى الموت. والمعنى: إنكم إن

أصررتم على ما أنتم عليه من الجهل وأبيتم إلّا تقليد الآبآء والأجداد فستعلمون حين الموت إن كنتم مصيبين في إعراضكم او مخطئين. ٥ـ عن السدي: أي يأتي خبر القرآن بعضهم قبل الموت وبعضهم عند الموت وبعضهم بعد الموت قبل البعث، وبعضهم يوم القيامة. ٦ـ عن السدي: أيضاً: ذلك يوم بدر. ٧ـ قيل: إنّ نبأ القرآن مختلف لايختصّ بيوم من الأيّام، حتّى يكون هو المراد، بل المراد به المطلق، فلكل من أقسام نبائه حينه. وعن عكرمة أيضاً: هو كقوله تعالى: «تؤتي اكلها كل حين باذن ربها» ابراهيم: ٢٥) وذلك حين تصرم النخلة إلى حين تطلع ستّة أشهر.

٨ـ قيل: أي بعد ظهور أمر الدين وفشو الاسلام. ٩ـ قيل: أي بعد ظهور العلوم التي تضمنها ولم تكن معروفة من قبل. ١٠ـ قيل: أي يساق أهل الجنّة للجنّة، وأهل النار للنار. ١١ـ عن الفرّآء: أي ولتعلمنّ خبر القرآن وأنّه حق أو خبر محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه صادق بعد حين أي بعد الموت وقبله بأن تظهر لكم حقيقة ما أقول بعد حين أي في المستأنف إذا أخذتكم سيوف المسلمين. ١٢ـ قيل: أي حين ظهور الاسلام على الدين كله وهو يوم ظهور المهدي الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشريف يوم ملئت الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

١٣ـ عن الكلبي: أي من عاش علم ذلك إذا ظهر أمره وعلادينه، ومن مات علمه بعد الموت. ١٤ـ قيل: إنّ هذا تهديد للمشركين و وعيد لهم بما يلقون من عذاب شديد، يوم يكشف لهم الغطآء عما حجبه العناد والضلال عنهم، وهم يومئذ يرون أنّهم كانوا في عمىً وضلال، وأنّ ما فاتهم لا يمكن تداركه: «يوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» الفرقان: ٢٧) «يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً» النبأ: ٤٠))

أقول: والثاني عشر هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته بعدد ما أحاط به علم الله جل وعلا، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً واغتنم جداً ولا تغفل أنّ الله عزّوجل أنزل هذا

القرآن ذا الذكر ليدّبـر الإنسان آياته إذ قال: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته ولـيتذكّـر اولوا الألبـاب» ص: ٢٩) وأنّ التدبّر فـي كلام الخـالق العلـيم الخـبير أولى بالتدبّر من كلام المخلوق الجهول الخاطئ.

﴿التّفسير والتّأويل﴾

١ـ (ص والقرآن ذي الذكر)

«ص» حرف من حروف الهجآء المنفردة التي بدأت بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم: ١ـ ثلاث منها بحرف واحد: ١ـ سورة «ص» ٢ـ سورة «ق» ٣ـ سورة القلم: «ن». ٢ـ تسع منها بحرفين:سورة «طه»: ٢ـ سورة النمل: «طس» ٣ـ سورة «يس» ٤ـ سورة غافر: «حم» ٥ـ سورة فصّلت: «حم» ٦ـ سورة الزخرف: «حم». ٧ـ سورة الدخان: «حم» ٨ـ سورة الجاثية: «حم» ٩ـ سورة الأحقاف: «حم». ٣ـ ثلاث عشرة منها بثلاثة أحرف: ١ـ البقرة: «آلم» ٢ـ آل عمران: «آلم» ٣ـ يونس: «آلر» ٤ـ هود: آلر» ٥ـ يوسف: «آلر» ٦ـ إبراهيم: «آلر» ٧ـ الحجر: «آلر» ٨ـ الشعرآء: «طسم» ٩ـ القصص: «طسم» ١٠ـ العنكبوت: «آلم» ١١ـ الروم: «آلم» ١٢ـ لقمان: آلم» ١٣ـ السجدة: «آلم»

٤ـ سورتان منها بأربعة أحرف: ١ـ الأعراف: «آلمّص» ٢ـ الرعد: «آلمّر». ٥ـ سورتان أخيرتان منها بخمسة أحرف: ١ـ مريم «كهيعص» ٢ـ الشورى: «حم عسق»ولا يخفي على القارئ الخبير أن لتلك الحروف ـ مع كونها رموزاً بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ـ خواصّ في كل سورة بحسبها، وقدذكر «ص» على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز كما قيل في كل سورة مفتّحة بهذا الحروف، وأتبعه القسم: «والقرآن» وهو الاسلوب الذي جرى عليه النظم القرآني في معظم مطالع السور المماثلة... محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه كأنّه قال:

اقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان، وذي الرفعة والشأن أنّه لحق وكلام معجز وأنّه معجزة خالدة لمن جآءكم به، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم لصادق فيما يدّعيه من النبوّة وأنّه مرسل من ربه إلى الأسود والأحمر، وأن كتابه هذا هو من عندالله جلّ وعلا ، وأنّ فيه بيان كل شيئ، شفآءٌ لما في صدور المؤمنين، وفيه التذكير والذكرى، ولمن آمن به وعمل، شأن وشرف ورفعة في الدارين.

قال الله تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» آل عمران: ٥٨)

وقال: «وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون» النحل: ٤٤)

وقال: «لقدأنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون» الأنبيآء: ١٠)

وقال: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» الزخرف: ٤٤)

وقال: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩)

٢ـ (بل الذين كفروا في عزّة وشقاق)

بل الذين كفروا بهذا القرآن ذي الذكر، من زعمآء مشركي مكّة، هم في اعتزاز واستكبار عن اتباع الحق، وعن الإذعان له، وعن متابعة غيرهم فيه لحميّتهم الجاهلية وتعصّبهم الأعمى: «قدكانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون ـ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» المؤمنون: ٦٦ـ٧١) وهم في خلاف لله جل وعلا وفراق وعداوة للنّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ومعاندة ومكابرة ومشاقة ومعارضة ومماراة في الحق، ولذلك كفروا به، فلا سبب ورآء ذلك لكفرهم.

فليس في القرآن ذي الذكر نقص يوجب لكفرهم، وإنّما الموجب لكفرهم هو الجهل والغفلة والحمق والغرور التي يرونها عزّة لأنفسهم، والشقاق الذي فيه الكافرون هو منازعتهم لله عزّوجل في عزّته وإستكبارهم عن أن يستجيبوا لله تعالى ويؤمنوا برسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وبما جآءهم به، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه في شأن مدّعي هذه العزّة الكاذبة: «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم»

البقرة: ٢٠٦)

فعزّة زعمآء الكافرين عزّة باطلة كاذبة تملأ كيان صاحبها غروراً وتعالياً، مستولية على أهلها، مغطية أبصارهم، فلايرون على صفحة مرآتها إلاّ أنفسهم، فهم ما كفروا لأنهم لم يجدوا فيما نزل إليهم من القرآن ذي الذكر ما يصلح حالهم في دينهم ودنياهم، بل كفروا به وكذّبوه لاستكبارهم عن اتباع الحق ومشاقتهم لرسول الله وحرصهم على مخالفته صلى الله عليه وآله وسلّم.

٣ـ (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص)

كثيراً من الأقوام السابقين من قبل هؤلآء المشركين الذين لبسوا هذه العزّة الزآئفة، فكذّبوا رسولنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم أهلكناهم إذ كذّبوا رسلنا فيما جآؤهم به من عندالله تعالى، وقد كانوا هم أكثر من هؤلآء المشركين قوة وأعزّ سلطاناً، فلمّا جآءهم بأسنا نادوا مستغيثين لينجوا من الهلاك والدمار، ولكنّهم لم يغاثوا ولم يغن ذلك عنهم شيئاً إذ فات أوان الغوث، وقد حلّ بهم البأس فليس وقت نزول العذاب وحلول النقمة، وحين الهلاك والدمار.. وقت إستغاثة وتوبة، ولا وقت فرار وخلاص... إذ لا منجى لهم ولا مفرّ، ولا مخلص لهم ولا مغيث حينئذٍ. قال الله تعالى: «ألم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم ـ ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين» الأنعام: ٦و١٤٧)

وقال: «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجآئتهم رسلهم بالبيّنات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين» يونس: ١٣)

وقال: وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين فلمّا أحسّوا بأسنا إذاهم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين» الأنبيآء: ١١ـ١٥)

وقال: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله التي قدخلت في عباده وخسرهنا لك

الكافرون» غافر: ٨٤- ٨٥)

وقال: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدّ منهم بطشاً فنقّبوا في البلاد هل من محيص» ق:٣٦) «قرن» امة من الامم السابقة، سمّيت بذلك لأنّها تتقدّم على غيرها من الامم كالقرن يتقدّم الجسم.

٤ـ (وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب)

وعجب زعمآء مشركي مكّة بأن جآءهم بشر، رسولاً من أنفسهم يحذّرهم الشرك والضلالة، ويخوّفهم من الهلاك والدمار في الحياة الدنيا، وينذرهم من العذاب والنار في الدار الآخرة لكفرهم وشقاقهم، وقال هؤلآء الزّعمآء الفجرة ومن انسلك مسالكهم: محمّد هو ساحر فيما يظهره معجزة وخوارق العادات، فانّه جآء بكلام مموّه يخدع به الناس، ويفرّق به بين الإثنين: المرء وزوجه، والأب وإبنه، والرجل وصاحبه... كذّاب فيما يدّعيه من الإرسال، كذّاب فيما يقول من الإنزال، وكذّاب فيما يدعو الناس إليه من التّوحيد والطاعة لله وحده، فليس محمّد برسول من الله.

وقدرمى هؤلآء الزعمآء الفجرة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم بالسحر لكونهم عاجزين عن الاتيان بمثل ما أتاهم به وهو القرآن ذوالذكر، ورموه صلى الله عليه وآله وسلّم بالكذب حسداً وكبراً وبغياً وعناداً، وإن كانوا هم يعلمون أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم ماجآءهم من المعارف الحقّة والحِكَم والأسرار والأحكام... ليست من تلقاء نفسه صلى الله عليه وآله وسلّم إنما تلك من عندالله تعالى، وللعناد واللجاج أظهروا التعجّب من أن جآءهم البشر منذراً من أنفسهم بل أدون منهم في الرئاسة الدنيوية والمال، فعدّوا ذلك أمراً عجيباً خارجاً عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الانكار، وتعجّبوا منه بعد أن كانوا يعتقدون بوقوعه. كما لوقال المريض للطبيب الحاذق: كيف أقبل منك النصح؟ وكيف أطلب منك الدوآء والعلاج وأنا وأنت من ولد آدم!

مع أنهم كانوا يتمنّون مجيئ الرسول المنذر من أنفسهم، فلم تكن الوثنيّة تنكر رسالة البشر على ما توهّم بعضهم.

قال الله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جآءهم نذير ليكوننّ أهدى من

إحدىٰ الأمم فلمّا جآءهم نذير ما زادهم إلّا نفوراً إستكباراً في الأرض ومكر السّيئ» فاطر: ٤٢-٤٣)

وقال: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتّى تأتيهم البيّنة» البيّنة: ١)

وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمننّ بها» الأنعام: ١٠٩)

وقال: «ولما جآءهم الحق قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣٠-٣١)

وقال: «أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين» يونس: ٢) وقال: «أفترى الله كذباً أم به جنّة ـ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلّا رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جآءهم إن هذا إلّا سحر مبين» سبأ: ٨ و٤٣)

٥ـ (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيئ عجاب)

قال هؤلاء الزعمآء الفجرة: لوسلّمنا أن محمداً رسول الله أجعل معبوداتنا كلها معبوداً واحداً؟ فاذاً كيف يسمع الواحد دعآء جميعنا؟؟ كيف يعلم الواحد كل عباداتنا؟ كيف يكفينا الواحد في حوآئجنا؟ وكيف يسمع الخلق كلهم إله واحد؟ وكيف ينزل كل إله منها عن سلطانه؟ وإنّ شيخ القبيلة أو زعيم الجماعة لا يقبل أن ينزل عن مكانه من الرياسة لزعيم آخر ولوكان هذا معقولاً مقبولاً لكانت قريش مثلاً تحت زعيم واحد، فاذا كان هذا غير ممكن في مجتمع القبآئل فكيف يمكن هذا في مجتمع الآلهة؟؟؟

إنّ هذا الذي يقوله محمد من نفى الالوهيّة عن آلهتنا وقصرها على واحد فانه يقول: «وما من إله إلّا الله» آل عمران: ٦٢) يقول: «إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد» النساء: ١٧١) ويقول: «وما من إله إلّا إله واحد» المائدة: ٧٣) ويقول: «إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقآء ربّه فليعمل عملاً

صالحاً ولايشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ١١٠) ويقول: «لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) ويقول: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون» المؤمنون: ٩١)

ويقول: «ولاتجعلوا مع الله إلهاً آخر» الذاريات: ٥١) هذا الذي يقوله محمّد لشئ عجيب في غاية العجب الذي ليس ورآئه عجب!

قال هؤلآء الزعمآء الفجرة لأتباعهم السفلة: مع أن مايقوله محمّد خلاف ما أطبق عليه آبآؤنا الذين أجمعوا على الوهيّة آلهتنا واظبوا على عبادتها ووصّونا بها كابراً عن كابر، ونحن تلقّينا عنهم عبادة الأوثان... مع كثرة آبائنا ورجاحة عقولهم فلايعقل أن يكونوا هؤلآء الآبآء جاهلين مبطلين، ويكون محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وحده صادقاً محقاً فلاشكّ أنّ مايقوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم مستبعد فحسب، ولامستند لكلامه من عقل ولانقل، وأن مدار كل مانأتي ونذر من امور ديننا هو التقليد والإعتياد، فنعدّ مايخالف ما اعتاد آباؤنا عجيباً بل محالاً!

قال الله تعالى: «بل قالوا إنا وجدنا آبآئنا على امّة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنا وجدنا آبائنا على امّة وإنّا على آثارهم مقتدون» الزخرف: ٢٢-٢٣)

٦ـ (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيئ يراد)

فلم يطل العجب من زعمآء مشركي مكّة، بل اعطوا ظهورهم لما سمعوا من كلام الله تعالى، فاجتمعوا عند أبي طالب عليه السّلام عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ليحلّوا بوساطته مشكلة دعوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم المشركين إلى التوحيد ورفضهم آلهتهم، بنوع من الإستمالة، فكلّموه عنده في ذلك، فلمّا لم يجدوه صلى الله عليه وآله وسلّم موافقاً لهم في شيئ من ذلك وسمعوا مادعاهم إليه النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم: قولوا: «لا إله إلّا الله» وضعوا أصابعهم في آذانهم مستكبرين، وخرجوا هرباً من عند أبي طالب عليه السّلام بعد مابكّتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بالجواب العتيد، وشاهدوا تصلّبه في الدّين وعزيمته على أن يظهره على الدّين

كلّه، ويئسوا مما كانوا يرجونه بوساطة عمّه أبي طالب عليه السّلام من المصالحة، نهضوا من مجلس إجتماعهم عنده بسرعة يتحاورون بما جرى عليهم ويقلّبون وجوه الرأى فيما يفعلون، فخرجوا من دار أبي طالب عليه السّلام وقدكانت عدّة أتباعهم السفلة عند بابها منتظرين لنتائج ذلك، فتنادوا على وجه النصيحة لهم:

تفرّقوا ولا تلبّثوا هنا إذ لا تنفعنا مكالمة محمد ولا تصغوا لقوله، وامضوا على دينكم واثبتوا على ما كنتم عليه من عبادة آلهتكم، متحمّلين لماتسمعونه في حقّها من القدح والضّنّ من شأنها والاستهزآء بأمرها، ان هذا الأمر عظيم يريد محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إمضآئه وتنفيذه لامحالة من غير صارف يلو يه، ولا عاطف يثنيه، لا قول يقال من طرف اللسان أو يُرجى فيه المسامحة بشفاعة الانسان، فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله إلى إرادتكم واصبروا على عبادتكم لآلهتكم... «إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا لو لا أن صبرنا عليها» الفرقان: ٤٢) «انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» الصافات: ٣٥- ٣٦)

٧-(ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق)

قالت الرؤسآء الكفرة لإضلال أتباعهم الجهلة: ماسمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وآله وسلّم من التوحيد، وخلع الأنداد من دون الله، ومن البرآءة من جميع الآلهة إلّا من الله تعالى ذكر، وماسمعنا بهذا الكتاب الذي جآء به في الملل المتأخرة نعلمها إلى زماننا هذا، ليس ماجآء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إلّا تخرّصاً وكذباً وفرية محضة لامستند له سوى هذا الذكر، فلاحقيقة له، ولا يستند إلى دين سماوي ولا من عقل عندنا، إنّما هو خليط من أساطير الأوّلين اكتبته.

قال الله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قدسمعنا لونشآء لقلنا مثل هذا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين» الأنفال: ٣١)

وقال: «إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين» النحل: ٢٢-٢٤)

وقال: واتّخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون.

وقال الّذين كفروا إن هذا إلّا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقدجآؤا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتبتها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً» الفرقان:٣ـ٥)

وقوله تعالى حكاية عنهم: «إلّا اختلاق» من الخلق بمعنى التقدير كقوله تعالى: «وتخلقون إفكاً» العنكبوت:١٧) و«إن هذا إلّا خلق الأوّلين» الشعراء:١٣٧) لأنّ الكاذب يقدر في نفسه ذلك الكذب ويضمره.

٨ـ (أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شكّ من ذكرى بل لمّا يذوقوا عذاب)

قال زعمآء مشركي مكة لإغوآء أتباعهم السفلة: أأُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم القرآن من بيننا؟ كيف نزل عليه الوحى دوننا؟ وكيف خصّ به الوحى ونحن أشراف القوم وسادتهم، نحن زعمآء القوم ورؤسآئهم، وبيدنا الحل والعقد؟! ونحن أكبر منه سنّاً، وأكثر منه مالاً، وأعظم منه شرفاً وحسباً وجاهاً وكياسة وسياسة ورئاسة... وقد كان هو يتيماً فاقداً للمال والعلم والشأن، ولم ينزل عليه الوحى إذ لا مرجّح له يترجح به علينا، فينزل عليه الذكر دوننا، بل هو أدون منّا، وأىّ عاقل يصدق أن يختار الله محمداً لرسالته، وهو لا يملك شيئاً من المال والجاه؟ حيث انهم كانوا يظنّون أنّ الشرف والكمال بالجاه والمال فقالوا: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف: ٣١)

ثمّ نعى عليهم تعرّضهم لهذا التفضيل وإعطاء النبوّة لمن يريدون فقال: «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» الزخرف: ٣٢)

قال الله تعالى ردّاً عليهم: بل هؤلآء الزعمآء الفجرة في شكٍّ من ذكرى حيث كذّبوا الجآئي به فهم لا يكذّبون النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم بل كانوا يجحدون آيات الله تعالى ولكن لا عن ايمان واعتقاد بل في شك إذ ليس شكّهم فيه من جهة خفآء دلالة آية النبوّة وقصورها عن إفادة اليقين، بل تعلّق قلوبهم بما عندهم من الباطل ولزومهم التقليد يصرفهم عن النظر في دلالة الآية الإلهيّة المعجزة، فشكّوا في الذكر حالكونه آية معجزة لونظروا فيه وتأمّلوا لزال عنهم الشك، فانها بنفسها دالة على صحّة

نبوّته، ولكن الحسد والكبر يمنعانهم عن النظر فلم يصلوا إلى الحق في أمره.

قال الله تعالى: «كلّما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجآءنا نذير فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيْ إن أنتم إلّا في ضلال كبير وقالوا لوكنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير» الملك: ٨-١٠)

وقال: «ولونزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين - كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا» الأنعام: ٧و١٤٨)

وقال: «كبر على المشركين ماتدعوهم إليه - وماتفرّقوا إلّا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمّى لقضى بينهم» الشورى: ١٣-١٤)

وقداتبع الأصاغرة المتجدّدون في زماننا هذا، هؤلآء الزعمآء الفجرة ويقولون: «إنّ المعاصرية تمنع الإنسان عن الاعتراف بالفضل والكمال...» وليس هذا إلّا حسداً وكبراً منع الشيطان عن السجدة لآدم عليه السّلام والكفار من الايمان بالوحى السماوي والأنبيآء عليهم السّلام.

وقوله تعالى: «بل لـمّا يذوقوا عذاب» بل لم ينزل بهم بأسنا إلى الآن، فيذقوا وبال شركهم بالله وتكذيبهم الرسول وشكهم في الوحى، فاغترّوا بطول الإمهال، ولوذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولصدقوا النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فيما جآءهم به مضطرّين، ولكن لاينفعهم الايمان حينئذ.

٩- (أم عندهم خزآئن رحمة ربّك العزيز الوهّاب)

لمّاقال هؤلآء الزعمآء الفجرة: إنّ الله لا يختصّ محمداً بالنّبوّة من دوننا أجابهم الله تعالى خطاباً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم: فاسئلهم يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم! هل خزآئن رحمة ربك ومفاتيحها... ربّك العزيز في ملكه، والغالب في سلطانه، يعزّ مَن يشآء، كثير الهبات والعطايا على حسب المصالح... الوهّاب لمن يشآء من خلقه، مايشآء من ملك وسلطان ونبوّة بأيديهم، وفي تصرّفهم حتّى يصيبوا بها مَن أرادوا، ويصرفوها عمّن شآؤا، فيتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم، فيتحكموا فيها

بمقتضي آرآئهم... فيمنعوك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ما منّ الله تعالى به عليك من الكرامة، وفضّلك به من الرسالة التي هي من أعظم النعم المخزونة عنده؟

أم هي بيدالله جل وعلا يعطيها مَن يشآء من عباده، فيختار للنبوّة من يشآء من عباده؟ «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» الدخان: ٣٢)

لا والله عزّوجل ما عندهم ولا بأيديهم منها شيء، وإنّما أمر الرسالة والنبوّة، وأمر الخلافة والإمامة كلها بيد العليم الخبير بكل شيء: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤) وليس لأحد من عباد حتّى الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقرّبين أن يداخل في أمر الرسالة والنبوّة وفي أمر الخلافة والإمامة ـ كأمر نظام التكوين وتدبير نواميس الوجود ـ فانّها عطايا خاصّة إلهيّة يختصّ بها من يشآء من عباده.

قال الله تعالى: «وربّك يخلق مايشآء ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨).

وقال: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥).

وقال: «وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات» الأنبيآء: ٧٣).

وقال: «وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧)

وقال: «يختصّ برحمته مَن يشآء» آل عمران: ٧٤)

١٠ـ (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب)

ألهؤلآء الزعمآء الفجرة ملك السّموات والأرض وما بينهما من الهوآء والفضآء... فان كان لهم ملك ذلك فليصعدوا بأيّ وسيلة من وسآئل العروج والصعود من المعارج والمناهج التي يتوصّل بها إلى أبواب السموات حتّى يستووا على العرش، ويدبّروا أمر الكون ونواميس الوجود، فينزلوا الوحي إلى مايختارون ويستصوبون، فيخصّوا به من يشاؤن ويمنعوه عمّن لايحبّون، فان من كان له ملك شيء فلم يتعذّر عليه الاشراف عليه وتفقّده وتعهّده.

ليس لهم شيء من ذلك، فلاسبيل لهم إلى قسمة خزائن رحمة الله جل وعلا بحسب مايريدون، وإعطآء النبوّة والرسالة والخلافة والإمامة لمن يشآؤن فانّ أمر النبوّة و وومن شئون الله عزوجل يختصّ بها من يشآ من عباده قال الله تعالى: «أم عندهم

خزآئن ربك أم هم المصيطرون أم لهم سلّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين» الطور: ٣٧-٣٨)

وقدسمّى كل مايتوسّل به إلى شئ سبباً، وقدورد: أبى الله أن يجرى الأمور إلّا بأسبابها» قال الله تعالى: «إنّا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سبباً» الكهف: ٨٤)

١١ـ (جندما هنا لك مهزوم من الأحزاب)

هؤلآء الزعمآء الكفرة وأتباعهم السفلة من مشركي مكة الذين كانوا في عزّة وشقاق هم جند حقير ذليل مغلوب، من جنود إبليس على طريقة الأحزاب المتحزّبين على الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين قبلك فقهروا واهلكوا على كثرتهم، فكذلك نهلك هؤلآء الجند الأقلآء ونخذلهم ونذلّ كلّ من انسلك مسالكهم في كل ظرف، فلاتغمك عزتهم وشقاقهم، ولاتبال بهم ولاتكترث فيما يهذون، فاني اهزم جمعهم وأسلب عزتهم في يوم بدر وغيره...

قال الله تعالى: «وإنّ جندنا لهم الغالبون فتولّ عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون» الصافات: ١٧٣-١٧٥)

وقال: «أكفّاركم خير من اولئكم أم لكم برآءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع و يولّون الدّبر» القمر: ٤٣-٤٥)

وقال: «وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزآء الكافرين» التوبة: ٢٦).

١٢ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد)

كذّبت قبل مشركي مكّة الذين كذّبوا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم قوم نوح، نبيّهم نوحاً عليه السّلام وأصرّوا على تكذيبهم وعنادهم فأخذهم الطوفان، وكذّبت عاد وهم قوم هود نبيّهم هوداً عليه السّلام وعصوا الله جل وعلا واتبعوا أمر كل جبّار عنيد، فأهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية، وكذّب فرعون ذوالأوتاد موسى عليه السّلام وعلا في الأرض واستكبر، فأغرقه الله عزّوجل وجنوده بالبحر، وقدسمّى فرعون

ذا الأوتاد لأنه كان إذا غضب على أحد، بسطه على الأرض على وجهه، ومدّ يديه ورجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربّما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد ثمّ تركه على حاله حتى يموت.

ويؤيّده ماحكاه الله تعالى من قول فرعون إذ هدّد السحرة لمّا آمنوا بموسى عليه السّلام: «فالقى السحرة سجّداً قالوا آمنّا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر فلاقطّعنّ ايديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنّكم في جذوع النحل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى» طه: ٧٠-٧١)

١٣- (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة اولئك الأحزاب)

وكذّبت ثمود، وهم قوم صالح، نبيّهم صالحاً عليه السّلام فعقروا ناقته، فأرسل الله تعالى عليهم صاعقة فأهلكتهم وجعلتهم كهشيم المحتظر، وكذّبت قوم لوط نبيّهم لوطاً عليه السّلام فأرسل الله عزّوجلّ عليهم حاصباً وأهلكهم الله، وكذّبت أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب، نبيّهم شعيباً عليه السّلام: «كذّب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين - فأخذهم عذاب يوم الظلّة» الشعراء: ١٧٦-١٨٩)

الأيكة: الحرجة من النبع والسدر وهو الملتف منه، وأصحاب الأيكة هم أصحاب شجر، وكانت عامة شجرهم الدوم يقال لهم: أصحاب الغيضة.

وقوله تعالى: «اولئك الأحزاب» أي هم أحزاب الشياطين وهم الكفار حقاً كما يقال: هم هم،وهم تحزّبوا على الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأحزاب الذين تحزّبوا على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

١٤- (إن كل إلّا كذّب الرسل فحقّ عقاب)

ما من حزب من اولئك الأحزاب المتحزّبة الذين ذكرنا هم من الأقوام الستّة إلّا أنهم كذّبوا جميع رسلنا عليهم السّلام حيث إنّ تكذيب حزب برسول من رسلنا المرسل إليه تكذيب منه لجميع الرسل، فان الرسل كلهم على أمر واحد وعلى دعوة واحدة وهي الايمان بالله جل وعلا، فمن كذّب برسول من رسلنا فهو مكذّب برسلنا جميعاً

لأن الحق معهم واحد، والدّين الذي يدعون الناس إليه دين واحد من مبدإ واحد.

مع أنّ أهل الكفر والضلال، وأهل البغي والفساد، وأهل الكبر والعناد ... كيان واحد أيضاً لا اختلاف بينهم في ذلك، أوّلهم وآخرهم: «اللهم العن أوّل ظالم ظلم حق محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وآخر تابع له على ذلك» فالطريق الذي صار عليه أوّلهم من الكفر بالله تعالى وتكذيب الرّسل هو نفس الطريق الذي سلكه وصار عليه كل كافر وضالّ، كلّ فاسد وباغٍ وكل متكبّر وعادٍ...

قال الله تعالى: «كلّما دخلت أمّة لعنت أختها حتّى إذا إدّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لاولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» الأعراف:٣٨-٣٩) أو هو على نهج مقابلة الجمع بالجمع، فالمراد تكذيب كل حزب لرسوله، والاستثنآء مفرّغ من أعمّ الأحوال، أي ما كل حزب من الأحزاب في جميع أحواله إلّا وقع منه تكذيب الرسل...

ونظر هذه الآية الكريمة قوله تعالى: «كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كل امّة برسولهم سيأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ـ وقال الذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد» غافر: ٥و٣٠-٣١) وسمّيت هذه الامم أحزاباً لتحزّبهم على الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام.

وقوله تعالى: «فحق عقاب» أى ولتكذيبهم رسلنا جميعاً وجبت على كلّهم عقوبتي في الحياة الدنيا، فإذا إنتقمنا من هؤلآء الاحزاب المتحزبة الذين كانوا أشد من مشركي مكة قوة وبطشاً ومالاً وعِدّة وعُدّة... في الحياة الدنيا فكيف بهؤلآء الجند الأقلآء الأذلآء من مشركي مكّة، فحقّ عليهم عقابي كسابقيهم بتكذيبهم، وإن تأخّر، فكأنّه واقع بهم، وكل ما هو آتٍ قريب.

قال الله عزّوجلّ: «ألم نهلك الأوّلين ثمّ نتبعهم الآخرين كذلك نفعل

بالمجرمين» المرسلات: ١٦-١٨)

١٥ـ (وما ينظر هؤلآء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق)

هذا تهديد لهؤلآء المشركين ومن ينسلك مسالكهم بأنّ الله عزّوجلّ أهلك أمثالهم من مكذّبى الامم الماضية، وأنزل بهم العذاب الذي يستحقّونه إذ كانوا لا ينظرون حين نزول العذاب بهم إلّا صيحة واحدة تأتيهم بغتة، صيحة ممتدّة لا توقف ولا فترة لها مقدار يسير ليفيقوا من سكرتها ويستريحوا من كربتها.

والآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «فعتوا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين» الذّاريات: ٤٤-٤٥).

وقوله عزّوجلّ: «لا يؤمنون به حتّى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متّعناهم سنين ثمّ جآءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون» الشّعراء: ٢٠١-٢٠٧).

وقال: «فهل ينتظرون إلّا مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» يونس: ١٠٢) فلمّا سمعوا هذا التّهديد إستعجلوا:

١٦ـ (وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب)

لمّا وعدالله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم ألّا يأخذ أمّته بما أخذ به مكذّبي الأمم الماضية من عذاب الإستئصال إكراماً لنبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم وهدّدهم بعذاب الآخرة لعلّهم يرجعون عن كفرهم وعنادهم، عن بغيهم ولجاجهم، وعن شركهم وفسادهم... لمّا سمعوا تأخير عقابهم في الآخرة لم يقبلوا هذا الإحسان بل ردّوه في قحة وتحدٍّ وسخرية وإستخفاف وقالوا مستهزئين بعذاب الآخرة:ـ لماذا تهدّنا بالعذاب يوم القيامة ولا تأتي به الآن إن كنت عليه مقتدراً وكان محمّدصلّى الله عليه وآله وسلّم صادقاً ـ قالوا: ربّنا عجّل لنا عقوبتنا وعذابنا الّذي توعدنا به قبل يوم يحاسب فيه الخلق ويجازون فيه على أعمالهم.

فطلبوا من الله تعالى أن يعجّل بعذابهم في الدّنيا قبل الآخرة تهزءاً بخبر الله وشكّاً فيه.

قال الله تعالى: «ويستعجلونك بالسّيئة قبل الحسنة وقدخلت من قبلهم المثلات وإنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم وإنّ ربّك لشديد العقاب» الرّعد: ٦).

وقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون» الحج: ٤٧).

وقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمّىٰ لجآءهم العذاب وليأتينّهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقولون ذوقوا ماكنتم تعملون» العنكبوت: ٥٣-٥٥).

١٧- (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذاالأيد إنّه أوّاب)

يا أيّها الرسول اصبر على ما يقول هؤلآء المشركون فيك ويكذّبونك: «قدنعلم إنّه ليحزنك الذي يقولون فانهم لايكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كُذّبَت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا واوذوا حتّى أتاهم نصرنا ولامبدّل لكلمات الله ولقد جآءك من نبإى المرسلين» الأنعام: ٣٣-٣٤) «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون» الحجر: ٩٧) فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنّهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار بلاغ» الأحقاف: ٣٥)

فإنّا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سآئر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلوّ والرفعة والظفر لك على مَن كذّبك وشاقّك، هذه سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك، فمنهم داود بن اينشا، فاذكر لهم قصّة عبدنا داود الذي كان ذاالنعمة الكثيرة وذاالإرادة القويّة في طاعة الله جلّ وعلا والإستقامة على طريقة، والصّلابة في الدين، كثير الرجوع إلى الله عزّوجلّ فى جميع شئونه...

١٨- (إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق)

إنّا ذلّلنا الجبال لداود يسبّحن معه عليه السّلام وقت العشآء- وقت غروب الشمس إلى أوّل ظلام الليل، و وقت الاشراق- وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس- وقدكانت الجبال وهى أبرز وجوه ما على الأرض من عوالم، تستجيب له وتأتم

وتسبّح لله جل وعلا مع داوده في الوقتين.

قال الله تعالى: «وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير وكنّا فاعلين» الأنبيآء: ٧٩)

١٩ـ (والطير محشورة كلّ له أوّاب)

وسخّرنا لداود عليه السّلام أنواع الطيور مجموعة من كلّ ناحية وصوب يسبّحن معه، وكلّ واحد من الجبال الراسيات والطيور السابحات رجّاع إليه فيما يريد ومطيع له فيما يشآء، إذ كان داود عليه السّلام مع تلك النعم الواسعة والقوة البالغة رجّاعاً إلى الله تعالى في جميع شئونه، فسخّر الله عزّوجلّ الجبال والطيور رجّاعاً إليه عليه السّلام جزآءً وفاقاً.

قال الله تعالى: «ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد» سبأ: ١٠)

٢٠ـ (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

وقدأعطينا داود عليه السّلام ملكاً وقوّيناه بالجنود والأعوان والحرس ـ قيل: كان يحرس كل ليلة محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل، وقيل: كان يحرس ملكه كل يوم وليلة أربعة آلاف،أربعة آلاف. وقيل: أربعون ألف رجل فاذا أصبح يقال لهم: إرجعوا فقدرضى عنكم نبى الله ـ قوّينا ملكه بكثرة العدد ووفرة العِدّة قوّيناه بنفوذ السلطة وإمداده بالتأييد، قوّيناه بالهيبة والنصرة وإلقآء الرعب منه عليه السّلام في قلوب الناس، قوّيناه بالخزآئن وحسن التدبير وسآئر ما يتقوّى به الملك وما فيه تحكيم أساسه، وثبتنا له قواعده، فكان داود أشد ملوك أهل الدنيا لله جلّ وعلا سلطاناً.

المُلْك عبارة عن كثرة المِلك، فقديكون للرجل مِلْك ولكن لايكون مَلِكاً حتّى يكثر ذلك، فلوملك الرجل داراً وامرأةً لم يكن مَلِكاً حتّى يكون له خادم يكفيه مؤنة التصرّف في المنافع الّتي يفتقر إليها لضرورته الآدمية.

وإلى جانب هذا الملك المتمكّن آتيناه كمال العلم واتقان العمل والإصابة في الامور كلّها، وآتيناه الفهم بأمر القضآء فلايتعتع في الكلام عند القضآء، فيقضي

بالبيّنة على الطالب: «المدّعى» وباليمين على المطلوب: «المدّعى عليه» فتتكشف له عليه السّلام بكمال العلم والعمل، والفهم بأمر القضآء موارد الامور و مصادرها، فيقيمها على ميزان العدل والإحسان.

قال الله عزّوجلّ: «وقتل داودُ جالوتَ وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشآء» البقرة: ٢٥١)

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ من أسمآء الله تعالى العظام الحسنى، الحكمة فانّ الموجودات أعنى الممكنات متميّزة حال عدمها الكوني في علم الله الواحد ويعلم الله عزّوجلّ بعلم واحد بسيط صور جميع الأشيآء، ويراها ويأمرها بالتكوين بأمر واحد هي كلمة: «كن» الوجودي: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) فليس عندالله سبحانه إجمال، بل الأمر كله في نفسه وفي علم الله تعالى مفصّل، وإن كان كله معلوماً بعلم واحد، ولكن معلوماته كثيرة، كثرة لاتُحصىٰ...

وإنّما وقع الإجمال في حقّنا فمن كوشف بالتفصيل في عين الإجمال علماً أو عيناً أو حقاً، فذلك العالم الّذي أعطاه الله جل وعلا الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك إلّا الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وأمّا الحكمآء والمفسّرون، والفقهآء والمحدّثون والفلاسفة والمتكلمون المشهورون فليسوا من هذا المقام في شئ، فلايعلمون التفصيل في عين الإجمال على ما هو الواقع، لأنّ علمهم وإن بلغ ما بلغ، طريق إلى الواقع كثيراً مايخطأ، وليس بالواقع نفسه، ولذلك لايكون قولهم وفعلهم وتقريرهم حجّة إذ لايرون الواقع كما يراه صاحب هذا المقام الذي أعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب.

وهذه الحكمة عناية ربّانية وموهبة إلهيّة لايؤتى بها إلّا من قِبله تعالى كما قال: «يؤتى الحكمة من يشآء ومن يؤت الحكمة فقداوتى خيراً كثيراً ومايذّكر إلّا اولوا الألباب» البقرة: ٢٦٩)

وإنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّ الحكمة من مواهب الله تعالى التي لاتحصل

بمجرد السعى، بل حصولها بالمشيئة الربانية لاغير، ولأجل ذلك ذكر انه من فضل الله في قوله جل وعلا: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذوالفضل العظيم» بعد قوله تعالى: «ويعلّمهم الكتاب والحكمة» الجمعة:٢و٤) وقال: «وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً» النسآء:١١٣)

وقال: «قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشآء» آل عمران:٧٣)

فالحكمة الّتي يعبّر عنها تارة بالقرآن، واخرى بالنور في القرآن الكريم، وبالعقل البسيط عند الحكماء هي من فضل الله جل وعلا وكمال ذاته أتاها الله تعالى لمن اختاره واصطفاه من خواصّ عباده ومحبوبيه كملك من الملوك يعطي خلعته ولباسه المخصوص لمن أحبّه من مقرّبيه لأنّ الحكمة الحقّة من صفاته الذاتية، ولا ينال بها أحد من الخلق في الحياة الدنيا إلّا بعد تجرّده عن الدنيا وعن نفسه بالتقوى والزهد الحقيقي، والفضآء من شوآئب الخليقة والإنخراط في سلك المهيمين من ملائكته وعباده المقربين حتى يعلمه الله تعالى من لدنه علماً ويؤتيه حكمة وخيراً كثيراً وفضلاً عظيماً ويحييه حياة طيّبة...

٢١ـ (وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب)

وهل أتاك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم خبر الخصم وقصّة المخاصمة العجيبة: المدّعي والمدّعىٰ عليه والشهود معهما؟ لا، ما أتاك خبرهم بعد، وقدأتاك الآن فاستمع: في ذات يوم كان داود عليه السّلام في محراب بيته منقطعاً إلى عبادة ربّه، فبعثنا إليه ملكين ومعهما شهود من الملائكة بصورة الإنسان ـ على سبيل المخاصمة فيحكم بينهما ـ لنبتليه عليه السّلام في أمر القضآء، ولنبيّن لمن بعده أن امر القضآء أمر خطير لا يليق به إلّا من اوتى الحكمة وفصل الخطاب ـ فدخلوا عليه في صورة غير مألوفة، إذ دخلوا عليه من فوق بيته الذي كان يشتغل فيه بطاعة ربّه، ولم يدخلوا من المدخل الطبيعي إليه.

٢٢ـ (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سوآء الصراط)

إنّ الملكين الخصمين -على سبيل الفرض- ومن معهما من شهود الملائكة حين دخلوا على داود عليه السّلام وقد كان هو مشتغلاً بطاعة ربّه في محراب بيته، دخلوا عليه فجأة من غير الطريق المعتاد، ومن دون إذن، والحرس بالباب، ورآهم أمامه، ففزع منهم، فلمّا رآوا ما عليه داود عليه السّلام من الفزع أرادوا تطييب نفسه وإسكان روعه، فقالوا: يا داود لاتخف -وهو نهى عن الفزع بالنهى عن سببه الذي هو الخوف- منّا نحن جئناك لرفع المخاصمة -فرضنا ها بيننا- وهى أن تفرض أن إثنين منّا كأنّهما خصمان، تظاول وظلم بعضنا على بعض.

ثمّ قرّروا مقصودهم بثلاث عبارات متلازمة:

إحداها-: «فاحكم بيننا بالحق» والعدل الذي هو حكم الله تعالى فينا.

ثانيها-: ولاتشطط» وهي نهى عن الباطل بالزام الحق، أي لاتمل إلى أحدنا ولاتجر على الآخر، فتجاوز عن الحدّ وعن طريق العدل، فان الجور هو البُعد عن الحق.

قال الله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف: «لقد قلنا إذاً شططاً» الكهف: ١٤)

وعن الجن: «وأنّه كان يقول سفيهنا على الله شططاً» الجن: ٤) أي جوراً من القول وبُعداً عن الحق.

ثالثها-: «واهدنا إلى سوآء الصراط»: دلّنا وأرشدنا إلى وسط الطريق الذي هو مثل لمحض الحق وصدق الصّواب.

٢٣- (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)

فقال أحد الخصمين المفروضين -وهو المدّعي- مشيراً إلى الآخر- وهو المدّعىٰ عليه-: إنّ هذا أخي في الدين غنىّ يملك تسعاً وتسعين شاةً، وأنا فقير أملك شاة واحدة، فقال لي هذا الأخ الغني: أعطيني وملّكني شاتك الواحدة وضمّها بشياتي، واجعلني كافلها كما أكفل تسعاً وتسعين أُخَر تكون في ملكي، وغلبني هذا الأخ في الكلام والمحاجّة وفي البيان والمخاطبة إذ كان تكلّمه أبين وكلامه أنفذ وبطشه

أشد، فجآء بحجج لم أطق لها ردّاً ولا دفعاً، فانه غنيّ، فكلامه نافذ، وأنا فقير لا يصغي أحدٌ، كلامي كيف تحكم بيننا يا داود النّبي عليه السّلام؟

أفعندك يا داود عليه السّلام ـ كسآئر الناس ـ الغنيّ غالب والفقير مغلوب؟ الغنى قاهر، والفقير مقهور؟ للغنيّ أن يَظلِم وعلى الفقير أن يُظلَم؟ للغنى أن يُهضم وعلى الفقير أن يُهضَم؟ أفكلام الغنيّ عندك نافذ، ونداء الفقير لا يُصغىٰ؟ أتكون الدنيا كلها للغنى، ويكون الفقير محروماً عن كل شيءٍ؟ أتكون الحياة كلها حقاً للغنى، ولا يكون للفقير منها شيءٌ؟؟؟

إنّ القضيّة تمثل صراعاً بين غنيّ وفقير، بين عزيز وذليل، بين قويّ وضعيف، بين من يملك الكثير الكثير، ومَن لا يملك إلّا القليل القليل، بين صاحب سلطان يعتزّ بسلطانه، ويُمضى الامور بكلمة تصدر من فمه، وبين مَن لا يملك الكلمة يقولها أمام هذا السلطان المغترّ!

أتميل يا داود عليه السّلام إلى الغنيّ لغناه، وتميل عن الفقير لفقره ـ كسآئر القضاة ـ أم تحكم بيننا بالعدل؟

٢٤ ـ (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيراً من الخلطآء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنّ داود أنّما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب)

قال داود عليه السّلام للمدّعي قبل أن يطلب منه البيّنة على مدّعاه، وبدون استنطاق المدّعىٰ عليه بما ادّعى عليه، ولا إقرار منه: والله لقد ظلمك أخوك صاحب تسع وتسعين نعجة بطلبه نعجتك الواحدة منك بأخذها وإنضمامها إلى نعاجه، وإنّ كثيراً من الشركاء المخالطين الأقويآء والإخوان الذين تكون أُخوّتهم ورفاقتهم ومحبتهم على أساس الإقتصاد لا على الإعتقاد، ليبغى ويظلم ويتعدّى بعضهم على بعض، فيأخذ الشريك الأقوى سهمه وزيادة إلّا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم، وهم الذين تكون أُخوّتهم ورفاقتهم ومودّتهم... على اساس الإعتقاد لا على الإقتصاد، ولكنّهم أقلّ قليل جدّاً في كل ظرف.

قال الله عزوجل: «فقليلاً ما يؤمنون» البقرة:٨٨) وقال: «قليلاً ما تذكّرون ـ قليلاً ما تشكرون» الأعراف:٣و١٠) وقال: «وما آمن معه إلّا قليل» هود:٤٠) وقال: «وقليل من عبادى الشكور» سبأ:١٣)

وهؤلآء الاقلاّء لا يظلمون على أحد، ولا يظلم بعضهم بعضاً، وإن القوّة على الحق إن تكن في أيدى الأشرار، وللحق إن ملكها الأخيار ولكن أين هم؟ وقدتجد واحداً منهم ولكن في زوايا الحرمان والنسيان...

فلمّا حكم داود عليه السّلام هكذا بين الخصمين، خرجا و من معهما من الشهود من حيث دخلوا عليه عليه السّلام وعندئذ علم داود عليه السّلام أنّما اختبرناه بهذه القضيّة العجيبة، وامتحنّاه لحكمه للمدّعي قبل أن يسئل المدّعى أنّما اختبرناه بهذه القضيّة العجيبة، وامتحنّاه لحكمه للمدّعي قبل أن يسئل المدّعى عليه أو قبل إقراره بما ادّعى عليه، لمّا علم ذلك فاستغفر ربّه، إذ لم يطلب من المدّعى البيّنة ولم يستنطق المدّعىٰ عليه بما ادّعى عليه فحكم للمدّعي بدون أن يسمع كلام خصمه، وإن لم يكن هذا ذنباً ولكن كان عليه أن يطلب ويستنطق في أمر القضآء، وخرّ داود عليه السلام حينئذ ساجداً وأقبل إلى الله عزوجل، وهذا دأب الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمقرّبين صلوات الله عليه أجمعين من دون ذنب.

فعلى القاضي ألاّ يستثار وألاّ يتعجّل، وألاّ يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للأدلآء بقوله وحجّته، إذ قد يتغيّر وجه المسئلة كلّه أو بعضه، وينكشف أنّ ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً.

٢٥ـ (فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب)

فغفرنا لداود عليه السّلام ما وقع منه، وقبلنا دعآئه، وأثبتناه عليه، وإن له عندنا كرامة ومكانةوقربى في الدرجات وحسن مرجع ومقام في الدار الآخرة ولهذه اللياقة قلنا له:

٢٦ـ (يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)

لمّا اختبرنا داود عليه السّلام و وجدناه يليقاً للخلافة قلنا: يا داود إنّا جعلناك في الأرض خليفة، وهذه خلافة إلهيّة في صورة الإنسان، وأوّل من ظهر فيه الخلافة في هذا النوع كان آدم عليه السّلام: «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة» البقرة: ٣٠) وأوّل مَن كمل فيه الخلافة بالتسخير حيث سخّر الله تعالى الجبال والطير يسبّحن معه، وجمع الله تعالى فيه الملك والحكمة والنبوّة، وخاطبه بالاستخلاف ظاهراً صريحاً هو داود عليه السّلام: إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشئ والاشراق والطير محشورة كل له أوّاب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ـ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض» ص: ١٨-٢٦)

وإنّ الخلافة كالرسالة والنبوّة والإمامة مجعولة إلهيّة، مصطفاة من جانب الله عزّوجلّ على أساس اللياقة، فانّ من شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة مَن استخلفه في صفاته وأعماله، فعلى خليفة الله في الأرض أن يتخلّق بأخلاق الله جل وعلا ويريد ويشآء ويفعل مايريده الله تعالى ويحكم ويقضي بما يقضي به الله عزّوجلّ ـ والله يقضي بالحق ـ ويسلك سبيل الله جلّ وعلا ولايتعدّاها: «وما تشاؤن إلّا أن يشآء إن الله كان عليماً حكيماً» الانسان: ٣٠)

وقد كان داود عليه السّلام مظهر كليّات الأحكام الأسمآئية والصفات الربانية والآثار الروحانية والقوى الطبيعية ومجتمعها، فاستحق لظهور مقام الخلافة وأحكامها وأحكام الحكمة وفصل الخطاب، ولذلك فرّع على جعل خلافته قوله تعالى: «فاحكم بين الناس بالحق» وهذا يؤيّد أن المراد بجعل خلافته إخراجها من القوّة إلى الفعل في حقّه لامجرّد الخلافة الشأنية لأنّ الله تعالى أكمله في صفاته وآتاه الملك يحكم بين الناس.

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر سليم القلب طيّب الولادة أن الخلافة كالرسالة والنبوّة والإمامة تكون بالإختصاص الإلهي، وليست بكسب ولا مجازاة عن عمل أو ثواباً عن سابق حسنة وطاعة تكون الخلافة... نتيجةً عنها، ولا لشكر أو عبادة متوقّعة منهم عليها، وإذا كانت كذلك فلاتحصل لأحد بتعمّل وكسب وعمل كما

توهمه البسطآء وجمود الأفكار.. فلن ينال بها أحد من انتخاب الناس، فالمنصوب من قِبَل الناس صالحاً كان أم فاسداً، مؤمناً كان أم كافراً، بارّاً كان أم فاجراً، وعالماً كان أم جاهلاً لا يطلق عليه الخليفة... فانها منصب إلهيّ لا يطلق على أحد إلّا أن يكون منصوباً من قبل الله عزوجلّ.

وقوله تعالى: «فاحكم بين الناس بالحق...» فاحكم يا داود بين الناس بما أنزلناه إليك ولا تتّبع هوى نفسك ولا أهوآء الناس عما جاءك من الحق، فتؤثر الهوى في حكمك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق، فيضلك عن طريق الحق، فيميل بك إتباعك الهوى في حكمك على العدل والعمل بالحق عن سبيل الله الذي جعله لأهل الايمان بك، فتكون أنت والناس كلهم من الهالكين بضلالك عن سبيل الله، إنّ الذين يعدلون عن سبيل الله في الدنيا لهم عذاب شديد في الدار الآخرة بسبب ما تركوا العمل بالحق وبما تركوا سلوك طريق الله تعالى في الحياة الدنيا: بسبب نسيانهم يوم الحساب.

٢٧ـ (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

وما أوجدنا السمآء وما فيها من بروج زينة ومنافع للانسان: «تبارك الذي جعل في السمآء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً» الفرقان: ٦١) «وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣)

وما أوجدنا الأرض وما فيها من البحار والجبال... وما فيها من فوآئد في ظاهرها وباطنها للانسان: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩) «وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الرعد: ٣)

وما أوجدنا ما بين السمآء والأرض من الخلائق والعجآئب مما يعلمه الانسان وما لا يعلمون: «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» يس: ٣٦) «وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً» الاسراء: ٨٥)

ما أوجدنا شيئاً من ذلك باطلاً لا غاية له، ولا عبثاً ولهواً وجزافاً لا حكمة فيه.

قال الله تعالى: «إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً على جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» آل عمران: ١٩٠-١٩١)

وقال: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقنا هما إلّا بالحق ولكنّ أكثرهم لا يعلمون» الدخان: ٣٨-٣٩)

فلا كريم بلا بذل وعطآء، ولا قادر بلا مقدور عليه، ولا خالق بلا خلق وايجاد، وإلّا تعطّلت الصّفات وكان وجودها وعدمها بمنزلة سوآء، وإنّما خلقنا الكون ونواميس الوجود مشتملة على حكم باهرة وأسرار بالغة ومصالح جمّة، خلقناها ليعرف الانسان خالقه، خلقنا كل شئ منها على اسلوب وحيد يدل على وجود الخالق و وحدانيته، على كمال علمه وحكمته، وعلى غاية تدبيره وقدرته: «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كل شئ قدير وأن الله قدأحاط بكل شيئ علماً» الطلاق: ١٢) «وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر اولوا الألباب» ابراهيم: ٥٢)

وفي الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن اعرف فخلقت الخلق لكلّ أُعرف فبى عرفوني»

وإنّما خلقنا العالم ومنه الانسان، وأرسلنا إليهم رسلنا ليعرفوني ويعبدوني وينتهوا إلى أمرنا ونهينا: «وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦) «ولقد بعثنا في كلّ امة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» النحل: ٣٦)

«أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون» المؤمنون: ١١٥)

«ذلك ظن الذين كفروا» بالله تعالى وبرسله بآياته وجحدوا البعث والحساب والجزآء الذين لم يعرفوا خالقهم ولا عظمته ولا قدرته وتدبيره جل وعلا.

«فو يل» كلمة تقال لمن يستحق الخزى والدمار والهلاك والعذاب الشديد في الدار الآخرة لفساد اعتقاده وسوء أعماله في الحياة الدنيا، فويل للذين كفروا من نار

جهنم وعذابها.

ففي الآية الكريمة إحتجاج على لزوم البعث والحساب والجزآء من طريق الغايات بأنّه لو لم يكن خلق السمآء والأرض وما بينهما ـ وهي امور مخلوقة مؤجّلة توجد وتفنى ـ مؤدّياً إلى غاية ثابتة باقية غير مؤجّلة لكان باطلاً لا غاية له، وهو ممتنع التحقق في الأعيان وهو مستحيل من الحكيم الخبير العليم ولا ريب في حكمته، وتدبيره وعلمه عزوجل، فخلقنا الانسان لغرض حكمى، ثمّ نميتهم، ثمّ نعيدهم بعد موته إلى حياة اخرى، فنحاسبهم فيها على القليل والكثير...

٢٨ ـ (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار)

أم نجعل الّذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وبآياته وباليوم الآخر، وأطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وائتمروا بما أُمِروا به، وانتهوا عما نهوا عنه، وعملوا ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وسعوا في إصلاح حالهم ورشد الجامعة وصفائها وكمالها... كالذين يفسدون في الأرض بكفرهم وطغيانهم، بمخالفتهم أوامر الله تعالى ونواهيه، وبايذاء رسول الله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ببغيهم وجناياتهم وظلمهم وهضم حقوقهم وعداوتهم...؟! أم نجعل الذين اتقوا الله تعالى بطاعته وراقبوه فحذروا معاصيه، ولم يدسّوا أنفسهم بفعل شئ من الآثام... كالفجّار الذين يسعون في الأرض فساداً وينتهكون حرمات الله تعالى ونواميس الاسلام والمسلمين؟!

أنسوّى بين المؤمنين الأخيار والكافرين الأشرار، بين المتقين الأبرار والمفسدين الفجّار الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين عليهم صلوات الله؟ وكيف يكون كذلك، والمؤمنون والمتقون يستحقّون الثّواب بإيمانهم وصالح أعمالهم وتقواهم، والكافرن الفجّار يستحقون العقاب بكفرهم وإفسادهم وجناياتهم في الأرض... قال الله عزّوجل: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون أما الّذين آمنوا وعملوا

الصّالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذّبون» السجدة:١٨-٢٠)

وقال: «لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون» الحشر: ٢٠)

ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا جزآء كما ظنّوا لاستوت حال الطائفتين، ولكن لايستقيم مع العدل الإلهي أن يستوي مصير المؤمن والكافر، مصير الموحّد، والمشرك، مصير المصلح والمفسد، مصير المطيع والعاصي، مصير العادل والباغي، مصير البار والفاجر، ومصير المحسن والمسيئ...

إذا كان العدل والعلم والحكمة والتدبير حاكماً على نظام التكوين، فكيف كان نظام التشريع والجزآء محكوماً للجور والجهل والسفه والجزاف؟!

قال الله تعالى: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» الزمر: ٩)

وقال: «وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحيآء ولا الأموات» فاطر: ١٩-٢٢)

وقال: «قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكّرون» الأنعام: ٥٠)

أو لايدل العدل المطلق في نظام التكوين على العدل المطلق في نظام التشريع والجزآء سوآء بسوآءٍ فلابد من يوم لإجراء العدل في الجزآء بعد تمام التشريع، فلايمكن أن يكون الفريقان: المؤمنون والكافرون في مركز واحد، وأن يعاملا معاملة واحدة أو أن يترك الصالحون والفاجرون وشأنهم بدون حساب ولاجزآء، فانّ هذا يكون عبثاً وباطلاً، وأن الله سبحانه لم يخلق العالم عبثاً وباطلاً.

٢٩- (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب)

هذا القرآن ذوالذكر كتابٌ، عظيمٌ شأنه، كبيرٌ أمره، وجليلٌ قدره لايعرفه إلّا خاصّ الخواص، انزلنا هذا الكتاب إليك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، كتاب

مبارك ؛ كثير منافعه وبركاته، عظيم فوائده وخواصّه... «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون» الأنعام: ١٥٥) «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» الدخان: ٣) «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١) كتاب مبارك لمن يتلقّى منه العلم والحكمة ويأخذ منه الموعظة الحسنة، ويستضيئ بأضوآئه ويهتدي بهداه، كتاب مبارك فيه خير الانسان وسعادته كلها، فيه صلاح الناس ونجاتهم تمامها، وفيه رشد الجوامع وفلاحها وكمالها... إذا آمنوا به وعملوا فمن التمس الحق والهدى، والخير والرشاد، والعلم والحكمة في غير القرآن الكريم وأهل بيت الوحي عليهم صلوات الله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

قال الله تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» الجاثية: ٢٩)

وقال: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» الاسراء: ١٠٥)

وقال: «فماذا بعد الحق إلّا الضلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣٢)

مبارك لمن تدبّر آياته وتفكّر في مبانيه، في اصوله وفروعه، تفكّر في وعده ووعيده، في أمره ونهيه، وفي عامّه وخاصّه... ويتعظ بمواعظه وزواجره ويتبعه، ويظهر آثار الإتباع في عقآئده وأقواله، وفي أعماله وأخلاقه... فانّ التديّن والعمل بالقرآن الكريم يستديم الإنسان ما أنعم الله تعالى عليه به، وإلّا فكم من قارئ القرآن، والقرآن يلعنه، فمن حفظ حروفه وضيّع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير...

ومن العجيب أنّ بعض الاصوليين المتحجرين والمتفقّهين البسطآء يقولون ـ من غير استحيآء من الله القادر القهّار ـ: نحن لا نقرأ القرآن لئلاّ يلعننا.

قال الله تعالى: «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» الأنبيآء: ٥٠)

وقوله تعالى: «ليدّبروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» أنزلنا هذا القرآن المبارك ليدّبرّ الناس في آياته، وليتذكّر ذوو العقول السليمة.

فالتدبّر في آيات القرآن الكريم كلها هو حكمة نزول الوحي إلى رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله تعالى: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ٢٤)

وقال: «لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون» الحشر: ٢١)

وقال: «المر تلك آيات الكتاب والذي انزل إليك من ربّك الحق ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون» الرعد: ١) ومن لم يتدبّر آيات القرآن الكريم كلها حق التدبر فما آمن به حق الايمان فضلاً عمن لا يتدبّر لا يقرءها.

ومن الأسف جدّاً أنّ المسلمين لا يتدبّرون القرآن الكريم المبارك، بل كثير من الأخصّاء والخواصّ منهم لا يتدبّرونه، ولعمرى: أن العلمآء والفقهاء لواعتنوا وتدبّروا وتدارسوا كلام الخالق بقدر إعتنآئهم وتدبّرهم ودراستهم كلام المخلوق غير المعصومين لما كان المسلمون اليوم على ما يكونون عليه من الذّلّة والهوان، من الخزى والإنحطاط، ومن استثمار ذخآئرهم واستعباد أنفسهم...

وقد قال لي بعض المتفقّهين: نحن لانحتاج إلى تفسير القرآن غير آيات الأحكام لأنّها ليست مورد إبتلآئنا ولذلك لا نراجع إلى التفسير في كل عام مرّة واحدة.

قلت له: لاريب لى: أنّك لا تراجع في آيات الاحكام إلى التفسير أيضاً لأنّ القرآئن الحالية والمقاليّة معاً تدل على أنك قليلاً ما تقرأ القرآن الكريم فضلاً عن تدبّر آياته كما أنّ فلاناً ـ من الاصوليين البسطآء ـ لمّا قرئت عنده آية المسح كان يقول: هي آية أم رواية؟

نعم! لو لم تكن شكوى النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم عند الله عزّوجلّ يوم اليقامة في قوله تعالى: «وقال الرسول يا ربّ إنّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» القرقان: ٣٠) شاملة لأمثالك فلمن تشمله؟ فاذاً لست أنت من اولى الألباب الذين يتدبّرون آيات الله جلّ وعلا بنص القرآن الكريم: «ليدّبروا آياته وليتذكّر اولوالألباب».

ومن غير مرآء أن المراد من القوم في الآية الكريمة ليسوا مشركى العرب، ولا العامّة ولا التجار والسوقى ولا الرعايا ومن إليهم من أصحاب الحرف والصنآئع...

إنّما المراد بالقوم هم أصحاب العلم وعلماء الدّين الذين أخذ الله جلّ وعلا منهم الميثاق ليبيّنوا الحقآئق الدّينيّة والمعارف الإلهية والاصول الإعتقادية الإسلاميّة أوّلاً ثمّ فروعها كما نزل على هذا الاسلوب نفس القرآن الكريم... فانّ مَن لم يعتقد باصول الدّين أو كان ضعيفاً فيها لا يفيده بيان فروعه، فعلى دعاة الدّين الإعتنآء بالاصول والفروع بقدر اعتناء نفس الدّين بهما، ولكن من الأسف أنهم تركوا الاصول الإعتقادية، وتمسّكوا بقِشر فروعها و يفرحون بما يفعلون.

قال الله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران:١٨٧-١٨٨)

ومن أعجب العجآئب: أن بعض الاصوليين المتحجّرين البسطآء قال: يجب على طلاب العلم قراءة كفاية الاصول بدل قراءة القرآن، بعد صلاة الصبح في كلّ يوم، ويجب حفظ الكفاية بدل حفظ القرآن وبدل تعقيبات الصّلوات اليومية! وقد أحصى بعضهم وبيّن عدد: «فيه تأمل ـ فيه تدبر» واردين في كتاب الرسائل (فرائد الاصول) للشيخ مرتضى الأنصارى على سبيل الإفتخار! فقيل له: كم عدد السور القرآنيّة؟ قال: كان القرآن للمخاطبين في زمن الوحى، ولا حاجة لنا إليه والعلم به مع وجود كلام شيخنا الأعظم الأنصارى عندنا.

ولعمرى! لا تمكن هداية الناس ولا إرشاد الجوامع البشرية إلى الحق والصلاح، إلى الخير والكمال، وإلى السعادة والنجاة إلّا بالقرآن الكريم وقرينه أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله عزّوجلّ: «فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون» النحل:٤٣-٤٤).

لا خير ولا بركة ولا فائدة... إلّا فيهما معاً، وليس غير كتاب الله تعالى هادياً يهدى إلى الحق والفلاح، فاهتدوا أيّها المسلمون والعلماء بهدى كلام الله جلّ وعلا واسلكوا في عقائدكم وأقوالكم وأعمالكم ما أرشد إليه القرآن المجيد وتذكّروا مواعظه وزواجره واعتبروا بمن كان قبلكم فارعووا عن مخالفته، ولا تسلكوا غير سبيله، فيحلّ بكم مثل ما حلّ بالغابرين، وتستأصلوا كما استأصل السابقون ممن سعوا في الأرض فساداً لا شتغالهم بكلام المخلوق وتركهم كلام الخالق.

٣٠ ـ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب)

ويقول الله تعالى: وهبنا لداود إبناً إسمه سليمان، نعم العبد سليمان لأنّه كان كثير الرجوع إلى الله عزّوجلّ في جميع شئونه، وكان كثير الطاعة والعبادة، وكثير التوبة والإنابة إلى ربّه في أكثر الأوقات وفي جميع المهمّات... مع كونه ملكاً قويّاً مانال بمثل ملكه أحد قبله ولا بعده حتّى اليوم، ولكنّه كان لا يلهيه الملك والقدرة والسلطة والعَدَد والعُدَد... عن ذكر الله جلّ وعلا إذ كان يعتقد بأنّ كلّ شيء من الخير لا يتمّ إلّا باعانته وتوفيقه.

٣١ ـ (إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد)

حين عُرِضت على سليمان بن داود عليهما السّلام بأمره بعد الظهر، الخيل العراب الخوالص السراع.

الصافات هي الخيل الواقفة على ثلاث قوائم، الواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض، كأنّها مهيّآة للحركة السريعة باشارة أو ركض، ولا يكاد يكون ذلك إلّا في العراب الخلص وهو نعت جيّد للخيل وصفة مرغوبة فيها لأنّها من علامات الكَرَم والأصالة في الخيل، تدل على قدرتها على الجرى السريع، وتحفزها له برفع إحدى يديها لتكون على طرف الحافر أو بقيامها على ثلاث قوآئم وتكون رابعتها على طرف الحافر.

«الجياد»: السريعة المشي، الواسعة الخطو، شديدة الحُضر كما يقول للانسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها، فالجياد جمع جواد وهو جيّد الجرى، إذا وقفت

كانت ساكنه مطمئنّة في مواضعها ومواقفها على أحسن الأشكال، وإذا اجريت كانت سراعاً في جريها، فاذا طلبت لحقت، وإذا طلبت لم تلحق.

وقد وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين وصفين ممدوحين: واقفة وجارية: واقفة وجارية، فاذا وقفت كانت ساكنة مطمئنّة في مواقفها، واذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها.

وأماذوات الحافر الاخرى كالحمير والبغال والخيل غير الكريمة فانّها تقف على قوآئمها الأربعة متمكّنة من الأرض على سوآء.

بدالسليمان بن داود عليهما السّلام في مسآء يوم من الأيّام أن يستعرض ما أعدّه للحرب من رباط الخيل، إذ كان رباط الخيل مندوباً في شرعه كما في شرعنا: وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل...» الأنفال: ٦٠)

فجلس سليمان عليه السّلام بعد صلاة الظهر على كرسيّه، وأمر باحضار الخيل لينظر إليها ويتعرّف أحوالها ومقدار صلاحيتها للقيام بالمهام الّتي توكل إليها حين الغزو وغيره وذكر أنّي لا أحبّها لأجل الدّنيا وحفظ النفس، وإنّما أحبّها لأمر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله:

٣٢ ـ (فقال إنّي أحببت حب الخير من ذكر ربّي حتّى تورات بالحجاب)

ولم تزل تعرض الخيل على سليمان حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار وغفل سليمان عليه السّلام عن صلاة العصر فعندئذ تذكر فقال: إنّي شغلنى حبّ الخيل ـ حين عرضت عَلَيَّ ـ عن صلاة العصر حتّى فات وقتها بغروب الشمس.

وقد كان سليمان عليه السّلام يحبّ الخيل في الله جلّ وعلا ليتهيّأ به للجهاد في سبيل الله تعالى فكان الحضور للعرض عبادة منه، فشغلته عبادة عن عبادة غير أنه يعدّ الصّلاة أهمّ. وان العرب تسمّي الخيل خيراً كأنّها نفس الخير لتعلق الخير بها كما جآء في الحديث: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» وفي الحديث: «لمّا وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال له: أنت زيد الخير» والخير هو الخيل سُمّيت خيراً لأنّها مظهر من مظاهر النعمة حيث لا يملكها إلّا أصحاب

الثراء والجاه فحيث كانت الخيل كان الخير معها.

وقد شبّه غروب الشمس بتواري المخباة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة «العشى» عليها.

فحين عرضت الخيل بعد الظهر على سليمان عليه السّلام وهو على كرسيّه، فيرى كثرة خيله تجرى بين يديه بسرجها ولجمها، يستعظم هذه النعمة، ويرى أنّها شيء كثير، يرى الخيل تطلع عليه في جمالها وروآئها وروعة منظرها، وهذا الحب للخيل هو شهوة متمكّنة في النفس، وللخيل في ذاتها شهوة كشهوة المال، ولها في النفوس موقع لا يعرفه إلّا مَن عرف الخيل وشقف بها كما قال الله تعالى: «زيّن للناس حبّ الشهوات من النسآء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث...» آل عمران: ١٤)

وهكذا ظلّ سليمان عليه السّلام يستعرض الخيل، حتّى دخل الظلام، فتوارت الشمس عن نظره بحجاب الظلام، فلم يعدیری ملامحها ويتحقق من شياتها، وما ينكشف لعينيه من أعضآئها الّتي تعطى الصفة الملآئمة لكلّ جواد منها، فمازال ينظر إليها ويستعرض بعينه تناسب أعضآئها وتناسق بنآئها حتّى استترت الشمس عنه بهذا الحجاب الّذي أرخاه الليل عليها إذ كان عرضها في اخريات النهار.

٣٣ ـ (ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)

فقال سليمان عليه السّلام بأمرالله تعالى للملائكة الموكّلين بالشمس: ردّوا الشمس عَلَيَّ حتّى اصلى العصر في وقتها، فلمّا ردّوها عليه قام من كرسيّه، فمسح ساقيه وعنقه وأمر أصحابه الّذين فاتتهم الصّلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصّلاة ثمّ قام فصلّى، فلمّا فرغ من الصّلاة غابت الشمس وطلعت النجوم.

وقد كان ردّ الشمس لسليمان بن داود عليهما السّلام من معجزاته، وقد اتفق مثل ذلك ليوشع بن نون، ولمولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وسيأتي منّا بحث في ردّ الشمس في تفسير سورة «الشمس» تفصيلاً إن شآء الله تعالى فانتظر.

٣٤ ـ (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثمّ أناب)

قال الله تعالى: واقسم بالله انّا اختبرنا سليمان بن داود عليه السّلام بفقدان الولد ـ وقد كان سليمان عليه السّلام حريصاً على كثرة الأولاد ـ ولمّا وُلِدَ له وَلَدٌ بعد سنين، استرضعه في المزن وهو السحاب، خوفاً من مضرّة الشياطين، وألقينا ولده على كرسيّه في حجره جسداً ميتاً، تنبيهاً على أنّ الحذر لا ينفع عن القَدَر، فتنبّه على خطيئته إذ لم يتوكل فيه على ربّه، فاستغفر ربه وتاب إليه، ورجع عمّا كان عليه من الحرص على كثرة الأولاد، فرضى بما رضيه الله تعالى له.

٣٥ ـ (قال ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنّك أنت الوهّاب)

قال سليمان بن داود عليه السّلام ـ في مقام التذلّل والخضوع لله تعالى وحده ـ: ربّ اغفرلي أوّلاً وهب لى ملكاً لا ينبغي لاحدٍ غيرى من ملوك الدّنيا المختارين المنتخبين من قبل الناس وآرآئهم، ومن ملوك يملكون ويسلطون على الناس بالغلبة والجور والإجبار.. ثانياً فاجب طلبى وحقق رجآئي لانك انت الكثير المواهب والعطايا... تهب الملك والنبّوة لمن تشآء إذ بيدك خزائن كلّ شي ء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

٣٦ ـ (فسخّرناله الريح تجرى بأمره رخآء حيث أصاب)

فاستجبنا لسليمان عليه السّلام دعآئه إذ جآء ربّه بقلب سليم منيباً إليه، فأعطيناه ملكاً جديداً عجيباً حقاً لم يسبقه مثله أحد ولا ينبغي لأحد من بعده من الملوك والسلاطين والامرآء... فسخّرناله الريح مكان الخيل الّتي شغلته عن الصّلاة ـ تجرى له بأمره رخوة لينة ليست بعاصفة، لينة مع قوّتها وشدّتها حتّى لا تضرّ بأحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه، فانها كانت مسخّرة مطيعة له تجرى بسهولة حيثما أراده وإلى أيّة جهة قصدها، فتنقله إلى حيث شآء بلا خدم ولا حرس ولا حشم...

قال الله تعالى: «ولسُليمان الريح غدوّها شهرو رواحها شهر» سبأ: ١٢)

٣٧ ـ (والشياطين كلّ بنّاء وغواص)

وسخّرنا لسليمان عليه السّلام شياطين الجن، كلّ بنّاء مِنهم في البرّ يعملون له مايشآء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، و يبنون له ما أراد من

العمآئر والقصور والحصون والقناطر ومن الأبنية الرفيعة العجيبة الّتي يعجزها الناس عن مثلها، كانوا ينجزونها له في الزمن القصير، وكلّ غوّاصٍ منهم في البحر يغوصون له في قعر البحار ويستخرجون له أنواع اللؤلؤ والحليّ والئالي والجواهر من البحار، وهو عليه السّلام أوّل من استخرج الدّرّ من البحر.

قال الله تعالى: «ومن الجن مَن يعمل بين يديه باذن ربه ـ يعملون له مايشآء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» سبأ: ١٢-١٣).

وقال: «ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك» الأنبيآء: ٨٢)

٣٨ ـ (وآخرين مقرّنين في الأصفاد)

وسخّرنا لسليمان عليه السّلام طائفة آخرين متمرّدين من شياطين الجن لا يلبّون دعوة الداعي ويخالفون عما أُمِروا به، ويخرجون عن أمره وطاعته عليه السّلام ويعصونه ويتمرّدون عن العمل، فسخّرناهم بنوع آخر من التسخير فانّهم يوضعون في السلاسل والأغلال ويشدّ بعضهم إلى بعض، ويقرن بعضهم مع بعض في القيود، ويجمع أيدى بعضهم إلى أعناقهم، وبعضهم يجمع أرجلهم إلى أيديهم، وبعضهم يجمع أرجلهم إلى أعناقهم لأنحآء التمرد والعصيان ولأنواع الجرم والطغيان... كلّ ذلك للتأديب والكف عن الفساد واتقآء شرهم.

قال الله تعالى: «ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير» سبأ: ١٢) إنّ الله تعالى لم يسخّر ما سخّر لسليمان بن داود عليه السّلام لأحد قبله ولا لأحد بعده من ملوك الدنيا! المنصوبين من قبل الناس، والغالبين عيلهم بالجور والإجبار.

٣٩ ـ (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)

لـمّا وهبنا لسليمان عليه السّلام ملكاً لا ينبغي لأحد بعده ولم يسبقه أحد قبله من أكابر ملوك الدّنيا، وسخّرنا له الريح والشياطين كلّهم... قلنا له: إنّ هذا الّذي أعطيناكه من الملك العظيم والبسطة في الغنى والتسليط على عالم لم يسلّط عليه غيرك ـ قبلك ولا بعدك من أكابر الملوك ـ من العوالم الاخرى ـ المك الذي لا مثيل له ولا نظير، هذا عطاؤنا الخاص بك، عطاء ينبوع فوّار لا ينضب ولا ينقص، عطآء

لا يكاد يقدر أحد على حصره، وجمّ كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر، فأعط منه ما شئت لمن شئت من الإنس والجن... أو أمسك عن العطآء وامنع منه مَن شئت، فان الإعطآء والإنفاق منه تماماً كالإمساك والمنع لا ينقص منه شيئاً لكثرته كرطوبة خيط من البحار كلها... فأنت مختار في الإعطاء منه والإمساك عنه، إذ أبحنا لك أن تتصرف في كل هذا الملك الواسع كما شئت من دون رقيب ولا حسيب، فزمام التّصرف مفوّض إليك، فلا حرج عليك ولا حساب فيما تفعله، ولا تبعة عليك، فأنت غير محاسب على شيء من ذلك وهذا أهنأ لك.

قال الله تعالى: «إن هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٥٤).

وفي ذلك تنبيه على الناس عامة وعلى الملوك والأغنيآء خاصّة بأن العطاء والإنفاق والإحسان لا ينقص من الرزق شيئاً كما أنّ الإمساك والبخل والمنع لا يزيد عليه شيئاً، وأنّ زعم النقص والزيادة من الذين لا يؤمنون بالآخرة وأما المؤمنون فيزيدون على رزقهم بالعطآء والإحسان...

قال الله تعالى: «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» فاطر: ٢٩-٣٠)

وقال: «قل إنّ ربي يبسط الرزق لمن يشآء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» سباء: ٣٩)

وقال: وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السميع العليم» العنكبوت: ٦٠)

وقال: «وفي السمآء رزقكم وما توعدون» الذاريات: ٢٢)

وقال: «قل لو أنتم تملكون خزآئن رحمة ربي لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً» الاسراء: ١٠٠)

وقال: «وقالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشآء» المآئدة: ٦٤)

٤٠ ـ (وإنّ له عند نالزلفى وحسن مآب)

وإن لسليمان عليه السّلام ـ مع مانال به من الملك العظيم والسلطان والسيطرة على بعض القوى الكونية من الحياة الدّنيا ـ بسبب إنابته وتوبته إلينا وطاعته لنا وحده في كلّ حال، له عند نالقربى في الدرجات وكرامة عظيمة لدينا في الدار الآخرة، زيادة على ما أعطيناه في الحياة الدّنيا، وإنّ له عليه السّلام حسن مصير ومرجع في الآخرة، وهذا من أعظم النعم الالهية فانّها باقية لا تنفد، وإن ملك الدنيا وإن لم يكن له نظير، ولكنّه زائل يوماً.

قال الله تعالى: «ما عندكم ينفد وما عندالله باق» النحل:٩٦)

وان سليمان بن داودعليه السّلام كما كان سعيداً في الدّنيا يكون سعيداً في الاخرة فنبوّئنه جنّات النعيم ونؤتيه الإجلال و التعظيم.

٤١ ـ (واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب)

قال الله عزّوجلّ آمراً لنبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم: اذكر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم لقومك في كلّ ظرف، اذكر لهم عبدنا أيّوب عليه السّلام وصبره على بلائه إذ نادى ربّه مستغيثاً به فيما نزل به من أنواع البلآء: يا ربّ إنّي مسنّى الشيطان بتعب ومشقّة وزجر كما في قوله تعالى: «وما ذبح على النصب» المآئدة:٣) يا ربّ «أنّي مسنّى الضرّ» الأنبيآء:٨٣) الذي قديكون محنة واختباراً وتعريضاً للثواب بالصبر عليها، والعوض العظيم في مقابلتها، وقدكان مرض أيّوب محنة في جسمه وأهله وماله بلغ مبلغاً عظيماً لكون اللطف والمصلحة فيها، وعلينا الاقتدآء به في الصبر على المكاره... لمّا بلغ الابتلاء غايته وتناهى الضّرّ نهايته، ولم ينقص من أعماله وطاعاته وأذكاره وأنواع شكره شيئاً، ولم يظهر الشكوى والجزع حتّى تمّت الحجّة على الشيطان اللعين وعلى غيره من الشياطين، فاذن نادى ربّه: «أني مسنى الشيطان...».

٤٢ ـ (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

إنّ أيّوب عليه السّلام صبر زمناً طويلاً ـ سبع سنين أو عشر سنين أو ثمانية عشر عاماً

أو ثلاثين عاماً أو أربعين عاماً على ماورد فيه من الإختلاف - لا يشكو، فلمّا شكا و دعا ربّه أرسل إليه ملكاً، فجآئه يوماً، فأخذ بيده فقال له: قم يا أيّوب، فلمّا قام، نحّاه عن مكانه، وقال له: يا أيّوب إضرب برجلك على الأرض، وقد ضرب أيّوب برجله كما أمره، فتفجّر منها نبع من المآء، فقال له الملك : هذا مغتسل إغتسل فيه - أي المكان - من هذا المآء فلمّا اغتسل فيه منه إلتأم ما به من المرض الجلدى، ثمّ قال له: اشرب من هذا المآء فانّه بارد عذب قابل للشرب، فلمّا شرب إلتأم مافي جوفه من المرض المعدوى فذهب عنه كلّ دآء كان بباطنه وظاهره، فبرأه الله عزّوجلّ من أنواع مرضه بالاغتسال والشرب من هذا المآء المعجز.

٤٣ - (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لاولى الألباب)

ووهبنا لأيّوب عليه السّلام أهله الّذين كانوا ماتوا قبل الإبتلاء، وأهله الّذين ماتوا وهو في بحبوحة الإبتلاء والمحن إذ أحييناهم كلّهم بأعيانهم... فعلنا ذلك به لرحمة عظيمة شاملة له عليه السّلام من قبلنا لا يقدر قدرها، وفعلنا ذلك تذكيراً وموعظة لأصحاب العقول، فيعرفوا حسن عاقبة الصبر، فيصبروا على الشدائد والمحن كما صبر، ويلتجؤوا إلى الله جلّ وعلا فيما يحيق بهم كما لجأ، وينتظروا الفرج بالصبر على المصائب والبلايا كما صبر، فيعبّروا ويتعظوا لأنّهم إذا ذكروا بلآء أيّوب عليه السّلام وصبره عليه ومحنته له وهو أفضل أهل زمانه، ونبيّ من أنبيآء الله تعالى وطنوا أنفسهم على الصبر على محن الدنيا وبلائها نحو ما فعل أيّوب عليه السّلام

فيكون هذا تنبيهاً لهم على إدامة العبادة وصالح الأعمال... فيفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة.

قال الله تعالى: «فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين» الأنبيآء:٤٨)

٤٤ - (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولاتحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب)

وخذ بيدك يا أيّوب عذقاً مشتملاً على مأة شمراخ، فاضرب به أمرأتك ضربة واحدة حتّى تخرج من يمينك ولا تأثم فيه.

الضعث: الخليط من كلّ شي ء. قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان» والمراد بالضغث هنا مجموعة من العِذق ـ بالكسر ـ وهو من النخل كالعنقود من العنب، والعنقود من العنبِ.

وذلك أنّ ايّوب عليه السّلام حلف بالله تعالى حال مرضه بسبب كلام تكلّمت إمرأته به ولم يرض الله عزّوجلّ به: لئن شفاه الله تعالى ليجلدنها مأة جلدة وكان من لطف الله عزّوجلّ به وبامرأته أن جعل تحلّة يمينه بأن يضربها بعذق يحمل مأة من الشّماريخ بعدد ما حلف به.

وقوله تعالى: «إنّا وجدناه صابراً» على البلاء والمحن... وما كان شكواه إلى الله جل وعلا من الشيطان جزعاً وإنّما كان شكراً، حيث إنّ الشكاية على أربعة أوجه:

الاولى: الشكاية من الحبيب إلى غير الحبيب وذلك يقتضي البراءة من الحبيب.

الثانية: من غير الحبيب إلى الحبيب وهي تقتضي التشريك في المحبّة.

الثالثة: من غير الحبيب إلى غير الحبيب وهي تقتضي البراءة اطلاقاً.

الرابعة: من الحبيب إلى الحبيب وهو عين التفريد والتوحيد ثم إنّ هذه الشكاية ظاهرها شكاية وباطنها شكر لأنّ معناها أنّه ليس لي بدّ منك وليس لى أحد سواك ولهذا قال أيّوب عليه السّلام: «أنّي مسنى الشيطان» وقال تعالى: «إنا وجدناه صابراً...» كأنّه قيل: لو شكامنّا إلى غيرنا أو من غيرنا إلى غيرنا لكان هذا قدحاً في كونه صابراً ولكنّه شكامنّا إلينا فبقي صابراً كما كان، فانّه لم يقل: «يا أيّها الناس أني مسنى الشيطان...» بل «نادى ربّه أني مسنى الشيطان» فعرض عجزه على قدرة مولاه وذلّه على عزته وحاجته على غناه وهذا معنى: «أعوذ بك منك» إذ نحن سلّطنا الشيطان على جسده وكان قلبه سليماً منيباً إلينا، فالجزع إلى الله جلّ وعلا هو عين الصبر.

وقوله تعالى: «نعم العبد إنّه أوّاب» نعم العبد أيّوب فانّه كان مطيعاً لله تعالى ومقبلاً إلى طاعته، وكثير الرجوع إليه في كلّ حال.

وقد سُئلَ بعض الظرفآء عن عبدين: ابتلى أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر؟ فأجاب: كلاهما سوآء لأنّ الله عزّوجلّ أثنى على عبدين: أحدهما صابر والآخر شاكر ثنآءً واحداً إذ قال في وصف سليمان بن داود عليهما السّلام: «نعم العبد انه أوّاب»: ص: ٣٠) وفي وصف أيّوب عليه السّلام: «نعم العبد إنّه أوّاب».

٤٥ ـ (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب اولى الأيدى والأبصار)

واذكر يا محمّد لقومك ولامتك عبادنا: إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب عليهم السّلام ليقتدوا بهم في حميد أفعالهم وكريم أخلاقهم، فيستحقّوا بذلك حسن الثنآء في الدّنيا، وجزيل الثواب في العقبى، إذ لهم فيهم اسوه حسنة، فانهم كانوا أصحاب القوّة في العبادة لله تعالى وحده والصلابة في الدين، وأصحاب البصيرة في الحق وأسراره وأصحاب المعرفة في الشريعة وحِكَمها... قال الله تعالى: «ووهبناله إسحق ويعقوب كلاً هدينا ـ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلّا ذكرى للعالمين» الأنعام: ٨٤-٩٠)

وقال: «ووهبناله إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلاة وايتآء الزكاة وكانوا لنا عابدين» الأنبيآء: ٧٢-٧٣)

٤٦ ـ (إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)

إنّا جعلنا إبراهيم وإسحق ويعقوب خالصين لنا بخصلة خالصة فيهم لا شوب فيها وهي تذكّرهم الدار الآخرة في كل حال، والعمل لها والزهد عن غيرها، ولذلك نزعنا من قلوبهم حبّ الدّنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها، فأخلصوا العبادة والأعمال لله تعالى، وعلى خلوصهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ويدعونهم إلى طاعة الله تعالى والعمل للدار الآخرة.

قال الله تعالى: «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان

سعيهم مشكوراً» الاسراء: ١٩).

قال الله تعالى: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنّة عالية» الغاشية: ٩-١١)
وقد كان مطمح نظر هؤلآء الأبرار من الأنبيآء صلوات الله عليهم أجمعين فيما يأتون ويذرون، رضا الله تعالى وجواره والفوز بلقائه، فأخلصهم الله تعالى لنعيم الجنان بلطفه فيما لازموه من إخلاص العبادة والعمل لله تعالى وحده، فلمّا أخلصوا العمل والعبادة لله تعالى وحده، أخلص الله لهم الجنّة وأخلصهم لها.

الإخلاص هو إخراج كلّ شائب من الشيء ليس من شكله. وفي إطلاق الدار إشعار بأنّها هي الدار الحقيقية والدّنيا معبر لها.

٤٧ ـ (وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)

وإنّ هؤلآء الخيرة المشهورين من الأنبيآء عليهم السّلام لما أخلصناهم به في مقام عظيم عندنا بحسب ما سبق في علمنا، فانّهم لمن الّذين اصطفيناهم من الأدناس، واخترناهم من بين أبنآء جنسهم للنبوة وتحمّل أعبآء الرسالة إلى خلقنا، فانّهم القدوة لسآئر الناس في المعرفة بالله جل وعلا وفي الطاعة الله تعالى وحده وفي صالح الأعمال وكرآئم الأخلاق، وهم أخيار عندنا في الدار الآخرة.

قال الله تعالى: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» الدخان: ٣٢)

وقال: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير» الحج: ٧٥)

٤٨ ـ (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار)

واذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لقومك وامتك إسمعيل واليسع وذا الكفل ليقتدوا بهم في منهج الحق والصلابة في الدّين، ويسلكوا طريقتهم في تحمل الشدآئد والصبر على البلاء والمحن... وكلّ هؤلآء عندنا من الأخيار الذين اصطفيناهم للنبوّة وتحمّل أعبآء الرسالة، ورفعنا أقدارهم وخصصناهم ببرّنا وكرامتنا لما كانوا عليه من كمال البصيرة في الدّين والصلابة في طريق الحق، ومن حسن الطاعة وصالح الأعمال...

قال الله عزّوجلّ: «وإسمعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنّهم من الصالحين» الأنبيآء: ٨٥-٨٦)

٤٩ ـ (هذا ذكروإن للمتقين لحسن مآب)

هذا القرآن ذو الذكر الذي أنزلناه إليك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ـ ومنه قصص تسع من كبار الأنبياء المذكورين في هذه السورة ـ هو ذكر للعالمين فذكّر به الناس أجمعين، وما يتذكّر به إلاّ مَن له قلب منيب.

قال الله تعالى: «إن هو إلاّ ذكر للعالمين» ص: ٨٧).

وقال: «فذكّر إنّما أنت مذكّر» الغاشية: ٢١).

وقال: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر» القمر: ١٧).

وقال: «وما يتذكّر إلاّ من ينيب» غافر: ١٣).

وقال: «فانّما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّاً» مريم: ٩٧)

وقوله تعالى: «وإن للمتقين لحسن مآب» وإنّ للذين يتقون ربّهم في كلّ حال، ويأتمرون بما أمِروا به، وينتهون عمانهوا عنه، لهم حسن مرجع وعاقبة خير، فانّ التقوى خير زاد، فلها خير جزآء في الدار الآخرة.

قال الله تعالى: «تزوّدوافانّ خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الألباب» البقرة: ١٩٧).

وقال: «تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقياً» مريم: ٦٣)

وقال: «ولدار الآخرة خير ولنعم دارالمتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها مايشآؤن كذلك يجزى الله المتقين» النحل: ٣٠-٣١)

وقال: «لكن الذين اتقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجرى من تحتها الأنهار» الزمر: ٢٠).

٥٠ ـ (جنات عدن مفتّحة لهم الأبواب)

مستقرّ المتّقين ومآبهم في جنات عدن وبساتين خلود وإقامة، فتحت لهم أبوابها بالأمر لا بالمس إكراماً لهم، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، عرضها

كعرض السموات والأرض، فيها قرّة العيون، مشاهدة أحوالها تسرّ الناظرين، وفيها من النعم مالا عين رأت، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمراً حتّى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» الزمر: ٧٣)

وقال: «ومساكن طيّبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧٢).

وقال: «وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السموات والأرض اعدّت للمتقين» آل عمران: ١٣٣)

٥١ ـ (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)

هؤلآء المتقون حالكونهم جالسين في مساكنهم جلسة الملوك والأشراف والأعزّة مستندين فيها على السرر، ناعمين فيها بماتشتهيه أنفسهم من أنواع الفاكهة على كثرتها، وألوان الشراب لا يقدر قدرها، فهم يتحكّمون في أنواع ثمار جنات غدن وأنحآء شرابها، فاذا قالوا لشيء منها: اقبل حصل عندهم من دون حاجة إلى من يحمله ويناوله، ولا هم يعملون عملاً في سبيل ما يشتهون فانّ كلّ شيء حاضر عتيد بين أيديهم، فما عليهم إلّا أن يشتهوا، فيجدوا ما اشتهوه حاضراً، فيأكلون فيها ما يشآؤن ويشربون فيها ما يشتهون... مالم تره عين، ولم تسمعه اذن ولم يخطر على قلب بشر.

قال الله تعالى: «إن المتقين في جنات ونعيم ـ متكئين على سرر مصفوفة وزوّجناهم بحور عين» الطور: ١٧ـ٢٠)

وقال: «ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون نزلاً من غفور رحيم».

وقال: «إنّ المتقين في ظلال وعيون وفواكه ممّا يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» المرسلات: ٤١-٤٣)

٥٢ ـ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب)

وبين يدى هؤلآء المتقين في جنّات عدن فتيات جميلات، خاشعات الأبصار

حيآء ًوخضراً، قاصرات أطرافهن على سيما أزواجهن، قاصرات قلوبهنّ على محبّة أزواجهن فانهنّ راضيات قانعات بهم، فما لهنّ في غيرهم رغبة ولا بُغية فلا يردن غير أزواجهنّ، وقاصرات أسماعهنّ إلى أزواجهن فلا يلتفتن إلى سواهم، وهنّ متساويات على صورة كاملة في السنّ والشباب، ومتماثلات على ميزان واحد في الحسن والجمال، مستويات الخلقة والقامة والصورة حتّى يكنّ متشاكلات، فلا شماتة بينهن، فيحبّ بعضهنّ بعضاً.

كلهنّ عاشقات رفيقات ملازمات لأزواجهنّ من غير تباغض ولا تحاسد بينهنّ وليس في أيّ منهنّ زيادة لمستزيد، ولذلك يتنفّس فيهنّ كلهنّ أزواجهنّ من دون فرق بينهنّ في التنافس، وفي ذلك راحة عظيمة للأزواج إذ في تباغض الضرآئر وتحاسد هنّ نَصَبٌ وتَعَبٌ وَهمّ وغمٌّ كثير للأزواج ولهنّ.

قال الله تعالى: «وعندهم قاصرات الطرف عين كأنّهنّ بيض مكنون» الصافات: ٤٨-٤٩).

وقال: «فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان» الرحمن: ٥٦)

٥٣ - (هذا ماتوعدون ليوم الحساب)

يقال لهؤلآء المتقين - وهم في جنات عدن -: هذا المذكور من أنواع النعيم وأقسام الكرامات هو الذي كنتم في الحياة الدّنيا توعدون به ليوم الحساب والجزآء لأنّ الحساب طريق الوصول إلى جزآء العمل، كما يقال: هذا ما تدّخرونه ليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت.

قال الله تعالى: «إنّ المتقين في ظلال وعيون وفواكه ممّا يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات: ٤١-٤٤)

٥٤ - (إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد)

إنّ هذا النعيم الخالد الذي أعطيناه المتقين في جنّات عدن لرزقنا متصل جارٍ دآئماً كالبحار... لا ينفدو لا يفنى ولا ينتهي ولا ينقص منه شيء أبداً، فليس له عنهم إنقطاع ولا نهاية ولا نقص ولا زوال، وإذ كلّما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من

أشجارها فأكلوها، وكلّما شربوا من عين من عيونها، وكلّما واقعوا فتية من فتياتها... فكانت كما كانت... فانّها لهم دآئم لا تنقطع انقطاع ما كان أهل الدّنيا اوتوه فيها فانقطع بالفنآء ونفد بالانفاد.

قال الله تعالى: «وأما الذين سُعِدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلّا ماشآء ربّك عطآء غير مجذوذ» هود:١٠٨)

وقال: «مثل الجنّة الّتي وُعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار اكلها دائم وظلّها» الرعد: ٣٥).

وقال: «وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشآءهنّ إنشآءً فجعلنا هنّ أبكاراً» الواقعة: ٣٢-٣٦).

وقال: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» النحل: ٩٦)

٥٥ - (هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآب)

هذا الأمر كما ذكرنا من المساكن وأنواع المآكل والمشارب ومستويات الأزواج كلّها للمتقين، وهذا هو حسن مآبهم، وإنّ للذين طغوا على الله جلّ وعلا وتمرّدوا على ربهم وعصوا أمره وبغوا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وظلموا عباده لهم سوء منقلب ومرجع يرجعون إليه، وشرّ مستقرّ وعاقبة في الآخرة.

قال الله تعالى: «فأمامَن طغى وآثر الحياة الدّنيا فان الجحيم هي المآوى» النازعات: ٣٧-٣٩)

وقال: «ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين - وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنّما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون» البقرة: ٨-١٤)

وقال: «فنذر الذين لايرجون لقائنا في طغيانهم يعمهون» يونس: ١١)

وقال: «إنّ جهنّم كانت مرصاداً للطاغين مآباً» النبأ: ٢١-٢٢)

والآية الكريمة في معنى: «تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار» الرعد: ٣٥)

٥٦ ـ (جهنّم يصلونها فبئس المهاد)

مآب كلّ من طغى وظلم، ومقرّ كلّ من عصى وكفر، جهنّم يدخلونها، ويلازمون نارها وعذابها، ويقاسون شديد حرّها، فبئس الفراش افترشوه لأنفسهم بظلمهم وطغيانهم وكفرهم وعصيانهم، بئس المسكن وبئس القرار جهنّم لهم، وهي مهادلهم يجدون فيه متكأهم كما كان للمتقين في جنّات عدن متكئ، ولكن شتّان بين مهاد ومهاد، وبين متكئ ومتكئ!

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها ـ لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين» الأعراف: ٤٠ـ٤١)

وقال: «والّذين لم يستجيبوا له ـ اولئك لهم سؤ الحساب ومأواهم جهنّم وبئس المهاد» الرعد: ١٨)

وقال: «ألم تر إلى الّذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاؤك حيّوك بمالم يحيّك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذّ بنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير» المجادلة: ٨)

وقال: «ألم تر إلى الّذين بدّلوا نعمت الله كفراً وأحلّوا قومهم دارالبوار جهنّم يصلونها وبئس القرار» إبراهيم: ٢٨ـ٢٩)

وقال في الطاغين: «والذين يقولون ربنّا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً إنّها سآئت مستقرّاً ومقاماً» الفرقان: ٦٥ـ٦٦)

وقال في المتقين: «اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّة وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقرّاً ومقاماً» الفرقان: ٧٥ـ٧٦)

٥٧ ـ (هذا فليذ وقوه حميم وغسّاق)

هذا الجزاء للطاغين: عذاب جهنّم لابدّ لهم إلّا أن يذوقوه هو مآء حارّ محرق انتهى حرّه يشوى الوجوه، وما يسيل من صديد أهل النار وقيحهم.

قال الله تعالى: «إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بمآءٍ كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وسآءت مرتفقاً» الكهف: ٢٩)

وقال: «وسقوا مآء حميماً فقطّع أمعآءهم» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ١٥)

وقال: «فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلاّ من غسلين لا يأكله إلاّ الخاطئون» الحاقة: ٣٥-٣٧)

وقال: «إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلاّ حميماً وغسّاقاً» النبأ: ٢١-٢٥)

٥٨ - (وآخر من شكله أزواج)

وأصناف وألوان أُخر من شكل هذا العذاب المذوق - الحميم والغساق - للطغاة العاصين والبغاة الظالمين، فجنس العذاب أنواع متشابهة في الشدّة والفظاعة لا نوع واحد، كما أنّ الطغاة الباغين على طبقات فلكلّ طبقة حسب مراتب طغيانهم عذاب متنوع، فليس العذاب مقصوراً في الحميم والغسّاق، بل لأهل جهنّم فيها أشباه وأمثال أُخر من العذاب كالزقّوم والصعود والسموم... لا بدّ لهم إلاّ أن يذوقوها.

قال الله تعالى: «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم - ثمّ انكم أيّها الضالّون المكذّبون لآكلون من شجر من زقّوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم» الواقعة: ٤١-٥٥)

وقال: احشروا الذين ظلموا أزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم - فانّهم في العذاب مشتركون» الصافات: ٢٢-٣٣)

٥٩ - (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنّهم صالوا النار)

إن القادة الطغاة والرؤسآء البغاة إذا دخلوا نار جهنم مع أتباعهم الجهلة ومردتهم السفلة بشدّة وصعوبة، قالت خزنتها لهؤلآء القادة: هذا جمع كثيف وجمّ كثير من أتباعكم داخلون النار معكم، فانهم اقتحموا معكم الكفر والضلالة والظلم والجناية بدون تفكّر ورويّة، فلا بدّ لهم إلاّ أن يقتحموا معكم نار جهنم بشدّة وصعوبة، فقالت القادة الفجرة حينئذٍ: لا اتسعت مداخلهم في النار ومنازلهم فيها، انهم واردوها ولازموها وقاسوا أنواع عذابها مثلنا لا محالة، لا تباعهم إيانا في البغي والجناية...

٦٠ - (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار)

أجاب الأتباع قادتهم سوآءً بسوآءٍ مخاطبين لهم إذ قالوا: بل أنتم أيّها القادة الفجرة وأيّها الرؤسآء الظلمة وأيّها الدعاة الفسقة... لا اتسعت مداخلكم في النار، ومارحبت منازلكم فيها، فالدعآء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به منّا لغوايتكم وإغوآئكم إيانا، لضلالكم وإضلالكم إيانا، لدعائكم لنا إلى الكفر بالله جلّ وعلا وتكذيب رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وهتك حرمته، لظلمكم أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله وهضم حقوقهم وغَصب خلافتهم، لايذائكم المؤمنين وتقويتكم المنافقين، لإشاعتكم الفحشاء والجناية، لا فسادكم الحرث والنسل وانحطاط المسلمين، لأنّكم منعتمونا عن الإيمان حقاً وعن صالح الأعمال حقيقة، وعن الصلاح والفلاح وعن الرشاد والكمال... وانكم ابتدعتم في الدين فاقتدينابكم، فأنتم حملتمونا على ماأوجب لنا النار، وأنتم قدّمتم لنا هذا العذاب الأليم إذ كنتم سبباً في العمل الّذي هذا جزآؤه. قال الله تعالى: «وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلّونا السبيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والْعَنهُم لعناً كبيراً» الأحزاب: ٦٧-٦٨)

فجمعوا بين مجازين لأنّ الأتباع هم الّذين عملوا عمل السوء لا رؤساؤهم، والعمل هو المقدّم لا جزآؤه.

قوله: «فبئس القرار»: المستقر والمكان الضيق في غاية الشدّة والصعوبة لكم ولنا نار جهنّم.

قال الله تعالى: «فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود» هود: ٩٧-٩٩)

وقال: «ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين» آل عمران: ١٥١)

وقال: «وإذا القوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» الفرقان: ١٣-١٤)

٦١ - (قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار)

إنّ الله تعالى لم يذكر هنا جواب الرؤسآء المضلّين لقول أتباعهم الضالّين: «أنتم قدمتموه لنا...» كما ذكره في سورة الصافات فيما حكى من تساؤلهم بقوله: «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين» ٢٩-٣٠) فهذا كلام الأتباع بعد الإنقطاع عن المخاصمة.

لمّا انقطعت المخاصمة بين القادة المضلّة وأتباعهم الضالّة قال الأتباع - دعآء على رؤسآء الضلال وقادة الجناية المضلّين -: ربّنا آت مَن قدّم وسبّب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك، فزده عذاباً مضاعفاً في النار عذاباً للضلال والغواية، وعذاباً للإضلال والإغوآء...

قال الله تعالى حكاية عن الأتباع الجهلة: «ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار» الأعراف:٣٨)

وقال: «وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبرآئنا فأضلّونا السبيلا ربّنا آتهم ضعيفن من العذاب والعنهم لعناً كبيراً» الأحزاب:٦٧-٦٨)

٦٢ - (وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار)

وهؤلآء القادة الطاغية، هؤلآء الرؤسآء الظلمة، هؤلآء الدعاة الخونة وأعدآء الحقّ وأهله، وهؤلآء الأتباع السفلة في هذا التلاحي والتخاصم... لمّا دخلوا نار جهنم ومارأوا واحداً من الّذين كانوا يعدّونهم من الأرذلين الأشرار دهشوا وتساءلوا أين هم؟ فينظرون في وجوه مَن حولهم من أهل النار، باحثين عن اناس - هم المؤمنون في الفردوس - كانوا يعرفونهم في الدّنيا ويرونهم أهل سوء وأنّهم اولى بالنار منهم... الذين كانوا يعدّونهم من الأشرار، فيطلبونهم ولا يجدونهم فيما هم فيه من النار فحينئذ يقولون على سبيل التعجّب والتحسّر -: ما بالنا لانرى معنا في النار رجالاً كنّا نعدّهم في الدنيا من الأشرار لا خير فيهم في اعتقادنا إذ نرى مذهبهم على خلاف مذهبنا، ونرى دينهم وكتابهم وسنتهم على خلاف ديننا وكتابنا وسنتنا...

٦٣ - (أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار)

إن هؤلآء الطاغين وأتباعهم لمّا دخلوا نار جهنم ونظروا في جوانبها ولم يروا

المؤمنين الأخيار الّذين كانوا يسخرون منهم ويستذلّونهم ويستهزؤن بهم في الدّنيا تناجوا وقالوا:

ما بالنالانرى معنا في النار رجالاً كنا نتخذهم في الدّنيا سخرياً؟ أكنّا نحن على خطاء فِي استهزآئنابهم وسخريتنا منهم في الدنيا، وكانوا هم أهل حق ناجين وما كانوا مستحقين للسخرية، فلم يدخلوا معنا في النار فلانراهم؟ أم كنّا على صواب في سخريتنا واستهزآئنابهم، وكانوا هم على ما كنّا نقدّر فهم موجودون معنا فيها ولكن مالت أبصارنا عنهم فلم ترهم؟

٦٤ ـ (إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار)

إنّ الذي حكينا عن القادة الطاغين وأتباعهم من تراجع أهل النار ولعن بعضهم بعضاً ودعآء بعضهم على بعض وتساؤلهم عن أحوال المؤمنين الأخيار حين لم يجدوهم معهم في النار، كلّ ذلك لحق يقين واقع لامحالة بدون ريب، فلاتشكوفي التخاصم بين أهل النار لأنّ التلاعن والتشاتم نوع من أنواع الحضومة.

٦٥ ـ (قل إنّما أنا منذر وما من إله إلّا الله الواحد القهّار)

قل يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم للناس جميعاً في كل ظرف: إنّما أنا نذير مرسل من ربّي لأُبيّن لكم آياته، وأحذّركم مخالفة أوامره ونواهيه حتى لا يحل بكم العقاب مثل ماحلّ بالامم الماضية إذ تمسّكوا بالشرك والضلال والكفر والطغيان... وإنّما مهمتى هي الإنذار وإبلاغ الرسالة وإرشادكم إلى الحق والهدى، إلى الخير والصلاح وإلى السعادة والفلاح... من دون طلب أجر منكم من متاع الدّنيا وشهواتها من مال أوجاه...

قال الله تعالى: «واوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ـ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الّذي بين يديه ولتنذرام القرى ومن حولها» الأنعام: ۱۹و۹۲)

وقال: «قل يا أيّها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين» الحج: ٤۹)

وقال: «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ۱۰)

وقال «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلّا على الله» سبأ: ٤۷)

وقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» الشورى: ٢٣)

وقوله تعالى: «ومامن إله إلّا الله الواحد القهار»

وأدعوكم إلى التوحيد وإلى عبادة الله الواحد من جميع الوجوه، وهذا هو دعوة جميع الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين لأنّ معرفة الله جلّ وعلا والعبادة لله وحده غرض خلق الكون ونواميس الوجود، فلا خالق غيره ولا معبود بحق سواه وهو القاهر فوق عباده الغالب لجميع خلقه، الذي يقصم ظهور الجبابرة الطغاة، وهو المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر أحد على الخلاص من عقوبة إذا أراد عقابه.

قال الله تعالى: «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شي قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شي ء علماً» الطلاق: ١٢)

وقال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحى إليه أنه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥)

وقال: «هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلوا أنّما هو إله واحد وليذّكّر اولواالألباب» إبراهيم: ٥٢)

وقال: «قل الله خالق كلّ شي ء وهو الواحد القهّار» الرعد: ١٦)

وقال: «وهوالقاهر فوق عباده» الأنعام: ١٨)

٦٦ ـ (ربّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار)

مبدع السموات على علوّها وسعتها وأحكامها بما لها من الزينة والمنافع... ومبدع الأرض على فخامتها وما فيها من العجآئب... ومبدع ما بينهما من الخافقين من الفضآء والهوآء، من العناصر والنبات، من الحيوان والإنسان، ومالا نعلم من الخلآئق... فالله تعالى هو الواحد الذي لا إله إلّا هو خالق كلّ شي ء ومالكه ومدبّره.

قال الله تعالى: «ربّكم ربّ السموات والأرض الّذي فطرهنّ» الأنبيآء: ٥٦) وقال «خلق السموات والأرض بالحق ـ ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى

تصرفون» الزمر: ٥-٦)

وقال: «ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيئ لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون» غافر: ٦٢)

وقال: «إنّ الله هو ربي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم»الزخرف: ٦٤)

وقال: «قل أغير الله أبغى رباً وهو ربّ كلّ شي ء» الأنعام: ١٦٤)

وقوله تعالى: «العزيز»: المنيع الّذي لا مثل له، عزيز لا يغلبه شي ء ولا يمتنع منه شي ء، عزيز في نقمته من أهل الكفر به المدّعين معه إلهاً غيره، وهو الغالب على أمره، وبعزّته يدخل أهل الكفر والضلال، أهل البغي والفساد، وأهل الظلم والعناد النار، وهو العزيز على الإطلاق، وغيره ذليل لديه ولا عزّة لغيره إلّا به.

قال الله تعالى: «ذو العرش المجيد فعّال لما يريد» البروج: ١٥-١٦)

وقال: «ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذوانتقام» المائدة: ٩٥)

وقال: «من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً» فاطر: ١٠)

وقوله تعالى: «الغفّار»: الستّار لذنوب كلّ مَن تاب وآمن وعمل صالحاً وأناب إليه قال الله تعالى: «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» طه: ٨٢) هو الغفّار الذي يستر القبيح ويظهر الجميل ويقبل التوبة ويغفر لأوليآئه: «وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار» غافر: ٤٢) «ومن يغفر الذنوب إلّا الله» آل عمران: ١٣٥) «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» آل عمران: ٣١)

٦٧ - (قل هو نبؤا عظيم)

قل يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لامتك ونبّهم أنّ هذا القرآن الصامت خبر عظيم لكونه كلام الله المعجز، ولما فيه من أنبآء الأولين والآخرين: «ولتعلمنّ نبأه بعد حين» ص: ٨٨) وقد سمّى عظيماً لعظمته بنزوله من الله جلّ وعلا على رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم كما قال عزّوجل: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» الحجر: ٨٧) عظيم لما فيه من المعارف والحِكَم، من الحقائق والأسرار، من الشرائع والأحكام، من الاصول والفروع... عظيم لما فيه من الخواص

والشفآء من الرحمة والمنافع، ومن الفوائد والآثار... وعظيم لاشتماله مايحتاج إليه الفرد والمجتمع البشرى في كل ظرف، وعظيم معه القرآن الناطق وهم أهل بيت الوحى المعصومون عليهم السّلام الذين هم قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام:

في نهج البلاغة: «واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، ويفجّرون عيونه، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بالمحبّة، ويتساقون بكأس رويّة، ويصدرون بريّة، لا تشوبهم الريبة، ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خَلقَهم وأخلاقهم، فعليه يتحابّون وبه يتواصلون، فكانوا كتفاضل البذر ينتقى، فيؤخذ منه ويلقى قد ميّزه التخليص وهذّبه التمحيص»

وفيه: قال الإمام علي عليه السّلام: «وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذصحبته» وقد كان الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام هو النبأ العظيم قال الله تعالى فيه: «عمّ يتسآءلون عن النباء العظيم الذي هم فيه مختلفون كلاّ سيعلمون ثمّ كلا سيعلمون» النبأ: ١-٥)

٦٨ - (أنتم عنه معرضون)

أنتم أيّها الأُمّة المسلمة عن كل واحد من هذا القرآن الصّامت والقرآن الناطق معرضون، وذلك أن طائفة من المسلين يعرضون عن التدبّر في القرآن الصامت وأهملوا البحث والنظر في حقيقته وصدقه واستخفّوا به، فلايتدّبرون آياته ولا يتفكّرون في كلام الخالق المتعال بقدر تدبّرهم في كلام المخلوق غير المعصوم، ولا يعملون بكتاب الله جلّ وعلا ويتخذونه مهجوراً قال الله تعالى فيهم: «وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠)

وطائفة من المسلمين معرضون عن القرآن الناطق وإتباعه، فيتتركونه ولا يعطونه آذاناً مصغية ولا يفتحون له قلوباً واعية... فمن أسلم بلسانه وأعرض عن التّدبّر في كتاب الله جلّ وعلا وعن العمل به، وأعرض عن اتباع أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فهو والكافر سوآء في الدار الآخرة بلا ريبة.

قال الله تعالى: «ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ـ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولّوا فانّما عليه ما حُمّلَ وعليكم ماحمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلّا البلاغ المبين» النور: ٤٧-٥٤)

٦٩ ـ (ما كان لى من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون)

ولولا الوحى من الله تعالى إليّ لما كنت أدرى باختلاف الملا الأعلى ولا أعلم باختصام الملائكة في شأن آدم عليه السّلام «وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ـ وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبرو كان من الكافرين» البقرة: ٣٠-٣٤) والذي يختصم فيه الملا الأعلى هو ماستعرضه الآيات التالية من موقف الملآئكة وموقف إبليس من خلق آدم ومن أمرالله تعالى بالسجود له ومحاجة ربّه في تفضيله عليه.

قال الله تعالى: «تلك من أنبآء الغبب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين» هود: ٤٩).

٧٠ ـ (إن يوحى إليّ إلّا أنّما أنا نذير مبين)

قال الله تعالى لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم: قل أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لهم: إنّ هذا الّذي أُحدّثكم أو تحدّثكم به آيات الله عن الملا الأعلى واختصامهم في أمر آدم عليه السّلام إذ أراد خلقه هو وحى من عندالله تعالى يوحى إليّ إلّا أنّما نذير مبين لكم ذلك، فلا شيء أكثر من هذا بأن أقوم بتبليغ مايوحى إليّ ولا أدخل عليه شيءمن عندى ولا أنقص منه شيئاً، فمهمتى هي الإنذار والدعوة وتبليغ مايوحى إليّ وإعلان ماأمرني الله تعا لى باعلانه من ذلك.

قال الله تعالى: «قل إنّما العلم عندالله وإنّما أنا نذير مبين» الملك: ٢٦

وقال: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى» النجم: ٣-٤)

وقال: وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر امّ القرى ومن حولها» الشورى: ٧)

وقال: «إن أتبع إلّا مايوحى إليّ وما أنا إلّا نذير مبين» الأحقاق: ٩)

وقال: «كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» الأعراف: ٢)

٧١ - (إذ قال ربّك للملآئكة إنّي خالق بشراً من طين)

فاذكر أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم ما أوحينا إليك من كلام الملإ الأعلى وقت إختصامهم ومحاورتهم مما لم تكن عالماً به: إذ قال ربّك للملآئكة قبل أن يخلق آدم وأعلمهم تمهيداً للأمر بالسجود له: إنّي خالق بشراً - آدم - من طين، وإنه جسم ظاهر لا بدّ له أن يعيش زمناً في عالم الناسوت - وإن البشر من البشرة وهي الجلدة الظاهرة - وليس هو من جنس الملائكة والأرواح ولا من جنس إبليس وهو من الجن.

قال الله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء ٍمسنون والجآنّ خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حماء ٍمسنون» الحجر: ٢٦-٢٨) وقد سبق منا كلام في اختلاف مبدإ خلق الإنسان: الطين والتراب وصلصال... بأنّها أحوال مختلفة لمادته الأصلية الّتي منها خلق، وقد اشير في كلّ موضع إلى واحدة منها.

٧٢ - (فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)

فاذا سوّيت خلق آدم من طبائع الأرض المختلفة وموادّها المتنوّعة وأتممت أعضآئه المتناسبة وعدّلت صورته بأحسن صور وأحسن تقويم واصطفيت لهذا الكالبد الخاص المعجون من خواص الأرض وموادها كلها روحاً خاصاً متناسباً له، وهي روح الإنسانية، فنفختها فيه، فصار ذا نفس إنسانية، ثمّ قلت لأهل الملإ الأعلى من الملائكة وإبليس: اسجدوا لهذا المخلوق الخاص وهو آدم عليه السّلام سجود تكرمة وخشوع، سجود تحية وخضوع، سجود تذلل وتبجيل، وسجود إجلال وإعظام له لا سجود عبادة، واسجدوا له لما في ذاته من النور والبرهان، ولما في نفسه من الاستعداد لوصوله إلى درجة رفيعة فوق الملائكة المقربين، ما ليس في ذات غيره ولا في نفس سواه من المخلوقات أجمعين.

قال الله تعالى: «يا أيّها الإنسان ماغرّك بربّك الكريم الّذي خلقك فسوّاك فعدلك في أيّ صورة ماشآء ركّبك» الإنفطار: ٦-٨)

وقال: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» التين: ٤)

وقال: «الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسمآء بنآء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيّبات ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين» غافر: ٦٤)

وقال: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقدخاب من دسّاها» الشمس: ٧-١٠)

وقال: «ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» الأعراف: ١١)

٧٣ - (فسجد الملائكة كلّهم أجمعون)

فامتثل الملائكة كلهم أمرالله تعالى بدون استثنآءٍ فسجدوا كلهم لآدم عليه السّلام بحيث لم يبق منهم أحد إلّا سجدله أجمعون بطريق المعيّة بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد، سجدوا خصوعاً له عليه السّلام وتعظيماً لله جلّ وعلا بتعظيمه، فكان السجود تكريماً وتشريفاً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، ومن هذا التكريم أو من مظاهره تفوّق بني آدم عن سائر خلق الله تعالى بمواهبهم العقلية والنطقية وقابليتهم لتكليف واختيار الكسب والتصرّف وجعلهم بذلك أهلاً للتكليف والجزآء الاخروى.

٧٤ - (إلّا ابليس استكبرو كان من الكافرين)

إلّا إبليس أبوالجنّ كان بين الملائكة، اعترضته الحميّة، فافتخر على آدم بخلقه وتعصّب لأصله، وتجبّر وامتنع وتعظّم عن السجود لآدم، فلم يسجد له وكان قبل ذلك بسبب إبآئه ومخالفته عن أمرالله تعالى واستنكافه عن المطاوعة من الكافرين إذ كان قبل الأمر بالسجود مصمّماً على الإمتناع عن السجود ولم يكن إبليس من جنس الملائكة بل كان من الجنّ.

قال الله تعالى: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه أفتتخذونه وذريته أوليآء من دوني وهم لكم عدوّ بئس

للظالمين بدلاً» الكهف: ٥٠)

وقال: «إلّا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ـ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون» الحجر: ٣١-٣٣)

إذا كان إبليس في الملإ الأعلى يكفر بالله تعالى ويعمي عن طريق الهدى وهو في عالم النور والصفآء والطهر... أولا يكفر بالله جلّ وعلا ولا يركب مراكب الضلال إذا كان في العالم الأرض عالم الظلام والكثافة...؟! فاجتنبوه ولا تتخذوه أوليآء لكم.

وإذا كان الكفر بالله سبحانه والخروج عن طاعته لايعصم أهل الملإ الأعلى من أن يردّ إلى عالم الظلام وأن يكون في الدرك الأسفل من مخلوقات الله، فانّ الكفر بالله جلّ وعلا والخروج عن طاعته لايعصم من كان في العالم الأرض أن يردّ إلى مادون هذا العالم وأن يلقى به في عذاب السعير...

ثم إنه ـ من جهة اخرى ـ إذا كان في الملإ الأعلى ملائكة مقرّبون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون، فيزدادون بذلك قرباً من الله تعالى فانّ في العالم الأرضي مَن يرتفع عن هذا العالم بايمانه بالله تعالى وولائه له وينزل منازل الرحمة والرضوان في جنات النعيم...

٧٥ ـ (قال يا ابليس، ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين)

قال الله عزّوجلّ ـ توبيخاً لإبليس ـ: يا إبليس! أيّ شي ء منعك عن السجود إذ أمرتك به، لآدم الّذي خلقته بقدرتي ولعنايتي الخاصّة والإهتمام التام به؟ قال الله تعالى: «قال مامنعك ألّا تسجد إذ أمرتك» الاعراف١٢) وقال: «قال يا إبليس مالك ألّا تكون مع الساجدين» الحجر: ٣٢)

وقد اطلق اليد على القدرة... بمواضع من القرآن الكريم: «يدالله فوق أيديهم» الفتح: ١٠) «قل إنّ الفضل بيدالله يؤتيه من يشآء» آل عمران: ٧٣) «واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب اولى الأيدى» ص: ٤٥)

وقد أضاف تعالى خلق آدم عليه السّلام إلى نفسه تكريماً له، وإن كان الله عزّوجلّ خالق كلّ شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح: «ونفخت من روحي» والبيت: «أن طهّرا بيتي» البقرة: ١٢٥) والناقة: «هذه ناقة الله لكم» الأعراف: ٧٣)

والمساجد: «إنّما يعمر مساجد الله مَن آمن بالله» التوبة: ١٨) فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم، فانّ الرئيس من المخلوقين لايباشر شيئاً بيده إلّا على سبيل الإعظام والتكريم والعناية الخاصّة والاهتمام التام به وأما تثنية اليد فلابراز كمال الإعتنآء بخلقه المستدعى لإجلاله وإعظامه قصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ.

وقوله تعالى: «أستكبرت أم كنت من العالين» أرفعت نفسك فوق قدرها وخالفت أمرى واستكبرت عن السجود لآدم عليه السّلام؟ أم كنت ترى نفسك من الذين علت أقدارهم عن السجود لآدم عليه السّلام ولذلك لم يكونوا مأمورين به؟

٧٦ ـ (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)

قال إبليس: أنا خير من آدم، حتّى لو كنت مساوياً له في الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال إذا كنت خيراً منه؟ وذلك أنك خلقتنى من نار وحلقت آدم من طين تأكله النار وتغلبه وتحرقه، فالنار أشرف وأفضل من الطين، حيث إنّ الآكل... أفضل من المأكول... والفاضل لاينبغي أن يسجد لمفضول، وتقديم المفضول على الفاضل قبيح ذاتاً، ولذلك لم أسجدله، ففضلي على آدم بشرف عنصرى الذي خلقت منه فان النار نور والطين ظلمة: «قال أ أسجد لمن خلقت طيناً» الاسراء: ٦١) «قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون» الحجر: ٣٢)

فقاس إبلس فأخطأ القياس إذ قاس النار مع الطين، ولوقاس نورية آدم من نورية النار لعرف فضل مابين النورين وصفآء أحدهما على الآخر، فهو أوّل من قاس في نظام التكوين فأخطأ فصار رجيماً كما أنّ أبا حنيفة أوّل من قاس في نظام التشريع فأفسد في الدين ما أفسد...

وما يستفاد من الروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أنّ إبليس ماكان يريد أن يطيع الله جلّ وعلا إذا

أمره بالسجود لآدم عليه السّلام وهو بالملإ الأعلى، بل كان يريد أن يخالف عن أمره، وقد كان قياسه واعتذاره الخاطئ لتوجيه مخالفته وإستكباره كما أنّ أبا حنيفة وأسلافه وأذنابه المبتورة ماكانوا يريدون أن يطيعوا الله عزّوجلّ وهم بحضرة النبيّ الكريم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إذا أمرهم بالولاية لأهل بيت النّبوّة عليهم السّلام وإنّما كانوا يريدون أن يخالفوا عن أمره فيها، وقد كان اعتذاراتهم وقياساتهم الخاطئة لتوجيه مخالفتهم واستكبارهم... ولعمرى! انهم وإبليس على حدّ سوآء في مخالفة أمرالله جلّ وعلا والاستكبار، فمن شكّ في ذلك ففي ولادته شيْ.

٧٧ ـ (قال فاخرج منها فانك رجيم)

قال الله عزّوجلّ لإبليس المتكبّر: فاخرج من الملإ الأعلى، فانّك مرجوم باللعن، مطرود من رحمتى وكرامتى، ومُبعَد عن كلّ خير، لا يذكرك مؤمن إلّا لعنكْ.

قال الله تعالى: «فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصاغرين» الأعراف: ١٣)

٧٨ ـ (وإنّ عليك لعنتى إلى يوم الدين)

وإنّ عليك يا إبليس! طردي لك وإبعادي إياك من رحمتى ثابت مستمر إلى يوم الحساب والجزآء.

وقال الله تعالى: «وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدّين» الحجر: ٣٥)

قيل في وجهه: لوكانت اللام للعهد فلا فرق بين التعبيرين ولو كانت للجنس فكذلك أيضاً لأنّ لعن غير الله تعالى من الملائكة والناس عليه إنّما يكون طرداً له حقيقة وإبعاداً من الرحمة إذا كان بأمر الله تعالى، وبابعاده من رحمته.

٧٩ ـ (قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون)

ومن أعجب العجآئب أنّ إبليس مع استكباره وخباثته يعترف بالمعاد والحساب والجزآء ولكن أتباعه ينكرونه! وهو قال: يا ربّ فاذ لعنتنى وأخرجتنى من الملإ الأعلى بسبب تكبّرى وعصياني، فأخّرني في الأجل وأمهلنى ولا تهلكنى إلى يوم تُبعث الخلائق من قبورهم للحساب والجزآء وهو يوم القيامة.

أراد الملعون ألّا يذوق الموت ولا يموت، ولكنّه لم يُجَبْ إلى ذلك، واخّر إلى الوقت المعلوم، وهو يوم يموت الخلائق كلّهم فيه، فاخّر إليه تهاوناً به:

٨٠ ـ (قال فانّك من المنظرين)

قال الله تعالى لإبليس تغلّظاً في الوعيد لاعلى وجه التكرمة والتقريب: فانك من المؤجّلين الممهلين، ولكن لا ما أردته بل

٨١ ـ (إلى يوم الوقت المعلوم)

إلى يوم الوقت المعلوم الّذي جعلناه أجلاً لهلاكك لا ما تريده، فيبقى إبليس اللعين إلى آخر ما يعيش الإنسان في الحياة الدنيا ممّن يمكنه إغوآئه.

٨٢ ـ (قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين)

قال إبليس: اقسم بقهرك وسلطانك وبقدرك الّتي تقهر بها جميع خلقك لأُضلّنّ بني آدم عن دينك وطاعتك بتزيين الشهوات والقبائح لهم، وإدخال الشبه عليهم، ولأستدعينّهم إلى المعاصي والمأثم، ولأرغبنّهم في الشرك والضلالة...

قال الله تعالى حكاية عن ابليس اللعين: «لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآئلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» الأعراف:١٦-١٧) «لأزيننّ لهم في الأرض ولا غوينّهم أجمعين» الحجر:٣٩)

٨٣ ـ (إلّا عبادك منهم المخلصين)

إلّا المخلصين من عبادك الذين أخلصوا دينهم لك ولا يشركون بك شيئاً ولا يعبدون سواك، فلاسلطان ولا سبيل لي عليهم، فانك استخلصتهم للعبادة، وآثرتهم وعصمتهم من إغوائي لا خلاصهم في الاعتقاد والقول والعمل، فأخلصوا من الكفر والضلالة واهتدوا إليك والتزموا حدود دينك.

٨٤ ـ (قال فالحق والحق أقول)

قال الله تعالى لإبليس: إن غووابك فاقسم بالحق، والحق أقول:

٨٥ ـ (لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين)

لأملئنّ جهنم من جنسك من شياطين الجنّ وممن تبعك واستجاب دعوتك من بني آدم أجمعين، لأملئنّ جهنّم من المتبوعين الفجرة والتابعين الجهلة، من الرؤسآء الكفرة والمرؤسين السفلة، ومن القادة الفسقة والمردة الآثمة... لا أترك منهم أحداً.

قال الله تعالى لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين» الأعراف:١٨)

وقال: «حقّ القول منّى لأملئن جهنّم من الجنّة والناس أجمعين» السجدة:١٣)

٨٦ ـ (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين)

قل يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لامتك: لا أسئلكم على مهمتى من تبليغ مايوحى إليّ، لاأسئلكم عليه أقل قليل من حطام الدّنيا من مال أوجاه... إذ لست إلّا رسولاً من عندالله تعالى يبلّغ ما ارسل به: «فهل على الرسل إلّا البلاغ المبين» النحل: ٣٥) «الذين يبلّغون رسالات الله و يخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفي بالله حسيباً» الأحزاب: ٣٩) فلا يسئل رسول من المرسلين ولا نبي من الأنبيآء ولا وصيّ من الأوصيآء عليهم صلوات الله أحداً على مايدعوه إليه أجراً: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلّا على الله» سبأ:٤٧) «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» الشورى:٢٣) ولا يخفي على المتدبّر الخبير سليم القلب طيّب الولادة: أنّ هذه المودّة ما كانت أجراً للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم على تبليغ رسالته، وإنّما هي من الرسالة في صميمها لقوله جلّ وعلا: «يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة:٦٧).

فكأنّه يقول: إنّما أجر تبليغ رسالتى هو الإيمان والعمل بها، وإنّما رسالتى هي نفس الولاية لأهل بيتى المعصومين عليهم صلوات الله سوآء بسوآء.

وقوله: «وما أنا من المتكلّفين» ولا أتكلّف لدعوتي مايخرجنى عن حدود التبليغ والرسالة، فلاأقهر أحداً ولا أختله ولا أخدعه حتّى يستجيب لي، وما عرفتموني أتكلّف ماليس عندى حتّى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن قال الله تعالى: «وإنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل:٦)

وقال: «قل مايكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلّا مايوحى إليّ» يونس: ١٥).

٨٧ ـ (إن هو إلّا ذكر للعالمين)

قل لا متك أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم: ليس ما أتلوه عليكم من هذا القرآن إلّا ذكراً للعالمين كائنين مَن كانوا يمكنهم به أن يتبصّروا للحق والهدى وللصلاح والفلاح من الجنّ والإنس في كلّ ظرف على إختلاف ألوانهم وألسنتهم، وعلى اختلاف شعوبهم وقبائلهم... إلى أن تقوم الساعة، وفيه حياة مجدّدة لهم أجمعين جيلاً بعد جيل، فلايختصّ بقوم دون قوم حتّى يؤخذ على تبليغه مال، وينال على تعليمه بجاه... بل هذا القرآن ذكر للعالمين كما كانت رسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم للعالمين جميعاً، فليتذكّر من أراد التذكّر به.

قال الله تعالى: «إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين» يس: ٦٩)

وقال: «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١)

وقال: «وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس مانزّل إليهم» النحل: ٤٤)

وقال: «قل أُوحي إليّ أنه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنا سمعنا قرأناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنّا به» الجنّ: ١-٢)

وقال: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩)

وماورد في المقام فهو من باب التأويل وهو اللب فتدبّر جيّداً واغتنم جداً ولا تغفل.

٨٨ ـ (ولتعلمنّ نبأه بعد حين)

ألا يا أهل العالم! أقسم بعزّتي وجلالي أنّكم لتعلمنّ خبر صدق هذا القرآن ذي الذكر وحقيقته، وحديث وعده و وعيده، حين ظهور هذا الدين الاسلامي بظهور إمام زمانه الحجة بن الحسن العسكرى أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفدآء، على الدين كلّه في أطراف الأرض على اختلاف الملل والنحل، على الألوان والأجناس، وعلى اختلاف اللغات والمستويات...

قال الله تعالى: «فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جآءهم فسوف يأتيهم أنبـاؤا ما كانوا به

يستهزؤن ـ لكلّ نباء مستقر وسوف تعلمون» الأنعام: ٥و٦٧)

وقـال: «يريدون أن يطفـؤا نورالله بـأفـواههم ويـأبـى الله إلّا أن يتـمّ نـوره ولو كره الكافـرون هو الذي أرسل رسـوله بالهدى ودين الحـقّ ليظهره على الدّيـن كله ولو كره المشركون» التوبة: ٣٢-٣٣)

وقال: «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذيـن من قبلهم وليـمكنّـنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليـبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً» النور: ٥٥)

وقال: «ونريد أن نمـنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونـجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» القصص: ٥)

﴿جملة المعاني﴾

٣٩٧١ ـ (ص والقرآن ذي الذكر)

«ص» رمز من رموز الوحي السماوي لا يعلمها إلاّ الله عزّوجلّ وأهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنّ لكلّ كتاب سرّاً وسرّ الله جلّ وعلا في كتابه المجيد حروف التهجّي، وإلى ذلك أشار مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «إنّ لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»

اقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان أنه لحق وكلام معجز.

٣٩٧٢ ـ (بل الذين كفروا في عزّة وشقاق)

بل الذين كفروا بهذا القرآن ذي الذكر، من زعمآء المشركين هم في اعتزاز واستكبار عن اتباع الحق.

٣٩٧٣ ـ (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص)

كثيراً من الامم السالفة أهلكناهم، قبل هؤلآء المشركين إذ كذّبوا رسلنا، فاستغاثوا حين الهلاك ولم يغاثوا إذ فات أوانه.

٣٩٧٤ ـ (وعجبوا أن جآءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب)

وعجب زعمآء المشركين بأن جآءهم رسول من أنفسهم يحذّرهم الشرك ،وقال الزعمآء وأذنابهم: محمد صلى الله عليه وآله وسلّم هو ساحر فيما يقوله ويظهره، كذّاب فيما يدّعيه.

٣٩٧٥ ـ (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشئٌ عجاب)

قال الزعمآء: لو سلّمنا أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كيف جعل معبوداتنا كلّها معبوداً واحداً؟ إنّ هذا الشيء عجيب في غاية العجب.

٣٩٧٦ - (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد)

فلم يطل العجب من الزعمآء حتى اجتمعوا عند أبي طالب عليه السّلام عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لحل مشكلة دعوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إيّاهم إلى التوحيد ورفض الأنداد... فلمّا لم يجدوا عنده طريقاً إلى ذلك نهضوا من مجلسهم لديه وخرجوا من داره وقالوا لأتباعهم السفلة: تفرّقوا وامضوا على دينكم الشرك، متحمّلين لما تسمعونه فيه من القدح، إنّ هذا الشيء يريده محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

٣٩٧٧ - (ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق)

قالت الزعمآء الفجرة لأتباعهم السفلة: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من التوحيد ورفض الأنداد... في الملل المتأخرة التي نعرفها، ليس ما جآء به محمد صلى الله عليه وآله وسلّم إلّا تخرّصاً لا مستندله.

٣٩٧٨ - (أأُنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لمّا يذوقوا عذاب)

أأُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم القرآن من بيننا؟ كيف نزل عليه الوحى دوننا؟؟؟ قال الله تعالى ردّاً عليهم: بل هؤلآء الزعمآء الفجرة في شكٍ من ذكرى، بل لم ينزل بهم بأسنا إلى الآن فيذوقوا وبال شكّهم في الوحى، ولوذاقوا عذابي على الشرك، لزال عنهم الشك.

٣٩٧٩ - (أم عندهم خزائن رحمة ربّك العزيز الوهّاب)

أجابهم الله تعالى خطاباً لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم: فاسئل هؤلآء الزعمآء: هل عندهم خزآئن رحمة ربك العزيز في ملكه، الوهّاب العطايا لمن يشآء من خلقه؟!

٣٩٨٠ - (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب)

ألهؤلآء الزعمآء ملك السموات والأرض وما بينهما من الهواء والفضاء والخلآئق... فان كان لهم ذلك، فليصعدوا بأيّ وسيلة من وسائل الصعود إلى

السمآء حتّى يستووا على العرش و يدبّروا أمر الكون، فينزلوا الوحي إلى من يختارونه.

٣٩٨١ - (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)

حقاً: أنّ هؤلآء الزعمآء الفجرة ومردتهم الجهلة جند حقير ذليل من جنود إبليس على طريقة الأحزاب المتحزّبة على الأنبيآء عليهم السّلام.

٣٩٨٢ - (كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد)

كذّبت قبل هؤلآء المشركين، قوم نوح وعاد وفرعون القاسي الجاني أنبيآءهم عليهم السّلام.

٣٩٨٣ - (وثمود وقوم لوط وأصحاب الآيكة اولئك الأحزاب)

وكذّبت ثمود وهم قوم صالح عليه السّلام وقوم لوط، وأصحاب الأيكة أنبيآءهم عليهم السّلام، هم أحزاب الشيطان يتحزّبون على أنبيآء الله عليهم السّلام.

٣٩٨٤ - (إن كلّ إلّا كذّب الرسل فحقّ عقاب)

ما من حزب من اولئك الأحزاب من الأقوام الستة إلّا أنّهم كذّبوا جميع رسلنا، ولذلك وجب عليهم عقابي في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

٣٩٨٥ - (وما ينظر هؤلآء إلّا صيحة واحدة مالها من فواق)

وما كان هؤلآء الأقوام الهالكة ينظرون حين نزول العذاب بهم إلّا صيحة واحدة ممتدّة تأتيهم بغتة لافترة لها مقدار يسير ليفيقوا من سكرتها و يستريحوا من كربتها.

٣٩٨٦ - (وقالوا ربّنا عجلّ لنا قطّنا قبل يوم الحساب)

لمّا وعدالله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم ألّا يأخذ امته بما أخذ به مكذّبي الامم السالفة او هدّدهم بعذاب الآخرة، فلمّا سمعوا ذلك لم يقبلوا هذا الإحسان بل ردّوه وقالوا مستهزئين بعذاب الآخرة: ربّنا عجلّ لنا عقوبتنا قبل يوم تحاسب فيه الخلق وتعذّبهم!

٣٩٨٧ - (إصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب)

يا أيّها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم إصبر على مايقول المشركون فيك، واذكر لهم

حديث عبدنا داود عليه السّلام الذي كان ذا النعم الوافرة والإرادة القوية في طاعة الله تعالى، لأنّه كان كثيرا الرجوع إلى الله عزّوجلّ في جميع شئونه...

٣٩٨٨ ـ (إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق)

إنّا سخّرنا الجبال لداود عليه السّلام يسبّحن مع وقت العشآء ـ وقت غروب الشمس إلى أوّل ظلام الليل ـ و وقت الإشراق ـ وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

٣٩٨٩ ـ (والطير محشورة كلّ له أوّاب)

وسخّرنا لداود عليه السّلام أنواع الطيور مجموعة من كلّ ناحية وصوب، يسبّحن معه، حيث إنّ كلّ واحد من الجبال والطيور رجّاع إليه فيما يريد ومطيع له فيما يشآء.

٣٩٩٠ ـ (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)

وقوّينا ملك داود عليه السّلام بالجنود، وآتيناه كمال العلم واتقان العمل وآتيناه الفهم بأمر القضآء.

٣٩٩١ ـ (وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب)

وهل أتاك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم حديث الخصم؟ إذ بعثنا إلى داود عليه السّلام ملكين ومعهما شهود من الملآئكة بصورة الإنسان، فوردوا عليه من غير المدخل الطبيعي، وهو في محرابه يشتغل بطاعة ربّه.

٣٩٩٢ ـ (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سوآء الصراط)

حين دخلوا عليه فجأة من غير الطريق المعتاد، ففزع داود عليه السّلام منهم، قالوا: يا داود لا تخف، خصمان ظلم بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق، ولا تمل إلى أحدهما ولا تجر على الآخر، وأرشدنا إلى طريق الصواب.

٣٩٩٣ ـ (إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب)

فقال أحد الخصمين المفروضَيْن: إنّ هذا أخي في الدين غنيّ يملك تسعاً وتسعين شاة وأنا فقير أملك شاةً واحدة، فقال الأخ: أعطيني شاتك الواحدة تكون في

ملكى، وغلبنى الأخ في الكلام؟

٣٩٩٤ ـ (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيراً من الخطآء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعلموا الصّالحات وقليل ماهم وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب)

قال داود عليه السّلام للمدّعى قبل أن يطلب منه البيّنة على مدّعاه، وبدون استنطاق المدّعىٰ عليه بما ادّعى عليه ولا إقرار منه: والله لقد ظلمك أخوك بطلبه منك نعجتك الواحدة، وإنّ كثيراً من الشركآء ليتعدّى بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا بالله وعلموا الصالحات وهم قليل في كل ظرف، فلمّا حكم داود عليه السّلام هكذا بين الخصمين وخرجا من عنده علم داود عليه السّلام أنّما اختبرناه بهذه المخاصمة الفرضية، فاستغفر ربه إذ لم يطلب من المدّعى البيّنة على مدّعاه وخرّ ساجداً وأقبل إلى الله تعالى.

٣٩٩٥ ـ (فغفرنا له ذلك وإنّ له عند نالزلفى وحسن مآب)

فغفرنا لداود عليه السّلام ما وقع منه، وإن له عندنا كرامة وحسن مرجع وقلنا له:

٣٩٩٦ ـ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)

لما اختبرنا داود عليه السّلام ووجدناه يليقاً للخلافة قلنا له: يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع في مهمتك هذه، هوى نفسك ولا أهوآء الناس، فان اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله، إنّ الّذين يعدلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد في الدار الآخرة بسبب نسيانهم يوم الحساب.

٣٩٩٧ ـ (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الدين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

وما أوجدنا السمآء والأرض وما بينهما عن الخلآئق باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا بالله تعالى ورسله وباليوم الآخر، فويل للذين كفروا من نار جهنّم وعذابها.

٣٩٩٨ ـ (أمْ نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار)

أنجعل الذين آمنوا بالله وعملوا مافيه صلاح دينهم ودنياهم كالذين يفسدون في الأرض بكفرهم وطغيانهم؟! أم نجعل الذين اتقوا الله ويسعون في إصلاح حالهم وكمال مجتمعهم كالفجار الذين ينتهكون حرمات الله ونواميس الإسلام والمسلمين؟!

٣٩٩٩ ـ (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب)

هذا القرآن ذو الذكر كتاب، عظيم شأنه أنزلناه إليك يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم كتاب مبارك أنزلناه ليدّبّر الناس في آياته وليتذكّر ذو والعقول السليمة.

٤٠٠٠ ـ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب)

ووهبنا لداود إبناً إسمه سليمان، نعم العبد سليمان لأنّه كثير الرجوع إلى الله تعالى في جميع شئونه...

٤٠٠١ ـ (إذ عُرِضَ عليه بالعشيّ الصّافنات الجياد)

حين عرض على سليمان عليه السّلام بعدالظهر، الخيل الخوالص السراع.

٤٠٠٢ ـ (فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتّى توارت بالحجاب)

فقال سليمان: قد شغلني حبّ الخيل ـ حين عرضت عليّ ـ من صلاة الصّلاة حتّى فاتت بغروب الشمس.

٤٠٠٣ ـ (ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)

قال سليمان عليه السّلام بأمرالله تعالى للملائكة الموكّلين بالشمس: ردّوها عليّ حتّى اصلى العصر في وقتها، فأخذ هو وأصحابه يمسحون سوقهم وأعناقهم مسحاً وهذا وضوئهم ثم إنّهم صلّوا العصر وقتها.

٤٠٠٤ ـ (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثمّ أناب)

واقسم بالله تعالى أنا اختبرنا سليمان عليه السّلام بفقدان الولد، ولمّا ولدله وَلَدٌ بعد سنين، استرضعه في المزن وهو السحاب، خوفاً من مضرّة الشياطين وألقينا ولده على

كرسيّه في حجره جسداً ميتاً ثمّ أناب سليمان إلى الله تعالى.

٤٠٠٥ ـ (قال ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهّاب)

قال سليمان عليه السّلام ـ خاشعاً متذّللاً ـ: يا ربّ اغفرلي أوّلاً وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي من ملوك الدّنيا ثانياً، إنّك أنت الكثير المواهب والعطايا...

٤٠٠٦ ـ (فسخّرناله الريح تجرى بأمره رخآء حيث أصاب)

فاستجبنا لدعآء سليمان عليه السّلام وسخّرناله الريح مكان الخيل، تجرى له بأمره لينة حيثما أراد.

٤٠٠٧ ـ (والشياطين كلّ بنّآء وغوّاص)

وسخّرنا لسليمان عليه السّلام شياطين الجنّ كلّ بنّآء منهم يبنون له الأنبية، وكلّ غوّاص منهم يستخرجون له أنواع الجواهر من البحار.

٤٠٠٨ ـ (وآخرين مقرّنين في الأصفاد)

وسخّرناله عليه السّلام طائفة آخرين متمرّدين من الشياطين، فحبسناهم بالقيود والأغلال.

٤٠٠٩ ـ (هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب)

قلنا لسليمان عليه السّلام: هذا عطاؤنا الخاص بك فاعط منه ماشئت لمن شئت أو أمسك عن العطآء مَن شئت.

٤٠١٠ ـ (وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب)

وإنّ لسليمان عليه السّلام مع ما نال به من العطايا... عندنا لقربى في الدرجات وحسن مصير.

٤٠١١ ـ (واذكر عبدنا أيّوب إذ نادي ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب)

واذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لقومك عبدنا أيّوب و صبره على البلايا إذ نادى ربّه: يا ربّ إنّي مسنى الشيطان بتعب وزجر.

٤٠١٢ ـ (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

يا أيّوب! إضرب برجلك على الأرض، هذا مغتسل إغتسل فيه، وهذا بارد عذب قابل للشرب، فاشرب منه.

٤٠١٣ ـ (ووهبناله أهله ومثلهم معهم رحمة منّا وذكرى لاولى الألباب)

ووهبنا لأيوب أهله الذين ما توا قبل الإبتلآء وبعده رحمة منّا شاملة له عليه السّلام وتزكيراً لأصحاب العقول السليمة.

٤٠١٤ ـ (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تخث إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب)

وخذ بيدك يا أيّوب عذقاً فاضرب به إمرأتك ضربة واحدة حتّى تخرج من يمينك ولا تأثم فيه، إنّا وجدنا أيوب صابراً، نعم العبد أيّوب لأنّه كان كثير الرجوع إلى الله تعالى في كلّ حال.

٤٠١٥ ـ (واذ كرعبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب اولى الأيدى والأبصار)

واذكر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم لقومك عبادنا: إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السّلام ليقتدوا بهم في حميد أفعالهم وكريم أخلاقهم هم كانوا أصحاب القوّة في العبادة لله تعالى وحده وأصحاب البصيرة في الدين.

٤٠١٦ ـ (إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)

إنا أخلصنا إبراهيم واسحق ويعقوب بخصلة خالصة فيهم لا شائبة فيها وهي تذكّرهم الدار الآخرة في كلّ حال.

٤٠١٧ ـ (وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)

وإن هؤلآء المخلصين عندنا لمن الأخيار الذين اصطفيناهم للنبوّة.

٤٠١٨ ـ (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار)

واذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لقومك اسمعيل واليسع وذا الكفل ليقتدوا بهم في منهج الحق والصلابة في الدين، وكلّ هولآء عندنا من الأخيار.

٤٠١٩ ـ (هذا ذكروإنّ للمتقين لحسن مآب)

هذا القرآن هو ذكر للعالمين فذكّربه الناس، وإنّ للذين يتقون ربّهم لحسن مرجع.

٤٠٢٠ ـ (جنات عدن مفتّحة لهم الأبواب)

مصير جنات خلود فتحت لهم بالأمر والإشارة لا بالمسّ، إكراماً لهم.

٤٠٢١ ـ (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)

حالكون المتقين جالسين في مساكنهم جلسة الملوك ، ناعمين فيها بما تشتهيه أنفسهم من أنواع الفاكهة على كثرتها وألوان الشراب لا يقدر قدرها.

٤٠٢٢ ـ (وعندهم قاصرات الطرف أتراب)

وبين يدى هؤلآء المتقين فتيات جميلات لا يلتفتن إلى غير أزواجهن، متساويات في الحسن والجمال...

٤٠٢٣ ـ (هذا ماتوعدون ليوم الحساب)

يقال لهؤلآء المتقين: هذه النعم هي الّتي كنتم توعدون بها في الدّنيا ليوم الحساب والجزآء.

٤٠٢٤ ـ (إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد)

إنّ هذا النعيم لرزقنا للمتقين ماله إنقطاع ولا نهاية.

٤٠٢٥ ـ (هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآب)

هذا الرزق الدآئم للمتقين، وإنّ للذين طغوا سوء منقلب يرجعون إليه.

٤٠٢٦ ـ (جهنّم يصلونها فبئس المهاد)

مآب الطاغين جهنّم يدخلونها ويقسون شديد نارها، فبئس الفراش افترشوه لأنفسهم.

٤٠٢٧ ـ (هذا فليذ وقوه حميم وغسّاق)

هذا الجزآء للطاغين ثابت لا محالة، فلا بدلهم إلّا أن يذوقوه هو مآء حارّ محرق يشوى الوجوه، وما يسيل من صديد أهل النار وقيحهم.

٤٠٢٨ ـ (وآخر من شكله أزواج)

وأنواع آخر من شكل هذا العذاب ثابت للطاغين.

٤٠٢٩ ـ (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار)

قالت خزنة جهنم للطاغين حين دخولهم فيها: هذا جمع كثيف من أتباعكم داخلون النار معكم، فاذاً قال الطاغون القادة: لا اتسعت مداخلهم في النار انهم واردوها وقالوا أنواع عذابها مثلنا لا محالة.

٤٠٣٠ ـ (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار)

أجاب الأتباع لقادتهم، مخاطبين لهم: بل أنتما أيّها القادة لا اتسعت مداخلكم في النار، أنتم قدمتم هذا العذاب لنا لإغوائكم إيانا، فبئس القرار جهنم لناولكم.

٤٠٣١ ـ (قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار)

لما انقطعت المخاصمة بين القادة الفجرة وأتباعهم السفلة قال الأتباع ـ دعاءً على رؤسآئهم ـ: ربّنا آت مَن قدّم وسبّب لنا هذا العذاب، فزده عذاباً مضاعفاً في النار.

٤٠٣٢ ـ (وقالوا مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار)

ولما دخلت القادة وأتباعهم في النار، وما رأوا واحداً من الذين كانوا يعدّونهم من الأشرار دهشوا وتسآءلوا أين هم؟ فينظر بعضهم في وجوه بعض فحينئذ يقولون ـ على سبيل التعجّب ـ مابالنا لانرى معنا في النار رجالاً كنّا نعدّهم في الدّنيا من الأشرار؟

٤٠٣٣ ـ (أتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار)

كنّا نتخذهم في الدّنيا سخرياً أكنّا نحن على خطاء في استهزآئنا بهم فكانوا هم ناجين؟ أم هم موجودون في النار ولكن مالت عنهم أبصارنا فلم ترهم؟

٤٠٣٤ ـ (إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النار)

إنّ الذي حكيناه عنهم لحقّ واقع لامحالة، هذا تخاصم أهل النار فيها.

٤٠٣٥ ـ (قل إنّما أنا منذر وما من إله إلّا الله الواحد القهار)

قل يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم للناس: إنّما أنا نذير مرسل من ربّي لأُبيّن لكم آياته، وأدعوكم إلى التوحيد والعبادة لله الواحد القاهر فوق عباده، الغالب لجميع خلقه.

٤٠٣٦ ـ (ربّ السّموات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار)

مبدع السموات والأرض وما بينهما من الخلائق ومالكها ومدبّرها المنيع الذي لا مثل له، السّتّار لذنوب كلّ من تاب وآمن وعمل صالحاً.

٤٠٣٧ ـ (قل هو نبؤا عظيم)

قل يا أيّها النبّي صلى الله عليه وآله وسلّم لامّتك ونبههم أنّ هذا القرآن خبر عظيم.

٤٠٣٨ ـ (أنتم عنه معرضون)

أنتم أيّها المسلمون عن القرآن معرضون.

٤٠٣٩ ـ (ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: لولا الوحى من الله تعالى إليّ لما كنت أدرى باختلاف الملإ الأعلى في شأن آدم عليه السّلام.

٤٠٤٠ ـ (إن يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين)

لما يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين لكم ذلك:

٤٠٤١ ـ (إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين)

إذ قال ربّك للملائكة قبل أن يخلق آدم: إني خالق بشراً ـ آدم من طين.

٤٠٤٢ ـ (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فإذا سوّيت خلق آدم ونفخت فيه من روحي الخاص به فقلتُ لِلملائكة وفيهم إبليس: أُسجدوا لهذا المخلوق الخاص سجود تكرمة.

٤٠٤٣ ـ (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)

فامتثل الملائكة كلّهم أمرالله تعالى فسجدوا كلهم لآدم عليه السّلام

٤٠٤٤ ـ (إلاّ ابليس استكبرو كان من الكافرين)

إلاّ إبليس أبو الجنّ تعظّم عن السجود لآدم فلم يسجد له وكان من الكافرين إذ كان قبل الأمر بالسجود مصمّماً على الإمتناع عن السجود إذا أُمِرَ به.

٤٠٤٥ ـ (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين)

قال الله تعالى ـ على سبيل التوبيخ ـ: يا إبليس أيّ شيء منعك عن السجود لآدم الذي خلقته للاهتمام التام به؟ أرفعت نفسك فوق قدرها؟ أم رأيت نفسك من الذين علت أقدارهم عن السجود له عليه السّلام؟

٤٠٤٦ ـ (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

قال إبليس: أنا خير من آدم لأنك خلقتنى من نار، وخلقته من طين، والنار أفضل من الطين والفاضل لا يسجد لمفضول.

٤٠٤٧ ـ (قال فاخرج منها فانك رجيم)

قال الله تعالى لابليس المتكبّر: فاخرج من الملإ الأعلى فانك مطرود من رحمتي.

٤٠٤٨ ـ (وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين)

وإن عليك يا إبليس لعنتي ثابتة إلى يوم الحساب والجزآء.

٤٠٤٩ ـ (قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون)

قال إبليس: يا ربّ فإذ أخرجتنى من الملإ الأعلى بسبب تكبّرى فأجّلنى ولا تهلكنى إلى يوم يبعث الناس من قبورهم.

٤٠٥٠ ـ (قال فانك من المنظرين)

قال الله تعالى لإبليس: فانك من الممهلين ولكن لا ما أردته بل:

٤٠٥١ ـ (إلى يوم الوقت المعلوم)

إلى يوم الوقت المعلوم عندنا لا ما أردته.

٤٠٥٢ ـ (قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين)

قال إبليس: فلمّا أجّلتنى، أُقسم بعزّتك التي تغلب بها كلّ شيء لاضلنّ بني آدم أجمعين عن دينك.

٤٠٥٣ ـ (إلّا عبادك منهم المخلصين)

إلّا عبادك من بني آدم الذين أخلصوا دينهم لك واستخلصتهم لعبادتك.

٤٠٥٤ ـ (قال فالحق والحق أقول)

قال الله تعالى لإبليس: إن أغويتهم فاقسم بالحق، والحق أقول:

٤٠٥٥ ـ (لأملئن جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين)

لأملئنّ جهنّم من جنسك من شياطين الجن، وممّن استجاب دعوتك من بني آدم

أجمعين.

٤٠٥٦ ـ (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين)

قل يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لامتك : لا أسئلكم على تبليغ رسالتى أجراً ما من جاه أومال ولا أتكلّف لدعوتي ما يخرجنى عن حدود التبليغ.

٤٠٥٧ ـ (إن هو إلّا ذكر للعالمين)

قال لهم: ليس هذا القرآن إلّا ذكراً للعالمين في كلّ ظرف على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومللهم ونحلهم...

٤٠٥٨ ـ (ولتعلمنّ نباه بعد حين)

ألا يا أهل العالم! اقسم بعزّتي وجلالى أنكم لتعلمنّ خبر صدق هذا القرآن حين ظهور هذا الدين على الدين كله ولو كره الكافرون.

﴿بحث روائي﴾

في **المحاسن**: باسناده عن الحسين بن أبي العلا عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «أوّل صلاة صلاّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في السمآء بين يدى الله تبارك وتعالى مقابل عرشه جلّ جلاله، أوحى إليه وأمره أن يدنومن صاد، ويتوضّأ وقال: أسبغ وضوءك ، وطهّر مساجدك ، وصلّ لربّك ، قلت له: وما الصّاد؟ قال: عين تحت ركن من أركان العرش أُعدَّتْ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قرأ أبوعبدالله عليه السّلام: «ص والقرآن ذي الذكر» فتوضّأ منها وأسبغ وضوئه ...» الخبر.

وفي العلل: باسناده عن اسحق بن عمّار قال: «سئلت أباالحسن موسى بن جعفر عليه السّلام كيف صارت الصّلاة ركعة وسجدتين؟ وكيف إذا صارت سجدتين لم تكن ركعتين؟ فقال: إذا سئلت عن شيئ ففرّغ قلبك لتفهم، إنّ أوّل صلاة صلاّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إنّما صلاّها في السّمآء بين يدى الله تبارك وتعالى قدّام عرشه جلّ جلاله، وذلك أنّه لما أُسرى به وصار عند عرشه تبارك وتعالى ـ قال: يا محمد! ادن من صاد فاغسل مساجدك وطهّرها وصلّ لربّك ، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى حيث أمره الله تبارك وتعالى فتوضّا فأسبغ وضوئه ثمّ استقبل الجبّار تبارك وتعالى قآئماً فأمره بافتتاح الصلاة ففعل ـ إلى أن قال إسحق ـ: قلت: جعلت فداك وما صاد الذي أُمِرَ أن يغتسل منه ؟ فقال: عين ينفجر من ركن من أركان العرش، يقال له: مآء الحياة وهو ما قال الله عزّوجلّ: «ص و القرآن ذي الذكر» إنّما أمره أن

يتوضّأ ويقرأو يصلّى».

وفي معاني الأخبار: باسناده عن سفيان الثورى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام - في رواية - قال عليه السّلام: «وأما «ص» فعين تنبع من تحت العرش وهي الّتي توضّأ منها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لمّا عرج به، ويدخلها جبرئيل عليه السّلام كل يوم دخلة فيغتمس فيها ثم يخرج فينفضّ أجنحته، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلّا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويحمّده إلى يوم القيامة...» الحديث.

وفي الكافي: باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السّلام - في حديث المعراج إلى ان قال -: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ثمّ أوحى الله لي يا محمّد أدن من صاد فاغسل (واغتسل خ) مساجدك وطهّرها وصلّ لربّك، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من صاد وهو مآء يسيل من ساق العرش الأيمن...» الحديث.

وفي الإقبال: باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن سيّد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السّلام - في حديث قال عليه السّلام في مناجاته -: «وخصصته صلى الله عليه وآله وسلّم بالكتاب المنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلّم والسبع المثاني الموحات إليه صلى الله عليه وآله وسلّم وسميّته القرآن، وأكنيته الفرقان العظيم، فقلتَ جلّ إسمك: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» وقلت جلّ قولك له صلى الله عليه وآله وسلّم حين إختصصته بما سميّته من الأسمآء: «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» وقلت عزّ قولك: «يس والقرآن الحكيم» وقلت تقدّست أسمآؤك: «ص والقرآن ذي الذكر» وقلت عظمت آلآؤك: «ق والقرآن المجيد» فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته، وقرنت القرآن معه، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلّا وهو إسمه، وذلك شرف شرّفته به وفضل بعثته إليه...» الحديث.

وفي البلد الأمين: - في باب أسمآء الله الحسنى - قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلّم - في حديث طويل -: «وأسئلك باسمك التام العامّ الكامل يا الله وأسئلك باسمك «ص» و«يس» و«الصّافات» و«حم عسق» و«كهيعص» يا الله...» الدّعآء.

وفي المصباح: في دعآء الامام عليّ بن الحسين عليه السّلام: «إن «ص» إسم من أسمآء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم اقسم به الله تعالى».

وفي المجمع: وقال ابن عباس: هو إسم من أسمآء الله تعالى اقسم به وروى ذلك عن الصادق عليه السّلام.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «في عزّة وشقاق» قال: يعنى في كفر وقوله: «فنادواولات حين مناص» أي ليس هو وقت مفرّ، وقوله: «إلّا اختلاق» أي تخليط، وقوله: «من الأحزاب» يعنى الذين تحزّبوا عليك يوم الخندق.

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «قلت: قوله: «وكم أهلكنا...» الآية؟ قال عليه السّلام: أهلك الله من الامم مالا تحصون».

وفي إحقاق الحق: ومن كلام الإمام الحسن بن عليّ المجتبى عليهما السّلام: «يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور يقول: ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فوت، أي لا مهرب ولا ملجأ يفوتون ويلجأون إليه، وهذا نحو قوله: «فنادوا ولات حين مناص» أي نادوا حين لا مهرب».

وفي البحار: قال علي بن إبراهيم: «ولمّا أتى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم زمان، عند ذلك أنزل الله عليه: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقام على الحجر وقال: يا معشر قريش يا معشر العرب أدعوكم إلى عبادة الله وخلع الأنداد والأصنام، وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله، فأجيبوني تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونون ملوكاً، فاستهزؤوا منه وضحكوا، وقالوا: جنّ محمّد بن عبدالله وآذوه بألسنتهم، وكان مَن يسمع من خبره ماسمع من أهل الكتاب يسلمون، فلمّا رأت قريش مَن يدخل في الإسلام جزعوا من ذلك ومشوا إلى أبي طالب وقالوا:

كفّ عنّا ابن أخيك، فانّه قدسفّه أحلامناه، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا. وقالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إلى ماتدعوا؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وخلع الأنداد كلها، قالوا: ندع ثلا ثمأة وستّين إلهاً. ونعبد إلهاً واحداً؟ وحكى الله تعالى عزّ وعلا قولهم: «وعجبوا أن جآء هم منذرمنهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ـ إلى قوله ـ بل لمّا يذوقوا عذاب».

ثمّ قالوا لأبيطالب: إن كان إبن أخيك يحمله على هذا العُدْم جمعناله مالاً فيكون أكثر قريش مالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: مالي حاجة في المال فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدّنيا وملوكاً في الآخرة، وفتفرّقوا ثمّ جاؤا إلى أبيطالب فقالوا: أنت سيّد من ساداتنا وإبن أخيك فرّق جماعتنا، فهلمّ ندفع إليك أبهى فتًى من قريش وأجملهم وأشرفهم عمارة بن الوليد يكون لك إبناً وتدفع إلينا محمّداً لنقتله، فقال أبوطالب: ما أنصفتموني، تسئلوني أن أدفع إليكم إبني لتقتلوه، وتدفعون إليّ إبنكم لأُربيّه لكم، فلمّا أيسوا منه كفّوا»

وفي عيون الأخبار: باسناده عن علي بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليّ بن موسى عليه السّلام ـ وقد سئل عنه عليه السّلام مسائل في عصمة الأنبيآء عليهم السّلام ـ فقال المأمون: «لله درّك يا أباالحسن فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ: «ليغفرلك الله ماتقدّم من ذنبك وما تأخرّ»؟ قال الرّضا عليه السّلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلا ثمأة وستّين صنماً فلمّا جآءهم صلى الله عليه وآله وسلّم بالدّعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق» فلمّا فتح الله عزّوجلّ على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم مكّة قال له: يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم «إنا فتحنالك» مكة «فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر» عند

مشركي أهل مكـة بدعائك إلى تـوحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهـم عن مكّة، ومَن بقي مـنهم لم يقدر علـى إنكار التوحيد عليه إذا دعـا النـــاس إليـه، فصار ذنـبـه عنـدهـم فـي ذلـك مغـفـوراً بظـهـوره عليـهـم...» الحـديـث.

وفـي الـدر المنثور: عـن أبـي مـجلز قال: قال رجـل يـوم بدر: ماهم إلّا النسآء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «بل هم الملأ» وتلا: «وانطلق الملأ منهم»

وفـي نـهج البلاغة: ـ فـي الـخطبة القاصعـة ـ قـال مولى الموحّديـن إمـام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالـب عليه السّلام: «ولقد كنت معه صلى الله عـليه وآله وسلّم لمّا أتاه الملأ من قـريش فقالوا له: يـا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم إنّك قد ادّعيتَ عظيماً لم يدّعه آبآؤك ولا أحد من بيتك ونحن نسئلك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبيّ ورسول وإن لـم تفعل علـمنا أنك ساحـر كذّاب فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: وما تسئلون؟ قالوا: تدعـولنا هذه الشجـرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بـين يديك، فقال صلـى الله عليـه وآله وسلّم: إنّ الله علـى كلّ شي ء قدير، فـان فعل الله لكم ذلـك أتؤمنون وتشـهدون بالحق؟ قالـوا: نعم، قال صلى الله علـيه وآله وسلّم: فانّي سـأريكم ما تطلبون، وإنّـي لأعلم أنـكـم لاتفيـئون إلى خـير، وإن فيـكـم مَن يُطرح فـي القلـيـب، يُحزّب الأحزاب.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلّم: يا أيّتها الشـجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسـول الله فانقلعى بعروقك حتى تقضي بين يديّ باذن الله. والذي بعثه بالحق لا نـقلعـت بعروقهـا وجآئت ولهـادويّ شديد، وقضفٌ كـقصف أجنحة الطير، حتّى وقفت بين يـدى رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلّم مُرَفرِفةً، وألقـت بغُصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وببعض أغصـانها على منكبى وكنت عن يمينه صلى الله عـليه وآله وسلّـم فلمّا نظر الـقوم إلى ذلـك قالوا علوّاً واسـتكباراً: فمـرها فليأتك نصفها ويبقـى نصفها، فأمرها بذلـك فأقبل إليه نصفـها كأعجب إقبال وأشـدّه دَويّاً، فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقالوا كفراً وعتوّاً:

فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلى الله عليه وآله وسلّم فرجع، فقلت أنا: لا إله إلّا الله إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأوّل مَن أقرّ بأنّ الشجرة فَعَلَتْ ما فَعَلَتْ بأمرالله تعالى تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل ساحز كذّاب! عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك إلّا مثل هذا؟! يعنونني ...»

وفي اصول الكافي: باسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ اناساً تكلّموا في هذا القرآن بغير علم - إلى أن قال -: وقوله: «وما أضلّنا إلّا المجرمون» يعنى المشركين الذين اقتدوابهم هؤلآء فاتبعوهم على شركهم وهم قوم محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ليس فيهم من اليهود والنصاري أحد وتصديق ذلك قول الله عزّوجلّ: «كذّبت قبلهم قوم نوح» «كذب أصحاب الأيكة» «كذّبت قوم لوط» ليس هم اليهود الذين قالوا عزيز ابن الله ولا النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله سيدخل الله اليهود والنصارى النار ويدخل كلّ قوم بأعمالهم...» الحديث.

قيل: لعلّ المراد أنّ القائلين بهذا القول أعنى قولهم: «وما أضلّنا إلّا المجرمون» هم مشركوا قوم نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم الذين اتبعوا آبآءهم المكذّبين للأنبيآء عليهم السّلام بدليل أن الله تعالى ذكر عقيب ذلك في مقام التفصيل،المكذّبين للأنبيآء عليهم السّلام طائفة بعد طائفة، وليس المراد بهم أحداً من اليهود والنصارى الذين صدّقوا نبيّهم، وإنّما أشركوا من جهة اخرى وإن كان الفريقان يدخلان النار أيضاً، فقوله: «سيدخل الله» استدراك لدفع توهّم عدم دخولها النار، وعدم دخول غيرهما ممّن أسآء العمل.

وفي العلل: باسناده عن أبان الأحمر قال: «سئلت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «وفرعون ذي الأوتاد» لأيّ شيء سُمِّيَ ذا الأوتاد؟ قال: لأنّه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، مدّيديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد ثمّ تركه على

حاله حتّى يموت فسمّاه الله عزّوجلّ: «فرعون ذا الاوتاد» لذلك »

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «وفرعون ذي الأوتاد» قال: عمل الأوتاد التى أراد أن يصعد بها إلى السمآء.

وفي معاني الأخبار: باسناده عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في قوله الله عزّوجلّ «وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب» قال: نصيبهم من العذاب»

وفي تأويل الآيات الظاهرة للأسترابادي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «اصبر على ما يقولون» يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من تكذيبهم إيّاك فانّي منتقم منهم برجل منك وهو قآئمي الذي سلّطته على دمآء الظلمة».

وفي التوحيد: بإسناده عن محمد بن مسلم قال: «سئلت آبا جعفر عليه السّلام فقلت: قوله عزّوجل: «يا إبلس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ»؟ فقال عليه السّلام: اليد في كلام العرب: القوّة والنعمة قال الله: «واذكر عبدنا داود ذا الأيد» وقال: «والسمآء بنيناها بأيد» أي بقوّة وقال: «وأيدهم بروح منه» أي قوّاهم ويقال: لفلان عندى أيادي كثيرة أي فواضل وإحسان، وله عندى يد بيضآء أي نعمة».

قيل: ومنه يظهرأن التأييد مشتقّ من اليد بمعنى القوّة.

وفي البحار: بالإسناد عن إبراهيم بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «واذكر عبدنا داود ذا الأيد» قال: ذا القوّة»

وفي الد ر المنثور: عن أبي الدردآء، قال: «كان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم إذا ذكر داود عليه السّلام وحدث عنه قال: كان أعبد البشر».

وفي رواية: سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن الأوّاب فقال: هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «إنا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ

والاشراق» قال: يعني إذا طلعت الشمس».

وفي تفسير الجامع لأحكام القرآن: «روى عن إبن عباس أنّه قال: كنت أمرّ بهذه الآية: «بالعشيّ والإشراق» ولا أدرى ماهي؟ حتّى حدّثنى أُمّ هاني: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضّأ ثمّ صلّى صلاة الضحى وقال: يا أُمّ هانئ هذه صلاة الإشراق» **وفي تفسير الطبري:** عن إبن عباس أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان إذا سبّح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه وإجتماعها إليه كان حشرها».

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن أبن الصّلت الهروى قال: «كان الإمام علي بن موسى الرّضا صلوات الله عليهما يكلّم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة، فقلت له يوماً: يابن رسول الله إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها؟ فقال: يا أبا صلت أنا حجّة الله على خلقه وما كان الله ليتخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أوما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «اويتنا فصل الخطاب» فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات»

وفيه: ـ في الزيارة الجامعة لجميع الأئمة المنقولة عن الإمام الجواد عليهم السّلام: «وفصل الخطاب عندكم»

وفي الخصال: باسناده عن الأصبغ بن نباته عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السّلام قال: «سمعته يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علّمني ألف باب من الحلال والحرام مما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب حتّى علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

وفي اصول الكافي: باسناده عن المفضّل بن عمر عن أبن عبدالله عليه السّلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: ولقد اعطيت خصالاً ما سبقنى إليها أحد قبلى، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب».

وفي بصآئر الدرجات: باسناده عن سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام: عندى علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل

الخطاب».

وفي جوامع الجامع: وعن علي عليه السّلام هو قوله: «البيّنة على المدّعى واليمين على المدّعى عليه».

وفي الجامع لأحكام القرآن: عن علي بن أبيطالب عليه السّلام: «هو البيّنة على المدّعى واليمين على مَن أنكر».

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن أبي الصّلت الهروى قال: «لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلّا وقد ألزم حجّته كأنّه قد أُلقِمَ حجراً فقام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبيآء؟ قال: بلى قال: فما تعمل في قول الله عزّوجلّ ـ في داود: «وظنّ داود أنّما فتنّاه»؟؟

فقال مولانا الرّضا عليه السّلام ـ: وأما داود فما يقول مَن قبلكم فيه؟ فقال عليّ بن الجهم: يقولون: إن داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج إلى الدار، فخرج في أثره فطار الطير إلى السّطح، فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنّان فاطّلع داود في أثر الطير فاذا بامرأة اوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها وكان اوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم اوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر أُوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب الثانية أن قدّمه أمام التابوت، فقتل اوريا رحمه الله وتزوّج داود بامرأته.

فضرب الرّضا عليه السّلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد نسبتم نبيّاً من أنبيآء الله إلى التهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطير ثمّ بالفاحشة ثمّ بالقتل!

فقال: يابن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أنّ ما خلق الله عزّوجلّ خلقاً هو أعلم منه: فبعث الله عزّوجلّ إليه الملكين فتسوّرا

المحراب فقالا: «خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سوآء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب».

فعجّل داود عليه السّلام على المدّعى عليه فقال: «لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه» ولم يسئل المدّعى البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه، فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه لا ماذهبتم إليه ألا تسمع قول الله عزّوجلّ يقول: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق» إلى آخر الآية فقلت: يا بن رسول الله فما قصّته مع أوريا؟

فقال الرّضا عليه السّلام: إنّ المرءة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل مَن أباح الله عزوجلّ له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود فذلك الذي شقّ على اوريا».

وفي العيون: «فتزوّج بامرأة اوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها فذلك الذي شق على الناس من قبل اوريا»

أقول: ولا يبعد أن يكون داود عليه السّلام ظنّ أنه أعلم أهل زمانه وهذا وإن كان صادقاً إلّا أنّه لما كان مصادفاً لنوع من العجب نبّهه الله تعالى بارسال الملكين، وعلى تقرير أن يكون المراد ظنّ أنه أعلم من السابقين أيضاً فيحتمل أن يكون المراد التجويز والإحتمال بأن يقال: لم يكن ظهر عليه بعد أعلميتهم بالنسبة إليه أو يخصّ بعلم المحاكمة أو يكون ذلك الظنّ كناية عن نهاية الإعجاب بعلمه، وأمّا تعجيله عليه السّلام في حال الترافع فليس المراد أنه حكم بظلم المدّعى عليه قبل البيّنة إذ المراد بقوله: «لقد ظلمك» إنه لو كان كما تقول فقد ظلمك، بل كان الأصوب والأولى أن لا يقول ذلك أيضاً إلّا بعد وضوح الحكم.

وفي وسائل الشيعة: بالإسناد عن أبي الصّلت الهروى عن الرّضا عليه السّلام في حديث ـ: «إن داود عليه السّلام عجّل على المدّعى عليه فقال: «لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه ولم يسئل المدّعى البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدّعىٰ عليه

عليه فيقول له: ماتقول، فكان هذا خطيئة رسم الحكم، لاماذهبتم اليه».

وفيه: بالإسناد عن الحسن بن عبدالله بن محمّد الرازي عن أبيه عن الرّضا عن آبائه عن عليّ عليهم السّلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لما وجّهني إلى اليمن: إذا تُحُوكِمَ إليك فلاتحكم لأحد الخصمين دون أن تسئل من الآخر، قال عليه السّلام: فما شككت في قضآء بعد ذلك »

وفيه: عن الحسن بن عليّ عليه السّلام أن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم بعثه براءة ـ إلى أن قال: ـ فقال: إنّ الناس سيتقاضون إليك فاذا أتاك الخصمان فلاتقض لواحد حتّى تسمع الآخر فانّه أجدر أن تعلم الحق»

وفي الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «وفصل الخطاب» قال عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «وهو البيّنة على المدّعى واليمين على من أنكر» ثمّ قال القرطبى: قال القاضي أبوبكربن العربي: «فأماعلم القضآء فلعمر إلهك إنّه لنوع من العلم مجرّد وفصل منه مؤكّد، غير معرفة الأحكام والبصر بالحلال والحرام ففي الحديث: «أقضاكم عليّ عليه السّلام» وقديكون الرجل بصيراً بأحكام الأفعال، عارفاً بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضآء».

وفيه «يروى أنّ عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه قال: لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى اليمن حفر قوم زُبية للاسد فوقع فيها الأسد، وازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق بآخر، وتعلّق الآخر بآخر حتّى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد فيها فهلكوا، وحمل الناس السلاح وكاد يكون فيهم قتال، قال: فأتيتهم فقلت: أتقتلون مأتي رجل من أجل أربعة اناس! تعالوا أقض بينكم بقضآء فإن رضيتموه فهو قضآء بينكم وإن أبيتم رفعتم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فهو أحق بالقضاء، فجعل للأوّل ربع الدية، وجعل للثاني ثلث الدية، وجعل للثالث نصف الدّيه وجعل للرابع الدّية وجعل الديات على مَن حفر الزبية على قبائل الأربع، فسخط بعضهم ورضي بعضهم، ثمّ قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقصّوا عليه

القصة، فقال: «أنا اقضي بينكم فقال قائل: إن علياً عليه السّلام قد قضى بيننا فأخبروه بما قضى عليّ عليه السّلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «القضآء كما قضى عليّ» في رواية: «فأمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قضآء عليّ عليه السّلام»

وفي أمالي الصدوق: باسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام أنه قال لعلقمة: «إن رضا الناس لايملك وألسنتهم لاتضبط، ألم ينسبوا داود عليه السّلام إلى أنّه تبع الطير حتى نظر إلى إمرأة أوريا فهواها وأنّه قدّم زوجها أمام التابوت حتّى قتل ثمّ تزوّج بها...» الحديث.

وفي المجمع: «وقد روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنه قال: لا اوتي برجل يزعم أنّ داود تزوّج امرأة اوريا إلّا جلّدته حدّين: حدّاً للنبوّة وحدّاً للإسلام».

وفي رواية: قال الامام علي عليه السّلام: «من حدّثكم بحديث داود عليه السّلام على ما يرويه القصّاص جلّدته مأة وستين» وهو حدّ الفرية على الأنبيآء عليهم السّلام.

أقول: وهذا لاينافي ماتقدّم من تزويجه إياها بعد إنقضآء عدّتها لنسخ حكم الجاهلية من عدم تزويج المرأة بعد وفاة زوجها، كما تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم زينب بنت جحش لنسخ حكم التبنّيْ.

وقد وردت في المقام روايات تركناها إذلنا فيها نظر وتأمّل.

وفي البلد الأمين: يستحبّ أن يقول في قنوت الوتر ما كان أميرالمؤمنين عليه السّلام يقول في الإستغفار: «وقلت تباركت وتعاليت: «وظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب أستغفرك وأتوب إليك...» الدعآء

وفي تحف العقول: - في وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام لهشام -: «يا هشام ثم مدح - الله تعالى - القلّة فقال: «وقليل من عبادي الشكور» وقال: «وقليل ماهم» وقال: «وما آمن معه إلّا قليل» الحديث.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «وقليل ماهم» قال: «وسمع

عمر ـ ابن الخطاب ـ رجلاً يقول في دعآئه: «اللهم اجعلني من عبادك القليل» فقال له عمر: ماهذا الدعآء؟ فقال: أردت قول الله عزّوجلّ: «إلّا الذين آمنوا وعملو الصّالحات وقليل ماهم» فقال عمر: كلّ الناس أفقه منك يا عمر»

أقول: هذا هو حدود علم عمر بن الخطاب بكتاب الله جلّ وعلا فتدبّرو لا تغفل ولا تفد نفسك لمن كان هذا علمه بكتاب الله تعالى وإلّا فأنت تحشر معه وهو يتبرّأ منك في نار جهنّم.

وفي مكارم الأخلاق ـ في مواعظ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم لا بن مسعود في سيرة بعض مشاهير الأنبيآء عليهم السّلام ـ: «يا ابن مسعود كلّ هذا منهم يبغضون ما أبغض الله ويصغّرون ما صغّر الله ويزهدون ما أزهد الله، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه فقال لنوح: «إنه كان عبداً شكوراً» وقال لإبراهيم: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً» وقال لداود: «إنا جعلناك خليفة في الأرض» الحديث.

في كشف الحق للعلامة الحلّى، وفي الطرآئف: من تفسير الحافظ محمّد بن مؤمن باسناده عن علقمة عن ابن مسعود قال: وقعت الخلافة من الله عزّوجلّ في القرآن لثلاثة نفر: لآدم عليه السّلام لقول الله تعالى: «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة» يعنى خالق في الأرض خليفة يعنى آدم عليه السّلام ثمّ قال في الحديث المذكور: والخليفة الثاني داود عليه السّلام لقوله تعالى: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض» يعنى في أرض بيت المقدس، والخليفة الثالث أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام لقول الله تعالى في السورة الّتي يذكر فيها النور: «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات» يعنى علي بن أبيطالب عليه السّلام «ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» آدم وداود «وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم» من أهل مكة «أمناً» يعنى في المدينة «يعبدونني» يوحّد ونني «لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك» بولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام «فاولئك هم الفاسقون» يعنى العاصين لله

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفي عيون الأخبار: باسناده عن يحيى بن سعيد عن الرضا عن آبآئه عن عليّ عليهم السّلام قال: «بينما أنا أمشى مع النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طوال، كثّ اللّحية بعيد مابين المنكبين، فسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ورحبّ به ثمّ التفت إليّ وقال: السلام عليك يا رابع الخلفآء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: بلى، ثمّ مضى، فقلت: يا رسول الله ماهذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله.

إنّ الله عزّوجلّ قال في كتابه: «إنّي جاعل في الأرض خليفة» والخليفة المجعول فيها آدم عليه السّلام وقال عزّوجلّ: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ» فهو الثاني، وقال عزّوجلّ حكاية عن موسى عليه السّلام حين قال لهارون: «اخلفنى في قومي وأصلح» فهو هارون إذا استخلفه موسى عليه السّلام في قومه وهو الثالث، وقال عزّوجلّ: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر» فكنت أنت المبلّغ عن الله وعن رسوله، وأنت وصييّ ووزيرى وقاضي دينى والمؤدّي عنّي، وأنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدى، فأنت رابع الخلفآء كما سلّم عليك الشيخ، أولا تدرى من هو؟ قلت: لا قال: ذاك أخوك الخضر عليه السّلام فاعلم».

أقول: قوله عليه السّلام: «لا» أي لا أقول قبل أن تقول، وهذا غاية أدب ونهاية تعظيم منه عليه السّلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإلّا فانّه عليه السّلام كان يعلم ويعرفه قطعاً.

٢٧ ـ (وما خلقنا السمآء والأرض ومابينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب

عليه السّلام ـ للسائل الشامي لمّا سئله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضآء من الله وقدر؟ ـ: «ويحك! لعلك ظننت قضآء لازماً وقدراً حاتماً، ولوكان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً ولم يُعصَ مَغلوباً، ولم يطع مُكرِهاً، ولم يُرسل الأنبيآء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً «ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»».

وفي احتجاج الإمام السادس جعفربن محمد الصادق عليه السّلام ـ على بعض الملحدين ـ: «إن كان الأمر كما تقولون ـ وليس كما تقولون ـ فقد نجونا ونجوتم، وإن كان الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ فقد نجونا وهلكتم ونقول: إن الله عزّوجلّ لم ينشي ٔهذا الخلق لعباً ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ولا بعث النبيين عبثاً، ولا ترك الناس سدى «ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»».

وفي روضة الكافي: باسناده عن إسمعيل بن مخلّد السرّاج عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في رسالة كتبها لأصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فاذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها ـ: «فاعرفوا منزلتكم فيما بينكم وبين أهل الباطل، فانه لا ينبغي لأهل الحق أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل لأنّ الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل، ألم يعرفوا وجه قول الله في كتابه إذ يقول: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار» أكرموا أنفسكم عن أهل الباطل، ولا تجعلوا الله تبارك وتعالى ـ وله المثل الأعلى ـ وإمامكم دينكم تدينون به عرضة لأهل الباطل، فتغضبوا الله عليكم فتهلكوا...» الحديث.

وفي تفسير القمي: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: «سئلت الصادق عليه السّلام عن قوله: «أم نجعل الذين آمنوا وعلموا الصّالحات» قال: أميرالمؤمنين

وأصحابه «كالمفسدين في الأرض» حبتر وزريق وأصحابهما «أم نجعل المتقين» أميرالمؤمنين وأصحابه «كالفجار» حبتر ودلام وأصحابهما».

أقول: الحبتر - في الأصل -: الثعلب، وقد عبّر به عن أبي بكر بن أبي قحافة لكثرة خدعته ومكره، وزريق: كناية عن عمربن الخطاب إمّا لزرقة عينه أو لأنّ الزرقة ممّا يتشائم به العرب، كناية عن نحوسته، والدلام أيضاً كناية عنه، أو الألفاظ الثلاثة كنايات عن الثلاثة... **وفي الدر المنثور:** عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه قال: «قال أبوالقاسم صلى الله عليه وآله وسلّم: كما أنّه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا تنال الفجار منازل الأبرار»

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: سئلت الصادق عليه السّلام عن قوله: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته» قال عليه السّلام: هم أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام «وليتذكّر اولواالألباب» فهم اولواالألباب (فهم أهل الألباب الثاقبة خ) قال عليه السّلام: وكان أميرالمؤمنين عليه السّلام يفتخر بها ويقول: ما اعطى أحد قبلى ولا بعدى مثل ما اعطيت».

وفي الفقيه: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال: موجباً، إنّما يعنى بذلك وجوبها على المؤمنين، ولو كانت كما يقولون لهلك سليمان بن داود حين أخّر الصّلاة حتّى تورات بالحجاب لأنّه لوصلاّها قبل أن تغيب كان وقتاً وليس صلاة أطول وقتاً من العصر».

رواه في العلل ثمّ قال رحمة الله تعالى عليه: «إنّ الجّهال من أهل الخلاف يزعمون أنّ سليمان عليه السّلام إشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتّى توارت الشمس بالحجاب، ثمّ أمر بردّ الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها، وقال: إنّها شغلتني عن ذكر ربّي وليس كما يقولون جلّ نبيّ الله سليمان عليه السّلام عن مثل هذا الفعل لأنّه لم يكن للخيل ذنب، فيضرب سوقها وأعناقها لأنّها لم تعرض نفسها عليه ولم تشغله، وإنّما عرضت عليه وهي بهائم غير مكلّفة.

والصحيح في ذلك ماروى عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: «إن سليمان بن داود عليهما السّلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليّ حتّى أُصلّى صلاتي في وقتها فردّوها، فقام فطفق فمسح ساقيه وعنقه وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك وكان ذلك وضوئهم للصلاة، ثمّ قام فصلّى فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم وذلك قول الله عزّوجلّ: «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربي حتّى توارت بالحجاب ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق»

وقوله: عليه السّلام: «موجباً» تفسير لقوله تعالى: «موقوتاً» فيكون تأكيداً لقوله تعالى: «كتاباً».

في تنزيه الأنبيآء: قال السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: «ظاهر الآية لايدل على إضافة قبيح إلى النبيّ عليه السّلام والرواية إذا كانت مخالفة لماتقتضيه الأدلّة لايلتفت إليها لوكانت قوية ظاهرة، فكيف إذا كانت ضعيفة واهية؟! والذي يدل على ما ذكرناه على سبيل الجملة: أن الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثنآء عليه فقال: «نعم العبد إنه أوّاب» وليس يجوز أن يثنى عليه بهذا الثنآء ثمّ يتبعه من غير فصل باضافة القبيح إليه، وأنّه تلهّى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصلاة، والذي يقتضيه الظاهر أنّ حبّه للخيل وشغفه بها كان عن إذن ربّه وأمره وبتذكيره إيّاه لأنّ الله تعالى قد أمرنا بارتباط الخيل وإعدادها لمحاربة الأعدآء، فلاينكر أن يكون سليمان مأموراً بمثل ذلك» انتهى كلامه.

وفي المجمع: قال إبن عباس: «سئلت علياً عليه السّلام عن هذه الآية، فقال: مابلغك فيها يا إبن عباس؟ قلت: سمعت كعباً يقول: إشتغل سليمان بعرض الأفراس حتّى فاتته الصلاة فقال: ردّوها عليّ يعنى الأفراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنّه ظلم الخيل

بقتلها، فقال عليّ عليه السّلام: كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنّه أراد جهاد العدوّ حتّى تورات الشمس بالحجاب، فقال بأمرالله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس: «ردّوها عليّ» فردّت فصلّى العصر في وقتها، وإنّ أنبيآء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهّرون».

رواه القرطبى في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) ثمّ قال: «قلت: الأكثر في التفسير:أن الّتي توارت بالحجاب هي الشمس، تركها لدلالة السامع عليها بماذكر مما يرتبط بها ويتعلق بذكرها حسب ماتقدّم بيانه وكثيراً ما يضمرون الشمس قال لبيد:

حتّى إذا ألقَتْ يداً في كافر وأجنّ عَوْرات الثغور ظلامها

ثمّ قال القرطبى: «قلت: ومَن قال: إنّ الهآء في «ردّوها» ترجع للشمس فذلك من معجزاته وقد اتفق مثل ذلك لنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسمآء بنت عُمَيس من طريقين: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كان يُوحىٰ إليه ورأسه في حجر عليّ، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أصلّيت يا عليّ؟ قال: لا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسمآء: فرأيتها غربت ثمّ رأيتها بعد ماغربت طلعت على الجبال والأرض وذلك بالصَّهْباء في خيبر قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات».

فمسئلة ردّ الشّمس لا إشكال فيه بعد ثبوت الإعجاز للأنبياء والأوصياء المعصومين عليهم السّلام وقدورد ردّها لغيره عليه السّلام كيوشع بن نون وعلي بن أبيطالب عليه السّلام في النقل المعتبر فلا يعتنى بذبذبة المذبذبين فيها **وفي تفسير الطبرى:** عن أبي الصهباء البكرى يقول: «سئلت علي بن أبيطالب عليه السّلام عن الصلاة الوسطى فقال: هي العصر، وهي الّتي فتن بها سليمان بن داود وقوله: «حتّى توارت بالحجاب» يقول: حتّى توارت الشمس بالحجاب يعنى تغيبت في مغيبها»

وفي الاحتجاج ـ مما أجاب به أبوالحسن علي بن محمّد العسكرى عليه السّلام في

رسالته إلى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر و التفويض ـ قال عليه السّلام في قوله تعالى: «ولقد فتنّا سليمان» أي إختبرناه»

وفي قرب الأسناد: محمّد بن عبدالحميد عن أبي جميلة عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول سليمان عليه السّلام: «ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنّك أنت الوهّاب» قلت: فأعطى الذي دعابه؟ قال: نعم ولم يعط بعده إنسان ما أُعطى نبي الله عليه السّلام من غلبة الشيطان فخنقه إلى سوابطه حتّى أصاب لسانه يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال رسول الله صلى الله عليه: وآله وسلّم لولا مادُعِيَ به سليمان لأريتكموه»

وفي الإحتجاج: روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبآئه عن الحسين بن عليّ عليهم السّلام قال: «إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأميرالمؤمنين عليه السّلام: فانّ هذا سليمان اعطى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده؟ فقال له عليّ عليه السّلام: لقد كان ذلك ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم أعطى ماهو أفضل من هذا، انه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله وهو ميكائيل، فقال له: يا محمّد عش ملكاً منعماً وهذه مفاتيح خزآئن الأرض معك ويسير معك جبالها ذهباً وفضّة ولا ينقص لك فيما ادّخرلك في الآخرة شي ء، فاومى إلى جبرئيل عليه السّلام وكان خليله من الملائكة؟ فأشار إليه أن تواضع، فقال: بل أعيش نبيّاً عبداً آكل يوماً ولا آكل يومين، والحق باخواني من الأنبيآء، فزاده الله تعالى الكوثر وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أوّلها إلى آخرها سبعين مرّة ووعده المقام المحمود، فاذا كان يوم القيامه أقعده الله تعالى العرش فهذا أفضل مما اعطى سليمان عليه السّلام».

وفي بصآئر الدرجات: باسناده عن عبدالله بن بكير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كنت عنده فذكر سليمان وما اعطى من العلم، وما أوتي من الملك، فقال لي: وما اعطى سليمان بن داود إنّما كان عنده حرف واحد من الإسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله تعالى: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب» فكان والله عند عليّ عليه السّلام علم الكتاب».

وفي نور الثقلين: بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان سليمان عنده إسم الله الأكبر الذي إذا سئل به اعطى، وإذا دعى أجاب، ولوكان اليوم لاحتاج إلينا»

وفي تفسير القمي: باسناده عن الأصبغ بن نباته عن أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: «خرج سليمان بن داود من بيت المقدس ومعه ثلا ثمأة ألف كرسيّ عن يمينه عليها الإنس، وثلا ثمأة ألف كرسيّ عن يساره عليها الجنّ، وأمر الطير فأظلّتهم، وأمر الريح فحملتهم حتّى ورد ايوان كسرى في المدائن، ثمّ رجع فبات باصطخر، فاضطجع ثمّ غدا فانتهى إلى مدينة بركاوان (ناحية بفارس) ثمّ أمر الرياح فحملتهم حتّى كادت أقدامهم يصيبها المآء وسليمان عليه السّلام على عمود منها، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً قط أعظم من هذا أوسمعتم به؟ فقالوا: ما رأينا ولا سمعنا بمثله، فناداهم ملك من السمآء: ثواب تسبيحة واحدة في الله أعظم مما رأيتم».

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن عليّ بن يقطين قال: «قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام: أيجوز أن يكون نبيّ الله عزّوجلّ بخيلاً؟ فقال: لا، فقلت له: فقول سليمان: «ربّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» ما وجهه ومعناه؟ فقال: الملك ملكان: ملك ماخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره كملك آل إبراهيم وملك طالوت وملك ذي القرينن، فقال سليمان عليه السّلام: «هب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدى» أن يقول: إنّه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، فسخّر الله عزّوجلّ له الريح تجرى بأمره رخآء حيث أصاب، وجعل غدوّها شهراً ورواحها شهراً، وسخّر الله عزّوجلّ له الشياطين كلّ بنّآء وغوّاص، وعلّم منطق الطير ومكّن في الأرض، فعلم الناس في وقته وبعده أنّ ملكه لايشبه ملك الملوك المختارين (الجبّارين خ) من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور قال:

فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: رحم الله أخي سليمان بن داود ما كان أبخله؟! فقال: لقوله عليه السّلام وجهان: أحدهما ـ ما كان أبخله بعرضه وسوء

القول فيه، والوجه الآخر: يقول: ماكان أبخله إن كان أراد مايذهب إليه الجهّال. ثمّ قال عليه السّلام: قدو الله أوتينا ما اوتي سليمان ومالم يؤت سليمان ومالم يؤت أحد من الأنبيآء قال الله عزّوجلّ في قصّة سليمان: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» وقال عزّوجلّ في قصّة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم: «ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا»

وفي مناقب آل أبي طالب عليه السّلام لإبن شهرآشوب المازندراني: «وفي تخريج أبي سعيد العاصرى رواية عن صالح بن الحكم بيّاع السابرى قال: «كنت واقفاً فلمّا أخبرني حاجب المتوكّل بذلك أقبلت استهزئ به إذ خرج أبوالحسن عليه السّلام فتبسّم في وجهي من غير معرفة بيني وبينه، وقال: يا صالح إنّ الله تعالى قال في سليمان: «وسخّرنا له الريح تجرى بأمره رخآء حيث أصاب» ونبيّك وأوصيآء نبيّك أكرم على الله تعالى من سليمان، قال: وكأنّما أنسل من قلبى الضلالة فتركتُ الوقف»

قوله: «أنسل» من الزحام: انطلق في استخفآءٍ

وفي مكارم الأخلاق: حرز القلنسوة، كان بالمك النجاشي صداع فكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في ذلك فبعث إليه هذا الحرز فخاطه في قلنسوته فسكن ذلك عنه وهو:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، بسم الله الحقّ المبين، شهدالله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة واولواالعلم قآئماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» لله نور وحكمة، وعزّة وقوّة، وبرهان وقدرة، وسلطان ورحمة،يا مَن لا ينام لا إله إلّا الله إبراهيم خليل الله لا إله إلّا الله موسى كليم الله، لا إله إلّا اللهعيسى روح الله وكلمته، لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وصفيّه وصفوته صلى الله عليه وآله وسلّم عليهم أجمعين اسكن سكّنتك بما سكن له ما في السموات والأرض، وبمن يسكن له ما في الليل والنهار وهو السميع العليم «فسخّرنا له الريح تجرى بأمره رخآء حيث أصاب والشياطين كلّ بنّآء وغوّاص ألا إلى الله تصير الامور»

وفي الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في حديث طويل قال فيه ـ لأقوام يظهرون الزهد ويدعون النـاس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من النقشف: «أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليهما السّلام؟ حين سئل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى فأعطاه الله جلّ إسمه ذلك، وكان يقول الحق ويعمل به، ثمّ لم نجد الله عزّوجلّ عاب عليه ذلك ولا أحد من المؤمنين وداود النّبيّ عليه السّلام قبله في ملكه وشدّة سلطانه».

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبى: «وقال جابر بن عبدالله: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «كان نقش خاتم سليمان بن داود: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»».

وفي اصول الكافي: باسناده عن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فسئله رجل عن آية من كتاب الله عزّوجلّ فأخبره بها ثمّ دخل عليه داخل فسئله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأوّل، فدخلنى من ذلك ماشآء الله حتّى كأنّ قلبى يشرّح بالسكاكين فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشّام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كلّه، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسئله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبى فسكنت نفسي، فعلمت أنّ ذلك منه تقيّة، قال: ثمّ إلتفت إليّ فقال لي: يا إبن أشيم إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلى سليمان بن داود عليه السّلام فقال: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» وفوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» فما فوّض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقد فوّضه إلينا».

أقول: ليس المراد بالتفويض، تفويض خلق الكون، وتدبير نواميس الوجود، وتفويض التشريع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على ماتوهّم بعض الشارحين، بل المراد أنّ الله تعالى فوّض إلى الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بيان الحكم الواقعى في موضعه، وبيان حكم التقيّة في محلّها، والسكوت فيما لم يروا المصلحة في بيان شئ، كما أنّه تعالى فوّض إلى سليمان عليه السّلام العطآء من

المال والمنع منه، وأمر الناس بتسليم ذلك له ٠

وفيه: باسناده عن عبدالله بن سنان قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «لا والله مافوّض الله إلى أحد من خلقه إلّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإلى الأئمة عليهم السّلام قال عزّوجلّ: «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» وهي جارية في الأوصيآء عليهم السّلام»

وفيه: وباسناده عن زيد الشحّام قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» قال: أعطى سليمان ملكاً عظيماً ثم جرت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فكان له أن يعطى ماشآء مَن شآء وأعطاه أفضل ممّا أعطى سليمان لقوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا»

وفي عيون الأخبار: باسناده عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السّلام: «ماتقول في التفويض؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم أمر دينه، فقال: «ماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» فأمّا الخلق والرزق فلا، ثمّ قال عليه السّلام: إنّ الله عزّوجلّ خالق كلّ شي وهويقول عزّوجلّ: «الذي خلقكم ثمّ رزقكم ثم يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون»

وفي فروع الكافي: باسناده عن على بن الحكم عن بعض أصحابنا قال: «أولم أبوالحسن موسى عليه السّلام على بعض ولده فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام الفالوذجات في الجفان في المساجدو الأزقّة، فعابه بذلك بعض أهل المدينة فبلغه ذلك فقال عليه السّلام: ماآتى الله عزّوجلّ نبيّاً من أنبيآئه شيئاً إلّا وقد آتى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم مثله وزاده مالم يؤتهم، قال لسليمان عليه السّلام: «هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب» وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم: «وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا»

وفي الخرائج والجرائح لقطب الدّين الراوندى رحمة الله تعالى عليه - في باب

أعلام الإمام جعفربن محمّد الصادق عليه السّلام و كراماته ـ : روى : «أن داود الرّقي قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فقال لي : مالي أرىٰ لونك متغيّراً ؟ قلت غيّره دين فادح (فاضح خ) عظيم، وقد هممت بركوب البحر إلى السّند لإتيان أخي فلان، قال : إذا شئت فافعل قلت : تروّعنى (يروعَنى خ) عنه أهوال البحر وزلاله، فقال : يا داود! إنّ الّذي يحفظك في البرّ هو حافظ لك (حافظك خ) في البحر يا داود! لولا إسمى و روحى لما اطّردت الأنهار ولا أينعت الثمار ولا اخضرّت الأشجار.

قال داود: فركبت البحر حتّى إذا كنت بحيث ماشآء الله من ساحل البحر، بعد مسيرة مأة وعشرين يوماً، خرجت قبل الزوال يوم الجمعة، فاذاً السمآء متغيّمة، وإذاً نور ساطع من قرن السّمآء إلى جدد الأرض، وإذا صوت خفيّ: يا داود هذا أوان قضآء دينك فارفع رأسك قد سلمت، قال: فرفعت رأسي أنظر النور ونوديت: عليك بما ورآء الأكمة الحمراء فأتيتها، فاذاً بصفائح ذهب (صفائح من ذهب خ) أحمر ممسوح أحد جانبيه، وفي الجانب الآخر مكتوب: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» قال: فقبضتها ولها قيمة لا تُحصىٰ.

فقلت: لا أحدّث فيها حتّى آتي المدينة، فقد متها، فدخلت على أبي عبدالله عليه السّلام فقال لي : يا داود! إنّما عطاؤنا لك النور الذي سطح لك، لاماذهب إليه من الذهب والفضّة، ولكن هو لك هنيئاً مريئاً عطآء من ربّ كريم فاحمد الله.

قال داود: فسئلت معتّباً خادمه عليه السّلام فقال: كان في ذلك الوقت الذي تصفه يحدّث أصحابه منهم: خيثمة وحمران وعبد الأعلى مقبلاً عليهم بوجهه، يحدّثهم بمثل ما ذكرت، فلمّا حضرت الصّلاة قام فصلّى بهم.

قال داود: فسئلت هؤلآء جميعاً، فحكوا إلى حكاية معتّب»

قوله: «فادح»: صعب ثقيل، و«السِند» بلاد بين الهند وكرمان وسبحستان و«الأكمة»: التلّ.

وفي اصول الكافي: بإسناده عن الوشآء قال: سئلت الرّضا عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك : «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسئولون قلت: فأنتم المسئولون ونحن السائلون؟ قال: نعم قلت: حقاً علينا أن نسئلكم؟ قال: نعم قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تبارك وتعالى: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»

وفي تأويل الآيات الظاهرة: باسناده عن زكريّا الزُجاجي قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ علياً عليه السّلام كان فيما ولى بمنزلة سليمان بن داود إذ قال له سبحانه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»

معنى ذلك أنّ الّذي وليه أميرالمؤمنين عليه السّلام من الإمامة والخلافة والرياسة العامّة على الجنّ والإنس وجميع خلق الله بمنزلة ماوليه سليمان عليه السّلام من الملك الموهوب والرياسة العامة على الجنّ والإنس والطير والوحوش وغير ذلك، وأميرالمؤمنين عليه السّلام أُعطِىَ مالم يُعطَ سليمان لأنّه أُعطِىَ كل ما اعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وممّا أعطاه الله ما اعطى سليمان وغيره من الأنبيآء عليهم السّلام فصار ما اعطى أميرالمؤمنين أعظم ما اعطى سليمان».

وفيه: عن جابر بن يزيد الجعفى عن رجل عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام قال: دخل سلمان رضي الله عنه على أميرالمؤمنين عليه السّلام فسئله عن نفسه فقال: يا سلمان أنا الذي إذا دعيت الامم كلّها إلى طاعتى فكفرت فعذّبت في النار وأنا خازنها عليهم حقاً، أقول يا سلمان: إنّه لا يعرفنى أحد حقّ معرفتى إلّا كان معى في الملاء الأعلى، قال: ثمّ دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: يا سلمان هذان شنفا عرش ربّ العالمين، بهما تشرق الجنان، وأمّهما خيرة النسوان أخذ الله على الناس الميثاق بي، فصدّق مَن صدّق، وكذّب من كذّب فهو في النار وأنا الحجّة البالغة والكمة الباقية وأنا سفير السُفرآء.

قال سلمان: يا أميرالمؤمنين لقد وجدتك في التوراة كذلك وفي الإنجيل

كذلك، بأبي أنت وامّي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس: واشوقاه رحم الله قاتل سلمان لقلت فيك مقالاً تشمئزّ منه النفوس لأنك حجّة الله الذي به تاب على آدم، وبك أنجى يوسف من الجبّ وأنت قصّة أيّوب وسبب تغيير نعمة الله عليه.

فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: أتدرى ما قصّة أيّوب وسبب تغيير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أميرالمؤمنين قال: لمّا كان عند الانبعاث للمنطق (للنطق خ) شك أيّوب في ملكى، فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم قال الله عزّوجلّ: يا أيّوب أتشك في صورة أقمته أنا؟ أنيّ إبتليت آدم بالبلآء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بامرة المؤمنين فأنت تقول: خطب جليل وأمر جسيم؟ فوعزّتي لا ذيقنّك من عذابي أو تتوب إليّ بالطاعة لأميرالمؤمنين، ثمّ أدركته السعادة بي» يعنى أنّه تاب إلى الله وأذعن بالطاعة لأميرالمؤمنين صلّى الله عليه وعلى ذرّيته الطيبين.

وفي البحار: بالإسناد عن هشام بن سالم عن ابي عبدالله عليه السّلام قال: لمّا طال بلآء أيّوب ورأى إبليس صبره أتى إلى أصحاب له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم: مرّوا بنا إلى هذا العبد المبتلى نسئله عن بليّته، قال: فركبوا وجاؤوه فلما قربوا منه نفرت بغالهم، فقرّبوها بعضاً إلى بعض ثمّ مشوا إليه، وكان فيهم شابّ حدث فسلّموا على أيّوب وقعدوا وقالوا: يا أيّوب لو اخبرتنا بذنبك فلا نرى تبتلى بهذا البلاء إلّا لأمر كنت تسرّه قال أيّوب عليه السّلام: وعزّة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً قطّ إلّا ومعى يتيم أو ضغيف يأكل معى، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلّا أخذت بأشدّهما على بدني، فقال الشابّ: سوءة لكم عمدتم إلى نبيّ الله فعنفتموه حتّى أظهر من عبادة ربّه ما كان يستره فعند ذلك دعا ربّه وقال: «ربّ إنّي مسنى الشيطان بنصب وعذاب» وقال: قيل لأيّوب عليه السّلام بعد ما عافاه الله تعالى: أيّ شئ أشدّ مامرّ عليك؟ قال: شماتة الأعدآء»

في تنزيه الأنبياء: قال السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: «فان قيل: فما قولكم في الأمراض والمحن الّتي لحقت نبيّ الله أيّوب عليه السّلام أو ليس قد نطق القرآن بأنّها كانت جزآءً على ذنب في قوله: «إنّي مسنى الشيطان بنصب وعذاب»

والعذاب لا يكون إلّا جزآء ًكالعقاب والآلام الواقعة على سبيل الامتحان لا تسمّى عذاباً ولا عقاباً أوليس قد روى جميع المفسرين: أنّ الله تعالى إنّما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقصّته مشهورة يطول شرحها؟

قال السّيّد رحمه الله تعالى - جواباً عن ذلك -: «قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدلّ على أن أيّوب عليه السّلام عوقب بما نزل به من المضار وليس في ظاهره شيءٌ ممّا ظنّه السائل لأنّه تعالى قال: «واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب» والنصب هو التعب، وفيه لغتان: فتح النون والصّاد وضمّ النون وتسكين الصّاد، والتعب هو المضرّة الّتي لا تختصّ بها العقاب، وقد تكون على سبيل الإختبار والإمتحان، فأمّا العذاب فهو أيضاً يجرى مجرى المضار الّتي لا يختصّ اطلاق ذكرها بجهة دون جهة، ولهذا يقال للظالم المبتدى بالظلم: إنّه معذّب ومضرّ ومولم، وربّما قيل: معاقب على سبيل المجاز وليس لفظة العذاب بجارية مجرى لفظة العقاب لأنّ لفظة العقاب يقتضي بظاهرها الجزآء لأنّها من التعقيب والمعاقبة، ولفظة العذاب ليست كذلك، فأما إضافته ذلك إلى الشيطان وإنّما ابتلاه الله تعالى به فله وجه صحيح لأنّه لم يضف المرض والسقم إلى الشيطان وإنّما أضاف إليه ما كان يستضرّ به من وسوسته ويتعب به من تذكيره له ما كان فيه من النعم والعافية والرخآء، ودعآئه له إلى التضجّر والتبرّم بما هو عليه، ولأنّه كان أيضاً يوسوس إلى قومه بأن يستقذروه ويتجنّبوه لما كان عليه من الأمراض البشعة المنظر ويخرجوه من بينهم وكلّ هذا ضرر من جهة اللعين إبليس...»

أقول: لا فرق بين ما صدر من أشقياء الإنس وأشرارهم بالنسبة إلى الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين حيث خلاّهم الله تعالى مع إرادتهم بمقتضى حكمته الكاملة ولم يمنعهم عنها، وبين ما نقل من تسلط إبليس في تلك الواقعة، فان الجواب مشترك نعم لا يجوز أن يتسلّط الشيطان على أديانهم كما دلّت عليه الآيات الكريمة منها قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في امنيّته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثمّ يحكم الله آياته والله عليم حكيم»

الحج: ٥٢)

وأمّا الأبدان فلم يقم دليل على نفي تسلّطه عليها أحياناً لضرب من المصلحة، وكيف لا وهو الذي يغرى الأشرار في قتل الأخيار وإضرارهم بل يغرى المستكبرين الفجار في قتل الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ـ قل فلم تقتلون أنبيآء الله من قبل إن كنتم مؤمنين» البقرة: ٦١-٩١)

وقال: «إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس» آل عمران: ٢١)

هذا هو يحيى بن زكريا عليهما السّلام قدذبحه أشرار قومه، وهذه هي فاطمة الزهرآء بضعة محمّد المصطفى وهذا هو عليّ بن أبيطالب والحسين سيّد الشهداء وغيرهم من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين قتلهم فجّار هذه الامّة...

فلا دليل لنا على امتناع قدرة إبليس على فعل يوجب تقريح الأجساد وحدوث الأمراض ولا فرق في ذلك بين شياطين الجنّ والإنس... نعم لوقيل بعدم ثبوت بعض الخصوصيّات من جهة الأخبار لأمكن ذلك لكنّ الحكم بنفيها بمجرّد الإستبعاد غير موجّه والله جلّ وعلا هو أعلم.

في فروع الكافي: عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: «إنّ الله عزّوجلّ يتبلى المؤمن بكلّ بليّة ويميته بكلّ ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كلّ شيء منه ولم يسلّط على عقله، ترك مايوحّد الله عزّوجلّ به»

وفي فروع الكافي: باسناده عن يحيى بن عباد المكّيّ قال: قال لي سفيان الثورى: إنّي أرى لك من أبي عبدالله عليه السّلام منزلة فسله عن رجل زنى وهو مريض إن أُقيم عليه الحدّمات، ماتقول فيه؟ فسئلته فقال: هذه المسئلة من تلقآء نفسك أوقال لك إنسان أن تسئلني عنها؟ فقلت: سفيان الثورى سئلني أن أسئلك، فقال

أبوعبدالله عليه السّلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أُتي برجل احتبن مستسقى البطن قدبدت عروق فخذيه وقدزنى بامرأة مريضة، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعذق فيه مأة شمراخ، فضرب به الرجل ضربة وضُرِبَتْ به المرأة ضربة ثمّ خلّى سبيلهما ثمّ قرأ هذه الآية: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث»

قوله عليه السّلام: «احتبن» الحبن ـ محركة ـ دآء في البطن يعظم منه ويرم فهو أحبن.

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «وآتيناه أهله ومثلهم معهم» قلت: أحيى له ولده كيف اعطى مثلهم معهم؟ قال: أحياله من ولده الذين ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ».

وفي رواية اخرى عن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السّلام ـ حديث طويل ـ: «ثمّ قال: «ووهبناله أهله ومثلهم معهم...» قال عليه السّلام: فردّ الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلآء وردّ عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابهم البلآء كلهم أحياهم الله تعالى له فعاشوا معه».

وفي رواية: انّ أيّوب عليه السّلام قال في مناجاته: «إلهى قدعلمت أنه لم يخالف لساني قلبى ولم يتبع قلبى بصرى، ولم يلهنى ماملكت يمينى، ولم آكل إلّا ومعى يتيم، ولم أبت شبعان ولا كاسياً ومعى جائع أوعريان، فكشف الله تعالى ضرّه».

أسئلة القرآن: ص٢٩٩)

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «اولى الأيدى والأبصار» قال: يعنى اولى القوّة وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفرعليه السّلام في قوله: «اولى الايدى والأبصار» يعنى اولى القوّة في العبادة والبصر فيها».

وفي العيون: ـ في خبر طويل رواه الحسن بن محمد النوفلى عن الرضا عليه السّلام فيما احتجّ به على جاثليق النصارى أن قال عليه السّلام ـ: «أن اليسع قد صنع مثل ماصنع عيسى عليه السّلام مشى على المآء وأحيى الموتى وأبرء الأكمه والأبرص فلم

يتخذه امّته ربّاً ...» الخبر.

وفي البحار: عن قصص الأنبيآء: الصدوق عن الدقّاق عن الأسدى عن سهل عن عبدالعظيم الحسنيّ قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السّلام أسئله عن ذي الكفل ما إسمه؟ وهل كان من المرسلين؟ فكتب صلوات الله وسلامه عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مأة ألف نبيٍّ وأربعة وعشرين ألفاً نبيّاً، المرسلون منهم ثلا ثمأة وثلا ثة عشر رجلاً وإنّ ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم وكان بعد سليمان بن داود عليه السّلام وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود ولم يغضب إلّا لله عزّوجلّ وكان إسمه عويديا وهو الذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال: «وإذكروا سمعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار»

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «إن هذا لرزقنا ماله من نفاد» قال: أي لاينفد أبداً ولا يفنى».

٥٥ ـ (هذا وإن للطاغين لشرّ مآب)

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «وإن للطاغين لشرّ مآب» هم الأوّلان ـ أبوبكر وعمر ـ وبنواميّة، ثمّ ذكر مَن كان بعدهم ممّن غصب آل محمّد حقّهم فقال: «وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم» وهو بنو السباع، فيقول بنواميّة: «لا مرحباً بهم آنهم صالوا النار» فيقول بنو فلان: «بل أنتم لامرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا» وبدأتم بظلم آل محمد «فبئس القرار» ثمّ يقول بنواميّة: «ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار» يعنون الأوّلين ـ أبي بكر وعمر ـ ثمّ يقول أعدآء آل محمّد في النار: «مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» في الدنيا وهم شيعة أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام «اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار» ثمّ قال: «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» فيما بينهم وذلك قول الصادق عليه السّلام والله إنّكم لفي الجنّة تحبرون وفي النار تطلبون».

أقول: الأوّلان كناية عن أبي بكر وعمر بن الخطاب، و«بنو السباع» كناية عن

بني العباس وهو مقلوب العباس، والمعنى ان بني العباس إذا دخلوا النار والتحقوا بالأوّلين قبلهم، فيقول المتقدّمون لهؤلآء اللاحقين: «لا مرحبا بهم انهم صالوا النار» فيقول لهم الآخرون: «بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار» أي انتم الذين بدأتم بظلم آل محمد عليهم السّلام ونحن تبعناكم، ثم يقول بنوامية وبنوالعباس: «ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار» يعنون أبا بكر وعمربن الخطاب ثم يقولون وهم جميعاً في النار: «مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» في الدنيا وهم شيعة علي بن أبيطالب عليه السّلام.

وفي المجمع: روى العياشي بإسناده إلى جابر الجعفي عن أبي عبدالله عليه السّلام أنه قال: إنّ أهل النار يقولون: «مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» يعنونكم ويطلبونكم فلا يرونكم في النار لا والله لا يرون أحداً منكم في النار».

وفي بشارات الشيعة: باسناده عن سليمان الديلمي قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام لأبي بصير: «لقد ذكركم الله عزّوجلّ في كتابه إذ حكى قول أعدآئكم وهم في النار: «وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» والله ماعنوا ولا أرادوابها غيركم إذ صبرتم في العالم على شرار الناس (صرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس خ) وأنتم خيار الناس وأنتم والله في النار تطلبون، وأنتم والله في الجنّة تحبرون».

وفي أمالي الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه عن أبي محمّد الفحّام عن المنصورى عن عمّ أبيه قال: دخل سماعة بن مهران على الصّادق عليه السّلام فقال عليه السّلام له: «يا سماعة مَن شرّ الناس؟ قال: نحن يا بن رسول الله قال: فغضب حتّى احمرّت وجنتاه ثمّ استوى جالساً ـ وكان متكئاً ـ فقال: يا سماعة مَن شرّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يابن رسول الله نحن شرّ الناس عند الناس لأنّهم سمّونا كفّاراً ورفضة (رافضة خ) فنظر إليّ ثمّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنّة وسيق بهم إلى النار، فينظرون إليكم، فيقولون: «مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار».

يا سماعة بن مهران إنّه مَن أسآء منكم إسآءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة

بأقدأمنا فنشفع فيه فنشفّع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النّار منكم ثلا ثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنا فسوا في الدرجات وأكمدوا أعدآء كم بالورع».

وقوله عليه السّلام: «أكمدوا»: أغمّوهم وأمرضوا قلوبهم...

وفي البحار: بالإسناد عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ في جهنّم لواد يقال له: غسّاق، فيه ثلا ثون وثلا ثمأة قصر، في كلّ قصر ثلا ثون وثلا ثمأة بيت، في كلّ بيت ثلا ثون وثلا ثماة عقرب في حمة كل عقرب ثلا ثون وثلا ثمأة قلّة سمّ، لو أنّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنّم لوسعتهم سمّاً»

وفي تفسير القمي: قال: «الغسّاق واد في جهنّم، فيه ثلا ثماة وثلا ثون قصراً في كلّ قصر ثلا ثمآة بيت، في كلّ بيت أبعون زاوية، في كلّ زاوية شجاع، في كلّ شجاع ثلاث مأة وثلا ثون عقرباً، في كلّ حمة عقرب ثلا ثمأة وثلا ثون قلة من سم، لو أنّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنم لو سعهم سمّها» **وفي رواية:** عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «لو أن دلواً من غسّاق يُهراق في الدّنيا لأنتن أهل الدنيا».

وفي المجمع: في قوله تعالى: «هذا فوج مقتحم معكم» الآية روى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ النّار تضيق عليهم كضيق الزج بالريح».

وفي روضة الكافي: باسناده عن عنبسة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إذا استقرّ أهل النار في النار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً، فيقول بعضهم لبعض: «مالنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار» قال: وذلك قول الله عزّوجلّ: «إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار» يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدّنيا»

وفي البحار: قال الامام الصادق عليه السّلام - في وصف المؤمنين -: «هم أعزّ في الناس من الكبريت الأحمر، حليتهم طول السكوت وكتمان السّرّ، والصّلاة والزكاة والحجّ والصّوم، والمواساة للاخوان في حال اليسر والعسر، فذلك حليتهم ومحبتهم،

يا طوبى لهم وحسن مآب، هم وارثو الفردوس، خالدين فيها، ومثلهم في أهل الجنان مثل الفردوس في الجنان، وهم المطلوبون في النار، المحبورون في الجنان، فذلك قول أهل النار: «ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» فهم أشرار الخلق عندهم، فيرفع الله منازلهم حتّى يرونهم، فيكون ذلك حسرة لهم في النار، فيقولون: «يا ليتنا نردّ» فنكون مثلهم، فلقد كانوا هم الأخيار، وكنّا نحن الأشرار فذلك حسرة لأهل النار»

وفي التوحيد: باسناده عن أبي معمّر السعداني عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال في جواب من ادّعى التناقض بين آيات القرآن منها: «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» و«لا تختصموا لديّ» فأجاب الإمام عليّ عليه السّلام بأن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة...» الحديث.

٦٥ ـ (قل إنّما أنا منذر وما من إله إلّا الله الواحد القهّار)

في بصائر الدرجات: باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت: «جعلت فداك إنّ الشيعة يسئلونك عن تفسير هذه الآية: «عمّ يتساءلون عن النباء العظيم» قال: فقال: ذلك إليّ إن شئت أخبرهم، قال: فقال: لكنّي أُخبرك بتفسيرها، قال: فقلت: «عمّ يتساءلون» قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: ما لله آية أكبر منّي ولا لله من نباءٍ عظيم أعظم منّي، ولقد عرضت ولايتي على الامم الماضية فأبت أن تقبلها، قال: قلت له: «قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» قال: هو والله أمير المؤمنين عليه السّلام»

وفي المناقب لابن شهرآشوب المازندراني عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام قال: قال عليّ عليه السّلام: «ما لله نبأ أعظم منّي» وروى أنّه لمّا هربت الجماعة يوم احد كان عليّ عليه السّلام يضرب قدّامه صلى الله عليه وآله وسلّم وجبرئيل عن يمين النبيّ وميكائيل عن يساره فنزل: «قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» وكان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: ما لله آية أكبر منّي»

وفي تفسير القمي: ثمّ قال عزّوجلّ: يا محمد «قل هو نبأ عظيم» يعني أمير المؤمنين عليه السّلام «أنتم عنه معرضون».

وفي الغيبة النعمانية: بإسناده عن زرارة ـ في حديث ـ أن أبا عبدالله عليه السّلام قال: «والله ليظهرنّ عليكم صاحبكم وليس في عنق أحدٍ له بيعة، وقال: فلا يظهر صاحبكم حتّى يشك فيه أهل اليقين: «قل هو نباء عظيم أنتم عنه معرضون».

وفي بصآئر الدجارت: عن الإمام الباقر عليه السّلام: «هو والله أمير المؤمنين عليه السّلام وعن الصادق عليه السّلام: النبأ الإمامة».

وفيه: باسناده عن سليمان بن سدير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: «قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» قال: الذين اوتوا العلم: الأئمة والنبأ: الإمامة.

وفي مصباح الشيخ الطوسى قدس سرّه ـ في خطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الغدير ـ قال: «هذا يوم عظيم الشأن ـ إلى قوله ـ: «هذا يوم الملأ الأعلى الذي أنتم معرضون».

وفي تفسير القمي: بإسناده عن اسمعيل الجعفي قال: «كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبوجعفر عليه السّلام في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السمآء مرّة وإلى الكعبة مرّة ثمّ قال: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ» وكرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ إلتفت إليّ فقال: أيّ شيء يقولون أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قلت: يقولون: أسرى به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس فقال: ليس هو كما يقولون، لكنّه أسرى به من هذه إلى هذه وأشار بيده إلى السمآء، وقال: مابينهما حرم، فلمّا انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل عليه السّلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك، فرأيت من نور ربّي، وحال بيني وبينه السبحة، قلت: وما السبحة جعلت فداك؟ فأومي بوجهه إلى الأرض وأومي بيده إلى السمآء وهو يقول:

جلال ربي ثلاث مرّات، قال: يا محمّد قلت: لبيك يا ربّ قال: فيما اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لاعلم لي إلّا ما علّمتنى، قال: فوضع يده أي يدالقدرة بين ثديىّ، فوجدت بردها بين كتفى، قال: فلم يسئلنى عمّا مضى ولا عمابقى إلّا علمته، فقال: يا محمّد! فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفارات والدرجات والحسنات، فقال لي: يا محمّد قد انقطع أكلك وانقضت نبوّتك فمن وصيّك؟ فقلت: يا ربّ قد بلوت خلقك فلم أرأحداً من خلقك أطوع لي من عليّ فقال لي: يا محمّد فبشّره:

بأنّه راية الهدى وإمام أوليآئي ونور لمن أطاعني، والكلمة الّتي الزمتها اليقين، من أحبّه فقد أحبّني ومَن أبغضه فقد أبغضني، مع ما انّي أخصّه بمالم أخصّ به أحداً، فقلت: يا ربّ أخي وصاحبى ووزيري ووارثي، فقال: إنّه أمر قدسبق أنّه مبتلى ومبتلى به، مع ماأنّي قد نحلته ونحلته ونحلته ونحلته أربعة أشيآءٍعقدها بيده ولا يفصُحُ بها عقدها».

وفي الخصال: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه لمّا سُئلَ في المعراج: «فيما اختصم الملأ الأعلى؟ قال: في الدرجات والكفّارات، فنوديت: وما الدرجات؟ فقلت: إسباغ الوضوء في السبرات، والمشي إلى الجماعات وانتظار الصّلاة بعد الصلاة، وولايتي وولاية أهل بيتى حتى الممات...» الحديث.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ في الخطبة الاولى ـ: «ثّم جمع سبحانه من حَزْن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربةً سنّها بالمآء حتّى خلصت، ولا طها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحنآء ووصول، وأعضآء وفصول، أجمدها حتى إستمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت لوقت معدود وأجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه، فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلُها وفكرٍ يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشامّ والألوان والأجناس معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة من الحرّ

والبرد والبلة والجمود والمسآءة والسرور، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيّته إليهم: في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته فقال سبحانه:

«اسجدوا لآدم» فسجدوا إلاّ إبليس اعترته الحميّة وغلبت عليه الشقوة، وتعزّز بخلقة النار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبليّة وإنجازاً لِلعِدَة فقال: «إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام ـ في خطبته المسّماة بالقاصعة ـ: «الحمد لله الذي لبس العزّ والكبريآء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حِمًى وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على مَن نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين، ليميّز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب: «إنّي خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس».

اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبيّة ونازع الله ردآء الجَبَرِيّة، وادّرع لباسَ التعزّز وخلع قناع التذلّل.

ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره و وضعه الله بترفّعه، فجعله في الدّنيا مدحوراً وأعدّ له في الآخرة سعيراً.

ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضيآؤه ويبهر العقول رواؤه وطيبٍ يأخذ الأنفاس عَرْفه لفعل، ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعةً، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكنّ الله سبحانه ابتلى خلقه ببعض مايجهلون أصله تمييزاً بالإختبار لهم، ونفياً للإستكبار عنهم وإبعاداً للخيلآء منهم.

فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجَهْدَه الجهيد ـ وكان قد عبدالله ستّة آلاف سنة لأيدرى أمن سنى الدّنيا أم من سنى الآخرة ـ عن كبر ساعة واحدة فماذا بعد إبليس يسلَمُ على الله بمثل معصيته؟ كلا! ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً، إنّ حكمه في اهل السمآء وأهل الأرض

لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حِمىً حرّمه على العالمين.

فاحذروا ـ عباد الله ـ عدوّ الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزّكم بندآئه وأن يُجلب عليكم بخيله ورَجله، فلعمرى لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب وقال: «ربّ بما أغويتنى لازيّننّ لهم في الأرض ولا غوينّهم أجمعين» قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظنٍّ غير مصيب، صدّقه به أبنآء الحميّة وإخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهليّة، حتّى إذا انقادت له الجامحة منكم، واستحكمت الطّماعية منه فيكم، فنجمت الحال من السّرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه عليكم، ودَلَفَ بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الذلّ، وأحلّوكم وَرَطات القتل، وأو طأوكم إثخان الجراحة، طعناً في عيونكم وحزّاً في حلوقكم ودقّاً لمنا خركم وقصداً لمقاتلكم، وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدّة لكم.

فأصبح في دينكم جرحاً، وأورىٰ في دنياكم قدحاً، من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألّبين، فاجعلوا عليه حدّكم وله جِدّكم، فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم، ودفع في نسبكم، وأجلب بخيله عليكم، وقصد برَجله سبيلكم، يقتنصونكم بكلّ مكان، ويضربون منكم كلّ بنان لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذُلٍّ وحلقة ضيق، وعرصة موت وجَوْلة بلآءٍ فأطفئوا ما كَمَنَ في قلوبكم من نيران العصبيّة وأحقاد الجاهليّة، فانّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته.

واعتمدوا وضع التذلّل على رؤسكم، وإلقاءَ التعزّز تحت أقدامكم وخلع التكبّر من أعناقكم، واتخذوا التواضع مسلحةً بينكم وبين عدوّكم: إبليس وجنوده، فان له من كلّ امّة جنوداً وأعواناً ورَجْلاً وفرساناً، ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّه من غير مافضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحميّة في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة إلى أن قال ـ: ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصّب لشيءٍ من الأشيآء إلّا عن علّة تحتمل تمويهَ الجُهَلآء أو

حُجَّةٍ تليط بعقول السّفهآء غيركم، فإنّكم تتعصّبون لأمر لا يُعرف له سبب ولا علّة.

أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناريٌّ وأنت طينيّ، وأمّا الأغنيآء من مترفة الامم فتعصّبوا لآثار مواقع النِعَم، فقالوا: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين» فان كان لابدّ من العصبيّة فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور الّتي تفاضلت فيها المجدآء والنجدآء من بيوتات العَرَب ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودة.

فتعصّبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار والوفآء بالذمام، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل والكفّ عن البغي، والإعظام للقتل والإنصاف للخلق والكظم للغيظ وإجتناب الفساد في الأرض، واحذروا مانزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير والشّرّ أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فاذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كلّ أمرٍ لَزِمَتِ العزّة به شأنهم، وزاحت الأعدآء له عنهم، ومَدَّتِ العافية فيه عليهم، وانقادت النعمة له معهم، و وصلت الكرامة عليه حبلَهُمْ: من الإجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتّحاضّ عليها والتواصى بها، واجتنبوا كلّ أمر كَسَرَفِقرتهم وأوهن مُنّتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الأيدى...» الخطبة.

وفي البحار: عن الأصبغ بن نباتة أن رجلاً سئل علياً عليه السّلام عن الروح قال: ليس هو جبرئيل قال عليّ عليه السّلام: «جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، وكان الرّجل شاكّاً فكبر ذلك عليه، فقال: لقد قلت شيئاً عظيماً ما أحد من الناس يزعم أنّ الروح غير جبرئيل، قال عليه السّلام: أنت ضالّ تروى عن أهل الضّلال يقول الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم: «أتى أمرالله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده» فالروح غير الملائكة وقال: «ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربّهم» وقال: «يوم

يقوم الروح والملائكة صفاً» وقال لآدم وجبرئيل يومئذ مع الملائكة: «إنّي خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» فسجد جبرئيل مع الملائكة للروح وقال لمريم: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً» وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلّم: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين وإنه لفى زبر الأوّلين» والزبر: الذكر، والأوّلين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم منهم، فالروح واحدة والصّور شتّى»

وفي تفسير القمي: بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «لو أنّ الله خلق الخلق كلهم بيده لم يحتجّ في آدم أنّه خلقه بيده فيقول: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ» أفترى الله يبعث الأشياء بيده؟» وذكر: «أفترى...» لئلاّ يحمل اليد على الحقيقة أو المعنى: أنه لو كان خلقه تعالى الأشياء بالجوارح لكان خلق الجميع بها فلا وجه للإختصاص بآدم عليه السّلام.

أقول: ومن المحتمل أن يكون المراد أنّه لو كان الله سبحانه جسماً يزاول الأشيآء ويعالجها بيده لما كان ذلك مختصّاً بآدم عليه السّلام بل هو جلّ وعلا منزّه عن ذلك وهو كناية عن كمال العناية بشأنه عليه السّلام.

وفي التّوحيد: باسناده عن محمّد بن عبيدة قال: «سئلت الرّضا عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ لإبليس: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ» قال: يعنى بقدرتي وقوّتي».

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه: «سمعت بعض مشايخ الشيعة بنيسابور يذكر في هذه الآية: أنّ الأئمة عليهم السّلام كانوا يقفون على قوله تعالى: «ما منعك أن تسجد لما خلقت» ثمّ يبتدؤون بقوله تعالى: «بيديّ استكبرت أم كنت من العالين» قال: وهذا مثل قول القائل: بسيفي تقاتلنى وبرمحى تطاعننى؟! كأنّه يقول: بنعمتى عليك وإحساني إليك قوّيت على الإستكبار والعصيان؟»».

وفي معاني الاخبار: باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سئلت أباجعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «ونفخت فيه من روحى» قال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه

وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح فأمر فنفخ منه في آدم عليه السّلام:».

وفي التوحيد: باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «ونفخت فيه من روحى» كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الروح متحرّك كالريح وإنّما سمىّ روحاً لأنّه اشتقّ إسمه من الريح، وإنّما أخرجه على لفظة الروح لأنّ الروح مجانس للريح، وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على سآئر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت، فقال: بيتى وقال لرسول من الرسل: خليلى وأشباه ذلك وكلّ ذلك مخلوق مصنوع مُحدَث مربوب مدبّر».

وفي الإحتجاج: عن حمران بن أعين قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام من قول الله عزّوجلّ: «وروح منه» قال: هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى عليهما السّلام.

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن عبداالكريم بن عمرو عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي» قال: من قدرتي».

وفي التوحيد: بإسناده عن عبدالكريم ابن عمرو عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي» قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق خلقاً وخلق روحاً ثمّ أمر ملكاً فنفخ فيه وليست بالّتي نقصت من قدرة الله شيئاً هي من قدرته».

وفيه: باسناده عن أبي جعفر الأصمّ قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن الروح الّتي في آدم والّتي في عيسى ماهما؟ قال: روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى صلوات الله عليهما».

وفيه: باسناده عن الحلبى وزرارة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أحد صمد ليس له جوف، وإنّما الروح خلق من خلقه، نصر وتأييد وقوّة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين».

وفي تفسير العياشى: في رواية سماعة عنه عليه السّلام: «خلق آدم فنفخ فيه، وسئلته عن الروح قال: هي من قدرته من الملكوت».

وفي التوحيد: بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عمّا يروون أنّ الله عزّوجلّ خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سآئر الصّور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه فقال: بيتى وقال: «نفخت فيه من روحى».

أقول: وقدسبق منّا وجوه لقوله عليه السّلام: خلق آدم على صورته».

وفي البحار: بالاسناد عن يونس بن ظبيان قال: «دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام فقلت: يا ابن رسول الله إنّي دخلت على مالك وأصحابه وعنده جماعة يتكلّمون في الله فسمعت بعضهم يقول: إنّ لله وجهاً كالوجوه، وبعضهم يقول: له يدان! واحتجّوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى: «بيديّ استكبرت» وبعضهم يقول: هو كالشّابّ من أبنآء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله؟

قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال: اللهم عفوك عفوك ثم قال: يا يونس من زعم أنّ لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك، ومن زعم أنّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله ولا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبّهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنبيآؤه وأولياؤه وقوله: «خلقت بيديّ استكبرت» فاليد: القدرة كقوله تعالى: «وأيّدكم بنصره» فمن زعم أنّ الله في شيء أو على شيء أويحول من شيء إلى شيء أويخلومنه شيء أويشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كلّ شيء، لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، قريب في بُعده، وبعيد في قربه ذلك الله ربّنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبّه ووصفه بهذه الصّفة فهو من الموحّدين، ومن أحبّه ووصفه بغير هذه الصّفة فالله منه بريئ ونحن منه برآء»

وفي فضائل الشيعة للصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن أبي سعيد الخدرى قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله عزّوجلّ لإبليس: «أستكبرت أم كنت من العالين» فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا (لتسبيحنا خ) قبل أن خلق الله عزّوجلّ آدم بألفى عام، فلمّا خلق الله عزّوجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس فانه أبى أن يسجد (أبى ولم يسجد خ) فقال الله تبارك وتعالى: «أستكبرت أم كنت من العالين» أي من هؤلآء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش، فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا مَن طاب مولده»

وفي المحاسن: قال أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام لأبي حنيفة: «ويحك إنّ أوّل مَن قاس إبليس، فلمّا أمره بالسجود لآدم قال: «خلقتنى من نار وخلقته من طين»».

وفي تفسير القمي: عن إسحق بن جرير قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: أيّ شي ء يقول أصحابك في قول إبليس: «خلقتنى من نار وخلقته من طين»؟ قلت: جعلت فداك قدقال ذلك وذكره الله في كتابه، قال: كذب يا اسحق ما خلقه الله إلّا من طين ثمّ قال: قال الله: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» خلقه الله من ذلك النار من تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين».

وفي الإحتجاج: عن أبي بصير قال: كان مولانا أبوجعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام جالساً في الحرم وحوله عصابة من أوليآئه إذ أقبل طاووس اليماني في جماعة من أصحابه ثمّ قال لأبي جعفر عليه السّلام: «إئذن لي بالسئوال؟ قال: أذنالك، فَسَلْ! قال: «أخبرني متى هلك ثلث الناس؟ قال: وهمت يا شيخ أردت أن تقول: متى هلك ربع الناس، وذلك يوم قتل قابيلُ هابيلَ كانوا أربعة: آدم وحوّآء وقابيل وهابيل، فهلك ربعهم، فقال: أصبت ووهمت أناَ، فأيّهما كان أبا الناس القاتل أو المقتول؟ قال: لا واحد منهما، بل أبوهم شيث بن آدم، قال: فِلمَ سُمّيَ آدم آدم؟

قـال: لأنّه رفعت طينتـه من أديم الأرض السفلىٰ، قال: فلِمَ سـميّت حوّا حوّا؟ قال: لأنّها خُلِقَتْ من ضلع حيٍّ يعني ضلع آدم عليه السّلام قال: فلم سميّ إبليس إبليس؟ قال: لأنّه أُبلِسَ من رحمة الله عزّوجلّ فلا يرجوها، قـال: فلِمَ سمّي الجنّ جنّاً؟ قال: لأنّهم استجنّوا فلم يُروا قـال: فأخبرني عن أوّل كذبة كذبت، مَن صاحبها؟ قال: إبليس حين قال: «أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طن»

وفي تفسير العياشي: عن صفوان الجمال قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فاستأذن عيسى بن منصور عليه فقال له: مالك ولفلان يا عيسى أما إنّه مايحبّك، فقال: بأبي وامّي يقول قولنا ويتولّى مَن نتولّى، فقال: إنّ فيه نخوة إبليس، فقال: بأبي وامّي أليس يقول إبليس: «خلقتنى من نار وخلقته من طين» فقال أبوعبدالله عليه السّلام: وقد يقول الله: «وشاركهم في الأموال والأولاد» فالشيطان يباضع ابن آدم هكذا وقرن بين إصبعيه».

وفي الكافي: باسناده عن الحسين بن مياح عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: «خلقتنى من نار وخلقته من طين» فلوقاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار وكان ذلك أكثر نوراً وسناءً من النار»

وفيه: باسناده عن عيسى بن عبدالله القرشي قال: «دخل أبوحنيفة على أبي عبدالله عليه السّلام فقال له: يا أباحنيفة بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم، قال: لا تقس فانّ أوّل مَن قاس إبليس حتّى قال: «خلقتنى من نار وخلقته من طين» فقاس مابين النار والطين، ولوقاس نوريّة آدم من نورية النار عرف فضل مابين النورين وصفآء أحدهما على الآخر».

وفي تفسير القمي: باسناده عن جابر الجعفى عن أبي جعفر عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليهم السّلام - في حديث طويل - «فخلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصوّراً وكان يمرّبه إبليس اللعين (وكان يمرّبه إبليس اللعين خ) فيقول: لأمرما خلقت، فقال العالم عليه السّلام فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته (لا عصينّه خ) قال: ثـم نفخ فيه، فلمّا بلغت فيه الروح إلى دماغه عطس، فقال:

الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله. قال الصادق: عليه السّلام فسبقت له من الله الرّحمة، ثمّ قال الله تبارك وتعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى أن يسجد فقال الله عزّوجلّ: «ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك» فقال: «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»

قال الصادق عليه السّلام: فأوّل مَن قاس إبليس واستكبر، والإستكبار هو أوّل معصيته عصىٰ الله بها، قال: فقال إبليس: يا ربّ اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادةً لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما اريد أن أُعبَدَ من حيث اريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى: «أخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدّين».

قال إبليس: يا ربّ كيف وأنت العدل الذي لا تجور فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ماشئت ثواباً لعملك اعطك، فأوّل ما سئل البقآء إلى يوم الدّين، فقال الله قدأعطيتك، قال: سلّطني على ولد آدم، قال: سلّطتك قال: أجرني (أُجرى خ) فيهم مجرى الدم في العروق قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم واحد (ولد واحدخ) إلّا ولد لي اثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كلّ صورة شئت، فقال: قد أعطيتك قال: يا ربّ زدني قال: قدجعلت لك ولذريتك صدورهم أوطاناً قال: ربّ حسبي.

فقال (قال خ) إبليس عند ذلك: «فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين...»

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكرى عليه السّلام يقول: «معنى الرجيم أنّه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلّا لعنه، وإن في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم عليه السّلام لا يبقى مؤمن في زمانه إلّا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن»

وفي العلل: باسناده عن الحلبى قال: «سئلت أباعبدالله عليه السّلام لِمَ سمّى

الرجيم رجيماً؟ قال: لأنّه يُرجَمُ فقلت: فهل ينقلب إذا رجم؟ قال: لا ولكنّه يكون في العلم مرجوماً»

قوله: «فهل ينقلب» أي يرجع إلى الحياة والبقآء بعد الرجم؟ فقال الإمام عليه السّلام: لا وقداستدرك الإمام عليه السّلام بقوله: «ولكنه» لأنّ السائل زعم أن الرجم بالحجارة في هذه الأزمنة، فرفع الإمام عليه السّلام زعمه بأنّه الآن يسمّى رجيماً فانه في علم الله تعالى يصير بعد ذلك رجيماً عند قيام القآئم عليه السّلام كمامرّ في الخبر السابق.

وفي تفسير العياشي: عن وهب بن جميع مولى إسحق بن عمّار قال: «سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول إبليس: «ربّ فانظرني إلى يوم يبعثون قال فانّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم» قال له وهب: جعلت فداك أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب أتحسب أنّه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قآئمنا فاذا بعث الله قآئمنا كان في مسجد الكوفة، وجآء إبليس حتّى يجثوبين يديه على ركبتيه، فيقول: يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته، فيضرب عنقه فذلك اليوم هو الوقت المعلوم»

وفي تفسير القمي: بإسناده عن محمّد بن يونس عن رجل عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى: «فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم» قال الإمام الصادق عليه السّلام «يوم الوقت المعلوم»: يوم يذبحه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على الصّخرة الّتي في بيت المقدّس».

أقول: والجمع بين الروايتين الأخيرتين ـ على فرض صحّة الرواية الأخيرة ـ أنّ الإمام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف يذبح إبليس يومئذٍ بأمررسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على الصخرة... بعد رجعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

وفي كمال الدين: باسناده عن الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرّضا عليه السّلام قال: «لا دين لمن لا ورع له، ولا ايمان لمن لاتقيّة له، إنّ أكرمكم عندالله

أعملكم بالتقيّة، فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قآئمنا أهل البيت، فمن ترك التقيّة قبل خروج قآئمنا فليس منّا، فقيل له: يا إبن رسول الله ومن القآئم منكم أهل البيت؟ قال: الرابع من ولدى، ابن سيّدة الإماءِ يطهّرالله به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم.

وهو الذي يشك الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فاذا خرج أشرقت الأرض بنوره ووُضِعَ ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحدٌ أحداً وهو الذي تُطوىٰ له الأرض ولا يكون له ظلّ، وهو الذي ينادي منادٍ من السمآء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعآء إليه يقول: ألا إنّ حجّة الله قدظهر عند بيت الله فاتّبعوه، فانّ الحقّ معه وفيه، وهو قول الله عزّوجلّ: «إن نشأ ننزّل عليهم من السمآء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين»

أقول: والمراد بالتقيّة إنّما مواردها الخاصّة لا التقيّة المطلقة كما توهم بعض المتكاسلين المتساهلين والمتجاملين المستخفيّن بأمر الدين لكثير من الآيات الكريمة المحكمة وتواتر الروايات الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم السّلام في الأمر ببيان الحقّ والنهى عن كتمانه، وإظهار العلم عند ظهور البدعة، واللعن والعذاب على المتجاملين...

وفي الأنوار النعمانية: «ولمّا مات مولانا جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام قال أبوحنيفة لمؤمن الطاق: مات إمامك، قال: لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يعنى إبليس»

وفي كتاب سعد السعود: قال السّيّد بن طاووس رضوان الله تعالى عليه: «إنّي وجدت في صحف إدريس النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم عند ذكر سئوال إبليس وجواب الله له: «قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون» قال: لا ولكنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فانه يوم قضيتُ وحتمتُ أن أُطهِرَّ الأرضَ ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصى.

وانتخبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان، وحشوتها بالورع

والإخلاص واليقين والتقوى والخشوع والصّدق والحلم والصبر والوقار والتقى والزهد في الدّنيا والرغبة فيما عندى وأجعلهم دعاة الشمس والقمر وأستخلفهم في الأرض وامكّن لهم دينهم الذي ارتضيته لهم ثمّ يعبدوننى لايشركون بي شيئاً، يقيمون الصّلاة لوقتها ويؤتون الزكاة لحينها ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

والقي في تلك الزمان الأمانة على الأرض فلا يضرّ شي شيئاً، ولا يخاف شي من شي ثمّ تكون الهوامّ والمواشي بين الناس، فلا يؤذي بعضهم بعضاً وأنزع حمّة كلّ ذي حمّة من الهوامّ وغيرها، وأذهب سمّ كلّ مايلدغ، وأُنزل بركات من السمآء والأرض وتزهر الأرض بحسن نباتها، وتخرج كلّ ثمارها وأنواع طيبها والقي الرّأفة والرحمة بينهم، فيتواسون ويقتسمون بالسّوية، فيستغنى الفقير ولا يعلو بعضهم بعضاً، ويرحم الكبير الصغير، ويوقّر الصغير الكبير، ويدينون بالحق وبه يعدلون ويحكمون، اولئك أوليآئي اخترت لهم نبيّاً مصطفى وأميناً مرتضى، فجعلته لهم نبيّاً ورسولاً وجعلتهم له أوليآء وأنصاراً تلك امّة اخترتها لنبييّ المصطفىٰ وأمينى المرتضىٰ، ذلك وقت حجبته في علم غيبى، ولا بدّ أنه واقع، أُبيدك يومئذ وخيلك ورجلك وجنودك أجمعين، فاذهب فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم»

أقول: ولا يكون المراد بابادة الشيطان وخيله ورَجْله وقوعها في زمن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم وإن وقع بعضها فيه، وإنّما كان وقوعها في زمن القآئم المهدى صلوات الله عليه.

وفي مكارم الأخلاق - في وصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لإبن مسعود في حديث طويل -: «يا إبن مسعود إتخذ الشيطان عدوّاً فان الله تعالى يقول: «إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً» ويقول عن إبليس: «ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» ويقول: «فالحق والحق أقول لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين»».

وفي تفسير القمي: قال: فقال الله: «الحقّ» أي إنك تفعل ذلك، والحقّ أقوله:

«لأملئن جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين».

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله عزّوجل: «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين إن هو إلاّ ذكر للعالمين» قال: هو أميرالمؤمنين عليه السّلام ولتعلمن نبأه بعد حين» قال: عند خروج القآئم عليه السّلام...» الحديث

وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «وقال لأعدآء الله أوليآء الشيطان أهل التكذيب والإنكار: «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين» يقول متكلّفاً أن أسئلكم مالستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: أما يكفى محمداً أن يكون قَهَرَنا عشرين سنة حتّى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: ما أنزل الله هذا وما هو إلاّ شيءٌ يتقوّله، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا ولئن قتل محمّد أومات لننزعنّها من أهل بيته ثمّ لا نعيدها فيهم أبداً وأراد الله عزّوجلّ أن يعلم نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم الذي أخفوا في صدور هم وأسرّوا به...» الحديث

قوله تعالى: «قل ما أسئلكم عليه» أي على القرآن أوعلى تبليغ الوحى «وما أنا من المتكلّفين» أي من المتصنّعين بما لست من أهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النّبوّة وأتقوّل القرآن، وعلى تفسيره، فأقول في أميرالمؤمنين عليه السّلام مالم يوح إليّ «إن هو» أي القرآن، وعلى مافسّره عليه السّلام: أميرالمؤمنين عليه السّلام أومانزل من القرآن فيه عليه السّلام «إلاّ ذكر» أي مذكّر وموعظة «للعالمين» أي للثقلين «ولتعلمنّ نباه» أي نبأ القرآن وهوما فيه من الوعد والوعيد، أوصدقه أو نبأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم وصدقه فيما أتى به، **وعلى تفسيره** عليه السّلام: نبأ أميرالمؤمنين عليه السّلام وصدقه وعلوّ شأنه أونبأ القرآن وصدقه فيما أخبربه من فضله عليه السّلام وجلالة شأنه: «بعد حين» أي بعد الموت أويوم القيامة أوعند ظهور الاسلام، وعلى تفسيره عليه السّلام: عند خروج القائم صلوات الله عليه يعنى إن «ذكراً للعالمين» هو أميرالمؤمنين عليه السّلام و«نباه» أي خبره وشأنه وفضله وأنه حجّة الله

هو و ولده المعصومون على العالمين إذ قام القآئم من ولده بالسيف أي ذلك الأوان تعلمون نبأه بالمشاهدة والعيان.

وفي **مصباح الشريعة:** قال الصّادق عليه السّلام: «المتكلّف مخطئ وإن أصاب، والمتطوّع مصيب وإن أخطأ، والمتكلّف لا يستجلب في عاقبة أمره إلّا الهوان، وفي الوقت إلّا التعب والعنا والشقآء والمتكلّف ظاهره ريآء وباطنه نفاق، فهما جناحان يطير بهما المتكلّف.

وليس في الجملة من أخلاق الصالحين ولا من شعار المتقين التكلّف في أيّ باب كان، قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم: «قل ما أسئلكم عليه من أجروما أنا من المتكلّفين» وقال عليه السّلام: نحن معاشر الأنبيآء والأولياء برآء من التكلّف.

فاتّق الله واستقم نفسك يغنك عن التكلّف، ويطبعك بطباع الإيمان، ولا تشتغل بطعام آخره الخلا، ولباس آخره البلاء ودار آخرها الخراب، ومال آخره الميراث، وإخوان آخرهم الفراق، وعزّ آخره الذلّ، و وقار آخره الجفا، وعيش آخره الحسرة»

وفي **جوامع الجامع:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع مَن فوقه، ويتعاطى مالا ينال، ويقول مالا يعلم»

وفي **التوحيد:** بإسناده عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: «إنّ المسلمين قالوا لرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً «وما أنا من المتكلّفين»

وفي **الخصال:** باسناده عن الصادق عليه السّلام قال: «ومن العلمآء مَن يضع نفسه للفتاوى ويقول: سلوني، ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً والله لايحبّ المتكلّفين فذاك

في الدرك السادس من النار».

وفي الفقيه: - في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام قال -: «وللمتكلّف ثلاث علامات: يتملّق إذا حضر، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام - في ذمّ أهل العراق -: «أمّا بعد يا أهل العراق فانّما أنتم كالمرأة الحامل حملت! فلمّا أتمّت أمْلَصَتْ، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها، أما والله ماآتيتكم إختياراً، ولكن جئت إليكم سَوْقاً، ولقد بلغنى أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله، فعلى مَن أكذبُ؟ أعَلَى الله؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّة؟ فأنا أوّل من صدّقه؟ كلاّ والله ولكنّها لهجةٌ غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها، وَيْلُمِّهِ، كَيْلاً بغير ثمنٍ لوكان له وعآءٌ «ولتعلمنّ نبأه بعد حين»

وفي المناقب لابن شهرآشوب السروى المازندراني: «إن الحسن بن عليّ عليهما السّلام خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثمّ قال: أيّها النّاس! إنّ الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقّنا شيئاً إلّا انتقصه الله من حقّه في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلّا كانت لنا العاقبة «ولتعلمنّ نبأه بعد حين».

﴿بحث فقهي﴾

واعلم أنّ في هذه السورة: «ص» فصولاً من مباحث فقهيّة:

الأول: انّ ابن عبّاس استدل بقوله تعالى: «يسبّحن بالعشي والإشراق» ص: ١٨) على وجود صلاة الضحى في القرآن الكريم لما روى عن ام هانئ قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فدعا بوضوء فتوضّأ ثمّ صلّى صلاة الضحى، وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: «يا ام هانئ هذه صلاة الإشراق» وقال إبن عباس: وكانت صلاة يصلّيها داودعليه السّلام.

وفي تفسير الطبرى: عن إبن عباس: أنه بلغه أنّ ام هاني ذكرت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم فتح مكّة صلّى الضحى ثمان ركعات، فقال ابن عباس: قدظننت أنّ لهذه الساعة صلاة يقول الله: «يسبّحن بالعشى والإشراق» وقال إبن عباس: «لقد قرأت مابين اللوحين ماعرفت صلاة الضحى إلّا الآن: «يسبّحن بالعشى والإشراق» وكنت أقول: أين صلاة الإشراق؟ ثمّ قال بعد هنّ صلاة الإشراق».

أقول: وقدوردت روايات مختلفة في صلاةالضحى ـ بأن يصلى النوافل صدر النهار: بعد طلوع الشمس إلى قبل زوالها ـ: فمنها مايجوزها، ومنها ماينهى عنها، فيمكن لناالجمع بينها بكراهيتها إن استطاع الإنسان على اتيانها في وقتها، وجوازها إذا كان شاغلاً في وقتها، والنهى عنها إذا استلزم بدعة.

في فروع الكافي: بإسناده عن معاوية بن وهب قال: «لمّا كان يوم فتح مكّة ضربت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم خيمة سودآء من شعر بالأبطح، ثمّ أفاض

عليه المآء من جفنة يرى فيها أثر العجين، ثمّ تحرّى القبلة ضحى، فركع ثماني ركعات لم يركعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قبل ذلك ولا بعد».

وفيه: بإسناده عن عدّة أنّهم سمعوا أبا جعفر عليه السّلام يقول: «كان أمير المؤمنين عليه السّلام لا يصلّي من النهار شيئاً حتّى تزول الشمس ولا من الليل بعد ما يصلّي العشآء الآخرة حتّى ينتصف الليل».

وفي التهذيب: بإسناده عن زرارة قال: «سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لا يصلّي من النهار شيئاً حتّى تزول الشمس، فاذا زال النهار قدر نصف أصبع صلّى ثماني ركعات...» الحديث.

وفي الفروع: بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: «سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن الرّجل يشتغل عن الزوال أيعجّل من أوّل النهار؟ قال: نعم إذا علم أنّه يشتغل فيعجّلها في صدر النهار كلها».

وفي الجواهر: ـ بعد أن ذكر روايات ـ قال: «والمراد أنّه لا يصلّي من نوافل النهار شيئاً حتّى تزول الشمس لأنّه كان يدس نافلة الفجر في صلاة الليل، ويؤيّده سوق هذه الأخبار لبيان بدعية صلاة الضحى».

أقول: وقد سبق منّا آنفاً ـ في تحقيق الأقوال وفي التفسير والتأويل ـ أن يكون معنى الإشراق هو الدخول في وقت الشروق، فيراد وقت صلاة الفجر لانتهآئه بالشروق.

فالآية الكريمة لا تدل على صلاة الضحى، مع أنّ حمل التسبيح على الصّلاة بعيد جدّاً.

الفصل الثاني: انّ بعض المتفقّهين المتجدّدين معوجي الأفكار تشبّث في كتابه: (تبصرة الفقهآء) وحقاً أنها (تغوية الجهلآء) بقوله سبحانه: «والطير محشورة كلّ له أوّاب» ص: ١٩) على حلّيّة لحوم الطير كلّها إلّا ما كان من السبع فقال: «وقد مدح الله لحوم الطير بما لا قِبَل له ك «ولحم طير ممّا يشتهون» : ٥٦ : ٤١) «والطير محشورة كلّ له أوّاب» ٣٨ : ١٩) ممّا يجعل الطير في قمّة الطعام. فالضابطة القرآنيّة هنا وفيما

أشبه من آيات طليق الحلّ تحللّ الطير مطلقاً اللهمّ ما استثنى في الكتاب والسّنة».

أقول: أمّا الآية الاولى فهى آية (٢١) لا (٤١) من سورة الواقعة بصدد بيان لحوم طير الجنّة لا الدنيا وقياساتها معها، وأمّا الآية الثانية فليست بصدد حلّية لحوم الطير، ولا ملازمة بين مدحها وحلّيتها.

ولا أظنّ أنّ مَن له أدنى شم فقاهة أن لايرى هذا المتفقّه المعوج المبدع خارجاً عن دآئرة الفقاهة والهداية فضلاً عن الإجتهاد والفضيلة إلّا مَن كان مثله في الاعوجاج والإنحراف... كيف لا وهو يقول في بحث الإجتهاد والتقليد من هذا الكتاب المضلّ: «مسئلة ١٣ - لا يشترط في مرجع التقليد سوى الأعلمية والأزهدية وأمّا الرجولية وسواها فلا برهان على اشتراطها، فاذا كانت إمرأة هي أعلم وأتقى من كافّة العلمآء فالمتعيّن تقليدها» وقال في «مسئلة١٩ -: فالأصل في التقليد قرآنياً هو اتباع أحسن القول سوآء أكان قائله حياً اوميتاً أم أصبح مجنوناً أوفاسقاً أو خارجاً عن الدين» وغيرها من أقاويله ومبتدعاته المضلّة المغوية...

الفصل الثالث: انّ في قوله عزّوجلّ: «وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب - وخرّ راكعاً وأناب» ص: ٢٠-٢٤) مسآئل نشير إليها إجمالاً فعلى الفقهآء التدبّرو الاجتهاد:

الاولى: أن يستدل بقوله عزّوجلّ: «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» على أنّ العلم بأمر القضآء والعدل واللياقة لمنصب القضآء من شرائط لازمة لانفاذ حكم القاضي، فبانتفآء أحد الشروط لاينفذ حكمه.

الثانية: أن يستدل به أيضاً على أنّ فصل القضآء واجب على الحاكم الجامع لشرائط القضآء إذا خوصم إليه، وأن لايجوز له إهمال الحكم.

الثالثة: انّه استدل بعض الفقهآء بقوله تعالى: «وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب»: ٢١) على أنّ القاضي لايلزمه الجلوس للقضآء في كلّ يوم أو كلّ ساعة، وأنّه جآئز له الإقتصارعلى يوم من أربعة أيام... وعلى أنّه لايجب على الزوج أن يكون عند إمرأته كلّ يوم، وأنّه جآئز له أن يقسم لها يوماً من أربعة أيام... والدليل

على ذلك أنّ داود عليه السّلام جزّأ الدهر أربعة أيام: يوماً لنسآئه، ويوماً لقضآئه ويوماً يخلو فيه لعبادة ربّه، ويوماً لبني إسرائيل يسئلونه.

الرابعة: أن يستدل بقوله تعالى: «خصمان بغى بعضنا على بعض...» على جواز فرض المخاصمة بين الإثنين أو الفريقين على طريق الحكاية والمثل لبيان حكم من أحكام الشريعة، وإمتحان الحاكم في حكمه. وذلك أنّ من المعلوم أنّ الخصمين كانا من الملائكة، ولم يكن بعضهم بغى على بعض، فانهم لا يعصون الله، فلا يجوز عليهم الكذب، فتكلّم المدّعى بالمعاريض الّتي تخرجهما من الكذب، مع تقريب المعنى بالمثل الذي ضربه وقال: «إنّ هذا أخي ...».

الخامسة: أن يستدل بقوله: «فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ...» على أنّه يجوز للخصم أن يخاطب الحاكم بمثله وأن ينبّهه على ماعليه من أمر خطير.

السّادسة: أنه استدل بعض الفقهآء بقوله: «وعزّني في الخطاب» على عدم جواز الدخول في الخطبة، وذلك ان داود عليه السّلام كان له تسع وتسعون إمرأة ولم تكن لاوريا بن حنان إمرأة، وقد خطب اوريا إمراة، فخطبها داود عليه السّلام مع علمه بأنّ اوريا قد خطبها وإن لم يزوّجها بعد لأنّ قوله: «وعزّني في الخطاب» يدل على أنّ الكلام إنّما كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدّم تزويج الآخر.

في كنز العرفان: قال الفاضل المقداد رحمة الله تعالى عليه: «قيل: إنّها تدل على كراهية الدخول في سوم المؤمن لأنّ الأكثر على أنّ داود عليه السّلام خطب على خطبة أوريا فعوتب على ذلك، والكلام فيها كما تقدم في الاولى، لكنّ الدلالة هنا قريبة وإن كان الاعتماد على نصّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السّلام أولى».

السابعة: أنّه يستدلّ بقوله: «لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه ـ فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب» على أنّه لا يجوز للقاضي أن يحكم على المدّعى عليه قبل أن يسئل عنه أو قبل أن يعترف بما يدّعىٰ عليه، وإن كان القاضي عالماً بذلك فضلاً عن كونه ظانّاً به. فلا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه قبل إقامة البيّنة أو قبل إقرار المدّعى

عليه بما ادّعى عليه. وذلك أنّ داود عليه السّلام حكم بين الخصمين قبل أن يأمر المدّعى باقامة البيّنة على مدّعاه، وقبل أن يسئل عليه السّلام المدّعىٰ عليه عما ادُّعِيَ عليه، وقبل أن يقرّ به، فوصفه بالظلم قبل التفحّص عن حاله، فعوتب عليه، وعلى هذا ينبغي للحاكم التثبّت في الحكم وأن لا يسارع إلى التخطئة والتصويب إلّا بعد الاستكشاف، وإن كان عالماً بواقع الأمر قبل ذلك.

وقال بعض الفقهآء: قد عرف ذلك من فحوى كلامه، ولذلك حكم على المدّعى عليه بالظلم ولولا ذلك لما بحكم بظلمه قبل أن يسئله، فيقرّ عنده أو تقوم عليه البيّنة به.

ويمكن أن يكون تقدير الكلام أن أحد الخصمين ادّعى والآخر سلم في الدعوى، فوقعت بعد ذلك الفتوى. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتّى تسمع من الآخر» ومن المحتمل أنّ داود عليه السّلام لم يقض للآخر حتّى اعترف صاحبه بذلك. أو تقديره: لقد ظلمك إن كان كذلك. أو تقديره: لقد ظلمك إن كان كذلك. أو كان من شرعهم التعويل على قول المدّعى عند سكوت المدّعىٰ عليه إذا لم يظهر منه إنكار بالقول. أو رأى داود عليه السّلام في المتكلّم مخائل الضعف والهضيمة، فحمل أمره على أنّه مظلوم كما يقول، ودعاه ذلك إلى ألّا يسئل الخصم فقال له مستعجلاً: «لقد ظلمك ...».

الثّامنة: أنّه إستدلّ بعض الفقهآء بقوله تعالى: «وظنّ داود أنّما فتنّاه» على أنّ داود عليه السّلام لم يقصد المعصية بدياً ولا مخالفة ما آتاه الله تعالى من الحكمة وفصل الخطاب بل كلام الملكين أوقع له الظنّ بأنّه قد أتى معصيته، وأنّ الله تعالى قد شدّد عليه المحنة بها لأنّ الفتنة في هذا الموضع تشديد التعبّد والمحنة، فحينئذ علم داود عليه السّلام أنّ ما أتاه كان بالنسبة إليه معصية من باب «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» واستغفر منها، وإن كانت قضية المخاصمة فريضة على طريق الحكاية فضلاً عن كونها واقعية، فانّه عليه السّلام كان قدوة فلا بدّ له من الرعاية حقّها، وإن كانت في القضايا الفرضية، فيجب على القضاة: طلب البيّنة من المدّعي، وسؤال المدّعى عليه عما ادّعى عليه أو الإقرار به ثمّ الحكم، وإلّا فحكمه باطل بتّاً.

التاسعة: يستدل بقوله تعالى: «وخرّ راكعاً وأناب» على استحباب السجدة في سورة «ص». عن إبن عباس قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم سجد في «ص» وليست من العزآئم». وقال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكراً».

العاشرة: أن يستدلّ بهذه القضيّة على جواز القضآء في المسجد، وليس في القرآن الكريم مايدل على القضآء في المسجد إلاّ هذه القضيّة فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

الفصل الرّابع: أنّ في قوله تعالى: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله...» ص:٢٦) مسائل:

الأُولىٰ: أنّ قوله عزّوجلّ: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض» يدلّ على أنّ الخلافة كنفس الرّسالة والنّبوّة والإمامة مجعولة الهيّة لاتكون لمن كان ظالماً لغيره أو لنفسه بالشرك والعصيان، وليست الخلافة كنفس الرسالة حكومة دنيوية محضة، ورئاسة إجتماعيّة صرفة وسلطنة مُلكيّة بحتة وسلطة تنفيذية كي يصحّ أن يكون زمامها بيدالناس وبرأيهم فرداً أو جماعة، فتختار الامة أوفرداً منها للرسالة من الله سبحانه أو للخلافة عن الرسول، من تستصلحه للإختيار ويرتضيه للإنتخاب...

وإنّما الخلافة شأن معنوى شريف، ومنصب ملكوتي عظيم وأمر إلهيّ قويم، لايقلّ إعتباره وشأنه عن أحكام الطهارة والحلّية والحرمة والحيض والنفاس واللعان والظهار والطلاق والعتاق والحدود والديات، وعن أيّ حكم من الأحكام العبادية او التجارية أو السياسيّة والجزائية الفقهية الإلهية... فالخليفة كنفس الرسول هو المختار من الله تعالى، لابدله من الأفضليّة المطلقة في العلم والعمل والعصمة من الخطأ والزلل على غيره، فليس للناس اختيار لانتخاب الخليفة كما زعمه العامة وتبعهم بعض المتفقهين المتجدّدين... ولنا في الخلافة والخليفة بحث عميق وتحقيق دقيق في هذا التفسير فراجع.

الثانية: أنّه ليس ملاك الخلافة إنتخاب النّاس أو التغلب والقهر والسلطة

التنفيذية... إنّما ملاكها الجعل والنص من الله تعالى، وإلّا كانت الأنبيآء والمرسلون وأوصياؤهم الذين لم تكن لهم خلافة ـ على زعم العامة وأذنابهم ـ كخلافة داود عليه السّلام محكومين لأمرآء البغي، وكذلك ائمتنا المعصومون عليهم صلوات الله والفقهآء الجامعون لشرآئط الفتوى في زمن الغيبة، محكومين لحكّام الجور..؟ ولم يقل بذلك سليم عقل ولا طيّب ولادة.

الثّالثة: مشروعيّة القضآء والحكم لمن ينصبه خليفة الله تعالى نيابة خاصّة أو عامّة.

الرّابعة: يجب على الحاكم بالحق: «فاحكم بين الناس بالحق» وهو أمر بالوجوب أي بما هو مطابق لما في نفس الأمر بحسب مايقود إليه الدّليل أو الامارة.

وقد روي صحيحاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنّة وإثنان في النار، فأماالذي في الجنّة فرجل عرف الحقّ فقضى به، ورجل عرف الحقّ فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار».

الخامسة: إنّ الآية الكريمة تمنع من حكم الحاكم بعلمه من دون دليل قاطع أو أمارة متقنة، لأنّ الحكّام لومكّنوا أن يحكموا بعلمهم، لم يشآ أحدهم إذا أراد أن يحفظ وليّه ويهلك عدوّه إلّا إذا ادّعى علمه فيما حكم به. وقد روى صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنّه اشترى فرساً فجحده البائع، فلم يحكم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعلمه وقال: «من يشهد لي»؟ فقام خزيمة فشهد فحكم».

السادسة: تدلّ على أن ليس للحاكم جعل الموضوع ولا جعل الحكم، وما يجب عليه هو تشخيص الموضوع، وتطبيق الحكم الإلهى على الموضوع، فمن لم يحكم بما أنزل الله فهو من الكافرين لاستخفافهم بالشرع، وإنكارهم الضرورى من الدين، وبدون القيد «فالئك هم الظالمون» لحكمهم بخلاف الحقّ، و«الفاسقون» لخروجهم عن الشرع، فلايليق للنيابة عن خليفة الله تعالى.

السّابعة: يحرم على الحاكم اتباع الهوى أي الميل بمجرّد الحظّ النفساني ويدخل في ذلك وجوب الإنصاف والإنصات والتسوية بين الخصوم في السلام والكلام وأنواع الإكرام... ويحرم عليه أن يميل إلى أحد الخصمين لقرابة أورجآء نفع أو سبب يقتضي الميل من صحبة أو صداقة أو إجبار من جانب السلطة التنفيذية وغيرها.

روى الشّيخ رضوان الله تعالى عليه في الحسن عن الثّمالي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «كان في بني إسرائيل قاضٍ يقضي بالحق فيهم، فلمّا حضره الموت قال لإمرأته: إذا أنامتّ فاغسليني وكفّنيني وضعيني على سريري وغطّني وجهي، فانكِ لاترين سوءاً فلمّا مات فعلت ذلك، ثمّ مكثت بذلك حيناً ثمّ إنّها كشفت عن وجهه لتنظر إليه فاذاً هي بدودة تعرض، ففزعت من ذلك فلمّا كان الليل أتاها في منامها، فقال لها: أفزعكِ مارأيتِ؟ قالت: أجل لقد فزعت، فقال لها: أما إن قد كنت فزعت ماكان الذي رايتي إلاّ لهوى في أخيك فلان أتاني، ومعه خصم له، فلمّا جلسا إليّ قلت:

اللّهمّ أجعل الحقّ له ووجّه القضآء على صاحبه، فلمّا اختصما إليّ كان الحق له، ورأيت ذلك بيّنا في القضآء فوجّهت القضآء له على صاحبه، فأصابني لموضع هواى كان مع موافقة الحق».

أقول: إنّ قوله تعالى: «ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله...» يدلّ على حرمة الميل القلبي إلى أحد الخصمين بأيّ سبب كان، فانّ منشأ هذا الميل هو اتباع الهوى الذي هو الموجب لخروج الحاكم عن طريق الحق، الموجب لنسيان يوم الحساب الموجب لعذاب شديد قطعاً. كما أنّ ظاهر الرواية يدلّ على أنّ الميل القلبى إلى أحد الخصمين وإن كان مع الحكم بالحق حرام يترتب عليه العقاب، فانّه يستلزم الحكم بخلاف الحق غالباً لأنّ حبّ الشي يعمى ويصمّ، فيجب التنزّه عنه. فالحكم بالكراهة هو خلاف الكتاب والسنة والعقل بلامرآء.

الثّامنة: يجب تنفيذ الحكم وقبول المحكوم ورضاه بالحكم وعدم إنكاره وعدم

التضجّر به.

التّاسعة: انّ في الآية الكريمة دلالة على عدم الولاية المطلقة الإلهية للأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام على ما اصطلح في أيّامنا هذا لبعض للفقهآء إذ ما كان للأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين أن يحكموا إلّا بما أنزل الله تعالىٰ عليهم فما كانوا يحكمون كيفما يشآؤون ولا يتصرّفون حيثما يريدون، فضلاً عن الفقهآء الذين نابوا منابهم خاصّة أم عامة.

العاشرة: انّ الآية الكريمة تدلّ علىٰ عدم جواز إطلاق الخليفة على الذين غصبوا خلافة الخلفآء المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين لأنّ الخلافة مجعولة من عندالله عزّوجلّ لا تطلق إلّا مَن كان خليفة بوحي من الله تعالى ونصّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم من دون دخالة يد أحد فيها، فلا يجوز اطلاق الخلفآء على أبي بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب وعثمان عفان وأضرابهم... فضلاً عن كونهم راشدين، فانّ في اطلاق الخلفآء عليهم تشنيعاً وتشكيكاً في كلام الله جلّ وعلا، وفي إطلاق الراشدين عليهم تكذيباً بكلام أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين قطعاً إلاّ مَن كان مريض القلب وخبيث الولادة.

في تاريخ الطبرى (الجزء الثالث: ص٢٧٩) باسناده عن سلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه: «أن عمر بن الخطاب قال له: أمَلِكٌ أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ثمّ وضعته في غير حقّه فأنت مَلِكٌ غير خليفة».

أقول: فماذا كانت قضيّة فدك ؟ لماذا يقول مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام عند قبر رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم؟ ولماذا يقول؟؟؟

في نهج البلاغة: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السمآء، فشحّت عليها نفوس قوم وسَخَتْ عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحَكَمُ الله!...»

وفيه: «فلقد استُرجِعَتِ الوديعة وأُخذت الرهينة، أما حُزني فسرمد، وأمّا ليلى فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك الّتي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر امّتك على هضمها...»

وفيه: قال عليه السّلام: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ـ فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً أرىٰ تراثي نهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى إبن الخطّاب بعده»

وفيه: قال عليه السّلام: «زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد، ولا يسوّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصآئص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله ونُقِلَ إلى منتقله»

وفيه: يقول الإمام علي عليه السّلام: «فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قآئمة! والآيات واضحة! والمنار منصوبة! فأين يُتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش»

أولم يقل رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم: «عليّ مع الحق، والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار»؟ أيجوز لأحد من المسلمين بعد هذا البيان أن يطلق على هؤلآء الطاغين، الخلفآء فضلاً عن الراشدين إلّا مَن كان كما قلنا: مريض القلب أو خبيث الولادة.

الفصل الخامس: أنّ في قوله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص٢٩) مسآئل:

الاولى: يستدل بالآية الكريمة على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيد أو المبيّن أو المفسّر أو الناسخ...

الثانية: يستدل بها على وجوب قرائة القرآن الكريم، لأنّ القراءة مقدّمة لمعرفة

معانيه وللتدبّر في آياته...

الثّالثة: يستدل بها على وجوب معرفة معاني القرآن المجيد.

الرّابعة: يستدلّ بها على أنّ الترتيل أفضل من الهذّ ـ أي سرعة القراءة ـ لولم نقل بوجوب الترتيل، إذ لا يستطيع القاريء أن يتدبّر في القرآن الكريم مع الهذّ.

الخامسة: يستدل بها على وجوب التدبّر في آياته على المسلمين عامّة، وعلى العلمآء ودعاة الدين خاصّة في كلّ ظرف، فانّ الله عزّوجلّ قد جعل حكمة نزول هذا الكتاب المعجز الخالد إلى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم التدبّر في آياته... ردّاً على المتقوّلين في كلّ عصر: إنّ القرآن لمن خوطب به. ولا ريب أنّ الذبذبة في ذلك من علائم الجمود والإنحطاط، والتحجّر والنفاق، ومن دسآئس الشياطين...

قال الله جلّ وعلا فيهم: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمد صلى الله عليه وآله وسلّم: ٢٤)

ولعمرى: انّ السبب الوحيد الموجب لإنحطاط المسلمين حتّى اليوم هو تركهم عامة والعلمآء خاصّة، كلام المخلوق، وكلام أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وإفراد أحدهما عن الآخر ـ وقد تركهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيهم معاً من غير افتراق بينهما ـ والإنهماك في أقاويل المخلوق الخاطئ، وعدم إعتنائهم بكلام الخالق على حدّ كلام المخلوق علميّاً.

فعلى المسلمين عامة وعلى العلماء ودعآة الدين، وعلى الفقهآء والمصلحين خاصّة وإن بلغوا مابلغوا من العلم، يجب عليهم التدبّر في الثقلين معاً بتمام أبعادهما غير ماتدبّروا فيما مضى عليهم، وإلّا فالإنحطاط يستمرّ، والذلّة تدوم عليكم قال الله عزّوجلّ: «كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننه للناس ولا تكتمونه ضنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلا تحسبّنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ٧٩ و ١٨٧-١٨٨)

أللّهمّ إنّك تعلم أنّي أتممت عليهم حجّتك وأنت أحكم الحاكمين.

الفصل السّادس: في حدّ المريض وهو الضرب بالضغث.

يدلّ عليه الكتاب والأخبار والإجماع، أما الكتاب فقوله عزّوجلّ: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» ص: ٤٤) فيدل على أصل مشروعية الضرب بالضغث. وذلك أنّ أيوب عليه السّلام حلف في مرضه أن يضرب إمرأته مأة جلدة لأمر أنكره من قولها: «لئن عوض لأضربنها مأة جلدة» فلمّا شفاه الله تعالى ندم عليه، فحلّ الله عزّوجلّ يمينه بأن يأخذ ضغثاً بعدد ماحلف، فيضربها به دفعة واحدة، فأخذ شماريخ قدر مأة فضربها ضربة واحدة.

الضغث: القبضة من العيدان ونحوها أي ملأ الكف من الحشيش أو الشماريخ أو السياط وما أشبه ذلك. إنّ الله تعالى أمر نبيّه أيّوب عليه السّلام أن يضرب إمرأته بمجموعة من الأغصان وما أشبهها، فيتحلل من يمينه، فلمّا فعله فلم يحنث وإن اليمين تتضمّن أمرين: حنثاً أوبرّاً فلما أخبر الله تعالى أنّه لاتحنث فقد أخبر بوجود البر إذ ليس بينهما واسطة.

وأما الأخبار: فكثيرة منها ما:

وفي وسائل الشيعة: بالإسناد عن يحيى بن عباد المكّى قال: قال لي سفيان الثورى: إنّي أرى لك من أبي عبدالله عليه السّلام منزلة فسله عن رجل زنا وهو مريض، إن أُقيم عليه الحدّمات (خافوا أن يموت) ماتقول فيه؟ فسئلته، فقال: هذه المسئلة من تلقآء نفسك؟ أو قال لك إنسان أن تسئلني عنها؟ فقلت: سفيان الثوري سئلني أن أسئلك عنها، فقال أبوعبدالله عليه السّلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أتي برجل احتبن (أحبن خ) مستسقى البطن قد بدت عروق فخذيه، وقدزنا بامرأة مريضة، فامر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعذق فيه شمراخ، فضرب به الرجل ضربة، وضربت به المرأة ضربة ثمّ خلّى سبيلهما ثمّ قرأ هذه الآية: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث».

قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أحبن» من الحَبَن ـ بفتح الحاء والباء ـ: عظم البطن

وورم من الإستسقآء ورجل أحبن: المبتلى بهذا المرض.

وفيه: بإسناده عن أبي العبّاس عن أبي عبدالله عليه السّلام قال أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم برجل دميم قصير قدسقى بطنه وقددرت عروق بطنه قد فجر بامرأة فقالت المرأة: ماعلمت به إلّا وقد دخل عَلَيَّ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أزينت؟ فقال له: نعم ـ ولم يكن أُحِصنَ ـ فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بصره وخفضه ثمّ دعا بعذق فقدّه مأة ثمّ ضربه بشماريخه».

وفيه: بالاسناد عن سماعة عن أبي عبدالله عن أبيه عن آبآئه عليهم السّلام عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم «أنّه أُتي برجل كبير البطن قد أصاب محرّماً، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعرجون فيه مأة شمراخ، فضر به مرّة واحدة، فكان الحدّ».

أقول: العرجون: أصل العذق الذي يعوّج ويبقى على النخل يا بساً بعد أن تقطع عنه الشماريخ، والشِمراخ ـ بالكسر ـ: العثكال وهو مايكون فيه الرطب

وفيه: بالإسناد عن زرارة قال: قال أبوجعفر عليه السّلام: «لوأن رجلاً أخذ حزمة من قضبان أو أصلاً فيه قضبان، فضربه ضربة واحدة أجزأه عن عدّة مايريد أن يجلد من عدّة القضبان».

وفيه: بالإسناد عن عبدالله بن الحسن عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السّلام قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اتي بامرأة مريضة ورجل أجرب مريض قدبدت عروق فخذيه قدفجر بامرأة فقالت المرأة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أتيته فقلت له: أطعمني واسقني، فقد جهدت، فقال: لا حتّى أفعل بكِ، ففعل، فجلده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بغير بيّنة مأة شمراخ ضربة واحدة وخلّي سبيله ولم يضرب المرأة».

وأما الإجماع: فقال الشيخ قدس سرّه في الخلاف: «مسئلة ١٨ ـ المريض المأيوس منه إذا زنا وهو بكر اُخِذَ عِذق، فيه مأة شمراخ أومأة عود يشدّ بعضه إلى بعض، ويضرب به ضربة واحدة على وجه لايؤدّي إلى التلف» ثمّ قال: «دليلنا

إجماع الفرقة واخبارهم وأيضاً قوله تعالى: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» وهذه قصّة لأيوب عليه السّلام معروفة وروى أنّ مقعداً أقرّ عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم بالزنا فأمر أن يضرب مأة باسكال (بانكال خ) النخل» إنتهى كلامه.

أقول: في المقام مسائل:

الاولى: إنّ الضغث حدّ المريض مطلقاً سوآء أمكن جلده مأة جلدة في الأيّام المتفرّقة أم لا، فلا يجوز تفريق الضرب على الأيّام بأن يضرب كلّ يوم بعضاً منها حتّى يستوفي، بل إذا لم يحتمل النصاب في يوم واحد عدل إلى الضغث لأنّ الظاهر من قوله تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مأة جلدة» النور: ۲) هو جلد هما متتالية، وإذا لم يتيسّر ذلك تصل النوبة إلى الضرب مرّة واحدة بالضغث المشتمل على العدد المعتبر، ولا دليل على جواز تفريق المأة على الأيام لأنّ الشرط في الحدّ بالضغث بحسب الأخبار هو عدم إمكان ضرب المأة متتالية.

الثانية: إذا اقتضت المصلحة التعجيل ضرب بالضغث المشتمل على العدد المعتبر في الحدّ من شماريخ أوعيدان أوسياط... بأن علم أنّه لا يحصل له البرء وحصل اليأس عن ذلك كالزمانة أو كان جلده نحيفاً أو هزيلاً شديد الهزال أو مريضاً مرضاً خبيثاً لايُرجى برؤه كالمسلول والمجذوم والمصاب بالسرطان وما إليها من الأمراض الفتّاكة الخطيرة، فيعجلّ في حدّه لأنّ في التأخير خوف فوت الحد، وأنّ التسريع والضغث أوفق للمريض.

الثالثة: لوكان الضّغث مشتملاً على المأة فلا يجوز ضربه بخمسين منها مرّتين، ولا ضربه مرّة بنصف ومرّة بنصف آخر.

الرّابعة: لو إشتمل الضغث على خمسين ولا يمكن من تحصيل المشتمل على المأة لضرب به دفعتين.

الخامسة: لولم تسع اليد العدد لضرب به مرّتين فصاعداً، ولو وسعت للربع فقط يؤخذ به ويضرب به أربع مرّات وهكذا.

السادسة: لايعتبر في الضرب بالعرجون أوالضغث وصول كلّ شمراخ وعود إلى

جسده لإطلاق الأدلة مع التعذّر عادة، فيكفى التأثير بالإجتماع.

وقد كان سيّدنا الاستاذ المدقّق آية الله السيّد محمّد رضا الگلپايگانى دامت إفاضاته يقول في درسه: «إنّ جواز ضرب المريض بطرف ثوب مفتول أو النعال هو من مخترعات أهل الخلاف (العامّة) وكم لهم أمثال ذلك من نظير، وما نقلوه من الرواية فلم يثبت من طرقنا».

السابعة: لا يختصّ عدم إجرآء الحدّ الدآئر على المريض والمستحاضة بباب الزنا، بل الظاهر بملاك وحدة المناط جريانه في كلّ واحد من الحدود... وأما إجرآئه في الجراحات الّتي يقتصّ فيها ففيه تأمل.

الثامنة: انّ النفسآء أيضاً كالمستحاضة والمريض، فيؤخّر حدّها إلى أن تمضى أيّامها وتخرج عن النفاس.

التاسعة: قدوردت روايات بأنّ المريض ومن به القروح يؤخّر إلى أن يبرأ...

في وسائل الشيعة: بالاسناد عن مسمع بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام أتي برجل أصاب حدّاً وبه قروح ومرض وأشباه ذلك فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «أخّروه حتّى تبرأ لاتنكأ قروحه عليه فيموت، ولكن إذا برأ حددناه».

قال الشيخ الحرّ العاملى: حمله الشيخ على اقتضآء المصلحة التأخير وعلى تخيير الإمام عليه السّلام فيه.

وفي كنزالعرفان: قال الفاضل المقداد رضوان الله تعالى عليه: «لوكان مَن يجب عليه الحدّ مريضاً يخشى تلفه تخيّر الحاكم بين الصبر حتّى يبرأ وبين الضرب بالضغث المشتمل على العدد».

أقول: إنّ وجه الجمع بين الروايات: أنّ إقامة الحدّ إذا كانت إلى الإمام عليه السّلام فهو يقيمها على حسب مايراه فان كانت المصلحة تقتضي إقامة الحد في الحال اقامه على وجه لا يؤدّى إلى تلف نفسه، فيضرب به بالضغث وإلّا أخّره إلى البرء.

العاشرة: ما يستفاد من الآية الكريمة والروايات المتقدمة: أنّه لا يعتبر في حدّ المريض أربعة أقارير كما تعتبر في اثبات الزنا للسالم، بل يكفى في إثبات حدّ المريض إقرار واحد لأنّ فعل المعصوم عليه السّلام كقوله عليه السّلام حجّة لنا وإن لم نعلم جهته.

الحادية عشر: يستدل بالآية الكريمة على جواز ضرب الرجل إمرأته تاديباً، إذ لولا ذلك لما كان لأيوب عليه السّلام أن يحلف عليه ويضربها، ولما أمره الله عزّوجلّ بضربها بعد حلفه. ولذلك قال بعض الفقهآء: هذا لا يجوز في الحدود لأنّ الله تعالى أمرنبيّه أيوب عليه السّلام بذلك لئلاّ يضرب إمرأته فوق حدّ الأدب، إذ ليس للزوج أن يضرب إمرأته فوق حدّ الأدب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: واضربوهنّ ضرباً غير مُبَرِّح».

وقد أباح الله تعالى من ضرب النسآء إذا كانت ناشزة في قوله: «واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ» النساء: ٣٤)

ولكن قصّة أيّوب عليه السّلام تدل على أنّ له ضربها تأديباً لغير نشوز كما أنّ قوله عزّوجلّ: «الرجال قوّامون على النسآء» النسآء: ٣٤) وما ورد فيه يدل على مثل دلالة قصّة أيّوب عليه السّلام عليه، إذ روى: أنّ رجلاً لطم إمرأته على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأراد أهلها القصاص، فأنزل الله تعالى: «الرجال قوّامون على النسآء...»

الثانيه عشر: قد اختلفت كلمات الفقهآء في هذا الحكم: هل هو عام أو خاصّ بأيّوب عليه السّلام وحده: فمنهم من ذهب إلى الأوّل، ومنهم من ذهب إلى الثاني.

أقول: وعندى أنّ الحكم باقٍ لإستمرار الشرائع السابقة إلآ اذا نسخت بالإسلام وأما قوله تعالى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنها جاً» المآئدة: ٤٨) فلا يدل على نسخ الشرائع كلها بشريعتنا بمعنى تغيير أحكامها أو إلغائها بتاتاً، بل يجب على أهلها أن يتبعوا ديننا وإن كان بعض أحكامهم مطابقاً لأحكامنا... مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عمل بهذا الحكم كما مرّ في الروايات السابقة.

الثالثة عشر: إنّ في الآية الكريمة دلالة على أن للرجل أن يحلف ولا يستثنى فانّ

ايوب عليه السّلام حلف ولم يستثن. وقدورد: أنّ الأشعريين استحملوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: والله لا أحملكم ولم يستثن ثمّ حملهم وقال: مَن حلف على يمين فرآى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه.

فمن حلف على يمين فرآى غيرها خيراً منها ثمّ فعل المحلوف عليه، فعليه الكفّارة عن يمينه، إذ لولم تجب كفارة لترك أيّوب عليه السّلام ماحلف عليه، ولم يحتج إلى أن يضربها بالضغث.

الرابعة عشر: وفيها دلالة على أنّ التعزير يجاوز به الحدّ لأنّ في الخبر أنه عليه السّلام حلف أن يضربها مأة فأمره الله عزّوجلّ بالوفآء به، إلّا أنّه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «من بلغ حدّاً في غير حدّ فهو من المعتدين» أقول: والجمع هو الضرب بالضغث، فلم يجاوز التعزير، الحدّ وقد وفىٰ بحلفه.

الخامسة عشر: وفيها دلالة على جواز برّ اليمين على ضرب المستحق مأة بالضرب الضغث.

السادسة عشر: وفيها دلالة على أنّ اليمين إذا كانت مطلقة فهي على المهلة، وليست على الفور، إذ من المعلوم أنّ أيّوب عليه السّلام لم يضرب إمرأته في فور صحته.

السابعة عشر: من حلف على ضرب عبده مأة، فجمعها فضربه بها ضربة واحدة لم يبر وقال بعضهم: من حلف أن يضرب عبده مأة عصا أومأة سوط، فضربه بمأة شمراخٍ أوسوط دفعة واحدة، وعلم أنّ جميعها وقعت على جسده برّ في يمينه.

الثامنة عشر: من حلف على ضرب عبده أنه لا يبر إلّا أن يضربه بيده لقوله تعالى: «وخذ بيدك ضغثاً» وقال بعضهم: مَن لا يتولى الضرب بيده فان أمر غيره بضربه فلا يحنث عرفاً.

التاسعة عشر: إنّ النهى عن الحنث: «ولا تحنث» يدلّ على أنّ الإستثنآء في اليمين لا يرفع حكمها إذا كان متراخياً.

العشرون: إنّ في الآية الكريمة دلالة على أنّ الإستثنآء لايصحّ إلاّ أن يكون

متصلاً باليمين إذ لوصحّ الإستثنآء متراخياً عنها لأمر بالاستثنآء ولم يؤمر بالضرب.

الحادية والعشرون: وفيها دلالة على جواز الحيلة في التوصّل إلى مايجوز فعله ودفع المكروه بها عن نفسه وعن غيره لأنّ الله عزّوجلّ جعل لأيّوب مخرجاً من حلفه إذ أمره بضرب إمرأته بالضغث ليخرج به من اليمين ولا يصل إليها ضرر كثير.

وإنّ الحيل في الأحكام تجوز عندنا على حدّ تنقذ الإنسان مما قد يواجهه من محرجات ومشاكل ويوقعه في الإثم والضرر والخطر ولا تجوز إطلاقاً إذ فيه تعطيل شرائع الله تعالى وحدوده وحكمته في هذه الشرائع والحدود، وتصوير الله سبحانه في صورة المتناقض العابث جلّ عن ذلك وتعالى، مع مافي الإطلاق من أضرار لاتقف عند حدّ في مصالح الناس وصلاحهم فيما بينهم، وفي سلب ثقتهم في بعضهم ومن عدوان على حقوقهم وأموالهم وأعراضهم، فلا يجوز التوصل إلّا في المواقف المماثلة الجائزة في الشريعة.

﴿بحث مذهبي﴾

في التبيان: في قوله تعالى حكاية عن زعمآءِ المشركين: «واصبروا على آلهتكم» ص: ٦) قال الشيخ الطوسى رضوان الله تعالى عليه: «فالصبر محمود إذا كان في حبس النفس عن المحارم فهؤلآء الجهّال اعتقدوا أنّ الحقّ في الصبر على آلهتهم، ولم يعلموا أنّ ذلك كفر. وفي ذلك دلالة على فساد قول من يقول: «إنّ المعارف ضرورة» إنتهى كلامه.

أقول: لا يخفى على القارئ المتدبّر الخبير: أنّ إنكار الضرورة أو الإعتقاد على خلافها أو التشكيك فيها لا يوجب خروجها عن كونها ضرورة، وإلّا لما كان شئ ضرورياً ولا ضرورة أصلاً في الوجود كله.

وفيه: في قوله تعالى: «وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلاً» ص: ٢٧) قال الشيخ قدس سرّه: «وذلك يفسد قول المجبرة الذين قالوا: إن كلّ باطل وضلال من فعل الله».

وفي المجمع: قال: «وهذا ينافي قول أهل الجبر: إنّ كلّ باطل وضلال فهو من فعل الله».

وفي التبيان: قال وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في خلق القبائح من حيث بين الله أنه يعاقبهم جزآء بما نسوا طاعاته في الدّنيا. ثمّ قال قدس سرّه: وقوله: «ذلك ظنّ الذين كفروا» يدلّ على فساد قول من يقول: إنّ المعارف ضرورة لأنّهم لوكانوا عارفين ضرورة لما كانوا ظانين».

أقول: وقد سبق منّا كلام آنفاً في الضرورة فتدبّر جيداً.

وفي قوله تعالى: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض....» ص: ٢٨) ردّ على المرجئة لأنّهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد كالمصلح أو أرفع درجة منه، وردّ على منكرى البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصى إلى شي واحد.

وذلك انّ الآية الكريمة تضمنت تقريراً قرآنياً محكماً بأنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات: إنّما يفعلون ذلك باختيارهم وكسبهم كما أنّ المفسدين الفجّار إنّما يرتكبون جرائمهم ويسيرون في طريق الغواية باختيارهم وكسبهم أيضاً حيث تقرر أنّه لا يمكن أن يكون الفريقان في مركز واحد وأن يعاملا معاملة واحدة أو أن يترك الصالحون المتقون والمفسدون الفجّار وشأنهم بدون حساب ولا جزآء إذ أنّ هذا يكون عبثاً وباطلاً في حين أنّ الله جلّ وعلا لم يخلق الكون عبثاً وباطلاً. وفي الآيات الكريمة ردّ على عبدة الأوثان المذكورين سابقاً، بتقريب ذكر إخوانهم، وردّ على المجبرة، فانّ الجبر يستلزم بطلان الثواب والعقاب والتكليف المستلزم لكون خلق السموات والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً، وعلى المفوّضة أيضاً لأنّ التفويض ينافي غرض الإيجاد، وكون بعثة الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام باطلاً ظاهر، مع أن في ذلك إشارة إلى مفسدة اخرى وهي أنه لو تحقّق الجبر لكان إرسال الرسل وتبشيرهم وإنذارهم عبثاً لأنّ الغرض من ذلك هو الإخبار بالأحكام وإظهار مناهج الحلال والحرام، والتقريب بالطاعة والتبعيد عن المعصية، ومع الإجبار لا فائدة في الإخبار والإظهار ولا نفع في التبشير والإنذار، ومالا فائدة فيه فهو لغو وعبث.

يستدل بقوله تعالى: «ووهبناله أهله ومثلهم معهم» ص: ٤٣) على إمكان الرجعة ووقوعها، وذلك انّ الله تعالى ردّ على أيّوب عليه السّلام أهله الذين ماتوا قبل البلآء وردّ عليه أهله الذين ماتوا حين البلاء فأحياهم كلهم له عليه السّلام فعاشوا معه.

وقد تشبّت المشبهة والمجسّمة والحشوية من الأشاعرة بقوله سبحانه: «لما خلقت بيدى» ص: ٧٥) على أنّ لله سبحانه يداً.

أقول: وقد ثبت بالضرورة أن اليد هنا كناية عن مزيد عناية بشأن الإنسان، خلقه عزّوجلّ بلا توسيط سبب كما في سائر المخلوقات... **وفي قوله تعالى:** «فقعوا له ساجدين» ص ٧٢) دلالة على فضل آدم عليه السّلام على الملائكة، وإن كان السجود لله تعالى وعبادة له، وفيه دلالة على أنّ المأمور به لم يكن مجرّد الإنحناء كما قيل.

يستدل بقوله تعالى: حكاية عن إبليس: «خلقتني من نار وخلقته من طين» ص ٧٦) على قبح تقديم المفضول على الفاضل، ولكن إبليس أخطأ في فضله على آدم عليه السّلام وفيه ردّ على العامّة إذ قدّموا المفضول على الأفضل، بل قدّموا الجهل المحض على العلم المحض.

وفي التبيان: قال الشيخ قدس سرّه: «وهذا يدل على أنّ السجود لآدم كان على وجه التفضيل له على جميع من أمر بالسجود له، وإلّا لم يكن يمتنع من ذلك ولم يعلم إبليس أنّ الله تعالى إنّما أمرهم بالسجود لآدم عبادة له وإن كان تفضيلا لآدم وإن لهم في ذلك لطفاً في تكليفهم، فلذلك أمرهم الله بالسجود له، ولو أنعم النظر في ذلك لزالت شبهته» انتهى كلامه.

وقوله تعالى: «لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٥) لا يخفى على القارئ الخبير أنه حيث كان مناط الحكم ههنا اتباع إبليس، اتضح على أنّ مدار عدم المشيئة في قوله تعالى: «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» السجدة: ١٣) اتباع الكفرة لإبليس بسوء إختيارهم لا تحقق القول في قوله تعالى مشيراً إليه: «ولكن حقّ القول منّي لأملئن جهنّم» فليس في ذلك شائبة الجبر كما زعمه المجبرة.

وقوله تعالى: «إن هو إلّا ذكر للعالمين» يدلّ على عموم الرسالة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم ولزوم إجراء أحكام القرآن الكريم في أقطار الأرض كلها كما وعده الله تعالى بقوله: «ولتعلمن نبأه بعد حين».

«داود النّبيّ» عليه السّلام «في القرآن الكريم»

قال الله عزّوجلّ: «إصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب ـ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» ص:١٧-٢٦) معنى داود: أنّه داوى جرحه بودّ. وقيل: داوٰى ودّه بالطاعة حتّى قيل عبد. وقد ذكر إسم داود عليه السّلام ستّ عشرة مرّة في تسع سور من القرآن الكريم على الترتيب النزولي التالي:

١ ـ سورة «ص» (١٧ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٦ و ٣٠)

٢ ـ سورة «النمل» (١٥ و ١٦)

٣ ـ سورة «الأسراء» (٥٥)

٤ ـ سورة «الأنعام» (٨٤)

٥ ـ سورة «سبأ» (١٠ و ١٣)

٦ ـ سورة «الأنبيآء» (٧٨ ـ ٧٩)

٧ ـ سورة «البقرة» (٢٥١)

٨ ـ سورة «النسآء» (١٦٣)

٩ ـ سورة «المآئدة» (٧٨)

وقد ورد إسم داود عليه السّلام خمس مرّات في هذه السورة: «ص» لأوّل مرّة في القرآن الكريم، وجآئت قصّته فيه على طريقى الإجمال والتفصيل، كل لغرضٍ خاصٍ من دون تكرر محضاً كما زعمه أصحاب الجمود.

وقد إختلفت الكلمات في نسب داود عليه السّلام وأسمآء آبائه:

في انجيل متى: «داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون ابن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن اسحق بن إبراهيم عليه السّلام».

وفي تاريخ الطبرى: «داود بن ايشي ابن عوبد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السّلام».

وفي تاريخ الكامل لابن الأثير: «هو داود بن إيشي بن عو يد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمّي نوذب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق» واعلم أنّ داود عليه السّلام نبيّ من أنبيآء بنى إسرائيل، وقد جمع الله عزّوجل له بين النبوة والملك وأعطاه خيرى الدّنيا والآخرة، فكان نبيّاً ملكاً، وهو أحد الرسل الذين نزلت عليهم الكتب السماوية بعد موسى بن عمران عليه السّلام إذ آتاه الله تعالى الزبور وقال: «ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً» الإسراء: ٥٥).

وأنّ داود عليه السّلام هو أوّل مَن لمع إسمه وذاعت شهرته عند ما كان جندياً في جيش طالوت (شاول) حين بارز قآئد الأعدآء جالوت (جليات) وصرعه.

وأما مَن هو طالوت؟ ومَن هو جالوت؟ فهما القائدان اللذان جدير لنا أن نعرّف بهما القرّآء تمهيداً على سبيل الإختصار قبل الكلام عن نبوّة داودعليه السّلام.

وذلك انّ بعد وفاة موسى عليه السّلام قام بأمر بنى إسرائيل (يوشع بن نون) من سبط يوسف بن يعقوب عليهما السّلام ومعه دخل بنوإسرائيل الأرض الّتي وُعدوابها آنذاك وهي بلاد فلسطين وكان أوّل بلد احتلوه مدينة (اريحا) أو (اورشَليم) وقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا باب المدينة حين يدخلونها خاضعين متذللين لله عزّوجلّ وأن يقولوا: (حطة) أي حطّ عنّا يا رب خطايانا، ولكن هؤلآء القوم طغوا وخالفوا أمر الله تعالى فدخلوا المدينة متكبرين، وفسقوا بدل أن يستغفروا ربهم كما دعاهم لذلك، فغضب عليهم ربّهم، وأنزل بهم العذاب جزآء عصيانهم واستكبارهم: «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّة نغفر لكم

خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السمآء بما كانوا يفسقون» البقرة: ٥٨-٥٩)

وقسّم يوشع بن نون لهم القرية، وقام بأمرهم فيها، فراح يحكم بينهم إلى أن توفّي، وولي الأمر بعده قضاة منهم يقيمون لهم أمرهم، وليس فيهم ملك ذوسطوة وعزّة ستاً وخمسين وثلاثمأة سنة بعد موسى عليه السّلام وكان بنوإسرائيل في تلك الأثنآء عرضة لغزوات الامم المجاورة لهم ـ كالعمالقة من العرب والمديانيين والفلسطينيين والآراميين وغيرهم ـ وكانت الأيام دولاً بين الفريقين: تارة تغلبهم اليهود، وتارة هم يغلبون اليهود، وقد كانت الأنبيآء في ذلك العهد مرشدين لاولئك القضاة والحكام من اليهود وواسطة بينهم وبين الله تعالى، وفي بعض الأحيان كان النّبي قاضياً، وكانت العادة المتبعة عند بني إسرائيل أنّهم إذا خاضوا حرباً مع أعدآئهم جعلوا تابوت العهد أمامهم يستنصرون به لتقوي عزآئمهم... وكان في أواسط المأة الرابعة ـ في أيّام عالى الكاهن ـ أن العبرانيين اشتبكوا في معركة دامية مع الفلسطينيين سكّان أشدود بالقرب من غزّة، وقد أخذ بنوإسرآئيل معهم تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه التوراة أي الشريعة ليستنصروا به، ولمّا كان الله تعالى ساخطاً على بنى إسرائيل لما اقترفوا من خطايا غلبهم الفلسطينيّون وهزموهم شرّ هزيمة، فسبوا نسآءهم وذراريهم وأخرجوهم من ديارهم، وأخذوا منهم تابوت العهد وحملوه إلى بيت (داجون) إلههم ـ توجد قرية قرب الرملة من بلاد فلسطين إسمها «بيت دجن» كأنّها «بيت داجون» وأن معبد هذا الإله كان بها، وإن بها كان تابوت العهد الذي لبني إسرائيل وردّ أيّام طالوت، وان بيت (داجون) إليهم «وهو رأس إنسان على جسم سمكة» وكانت هزيمة بني إسرائيل عظيمة وذلّهم شديداً.

وكان بنوإسرائيل في عهد القضاة في حالة بدوية، وكانت عصبيتهم تتجه نحو القبلة واستمرّوا كذلك إلى سنة (١٠٤٠ ق-م) حين ظهر فيهم زعيم، وحدّ شمل قبآئلهم وجمعها تحت راية واحدة، وقبض بيده على زمام الحكم، وكان بذلك أوّل ملك في بني إسرائيل، وقدعُرِفَ في التاريخ اليهودي باسم (شاول) وقدسمّاه القرآن

الكريم (طالوت) وحاق الخزى والهوان، ببني إسرآئيل بعد هزيمتهم وسلبهم التابوت، وكان من قضاة بني إسرائيل نبيّ إسمه صموئيل قضى لبني إسرائيل زمناً، وعيّن إبنين له للقضآء في أحيآء بني إسرائيل فلم يعدلا، وخاف بنوإسرائيل أن يفسد عليهم الأمر بعد صموئيل، فذهب إليه أشرافهم في بلدة الرامة، وطلبوا منه وألحّوا عليه أن يختار لهم ملكاً يجتمعون تحت رايته، يأتمرون بأمره ويقودهم إلى قتال أعدآئهم الذين أذلّوهم دهراً طويلاً ويدافع عنهم من يريد الإغارة عليهم: «ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله» البقرة: ٢٤٦) وقد كان صموئيل يعرف حقيقة قومه، يعلم عاداتهم وما انطوت عليه أنفسهم، ويعلم طبيعتهم وتخاذلهم في القتال، فقال لهم: «هل عسيتم إن كنت عليكم القتال ألّا تقاتلوا» أي لعلكم إذا فرض عليكم القتال لا تقاتلون؟ فأنكروا أن يقع ذلك منهم وقالوا: «ومالنا ألّا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا» كيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا، وقدطردنا أعداؤنا من أوطاننا، وفرّقوا بيننا وبين أبنآئنا؟ فالدواعى للقتال موجودة، فلايتأتى منّا النكول ونحن على هذه الحال.

وقد حصل ماتوقع صموئيل، فانّه لمّا استجاب الله تعالى لرغبتهم، وفرض عليهم القتال أحجموا عنه إلّا جماعة قليلة منهم: «فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا إلّا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين» البقرة: ٢٤٦)

تولية طالوت الملك:

قد أخبر صموئيل بني إسرائيل: أنّ الله تعالى استجاب لرغبتهم وبعث لهم طالوت ملكاً عليهم: «وقال لهم نبيّهم إنّ الله قدبعث لكم طالوت ملكاً» البقرة: ٢٤٧) وهو من سبط بنيامين وإسمه في سفر صموئيل: (شاول بن قيس بن أبيئيل بن صرور بن بكورة بن أضيح) وفي تاريخ الطبرى: «وإسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرت بن أفيح بن إيش بن بنيامين بن يعقوب إبن اسحق بن إبراهيم» وفي مروج الذهب للمسعودي: «وهو ساود بن بشر بن اينال بن طرون بن بحرون بن أفيح بن سمّيداح بن فالح ابن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السّلام»

وفي الكامل لابن الأثير: «وهو بالسريانية شاول بن قيس بن أنمار بن ضرار بن يحرف ابن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق».

وكان (شاول) شاباً جميلاً لم يكن في بني إسرآئيل أحسن منه، وكان من قصّته وأمر تمليكه أن ضلّت أتن، لقيس أبي شاول فقال لإبنه:خذ معك واحداً من الغلمان وفتش على الآتن فبحث من أمكنة كثيرة إلى أن أتى إلى المدينة الّتي فيها صموئيل، فأشار الغلام على شاول أن يقصد النّبي صموئيل ليدلّه على الأتن، فذهب إليه فالتقى به في وسط المدينة يريد صموئيل لقآئه فسئله على الأتن فطمأنه وأكرمه إكراماً عظيماً في ذلك اليوم، وفي اليوم الثاني صبّ صموئيل الدهن على رأس شاول ومسحه به، وقبله وأخبره بما سيصير إليه أمره.

ثمّ أخذ صموئيل في العمل لتعيين من اختاره الله تعالى ملكاً لليهود أمام الشعب، وطلب شاول، فوجد مختبئاً بين الأمتعة... ولمّا جآؤا به كان أطول الناس فرضي به الشعب وهتفوا له، وغضب آخرون واحتقروه فملكه الله تعالى عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت، وكان بين خروج موسى عليه السّلام ببني إسرآئيل من مصر إلى أن ملك طالوت على بني إسرائيل خمسمأة واثنتان وسبعون سنة وثلاثة أشهر، وكان طالوت دبّاغاً يعمل الأدم، فلمّا أخبر صموئيل، بني إسرآئيل أنّ الله تعالى قدبعث لهم طالوت ملكاً تذمروا واعترضوا على اختياره بأنه ليس ذا نسب رفيع، وهم ـ على زعمهم ـ أحق بالملك منه، وقد كان ملك بني إسرائيل في سبط يهوذا وكانت النبوّة في سبط لاوى، وأمّا طالوت فكان من أبنآء بنيامين الذي هم من عامة الشعب كما اعترضوا على تولية طالوت لأمر آخر هو انّه كان فقيراً ولم يكن في سعة من المال: «قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال» البقرة:٢٤٧) والمال عند اليهود حتّى اليوم من أعظم أسباب الوجاهة والشرف، بل المال عندهم هو كمال الإنسان، فجعلوا ما خُلِقَ للإنسان كماله، أي جعلوا ما هو خادم للإنسان مخدومه، وهذا من بلادتهم.

أجاب صموئيل المعترضين: بأن الله تعالى اصطفى طالوت وميّزه عليهم بصفات

تؤهله للملك ، فقد آتاه العلم الغزير الذي يمكنه من معرفة امورهم السياسيّة وتصريف شؤونهم بحكمة ودراية كما آتاه الله قوّة بدنيّة تعينه على الصمود في الحروب، وعند لقآء الأعدآء... ثمّ إنّ الله تعالى الذي اختار طالوت ملكاً أدرىٰ بشئوون خلقه، فهو يصرف امور الكون كما يريد، فيؤتي الملك من يشآء لحكمة لا يعلمها غيره: «إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشآء والله واسع عليم» البقرة:٢٤٧) فالقيادة الرشيدة لا تكون بالوراثة، وإنّما بالمزايا الّتي تتطلبها الرئاسة وهي قوّة العقل الّتي يدعمها العلم الغزير الذي يساعد على تعريف الامور مع قوّة في الجسم تعين على تحمّل أعبآء القيادة.

علامة الملك في طالوت:

إن الله تعالى لمّا بعث طالوت إلى بني إسرائيل ملكاً قالوا لنبيّهم صموئيل: فما آية ملكه علينا؟ قال صموئيل: إنّ علامة ملك طالوت عليكم أن يأتيكم التابوت الذي أُخذ منكم وسيقودكم إلى النصر، فأخبر أنّ التابوت الذي فيه شارة عزّهم وطمأنينة قلوبهم، وفيه آثار مما ترك موسى وهارون، ومنها ألواح دوّنت عليها وصايا ربهم، هذا التابوت المأخوذ منهم سيعود إليهم تحمله الملائكة: «وقال لهم نبيّهم إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربّكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» البقرة:٢٤٨)

في سفر صموئيل النبي عليه السّلام: «أن الفلسطينيين كانوا يجدون إلههم (داجون) ملقى عن مكانه في كل ليلة، وسلّط الله عليهم الفيران، فأفسدت عليهم حاصلا تهم، وخرجت لهم البواسير وعلموا أنّ ذلك من وجود التابوت عندهم، فصنعوا تماثيل فيران من ذهب وتماثيل بواسير من ذهب، ووضعوها مع التابوت قرباناً، وجآؤا بعجلة جديدة وعلقوا فيها بقرتين مرضعتين، ووضعوا التابوت على العجلة وأطلقوا البقرتين، فجائنا بالتابوت بدون سائق أو قائد إلى قرية «بيت شمس» إلى أهل قرية «يعاريم» اليهودية فأخذوا التابوت وما معه وأو جدوه في بيت وخصّوا به أحد الكهنة لخدمته».

وكان مكث التابوت عند الفلسطينيين سبعة أشهر وأقام في «يعاريم» عشرين

سنة، وصعود التابوت من عند الفلسطينيين هو الذي أقامه صموئيل آية على ملك طالوت ومعنى «تحمله الملائكة» على هذا أنّها كانت تدل بالبقرتين الجارتين للعجلة.

وفي تاريخ الطبرى: «والسكينة طست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبيآء أعطاها الله موسى وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح فيما بلغنا من درّ و ياقوت وزبرجد، وأمّا البقيّة فانّها عصا موسى ورضاضة الألواح، فأصبح التابوت وما فيه في دار طالوت فآمنوا بنبوّة شمعون (صموئيل) وسلموا الملك بطالوت».

وفيه: عن إبن عباس: «جآءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السمآء والأرض وهم ينظرون إليه حتّى وضعته عند طالوت» وعن إبن زيد: «نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً حتّى وضعوه بين أظهرهم. قال: فأقرّوا غير راضين وخرجوا ساخطين».

وفي مروج الذهب: «وكان مدّة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين، فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتدّ سلطان جالوت وكثرت عساكره وقوّاده وبلغه إنقياد بني إسرائيل إلى طالوت، فسار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر ـ وهو جالوت بن بايول بن ريال بن حطان بن فارس (وهو جالوت بن مالود بن دبال بن حطان بن فارس خ) ـ فنزل بساحة بني إسرائيل».

وفي الكامل لابن الأثير: «والسكينة رأس هرّ وقيل: طشت من ذهب يُغسَل فيها قلوب الأنبيآء وقيل: غير ذلك وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد وأما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الألواح، فحملته الملائكة وأتت به إلى طالوت نهاراً بين السمآء والأرض والناس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم، فأقرّوا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفاً».

إختبار طالوت جيشه:

لمّا نزل جالوت بساحة بني إسرائيل أمر صموئيل النبي طالوت الملك بالمسير ببني إسرائيل إلى حرب جالوت، فجمع طالوت جنوده ودعاهم لقتال الفلسطينيين،

وحثّهم على قتال أعدآئهم الذين أذلّوهم، فاجتمع تحت لوائه جيش كبير وهم ثمانون ألفاً، فخرجوا معه وساقهم إلى قتال الفلسطينيين الذين كان يقودهم جالوت الذي اشتهر بالشجاعة والبأس، وانتشرت أخباره بطولاته وانتصاراته بين جميع الامم المجاورة، فهابوه وتجنّبوا الإشتباك معه.

سار طالوت بجنوده وابتعد بهم عن ديارهم، وأصبحوا قريبين من لقآء العدوّ فأراد طالوت أن يختبر عزمهم على القتال واحتمالهم المشقات وأهوال القتال ويقف على مدى صبرهم وطاعتهم له من جهة، وأن النهر كان يفصل بين بني إسرائيل وأعدآئهم، وقدوصلوا إليه مجهدين من العطش والتعب، فخشى إن مكثوا حوله وملأوا مزاداتهم وبطونهم واستراحوا واستجموا أحسّ بهم أعدآؤهم فاجتازوا النهر إليهم وأبعدوهم، فأراد طالوت أن يأخذ عدوّه بالجولة الاولى المفاجئة فيجتاز النهر قبل أن يحسّوا به من جهة اخرى، وهذه تتفق مع الخطط الحربية لأنّ الفجأة في الحروب أمضى سلاح.

فقال لهم طالوت ـ وقد بلغ منهم التعب والظمأ مبلغاً كبيراً ـ: إنكم ستمرّون بنهر وهو بين الاردن وفلسطين، والله تعالى مختبركم به ليميز المطيع من العاصى، فمن لم يشرب منه ولم يذقه فهو من أتباعى، ولكن يباح لأحدكم أن ينال غرفة من مائه بيده يبلّ بها ظمأه ومن يشرب منه أكثر من ذلك فليس من أتباعى، فلمّا جاؤا إلى النصر وأشرفوا عليه لم يملكوا أنفسهم أن شربوا منه إلّا قليلاً منهم وصبروا عن المآء وآثروا طاعة الله تعالى وكانوا قليلاً، وخالف معظمهم أمر طالوت وأقبلوا عليه يعبّون منه عبّاً غير آبهين لنهيه:

«فلمّا فصل طالوت بالجنود قال إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منّى ومن لم يطعمه فانه منّى إلّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلّا قليلاً منهم» البقرة: ٢٤٩)

في تاريخ الطبرى: «فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منّى ومن لم يطعمه فانّه منّى وهونهر فلسطين فشربوا منه هيبة من جالوت فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون آلفاً فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب

منه إلّا غرفة روى».

وفي مروج الذهب: «فابتلاهم الله عزّوجلّ بنهر بين الاردن وفلسطين وسلّط الله عليهم العطش، وقدقص الله ذلك في كتابه، وامروا كيف يشربون من النهر، فولغه أهل الريبة ولوغ الكلاب، فقتلهم طالوت عن آخرهم».

وفي الكامل: «وهو نهر فلسطين وقيل: الاردن، فشربوا منه إلّا قليلاً وهم أربعة آلاف».

إنتصار طالوت:

لـمّا اجتاز طالوت النهر مع الذين آمنوا معه على قلتهم، وصبروا على العطش والتعب الشديد، وجدوا أنفسهم قلّة ضئيلة أمام جموع أعدائهم الكثيرة، قال فريق منهم لطالوت ـ وقدهالتهم كثرة العدوّ ـ: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وأما الفريق الآخر وهم المؤمنون حقاً الذين كانوا ثلا ثمأة وثلا ثة عشر نفراً بعدد أصحاب البدر وأصحاب ولى الله الأعظم حجة بن الحسن العسكرى عليهما السلام فلم ترهبهم كثرة العدوّ لأنّهم أيقنوا أنّهم سيلاقون ربهم بعد الموت فقالوا: كم حدث أنّ جماعة قليلة العدد غلبت جماعة كثيرة العدد باذن الله تعالى، فلنصبر على لقاء العدوّ فان الله مع الصابرين بالنصرو والتأييد.

ولـمّا خرج المؤمنون مع طالوت لقتال جالوت وجنوده إتجهوا إلى الله تعالى ضارعين أن يملأ الصبر قلوبهم ويثبتهم في ميدان القتال، وأن ينصرهم على أعدآئهم فاستجاب دعآئهم ونصرهم، وقد كان من حاضرى الحرب داود بن إيشى، وكان صغيراً يرعى الغنم لا فضل له للحرب ولكن أباه أرسله إلى إخوته الثلا ثة الذين مع طالوت ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم ـ فرأى جالوت وهو يطلب المبارزة والناس قدتحامته لما ملأ أنفسهم من هيبته، وتيقن كل مبارز له أنّه هالك فسئل داود عما يصير لقاتل هذا الفلسطينى، فأجيب بأن الملك يغنيه غنى جزيلاً ويعطيه إبنته ويجعل بيت أبيه حرافي إسرائيل.

كان داود في ذهابه إلى إخوته المحاربين لايعلم أنّه سيحارب، ولم يكن قد

جرب نفسه في الحرب، ولكنّه ذهب إلى طالوت وطالب الإذن بمبارزة جالوت فضنّ به طالوت وحذّره فقال داود: إنّي قتلت أسداً أخذ شاة من غنم أبي وكان معه دبّ فقتلته، وألبسه طالوت لامة حرب فلم يعرف داود أن يمشي فيها فخلعها وتقدّم بعصاه وخمسة أحجار ماس في كنفه ـ وعآء يحمل فيه الراعى خبزه ونحوه ـ انتخبها من الوادى ومعه مقلاعه، وبعد كلام مع جالوت رماه داود بحجر فثبت في جبهته، وأخذ منه السيف ففصل به رأسه عن بدنه وهزم الفلسطينيون و وعد طالوت داود أن يزوجه إبنته ميكال وجعله رئيس الجند.

وفي تاريخ الطبرى: «فلمّا جاوزه هو والذين آمنوا معه، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنّهم ملاقوا الله الذين يستيقنون: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصّابرين فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمأة و بضعة وثمانون وخلص في ثلاثمأة وتسعة عشر عدة أهل بدر».

وفي مروج الذهب: «ثمّ فصل من خيارهم ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً فيهم إخوة داود عليه السّلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعاً، وكانت الحروب بينهما سجالاً وندب طالوت الناس، وجعل لمن يخرج إلى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته، فبرز داود فقتله بحجر كان في مِخلاته رماه بمقلاع فخرّ جالوت ميتاً، وقد أخبر الله عزّوجلّ بذلك في كتابه بقوله: «وقتل داود جالوت» وقد ذكر أنّ الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة أحجار، فاجتمعت وصارت حجراً واحداً ـ وهي الّتي فتل بها جالوت، وانّ القوم الذين ولغوا في المآء وخالفوا ما امروا به كان القاتل لهم طالوت، وقد أتينا على خبر الدرع الّتي كان أخبرهم نبيّهم أنّه لا يقتل جالوت إلّا من صلحت عليه تلك الدرع إذا لبسها، وأنّها صلحت على داود...».

وفي الكامل: «ولم يبق معه غير ثلاثمأة وبضعة عشر عدد أهل بدر، فلمّا رجع مَن رجع قالوا: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» وكان فيهم إيشى أبوداود ومعه من أولاده ثلاثة عشر إبناً، وكان داود أصغر بنيه وقد خلفه

يرعى لهم ويحمل لهم الطعام، وكان قدقال لأبيه ذات يوم: يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيئاً إلّا صرعته، ثم قال له: لقد دخلت بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذتُ باذنيه فلم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال: إنّي لأمشي بين الجبال فأسبّح فلايبقى جبل إلّا سبّح معى، قال له: أبشر فانّ هذا خير أعطاكه الله.

فأرسل الله إلى النبي الذي مع طالوت قرناً فيه دهن وتنّور من حديد، فبعث به إلى طالوت وقال له: إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على راسه فيغلي حتّى يسيل من القرن، ولا يجاوز رأسه إلى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملأه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه، فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمته وقلن: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت، فأخذهنّ فجعلهنّ في مخلاته، وكان طالوت قدقال: من قتل جالوت زوّجته إبنتي وأجريت خاتمه في مملكتي.

فلمّا جآء داود وضعوا القرن على رأسه، فغلى حتّى ادّهن منه ولبس التنّور فملأه وكان داود مسقاماً أزرق مصفاراً، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل (صموئيل) وطالوت وبنوإسرائيل بذلك وتقدّموا إلى جالوت وتصافّوا للقتال، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت، فوقع الحجر بين عينيه، فنقب رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كلّ مَن أصابه ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح إبنته داود وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس إلى داود وأحبّوه.

فحسده طالوت وأراد قتله غيلة، فعلم ذلك داود ففارقه وجعل في مضجعه زقّ خمر وسجّاه ودخل طالوت إلى منام داود وقدهرب داود، فضرب الزقّ ضربة خرقه، فوقعت قطرة من الخمر في فيه، فقال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر! فلمّا أصبح طالوت علم أنّه لم يصنع شيئاً، فخاف داود أن يغتاله فشدّد حجّابه وحرّاسه.

ثمّ إنّ داود أتاه من المقابلة في بيته وهو نآئم، فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه، فلمّا استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال: يرحم الله داود! هو خير منّي، ظفرت

به وأردت قتله وظفر بي فكفّ عنّي، وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به.

وركب طالوت يوماً فرأى داود فركض في أثره، فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل، فعمّى الله اثره على طالوت، ثمّ إنّ طالوت قتل العلمآء حتّى لم يبق أحد الّا إمرأة كانت تعرف إسم الله الأعظم فسلمها إلى رجل يقتلها، فرحمها وتركها وأخفى أمرها.

ثمّ إنّ طالوت ندم و أراد التوبة وأقبل على البكآءِ حتّى رحمه الناس، فكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويقول: أنشدالله عبداً علم لي توبة إلّا أخبرني بها، فلمّا أكثر ناداه منادٍ من القبور: يا طالوت أمّا رضيت قتلتنا أحيآء حتّى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكآءً وحزنا فرحمه الرّجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له: إن دللتك على عالم لعلّك تقتله! قال: لا فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال: سَلْها هل لي من توبة؟ فحضر عندها وسئلها هل له من توبة؟ فقالت: ما أعلم له من توبة، ولكن هل تعلمون قبر نبيّ؟ قالوا: نعم، قبر يوشع بن نون، فانطلقت وهم معها فدعت، فخرج يوشع، فلمّا رآهم قال: مالكم؟ قالوا: جئنا نسئلك هل لطالوت من توبة؟ قال: ما أعلم له توبة إلّا أن يتخلّى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلوا فى سبيل الله حتّى تقتل أولاده ثمّ يقاتل هو حتّى يقتل، فعسى أن يكون له توبة، ثم سقط ميتاً، ورجع طالوت أحزن ممّا كان يخاف أن لايتابعه ولده، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه، فسئله بنوه عن حاله، فأخبرهم فتجهّزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتّى قتلوا، ثم قاتل هو بعدهم حتّى قُتِلَ».

وفيه: «وكانت مدّة ملك طالوت إلى أن قُتِلَ أربعين سنة».

قتل داود عليه السلام جالوت وموت طالوت وتولية داود ملكاً:

قال الله عزّوجلّ: «ولـمّا برزوا لـجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت...» البقرة: ٢٥٠ - ٢٥١).

قد غلبت هؤلآء الفئة القليلة ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً بالصبر والثبات وطاعة

قآئدها، هؤلآء الفئة الكثيرة التي يعوزها الصبر والثبات والإتحاد والطاعة لقائدها، وهذا مشاهد في كثير من المعارك التي يحفل بها تأريخ الحروب الحديثة والقديمة، فلم تكن الكثرة هي العنصر الأهم في انتصار جيش على آخر، وهذه سنة الله تعالى فى خلقه يعرضها القرآن الكريم لكل شعب مضطهد يريد أن يسترد كرامته وحريته.

إنّ القرآن الكريم صرّح أنّ داود عليه السلام قتل جالوت، وإن لم يفصّل كيفية قتله، وقدجآء تفصيله في العهد القديم وفى التواريخ والسير على اختلاف كثير... وصرّح أنّ الله تعالى أعطى داود عليه السلام ملك بني إسرائيل وعلّمه ما شآء من علم و حكمة وأنّ الله عزوجل ينصر عباده الصالحين، ولولا أنّ الله تعالى يسلّط المصلحين على المفسدين لمحو فسادهم، ولولا أن يسلّط الأشرار بعضهم على بعض لما عمرت الأرض بل لعمّ الفساد، ولكن الله تعالى دآئم الإحسان والفضل على الناس جميعاً: «وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشآء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذوفضل على العالمين» البقرة: ۲٥۱).

لمّا قتل داود عليه السلام جالوت حسنت حاله عند طالوت، وصار مقدماً بين رجال الحرب فى بنى إسرائيل، وعظمت منزلته وزوّجه ابنته وانعقدت أواصر المحبّة الصادقة بين داود وبين يوناثان بن طالوت، ولكن الحسد دبّ إلى قلب طالوت لما أحسّ من تعلّق شعب بنى إسرائيل كله به وعظمه في أعينهم، فعمل على إهلاكه خشية أن تمتد عينه إلى الملك، وكان يوناثان بن طالوت يعمل على تحسين مركز داود عند أبيه، ويطريه ويشيد باخلاصه فى خدمة الملك ولمّا اعتزم طالوت الفتك بداود أنذرته زوجته ميكال بنت طالوت، فهرب وأوهمتهم أنّه على سريره ولم يكن فوق السرير سوى متاع مغطى وكان داود قد أعطى طالوت صداقها مأة غلفة من الفلسطينيين.

وكان طالوت حين ولىّ حرب الفلسطينيين ـ بعد أن تغيّرت نيّته فيه ـ يريد بذلك أن يلى الأعدآء قتله ويكفوه أمر داود، ولكن داود كان مظفراً في حروبه، فلمّا

لم يهلك أحبّ طالوت أن يهلك داود بجنده وأعوانه، ففاتهم وكان داود عليه السلام مع علمه بخبث نيّة طالوت عليه لايقصر في النكاية بأعداءِ الملك، ولمّا أيقن داود أنّ نيّة الملك قد صحت على قتله هرب منه، حتى لقدهمّ طالوت أن يطعن إبنه يوناثان بالرمح لأنّه كان يحاجّه في داود فراغ منه و نجا، فتمّت عزيمة داود على الهرب منه وأن يغيب وجهه عنه.

إنتهى داود في هربه إلى (أخيش) ملك (جت) وهم أعداء طالوت الألدآء ولداود أسوأ النكايات بالقوم فى الحرب، فلمّا ظفروا به جاؤا به إلى الملك وحرضوه على قتله، فتظاهر داود بالجنون، وقد أوقع الله في قلب الملك طرد هذا المجنون من حضرته، فأمر غلمانه باطلاقه وإبعاده عنه، ففعلوا وقد لامهم الملك على إدخال مجنون إلى بيته، فذهب داود إلى مغارة «عدلام» وجآء إليه جميع إخوته وجميع بيت أبيه، واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل مدين، فانتقل إلى مصفاة موآب و أرسل أباه وامّه إلى ملك موآب ليكونا فى كفالته إلى أن يعلم مصير أمره، ثم انتقل بمن معه إلى أرض يهوذا.

سمع طالوت بداود ومن اجتمع له من الرجال، فلام رجاله على عدم اخباره بأمردا ودمع إبنه يوناثان أنهما تعاهدا على الصداقة والوفآء فأغراه احد رجاله بأخى مالك بن خيطوب الكاهن وأخبره أنّه أعطى داود طعاماً وسلحه بسيف جالوت، وأنّ الكاهن دعاله بالنجاح، فأتى طالوت بالكاهن ولامه فى أمر داود فأثنى الكاهن على داود، وقال: إنّه مخلص في خدمة الملك وقد شاع واشتهر، وأنّ الملك لاينبغى أن يكافئ داود عن الإحسان شراً، فأمر الملك بقتله وقتل الكهنة، فقتل منهم خمسة وثمانين، ولم ينسج منهم سوى طفل يقال له: أبياثار ابن خيطوب، وهرب إلى داود وأخبره بكل مافعل شاول، فرحب داود بأبيا ثار وأقامه عنده لأنّ أهل بيته قتلوا بسببه.

أقام داود في البرية وطالوت يطلب الفرصة لإهلاكه، وعلم داود بكل مايدبر عليه وقد جمع طالوت ثلاثة آلاف للتفتيش عليه والايقاع به، واختبأ و معه بعض رجاله في

كهف، فجآء طالوت ونام فى ذلك الكهف وداود ورجاله فى داخله! ولاحت الفرصة لداود في قتل طالوت، وأغراه رجاله بذلك فوبّخهم ولم يفعل، واقتصر على قطع طرف جبّة طالوت، ولما استيقظ طالوت وخرج من الكهف تبعه داود وأخبره بأنّه قد كانت له الفرصة فى قتله فلم يمد إليه يداً، وأنّ آية ذلك أنّه قطع طرف جبته وعف عن الحاق الأذى به، فندم طالوت وقال: أنت أبرّ منّي.

لم يلبث طالوت أن عاوده الخوف على ملكه من داود فألحّ فى طلب إهلاكه وخرج مع رؤسآء جنده في جيش لإهلاك داود فصبر داود حتّى نزلوا منزلاً ناموا فيه، وقد ركز الملك رمحه عند رأسه ونام، فجآء داود وتخطى الجند ورؤسآء هم، وأخذ الرمح وكوز مآء كان عند رأس الملك، ووقف على ربوة ونادى رؤسآء الجند موبخاً لهم على تقصيرهم في حراسة الملك فاستيقظوا ودعا داود أحداً منهم يجيئ، إليه ليأخذ رمح الملك وكوز المآء وأعلم الملك بأنّ الفرصة قد سنحت له فى قتله ولكنّه لم يفعل فأظهر الملك الندم وعاد الملك إلى بيته وأقام داود فى حصن أتخذه لنفسه.

لمّا يئس داود من صلاح الحال بينه وبين الملك ذهب الى الفلسطينيين فطلب من ملكهم أن ينزله فى احدى القرى يقيم فيها هو ورجاله، ولعلّ ملك الفلسطينيين قد رأى الفرصة سانحة لعمل هدنة داود ليكتفى شرّه ورأى ذلك خيراً من بقآئه على العدآء ودوام النكاية بالملك وجنده فأجاب طلب داود، لم يطل المقام بداود حتّى قام طالوت لمحاربة الفلسطينيين، وخرج داود برجاله معهم، ولكن قادة الجند تخوفوا جانبه وأغروا الملك بردّه، فردّه بعد مسير ثلاثة أيام، وكان الملك به ضنيناً فلمّا عاد إلى المكان الذي فصل منه وجد الفلسطينيين خالفوا إلى نسآء داود والرجال الذين معه وأولادهم، فسبوهم ونهبوا كل شئ واحرقوا القرية التى كان داود نازلاً بها، وتدعى «صقلغ» فجد ورآء المغيرين، وخلص السبى وأفحش فى قتل اولئك القوم وغنم منهم غنآئم عظيمة.

أما طالوت فلقيه الفلسطينيون فانهزم جيشه، وقتل هو وثلاثة من أبنآئه وهزم

رجاله، وجلا العبرانيون عن المدن القريبة من الموقعة وسكنها الفلسطينيون ... وفى أثنآء هذه الخطوب مات صموئيل النبى عليه السلام وقام فى بني إسرائيل نبيّ آخر إسمه جاد وكان صموئيل عليه السلام قد تغيّر على طالوت وابتعد عنه ولم يشأ أن يذهب إليه مع إلحاح الملك في الطلب، وقد أخبر داود أنّ الملك صآئر إليه بعد موت طالوت.

وما كان داود يعلم بماتمّ على طالوت وجنده من القتل والهزيمة والتشريد، حتّى جآء إليه غلام عما ليقى، وأخبر بما مضى على طالوت وجنده وأنّ طالوت كان فيه بقيّة من رمق بعد سقوطه فى الحرب، وعلم أنّه مأخوذ لامحالة، فطلب إلى الغلام العماليقى أن يقتله ففعل، وأنّه أخذ إكليله وسواره وجآء بهما إلى داود، فغضب عليه داود وقتله، وأقام مأتماً على طالوت و يوناثان صديقه ورثاهما رثآءً عظيماً، والظاهر أنّ طالوت كان حسن السياسة، وأنّ مدّته كانت مدة رفاغة وهناءة لنبي اسرآئيل كما تدل عليه مرثية داود.

وصعد بعد ذلك داود إلى «حبرون» وهي مدينة الخليل اليوم، فجآء رجال يهوذا وأقاموا داود ملكاً على بيت يهوذا وأما بقيّة بنى إسرائيل فدانوا بالطاعة إلى (ايشبوشت) (ايشبوشث خ) بن طالوت، وقام بأمره رجال أبيه ورؤسآء جنده وقد حصلت حروب بين رجال داود ورجال ايشبوشت بن طالوت إلى أن هلك ابن طالوت بعد سنتين، وحينئذ أصبح داود ملكاً في حبرون على أسباط إسرائيل كلها إذ جآء إليه بقية رؤسآء إسرائيل وملكوه عليهم، وكان داود يومئذ ابن ثلاثين سنة، ملك بحبرون على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، ثم انتقل إلى صهيون وهو حصن سمّاه مدينة داود، وكان المقيمون في جبل الموريا من اليبوسيين، فأقام داود بجانبهم في صهيون إلى أن صارت جميعها لبنى إسرائيل.

وقد ملك داود باورشليم (صهيون) ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا وكانت مدّة ملكه أربعين سنة، وقام داود في أيام ملكه بحروب كثيرة كان موفقاً فيها منصوراً على أعدآئه واتسع ملكه حتّى صار من أيلة -خليج العقبة- وهي المدينة

التي على الخليج إلى الفرات، فدانت له تلك البلاد كلها بعد حروب كان الظفر حليفه فيها كلّها، فافتتح بلاد الفلسطينيين وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حرب شديدة، وحارب الأقوام الذين على الفرات، ونصر عليهم قبل أن يملك دمشق وما معها.

وقد أحسن داود إلى غلام بقي من بيت طالوت ورد عليه أملاك اسرته، ملك داود شرقي الاردن بعد أن حاربه بنوعمون فقوّاه الله تعالى في الملك وجعله منصوراً على أعدائه، فقد انتصر على جميع مبغضيه ومناوئيه ـ قبل الملك وبعده ـ ومكث دهراً لايقوم له معارض إلّا غلبه، ولا يعتدى على ملكه معتد من خارج مملكته في أواخر ملكه ثم جعل داود إبنه سليمان وليّ عهده قبل أن يموت، ولمّا وُلِيَ سليمان أتم عمل أبيه فواصل فتح البلاد ونظم المملكة تنظيماً حديثاً وشيّد الهيكل او اوتى الحكمة.

أقول: إنّ ماذكرناه هنا هو خلاصة ماجآء في كتب قصص الأنبياء والعهد القديم والسير والتواريخ على تفاصيلها وإختلافها...

في الخصال: ـ في باب الأربعة ـ باسناده عن موسى بن بكر عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله تبارك وتعالى ـ واختار من الأنبيآء أربعة للسيف: إبراهيم وداود وموسى وأنا...» الحديث.

وفيه: باسناده عن هشام ابن سالم عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث الأنبيآء ملوكاً في الارض إلاّ أربعة بعد نوح: ذوالقرنين وإسمه عيّاش، وداود وسليمان ويوسف عليهم السّلام فأمّا عيّاش فملك مابين المشرق والمغرب، وأما داود فملك مابين الشامات إلى بلاد اصطخر وكذلك كان ملك سليمان، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها ولم يجاوزها إلى غيرها».

ثمّ قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه: «جآء هذا الخبر هكذا، والصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنّه لم يكن نبيّاً، و إنّما كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله و نصح لله فنصحه الله. قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: و فيكم مثله، وذوالقرنين ملك مبعوث وليس برسول ولانبيّ كما كان طالوت ملكاً قال الله عزوجلّ: «وقال لهم

نبيّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً» وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبيآء من ليس بنبيٍّ كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك قال الله عزوجل ثناؤه: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ».

وأمّا الآيات القرآنية فتحدّثنا أنّ الله تعالى آتى داود عليه السّلام ملكاً وقد مكّن له في هذا الملك إلى جانب النبوّة، فجمع له السلطة الدينية والدنيوية معاً، فهو يقوم بين السلطتين اللتين في يديه: سلطة الدين الذي يمثل سلطان الله الذي وضعه في يده بمنصب النبوّة، وسلطة الدنيا التي تتمثل في هذا الملك الذي يقوم عليه، ومن هنا كان على داود عليه السّلام أن يمسك ميزان العدل في يديه وأن يقيمه بالقسط، فلا يميل ولاينحرف... وهذا ما يشير إليه قوله عزوجلّ: «يا داود إنّا جعلناك خليفته في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى...» ص: ٢٦).

ومن غير مرآء إنّ إقامة هذا الميزان على حال سويٍ متوازن دآئماً أمر لا تكاد تحتمله طاقة البشر عادة، إذ قد يكون في طاقة الإنسان أن يعمل للملك وحده، فلا يعطى للدين ولا للآخرة شيئاً، وقد يكون في طاقته أن يعمل للدّين وحده فلا يعطى الدنيا من نفسه شيئاً، هذا وذاك أمران ممكنان عادة، وممكن كذلك أن يجمع الإنسان بين السلطان في الدنيا والعمل للآخرة، بأن يعمل الآخرة، وأن يمسك بطرف من السلطان الدنيوى أو يعمل للدنيا و يمسك بطرف من الآخرة، وأما أن يجمع بين الدين والدنيا بأن يجعل الدنيا خادمة للدين لا الدين خادماً للدنيا فهذا الجمع لا يمكن إلاّ بتوفيق خاص وعناية إلهية.

إنّه سلطان يملك دنيا عريضة، ولهذا الدنيا حطامها وإغرآؤها، متاعها وزينتها، وزخارفها وشهواتها... وإنّه نبيّ وللنبوّة خطرها وجلالها وسمّوها...

ولا ريب أنّ هذا فضل عظيم ولكنّه إبتلاء عظيم ايضاً، ولهذا كان هذا الإلفات السماوى لداود أن يأخذ حذره إذ قال له الحق عزوجل: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله...».

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّه يتحصّل من هذه الآية الكريمة وما قبلها، برهان إستثنائى على أنّ داود عليه السّلام لم يتبع الهوى فى حكمه وخلافته، ولم يرتكب

خطيئة وذلك أنّ كلّ من يتبع الهوى فله عذاب شديد بحكم ذيل هذه الآية الكريمة، ولكن داود عليه السّلام ليس له عذاب، بل له عند الله زلفى وحسن مآب بحكم الآية الّتي قبلها، فينتج بالضّرورة أنّ داود عليه السّلام لم يتبع الهوى في حكمه وخلافته أصلاً، وقد كانت خلافته في خدمة نبوتّه وتابعة لرسالته.

وفي الكامل: «وفي ملكه مُسخ أهل أيلة قردة، وسبب ذلك أنّهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيراً، فاذا كان غير يوم السبت لايجئ إليهم منها شئ، فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها المآء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة فتحوا المآء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها، فيأخذونها يوم الأحد فنها هم بعض أهلها فلم ينتهوا، فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا».

وفي مروج الذهب: «ورفع الله ذكر داود وأخمل ذكر طالوت، وأبي طالوت أن يفي لداود بما تقدّم من شرطه، فلمّا رآى ميل النّاس إليه زوّجة ابنته وسلم إليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس، ثمّ حسده بعد ذلك وأراد إغتياله، فمنعه الله عزوجلّ من ذلك، فأبىٰ داود أن ينافسه من ملكه، ونما أمر داود، فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمداً وانقادت بنوإسرائيل الى داود عليه السّلام وكانت مدة ملك طالوت عشرين سنة وذكر أنّ الموضع الذي قتل فيه جالوت كان ببيسان من أرض الغور من بلاد الاردن، وألان الله عزوجل لداواد الحديد فعمل منه الدروع، وسخّرله الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل مواب من أرض البلقآء».

وفي رواية: عن الإمام الثامن على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثنآء قال في قوله تعالى: «فيه سكينة من ربكم» البقرة: ٢٤٨): «السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكانّ التابوت إذا وضع بين يدي المسلمين والكفّار فان تقدّم التابوت رجل لايرجع حتى يقتله أو يغلب، ومن رجع عن التّابوت قتله الإمام.

فأوحى الله إلى نبيّهم: ان جالوت يقتله من يستوى عليه موسى عليه السّلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب إسمه داود بن آشي راعياً، وكان له عشرة بنين أصغرهم داود فلمّا بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آشي أن

احضرو أحضر ولديك فلما حضر ودعا واحداً من ولده فالبسه الدرع، درع موسى عليه السّلام فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه، فقال آشي: هل خلفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً فبعث الله إليه فجآء به، فصارعاه أقبل ومعه مقلاع، فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت: يا داود خذنا فأخذها في مخلاته وكان شديد البطش قوياً.

فلمّا جآء إلى طالوت ألبسه درع موسى عليه السّلام فاستوى عليه، ففصل طالوت بالجنود وقال لهم نبيّهم: يا بنى إسرائيل إنّ الله مبتليكم بنهر -في هذه المفازة- في شرب منه فليس من الله ومن لم يشرب فهو من الله إلاّ من اغترف غرفة بيده» فلمّا وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كلّ واحد منهم غرفة، فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم، فالذين شربوا كانوا ستين ألفاً، والقليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا جاوزوا النهر ونظروا إلى الجنود: «قال الذين شربوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقال الذين لم يشربوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين».

فجآء داود فوقف بحذآء جالوت، وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه، فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمرفي الهوآء ووقع عليهم، فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، ورمى جالوت بحجر فصكت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغة ووقع إلى الأرض ميتاً وهو قوله: «فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت».

﴿نبوّة داود عليه السّلام وكتابه الزبور﴾

قال الله تعالى: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم واسعميل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيّوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً» النسآء: ١٦٣).

إنّ الله عزّوجل عدّ داود عليه السّلام من جملة من أوحى إليه من الأنبيآء والمرسلين المبشّرين والمنذرين لتقوم بهم الحجّة على النّاس، وكان معصوماً كسآئر المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين عن الصغآئر والكبآئر وعن الخطأ والزلل.

في اصول الكافي- باب العجب- باسناده عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم- في حديث- وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم «قال الله عزّوجل لداود عليه السّلام: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصّدّيقين قال: كيف أُبشّر المذنبين وانذر الصّدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وأنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم فانّه ليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدّين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السّلام: «وإن شئت ثلّثت بداود عليه السّلام صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسآئه: أيّكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها».

وفي الشرح: قال الفيروزآبادى: «مزامير داود عليه السّلام ما كان يتغنّى به من

الزبور» وقال ابن أبـي الحديد: «إن داود اعطى مـن طيب النغـم ولذّة ترجيع الـقراءة ماكانت الطيـور لأجله تقع عـليه وهو في مـحرابه، والوحش سمعه، فتدخل بين الناس ولا تنفّرمنـهـم لـما قد استغرقهـا من طيب صوته، وسفآئـف الخوص جمع سفيـفة وهي النسيجة منه والخوص، ورق النحل».

لعلّ هذا كان قبل أن ألان الله تعالى له الحديد.

وقـد سمّى الـزبورعنـد أهـل الكتـاب بالمـزامير وهي قصآئـد من الشعـر الـديني الوجداني الغنآئـى، مـنها الترانيـم والأنـاشيد التي فـيـهـا التمجيد لله عـن عـجآئب مخلوقاته، ومنها الصّلوات، ومنهـا تعليم وصايا الرب وذكر ثوابه وعقابه، وأكثر المزامير ترجع لداود عليه السّلام وبعض المزامير وضعت بعده، وبعض هذه المزامير من تصنيف (همان) و(اتهان) و(سليمان) و»اساف) و(جدوتهن) و (موسى) و(ابناء قورح).

وفي فروع الـكافـي: باسنـاده عن أبـي بصيرعن أبن عـبدالله عليه السّلام قال: «نزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان».

وفي العلل: باسنـاده عن يزيدبن سلام أنّه سـئل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لِمَ سمّى الفرقان فرقـاناً؟ فقال: لأنّه متفـرّق الآيات والسور، أُنزلت في غيـر الألواح وغير الصـحـف والـتوراة والإنجيـل والـزبـور أُنـزلت كلّهـا جـمـلـة في الألواح والورق...» الحديث.

وفي مروج الذهب: «وأنـزل الله عزّوجل عليـه الزبور بالعبرانية خمسين ومأة سورة وجعله ثلا ثـة أثلاث: فثلث مـايلقون من بُـخت نَصرٍّ ومايكـون من أمره في المستقبل، وثـلث مايلقون مـن أهل أثور، وثلث موعظة وتـرغيب وتمجيد وتـرهيب، وليس فيه أمر ونهى ولا تحليل ولا تحريم، واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الكفار (من الأكرادخ) بأطراف الأرض لهيبة داود».

وفي قصص القرآن لـلنجار: «إن الله تعـالـى أعطاه الزبور كـمـا في قوله تعـالى: «وآتينا داود زبـوراً» وهـو عبارة عن قصآئد وانـاشيد تتضمّـن تسبيح الله وحده والـثنآء عليه والتضرّع له، وبـعض أخبار مستقبلة كما قال تعالى: «ولقـد كتبنا في الزبورمن

بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادى الصالحون» أي أنّه تضمّن الأخبار بشأن النبيّ الآتي وهو محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما في الزبور الخامس والأربعين.

وكان داود عليه السّلام حسن الصّوت حسن الإنشاد حتّى أنّه إلى اليوم مضرب للمثل بحسن الصّوت، فيقال للحسن الصّوت: إنّه أعطى مزماراً من مزامير داود عليه السّلام والزبور يسمّى عند أهل الكتاب «المزامير» وعددها مأة وخمسون مزموراً وليست كلها لداود بل بعض المزامير منسوبة لقورح أمام المغنين، وبعضها منسوب إلى داود، وبعضها منسوب للمغنين على السوسن، وبعضها غير منسوب والكثيرمنها منسوب إلى داود، وليس في الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواهٍ بل كله كما وصفناه وبعض المزامير ألف بعد داود بمئات السنين كالمزمور أوّله: «على أنهار بابل» فانّه ألف بعد سبى الاسرائيليين إلى بابل في حادثة «بختنصر».

وفي الكامل: «كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتّى يأخذ بأعناقها وإنّها لمصيخة تسمع صوته».

وقد وردت سيرة داود عليه السّلام بشئ من الإسهاب في بعض أسفار العهد القديم، وهناك سفر خاص منها بعرف بالمزامير، فيه استغفار وتمجيد وتقديس وابتهالات لله تعالى يعزى أكثر فصوله إلى داود عليه السّلام.

وفي الإحتجاج: عن الحسن بن محمد النوفلى عن الإمام الثامن على بن موسى الرضا عليه السّلام ـ فيما احتجّ به على أهل الملل قال لرأس الجالوت ـ: «قال داود عليه السّلام في زبوره وأنت تقرؤه: «اللّهمّ ابعث مقيم السّنّة بعد الفترة» فهل تعرف نبيّاً أقام السّنّة بعد الفترة غير محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم»!

وفي تفسير القمي: «وأنزل عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعآء وأخبار رسول الله وأميرالمؤمنين والأئمة من ذريتهما صلوات الله عليهم وأخبار الرجعة وذكر القائم عليه السّلام لقوله: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادى الصالحون».

وفي المجمع: في قوله تعالى: «ولقد كتبنا...» هي الأرض المعروفة يرثها امة

محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال أبوجعفر عليه السّلام: هم أصحاب المهدى عليه السّلام في آخرالزمان» ثم قال: ويدل على ذلك مارواه الخاص والعام عن النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «لولم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث الله رجلاً صالحاً من أهل بيتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً» ثم أخرج اخباراً كثيرة عن طرق العامة في هذا المعنى.

﴿ما أوحى إلى داود عليه السّلام وحكمته﴾

قال الله جل وعلا: «وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» ص: ٢٠).

واعلم أنّ الحكمة -في الأصل- هي: وضع كل شئ موضعه، وهي كمال العلم واتقان العمل والإصابة في الامور كلّها... فالحكيم من كان في اعتقاده وقوله وفعله كاملاً تمام الكمال، إذ يعتقد بما لا ريب فيه، ويقول قولاً لاخلل فيه، ويفعل مالا اعتراض لأحد عليه، وهذه الحكمة حقاً من مواهب الله تعالى الّتي لا تحصل بمجرد السعى، بل حصولها بالمشيئة الربانية لاغير، ولاينال بها إلّا من تجرّد عن الدنيا وحطامها، وزكّى نفسه وجاهدها، وآمن حقاً واتقى حق تقاته.

وقدورد ما أوحى إلى داود عليه السّلام كثيراً نشير إلى مايسعه المقام، ونحن على جناح الاختصار.

١ - في البحار بالاسناد عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ داود عليه السّلام كان يدعو أن يلهمه الله القضآء بين الناس بما هو عنده تعالى الحق، فأوحى إليه: يا داود إنّ الناس لايحتملون ذلك، وإنّي سأفعل وارتفع إليه رجلان، فاستعداه أحدهما على الآخر فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ففعل، فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك، وقالت: رجل جآء يتظلّم من رجل فأمر الظالم أن يضرب عنقه! فقال: ربّ انقذني من هذه الورطة، قال عليه السّلام: فأوحى الله تعالى إليه:

يا داود سئلتني أن الهمك القضآء بين عبادى بما هو عندى الحق، وإنّ هذا

المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه، فأمرت فضربت (فضرب خ) عنقه قوداً بأبيه وهو مدفون في حآئط كذا وكذا تحت شجرة كذا، فأته فناده بإسمه فإنّه سيجيبك فسله، قال عليه السّلام: فخرج داود عليه السّلام وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله، فقال لبنى إسرائيل: قد فرّج الله فمشى ومشوا معه فانتهى إلى الشجرة فنادى: يافلان فقال: لبيّك يا نبيّ الله قال: من قتلك؟ قال: فلان، فقالت بنو إسرائيل: لسمعناه يقول: يا نبيّ الله، فنحن نقول كما قال، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّ العباد لايطيقون الحكم بما هوعندى الحكم، فسل المدّعى البيّنة، وأضف المدّعى عليه إلى إسمى»

قوله عليه السّلام: فاستعداه» أي إستعان به واستنصره، و«الورطة»: كل أمر تعسر النجاة منه، و«قوداً»: قصاصاً فقتل القاتل بدل القتيل، و«أضف المدّعىٰ عليه إلى إسمي» من أضاف الشيئ إلى الشيئ: أماله واسنده وضمّه، والمراد هنا أن يحلف المنكر باسمي.

٢ ـ وفيه بالإسناد عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان على عهد داود عليه السّلام سلسلة يتحاكم الناس إليها، وإن رجلاً أودع رجلاً جوهراً فجحده إيّاه فدعاه إلى سلسلة فذهب معه إليها، وقد أدخل الجوهر في قناة، فلمّا أراد أن يتناول السلسلة قال له: أمسك هذه القناة حتى آخذ السلسلة فأمسكها ودنا الرجل من السلسلة فتناولها وأخذها وصارت في يده فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السّلام أن: احكم بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى إسمى يحلفون به، ورفعت السلسلة».

٣ ـ في إرشاد المفيد رضوان الله تعالى عليه: «روى عبدالله بن عجلان عن أبى عبدالله عليه السّلام قال: إذا قام قآئم آل محمد عليه وعليهم السّلام حكم بين النّاس بحكم داود، لايحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه»

٤ ـ في أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن يونس بن ظبيان عن الصادق جعفربن محمد عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه

السّلام: مالى أراك وحداناً؟ قال: هجرت الناس وهجرونت فيك، قال: فمالى أراك ساكتاً؟ قال: خشيتك أسكتتنى، قال: فمالى أراك نصباً قال: حبّك أنصبنى قال: فمالى أراك فقيراً وقد أفدتك؟ قال: القيام بحقك أفقرني، قال: فمالي أراك متذّللاً؟ قال: عظيم جلالك الذي لايوصف ذلّلني، وحقّ ذلك لك يا سيّدي، قال الله جلّ جلاله: فابشر بالفضل منّي، فلك ماتحبّ يوم تلقاني خالط الناس وخالقهم بأخلاقهم، وزايلهم في أعمالهم تنل ماتريد منّي يوم القيامة» وقال الصادق عليه السّلام: «أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السّلام: يا داود بي فافرح وبذكرى فتلذّذ وبمناجاتى فتنعّم، فعن قليل أخلّى الدار من الفاسقين وأجعل لعنتى على الظالمين».

قوله عليه السّلام: «نصباً» مالى أراك مجداً في العبادة متعباً نفسك فيها، و«قد أفدتك»: وقد أعطيتك، و«زايلهم»: باينهم وفارقهم في سوء أخلاقهم وأعمالهم وفساد عقآئدهم...

٥- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن السكوني عن الصّادق عليه السّلام عن أبيه عن آبآئه عليهم السلام قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما لاتضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لاتضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لاتضرّ الطيرة من لايتطيّر منها كذلك لاينجو من الفتنة المتطيّرون وكما أنّ أقرب الناس منّي يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس منّي يوم القيامة المتكبّرون»

أقول: لايبعد أن يكون هذا الحديث وجهاً للجمع بين ماورد في الاخبار من قوله عليه السلام: «لا طيرة في الاسلام» وبين ما روى من وقوعها.

٦- وفيه بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: إنّ العبد من عبادى ليأتيني بالحسنة فابيحه جنّتي، قال: فقال داود عليه السلام: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدى المؤمن سروراً ولوبتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حق لمن

عرفك أن لايقطع رجآئه منك»

٧ـ في معانى الأخبار باسناده عن داود بن سليمان عن عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام قال: «أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: إنّ العبد من عبادى ليأتيني بالحسنة فادخله الجنّة قال: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يفرّج عن المؤمن كربته ولوبتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حق لمن عرفك أن لاينقطع رجآؤه منك»

٨ـ في قرب الأسناد باسناده عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وذكر كما سبق ـ وفيه قال: «كربة ينفّسها عن مؤمن بقدر تمرة أوشق تمرة»

٩ـ في أمالي المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن احمد بن القاسم الامويّ عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبآئه عن عليّ عليهم السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: اوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إنّ العبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة فأُحكّمه بها في الجنّة، قال داود عليه السلام: يا رب وما هذا العبد الذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة فتحكّمة بها في الجنّة؟ قال: عبد مؤمن سعى في حاجة أخيه المسلم أحبّ قضآء ها قضيت له أم لم تقض».

١٠ـ في البحار بالإسناد عن الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن بلّغ قومك أنّه ليس من عبد منهم آمره بطاعتي فيطيعني إلّا كان حقاً عليّ أن أعينه على طاعتي، فان سئلني أعطيته وإن دعاني أجبته وإن اعتصم بي عصمته، وإن استكفاني كفيته، وإن توكّل عليّ حفظته، وإن كاده جميع خلقي كدت دونه»

١١ـ وفيه بالإسناد عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: إنّ العباد تحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وأظهروا العمل للدنيا وأبطنوا الغشّ والدغل»

١٢- في اصول الكافي - باب التّفويض إلى الله - بإسناده عن مفضّل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادى دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السموات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ، وما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السموات والأرض من يديه، وأسختّ الأرض من تحته ولم أُبال بأيّ وادٍ هلك»

١٣- وفيه - باب التواضع - باسناده عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «فيما أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما أنّ أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون»

١٤- في إرشاد القلوب للديلمي رحمة الله تعالى عليه: «روى أنّ الله أوحى إلى داود عليه السلام: «مَن أحبّ حبيباً صدّق قوله، ومَن آنس بحبيب قبل قوله ورضى فعله، ومَن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومَن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه، يا داود ذكري للذاكرين، وجنّتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصّة للمحبّين»

١٥- وفيه: «وإنّ الله أوحى إلى داود: قل لفلان الجبّار: إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا، ولكن لتردّ عنّي دعوة المظلوم وتنصره، فانّي آليت على نفسي أن أنصره وأنتصر له ممّن ظلم بحضرته ولم ينصره»

١٦- وفيه: «وأوحى الله إلى داود عليه السلام: اشكرني حق شكري قال: كيف أشكرك حق شكرك ، وشكري إيّاك نعمة منك ؟ فقال: الآن شكرتني حق شكري وقال داود عليه السلام: يا ربّ وكيف كان آدم يشكرك حق شكرك وقدجعلته أب أنبيآئك وصفوتك وأسجدت له ملائكتك ؟ فقال: إنّه عرف أنّ ذلك من عندي فكان إعترافه بذلك حق شكري»

١٧- في الفقيه: في الصحيح عن ابراهيم بن أبي البلاد قال: كانت إمرأة على عهد داود عليه السّلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها (نفسه خ) فألقى الله عزّوجلّ في

نفسها، فقالت له: إنك لاتأتيني مرّة إلّا وعند أهلك من يأتيهم، قال: فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً فأتى به داود عليه السلام فقال: يا نبيّ الله أتى إليّ ما لم يؤت إلى أحد، قال: وما ذاك ؟ قال: وجدت هذا الرّجل عند أهلي، فأوحى الله عزّوجلّ إلى داود: قل له: كما تدين تدان»

١٨ـ في الدر المنثور: عن ابن عباس قال: «أوحى الله تبارك و تعالى إلى داود عليه السلام: إنّي سآئل إبنك عن سبع كلم، فان أخبرك فورثه العلم والنبوّة فقال له داود عليه السلام: إنّ الله أوحى إليّ أن أسئلك عن سبع كلم، فان أخبرتني ورثتك العلم والنبّوة، قال: سلني عمّا شئت: قال أخبرني ما أحلى من العسل؟ وما أبرد من الثلج؟ وما ألين شيئاً من الخز؟ وما لايرى أثره في المآء؟ وما لايُرى أثره في الصّفآء؟ وما لايُرى أثره في السمآء؟ ومَن يسمن في الخصب والجذب؟

قال سليمان: أمّا ما أحلى من العسل فروح الله للمتحابين في الله، وأمّا ما أبرد من الثلج فكلام الله إذا قرع أفئدة أوليآء الله، وأمّا ما ألين شيئاً من الخز فحكمة الله تعالى إذا أنشدها أوليآء الله بينهم، وأمّا ما لا يرى أثره في المآء فالفلك تمرّ فلا يرى أثرها، وأمّا ما لا يرى أثره في الصفآء فالنملة تمرّ على الحجر فلا يرى أثرها، وأمّا ما لا يُرى أثره في السمآء فالطير يطير ولا يرى أثره في السمآء، وأمّا مَن يسمن في الجدب والخصب فهو المؤمن إذا أعطاه الله شكر وإذا ابتلاه صبر فقلبه أجرد أزهر.

قال: انظر إلى ابنك فاسئله عن أربع عشرة كلمة، فان أخبرك [illegible] العلم والنبوّة، فسئله فقال: مالى من ذي علم فقال داود لسليمان عليهما السلام: أخبرني أين موضع العقل منك؟ قال: الدّماغ، قال: أين موضع الحياة منك؟ قال: العينان، قال: أين موضع الباطل منك؟ قال: الاذنان، قال: أين باب الخطايا منك؟ قال: اللسان، قال: أين الطريق منك؟ قال: المنخران قال: أين موضع الأدب والبيان مِنك؟ قال: الكلوتان، قال: أين باب الفظاظة والغلظة منك؟ قال: الكبد، قال: أين بيت الريح منك؟ قال: الرئة، قال: أين باب الفرح منك؟ قال: الطحال، قال: أين الكسب

منك ؟ قال: اليدان، قال: أين باب النصب منك ؟ قال: الرجلان، قال: أين باب الشهوة منك ؟ قال: الفرج، قال: أين باب الذرية منك ؟ قال: الصّلب، قال: أين باب العلم وانفسهم والحكمة منك ؟ قال: القلب، إذا صلح القلب صلح ذلك كله، وإذا فسد القلب فسد ذلك كله».

١٩ ـ في البحار ـ مرفوعاً ـ عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام قال: «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السّلام : اذكرني في أيّام سرّائك حتّى أستجيب لك في أيّام ضرّائك »

٢٠ ـ وفيه: بالاسناد عن الحلبى عن أبي عبدالله عليه السّلام : قال: «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السّلام : إنّ خلادة (جلادة خ) بنت أوس بشّرها بالجنّة، وأعلمها أنّها قرينتك في الجنّة، فانطلق إليها فقرع الباب عليها، فخرجت وقالت: هل نزل فيّ شيٌ ؟ قال: نعم، قالت: وماهو؟ قال: إنّ الله تعالى أوحى إليّ وأخبرني أنك قرينتى في الجنّة وأن أبشّرك بالجنّة، قالت: أو يكون إسم وافق إسمى ؟ قال: إنك لأنت هي قالت: يا نبيّ الله ما أكذّبك، ولا والله ما أعرف من نفسى ماوصفتنى به، قال داود عليه السّلام : أخبريني عن ضميرك وسريرتك ماهو؟ قالت: أمّا هذا فسأخبرك به، أُخبرك أنّه لم يصبنى وجع قطّ نزل بي كآئناً ماكان ومانزل ضرّبي وحاجة وجوع كآئنا ماكان إلّا صبرت عليه، ولم أسئل الله كشفه عنّي حتّى يحوّله الله عنّي إلى العافية والسعة، ولم أطلب بهابدلاً، وشكرت الله عليها وحمدته، فقال داود عليه السّلام : فبهذا بلغت ما بلغت، ثم قال أبوعبدالله عليه السّلام : وهذا دين الله الذي ارتضاه للصّالحين»

﴿كلمات داود «عليه السّلام» وحكمة آله﴾

وقد وردت كثيراً ما كلمات داود عليه السّلام : وحكمة آله، نشير إلى مايسعه مقام الإختصار:

١ - في قرب الأسناد عن ابن صدقة عن جعفربن محمّد عن أبيه عليها السّلام: «إنّ داود قال لسليمان: يا بنيّ إياك وكثرة الضحك، فانّ كثرة الضحك تترك العبد فقيراً (حقيراً خ) يوم القيامة، يا بنيّ عليك بطول الصّمت إلاّ من خير، فانّ الندامة على طول الصّمت مرّة واحد خير من الندامة على كثرة الكلام مرّات، يا بنيّ لو أنّ الكلام كان من فضّة كان ينبغى للصّمت أن يكون من ذهب»

٢ - في أمالي المفيد رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن جعفربن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: «في حكمة آل داود: يا ابن آدم كيف تتكلّم بالهدى وأنت لا تفيق عن الرّدى؟! يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً وأنت لعظمة الله ناسياً فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً ولموعده مراجياً، ويحك [illegible]، لا تذكر لَحَدَك وانفرادك فيه وحدك ؟!»

٣ - في اصول الكافي - باب الصمت وحفظ اللسان - باسناده عن منصوربن يونس عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه».

٤ - في البحار: «روى أنّه مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لايغفل عن أربع ساعات: فساعة فيها يناجي ربّه وساعة فيها يحاسب نفسه، وساعة

يفضي إلى إخوانه الذين يصدّقونه عن عيوب نفسه (على عيوب نفسه خ) وساعة يخلّي بين نفسه ولذّتها فيما يحلّ ويجمل (ويحمد خ) فانّ هذه الساعة عون لتلك الساعات»

٥ ـ في الدرالمنثور: «قال داود عليه السّلام : لسليمان: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع تحصد، واعلم أنّ خطيئة القوم كالمسئ عند رأس الميّت، واعلم أنّ المرأة الصالحة لأهلها كالملك المتوّج بانتاج المخوّص بالذهب، واعلم أنّ المرأة السوء لأهلها كالشيخ الضعيف على ظهره الحمل الثقيل، وما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى، وإن وعدت صاحبك فانجز ماوعدته، فانك إن لا تفعل تورث بينك وبينه عداوة، ونعوذ بالله من صاحب إذا ذكرت لم يعنك وإذا نسيت لم يذكرك».

﴿قصّة داود «عليه السّلام» وإمرأة أوريا﴾

قال الله تعالى: «وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب- فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب» ص: ٢١- ٢٤).

حقيق لنا أن نقف عند هذا الحدّ من هذه القصّة، فنأخذ فيها مايستفاد من الآيات القرآنية، وماورد صحيحاً عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين دون تعسّف في التأويل ولا إستجلاب للمقولات الغريبة الّتي تحمل عليها آيات الله تعالى حملاً، وما تحدّثنا الآيات الكريمة: أنّ داود عليه السّلام: نبيّاً من أنبيآء الله الكرام وكان له من الله تعالى ألطاف كثيرة وعنايات إلهيّة خاصّة، ومالنا أن نتجاوز عن هذا الحدّ، و إن جآئت في كتب تفاسير العامة وتواريخهم وسيرهم- كما هو دأبهم في كل ظرف- بمقولات من ورآء دلالات الآيات القرآنية، وأكثرها مأخوذ عن روايات إسرائيلية كاذبة، يرويها كعب الأحبار اليهودي وقرينة وهب بن منبّه ومن إليها من الجواسيس عن كتابهم الّذي حرّفوه والقوا فيه بأهوآئهم الفاسدة ومنازعهم الخبيثة وملؤوها من هفوات النفس البشرية...

وقد توسّع رواة العامّة ونقلتهم كأنس بن مالك وأبي هريرة والمغيرة وعمرو بن العاص وأضرابهم من الوضّاعين العملآء والخصمآء في تلك المقولات الكثيرة المتناقضة المتضاربة، وتصرّفوا فيها كيفما شآؤا، ومن ورآء ذلك اليهود العنود، يدسّون على المسلمين أحاديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يضعون لها سلسلة من الرواة الذين اشتهر عنهم الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتقع تلك

الأحاديث المكذوبة من قلوب المسلمين موقعاً لايجدون معه سبيلاً إلى دفعها، وإذاً حصيلة تلك الأحاديث المختلقة الموضوعة مجموعة من المتناقضات يدفع بعضها بعضاً، ويكذّب بعضها بعضاً، فلايدرى مَن لادراية في الحديث ماذا يأخذ منها وماذا يدع؟ وفي أكثر الأحوال ينتهى الأمر إلى الشّكّ فيها جملة، إذ كانت لاتتصل بالعقيدة أو الشّريعة...

وإن مثل تلك الأحاديث التى تنسبها العامة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإن لم تكن ذات اثر في العقيدة أو الشريعة ـ كسآئر الأحاديث في الاصول الإعتقادية والأحكام ـ ولكنها تسبّب إزعاجاً وخلخلة في نفسه المسلم إزآء الأحاديث النّبوّية الشّريفة الواردة عن طريق أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وتقيمه منها على مقام بين الشّكّ واليقين في كلّ مايعرض له من أحاديث تنسب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته، مضافاً إلى أنّ أعداء الإسلام وخصوم المسلمين يتخذون تلك الأباطيل أسباباً لاغوآء المسلمين وخاصّة شبّانهم... وتلك هي جنايات الأحاديث الموضوعة والأخبار المكذوبة والروايات المختلقة الملفّقة على السّنّة التي هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن المجيد.

ونحن لانريد في المقام أن نعرض تلك المقولات المتناقضة ونناقشها، ونعدّل أو نجرّح فيها، فانّها تحتاج إلى بحث طويل، ونحن على جناح الإختصار، فنشير إلى بعض ماورد عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وإلى بعض ماورد في المقام من كلمات بعض أعلام الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقة:

في عيون الأخبار ـ باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السّلام عند المأمون مع أهل الملل... ـ باسناده عن أبي الصلت الهروي قال: «لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصاري والمجوس والصابئين وسآئر أهل المقالات: فلم يقم أحد إلّا وقد ألزمه

حجّته كأنّه ألقم حجراً قام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له: يابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبيآء؟ قال: نعم، قال: فما تعمل- في قول الله عزّوجل في داود: «وظنّ داود أنّما فتنّاه» وقوله تعالى في نبيّه محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم «وتخفى في نفسك ماالله مبديه»؟

فقال الرّضا عليه السّلام: ويحك يا عليّ! إتّق الله ولا تنسب إلى أنبيآء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك، فانّ الله عزّوجل قد قال: «ولايعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم»... وأمّا داود عليه السّلام فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال عليّ بن محمدبن الجهم: يقولون: إنّ داود عليه السّلام كان في محرابه يصلّى فتصوّر له إبليس على صورة طير أحسن مايكون من الطيور فقطع داود صلاته، وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار اوريابن حنان، فاطلع داود في اثر الطير فاذاً بامرأة اوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هوٰيها، وكان قد أخرج اوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم اوريا أمام التابوت، فقدّم فظفر اوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانية أن قدّمه أمام التّابوت، فقدّم فقتل أوريا، فتزوّج داود بإمرأته.

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته، وقال: إنا لله وإنّا إليه راجعون لقد نسبتم نبيّاً من أنبيآء الله إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير، ثمّ بالفاحشة ثمّ بالقتل! فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟ فقال: ويحك أنّ داود إنّما ظنّ أنّ ماخلق الله عزّوجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّوجلّ إليه الملكين، فتسوّروا في المحراب فقالا: «خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سوآء الصراط إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب» فعجّل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: «لقد ظلمك بسئوال نعجتك إلى نعاجه» فلم يسئل المدّعى البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه، فيقول له: ماتقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ماذهبتم إليه.

ألا تسمع الله عزّوجل يقول: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى...» إلى آخر الآية؟!

فقال: يابن رسول الله فماقصّته مع اوريا؟ فقال الرضا عليه السّلام: إنّ المرأة في أيّام داود عليه السّلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لاتتزوّج بعده أبداً وأوّل من أباح الله له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السّلام فتزوّج بامرأة اوريا لماقتل وانقضت عدّتها منه، فذلك الذي شقّ على الناس من قبل اوريا.

وأمّا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وقول الله عزّوجلّ: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» فان الله عزّوجلّ عرف نبيه صلى الله عليه وآله وسلّم أسمآء أزواجه في دار الدّنيا وأسمآء أزواجه في دار الآخرة، وانهنّ امّهات المؤمنين وإحداهن من سمّى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى إسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: انه قال في إمرأة في بيت رجل انّها إحدى أزواجه من امّهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين، فقال الله عزّوجلّ: «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» يعني في نفسك، وانّ الله عزّوجل ماتولى تزويج أحد من خلقه إلّا تزويج حوّآء من آدم عليه السّلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجنا كها» الآية وفاطمة من عليّ عليهما السّلام قال: فبكى علي بن محمّد بن الجهم فقال: يا بن رسول الله أنا تأئب إلى الله عزّوجلّ من أن أنطق في أنبيآء الله عليهم السّلام بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته».

وفي البحار: بالإسناد عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: ماتقول فيما يقول الناس في داود وامرأة اوريا؟ فقال: ذلك شئ تقوله العامّة»

وفي الايضاح لفضل بن شاذان: «ورووا ـ أي العامّة ـ أنّ داود عليه السّلام قدّم اوريا بن حنان أمام التابوت ليقتل فتزوّج إمرأته»

وفي تفسير البرهان: عن صالح بن عقبة عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام ـ في حديث ـ قال: «يا علقمة! إنّ رضى الناس لايملك، وألسنتهم لاتضبط،

وكيف تسلمون ممّا لم تسلم أنبيآء الله ورسله وحجته عليهم السّلام ألم ينسبوا يوسف إلى أنّه همّ بالزنا؟ ألم ينسبوا أيّوب إلى أنّه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود عليه السّلام إلى أنّه تبع الطير حتّى نظر إلى إمرأة اوريا فهواها وأنه قدّم زوجها أمام التابوت حتّى قتل، ثمّ زوّج بها».

أقول: ومن العجائب جدّاً أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في سفك دم أخيه المسلم بغير حق، وبانتزاع زوجته منه، ثمّ يقال: إنّا فوّضنا إليه الخلافة وأن يحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى! مع أنّ معنى قوله عزّوجلّ: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض»: إنّا جعلنا تخلف من تقدمك من الأنبيآء في الدعآء إلى الله تعالى وفي سياسة المدن، أو تخلفنا ـ كما يقال: السلطان ظلّ الله في الأرض ـ فاللآئق بهذا المنصب الإلهي هو السعي لإسعاد الناس وإصلاح حالهم، وحفظ فروجهم ودمآئهم وأموالهم وإحقاق حقوقهم... لا السعي في تحصيل هوى النفس بأىّ وجه يمكن. فما ورد من أمر داود بتقديم اوريا بن حنان للقتل في سبيل الله تعالى ليتزوّج إمرأته فهذا باطل قطعاً وهزء وافترآء وكذب من الوضّاعين، فان داود عليه السّلام لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه، وقدقال الله تعالى فيه: «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» وبعيد من الحكمة أن يكون الحكيم فاسقاً قاتلاً من غير حق ولا برهان لا تباعه الهوى:

في تنوير المقباس في تفسير ابن عباس قال في قوله تعالى: «ولا تتبع الهوى»: كما أتبعت في بنشابع إمرأة اوريا وكانت بنت عمّ داود».

وفي العرآئس للثعلبي: «هي سابغ بنت شائع إمرأة اوريا بن حنان».

وفي التبيان: قال الشّيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه: «وأولى الوجوه ما قدّمناه: أنّه ترك الندب فيما يتعلق بأدب القضآء لأنّ باقى الوجوه ينبغي أن ينزه الأنبيآء عنها لأنّها تنفر في العادة عن قبول أقوالهم، فأما ما يقول بعض الجهّال من القصّاص: إنّ داود عشق إمراة اوريا، وانّه أمره بأن يخرج إلى الغزو، وأن يتقدّم أمام التابوت، وكان مَن يتقدّم التابوت من شرطه ألاّ يرجع إلى أن يغلب أو يقتل، فخبر

باطل موضوع، وهو مع ذلك خبر واحد لا أصل له، ولا يجوز أن تقبل أخبار الآحاد فيما يتضمنّ في الأنبيآء ما لا يجوز على أدون الناس فانّ الله نزّههم عن هذه المنزلة وأعلى قدرهم عنها. وقدقال الله تعالى: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس» وقال: «ولقد اخترنا هم على علم على العالمين» فكيف يختار تعالى مَن يتعشّق نسآء أصحابه و يعرضهم للقتل من غير استحقاق، ولا يجوز مثل هذا على الأنبيآء اِلاّ من لا يعرف مقدارهم ولا يعتقد منزلتهم الّتى خصّهم الله فيها، نعوذ بالله من سوء التوفيق.

وقد روى عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: «لا اوتي برجل يقول: إنّ داود ارتكب فاحشة إلّا ضربته حدّين: أحدهما للقذف والآخر لأجل النّبوّة».

وفي المجمع: «وقد روى عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال: لا اوتي برجل يزعم أنّ داود تزوّج إمرأة اوريا إلّا جلّدته حدّين: حدّاً للنبوّة وحدّاً للاسلام»

وفي البحار: بالاسناد عن الشحّام عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «لوأخذت أحداً يزعم أنّ داود عليه السّلام وضع يده عليها لحددته حدّين: حدّاً للنّبوّة وحدّاً لما رماه به»

وفي تفسير النيشابوري: «روى سعيد بن المسيّب والحرث بن الأعور: أنّ عليّ بن أبيطالب رضى الله عنه قال: مَن حدّثكم بحديث داود على ما يرويه القصّاص جلّدته مأةً وستّين وهو حدّ فرية على الأنبيآء».

قيل: إنّ المأة والستين حدّا قذف، وكأنّ عليّاً عليه السّلام أراد أن يحدّه حدّ القذف والثاني تغليظ لأنّ المقذوف نبيّ.

فما ورد عن طريق العامة فمن إسرائيليات مفضوحة ومختلقات الوضّاعين الأُجرآء لا شأن لها سوى الحطّ من كرامة أنبيآء الله العظام.

وما ورد في بعض الروايات عن طريق الشيعة فمحمول على التقيّة لموافقته مذاهب العامة وروایاتهم الموضوعة، وعدم منافاته لقواعدهم الفاسدة من جواز مثله على الأنبيآء عليهم السّلام، فلا مجال لتأويله إلّا الحمل على التقية.

وما يدل على عصمة داود كسآئر الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين قوله

تعالى: «إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمصطفين الأخيار» ص:٤٦-٤٧).

وذلك أنّ الأخيار تشمل لجميع الأفعال والتروك لجواز الاستثنآء، فيقال: فلان من المصطفين الأخيار إلّا في فعله الفلاني، وانّ الإستثنآء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل تحته، فثبت أنّهم أخيار في كل الامور، فانهم موصوفون بالإصطفآء والخيرية وذلك ينافي صدور الذنب عنهم ولو كان صغيراً.

في إعتقادات الصدوق رضوان الله تعالى عليه ما لفظه: «إعتقادنا في الأنبيآء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم: أنّهم معصومون مطهّرون من كل دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومَن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقدجهلهم، واعتقادنا فيهم أنّهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوآئل امورهم إلى أواخرها لا يوصفون في شئ من أحوالهم بنقص ولا جهل».

أقول: وقدكان في الشريعة السابقة أو السنّة بين الناس قبل داود عليه السّلام: أنّ الرّجل إذا مات أو قُتِل وخلف إمرأة ما كانت تتزوّج بعد موت زوجها، فنسخ الله تعالى هذه الشريعة فأمر داود عليه السّلام بتزويج إمرأة اوريا بعد موت زوجها وانقضاء عدّتها فولد له منها سليمان عليه السّلام.

وما في سورة الأحزاب من النكتة تدل على أنّ داود عليه السّلام قد صارت له المرأة زوجة وذلك قوله تعالى: «ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله له سنّة الله في الذين خلوا من قبل» الأحزاب:٣٨) في تزويج داود عليه السّلام مرأة اوريا بعد موت زوجها كما تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم زينب بنت جحش لنسخ حكم التبنّي، إلّا أنّ تزويج زينب كان مع حياة زوجها، بل أمره بالإمساك بزوجته، وكان تزويج داود عليه السّلام للمرأة بعد فراقها بموت زوجها، فكانت هذه المنقبة لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على داود عليه السّلام مضافة إلى مناقبه العليّة.

وقد سبقت قصّة تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم زينب بنت جحش في تفسير سورة الأحزاب فراجع.

﴿خلافة داود «عليه السّلام» وقضاوته﴾

قال الله تعالى: «يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولاتتبع الهوى» ص: ٢٦)

واعلم أنّ الله عزّوجلّ بدأ بالخليفة قبل الخليقة إذ قال: «إنّي جاعل في الأرض خليفة» البقرة: ٣٠) وأنّ الحكيم يبدأ بالأهمّ، فالخليفة أهمّ من الخليقة كما أنّ الساكن أهم من المسكن، إذ يبنى المسكن للساكن، ولم يخلق الساكن للمسكن، فلابدّ وأن يكون الخليفة أكمل وأشرف في قوّتيه: العلمية والعملية، وليس كذلك إلّا المعصوم، فتجب العصمة للخليفة كما تجب للرسول والنّبيّ والإمام، وهذا يبطل الإختيار وانتخاب النّاس، لأنّ الخليفة إنّما سمّى خليفة لأنّه يحكم بالواقع لا بالظاهر كالمجتهد، فالخليفة هو خليفة الله تعالى، يتمّ الوجود بالخلافة الإلهيّة في الصورة الإنسانية.

وأنّ أوّل مَن ظهر فيه الخلافة من هذا النوع فهو آدم عليه السّلام وأوّل مَن كمل فيه الخلافة بالتسخير والجمع بين الملك والحكمة والنّبوّة فهو داود عليه السّلام وقدتمّ هذه الخلافة بتصرف سليمان في الملك، فبلغ الوجود بوجوده كماله في الظهور إذ ماظهر في الوجود أحد من الناس أعظم ملكاً ولا أعمّ حكماً من سليمان، إذ ورث النّبوّة والحكمة والملك بأتم وجهها وكلّها من الإختصاصات الإلهية لاتحصل بكسب ولا بانتخاب الناس، ولاتكون مجازاة عن عمل أو ثواباً عن سابق حسنة وطاعة تكون نتيجة عنها، ولا لشكر وعبادة متوقّعة منهم عليها، فاذا كانت كذلك فلاتحصل لأحد

بتعمّل ولا كسب ولا جهد كما توهّم بعض أصحاب الهوى، وطلاّب الرئاسة والاشتهار والجاه، بأنّها تحصل لمن كمل علمه وعمله أو باختيار الناس وإن كان جاهلاً بدوياً.

فكما أنّ النّبوّة مقام عندالله عزّوجلّ يناله البشر وهو مختص بالأكابر، فكذلك الخلافة والإمامة، وكما أنّ الرسالة غير مكتسبة كذلك الخلافة غير منتخبة من الناس، فانّها مجعولة إلهية لاينال بها إلّا من اختاره الله تعالى، ولا تطلق إلّا عليه.

في عيون الأخبارـ باب ٣٠ فيما جآء عن الرضا من الأخبار المنثورة ـ باسناده عن يحيى بن سعيد البلخي عن عليّ بن موسى الرّضا عن آبآئه عن عليّ عليهم السّلام قال: «بينما أنا أمشي مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طويل كثّ اللّحية بعيد ما بين المنكبين، فسلّم على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ورحّب به، ثمّ إلتفت إليّ فقال: السّلام عليك يا رابع الخلفآء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: بلى، ثمّ مضى، فقلت: يا رسول الله ما هذا الّذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله، إنّ الله عزّوجل قال في كتابه: «إنّي في الأرض خليفة» والخليفة المجعول فيها آدم عليه السّلام وقال: يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ» فهو الثاني، وقال عزّوجلّ حكاية عن موسى حين قال لهارون عليهما السّلام: «واخلفني في قومي واصلح» فهو هارون إذ استخلفه موسى عليه السّلام في قومه فهو الثالث، وقال عزّوجل: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر» فكنت أنت المبلّغ عن الله وعن رسوله وأنت وصيّي ووزيري وقاضي ديني والمؤدّي عنّي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي، فأنت رابع الخلفآء كما سلّم عليك الشيخ أو لاتدري من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السّلام فاعلم».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن أبي عبيدة الحذّآء عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: «يا اباعبيدة إذا قام قآئم آل محمّد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسئل عن بيّنة...» الحديث.

وفي نور الثّقلين: بالإسناد عن أبان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: «لاتذهب الدنيا حتى يخرج رجل منّي يحكم بحكومة آل داود، ولا يسئل بيّنة، يعطي كلّ نفس حقها».

وفيه: عن عمّار الساباطي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: «بم تحكمون إذا حكمتم؟ قال: بحكم الله وحكم داود، فاذا ورد علينا الشيئ الذي ليس عندنا تلقانا به روح القدس».

وفي الدر المنثور: «أخرج الثعلبي من طريق العوّام بن حوشب قال: حدّثني رجل من قومي شهد عمر، أنّه سئل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ماندرى، فقال سلمان رضى الله عنه: الخليفة الّذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله تعالى...»

أقول: فتدبّر أيّها القارئ سليم القلب، طيب الولادة ثمّ اقض أكان عمر بن الخطاب هكذا ولاتنس قضيّة فدك وإحراق بيت الوحى، وهتك حرمة الرسالة وخشونة عمر بن الخطاب وكون البيعة فلتة وقصّة تحريم المتعة ومئات التخلف والبدع الأُخر...

وفيه: «وأخرج ابن سعد من طريق مروان عن سلمان رضى الله عنه: أنّ عمر بن الخطاب قال له: أنا ملك أم خليفة؟ فقال له سلمان رضى الله عنه: الخليفة الذي يعدل إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقّه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر».

في تفسير النّيشابوري: «يحكى عن بعض خلفآء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهري: هل سمعت ما بلغنا؟ قال: وما هو؟ قال: بلغنا أنّ الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية، فقال: يا أميرالمؤمنين! الخلفآء أفضل أم الأنبيآء؟ ثمّ تلا هذه الآية: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد

بما نسوا يوم الحساب».

وفي فروع الكافي: بإسناده عن ابن محبوب عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إن داود عليه السّلام سئل ربّه أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة، فأوحى الله إليه: يا داود إنّ الذي سئلتني لم اطلع عليه أحداً من خلقي، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري، قال: فلم يمنعه ذلك أن عاد فسئل الله أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة، قال: فأتاه جبرائيل فقال: لقد سئلت ربّك شيئاً ما سئله قبلك نبيّ من أنبيآئه صلوات الله عليهم، يا داود إنّ الذي سئلت لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، ولاينبغي لأحد أن يقضي به غيره، فقد أجاب الله تعالى دعوتك، وأعطاك ما سئلت، إنّ أوّل خصمين يردان عليك غداً القضيّة فيهما من قضايا الآخرة.

قال: فلمّا أصبح داود جلس في مجلس القضآء أتاه شيخ متعلّق بشابّ، ومع الشابّ عنقود من عنب، فقال الشيخ: يا نبيّ الله إنّ هذا الشابّ دخل بستاني وخرّب كرمي، وهذا العنقود أخذه بغير إذني، قال: فقال داود للشابّ: ما تقول؟ فأقرّ الشابّ بأنّه قد فعل ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّي إن كشفت لك عن قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قبلك ولم يرض بها قومك، يا داود إنّ هذا الشيخ إقتحم على والد هذا الغلام في بستانه فقتله وغصب بستانه، وأخذ منه أربعين ألف درهم، فدفنها في جانب بستانه، فادفع إلى الشابّ سيفاً ومره أن يضرب عنق الشيخ، وادفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا من البستان ويأخذ ماله، قال: ففزع داود عليه السّلام من ذلك، وجمع علمآء أصحابه وأخبرهم الخبر، وأمضى القضيّة على ما أوحى الله إليه»

وفي التهذيب: بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: «دخل عليّ عليه السّلام المسجد فاستقبله شابّ وهو يبكي وحوله قوم يسكتونه فقال عليّ عليه السّلام: ما يبكيك؟ فقال: يا أميرالمؤمنين إنّ شريحاً قضى عليّ بقضيّة ما أدرى ما هي؟ إنّ هؤلآء النفر خرجوا بأبي معهم في سفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسئلتهم عنه،

فقالوا: مات، فسئلتهم عن ماله، فقالوا: ماترك مالاً فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم، وقدعلمت يا أميرالمؤمنين أنّ أبي خرج ومعه مال كثير، فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السّلام: إرجعوا فردّهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح، فقال له: يا شريح كيف قضيت بين هؤلآء؟

فقال: يا أميرالمؤمنين إدّعى هذه الفتى على هؤلآء النفر أنّهم خرجوا في سفر وأبوه معهم، فرجعوا ولم يرجع أبوه فسئلهم عنه، فقالوا: مات فسئلهم عن ماله، فقالوا: ماخلف مالاً فقلت للفتى: هل لك بيّنة على ماتدّعى؟ فقال: لا فاستحلفتهم فقال على عليه السّلام: يا شريح هكذا تحكم في مثل هذا؟ فقال: كيف كان هذا يا أميرالمؤمنين؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لأحكمنّ فيهم بحكم ماحكم به إلاّ داود النّبيّ عليه السّلام يا قنبر ادع لي شرطة الخميس، فدعاهم، فوكل بكلّ واحد منهم رجلاً من الشرطة ثمّ نظر أميرالمؤمنين غليه السلام إلى وجوههم، فقال: ماذا تقولون؟

أتقولون إنّي لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى، إنّي إذاً لجاهل، ثمّ قال: فرّقوهم وغطوا رؤوسهم، قال: ففرّق بينهم وأُقيم كل واحد منهم إلى اسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطاة بثيابهم، ثمّ دعا عبيدالله بن أبي رافع كاتبه، فقال: هات صحيفة ودواة وجلس علي عليه السّلام في مجلس القضآء واجتمع النّاس فقال: إذا كبّرت فكبّروا ثمّ قال للنّاس: افرجوا ثمّ دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه، ثمّ قال لعبيدالله: اكتب إقراره ومايقول، ثمّ أقبل عليه بالسّؤال فقال: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: في يوم كذا وكذا فقال: في أيّ شهر؟ فقال: في شهر كذا وكذا فقال: في أىّ سنة؟ قال: في سنة كذا وكذا، قال: وأين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا التفتى؟ فقال: إلى موضع كذا وكذا.

قال: في منزل مَن مات؟ قال: في منزل فلان بن فلان، فقال: ماكان مرضه؟ قال: كذا وكذا قال: كم يوماً مرض؟ فقال: يكون في كذا وكذا يوماً، قال: فمن كان يمرضه؟ وفي أيّ يوم مات؟ ومَن غسّله؟ وأين غسّله؟ ومن كفّنه؟ وبما كفنتموه ومَن صلّى عليه؟ ومَن نزل في قبره؟ فلمّا سئله عن جميع مايريد كبّر علي عليه السّلام

وكبّر النّاس، فارتاب اولئك الباقون ولم يشكوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه فأمر أن يغطي رأسه وأن ينطلق به إلى الحبس، ثمّ دعا بالآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه ثمّ قال: كلا زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتم، فقال: يا أميرالمؤمنين ما أنا إلّا واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله فأقرّ ثمّ دعا بواحد بعد واحد، فكلهم يقرّ بالقتل وأخذ المال، ثمّ ردّ الّذي كان أمر به إلى السجن فأقرّ أيضاً، فألزمهم المال والدم فقال شريح:

فكيف كان حكم داود عليه السّلام؟ فقال عليه السّلام: إنّ داود عليه السّلام مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم: يا مات الدّين، فدعا منهم غلاماً، فقال: يا غلام ما إسمك؟ فقال: إسمي مات الدين، فقال له داود عليه السلام من سمّاك بهذا الإسم؟ فقال: امّي فانطلق إلى امّه، فقال لها: يا امرأة ما إسم ابنك هذا؟ فقالت: مات الدين، فقال لها: ومن سمّاه بهذا الإسم؟ قالت: أبوه قال: وكيف كان ذلك؟ قالت: إنّ أباه خرج في سفر له ومعه قومه وهذا الصّبي حمل في بطني، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي فسئلتهم عنه فقالوا: مات، قلت: فأين ما ترك؟ قالوا: لم يخلف مالاً فقلت: أوصاكم بوصيّة؟ فقالوا: نعم، زعم أنك حبلى فما ولدت من ولد ذكر أو انثى، فسمّيه مات الدين فسمّيته، فقال:

وتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم، قال: فأحياء هم أم أموات؟ فقالت: بل أحياء قال: فانطلقي بنا إليهم، ثمّ مضى معها فاستخرجهم من منازلهم، فحكم بينهم بهذا الحكم، فثبت عليهم المال والدّم، ثمّ قال للمرأة: سمّي ابنك عاش الدين، ثمّ إنّ الفتى والقوم اختلفوا في مال أبي الفتى كم كان فأخذ عليّ عليه السّلام خاتمه وجمع خواتيم عدة ثمّ قال: اجيلوا هذه السهام فأيّكم أخرج خاتمي فهو الصادق في دعواه لأنّه سهم الله عزّوجلّ وهو لا يخيب»

قوله عليه السّلام: «شرطة الخميس»: هم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيّأ للموت، وطائفة من أعوان الولاة، سمّوا بذلك لأنّهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، ولعل الأوّل هو المراد هنا، والخميس: الجيش، سمّي به لأنّه مقسوم بخمسة أقسام:

المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب. وسئل الأصبغ ابن نباتة: كيف سمّيتم شرطة الخميس؟ فقال: إنّا ضمنا له الذبح، وضمن لنا الفتح، يعني أميرالمؤمنين عليه السّلام.

وقدورد: «أن داود عليه السّلام قسّم أيّامه أربعة أقسام: يوماً للعبادة، ويوماً للقضآء ويوماً للوعظ، ويوماً لخاصّة نفسه».

«بعض خصائص داود و معجزاته «عليه السّلام»»

قال الله تعالى: «إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كلّ له أوّاب» ص:١٨-١٩).

واعلم أنّ الله عزّوجلّ أشار بمواضع من القرآن الكريم إلى ما خصّ به نبيّه داود عليه السّلام من امور خارقة لا يستطيع الإنسان العادي أن يفعلها، وإلى ماله من مواقف صالحات وإلى ما أنعم عليه من نعم عظمية:

منها: أنّه جلّ وعلا سخّر له الجبال تردّد معه التسبيح بكرة وعشيّاً بلسان خاص بها لا يدركه الإنسان العادي، ولكن كان داود يدركه بما وهبه الله تعالى من حواس وعلم ومزيّة خاصّة وكان داود عليه السّلام إذا مرّ في البراري يقرأ الزبور تسبّح الجبال والطير معه والوحوش... وهذه أمر يدلّ على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال لعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته.

ومنها: أنه كانت الطير تجتمع حوله عند تسبيحه لله تعالى وتشاركه في التسبيح وذلك ان للطيور والحيوانات نفوساً ناطقة داركة كما ورد من الدلائل المتقنة والبراهين الساطعة والروايات المتواترة على إدراكها، وانّ لبعضها من الإدراك والشعور ما تزيد على كثير من الناس وظاهر الآيات الكريمة تشهد على ذلك، وكذلك في الأخبار المستفيضة دلالة على أنّ للجمادات نوعاً من الإدراك والشعور تسبح لخالقها وتطيعه بلسان مقالها مثل لسان حالها، وقد ثبت: أن من إعجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان تسبيح الحصا بيده وهو صلى الله عليه وآله وسلّم كان يسمع

الحاضرين ذلك التّسبيح، وإلّا فالتسبيح كان حاصلاً في الحصا وغيره لقوله تعالى: «وإن من شيئ إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسراء: ٤٤).

ومنها: أنّه تعالى ألان له الحديد كالشمع، حتى كان يتخذ منه ماأحبّ، فيتصرّف فيه كيفما يشآء من غير إحمآءٍ بالنار ولا طرق بآلا ته أو بقوّته، فيصنع منه دروعاً أحكم نسجها من حلقات متصلة بعضها ببعض في دقّة ومقادير متساوية بيده معجزة له وأمراً خارقاً للعادة، ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لما كان في ذلك إمتنان من الله تعالى، فانّ كل النّاس يعملون ذلك، ومن يدّعي أنّ إلانة الحديد لم تكن معروفة قبل داود عليه السّلام وأنّ الله تعالى هداه إلى هذا الأمر الذي لم يكن معروفاً قبله، فهذا مما لا سبيل إلى تحقيقه.

قال الله تعالى: «وألنّاله الحديد أن اعمل سابغات وقدّر في السرد» سبأ: ١٠-١١).

قيل: إنّ سبب إلانة الحديد لداود عليه السلام أنّه كان نبيّاً ملكاً وكان يطوف في ولايته متنكّراً يتعرّف أحواله عمّا له ومتصرّفيه، فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدميّ وسلّم عليه، فردّ السلام وقال: ما سيرة داود؟ فقال: نعمت السيرة لو لا خصلة فيه قال: وما هي؟ قال إنّه يأكل من بيت مال المسلمين، فشكره وأثنى عليه، وقال: لقد أقسم داود إنّه لا يأكل من بيت مال المسلمين، فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال: «وألنّاله الحديد».

في البحار: بالإسناد عن البزنطي عن الرضا عليه السّلام في قوله تعالى لداود: «والنّاله الحديد».

قال: هي الدرع، والسرد: تقدير الحلقة بعد الحلقة»

أقول: كأنّه تفسير لتقدير السّرد.

وفيه: «وقال الصّادق عليه السّلام: «اطلبوا الحوائج يوم الثلثآء فانّه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السّلام وقوله: «أن اعمل سابغات» قال: الدروع «وقدّر في السرد» قال: المسامير الّتي في الحلقة.

وفي مكارم الأخلاق: عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

-في حديث طويل- قال: «وإن شئت نبّأتك بأمر داود عليه السّلام خليفة الله في الأرض وكان لباسه الشعر وطعامه الشعير...»

وفي الفقيه: عن السمندي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السّلام: إنّك نعم العبد لولا أنّك تأكل من بيت المال ولاتعمل بيدك شيئاً قال: فبكى داود عليه السّلام فأوحى الله تعالى إلى الحديد: أن لن لعبدي داود فألان الله تعالى له الحديد فكان يعمل كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل عليه السّلام بيده ثلاث مأة وستين درعاً، فباعها بثلاث مأة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال»

وفي روضة الكافي: بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من تعذّرت عليه الحوآئج فليلتمس طلبها يوم الثلثآء فانه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السّلام»

فما يظهر من سياق إلانة الحديد لداود عليه السّلام أنّ الأمر كان خارقاً ليس من مألوف البشر يومئذ، فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتّى يلين ويصبح قابلاً للطرق، بل كان معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة، فجوّ السياق جوّ معجزات خارجة على المألوف.

ومنها: عمل داود عليه السّلام الدروع المركّبة من حلق الحديد وكانت تعمل صفائح، وهذا النوع من الدروع لاتعوق لابسها عن الحركة كما يعوق الدرع الذي يتكّون من صحيفة واحدة، ولعلّ الذي جعله يفكّر داود عليه السّلام في عمل الدروع المسرورة، عدم قدرته على المشي في لامة الحرب التي ألبسه إياها طالوت يوم برز داود لجالوت كما مرّ آنفاً، فكان داود عليه السّلام ينسج الدروع من حلق الحديد، تناط الحلقة بأمثالها إلى أن يكمله الدرع وهي أخف من الدروع الاخرى وأبعد من مضايقة لابسها، وهي تقى لابسها من أن تعمل فيه الأسلحة، فهي على لابسها حصن يتنقل بتنقله كما قال الله عزّوجلّ: «وعلّمناه صنعة لبوس لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون» الأنبيآء: ٨٠) أي وعلمنا داود عليه السّلام صنعة لباس لكم وهي الدروع

الّتي تصنع من الحديد لتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح في حروب أعدائكم... فداود عليه السلام أوّل من صنع الدرع إنما كانت صفائح، جعل الله تعالى الحديد في يده كالعجين فهو أوّل من سردها وحلقها، فجمعت الخفّة والتحصين وهو قوله تعالى: «لتحصنكم من بأسكم» أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم.

ومنها: أنّ داود كان يعلم منطق الطير لقوله تعالى: «ولقد آتينا داود وسليمان علماً ـ وقال يا أيّها النّاس عُلّمنا منطق الطير واوتينا من كل شيْ» النمل: ١٥-١٦) على أنّ الضمير في اوتينا ـ وعلمنا» لسليمان ولأبيه ويؤيد ذلك قوله تعالى: «يا جبال أوّبي معه والطير» سبأ: ١٠) وقوله تعالى: «والطير محشورة كلّ له أوّاب» ص: ١٩) وقوله تعالى: «وورث سليمان داود» النمل: ١٦) فانّ الظاهر أنّه ورثه في العلم والحكمة.

ومنها: كونه مختوناً كبعض الأنبيآء عليهم السّلام.

في عيون الأخبار: «سئل الشامي أمير المؤمنين عليه السّلام عمّن خلق الله من الأنبيآء مختوناً، فقال: خلق الله عزّوجلّ آدم مختوناً وولد شيث مختوناً وإدريس ونوح وسام بن نوح وابراهيم وداود وسليمان ولوط واسمعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم»

﴿عبادة داود و دعائه و بكآئه «عليه السّلام» ﴾

قال الله تعالى: «واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب» ص:١٧)

وقدورد: أنّ داود عليه السّلام كان كثير العبادة، كثير الدعآء وكثير البكآء كما يستفاد من الآية الكريمة، فنشير إلى مايسعه مقام الإختصار:

في فروع الكافي: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أوّل مابعث كان يصوم حتّى يقال: مايفطر، ويفطر حتّى يقال: مايصوم، ثمّ ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً وهو صوم داود عليه السّلام...» الخبر

وفي الكامل: «فلمّا قُتِل طالوت أتى بنوإسرائيل داود فأعطوه خزآئن طالوت ملّكوه عليهم، فلمّا ملك بني إسرائيل جعله الله نبياً ملكاً وأنزل عليه الزبور وعلّمه صنعة الدروع، وهو أوّل مَن عملها وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير يسبّحون معه إذا سبّح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتّى يأخذ بأعناقها وإنها لمصيخة تسمع صوته، وكان شديد الإجتهاد كثير العبادة والبكآء، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر...».

وفي فروع الكافي: بإسناده عن ابن مسكان عمّن رواه عن أبي عبدالله عليه السلام: «قال: إنّ داود عليه السّلام لمّا وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلمّا قضى نسكه أتاه جبرئيل، فقال له: يا داود يقول لك ربّك لِمَ صعدت الجبل؟ ظننت أنّه يخفى عليّ صوت مَن صوّت؟! ثمّ مضى به إلى البحر

إلى جدّة فرسب به في الماّء مسيرة أربعين صباحاً في البرّ، فاذا صخرة ففلقها فاذاً فيها دودة فقال: يا داود يقول لك ربّك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر، فظننت أنه يخفى عليّ صوت من صوّت؟!»

قوله عليه السّلام: «فرسب» من رسب الشيْ في الماّء: سقط إلى أسفله، ولا يبعد أن يكون هذا ظن غيره، فنسب إليه ليعلم غيره ذلك أو أنّ داود عليه السّلام ظنّ أنّ من أدب الدعآء أن لا تكون الأصوات مختلطة، فنبّه بذلك على خلافه، أو أنّ فعله لما كان مظنّة ذلك عوتب بذلك وإن لم يكن غرضه ذلك والله تعالى هو أعلم.

وفي البحار: عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إنّ داود النّبيّ عليه السّلام كان ذات يوم في محرابه إذ مرّت به دودة حمرآء صغيرة تدبّ حتّى إنتهت إلى موضع سجوده، فنظر إليها داود وحدّث في نفسه: لِمَ خلقت هذه الدودة؟ فأوحى الله إليها: تكلّمي، فقالت له: يا داود هل سمعت حسّي أو استبنت على الصّفا أثري؟ فقال لها داود: لا قالت: فانّ الله يسمع دبيبي ونفسي وحسّي ويرى أثر مشي فاخفض من صوتك»

وفي تفسير العياشي: بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود، فقلت: ما بلغ من بكآئهم؟ فقال: أما آدم عليه السّلام فبكى حين اخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السمآء فبكى حتّى تأذّي به أهل السمآء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته، فأما داود فانّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه وأما يوسف عليه السّلام فانّه كان يبكى على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذّى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكى يوماً ويسكت يوماً».

وفي البحار: عن أبي العالية قال: «كان من دعآء داود عليه السّلام: «سبحانك الهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدّ إليّ روحي، إلهي أتيت أطبّآء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلّهم عليك يدلّني».

«داود النّبيّ عليه السّلام، وبناء بيت المقدّس»

في تاريخ الطّبري: «وأصاب بني إسرائيل في زمانه ـ داود ـ طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسئلونه كشف ذلك البلاء عنهم، فاستجيب لهم فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً وكان ذلك فيما قيل لأحد عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفّى قبل أن يستتم بناؤه فأوصى إلى سليمان باستمامه. وقيل في بنآء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: حدّثني إسمعيل بن عبد الكريم قال حدّثني عبد الصّمد ابن معقل أنّه سمع وهب بن منبه يقول: إنّ داود أراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم فبعث لذلك عرفآء ونقبآء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددهم، فعتب الله عليه ذلك، وقال: قدعلمت أنّي قدوعدت إبراهيم أن أُبارك فيه وفي ذريته حتّى أجعلهم كعدد نجوم السمآء وأجعلهم لا يُحصى عددهم، فأردت أن تعلم عدد ما قلت انّه لا يُحصىٰ عددهم، فاختاروا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين أو أُسلّط عليكم العدوّ ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيّام.

فاستشار داود في ذلك بني إسرآئيل، فقالوا: مالنا بالجوع ثلاث سنين صبر ولا بالعدوّ ثلاثة أشهر فليس لهم بقيّة، فان كان لابدّ فالموت بيده لا بيد غيره، فذهب وهب بن منبه أنّه مات منهم في ساعة من نهار ألوف كبيرة لا يدري ماعددهم، فلمّا رأى ذلك داود شقّ عليه ما بلغه من كثرة الموت، فتبتّل إلى الله ودعاه فقال: يا ربّ أنا آكل الحمّاض وبنوإسرائيل يضرسون أنا طلبت ذلك فأمرت به بني إسرائيل فما كان من شئ فبى واعف عن بني إسرائيل، فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت فرأى

داود الملائكة سالين سيوفهم يغمدونها يرتقون في سلم من ذهب من الصخرة إلى السمآء.

فقال داود: هذا مكان ينبغي أن يُبنىٰ فيه مسجد، فأراد داود أن يأخذ في بنآئه، فأوحى الله إليه: أن هذا بيت مقدس وأنك قدصبغت يدك في الدمآء، فلست ببانيه، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسمّيه سليمان أسلمه من الدمآء فلماملك سليمان بناؤه وشرّفه وكان عمر داود فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مأة سنة، وأما بعض أهل الكتاب فانّه يزعم أن عمره كان سبعاً وسبعين سنة وأنّ مدّة ملكه كانت أربعين سنة» **قوله:** «جارن»: موت عام.

وفي مروج الذهب: «وبنى داود بيتاً للعبادة باورشليم وهو بيت المقدس، وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمأة، ويدعى بمحراب داود عليه السّلام وليس في بيت المقدس بنآء هو أعلى منه في هذا الوقت، وقديرى في أعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن».

وفي الكامل: «قيل: أصاب النّاس في زمان داود طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السمآء، فلهذا قصده ليدعو فيه، فلمّا وقف موضع الصّخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجاب له ورفع الطاعون، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً، وكان الشروع في بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفّى قبل أن يستتمّ بنآئه وأوصى إلى سليمان باتمامه وقتْل القائد الذي قتل أخاه إيشي بن داود، فلمّا توفّى داود ودفنه سليمان تقدّم بانفاذ أمره فقتل القائد واستتمّ بنآء المسجد، بناه بالرخام وزخرفه بالذهب، ورصعه بالجواهر، وقوى على ذلك جميعه بالجن والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرّب قرباناً، فتقبّله الله منه، وكان ابتداؤه أوّلاً ببنآء المدينة، فلمّا فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقدأكثر الناس في صفة البنآء مما يستبعد ولاحاجة إلى ذكره.

وقيل: إنّ سليمان هو الّذي ابتدأ بعمارة المسجد، وكان داود أراد أن يبنيه، فأوحى الله إليه: إنّ هذا بيت مقدّس، وإنك قدصبغت يدك في الدمآء فلست ببانيه، ولكنّ إبنك سليمان يبنيه لسلامته من الدّمآء، فلمّا ملك سليمان بناه».

﴿طول عمر داود و موته «عليه السّلام» ﴾

في كمال الدين: بإسناده عن محمّد بن يوسف التميمي عن الصّادق عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام عن النبيّ عليه السّلام قال: «عاش داود مأة سنة منها أربعون سنة في ملكه»

وفي فروع الكافي: بإسناده عن عليّ بن مهزيار عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «لمّا عرض على آدم ولده نظر إلى داود فأعجبه فزاده خمسين سنة من عمره قال: ونزل عليه جبرئيل وميكائيل، فكتب عليه ملك الموت صكّاً بالخمسين سنة، فلمّا حضرته الوفاة نزل عليه ملك الموت، فقال آدم: قد بقي من عمري خمسون سنة فقال: فأين الخمسون الّتي جعلتها لإبنك داود عليه السّلام؟ قال: فامّا أن يكون نسيها أو أنكرها، فنزل عليه جبرئيل وميكائيل وشهدا عليه فقبضه ملك الموت فقال أبوعبدالله عليه السّلام: وكان أوّل صكّ كتب في الدّنيا»

الصّكّ: كتاب الإقرار بالمال أو غيره.

وفي تفسير العياشي: عن ابي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أهبط ظللاً من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له الروحاء وهو وادٍ بين الطائف ومكة، ثمّ صرخ بذريته وهم ذرّ (ثمّ خرج بذريته وهم ذرّخ) قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها، فاجتمعوا على شفير الوادي، فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى؟ فقال آدم: ذرّاً كثيراً (ذرّ كثيرخ) على شفير الوادي، فقال الله: يا

آدم هؤلآء ذرّيتك، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية ولمحمد بالنّبوّة كما أخذته عليهم في السمآء، قال آدم: يا ربّ وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدري، قال آدم: يا ربّ فما تريد منهم في الميثاق؟

قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا ربّ فما جزآؤه؟ قال الله: أُسكنه جنّتي، قال آدم: فمن عصاك فما جزآؤه؟ قال: أُسكنه ناري، قال آدم: يا ربّ لقد عدلت فيهم وليعصينّك أكثرهم إن لم تعصمهم، قال أبوجعفر عليه السّلام: ثمّ عرض الله على آدم أسمآء الأنبيآء وأعمارهم، قال: فمرّ آدم باسم داود النّبيّ عليه السّلام فاذا عمره أربعون سنة، فقال: يا ربّ ما أقل عمر داود وأكثر عمري! يا ربّ إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أينفذ ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فانّي قدزدته من عمري ثلاثين سنة، فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال: فأثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة، ولم يكن له عند الله مثبتاً، ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عندالله مثبتاً، فقال أبوجعفر عليه السّلام: فذلك قول الله: «يمحوا الله ما يشآء ويثبت وعنده أم الكتاب» قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم، وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً.

قال: فلمّا دنا عمر آدم هبط عليك ملك الموت عليه السّلام ليقبض روحه، فقال له آدم عليه السّلام: يا ملك الموت قدبقى من عمري ثلاثين سنة، فقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود النّبيّ عليه السّلام وطرحتها من عمرك حيث عرض الله عليك أسمآء الأنبيآء من ذريتك وعرض عليك أعمارهم وأنت بوادى الروحآء؟ فقال آدم: يا ملك الموت ما أذكر هذا، فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجهل، ألم تسئل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟ فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك من الذكر، قال: فقال آدم: احضر الكتاب حتّى أعلم ذلك، قال أبوجعفر عليه السّلام: وكان آدم صادقاً لم يذكر، قال أبوجعفر عليه السّلام: فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحود ما جعل على نفسه»

أقول: وفي بعض الأخبار أنه زاد في عمر داود ستين سنة تمام المأة، ويمكن لنا الجمع بين الأخبار بتكرار عرض ذرية آدم عليه السّلام عليه لأزمنة مختلفة فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي الدر المنثور: عن مجاهد قال: «قال داود عليه السّلام: يا ربّ طال عمري وكبر سنّي وضعف ركني فأوحى الله إليه: يا داود طوبى لمن طال عمره وحسن عمله».

وفي قصص الأنبيآء للنجار: «وكانت مدّة ملك داود أربعين سنة: منها سبعة أعوام وهو ملك في «جرون» لسبط يهوذ اوحده ولإسرائيل كلهم: ثلاث وثلا ثون سنة ملكاً لجميع اليهود في صهيون، وجعل إبنه سليمان ولى عهده قبل أن يموت ومات وهو شيخ كبير جدّاً».

وفي عيون الأخبار - باب ٢٤ - ماجآء عن الرضا عليه السّلام في خبر الشامي - سئل الشامي عن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «وسئله عن أوّل مَن مات فجأة فقال عليه السّلام: داود مات على منبره يوم الأربعآء...» الخبر الطويل.

وفي فروع الكافي: بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السّلام؟ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: مات داود النّبيّ عليه السّلام يوم السبت مفجوءاً فأظلّته الطير بأجنحتها...»

أقول: إنّ الجمع بين الروايتين أنّه عليه السّلام مات يوم الأربعآء فجأة، وقددُفِنَ بعد ثلا ثة أيام وهو يوم السبت.

وفي الكامل: «ثمّ إنّ داود توفّى وكان له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً فقالت: من أدخلك الدار؟ فقال: أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن، فسمع داود قوله، فقال: أنت ملك الموت؟ قال: نعم قال: فهلاّ أرسلتَ إليّ لاستعدّ للموت؟ قال: قدأرسلتُ إليك كثيراً، قال: مَن كان رسولك؟ قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟ قال: ماتوا، قال: فهم كانوا رسلي إليك لأنك تموت كما ماتوا، ثم قبضه، فلمّا مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوّته. وكان له تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان دونهم،

وكان عمر داود عليه السّلام لمّا توفّى مأة سنة صحّ ذلك عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم وكان مدّة ملكه أربعين سنة».

تمّت سورة ص

والحمد لله ربّ العالمين وأفضل صلوات الله

وأكمل تحيّاته على محمّد وآله المعصومين.

الفهرس

فهرس ما جآء في تفسير سورة الصّآفّات

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الأوّل : في عناوين تفسير السّورة وفيها تسع عشرة بصيرة :

الفصل الثّاني: في مواضيع الحكم القرآنيّة الدّقيقة والمعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة الصّافّات وفي الفصل بصيرتان:

الأولي: فيها ستّة و عشرون أمراً:

البصيرة الثّانية : وفيها تسعة امور:

فهرس ما جآء في تفسير سورة «ص»

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الأوّل: في عناوين تفسير السّورة وفيها تسع عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنيّة الدّقيقة والمعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة «ص»

وفي الفصل بصيرة واحدة وفيها عشرة امور: